

لشؤون فلسطينية

حزيران (يونيو) ١٩٧٥

٤٦



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

حزيران (يونيو) ١٩٧٥

رقم ٤٦

- شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
- تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

• **يشارك في التحرير :** محمود درويش .

• **سكرتير التحرير :** ابراهيم العابد **مدير التوزيع :** غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء
منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحات ، بيروت .

ثمن العدد : ٣٧/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ،
٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الإشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ،
٨٠ ل.ل. في أوروبا واغريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في أميركا واستراليا وآسيا .

الإشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

- صفحة ٥ الازمة اللبنانية بالاصل ... قبل ان تكون ازمة في العلاقات اللبنانية — الفلسطينية ، محمد كشلي .
- ١٤ البعد الفلسطيني — اللبناني في حرب الاستنزاف الداخلية العربية ، الدكتور أسعد عبد الرحمن .
- ٢٢ كمبوديا وفيتنام : انتصاران عظيمان ، منير شفيق .
- ٤١ ذاهبون الى القصيدة ... [الى بابلو نيرودا] ، محمود درويش .
- ٤٧ مسؤولية بدء الاعمال العدائية في حرب حزيران ١٩٦٧ في ضوء القانون الدولي ، الدكتور كنيث م. ليفان .
- ٦٥ حرب حزيران ١٩٦٧ : « حرب دفاعية » أم غزوة امبريالية — توسعية فاشلة ، يوسف حمدان .
- ٧٢ العجز امام الحقيقة والهروب الى الامام : ملاحظات حول الصحافة العربية في الخامس من حزيران ، الدكتور فيصل دراج .

- ٨٣ قوة الكلمات ، الياس خوري .
- ٩٤ عندما أخطأ الكاريكاتير المصري ، زهدي .
- ١٠٨ دور الطيران في حربي حزيران ١٩٦٧ وتشرين الاول ١٩٧٣ ، الرائد الطيار حسين عويضة .
- ١٣٢ المقاطعة العربية : ندوة ، ادارها هاني الهندي ، اشترك فيها : برهان الدجاني ، د. يوسف صايغ ، د. منذر عنبتاوي ويوسف حمدان .
- ١٦١ الاساليب الصهيونية في الضغط والتحرير والتشهير ، فارس المنصوري .
- ١٧٥ في أعقاب معركة صفد ١٩٤٨ ، محمد هشام العظم .
- ١٨٤ مراجعات : معارك العرب وما اشبه الليلة بالبارحة ، محمد نصر .
المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ، يوسف شويري . هي او الموت ، خليل السواحري .

- ١٩٨ تقرير حول التطورات الاخيرة على جبهة النفط ، رهف بدوي .
- ٢٠٩ تحليل لاتجاهات الدعاوة الصهيونية في شهر آذار (مارس) ١٩٧٥ ،
ادريس الخالدي .
- ٢١٨ الكتاب اللبناني : تاريخها ، عقيدتها ، تنظيمها ، راشد حميد .
- ٢٣٢ تغيرت الرياح لصالح فلسطين ، ايثيل مانين .
- ٢٣٥ مناقشة : تعقيب علي ماهر رشدي الشوا . رد حسين ابو النمل .
- ٢٣٩ شهريات : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي .
(٤) اسرائيليات ، صبري جريس وحنه شاهين ويوسف حمدان وحمدان بدر . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، الرائد الطيار عسین عويضة .
(٦) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وأخرى بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٤/١١ حتى ١٣/٥/١٩٧٥ ،
غازي خورشيد .

اللازمة لبنانية بالأصل ...

قبل ان تكون أزمة في العلاقات اللبنانية - الفلسطينية

محمد كشلي

من مفارقات التاريخ أن لبنان كان المستفيد الأول من النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ حيث أخذ الدور الاقتصادي الذي كانت فلسطين تلعبه في الصلة بين العالم الخارجي والمشرق العربي : المرماً - التجارة - الترانزيت - النشاط المصري - السياحة - الخدمات الخ . ومنذ ذلك التاريخ أصبح لبنان هو المكان الوحيد في منطقة المشرق العربي لهذه النشاطات الاقتصادية ، وقام ما سمي بالازدهار الاقتصادي ، اعتماداً على دور الوسيط الذي فقدته فلسطين بقيام إسرائيل وتشريد الفلسطينيين في انحاء العالم العربي ، ومنه لبنان حيث لجأ عدد كبير من الفلسطينيين اليه (حوالي ١٥٠ - ٢٠٠ الف شخص) ، وكانت لهم فيه صلات اجتماعية واقتصادية وعائلية قديمة بحكم الجوار الجغرافي والتاريخي للشعبين اللبناني والفلسطيني .

وبعد حوالي ربع قرن ، عندما عادت فلسطين الى الحياة بعودة شعبها الى حمل السلاح من أجل تحرير ارضه اخذت فلسطين تفجر تناقضات الوضع اللبناني .. أو على الاصح اخذت قضية فلسطين تساعد في كشف التناقض الذي يعيشه لبنان من حيث علاقاته الاقتصادية بالعالم العربي وطبيعة نظامه السياسي الطائفي الذي يقوم على العزلة وعلى رفض اي انخراط فعلي في الصراع العربي الاسرائيلي .

ان الانعزالية اللبنانية - وحزب الكتائب هو التجسيد التنظيمي والايديولوجي لها - تريد ان تستفيد من علاقات لبنان الاقتصادية بالعالم العربي ، وترفض أن تكون جزءاً منه على الصعيد السياسي والقومي .. لذلك كانت الانعزالية اللبنانية باستمرار تضرب أسواراً من العزلة السياسية على لبنان ، لتجعله حيادياً بعيداً عن صراعات المنطقة العربية وقضاياها .

كانت هذه المقدمة الصغيرة ضرورية لوضع الصدام الدامي الاخير الذي قام بسه حزب الكتائب ضد المقاومة الفلسطينية في مجراه التاريخي الشامل ، ولفهم طبيعة الازمة القائمة ، فهي **أزمة لبنانية بالأصل** قبل أن تكون أزمة في العلاقات اللبنانية - الفلسطينية .. فوجود المقاومة الفلسطينية على أرض لبنان ساعد على تفجير تناقضات الوضع اللبناني . وهذه التناقضات كانت ستنفجر سواء كان هناك وجود فلسطيني أم لم يكن !

ولا ينحصر التناقض في الوضع اللبناني بين علاقات لبنان الاقتصادية العربية ودور العزلة السياسية ، أنها شهد النظام اللبناني في السنوات الاخيرة ، وخاصة في العامين الماضيين ، تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية هامة ولدت صراعات داخلية على كل صعيد .. وهذا **التناقض الاساسي** : **علاقات لبنان العربية ، والصراعات**

الاجتماعية والسياسة الداخلية ، هما الخلفية الحقيقية للصدام المفتعل الذي قام به حزب الكتائب ضد المقاومة الفلسطينية في الشهر الماضي . ولتأخذ كل واحد من هذين التناقضين الاساسيين على جدة :

علاقات لبنان الاقتصادية مع العالم العربي :

لعب الاقتصاد اللبناني منذ فترة طويلة بعد الاستقلال دور الوسيط بين « الداخل العربي » (الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية حيث ثروات النفط التي كانت تتطور وتزداد مع الايام) وبين الغرب عموما . . وقد شهد لبنان في السنوات العشر الماضية ازدهارا واسعا في النشاط المصرفي وفي دور الخدمات والتجارة والترانزيت ، وجاءته اموال عربية وودائع من الخليج العربي ، وازدهرت نسبيا الصناعة اللبنانية التي تصدر معظم انتاجها الى الاسواق العربية ، كما عمل عدد كبير من اللبنانيين في الاقطار العربية المنتجة للنفط بينما تدفقت الايدي العاملة العربية الرخيصة الى لبنان (العمال السوريون) بالاضافة الى العمال الفلسطينيين في المخيمات !

يؤكد احد الخبراء الاقتصاديين اللبنانيين (١) بالارقام حقيقة اعتماد الاقتصاد اللبناني على العالم العربي :

١ - فهناك التحويلات المالية من المواطنين اللبنانيين العاملين والقاطنين في الاقطار العربية المنتجة للنفط . (يبلغ عددهم حوالي ١٤٠ الف شخص ويحولوا زهاء ٥٠٠ مليون ليرة سنويا . والمتوقع ان تزداد هذه الكمية اثر الزيادات الكبرى في العائدات النفطية) .

٢ - التحويلات المالية العربية مقابل الخدمات (تبلغ قيمتها ١٠٠٠ مليون ليرة من الاقطار العربية لتسديد اجور النقل والترانزيت والخدمات التسويقية وخدمات الطباعة والنشر والعلاج الطبي والخدمات المتصلة بالقطاع السياحي) .

٣ - التحويلات المالية العربية للاستثمار في لبنان والودائع العربية في المصارف . (تتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ مليون دولار سنويا ، اما الودائع فتبلغ ٣٠٠٠ مليون ليرة لبنانية ٩٠٪ منها وودائع عربية !)

تظهر هذه الارقام مدى تفاعل لبنان الاقتصادي مع العالم العربي بحيث يمكن القول ان هذا التفاعل يمثل عاملا محددا كبيرا لمستوى النشاط الاقتصادي . ويمكن القول - كما يؤكد الخبير الاقتصادي اللبناني - ان رؤوس الاموال العربية والمهارات العربية كانت طوال السنوات الماضية المنصرمة تؤلف العوامل الرئيسية التي أدت الى الزخم المشاهد في قطاع البناء والقطاع المصرفي . وتشير التقديرات الى انه كان من شأن نسبة معدل النمو البالغة ٨٪ في الاقتصاد اللبناني خلال فترة السنوات الخمس ان تهبط الى النصف لولا وجود الاموال العربية في لبنان .

مقابل هذا « الانخراط الاقتصادي » شبه الكامل في العالم العربي ترفض الانعزالية اللبنانية « الانخراط السياسي » في صراعاته وقضاياها الوطنية .

قبل وجود المقاومة الفلسطينية استطاع النظام السياسي الطائفي الحفاظ على العزلة اللبنانية ، واستطاع ان يمتص التطورات العربية الخارجية وان يضع نفسه خارج اطار الصراع الضاري الذي شهدته المنطقة العربية في فترة صعود ومد حركة التحرر الوطني العربي . ورغم وقوع احداث عام ١٩٥٨ المعروفة بعد قيام الوحدة المصرية - السورية الا ان النظام السياسي سرعان ما امتص الازمة وعاد لتوازنه التقليدي الطائفي .

لقد تركب النظام السياسي تاريخيا على أساس التسوية الطائفية بين البورجوازيين المسيحية والاسلامية وزعماء الاقطاع السياسي الطائفيين ، وقد امنت هذه التسوية طابع الازدواج المطلوب للمصالح التجارية والاقتصادية النامية . فما سمي بالوجه العربي يقدم فرصة التعامل الاقتصادي مع العالم العربي ، وما سمي بالكيان اللبناني الخاص يؤمن العزلة والصور الذي يحمي الداخل اللبناني من تطورات الخارج العربي . وفي المرحلة الاولى حتى عام ١٩٦٧ ، قبل دخول حركة المقاومة الفلسطينية ، كان العامل العربي الخارجي المتمثل بحركة التحرر الوطني العربية يدخل الى لبنان ضمن مجرد التوازن الطائفي القائم ، فالقطاع السياسي والبورجوازية اللبنانية اللذان كانا على رأس الحركة الوطنية اللبنانية كانا باستطاعتها التكيف مع الموجة الوطنية العربية ، فحركة التحرر الوطنية العربية لم تزل بعد مسألة خارجية لا داخلية . او بتعبير آخر ان حركة التحرر الوطني العربي لم تصل بعد الى مستوى المس بالتوازن الداخلي التقليدي في لبنان خاصة ان القضية الفلسطينية كانت راکدة . وكان من السهل على « الزعماء الوطنيين » آنذاك ان يضعوا الحركة الوطنية اللبنانية وعلاقتها بحركة التحرر الوطني العربي ضمن اطر وأشكال التوازنات التقليدية القائمة .

لقد كانت عند النظام اللبناني القدرة على احتواء العامل العربي وامتصاصه في داخل توازنه الداخلي . وقد استمرت هذه القدرة على الاحتواء الى حين وجود حركة المقاومة الفلسطينية على الارض اللبنانية .

وبعد عام ١٩٦٧ وانطلاق المقاومة الفلسطينية بدأت الازمة اللبنانية بالانكشاف . فهذه المرة عجزت أسوار العزلة ان تمنع تفاعل حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية بالحركة الوطنية اللبنانية تفاعلا داخليا وعضويا . هذه المرة كان التحدي الوطني من الداخل ، وعلى الحدود ، ومع العدو الصهيوني مباشرة وبدأ التناقض الاساسي في الوضع اللبناني : اندماج اقتصادي تام او شبه تام مع العالم العربي ، ونظام سياسي يحاول بتوازن تقليدي وطائفي ان يحافظ على عزلة لبنان عن التطورات العربية . ان علاقة النظام اللبناني بخطر التوسع الصهيوني حتى على ارض لبنان ونحو جنوبه تؤكد حقيقة هذا التناقض في الوضع اللبناني .

لقد كانت المصالح الاقتصادية تتمركز في العاصمة ، أما الجنوب فمهمل بأوضاعه الاجتماعية المتخلفة حيث سيطرة الاقطاع السياسي التي حولته الى سجن كبير . ومقابل المستعمرات الاسرائيلية الحصينة عسكريا والمتقدمة اقتصاديا نجد قرى الجنوب الامامية متخلفة مهجورة غير مسلحة وغير حصينة .

كان النظام اللبناني مزدهرا في العاصمة ومتخلفا في الجنوب . وكان ديموقراطيا في العاصمة وديكتاتوريا في الجنوب وعلى الحدود . وكان الجنوب هو « شاهد عيان » على التناقض في الوضع اللبناني ، هنا كانت تتمركز الازمة الاجتماعية والسياسية ، وهنا كان « المحرومون » فعلا ، وهنا كان الفلاح الفقير والمزارع الصغير والعامل الزراعي ، وهنا الاهمال الكامل من قبل الدولة .

هذا الوضع المتخلف للجنوب اللبناني لم يكن بحاجة الى اطماع الصهيونية التوسعية به ، بل كان تخلفه وفقره وضعفه اغراء بحد ذاته لاسرائيل القابعة على حدوده بأن تتوسع ، وأن تطمح في مياهه وارضه . صحيح ان اسرائيل لم تحتل الجنوب لاسباب آتية مختلفة ، الا انها كانت تنتظر الفرصة لتحقيق اطماعها في مياه الليطاني وفي ارض الجنوب .

كانت أزمة الجنوب الوطنية والاجتماعية قبل وجود المقاومة الفلسطينية . وكان كل ما « ينتظره » الجنوب أن تأتي المقاومة لتكشف الأزمة ولتساعد على يقظته السياسية وتحركه ونمو قواه الجديدة الحية الكامنة فيه التي طالما طمست واضطهدت وكبتت !

وبدأت اعتداءات إسرائيل على الحدود وعلى القرى الامامية . وانكشف التناقض . كانت الانعزالية اللبنانية ترفض باستمرار أن ينخرط لبنان في الصراع الوطني وفي الصراع العربي المشترك ضد إسرائيل . وقد أبت لبنان باستمرار ضعيفا على الصعيد العسكري وعملت على اخراجه من حلبة الصراع أثناء الحروب العربية النظامية ضد إسرائيل (عام ١٩٤٨ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧ — ١٩٧٣) . وإذا كانت هذه الحروب ظلت خارج الارض اللبنانية ، فان حرب المقاومة الفلسطينية أصبحت على هذه الارض وعلى الحدود . هل يصبح لبنان عربيا أي منخرطا في الصراع ، أم هو حيادي . . ضعيف . . لا قدرة له ، ولا علاقة له ؟ هذا هو التحدي الذي أطلقه الوجود الفلسطيني على أرض لبنان . وكان جواب الانعزالية اللبنانية « قوة لبنان في ضعفه ، الضمانات الاجنبية ، البوليس الدولي الخ » .

وكان حزب الكتائب أكثر هذه القوى الانعزالية تصلبا وتأييدا على العزلة وعلى رفض الوجود الفلسطيني ، وعلى رفض تحميل لبنان أية مسؤولية فعلية في الصراع العربي الإسرائيلي . لذلك حمل حزب الكتائب منذ انطلاقة المقاومة لواء معاداة الوجود الفلسطيني . وكان أكثر ما أربع الانعزالية اللبنانية في الوجود الفلسطيني هو انكشاف هذا التناقض في الوضع اللبناني . . . لبنان يعيش اقتصاديا من العالم العربي ، ويرفض سياسيا ان يكون جزءا منه !

وانفجر « الحقد الكتائبي » على الفلسطينيين بتعبئة مستمرة متصاعدة ، لم يكن حادث عين الرمانة الحادث الأول ، إنما سبقته عدة صدامات . ولكن التعبئة المستمرة ضد الوجود الفلسطيني كانت تعكس خوف الانعزالية اللبنانية من انكشاف وضعها ومن تفجر التناقض اللبناني نفسه . وكان أكثر ما يخيئها ويرعبها هو عجز الاطار التقليدي الطائفي من امتصاص « العامل العربي » كما حدث في المرحلة السابقة (في أحداث عام ١٩٥٨) . فالعامل العربي هذه المرة هو القضية الفلسطينية التي أصبحت قضية داخلية في لبنان ، وجزءا من تكوينه الجماهيري نفسه .

تخلخل التوازن التقليدي ، انكشفت الأزمة ، وتفجر التناقض .

هذا ما عبر عنه حزب الكتائب حين أخذ يحمل الثورة الفلسطينية مسؤولية فقدان التوازن التقليدي السابق في لبنان . تقول جريدة « العمل » : (قبل هذا . . كان اللبنانيون ، رغم الاختلاف التقليدي الذي يعتبر حقيقة موضوعية لا جدال فيها يتدبرون أمرهم ما بينهم . بعض التساهل من هنا ، يقابله بعض التساهل من هناك ، وتستقيم الحال ، ويتأمن التوازن . . ويتأمن للحكم أيضا الرضى الشعبي النسبي وتصبح كلمته وقراراته مقبولة من الفريقين بدلا من أن يرفضها فريق ويقبلها الفريق الآخر . . هذا حتى قامت الثورة الفلسطينية متخذة من لبنان مقرا لها . وكما يقول الشيخ بيسار الجميل : « فلسطين كلها أصبحت في لبنان روحا وجسدا » ! . . وبصرف النظر عما إذا كان التواجد الفلسطيني ، كما هو الآن ، حسنا أم سيئا ، منظما أم فوضويا ، ففي مطلق الاحوال لقد أحدث اختلالا في الحياة اللبنانية . . اختلالا في التوازن (٢) !

اختلال التوازن التقليدي . . هذا هو سبب « الحقد الكتائبي » على التواجد الفلسطيني . ولكن الكتائب لا تريد أن تعرف ان التوازن التقليدي في لبنان ليس سرمديا

ولا أبديا ولا يمكن أن يظل لبنان متجمدا الى الأبد . وإذا كان الوجود الفلسطيني قد ساعد على كشف التناقض في الوضع اللبناني ، فإن هذا التناقض لم يكن « فلسطينيا » ولم يكن من صنع المقاومة الفلسطينية ، إنما هو نابع من طبيعة الوجود اللبناني نفسه . وقد كان سينكشف حتما وسينفجر حتما سواء كان التواجد الفلسطيني أم لم يكن . فالجنوب اللبناني المتخلف الضعيف الفقير المضطهد المسجون ، ما كان يمكن أن يظل كذلك الى الأبد حفاظا على التوازن التقليدي ، وما كان يمكن للصهيونية أن تنظر اليه من بعيد دون أن تقترب منه وتحقق ما تريده من أطماع توسعية في مياهه وأرضه . ولكن الكتاب لا تعرف الا **لبنان الماضي** . وهي لا تدرك أن لبنان هو كأي بلد في العالم ، وأن النظام اللبناني كأي نظام في العالم ، لا بد أن يتعرض لتطورات وتناقضات ، ولا بد أن يتطور بالصراع بين القوى الجديدة والشعبية وقوى التخلف والاستغلال . وأن هذا الصراع اللبناني هو الأساس وهو الأصل . وحسنة الوجود الفلسطيني على أرض لبنان أنه كشفه وعجل به وساعد على انطلاقه !

في ضوء هذا الفهم للوضع اللبناني تتضح خلفية الصدام الدامي الأخير الذي قامت به الكتاب ضد المقاومة . فهي كانت تريد العودة بلبنان نفسه الى الوراء ، الى عهد توازنه التقليدي ، الى طمس تناقضاته ، الى سيطرة قوى التخلف والاقطاع والاستغلال عليه . وهي تظن وتتوهم انه نولا الوجود الفلسطيني لكان لبنان بألف خير وبأحسن وضع ! لذلك فهي تزداد عزلة وأنعزالية ، وتزداد تعصبا وطائفية ، وخوفها يزداد على **لبنان الماضي** . بينما القوى الشعبية الجديدة الوطنية والتقدمية تتطلع الى **لبنان جديد** عربي متحرر ديموقراطي ووطني !

وقد كانت الصدمات المختلفة مع المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقتها على الأرض اللبنانية محاولة من الطبقة الحاكمة على مختلف اتجاهاتها لمنع هذا التفاعل الجديد الذي حدث على الأرض اللبنانية بين « العامل العربي » والتناقض اللبناني الداخلي . في البداية جربت السلطة نفسها هذا الصدام في الجنوب ، عندما طوقت قوات لبنانية مجموعة من الفدائيين في قرية مجدل سلم . وأندلعت على اثرها مظاهرات وطنية عارمة في بيروت وصيدا وطرابلس وغيرها من المدن والقرى اللبنانية نظمتها الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية . وكانت مظاهرة ٢٣ نيسان عام ١٩٦٩ الدامية التي سقط فيها شهداء لبنانيون دفاعا عن حرية المقاومة الفلسطينية . وعلى اثر مظاهرة ٢٣ نيسان الدامية استقالت حكومة رشيد كرامي في عهد الرئيس شارل الحلو ، وفتحت باستقلالها ازمة سياسية طويلة استمرت حوالي سبعة أشهر حتى تم الاتفاق على صيغة لبنانية - فلسطينية ، وهو الاتفاق الذي سمي **باتفاق القاهرة** الذي حدد بالتفصيل العلاقات الفلسطينية - اللبنانية . وكان التوصل الى اتفاق القاهرة قد تم بقوة الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية وبنضالها . . أي انه كان نتيجة عامل لبناني داخلي أكثر منه نتيجة معركة عسكرية . واضطر حزب الكتاب نفسه آنذاك ان يعترف بهذه الحقيقة الواقعية عندما قال :

« . . لقد فضلنا شر الاعتداءات الاسرائيلية على شر **الاقتتال الداخلي** الذي لا يعادله شر آخر . فلبنان لا يؤخذ من الخارج بل من خلال تفضيل ارادته الوطنية ، وقد كانت يومذاك في أسوأ حالها ! أما التواجد الفلسطيني فلم يكن يحتاج الى اتفاق ، لانه كان أمرا واقعا تستحيل ازالته - أيضا - الا بالحرب الاهلية » (٣) .

هذا الاعتراف الواقعي من الكتاب آنذاك عام ١٩٦٩ ، وهذه المفاضلة بين « شر الاعتداءات الاسرائيلية » و« شر الاقتتال الداخلي » لم تستمر طويلا إذ أن الكتاب

أخذت ، خاصة في الفترة الاخيرة ، تثير مسألة اتفاق القاهرة لالغاءه وتفضل « شر الاقتتال الداخلي » على « شر الاعتداءات الاسرائيلية » . وسنرى في سياق هذا البحث أسباب هذا التحول الكتابي .

وكانت التجربة الثانية في الصدام في العاصمة بيروت حين اشتبكت القوات اللبنانية مع الفدائيين في قلب العاصمة . وكانت أحداث ايار الدامية عام ١٩٧٣ قبل حرب تشرين ببضعة اشهر . وقد أكدت هذه الاحداث استحالة تصفية المقاومة عسكريا ، اما النتائج السياسية الداخلية للاحداث فكانت اقوى وأكثر تأثيرا تفاعل أكثر بين الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية وصل الى حد التلاحم السياسي والعسكري .

وكانت النتائج الاقتصادية . . . خسائر كبيرة وانكماش وجمود في النشاط المصرفي وفي السياحة . . . فالاقتصاد اللبناني يتميز بحساسيته الشديدة تجاه أي اضطراب داخلي خاصة وان علاقاته العربية عبر الحدود هي الاساس في نموه وازدهاره . وكان للاجراء الوطني الذي اتخذته سوريا أثناء أحداث ايار بقفل الحدود اللبنانية - السورية ، تأثير كبير في كشف التناقض في الوضع اللبناني الى اقصاه . . فقد فتحت أزمة علاقات لبنان الاقتصادية بالعالم العربي ، وتأكد عمليا استحالة العزلة اللبنانية ، واثكثف التناقض بين التفاعل الاقتصادي اللبناني - العربي والعزلة السياسية . فغبر الحدود السورية - اللبنانية يرتبط لبنان بشبكة مواصلات برية مع « الداخل العربي » في الخليج وشبه الجزيرة ، وعبر هذا الطريق تتم عمليات الترانزيت وشحن البضائع ، بالإضافة الى تصدير متصاعد لانتاج الصناعة اللبنانية . ومن سوريا تأتي ، أيضا ، الأيدي العاملة الرخيصة (يبلغ عددها حوالي ١٢٠ ألف شخص) ، ولولا هذه الأيدي العاملة - كما اعترف خبير اقتصادي لبناني - « لتضخمت نفقات استخدام اليد العاملة تضخما بالغا ، ولما استطاع قطاعا البناء والصناعة ان ينموا بالسرعة التي نموا فيها » (٤) .

تأكد ان لبنان يعيش اقتصاديا بعلاقاته العربية ، وانه من المستحيل ان ينعزل سياسيا ، وانه من المستحيل ، أيضا ، ان يقف في وجه المقاومة الفلسطينية كما حدث في الاردن في ايلول عام ١٩٧٠ . لقد كانت اسرائيل تطلب دائما ان يتصرف لبنان كالاردن . . . وقبل الاحداث الاخيرة بقليل كان شمعون بيرس وزير الدفاع الاسرائيلي يقول : « ان الاردن فهم الرسالة سنة ١٩٧٠ ، ولذلك فعلى لبنان ان يفهم هو الآخر ويستخلص النتائج » .

ولكن لبنان ليس الاردن لاسباب كثيرة . كما ان المقاومة عام ١٩٧٥ هي غير المقاومة

١٩٧٠ .

ولعل من أهم أسباب ان لبنان لا يمكن ان يكون كالاردن هو وضعه الاقتصادي بالذات . فليتان لا يمكن ان يتحمل عزلة عربية كالتي تحملها الاردن بعد مجزرة ايلول ١٩٧٠ . فالاردن يعتمد على « المساعدات الأجنبية » في موازنته أكثر مما يعتمد على علاقاته العربية . ومع ذلك فقد دفع النظام الهاشمي ثمنها سياسيا باهظا بعد ايلول ١٩٧٠ . العزلة العربية انتهت الى قرارات الرباط بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . لقد انتصر النظام الهاشمي عسكريا في ايلول ، ولكنه بعد ذلك هزم سياسيا حين استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ان تحقق انتصارها العربي والعالمي بالاعتراف بها وبالشعب الفلسطيني .

وبعد هذه الانتصارات السياسية والاعتراف العربي والعالمي بمنظمة التحرير

الفلسطينية أصبح التعرض للتواجد الفلسطيني في لبنان مستحيلا سياسيا كما هو مستحيل اقتصاديا ، كما هو أيضا مستحيل عسكريا !

وبعد حرب تشرين تأكد للقوى الحاكمة في لبنان استحالة ذلك ، وأخذت العلاقات اللبنانية — الفلسطينية تستقر وتتخذ أشكالا جديدة جيدة على صعيد السلطة . وكان أبرز تعبير عنها كلمة رئيس الجمهورية اللبنانية في هيئة الأمم المتحدة ، باسم العرب جميعا عن القضية الفلسطينية .

ولكن هذه الاستحالة الواقعية لم تكن مقبولة من حزب الكتائب . فهو كأى حزب يميني وفاشي لا يمكن أن يهضم **التطورات التاريخية** بسرعة . وهو يعاند التاريخ ويقف في وجه تطوره ويعمل لارجاع عقارب الساعة الى الوراء . ومنذ ان استقرت العلاقات الفلسطينية — اللبنانية على صعيد السلطة وحزب الكتائب المشترك في الحكم يثير مسألة الوجود الفلسطيني والغاء اتفاق القاهرة .

الازمة الاجتماعية والصراع الداخلي :

ولكن ما هي الاسباب الحقيقية لموقف الكتائب « الشاذ »؟! هنا يظهر تأثير التناقض الثاني والاساسي في الوضع اللبناني : الازمة الاجتماعية والصراع الداخلي ، فحزب الكتائب بصفته حزبا يمينيا وفاشيا وجد في تطور الصراع الاجتماعي في السنوات الاخيرة وخاصة في العامين الماضيين خطرا عليه وعلى أفكاره وايدولوجيته . وقد بدأت الازمة الاجتماعية تفرز تطورا نوعيا جديدا في الصراع الداخلي في لبنان :

أولا : نمو وازدهار الحركة التقدمية اللبنانية وبروزها سياسيا وقيادة للحركة الوطنية بديلا عن القيادات التقليدية .

ثانيا : تأثر قواعد حزب الكتائب بالازمة الاجتماعية والاقتصادية مما اضطر الحزب الى البحث عن حلول لما سماه هو بنفسه بأزمة الطبقة الوسطى ، معتبرا أن لبنان يعتمد على هذه الطبقة وأن انحدارها وانخفاض مستوى معيشتها كارثة لا يمكن تحملها تهدد لبنان بأخطار مصرية . ولم يستطع حزب الكتائب ان يصل الى أي حل اقتصادي واجتماعي . وكان يرى بعينه هذا الانحدار مما زاد من تعصبه وانعزاليته وفاشيته ، وأخذت قيادته تحول الانظار الى « الخطر الفلسطيني » تعويضا عن الازمة الاجتماعية والاقتصادية .

ثالثا : أزمة سياسية عميقة تتمثل في تقلص دور السياسيين التقليديين وعجزهم عن الوصول الى صيغة حكم وطني شامل له برنامج اقتصادي واجتماعي . حتى البورجوازية اللبنانية بدأت تشكو عجز الحكم وعجز الادارة عن استيعاب تطورات الوضع العربي وتدفق فوائض النفط العربي . بالاضافة الى تفاقم الصراعات الذاتية بين الزعامات التقليدية وعجزها عن التعايش السلمي فيما بينها .

كل ذلك ولد **فراغا سياسيا** أرعب اليمين وأخافه . وقد أدت هذه التطورات النوعية في الوضع الداخلي اللبناني — وهي نتيجة تناقضات لبنانية بالاصل — الى وصول الصراع السياسي والاجتماعي في لبنان الى مرحلة جديدة من التوتر والحدة والعنف أخذت أشكالا وتعابير مختلفة على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية . وقد شهد لبنان في العام الماضي اضرابات عمالية وطلابية عديدة واضطرابات اجتماعية عنيفة . وكانت موجة الغلاء تزيد من تفاقم الازمة الاجتماعية والاقتصادية وتدفع المزيد من القوى الاجتماعية الى الانخراط في الصراع الاجتماعي والسياسي .

وأمام هذا الواقع الجديد كان حزب الكتائب بالذات عاجزا عن رؤية صحيحة

للتطورات الداخلية ، فهو لم يزل في اطار افكاره الجامدة عن لبنان المنعزل ، وعن ان النظام اللبناني أفضل نظام ، وعن الازدهار الذي عم جميع اللبنانيين ، وعن التوازن التقليدي والطائفي ! وعندما بدأ يجد ان كل ذلك أخذ يصاب بالخلل وبالتغير فقد صوابه السياسي ، وحدثت عنده ردود فعل معاكسة لهذه التطورات . (وهذا عادة ما يحدث تاريخيا بالنسبة للحزب والمنظمات اليمينية ، فهي ترتد تجاه الازمة الاجتماعية الى فاشية عنيفة تحاول أن تحسم الصراع الاجتماعي والسياسي بالقوة والعنف والارهاب) .

وعندما عجز حزب الكتائب عن فهم هذه التطورات بدأ يحمل التواجد الفلسطيني مسؤولية ذلك !.. فلولا التواجد الفلسطيني لكان لبنان بأحسن حال !.. لولا التواجد الفلسطيني لما اجتاحت اليسار العالمي بلادنا — كما تقول جريدة « العمل » !.. فقد لبنان توازنه التقليدي . ولا بد من العودة الى هذا التوازن !

هكذا وجد حزب الكتائب الحل !.. وكان التواجد الفلسطيني هو السبب ، وهو العلة او « علة العلل » . وبدأت حملة كتابية مستمرة ضد الوجود الفلسطيني ، كما بدأ الحزب يتسلح بكثافة ويدرب اعضاءه عسكريا في الميليشيا . وكان واضحا من هذه التعبئة ان الحزب يخطط لصدام مقتعل مع المقاومة الفلسطينية .

وكان حادث « عين الرمانة » الدامي ضد الفلسطينيين . واذا كان هذا الحادث قد فشل عسكريا وسياسيا ، الا ان الكتائب ظلت بحكم ردود فعلها المعاكسة على التطورات النوعية في الصراع الداخلي اللبناني ، تزداد تعصبا وانعزالية ، وتعكس ذلك كله ضد الوجود الفلسطيني وحقدا على الفلسطينيين .

هذا هو « الهروب الكتائبي » من الازمة اللبنانية . فهي ترد على الازمة الاقتصادية والاجتماعية باقتتال الصدام المسلح مع المقاومة الفلسطينية .

تنقل احدى المجلات الاقتصادية بعض ما جاء في تقرير رفعه احد المسؤولين في الاجهزة الرسمية اللبنانية الى مسؤول كبير في الدولة (ه) . يقول التقرير: « ان الذين قاموا بنسف معظم المؤسسات التجارية والاقتصادية لا ينتمون الى أية منظمة فدائية او فلسطينية . وان اكثريتهم الساحقة من اللبنانيين الذين يتمتعون بالجنسية اللبنانية ويحملون بطاقات هوية ذات رقم تسلسلي تدل على تعدد انتماءاتهم الطائفية . وقليل من الذين اشتركوا في عمليات النسف غير لبنانيين . وكلهم من الفقراء وذوي الدخل المحدود . وعدد غير قليل منهم ينتمي الى منظمات لبنانية تؤمن بالعنف الثوري وتستهدفها الاساليب المطبقة في حروب التحرير الطبقي وتعتقد اعتقادا جازما بفساد النظام الاقتصادي الذي لا يوفر لها العيش الذي تريده والذي ترى فيه أصلا لكل عللها ومصدرا لشكاويها » .

وتنقل المجلة أيضا اعتقاد بعض الاقتصاديين المنثورين : « في اعتقاد هؤلاء انه لو لم يكن هناك مشكلة فلسطينية ووجود فلسطيني على أرض لبنان ، وكانت العوامل والظروف المتراكمة منذ عهد الاستقلال قائمة ، لكان الصدام حصل . ليس بالضرورة بين الكتائب وقربى آخر ، بل بين فريقين لبنانيين . وما كان الفريقان بحاجة الى التفتيش عن غطاء لصدامهما . ففي لبنان أكثر من غطاء » .

وبغض النظر عن أسلوب التقرير وطريقته ، فان الوقائع المذكورة وهي ان عددا غير قليل من اللبنانيين هم المشتركون في الرد على حادث عين الرمانة تؤكد حقيقة الصراع الداخلي المحتدم في لبنان . وهذا الصراع هو نتيجة حتمية للتناقضات اللبنانية على

الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي . وليست المقاومة الفلسطينية هي المسؤولة بالطبع عن هذه التناقضات ، ولا عن انفجارها ، فانفجارها مرتبط باحتدام الازمة الاجتماعية اللبنانية نفسها ، ولكن الوجود الفلسطيني ساعد على كشف الازمة أكثر والكتائب عندما تبحث عن الحل خارج الاطار اللبناني لا تجد الا الوجود الفلسطيني ، او هي على الاصح تحول الانظار وتحول المعركة من اطارها الاجتماعي اللى صدام مع المقاومة الفلسطينية . وكانت وسائلها وأساليبها وتعبئتها في هذه الحملة طائفية . فهي لا تملك في مواجهة التطورات الداخلية الا العودة الى التوازن الطائفي . ولجأت الى التعصب الطائفي والانعزالي كوسيلة لحماية نفسها من تأثير الازمة الاجتماعية ، وحماية النظام اللبناني من آثار ونتائج الصراع الاجتماعي الداخلي . وهي في موقفها هذا تناقض نفسها بنفسها . فهي من جهة تؤجج التعصب الطائفي ، ومن جهة أخرى تطالب بعودة الزعماء الطائفيين في الطرف المقابل الى مركز الزعامة التي فقدوها بحكم التطورات والى قيادة « الشارع الوطني » الذي فقدوا تأثيرهم عليه ، وسلموه الى « اليسار المخرب » ! . . . وهذا « المنطق الكتائبي » جد واضح ، فالكتائب لا ترى في لبنان الا هذا **الوجه الطائفي** ، وهي تطالب باستمراره في مواجهة التطورات وفي مواجهة ظهور تيارات جديدة في الوسط المسيحي اللبناني نفسه تطرح القضية الاجتماعية وتتفاعل مع القضية الفلسطينية مصيريا . كانت الطائفية سلاح الكتائب في الصدام الاخير مع المقاومة . ولكن هذا السلاح اذا ما نجح مؤقتا ونسبيا ، فانه غير قادر على الاستمرار ، فالتطورات النوعية نفسها التي يتعرض لها الوضع اللبناني ستقرض بالتدرج نهايته الحاسمة . لقد فتحت الكتائب بصدامها مع المقاومة باب الازمة اللبنانية على مصراعيه . وهي تحاول ان تركز الازمة على مسألة واحدة وهي طرح مسألة التواجد الفلسطيني واعادة النظر في اتفاقية القاهرة . ولكن هذه المحاولة مكتوب عليها الفشل ، فالعلاقات اللبنانية — الفلسطينية قد استقرت نهائيا وفق صيغة اتفاق القاهرة . وهذا **الاستقرار** محمي بقوة الحركة الوطنية اللبنانية من ناحية ، وبقوة المقاومة الفلسطينية سياسيا وعسكريا من ناحية ثانية .

ان الحل الوحيد الممكن هو في الاعتراف بحقيقة الازمة وبكونها ازمة اجتماعية لبنانية بالاصل !

وهذا الاعتراف يتزايد أنصاره وقواه من مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية . والحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية تطرح على أساسه برنامجا ديموقراطي والاجتماعي وتناضل من أجل تنفيذه ، مؤكدة قبل كل شيء على حماية التواجد الفلسطيني في لبنان من اي تأمر يتعرض له . وهي تربط نضالها الديموقراطي والوطني بتوطيد العلاقات اللبنانية — الفلسطينية وترسيخها نهائيا ، اذ بذلك وحده يمكن ان يتجنب لبنان شر « الاقتتال الداخلي » وينصرف الى مشاكله وقضاياه الداخلية ليحلها على أساس ديموقراطي !

- ١ - مروان اسكندر : الدور الاقتصادي اللبناني في العالم العربي - النهار ، ١٩٧٥/٥/٧ .
- ٢ - جريدة « العمل » الناطقة بلسان حزب الكتائب ، ٢٠ نيسان ١٩٧٥ .
- ٣ - لبنان والثورة الفلسطينية ، « العمل » ، ٧ ايار ١٩٧٥ .
- ٤ - المصدر الاول .
- ٥ - الاسواق العربية ، العدد الثالث ، ١٢ ايار ١٩٧٥ .

الجدد الفلسطينيين - اللبناني في حرب الاستنزاف الداخلية العربية

الدكتور أسعد عبد الرحمن

وحدثهم ضعاف الذاكرة يعتقدون أن الصدمات الدموية الأخيرة في لبنان في نيسان - ابريل ١٩٧٥ كانت تفاعلات ومضاعفات لحدث عفوي منعزل قام به أفراد من حزب الكتائب « اللبناني ». فهذه الاحداث ما هي الا حلقة في سلسلة حرب الاستنزاف الداخلية العربية الدائرة منذ زمن ليس بالقريب ، واهراقا متعمدا لمزيد من دماء الكيان الفلسطيني الذي ما فتى يكون عرضة للاستنزاف ، من قبل أعداء العرب والعرب الاعداء على حد سواء ، منذ انبعاثه الجديد في العام ١٩٦٤ . وتثبيت هذه الحقيقة لا يتم تحت وطأة « نزعة دونكشوتية » تجعلنا نخلق ونقاتل أعداء وهميين ، كما انه لا يتأتى عن أية احاطة للذات بأي من أجواء « الاحساس المكثف بالمؤامرة » أو أي من صيغ التراجيديا السياسية . فالادلة الثبوتية ستقدم نفسها حالا بعد تسجيل الملاحظات الضرورية التالية :

أولا : من الطبيعي ان تخوض القوى السياسية المتناقضة ايديولوجيا وتنظيما وسياسيا صراعاتها سعيا وراء تغيرات تجبر لمصلحة هذا الفريق أو ذلك . وفي هذا المجال ، تجد قوى عديدة ، في السلطة أو خارجها ، في جميع البلدان العربية ، نفسها في حالة تناقض مع ما يمثلها وأقع العمل الفدائي الفلسطيني فكرا وممارسة . وعليه فان الصراع بين هذه القوى حتمي بغض النظر عن النوايا والعواطف الذاتية .

ثانيا : ان الصراعات في المنطقة العربية ، وبالتالي حرب الاستنزاف الداخلية العربية ، ليست بين ما هو فلسطيني وما هو غير فلسطيني فحسب ، بل هي بين قوى عربية غير فلسطينية أيضا . وهذا لا ينفي ، بطبيعة الحال ، احتمال تلون هذه الصراعات ، الصرف عربية ، باللون الفلسطيني . وبعبارة أخرى ، فان مسألة حياد الطرف الفلسطيني في الصراعات العربية الدائرة حتى ما قبل الانبعاث الفلسطيني الجديد ، مسألة أكاديمية نظرية ، لا مجال لها على أرض الواقع لانها ليست مرهونة بالإرادة الذاتية الفلسطينية وحدها .

ثالثا : هذه الصراعات المتشابكة الخيوط والمتعددة الجوانب لا تتم بمعزل عن صراع الارادات الدولية التي جعلت من الوطن العربي واحدة من أوسع ساحات اقتتالها العنيف وغير العنيف . ويتراوح ترابط القوى والاحداث الاقليمية والدولية بين درجة الالتحام العضوي وبين الدعم المعنوي وكل ما يندرج بينهما من أشكال وأنماط . وعليه ، فانه لا يفوت المراقب الفطن رؤية البصمات غير العربية (الاسرائيلية وغيرها وبخاصة بصمات الدول الكبرى) على مجمل وتفاصيل الصراعات العربية - العربية ، والفلسطينية - العربية ، في المنطقة .

رابعاً : أثبتت الوقائع ، على امتداد العشرين عاماً الاخيرة على الاقل ، ان حدة الصراع العربي - الاسرائيلي وشدة الصراع العربي الداخلي ، متغيران يتناسبان ، دوماً ، تناسباً عكسياً . فكلما ارتفعت درجة غليان احدهما هبطت درجة غليان الآخر . والقرائن كثيرة لا تدع مجالاً للشك : فالتضامن العربي أثناء حرب ١٩٥٦ كان بمثابة نقيض للتمزق العربي الذي ساد طوال الفترة ١٩٤٩ - ١٩٥٦ . ولا يشابه هذا التمزق ويفوقه الا الاقتتال الذي طبع العلاقات العربية في الحقبة ١٩٥٧ - ١٩٦٧ والذي أنهى ، وان لفترة قصيرة جداً ، مع اندلاع نار حرب ١٩٦٧ . ومرة جديدة ، شكلت حرب ١٩٧٣ نقطة تحول نوعي في التضامن العربي مقارنة بالعلاقات العربية الداخلية المتأزمة التي هيمنت على المسرح العربي ما بين الحربين الاخيرتين في ١٩٦٧ و ١٩٧٣ على التوالي . كذلك ، فان بدايات انفراط العقد العربي الذي تشكل قبيل وأثناء وبعد ١٩٧٣ لم تعد خافية على أحد .

خامساً : وان كانت الصراعات المتسمة بالعنف العلني ماثلة للعيان اكثر من غيرها ، فان ذلك لا ينفي وجود أو يعيب حقيقة كون المنطقة مقعبة بالصراعات غير المعلنة ، العنيفة منها وغير العنيفة على حد سواء . وهكذا نرى ان حرب الاستنزاف الدائرة هي أوسع من أن تقتصر على الصدامات الاردنية - الفلسطينية ، واللبنانية - الفلسطينية ، مع ان هذه الصدامات دون غيرها تطفو دوماً على سطح الذاكرة العربية كلما كان هناك حديث عن حرب الاستنزاف الداخلية العربية . ولا غرابة في ذلك ، فالصدامات المخضبة بالاحمر القتاني ثقيلة الحضور ودائمته وبخاصة عند مقارنتهما بالصراعات السياسية البيضاء أو غيرها مما يشبهها .

وملف الصدامات العربية - الفلسطينية الحديثة ، الاردنية - الفلسطينية واللبنانية - الفلسطينية بشكل خاص ، يحمل بين غلافه الكثير من الوقائع التي يمكن رصدها منذ البدايات المبكرة للانبعاث الفلسطيني الجديد المتمثل في منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات العمل الفدائي الفلسطيني . وان كان التناقض مع المنظمة قد احتاج وقتاً لينضج (١) ، فان جذوة التناقض ما بين الانظمة والمنظمات ولدت متأججة متفجرة . والفارق عائد الى ما مثلته منظمات العمل الفدائي ، وفي طليعتها حركة فتح ، وما مثلته منظمة التحرير آنذاك . فالعمل الفدائي بضمونه الفكري الثوري وبأسلوبه الجاهري التنظيمي القتالي ، وجد نفسه ، ومنذ اللحظات الاولى ، في وسط حركة جدل صدامي مع كثير من القوى الرسمية وغير الرسمية العربية وبخاصة في الحلقتين الاضعف (الاردن ولبنان) في طوق دول المواجهة مع اسرائيل . ومن الجدير بالذكر في هذا المجال ان العمل الفدائي الفلسطيني ، وبالذات منظمة العاصفة - الجناح العسكري لفتح ، تعرض لنوعين رئيسيين من الاجراءات الرسمية العربية : التعقيم الاعلامي والقمع المادي (٢) .

الا ان الظروف الاستثنائية الناجمة عن الهزيمة العسكرية الفادحة لدول المواجهة في العام ١٩٦٧ أدت الى تعزيز فكرة العمل العربي الشعبي المسلح بشكل عام والى تدعيم العمل الفدائي الفلسطيني بشكل خاص . وكانت النتيجة ان نما العمل الفدائي على مختلف المستويات التنظيمية والجاهرية ، السياسية والعسكرية ، وتحولت منظماته الى قوة بارزة ضمن شبكة القوى الفاعلة في الشرق الاوسط . وهكذا أصبح « الوجود الفلسطيني » منذ العام ١٩٦٨ في الاردن ، والعام ١٩٦٩ في لبنان ، حقيقة واقعة . وكان لذلك نتائج خطيرة :

فمن جهة ، عنى نمو العمل الفدائي السياسي والاعلامي والقتالي ازدياداً في عملياته

العسكرية في اعماق المناطق المحتلة وعلى طول خطوط وقف اطلاق النار وفي الخارج . وما كانت اسرائيل ، وغيرها من القوى الامبريالية ، لتصمت ازاء هذا التطور . فقامت اسرائيل — الذراع الضارب للصهيونية والامبريالية العالمية المتناقضة بشكل حاسم مع العمل الفدائي — بتوجيه ضربات ضد الوجود الفدائي في الدول العربية وضد الدول التي تشجع ذلك الوجود أو لا تعمل على تصفيته .

ومن جهة ثانية ، أدت الضغوط الاسرائيلية هذه ، وغيرها من الضغوط الدولية ، الى زيادة حدة التناقض ما بين « الوجود » الفدائي وأنصاره في الداخل والخارج و« وجود » السلطات الرسمية في كل من الاردن ولبنان وأنصارهما .

ومن جهة ثالثة ، زادت صدامات الفدائيين مع السلطات الرسميتين في الاردن ولبنان تأجج التناقض ما بين العمل الفدائي الفلسطيني ، كقوة سياسية ذات ابعاد فكرية وتنظيمية وعسكرية ، وحلفائه الرسميين وغير الرسميين ، المحليين والدوليين ، وبين القوى السياسية التي تستند اليها السلطان الاردنية واللبنانية ، محليا ودوليا .

وإذا ما انتقلنا من العام الى الخاص ، وجدنا ان المعارك الاخيرة في لبنان في نيسان — ابريل ١٩٧٥ تنتظم ضمن السياق العام لحرب الاستنزاف العربية الداخلية بشكل عام وحرب الاستنزاف « اللبنانية » الموجهة ضد العمل الفدائي الفلسطيني على نحو اكثر تحديدا . ولاعتبارات تتعلق بطبيعة الموضوع وبكثرة توفر المراجع عن الصدامات الفلسطينية — الاردنية في مراحلها المختلفة (٢) ، نعرض فيما يلي لاهم معارك حرب الاستنزاف « اللبنانية » المشار اليها اعلاه .

نبت « الوجود الفدائي » في لبنان في تربة الظرف الاستثنائي الخاص الذي طبع الشرق العربي اثر هزيمة الخامس من حزيران — يونيو ١٩٦٧ . وكان تنامي قسوة فصائل العمل الفدائي الفلسطيني على الساحة الاردنية بشكل خاص ، وما رافقه من دعم رسمي وشعبي سوري وعربي ، بالاضافة الى التفاف اكثر من نصف شعب ومنظمات المجتمع اللبناني حول الفدائيين الفلسطينيين ، كان بمثابة السماد الذي أخصب تلك التربة وجعلها أكثر مواتاة للنبت الفلسطيني الجديد . ومع مطلع العام ١٩٦٩ نجح « الوجود الفدائي » في تثبيت اقدامه على الارض اللبنانية .

تمركز الفدائيون الفلسطينيون في بقعتين رئيسيتين : (١) خطوط وقف اطلاق النار مع اسرائيل في الجنوب و (٢) مخيمات النازحين على امتداد الاراضي اللبنانية . ومنذ البداية اعتمدت منظمات العمل الفدائي في تعزيز وجماعة وجودها على مجموعة قوى في طبيعتها : جماهير الشعب الفلسطيني المعبأة والمسلحة سواء داخل لبنان او خارجه ، الجماهير العربية المتعاطفة في الخارج ، الحركة الوطنية اللبنانية وجماهيرها ، وأخيرا وليس آخرا ما توفر من دعم رسمي عربي بشكل عام وسوري بشكل خاص . ومن جهة ثانية ، انتصبت امام العمل الفدائي الفلسطيني قوى معادية كان في مقدمتها جناح اساسي من السلطة اللبنانية ومؤسساتها الرسمية ، المنظمات اليمينية والاقليمية وأنصارها في لبنان وخارجه ، بالاضافة الى الضغوط العسكرية الاسرائيلية والضغوط الدولية المضادة للعمل الفدائي . وقد نجحت هذه الاخيرة بأكثر من وسيلة ، في استعداء القوى المحلية المناهضة للعمل الفدائي مما أدى الى سلسلة من الصدامات كان اولها في ابريل — نيسان ١٩٦٩ .

تميزت أحداث نيسان هذه بكونها جاءت نتيجة لمبادرة قامت بها السلطة بهدف تقييد حركة الوجود العسكري الفلسطيني في جنوب لبنان . الا أن الحركة الوطنية اللبنانية القت الكرة في حوض السلطة اذ دعت الشعب اللبناني الى التظاهر تأييدا للعمل

الفدائي الفلسطيني . وعندما اصطدمت قوى السلطة مع جماهير النازحين في « مخيم عين الجلولة » قرب صيدا يوم ٢٢/٤/١٩٦٩ ، انقسمت السلطان التنفيذي والنشورية على نفسيهما في اعقاب استقالة رئيس الوزراء (التي اجل البت فيها طوال الـ ٢١٥ يوما التاليه) . وطوال هذه المدة ، وعلى الرغم من الوساطات الداخلية والخارجية المتعددة التي تكثفت مع الصدمات المسلحة التي وقعت في الاسبوع الاول من ايار - مايو ، لم يتوصل الطرفان الى اي اتفاق . وقد اقتضى الوصول الى اتفاق ، ازمه رئيسية ثانية ، جاءت في تشرين الاول - اكتوبر من العام ذاته (٤) .

ولم تكن هذه الازمة الجديدة مفاجأة لاحد . فعدم الوصول الى أي اتفاق لحسم (أزمه نيسان) أدى الى ارتفاع متزايد في الخط البياني لسنوت وعدم الثقة بين الطرفين : الفلسطيني وحلفائه اللبنانيين والعرب ، والسلطة وحلفائها المحليين وفي الخارج . ونتيجة لذلك ، حفلت الأشهر الفاصلة ما بين نيسان - ابريل ١٩٦٩ وتشرين الاول - اكتوبر ١٩٦٩ بالمناوشات . ومع بداية الثلث الاخير من شهر اكتوبر ، تحولت المناوشات الى صدمات مسلحة وبخاصة في قرية « مجدل سلم » في جنوبي لبنان وعلى امتداد الحدود - اللبنانية - السورية ، ومخيمات النازحين التي تم « تحريزها » من سلطات الامن اللبنانية في طول لبنان وعرضه . وقد أدى انحياز قطاع رئيسي من الشارع اللبناني الى جانب العمل الفدائي ، بكل ما رافق ذلك من أعمال عنف ضد السلطات العسكرية وشبه العسكرية اللبنانية ، الى تأزيم الموقف أكثر فأكثر مما دفع السلطة الى اعلان حالة منع التجول في جميع المدن الرئيسية يوم ٢٤/١٠/١٩٦٩ . وعندما لم يؤد ذلك الى وقف القتال ، وفي ظل ضغط عربي رسمي وشعبي متزايد على السلطات اللبنانية ، طلب لبنان ، بشخص القائد العام للجيش اللبناني الذي وصل الى القاهرة يوم ٢٨/١٠/١٩٦٩ ، وساطة مصر . ومع اطلالة يوم ٣/١١/١٩٦٩ ، توصل المتفاوضون المصريون واللبنانيون والفلسطينيون الى « اتفاقية القاهرة » السرية الشهيرة التي شكلت نقطة تحول بارزة في تاريخ العلاقات الفلسطينية - اللبنانية اذ نجحت في لجم قوى التناقض الدموي بين الطرفين طوال أكثر من ثلاث سنوات (٥) .

ومن أهم العوامل التي أسهمت في اطالة مدة تلك « الهدنة » :

(١) شدة وقع الازمتين السابقتين جعلت الاطراف المعنية ، وبالذات اللبنانية ، أكثر من حريصة على عدم تكرار الصدام وعلى الاقل لفترة غير قصيرة تلتقط فيها الأنفاس .

(٢) نمو الوجود الفدائي ، بجوانبه الجماهيرية والتنظيمية والسياسية والعسكرية ، وبالذات في لبنان ، أدى الى ازدياد هيبة ذلك العمل بحيث أصبحت تلك الهيبة رادعا لكل من زاودته فكرة الصدام معه .

(٣) حسن نية السلطات اللبنانية آنذاك التي تجلت في استسلام كمال جنبلاط ، الزعيم اللبناني المؤيد للعمل الفدائي ، منصب وزير الداخلية .

(٤) تغير في السلطة السياسية اللبنانية بمجيء عهد جديد في ايلول - سبتمبر ١٩٧٠ . وقد احتاجت السلطة الجديدة وقتا لبلورة موقفها من العمل الفدائي .

(٥) الظروف القاسية التي مرت بها العلاقات الاردنية - الفلسطينية والتي أدت الى اربع صدمات مسلحة رئيسية بين الطرفين : في شباط - فبراير ١٩٧٠ ، حزيران - يونيو ١٩٧٠ ، ايلول - سبتمبر ١٩٧٠ ، وأخيراً في تموز - يوليو ١٩٧١ .

الا أن محصلة هذه الصدمات الاربعة التي تمثلت في « اخراج » العمل الفدائي من الاردن « ليدخل » الى لبنان مع النصف الثاني من العام (١٩٧١) ، أدت الى توتر علاقات حركة المقاومة الفلسطينية وانصارها من جهة والقوى الرسمية و « الشعبية » المعارضة لوجود وتنامي نفوذ تلك الحركة من جهة ثانية(٦) . ومما ساعد على افساح المجال امام ذلك التوتر التغير الذي طرأ على قمة السلطة السياسية اللبنانية منذ ايلول - سبتمبر ١٩٧٠ وما ادى اليه ذلك من فقدان مؤثرت لعلاقات خاصة نمت بين مسؤولي الطرفين في المرحلة السابقة . هذا بالاضافة الى انتقال « بقايا » الصراع الاردني - الفلسطيني الى الساحة اللبنانية طوال الثلث الاخير من العام ١٩٧١(٧) ، و اخيرا تصعيد اسرائيل لضغوطها الدبلوماسية والسياسية والعسكرية على لبنان أملا في أن يقوم بمهمة « الدركي » العامل لمصلحة الدولة الصهيونية .

في ظل هذه الاجواء ، حكمت العلاقات اللبنانية - الفلسطينية معادلة « شد الحبل » وبأسلوب سلمي تمثل في استخدام كل طرف لمختلف الوسائل غير الدموية (دبلوماسية ، ضغوط سياسية محلية واقليمية ... الخ) المتوافرة لديه :

* ففي كانون الثاني - يناير ١٩٧٢ ، ونتيجة للهجمات الاسرائيلية المتصاعدة ، وافقت قيادة المقاومة الفلسطينية ، تحت ضغوط سياسية عربية ، على « التخفيف » من نشاطها ومنع « اسرائيل من استئصال نشاط الفدائيين مبررا لتحقيق اطماعها في جنوب لبنان »(٨) . وهكذا نجحت السلطات اللبنانية في « جر الحبل » الى جانبها .

* وبعد اقل من شهر ، قام الجيش الاسرائيلي بهجوم كبير احتل نتيجة له ، طوال أربعة ايام ، معظم المناطق المحاذية للحدود بعد أن انسحب الفدائيون منها . وما كادت القوات الاسرائيلية تتراجع عن تلك الاراضي حتى دخل الجيش اللبناني اليها قاطعما الطريق على عودة الفدائيين(٩) . وعندما حاولت السلطات اللبنانية « شد الحبل » الى جانبها تحت تأثير « تحسن مواقعها التفاوضية » ازاء الفدائيين ، تحرك الشارع اللبناني المؤيد للمقاومة الفلسطينية قاطعا الطريق على السلطة اللبنانية ومزودا الفدائيين بزخم جديد . هكذا نجحت المقاومة ، التي اقامت صلات تفاهم حتى مع قوى « الحلف » (شمعون - الجميل - اده) ، في احباط مخطط السلطة وشد الحبل - هذه المرة - الى جانبها(١٠) .

* ومرة ثالثة ، قامت اسرائيل بهجوم كبير في ١٦/٩/١٩٧٢ اصطدمت اثناءه بمقاومة عنيفة من قبل الجيش اللبناني الذي حارب ببسالة . وقد حاول المسؤولون اللبنانيون بعد ذلك الضغط على الفدائيين والحد من حركتهم العلنية ونشاطهم عبر الحدود . وهكذا اشتد التوتر بين الفريقين الى درجة خشي معها الكثيرون ، في الخارج والداخل ، من اندلاع نار الاغتتال بين الطرفين . وتحت وطأة الضغوط العربية ، الرسمية وغير الرسمية ، تم تفادي الانفجار في ظل موافقة « الجميع » على تجميد العمل الفدائي من الجنوب واخلاء مدنه وقراه من الفدائيين . وهكذا نجحت السلطات اللبنانية في شد الحبل لصالحها هذه المرة(١١) .

الا أن التوازن في « لعبة شد الحبل » الخطرة هذه كان لا بد من أن يختل تحت وطأة ظروف جديدة . وقد جاءت هذه الظروف في نيسان - ابريل و ايار - مايو ١٩٧٣ . فقد اشتد التوتر وتصاعدت المناوشات في أعقاب « غارة فردان » التي شنتها قوات الكوماندوس الاسرائيلية على بيروت وقتلت ، ضمن من قتلته ، ثلاثة من القادة الفدائيين (الشهداء محمد يوسف النجار ، كمال ناصر ، وكمال العدوان) . وقد أعقب

ذلك مظاهرات واضرابات أدت الى سقوط الوزارة اللبنانية وتشكيل وزارة جديدة لم تنجح ، مع ذلك ، في وقف الترددي في العلاقات بين السلطة ومنظمات المقاومة وانصارها من اللبنانيين . وهكذا انفجر الصراع مع الايام الاولى من شهر ايار - مايو ، واستمر القتال طوال اكثر من اسبوع نجحت بعده وساطات عديدة ، لبنانية وعربية ، في التوصل الى اتفاق على وقف اطلاق النار وعلى علاقات جديدة (١٢) .



ومما لا شك فيه ان الازمة الاخيرة هذه تستوجب وقفة تأمل وتحليل . ولا حاجة بنا الى سرد تفاصيل الوقائع - فالدماء لم تجف بعد والجروح لم تلتئم والمرارة لا تزال في الحلق وشريط أدق تفاصيل الاحداث ما برح يمر تباعا وتكرارا امام الاعين . واذا ما ركزنا على النتائج والخلاصات نلاحظ ان الخاصية البارزة في هذه الازمة تتلخص في كونها جاءت بالاساس مختلفة عن كل ما سبقها من ازيمات :

(١) ففي التصادمات السابقة ، كانت المؤسسات الرسمية اللبنانية بمثابة السيف والترس . وسواء كانت هذه المؤسسات هي اصل المبادرة في تحرك الجزء الاساسي من السلطة اللبنانية ام لا ، فان الحقيقة تبقى واضحة : الصراع المباشر كان بين معظم أجهزة السلطة الرسمية وبين العمل الفدائي وانصاره وقواه في الداخل والخارج . وفي حينه ، نجح العمل الفدائي في ابقاء القوى اللبنانية المؤيدة والمتعاطفة مع السلطة المتصدية لذلك العمل ، والمقصود هنا قوى « الحلف الثلاثي » (شمعون - الجميل - اده) ، خارج حلبة القتال . أما في أزمة نيسان - ابريل ١٩٧٥ ، فقد نجح العمل الفدائي والسلطة في الابقاء على الاخيرة خارج دائرة الاقتتال بل وتحويلها الى وسيط يعمل على تهدئة الأوضاع . اما السيف والترس فانتصر - في العلن على الاقل - على « حزب الكتائب » الذي يتزعمه بيار الجميل ، دون باقي شركائه في « الحلف » .

(٢) وفي الصدامات السابقة ، انقسمت السلطة الرسمية على نفسها على أكثر من مستوى ، في حين بقيت ، هذه المرة ، متماسكة موحدة الموقف . وهكذا لم يشهد لبنان - في أزمة نيسان (ابريل) ١٩٧٥ - استقالة الحكومة القائمة .

(٣) وفي الازيمات السابقة ، وربما بسبب التغيرين النوعيين المشار اليهما اعلاه ، كانت مواقف معظم الدول العربية الاخرى مواقف ضاغطة على السلطة اللبنانية . أما هذه المرة فكانت داعمة للوقففة الرسمية اللبنانية ومشجعة لها .

ومع ذلك فقد كانت أزمة ١٩٧٥ شبيهة بها سبقها على أكثر من صعيد : فالعمل الفدائي - كما في الازيمات السابقة - لم يكن مبادرا في اشعال نار القتال . وكما في صدامات ١٩٦٩ و ١٩٧٣ ، جاءت المبادرة على أيدي قوى لبنانية وليس بمبادرة فلسطينية . ولا غرابة في ذلك ، إذ أنه لم يكن من مصلحة العمل الفدائي - طالما أنه حقق أقصى ما يمكن تحقيقه من وجود ضمن « الوضع اللبناني الخاص » - أن يتبدى في معركة قد تحقق له ما لا يريده من انتجازات لا يحتلها الوضع اللبناني ، او قد تؤدي الى ما لا يرغب فيه من اخفافات قد تضعف من وجوده المتوازن والدقيق .

* باستثناء المبادرات التي تهاجم بها الجماهير الفلسطينية وفصائل ثورتها « بتحرير المخيمات » في آب وايلول من العام ١٩٦٩ .

كذلك ، وقفت الحركة الوطنية اللبنانية ممثلة في « هيئة الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية اللبنانية » ، موقفا مؤيدا وداعما للعمل الفدائي الفلسطيني .

ومن ناحية ثالثة ، جاء توقيت تفجير هذه الازمة في شهر نيسان — ابريل متمشيا مع مصلحة « الصناعة السياحية » في لبنان . فالصدمات مع العمل الفدائي لها موسمها : فهي اما ان تكون قبل بدء فصل الصيف ، وتحديدًا في شهري نيسان وآيار ، أو بعد انتهاء فصل الصيف ، في تشرين الاول — اكتوبر مثلاً . ومع ذلك ، ليس صحيحاً تماماً القول بأن « الكتائب » وافقت على وقف تصعيد الاقتتال في الازمة الاخيرة لان الموسم السياحي اصبح على الابواب ، فالاصح هو أن « الكتائب » — بعد أن مني مخططها الاصلي في جر الجيش اللبناني والسلطة اللبنانية الى التدخل بالفشل ، وبعد أن ازداد الضغط الداخلي والخارجي عليها — لم يعد بمقدورها الاستمرار فيما كانت قد بدأت به .

وأخيراً وليس آخراً ، فإن الهدف المتوخى من هذه المعارك — المتمتظه ضمن السياق العام لحرب « الاستنزاف اللبنانية » ضد العمل الفدائي — لا يختلف عما استهدفته المعارك السابقة ، وتحديدًا : قطع رأس العمل الفدائي أو استنزاف حيويته ومنزله العسكرية والسياسية . ولأن اغتيال العمل الفدائي — لاعتبارات ذاتية وعربية ودولية راهنة — غير ممكن أو مرغوب فيه حالياً ، فإن الهدف الادق لمثل هذه المعارك يغدو : استنزاف القدرات العسكرية والسياسية للمقاومة الفلسطينية . وبمثل هذا الاستنزاف تحصل اسرائيل ، عملياً ، على وقف اطلاق النار في الجبهة الوحيدة التي لا يزال فيها القتال دائراً . إذ أن معارك داخلية كهذه ستمتص طاقات العمل الفدائي في نشاطات دفاعية تمنع تصاعد عملياته في المناطق المحتلة وعلى خطوط وقف اطلاق النار وفي الخارج ، كما تمنع وصول تأثيراته الثورية الى أبعد من حدود لبنان بهدف تقزيم العمل الفدائي .

السنوي ... لعام ١٩٦٦ ، ص ١١٢ — ١١٣ ،
١٨١ و الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام
١٩٦٧ ، ص ١٢٥ — ١٢٦ . كذلك الوثائق
الفلسطينية لعام ١٩٦٥ ، ص ٢٥٢ ، ٤٦٧
٤٨٢ . كما تجد التسلسل اليومي لاجبار هذه
الاجراءات في سلسلة اليوميات الفلسطينية
الصادرة عن مركز الابحاث في م.ت.ف.

٣ — انظر كتاب د. نبيل شعث وآخرون ،
المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني (بيروت ،
مركز الابحاث ، ١٩٧١) . كذلك ، الكتاب
السنوي ... لعام ١٩٦٨ ، ص ٨٥ — ٨٨ ،
٩٥ — ٩٧ ، ١١٥ — ١١٧ ، ١٢٦ — ١٤١ ،
واليوميات الفلسطينية (بيروت : مركز الابحاث ،
المجلد الحادي عشر ، ١٩٧١) ص ١٠٧ — ١٤٨
وكذلك ... ٥٤٧ . انفسا اليوميات
الفلسطينية ، المجلد الثاني عشر ، ص ٢٥٢ —
٤١٨ . بشكل متقطع يتتابع ، و اخيراً اليوميات
الفلسطينية ، المجلد الرابع عشر ، ص ١٧ —

١ — حول الازمة ما بين منظمة التحرير الفلسطينية
والحكومة الاردنية ، انظر : الكتاب السنوي
للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥ (بيروت :
مؤسسة الدراسات ، ١٩٦٧) ، ص ٧٥ —
٨٢ ، ١٦٥ — ١٦٨ ، و الكتاب السنوي ...
لعام ١٩٦٦ ، ص ١٢٩ — ١٣٥ ، ١٢٨ — ١٤١ ،
١٤٦ ، ١٤٨ — ١٥٤ و الكتاب السنوي ...
لعام ١٩٦٧ ، ص ٩٧ — ١٠٤ و ١٥٧ — ١٦٠ .
كذلك ، الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥ (بيروت :
مؤسسة الدراسات ١٩٦٥) ، ص ٥٤٢ و ص
٥٩٦ بالاضافة الى الوثائق الفلسطينية لعام
١٩٦٦ ، ص ٤٥ ، ٨٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ .
كما تجد التسلسل اليومي لاجبار هذه الازمات
في سلسلة اليوميات الفلسطينية الصادرة عن
مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

٢ — من اجل تفاصيل وافية عن هذه الاجراءات ،
انظر : الكتاب السنوي ... لعام ١٩٦٥ ،
ص (١١) ، ١١٥ ، ١١٩ — ١٢٠ و الكتاب

- ١٠ - حول هذه التطورات راجع الصحف اللبنانية التالية في الصفحات المحددة : **النهار** ، ٢/٢٩ / ١٩٧٢ ، ١٩٧٢/٣/٢ ، ١٩٧٢/٣/٣ ، ١٩٧٢/٣/٥ - ٦ - ١٩٧٢/٣/٧ ، **والانوار** ، ١٩٧٢/٣/٣ ، **والمحرر** ١٩٧٢/٣/٤ . ايضا انظر ، بلال الحسن ، « المقاومة فلسطينيا » ، شؤون فلسطينية (عدد ٨ ، نيسان ، ابريل ١٩٧٢) ص ٢٢١ - ٢٢٤ . ايضا « *Financial Times* » بتاريخ ١٩٧٢/٣/٦ .
- ١١ - للاطلاع على محاولة المسؤولين اللبنانيين الحد من نشاط حركة الفدائيين انظر مجلة الهدف اللبنانية بتاريخ ١٩٧٢/٩/٢٣ ، كذلك مقالة بلال الحسن « المقاومة فلسطينيا » ، (شؤون فلسطينية) عدد ١٥ نوفمبر - تشرين الثاني ١٩٧٢) ، ص ٢١٧ - ٢١٩ ، كذلك انظر الملف رقم ٢١٠ المشار اليه اعلاه وراجع تصاصات الصحف العربية والاجنبية في الفترة ما بين ١٨ الى ١٩٧٢/٩/٢١ وكذلك المجلد رقم ٢٤ من الملف ٢١٠ السابق الذكر .
- ١٢ - جميع التفاصيل الخاصة بالتوترات الفلسطينية - اللبنانية في نيسان و ايار ١٩٧٣ ، مثبتة في الدراسة الوثائقية الوقائعية التي اعدها عصام الصالح ونشرها في شؤون فلسطينية (عدد ٢٢ حزيران يونيو ١٩٧٣) ، ص ٢٤٩ - ٢٧٦ . كذلك انظر ، المجلد الخاص بالشهرين الرابع والخامس من العام ١٩٧٢ كما وردت في الملف ٢١٠ المشار اليه اعلاه .

- ١١٦ بشكل متقطع متتابع .
- ٤ - حول أزمة نيسان - ابريل ١٩٦٩ ، راجع : **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد التاسع ، ص ١٧٣ - ١٧٥ ، ١٨٧ - ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ - ٢٦٦ . كذلك **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٩** ، ص ٥٩ ، ١٨٤ - ١٨٧ ، ١٨٩ و **الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٩** ، ص ١٧٣ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٢٤ - ٢٢٧ .
- ٥ - حول أزمة اكتوبر ١٩٦٩ ، انظر **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٩** ، ص ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ - ١٩٦ . ايضا **الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٩** ، ٤٣٣ - ٤٤٠ ، ٤٥٦ - ٤٥٧ ، ٤٧١ . ايضا **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد التاسع ، ص ٣٢٤ - ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٤٣٣ ، ٤٥٦ - ٤٥٧ ، ٤٧١ .
- ٦ - انظر ، بلال الحسن ، « المقاومة فلسطينيا » ، **شؤون فلسطينية** (بيروت ، عدد ٧ ، آذار - مارس ١٩٧٢) ، ص ٢٢٢ .
- ٧ - انظر ، الملف رقم ٢١٠ حول « لبنان والقضية الفلسطينية » المحفوظ في ارشيف مركز الابحاث في بيروت وبالذات تصاصات الصحف العربية والاجنبية الصادرة في ١٢/٨/١٩٧١ و ٢٤/٨/١٩٧١ و ٢٧/٨/١٩٧١ .
- ٨ - انظر ، الحسن ، « المقاومة فلسطينيا » ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣٤ .
- ٩ - انظر ، **المصدر ذاته** ، ايضا ، « *International Herald Tribune* » عدد ١٩٧٢/٢/٢٩ .

كمبوديا وفيتنام : انتصاران عظيمان

منير شفيق

في ١٧ نيسان (ابريل) من عام ١٩٧٥ ، رفرفت اعلام الثورة الكمبودية فوق فنوم بنه عاصمة كمبوديا . وفي ٣٠ نيسان (ابريل) من عام ١٩٧٥ ، خفقت رايات الثورة الفيتنامية في جنوبي فيتنام فوق العاصمة سايغون مدينة هو شي منه . لقد سجل هذان التاريخان انتصارين كاملين لبلدين آسيويين صغيرين على الدولة الكبرى الولايات المتحدة الامريكية وعمالها خونة كمبوديا وجنوبي فيتنام . ومن هنا يتعدى مغزى هذين الانتصارين العظيمين حدود الهند الصينية ليمتد الى العالم أجمع ، حيث سيشجع النضالات الثورية للامم المظلومة ، والشعوب المضطهدة . الامر الذي يجعل من المحتوم انهيار النظام الامبريالي العالمي وصولا الى القبر .

عندما يرجع المرء بذاكرته الى الستينات ومطلع السبعينات من هذا القرن ، ويستعيد التصريحات الرسمية الامريكية التي كانت ترغي وتزبد ضد شعبي فيتنام وكمبوديا ، ويستحضر في مخيلته غطرسة عسكري البنتاغون على هدير طائرات (ب ٥٢) ، لا بد له من أن يتذكر كيف حاولت الامبريالية الامريكية أن تظهر وكأنها قوة لا تقهر . اما من الناحية الاخرى ، فلامر من ان يتذكر ايضا تلك الموضوعات التي كانت تروج الى عقم الكفاح المسلح يخوضه شعب صغير متخلف في مواجهة جيروت الآلة العسكرية الامريكية وتقنياتها . وكذلك لا مندوحة من تذكر تلك الموضوعات نفسها حين حاولت الالتفاف على مغزى اتفاقية باريس عام ١٩٧٣ ، وراحت تستخلص منها « الدروس » التي تقول أن لا سبيل الى تحقيق نصر حاسم على الامبريالية ، فالنهاية المحتومة « مساومة عند منتصف الطريق » . ولكن أين ذهبت ، الآن ، غطرسة الامبريالية الامريكية ، وأين ذهب وعيدها وتهديدها ؟ وأين ذهبت الموضوعات التي روجت لعقم الكفاح المسلح ، واستحالة بلوغ نصر حاسم على الآلة العسكرية الامريكية وتقنياتها ؟ أين ذهب كل ذلك أمام المشاهد التي شهدتها يوما ١٧ نيسان في فنوم بنه ، و ٣٠ نيسان في سايغون مدينة هو شي منه ، حيث ولى الادبار أعداء الشعب وجنرالات البنتاغون ، وأخذت تلتقطهم الهليكوبترات من على الاسطحة . ان هذه الدولة الكبرى لم تحسن حتى التراجع بصفوف منتظمة ، وخطوات ثابتة . لقد تراجعت وبسط الهزيمة العسكرية والخوف والفوضى والاضطراب . لقد استطاع شعبان صغيران ، كل على انفراد ، انزال الهزيمة بالدولة الكبرى — الامبريالية الامريكية .

من هنا نستطيع أن ندرك المغزى العالمي لانتصاري شعبي كمبوديا وفيتنام بالنسبة لشعوب العالم . لقد جاء كدليلين اضافيين على أن الامبرياليين يبالغون بقوتهم ، ويستصغرون قوة الشعوب . في حين اثبتت الحقائق أن صاحب القوة الحقيقية هو الشعوب لا الامبرياليون وعمالهم .

كان هو شي منه عام ١٩٦٤ متأكدا من هزيمة الامبريالية الامريكية ، ومن المغزى العالمي لتلك الهزيمة فقد كتب يقول : « ان الوضع الحالي في فيتنام الجنوبية يظهر

بوضوح ان الامبرياليين الامريكيين لا يستطيعون تجنب الهزيمة في ((حربهم الخاصة)) ،
 واذا ما فشلوا مرة واحدة في ((الحرب الخاصة)) التي يجربونها في فييتنام الجنوبية ،
 فسوف يفشلون ايضا في كل مكان آخر . ذلكم هو المغزى العالمي للنضال البطولي الذي
 يخوضه مواطنونا في الجنوب ، بالنسبة للنضال الوطني التحرري في العالم)) .
 (« مختارات جديدة - ١٩٥٢ - ١٩٦٧ » ، هو شي منه ، دار الطليعة ، ص ٦٧) .

على ان هذا الانتصار التاريخي الذي احرزه شعبا فييتنام وكمبوديا لا يكفي ان يكون
 مشجعا لنضالات الامم المظلومة ، والشعوب المضطهدة ، ومنها شعبنا العربي
 الفلسطيني فحسب ، وانما ايضا ، يجب ان تستخلص الدروس من هاتين التجربتين
 الرائدتين . لكي يدعم ذلك التشجيع باستيعاب القوانين العامة التي اتاحت لهاتين
 الثورتين تحقيق الانتصار الحاسم بعد نضال طويل الامد امتد لعشرات السنين .
 ان استخلاص الدروس الصحيحة من هاتين الثورتين لا بد له من ان يساعد ثورتنا
 الفلسطينية ، وحركة التحرر القومي العربي ، على الافادة من تلك الدروس التي
 سنجدها تدعم ، وتغني ، الدروس التي تعلمنا اياها تجاربنا العربية . ولهذا فان
 الهدف من محاولة تحديد اعم القوانين التي حكمت تجربتي فييتنام وكمبوديا لا يرمي الى
 النقل المتدل ، او الى الانقاص من تجاربنا الثورية العظيمة في النضال ضد الكيان
 الصهيوني والامبريالية الامريكية وعملائها . بل على العكس ، ان الهدف من وراء ذلك
 هو النقاط الجوهر في تلك التجارب الامر الذي يجعلنا نستوعب ونهضم ولا يجعلنا ننقل
 ونقلد . وهنا يجب ان تفضح تلك المحاولات التي تقرظ ثورتي فييتنام وكمبوديا تقريظ
 نفاق لكي تتال من ثورتنا الفلسطينية وثورتنا العربية ، وتتحرف بهما الى مقاهات
 التعميمات المجترأة غير الصحيحة . ان من يتناول تجربتي فييتنام وكمبوديا ونيته مدغولة
 بالنسبة للثورة الفلسطينية والعروبة لن يكون امينا في فهم تجربتي الثورتين اللتين
 حققتا الانتصار الحاسم . لان من لا يكون عظيم الولاء لثورته وشعبه وامته ووطنه ،
 ولتجارب جماهيره ، لا بد له من ان يكون منافقا في تقريظ تجارب الشعوب الاخرى ،
 فضلا عن انه سيكون دارسا رديئا لتلك التجارب الملهمة .

قبل استخلاص الدروس من فييتنام وكمبوديا ، يستحسن نقل لمحة تاريخية عن تطور
 النضال في كل من البلدين .

اولا : فييتنام

لقد رزحت فييتنام اكثر من ثمانين عاما تحت الاستعمار الفرنسي . واحتلتها الاستعمار
 الياباني خمس سنوات تقريبا . وكان الشعب خلال تلك السنوات يعاني كل الوان
 الاضطهاد ، واشنع أشكال الاستغلال . ولكنه راح يناضل دون هوادة ، ولا تلين له
 قناة رغم عدد من الانتفاضات التي قمعت بقسوة ، ومنيت بالفشل . وكان آخرها فشل
 سوفيت « نيه آن » في مطلع الثلاثينات التي تعلم منها حزب هو شي منه الكثير من
 الدروس ، وهو الذي تأسس في الثالث من شباط (فبراير) ١٩٣٠ . وقد قسم هو شي
 منه ، في التقرير السياسي الذي القاه في المؤتمر الوطني الثاني لحزب العمال الفيتنامي
 - شباط ١٩٥١ - الفترة الممتدة من ١٩٣١ الى ١٩٤٥ ، الى ثلاث مراحل :

(١) **مرحلة ١٩٣١ - ١٩٣٥** : وقد تميزت بهجوم مسعور من قبل الاستعماريين
 الفرنسيين لسحق الاحزاب والمنظمات الجماهيرية . الامر الذي فرض جزرا على
 الحركة الثورية ، فتركز العمل على تحصين الخلايا السرية ، والمواهمة بين العمل
 السري وبين النشاطات العلنية والجماهيرية . وعقد الحزب في عام ١٩٣٥ مؤتمره الاول
 في مكاو . واجرى تحليلا للوضع في الوطن وفي العالم . وقد انتقد هو شي منه الخط

السياسي الذي طرحه المؤتمر قائلا: « لقد نادى بتوزيع الارض على المزارعين . ولم يلحظ مهمة مقاومة الفاشية وخطر الحروب الفاشية » .

(٢) **المرحلة من ١٩٣٦ - ١٩٣٩** : ضححت عام ١٩٣٦ الاخطاء المذكورة على ضوء خطر الفاشية واقامة الجبهة الشعبية في فرنسا . فشنت حملة من أجل الديمقراطية وتأسيس الجبهة الديمقراطية للهند الصينية . ويقول هو شي منه « كانت حركة الجبهة الديمقراطية قوية جدا ، وممتشرة انتشارا واسعا . وراح الشعب يناضل علنا . فكانت هذه هي نقطة قوتنا . أما نقطة ضعفنا فكانت تتركز في أن الحزب لم يتسلم القيادة ، بصورة مباشرة . لذلك كانت كوادرننا في العديد من الاماكن ذات نظر قصير اذ جنحت للعمل ضمن الشرعية ، راضية بالنجاحات الجزئية . فأهملت تقوية منظمة الحزب السرية . كما ان الحزب لم يشرح وجهة نظره بوضوح حول مسألة **الاستقلال الوطني** . كما تعاون عدد كبير من الرفاق ، بصورة لا مبدئية ، مع التروتسكيين . وعندما سقطت الجبهة الشعبية في فرنسا، واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية اضطهد الاستعماريون الجبهة الديمقراطية في بلادنا أيضا ، ووقع جزينا في بحران من الاضطراب بعض الوقت » . . . واستخلص من تلك المرحلة درسا يقول : « **ان كل ما يناجوب ومطامح الشعب وآماله سوف يلقى الدعم من الجماهير التي ستناضل من كل قلوبها في سبيله . وهكذا تكون حركة جماهيرية حقيقية . كما علمتنا أيضا (يقصد تلك المرحلة) ان نتجنب مهما كلف الامر النظرة الضيقة والنظرة الذاتية اللاموضوعية** » .

(٣) **المرحلة من ١٩٣٩ - ١٩٤٥** : بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية حددت سياسة الحزب : « تشكيل جبهة متحدة ضد الاستعماريين الفرنسيين ، والحرب الامبريالية ، والتحضير للثورة . وقررت سحب شعار (مصادرة اموال الاقطاعيين وتوزيعها على المزارعين) ، وذلك من أجل جر طبقة ملاك الاراضي للانضمام الى الجبهة الوطنية المتحدة » . ولكن مع استسلام فرنسا لمانيا الفاشية ، زحفت الجيوش اليابانية في خريف ١٩٤٠ لاحتلال الهند الصينية ، وتواطأ معها عدد كبير من الاستعماريين الفرنسيين . وقام شعب فييتنام في تلك الفترة بثلاث انتفاضات عفوية لم تصب نجاحا . ثم عقدت لجنة الحزب المركزية في ايار (مايو) ١٩٤١ اجتماعها الثامن . ويقول هو شي منه عن ذلك الاجتماع : « كانت المسألة الرئيسية في الاجتماع هي التأكيد على أن الثورة التي تواجهها فييتنام ثورة تحرر وطني » . والتأكيد على ضرورة تشكيل جبهة فييات منه . وكان الشعار الرئيسي هو : « **توحيد الشعب بأسره . ومقاومة اليابانيين والفرنسيين . واستعادة الاستقلال . وتأجيل ثورة الاصلاح الزراعي** » . وقد استثنى من الاستعماريين الفرنسيين أولئك الذين رفضوا التعاون مع اليابانيين . وكان هو شي منه قد ارسل من الخارج عام ١٩٤١ نداء قال فيه : « **أيها الاغنياء والجنود والعمال والفلاحون والمتقنون والموظفون والتجار والشبيبة والنساء ! يا من تحبون بلادكم ! ان التحرر الوطني ، اليوم ، هو أهم مسألة ، فلنتحد جميعا . فاذا اتحدنا ، كرجل واحد ، في عقله وقوته ، فسوف نقضي على فرنسا واليابان وبعالجهما . وذلك في سبيل انقاذ شعبنا من وضعه الواقع بين نارين** » . ان هذه الفترة (١٩٣٩ - ١٩٤٥) تميزت بالعمل الدؤوب على هدي السياسة التي طرحها هو شي منه ، في التركيز على هدف **التحرر الوطني** ، باعتباره اهم مسألة في حينه ، وتوسيع صفوف الجبهة المتحدة والحركة المناوئة لليابانيين ، والتحضير للثورة العامة المسلحة (لعبت وحدات الدعاية المسلحة التي تشكلت عام ١٩٤٤ دورا رئيسيا) . لقد عقد المكتب الدائم للجنة المركزية لجبهة فييات منه اجتماعا موسعا في آذار (مارس) ١٩٤٥ ، وكانت قد سقطت في ذلك

الوقت. سلطة الاستعماريين الفرنسيين ، وأصبحت كلية بأيدي الفاشيين اليابانيين .
وقررت الإسراع بالتحضير للثورة العامة المسلحة .

ثورة آب ١٩٤٥ : كانت اليابان في آب (أغسطس) ١٩٤٥ قد استسلمت . وكانت
جبهة فيات منه قد عقدت المؤتمر الشعبي الوطني الذي وافق على خطة الحزب للقيام
بالثورة العامة ، وانتخبت لجنة التحرير الوطني الفيينتامية ، والتي أصبحت الحكومة
المؤقتة بعد أن نجحت ثورة ١٩ آب ١٩٤٥ ، « **بفضل صحة خطة الحزب التي طبقت في
الوقت المناسب ، وبطريقة مرمية** » . وهكذا أصبحت كل فييتنام تحت سلطة الحكومة
المؤقتة برئاسة هو شي منه ، في حين تجرد الجيش الياباني في تكاته لا يتحرك ، وقد
أسقط بيده تماما .

مرحلة ١٩٤٥ - ١٩٥٤ : لم يمض شهر واحد على استقلال فييتنام حتى دخلت
القوات البريطانية الجنوب تحت حجة نزع سلاح الجيش الياباني . ولكن في الحقيقة
كان ذلك لمساندة الاستعماريين الفرنسيين لاعادة احتلال فييتنام . وتدخلت من الشمال
قوات تشان كاي تشيك تحت الحجة نفسها . وهنا اضطر هو شي منه على التحرك
بسرعة لمعالجة الوضع الخطير . فوافق على ادخال الحزب الرجعي في الشمال الى
الحكومة المؤقتة ، وهو حزب موال للكومنتانغ ، وذلك (١) من أجل وقف زحف قوات
تشان كاي تشيك وانسحابها . ولكن الامر الاصعب الذي أقدم عليه كان قبوله لشرط
حل حزب الطبقة العاملة الذي نزل الى العمل السري وهو يقود الحكومة . (٢) من
أجل التوجه لمحاربة الجيش الفرنسي الاستعماري في الجنوب ، والدعم من القوات
البريطانية . وقد استطاع الفرنسيون احتلال مناطق في الجنوب والوسط وهم يخوضون
الحرب ضد المقاومة الوطنية المسلحة . أعلن هو شي منه في ١١ آذار (مارس) ١٩٤٦
وقف القتال بعد نجاح المفاوضات الأولية مع الحكومة الفرنسية التي اعترفت لفيتنام
بحقها في حكم نفسها بنفسها ، ووجه خطابا للمواطنين قائلا : « **والآن ، بسبب الوضع
الدولي ، ولأننا نريد أن نبدي ثقتنا بفرنسا الجديدة ، وبصدق ممثلي الحكومة الفرنسية ،
ولأننا نؤمن باستقلال وطننا استقلالاً كاملاً في المستقبل . لكل هذه الأسباب وقعت
الحكومة ووقعت أنا اتفاقاً أولياً مع الحكومة الفرنسية . وما دما قد وقعنا على هذه
الاتفاقية ، لذلك فنحن مصممون على العمل بموجبها .** ولكن على الحكومة الفرنسية أن
تتقيد هي الأخرى بها من أجل الوصول الى علاقات تسودها الصداقة بين الشعبين » .
إلا أن الاستعماريين الفرنسيين راحوا ينتهكون الاتفاقية ، في حين ، أصر هو شي منه
على احترامها وطلب من الشعب كظم غيظه والتحلي بالصبر في مواجهة استفزازات
الفرنسيين . ثم جرت مفاوضات اضافية - في هذه الاجواء - سافر خلالها هو شي منه
الى فرنسا . وأخيراً وقعت اتفاقية « **موداس فيفندي** » في ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٦ .
ويعلق هو شي منه بعد ذلك قائلاً « **يجب أن نأتي على ذكر الاتفاقية الأولية التي عقدت
في السادس من آذار (مارس) ١٩٤٦ ، واتفاقية موداس فيفندي المعقودة في ١٤ أيلول
(سبتمبر) ١٩٤٦ ، لأن هاتين الاتفاقيتين قد اعتبرتا يمينية مفرطة ، وسببنا تدمراً
شديداً . ولكنهما كانتا من وجهة نظر رفاقنا ومواطنينا في الجنوب صحيحتين . وانهما ،
في الواقع ، كذلك . لان رفاقنا ومواطنينا أفادوا بمهارة من هذه الفرصة لبناء قواتهم
وتطويرها . قال لينين انه قد يساوم قطاع الطرق ، ويعقد اتفاقاً معهم اذا كان ذلك
يعود بالخير على الثورة . لقد كنا بحاجة الى السلم كي نبني بلدنا . ولذلك قمنا بتنازلات
للمحافظة على السلم . وعلى الرغم من ان الاستعماريين الفرنسيين قد نكثوا بتعهداتهم
وتشنوا الحرب بعد حوالي سنة من السلم المؤقت ، الا ان ذلك أتاح لنا وقتاً لبناء قواتنا**

الاساسية . وعندما اثار الفرنسيون الحرب عمدا لم يكن بمقدورنا ان نصبر عليهم اكثر .
فاندلعت الحرب الشعبية الواسعة » .

كان الاستعماريون الفرنسيون ، كما يقول هو شي منه ، يريدون ان يهاجموا بسرعة ،
وينتصروا بسرعة ، فكان الجواب « حرب مقاومة طويلة الاجل » . وعندما راحوا
يتآمرون لزرع الفرقة بين صفوف الفيتناميين ، كان الجواب « وحدة الشعب بأسره » .
لذلك : « فقد انتصرت استراتيجيتنا منذ البداية ، على استراتيجية العدو » . ولما احتل
العدو المدن التي فيها بعض من صناعة عوضت الثورة ذلك النقص باطلاق حركة المباراة
الوطنية من اجل « القضاء على المجاعة ، ومحو الامية ، وسحق الغزاة الاجانب » .
واكد هو شي منه على الموضوعة القائلة : « ان المجال العسكري هو مفتاح القضية في
حرب المقاومة » .

وهكذا في ظل الوحدة العريضة ، والسياسة الصحيحة ، والمثابرة على حرب
الشعب ، والاعتماد على الذات ، استطاعت الثورة ان تصمد بادىء ذي بدء ، (حتى
نهاية حملة فيات باك ١٩٤٧) ثم تنتقل بعد ذلك الى الدخول بصراع ايجابي مع العدو
وكسر شوكة هجماته لياتي عام ١٩٥٠ ويبدأ التحضير للهجوم العام المضاد الذي انتهى
بالانتصار المدوي في معركة ديان بيان فو ، وباجبار العدو على الدخول في مفاوضات
جينيف ١٩٥٤ في ظل موازين قوى في غير مصلحته . وذلك على الرغم من ان بريطانيا
والولايات المتحدة ساعدتا الاستعماريين الفرنسيين منذ بداية حرب المقاومة . وعلى
الرغم من تدخل الاستعمار الامريكي منذ عام ١٩٥٠ تدخلًا مكشوفًا في فييتنام .

اتفاقيات جينيف ١٩٥٤ :

بعد ان حقق الشعب الفيتنامي النصر في معركة ديان بيان فو ، مالت موازين القوى
لمصلحته ميلا بارزا ، فجزت في ظلها مفاوضات جينيف التي انتهت بتوقيع اتفاقيات
جينيف ١٩٥٤ التي عكست ميزان القوى على ارض المعركة وخرجت شعوب الهند
الصينية بتلك الاتفاقات منتصرة حيث عاد السلام الى الهند الصينية على اساس
الاعتراف باستقلال فييتنام وكمبوديا ولاوس ، وبوحدة ارض كل منها وسيادتها وعدم
تجزئتها . واتفق فيما يتعلق بفييتنام على فصل مؤقت بين الشمال والجنوب عند خط
عرض ١٧ . على ان تنسحب القوات الفرنسية من كل البلاد . ويمتنع اي طرف من
ادخال قوات اجنبية . ثم تجري انتخابات عامة سنة ١٩٥٦ لتوحيد فييتنام كلها . ان
ما يجب ان يلاحظ هنا ، هو عدم تقديم اية تنازلات مبدئية من جانب الثورة الفيتنامية
وام يوافق على تقسيم فييتنام . وان الذي قبل به هو فصل للقوات لمدة سنتين يتم
خلالها انسحاب قوات فرنسا فورًا ويمهد لانتخابات توحد البلاد . اي لم تصبح مسألة
تحرير كل فييتنام وتوحيدها هدفا استراتيجيا لمرحلة تاريخية بعيدة . او اقر بتقسيم
الهدف الى مرحلتين تاريخيتين وانما هي مراحل متداخلة في مرحلة تاريخية واحدة
تتخللها سنتا هدنة لتنفيذ الاتفاقية . لقد ذهب المفاوض الفيتنامي الى جينيف وموازن
القوى مائلة ، بصورة شديدة ، لمصلحته . وفرض على العدو وحلفائه التوقيع على
استقلال كل فييتنام ووحدتها ، في حين كان الخط السياسي ، لقيادة الثورة قبل حدوث
هذا التغيير في ميزان القوى ، كما عبر عنه هو شي منه في خطابه بمناسبة اول ايار
١٩٤٩ : « تحقيق وحدة وثيقة واسعة ، والرفع من يقظتنا ضد مناورات العدو التي
تهدف الى ايقاع الفرقة في صفوفنا . وتجنب التحليل الذاتي والتقليل من قيمة قوى
العدو . ومعارضة الميل للمساومة والركض وراء الصلح » . اي ان قبول التفاوض مع
العدو او رفضه ، مسألة مرهونة بالظروف المعطاة . ويجب ان يكون المعيار في كلتا

الحالين هو ان تؤدي الى دحر العدو وانتصار الثورة . فعلى سبيل المثال كانت معارضة الميل للمساومة والرکض وراء الصلح ، في ذلك الطرف ، موثقا صحيحا أسهم في انتصار الثورة ودحر العدو .

بعد اتفاقيات جينيف ١٩٥٤ : أعلن هو شي منه في ٦ تموز (يوليو) ١٩٥٦ : « ان حكومة جمهورية فييتنام الديمقراطية ، وهي تطبيق بحزم اتفاقيات جينيف كانت قد اقترحت مرارا وتكرارا على سلطات فييتنام الجنوبية ان تعقد مشاورات سياسية حول اجراء انتخابات عامة حرة من اجل اعادة توحيد البلاد . ولكن الامبرياليين الامريكيين وسلطات فييتنام الجنوبية المواليين لأمريكا ، راحوا يتآمرون على تقسيم بلادنا تقسيما دائما ، ومنع اجراء انتخابات عامة حرة ، كما تقضي اتفاقيات جينيف . انهم يعملون ضد مصالح وطننا وشعبنا » . وكان قد أعلن في ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ : « لا يمكن لهذا السلام ان يتوطد ما دامت بلادنا مجزأة بخط التقسيم المؤقت في خط العرض ١٧ » . من هنا يلاحظ فورا ، مرة أخرى ، ان الثورة الفيتنامية كانت دائما تحترم توقيعها ، وتناضل لتطبيق الاتفاقات تطبيقا كاملا . وهذا ما حدث بالنسبة لاتفاقيات ١١ آذار ١٩٤٦ ، و« موداس فيفندي » ايلول ١٩٤٦ ، وجينيف ١٩٥٤ . ولكن الاستعماريين وعيلاهم كانوا هم الذين يخرقون الاتفاقات ، ويرفضون تطبيقها . يقول هو شي منه في ٢ ايلول ١٩٥٥ : « حقا اذا كانت الخطوة الاولى ، أعني المرحلة العسكرية المتفق عليها في اتفاقيات جينيف قد تحققت بصورة عامة بشكل مرض ، حيث تم تحرير فييتنام الشمالية ، فان الخطوة الثانية على النقيض من ذلك ، أعني المرحلة المؤدية الى اعادة توحيد فييتنام عن طريق انتخابات عامة تجري في عام ١٩٥٦ ، لا يمكن ان يباشر بها بسبب نغودين ديبم : هذه العقبة التي اقيمت قصدا وعمدا . ان السلطات الجنوبية تدبح بوحشية مواطنينا ، وكل القوى السلمية والوطنية في الجنوب . لقد ارتكبوا خلال سنة واحدة فقط ، أكثر من ٣٠٠٠ جريمة وخرق لاتفاقات جينيف . ان المواطنين الذين قتلوا أو جرحوا بلغوا على الأقل ٤٠٠٠ مواطن . اما الذين اعتقلوا فهم أكثر من ١٩٠٠٠ مواطن » . لا يمكن فهم هذه المسألة اذا أدرك ان تلك الاتفاقيات كانت تعكس ميزان القوى المائل بقوة لمصلحة الثورة . ولهذا كان العدو يريد نسفها .

وهكذا بدأت رحلة جديدة نتيجة عدم تطبيق اتفاقيات جينيف ١٩٥٤ ، وذلك بسبب التآمر الاستعماري الامريكي ، وجرائم زمرة نغودين ديبم ، حيث كان الهدف من وراء ذلك تكريس تقسيم فييتنام ، وتصفية الحركة الجماهيرية في الجنوب والتحول للتخريب على الشمال . وقد توهم سياسة البيت الابيض انهم استطاعوا تثبيت مواقعهم في فييتنام الجنوبية وقمع الحركة الشعبية ما بين الاعوام ١٩٥٤ — ١٩٥٨ ، وراحوا يتغنون بثبات نظام ديبم واستقراره . ولكنهم في الحقيقة كانوا يواجهون مقاومة سياسية باسلة من الجماهير والمناضلين رغم ان عددا كبيرا من الفوار الجنوبيين انسحبوا الى الشمال . وفي الواقع ان جماهير الجنوب كانت قد عاشت على ثلاثة ارباع مساحة الجنوب في ظل القواعد المحررة من ١٩٤٥ — ١٩٥٤ . ولهذا كانت لا تزال تزخر بالتقاليد الثورية . وواصلت النضال ضد مخططات ديبم والاستعماريين الامريكيين . مما دفع نظام ديبم الى شن حملة قمع مسعورة في ١٩٥٩ — ١٩٦٠ وكانت تلك الفترة قد زادت من انضاج الطرف للعودة الى المقاومة المسلحة ، نعمت البلاد موجات من النضالات العنيفة الدفاعية والانتفاضات الشعبية المسلحة . وكان أبرزها انتفاضة ١٧ كانون الثاني ١٩٦٠ بقيادة المناضلة نغوين ثي دين حيث تم احتلال مخافر للشرطة والاستيلاء على اسلحتها . فكانت مبادرة رائدة سرعان ما اقتتدت بها مناطق أخرى آذنت باندلاع الحرب الشعبية طويلة الامد . ولم تأت نهاية عام ١٩٦٠ حتى تأسست جبهة التحرير الوطني

لجنوب فييتنام في ٢٠ كانون الاول ، وطرحت برنامجا وطنيا يدعو الى « توحيد جميع الطبقات والصفات الاجتماعية والقوميات وكل الاحزاب والتجمعات السياسية وكل المنظمات والطوائف الدينية والشخصيات الوطنية ، بغض النظر عن انتمائها السياسي من اجل اسقاط سيطرة الامبرياليين الامريكيين وطفمة نفوذ دين ديم العميلة ، في سبيل تحقيق الاستقلال والديمقراطية والسلام والحياد ، والتقدم نحو إعادة توحيد البلاد » . ولخصت البرنامج بعشر نقاط تتناول اقامة حكومة ائتلاف وطني وديمقراطي عريض ، وبناء اقتصاد وطني مستقل ، وتطبيق اصلاح زراعي ، بصورة تدريجية ، والمساواة بين الاقليات وضمن حقا في الحكم الذاتي ، ونهج سياسة خارجية تقوم على السلام ، والحياد ، والسبر نحو إعادة التوحيد السلمي لكل فييتنام ، واقامة علاقات دبلوماسية مع كل البلدان بغض النظر عن نظامها السياسي والاجتماعي ، ووفقا لمبدأ الاحترام المتبادل للاستقلال والسيادة وسلامة الاراضي وعدم الاعتداء ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، والمساواة ، والمنفعة المشتركة والتعايش السلمي . وتوطيد علاقات حسن الجوار مع كمبوديا واللاوس ، وتعزيز علاقات الصداقة مع كل البلدان التي تؤيد وتدعم وتساند نضال الشعب الفيتنامي .

تشكيل الجبهة : لم يمض عام واحد على تأسيس الجبهة حتى كانت تضم ٢٠ منظمة من بينها ثلاثة احزاب سياسية : (١) الحزب الشعبي الثوري ممثل الطبقة العاملة والعمود الفقري للجبهة (٢) الحزب الاشتراكي الراديكالي ممثل لفتات من المثقفين الوطنيين (٣) والحزب الديمقراطي يمثل البرجوازية الوطنية . وقد انتخب المؤتمر التأسيسي للجبهة رئيسا مستقلا مشهودا له بوطنيته هو نغوين هوتو . وشكلت لجنة مركزية من ٥٢ عضوا (انتخب فعليا ٣١ عضوا منهم) وبقي ٢١ مركزا شاغرا مع ثلاثة مراكز كنواب رئيس شاغرة بانتظار انضمام منظمات اخرى وشخصيات بارزة في المستقبل) . وعندما عقد المؤتمر الثاني للجبهة في اوائل ١٩٦٣ كانت قد توسعت صفوفها فاصبح اعضاء اللجنة المركزية ٥١ عضوا . وبقي (١١) مركزا شاغرا .

اعلن الاستعماريون الامريكيون في اوائل عام ١٩٦٢ تأسيس قيادة عسكرية امريكية في سايفون لتتسلم بأيديها توجيه « الحرب الخاصة » . ولكن الثورة استطاعت ان تهزم حملات التمهيط والابادة وتحطم حملات جيش سايفون بقيادة الخبراء الامريكيين مما أدى الى اسقاط نفوذ دين ديم في ١/١١/١٩٦٣ بانقلاب عسكري امريكي بعد ان نعلن تماما وانهار سياسيا وخنقته الفضائح . بيد ان هذا التغيير لم ينقذ الوضع . وشهد كانون الثاني ١٩٦٥ انهيارا آخر بقوات سايفون اثر معركة بينه جيا . واصبح الحكم العميل على سفير الهاوية مما دفع واثنتون الى تصعيد القصف ضد فييتنام الشمالية في ٧ شباط ١٩٦٥ والتدخل المباشر بقواتها النظامية في ٨ آذار ١٩٦٥ . وبدأت تتصاعد وتائر دفع القوات الامريكية والكورية الجنوبية والاسترالية والنيوزيلاندية والفلبينية والتايلاندية حتى بلغت بضع مئات من الالوف . بيد ان قوات التحرير الفيتنامية كانت بانتظارها فأحبطت الهجوم الاستراتيجي المضاد الاول الذي امتد الى ربيع ١٩٦٦ ، مما دفع البنتاغون الى شن الهجوم المضاد الاستراتيجي الثاني في تشرين الاول ١٩٦٦ . ولكن النتيجة كانت ممثلا اشد من سابقه . وأعقبه انتقال قوات التحرير الفيتنامية ليلة ٣ كانون الثاني ١٩٦٨ الى شن الهجوم الشامل . ومنذ ذلك التاريخ انتقل ميزان القوى العسكري لمصلحة الثورة . أما من الناحية الاخرى فقد فشل التصعيد على شمالي فييتنام وازدادت عزلة امريكا عالميا مما دفع بنيكسون الى التراجع عن قصف الشمال باستثناء المنطقة جنوبي خط عرض ٢٠ ، وهو الشرط الذي فرضته فييتنام الشمالية لبدء المحادثات الرسمية مع حكومة الولايات المتحدة الامريكية . وتوقف

العدوان الأمريكي كلية على شمال فييتنام في ٣١ تشرين الاول ١٩٦٨ . وتبع ذلك تراجع آخر بالاعتراف بجبهة تحرير جنوبي فييتنام حيث بدأت أعمال المؤتمر الرباعي في باريس في ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٩ . ولكن هذه المفاوضات كانت طويلة ومتقطعة تعج بالمخاورات الأمريكية وبالعودة للتصعيد والحملة الواسعة ، غير انها في النهاية بعد التحقق من حتمية هزيمتها العسكرية في الميدان بعد سلسلة من الهزائم العسكرية الكبيرة ، وقعت اتفاقية السلام في ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٣ .

ان الامبريالية الأمريكية كانت منذ البداية مهزومة سياسيا لكونها تقوم بالعدوان وتشن حربا غير عادلة . وكانت ركائزها في الداخل تعاني من عزلة رهيبه بسبب دورها العميل المهادي للشعب والوطن . في حين كانت الثورة الفيتنامية منتصرة سياسيا ، منذ البداية ، لكونها تحارب حربا عادلة وتحظى بتأييد الشعب وكل الوطنيين الثرفاء . وكذلك كان الوضع السياسي بالنسبة لكل من الطرفين في النطاق العالمي . اما بعد ذلك فقد كان التفوق العسكري والتكنولوجي الأمريكي في مواجهة حرب الشعب مسألة وقت لكي يبطل مفعوله . وتقاط موازين القوى العسكرية لمصلحة الثورة التي توحد أوسع قوى الأمة وتمتلك القيادة القادرة على طرح الخط السياسي الصحيح على كل المستويات العسكرية والسياسية والاقتصادية والتنظيمية ، وفي السياسة الخارجية .

اتفاقية باريس ١٩٧٣ : عندما كانت الدولة الكبرى — الولايات المتحدة الأمريكية في ذروة عدوانها العسكري لجأت الى الخداع بالدعوة لاجراء « محادثات سلام » . ولكن هو شي منه رفض في عام ١٩٦٦ التفاوض . وأعلن ان على الولايات المتحدة الأمريكية « أن تعترف بجبهة تحرير فييتنام الجنوبية وتتفاوض معها » . ولما بدأت تتحطم الطائرات المعادية وتتساقط ب ٥٢ بالجملة وتوقف القصف عن معظم مناطق فييتنام الشمالية ، ووعدت أمريكا بالاعتراف بجبهة التحرير الفيتنامية الجنوبية ، قبلت فييتنام الشمالية بالدخول في المفاوضات . وكانت جبهة التحرير من جانبها تشترط حتى عام ١٩٧١ اقالة فان ثيو وحل جهاز القمع قبل الدخول بأية نسوية . ولكنها بعد ذلك تخلت عن هذا الشرط مع انقلاب موازين القوى أكثر فاكتر لمصلحتها ، وبعد أن برزت امكانات تؤدي في حالة التساهل في هذا الشرط الى كسب قطاعات أوسع الى صفوف الجبهة ، وغرض مزيد من العزلة على فان ثيو . وهكذا تجاوزته بعد أن استطاعت اجبار الأمريكيين على الاعتراف بها ، وتمكنت من توسيع صفوفها ، وشن الهجوم العام ١٩٧٢ . وجاءت الاتفاقية نصرا كبيرا للثورة حيث عرض الانسحاب على القوات الأمريكية من فييتنام الجنوبية ، وافر باستقلال فييتنام الجنوبية ووحدة أراضيها . اما الاعتراف بإدارتين في فييتنام الجنوبية (ادارة الحكومة المؤقتة وادارة فان ثيو) فهو محدد بفترة زمنية يتم فيها افرار وقف اطلاق النار ، وتحقيق النأخي الوطني لأقامة حكومة ائتلافية واحدة وانتحضير لانتخابات حرة عامة يجري بعدها توحيد فييتنام الجنوبية تحت ادارة واحدة . ومن هنا يتضح ان المفاوضات الفيتنامي لم يفرط بأي من الحقوق الاساسية لشعب فييتنام ، بل على العكس كرسها في الاتفاقية ، مع مرونة تكتيكية في معالجة مسألة انهاء فان ثيو . وقد اثبتت الوقائع فيما بعد ان اتفاقية باريس كانت الانشودة التي التفتت على عنق فان ثيو وطغمته .

مرحلة ما بعد اتفاقية باريس : مرة اخرى ، تتمسك الثورة بالاتفاقية . وتعمل على تطبيق بنودها تطبيقا كاملا في حين تعتمد سلطات سايعون على انتهاك الاتفاقية . والسعي لتضم المناطق المحررة لقمة فلقمة . ومرة اخرى ، يكون الخط السياسي للثورة الصبر الطويل في مواجهة الانتهاكات والاعتداءات ، مع اخذ موقف دفاعي

عسكريا ، والمواظبة على تثبيت المناطق المحررة ، وتعبئة القوى العسكرية . واتباع سياسة فضح الذين ينتهكون اتفاقية باريس ويرفضون عودة السلام والتآخي الوطني لفيتنام الجنوبية . لقد رفعت الحكومة الثورية المؤقتة بعد اتفاقية باريس شعار « تحقيق السلام والتآخي الوطني في جنوب فيتنام » . واصدرت بياناً في ٢٢ آذار (مارس) ١٩٧٤ طرحت فيه ست نقاط من أجل « تحقيق السلام والتآخي الوطني في جنوب فيتنام » : (١) الايقاف الفوري لكل النزاعات المسلحة في جنوب فيتنام . (٢) الافراج عن المعتقلين السياسيين . (٣) تأمين الحريات الديمقراطية لسكان جنوب فيتنام . (٤) الاسراع في تشكيل « المجلس الوطني للمصالحة والتآخي الوطنيين » (٥) اجراء انتخابات عامة حرة وديمقراطية في جنوب فيتنام . (٦) ايجاد حل لمسألة القوات المسلحة في جنوبي فيتنام دون تدخل خارجي .

هدفت هذه النقاط الى تطبيق اتفاقية باريس . وجاءت معارضة فان ثيو لها لتزيد من عزله . وقد تمكن الخط السياسي الصحيح الذي تبنته الحكومة الثورية المؤقتة من استقطاب فئات واسعة من « القوة الثالثة » ومن الجيش ومن الاهالي . وكان من الضروري ان يثبت ، بالتجربة العملية ، ان فان ثيو هو الذي يريد ان يجلب الى البلاد مزيداً من الدمار والمآسي . وانه مصمم على ذلك . الامر الذي زاد من عزله . وتفسخ صفوف قواته . وانضح الظروف ، بعد صبر سنتين ، لتشن الثورة الهجوم العام الاخير الذي تهاوت معه طغمة فان ثيو . وقد حرصت الثورة ، حتى في هذه الظروف ، على ان تشن الهجوم العام تحت شعار : « معاقبة طغمة فان ثيو بسبب انتهاكاتها لاتفاقية باريس ، وأعداءاتها على المناطق المحررة » . لقد عرمت قيادة ثورة فيتنام في حرب الشعب ان تجمع جمعا حيا موحدا بين العمل السياسي وبين الكفاح المسلح وعرفت ، من خلال ، حسابها الدقيق لموازين القوى في كل مرة ، وتقويمها الصحيح للوضع ، متى تحارب ، ومتى ترفض المفاوضة ، ومتى تقبل بالمفاوضة وتجنح للسلام . ولهذا استطاعت ان تنتصر في ميدان القتال ، وعلى مائدة المفاوضات . وكانت تخرج باتفاقيات تحافظ على المبدأ وتكون مرنة في التكتيك . وكانت كل هذه حلقات تتسربط لتحقق الهدف . يقول هوشي منه في تقريره الى اللجنة المركزية لحزب العمال الفيتنامي ، في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٥٤ : « ان هدفنا الذي لا يتغير هو السلام والاستقلال والوحدة والديمقراطية . يجب علينا ان نتمسك بالمبادئ تمسكا لا يتزعزع . ولكن يجب ان نكون مرنين في التكتيك . وينبغي لجميع نشاطاتنا ان تجمعها رابطة واحدة ، وتنسيق واحد ، بحيث ينفذ كل فرع نشاطي أهدافه بتنسيق وتعاون مع باقي الفروع » .

لقد كان القرار في الثورة الفيتنامية فينناميا دائما متمسكا بالمبادئ ومرنا في التكتيك . ويرتكز على الوضع الملموس ، مطبقا القوانين العامة للثورة على الظروف الخاصة لفيتنام تطبيقا خلاقا ، ولعل ذلك كان أحد تأثيرات الثورة الصينية على الثورة الفيتنامية . وهنا يقول هوشي منه في تقريره الى المؤتمر الوطني الثاني لحزب العمال الفيتنامي : « بفضل الثورة الصينية ، وبفضل افكار ماوتسي تونغ استطعنا ان نفهم بصورة افضل ايدولوجية ماركس وانجلز ولينين وستالين . ومن ثم استطعنا ان نحرز انتصارات عديدة » .

تاينا : الثورة الكمبودية

على الرغم من السمات المشتركة العديدة بين البلدان الثلاثة التي تتشكل منها الهند الصينية ، فقد بقيت هنالك سمات خاصة تحكم تطور الوضع في كل من فيتنام وكمبوديا

واللاوس . وكانت شعوب الهند الصينية تطمح ، في بداية الامر ، الى الوحدة ، بسبب تلك السمات المشتركة . ولكنها ، في الواقع ، كانت ثلاث أمم . وادت الاشكال التي تطورت عبرها الصراعات ضد الاستعمار الفرنسي ، ثم الياباني ، ثم الفرنسي واخيرا الامريكي ، الى تعميق الخصائص المميزة لكل منها ، دون ان يمنع ذلك من اقامة اوثق العلاقات بين الحركات الثورية والجبهات المتحدة في كل منها ، وصلت الى حد التنسيق والخروج ببيان مؤتمر القمة لشعوب الهند الصينية عام ١٩٧٣ . بيد ان ذلك تم ضمن المحافظة على استقلالية الحركة الوطنية والثورية في كل بلد ، والتعامل على قدم المساواة ، والامتناع عن اي تدخل بالنشؤون الداخلية . والتمسك بالمبدأ القائل ان كل شعب هو المسؤول عن تحرير بلده .

لقد امتاز الوضع الذي نشأ في كمبوديا بعد اتفاقيات جينيف ١٩٥٤ بخروج كمبودية دولة مستقلة موحده محايدة ، حيث اقر جميع الاطراف بهذا الوضع لكمبوديا ، في حين ، عمد الاستعمار الامريكي لاتباع خطة تقسيم فييتنام ولاوس . ولعل وجود سهانوك الذي عينه الفرنسيون ملكا على كمبوديا ١٩٤١ ، وانتهاجه سياسة مستقلة محايدة تمد جسورا ايجابية مع حركة المقاومة الكمبودية ، قد فرض تأجيل تنفيذ المخطط الامريكي على كمبوديا الى مرحلة قادمة . كما ان حصول كمبوديا على استقلال شكلي ضمن الاتحاد الفرنسي عام ١٩٥٣ (خرجت من الاتحاد الفرنسي عام ١٩٥٥) قد ساعد ايضا على خروجها موحدة من مؤتمر جينيف .

سهانوك والقوى الثورية خلال مرحلة الستينات :

كان هنالك تعارض بين جبهة المقاومة المسلحة الكمبودية وبين سهانوك في فترة الصراع ضد الاستعمار الياباني الذي اجتاح كمبوديا في الحرب العالمية الثانية . ومن ثم ضد الاستعمار الفرنسي فيما بعد . وقد اعتبر سهانوك في ذلك الوقت رجل فرنسا في كمبوديا . ولكن من جهة اخرى راح يدعو لاستقلال كمبوديا وحيادها . وعندما طغى الوجه الاستقلالي الحيادي على موقف سهانوك ، قررت الحركة الثورية الكمبودية مساندته والتخلي عن الحكومة المؤقتة التي كانت قد شكلتها مما ساعد على انقاذ كمبوديا من التقسيم ونيلها استقلالها . لقد تنازل سهانوك عن العرش عام ١٩٥٥ لوالده ، وعاد اليه عام ١٩٦٠ بعد ان توفي والده الملك . ولكنه اصبح رئيسا للوزراء ما بين ١٩٥٥ - ١٩٦٠ حيث شكل التجمع المعروف باسم سانغوم Sanghum في محاولة لضم كل الاحزاب فيه . ولكن الحزب الشعبي (براشياشون) حافظ على استقلاله رغم انه كان يدعم سياسة سهانوك الحيادية المستقلة . وكانت قوة هذا الحزب قد تدعمت بانضمام جبهة التحرير الكمبودية له بعد اتفاقيات جينيف ، فأصبح يتألف من المقاومين القداماء وشخصيات وطنية ومثقفين تقدميين وكوادر من العمال والفلاحين والشبيوعيين . وقد واجه الحزب الشعبي وضعا معقدا في ظل حكم سهانوك . فهو من ناحية حكم مستقل يتبع سياسة حيادية تفيدها منها الثورة في جنوبي فييتنام . وهو من ناحية يعجز بالفساد وينخره عملاء امريكا وعناصر من اليمين معادية الشعب . وراح العسكريون التابعون لكتلة لون نول - سريك ماتاك تسعى سعيا حثيثا للسيطرة على السلطة دون ان تترك فرصة سانحة تقلت ولا تضطهد فيها الشعب . وتقمع القوى الوطنية والثورية . كان الخط السياسي للحزب الشعبي في مواجهة هذه الظروف يمتاز بالتعقيد ايضا . فقد جعل الوجه الرئيسي لسياسته تميل لتأييد سياسة سهانوك المستقلة الحيادية . اما الوجه الاخر فكان نقد الفساد والطغيان مع الحذر من التعرض لسهانوك حيث كان النقد يركز على الفاسدين والمتآمرين

عملاء امريكا . وبالفعل جرت مؤامرتين امريكيتين في ذلك الوقت احدهما سنة ١٩٥٩ . بارسال قنبلة موقوتة الى القصر اشترك فيها جنرال كمبودي والاخرى عام ١٩٦٣ اشترك فيها سرا سيريك ماتاك لتخريب الاقتصاد الوطني ، وضرب القطاع العام . ولما اشتدت سطوة لونول - سيريك ماتاك في السلطة عام ١٩٦٢ غساب عن مسرح السياسة في فنوم بنه كل من سون سن ، والبروفسور ينغ ساري ، والبروفسور سالوت سار ، وانتقلوا الى العمل السري في المناطق الجبلية في شمال شرقي البلاد يحضرون قواعد حرب الغوار . ولكن رغم التآزم خلال هذه الفترة ظل تأييد سهانوك هو الوجه الرئيسي ، خاصة ، مع اشتداد اعتداءات سلطات سايفون والاستعماريين الامريكيين على الحدود ، وتعاطف الضغط السياسي الامريكي الخارجي على كمبوديا وكذلك ضغط كتلة سيريك ماتاك - ولون نول من الداخل . وتحرك سهانوك ، في ذلك الوقت ، لمواجهة الوضع . فادخل الى وزاره عام ١٩٦٢ بعض النواب الثوريين مثل كيوسانفان وهويون اللذين سيلعبان دورا قياديا بارزا في الثورة فيما بعد .

استطاع عملاء امريكا عام ١٩٦٦ فرض انتخابات على سهانوك غيرت ميزان القوى في الجمعية الوطنية ، وازدادت سطوة مجموعة سيريك ماتاك - لون نول . وتعرضت البلاد خلال العامين ١٩٦٦ و ١٩٦٧ الى انتفاضتين فلاحيتين عفويتين على اثر ازدياد الضرائب والقمع ، وهجوم العسكريين لمصادرة الاراضي التي استصلحها الفلاحون (انتفاضة ساملوت ١٩٦٧) . وكان الرد مزيدا من القمع والاضطهاد . وتمادوا الى حد التآمر لمحاكمة كيوسانفان وهويون وهونيم في محكمة عسكرية رغم انهم نواب في الجمعية الوطنية . الامر الذي فرض عليهم الهروب من بنوم بنه والانتقال الى القواعد السرية . وادت المظاهرات والاعمال الانفجامية التي تعرض لها ائطلبة والاساتذة والعمال في المدن الى انتقال العديد من المناضلين الى القواعد السرية . ولكن رغم ذلك لم يعلن ((الكمبوديون الحمر)) الثورة . بل لم يتعرضوا لسهانوك . لتلا يساعد ذلك عملاء امريكا لتحويل سهانوك تحويلا كاملا ضد الثورة الفيينتامية والقوى الوطنية والثورية الكمبودية . وهو ما كان يسعى له لون نول بكل الوسائل . ان هذه السياسة الصحيحة استلزمت من الثوريين الكمبوديين اجراء الاستعدادات في المناطق الجبلية بسرية تامة ، وبلا ضجة وعلان ، مع تجنب الصدام مع الجيش . كما أدت هذه السياسة الصحيحة الى تعميق التناقض بين سهانوك وبين عملاء امريكا ، بدلا من أن يحول التناقض بين سهانوك وبين القوى الثورية كما اراد عملاء امريكا . لقد كانت نتيجة هذه السياسة الصحيحة : (١) اعطاء امكانية للقوى الثورية ، للمحافظة على قواها الذاتية وتطوير علاقاتها بالجماهير ، واجراء الاستعدادات لتشن الكفاح المسلح في الوقت المناسب (عندما قام عملاء امريكا بالانقلاب العسكري واطاحوا بسهانوك ، دفنت ساعة الانطلاق) . (٢) تهيئة الوضع للانتحام بسهانوك ، والعديد من القوى المؤيدة له ، مستقبلا ، بلا جروح وضرغان . مما ساعد على تشكيل الجبهة العريضة الواسعة وتحويل عملاء امريكا الى عصابة معزولة تماما . (٣) افادت الثورة في جنوبي فيينتام من هذه السياسة التي راعت حياد سهانوك .

لقد اثبتت الاحداث ، فيما بعد ، صحة هذه السياسة وبعد نظرها ودقة توقعاتها . يقول يانغ ساري المبعوث الخاص للجبهة المتحدة الوطنية الكمبودية وحكومة الاتحاد الوطني الملكية في كمبوديا في مقابلة صحفية وزعتها « وكالة انباء فيينتام » في ١ شباط ١٩٧٢ : « منذ سنين طويلة ونحن نتوقع انقلاب ١٨ اذار ١٩٧٠ . لاننا كنا نعترف الهدف من مخططات الامبريالية الامريكية . فمن الناحية السياسية اذن ، كانت

جماهيرنا وكان مناضلونا على أتم الاستعداد لرد . وهذه هي القاعدة الاكيدة التي انطلقنا منها لخوض الكفاح المسلح » .

كان هذا الموقف من سهانوك طوال فترة الستينات يحتاج الى شفافية شديدة وبعد نظر ، في ظروف كانت السلطة التي تحكم باسمه ترتكب الجرائم بحق المناضلين والشعب . وكان نقیضا للموقف « فوق اليساري » الذي هاجم سهانوك . ولم يفرق بينه وبين عملاء امريكا المباشرين . وهنا ، مرة اخرى ، يستطيع المرء ان يرى الفرق بين سياسة الثوريين الحقيقيين وبين سياسة « اليساريين » المزييفين الذين يضمعون الحب في طاحونة عملاء امريكا حين لا يفرقون بين **العملاء المباشرين** ، وبين بقية القوى الاخرى من الوسط واليمين . ان الخط السياسي الصحيح في معالجة الموقف من سهانوك طوال فترة ١٩٥٥ — ١٩٧٠ ، ثم الموقف منه ، بعد الاطاحة به ، من خلال التحالف الوثيق معه ، وتكريسه على رأس الجبهة الوطنية المتحدة ، هو الذي ساعد على ان يتحالف سهانوك مع القوى الثورية ، ويستمر في النضال . ويتعلم من تجربته السابقة ، حيث يقول في بيانه التاريخي الصادر في ٢٣ اذار ١٩٧٠ : « ان خيانة **الرجعيين وجبنهم وأقراءاتهم وتهجماتهم الدنيئة علي** ، فتحت عيني وعلمتني درسا اليما كُشف لي مدى السذاجة والضلال اللذين قادني الى الاعتقاد بان دولة حرة ديمقراطية محايدة مزدهرة وسعيدة يمكن اقامتها بمساعدة شخصيات منحلة ، وبرجوازيين وامراء فاسدين وفائسين ورجعيين من شاكلة الذين يؤلفون « الحكومة » و« البرلمان » الحاليين في بنوم بنه » . ويقول في البيان نفسه : « وبعد احراز النصر ، سيعمل الوطنيون الكمبوديون على بناء كمبوديا جديدة تكون السلطة فيها ، وتبقى الى الابد ، بيد الشعب الكادح المنتج والشريف والتقدمي الذي سيضمن لوطننا مستقبلا وضاء في اطار العدالة الاجتماعية والمساواة والاخوة بين جميع الكمبوديين » .

حرب الشعب واسقاط عملاء امريكا

عندما وقع انقلاب ١٧ اذار ١٩٧٠ ، وسيطرت طففة عملاء امريكا — طففة لون نول — سيريك ماتاك — شنغ هنغ على الدولة . واعلنت قيام « الجمهورية » ، اصدر سهانوك بيانا تاريخيا في ٢٣ اذار ١٩٧٠ دعا فيه الى شن المقاومة المسلحة وتأسيس الجبهة المتحدة الوطنية الكمبودية . وما ان صدر هذا النداء حتى كانت القوى الثورية الكمبودية مستعدة لاستقباله ، والعمل على تأسيس الجبهة المتحدة ، والانطلاق في حرب شعب طويلة الامد . وكان من بين الذين تولوا مناصب قيادية مهمة في الجبهة المتحدة وفي حكومة الاتحاد الوطني عدد من قادة القواعد المسلحة في مقدمتهم كيوسامفان ، ويانغ ساري وسون سن ، وسالوت سار ، وهو يون ، وهو فيم . وكان من اهم الاحداث التي تلت ذلك عقد مؤتمر « الحركة الموحدة لنضال الشعب » ، في داخل كمبوديا ، في ٧ ، ٨ ايار ١٩٧٠ بقيادة كيوسامفان ، وهو يون ، وهو فيم اعلن تأييده لبيان سهانوك وانضمامه للجبهة المتحدة . واصبحت « الحركة الموحدة لنضال الشعب » هي العمود الفقري للجبهة المتحدة التي تضم العديد من الاحزاب والمنظمات والشخصيات الوطنية والدينية .

١ — تطور الصراع العسكري : مع تشكيل الجبهة المتحدة العريضة ، وانسداد الكفاح المسلح فورا بعد انقلاب ١٧ اذار ١٩٧٠ تحررت مناطق واسعة من كمبوديا ، واخذت تلحق الهزائم في جيش لون نول وراح يترنح تحت ضربات الشعب . ولكن الاستعماريين الامريكيين هبوا لنجدته ، فارسلوا في ٣٠ نيسان ١٩٧٠ ، بقرار من الرئيس الامريكي نكسون ، ١١٠ الاف جندي امريكي وسايغوني مجهزين بأسلحة

الاسلحة ومدعومين بطيران كثيف جدا . بيد ان هذه الحملة التي توشعت اجتياح مناطق الثوار خلال بضعة شهور بدأت تصطدم بمقاومة عنيدة . واخذت تشن عليها الهجمات الغوارية على نطاق واسع مما افشلها وحولها الى مواقع الدفاع . وكان عام ١٩٧٢ يشكل مرحلة شبه التوازن الاستراتيجي وقد استطاع الشعب الكمبودي وقواته المسلحة الشعبية خلال عام ١٩٧٢ فقط ، « قتل او جرح او اسر ١٠٣ الف من جنود العدو . وغنموا ١٧٣٠٠ قطعة سلاح من مختلف الانواع ، والف طن من المعدات الحربية . ودمروا ٤١٥ آلية و ٢٠٠ دبابة ومصفحة . واغرقوا ٢٥ قطعة بحرية تبلغ زنتها ٦٠ الف طن ، و ٨٠ قارب عبور . ودمروا ٢٥ مركزا للعدو . و ١٥٠ قرية استراتيجية » . وقد ساعدوا ٧٥٠ الف مواطن في التخلص من نير الخونة والعبور الى المناطق الحرة . واقتنعوا ١٥٠٠ جندي من الجيش العميل بالالتحاق بقوات الثورة مع اسلحتهم الكاملة وكل هذه الارقام مؤقنة وغير شاملة » . (وثائق كمبودية ، دراسات عربية — كانون الثاني ١٩٧٥) .

ولم يدخل عام ١٩٧٣ حتى سعد الطيران الامريكي ، خاصة طائرات ب ٥٢ ، القصف الوحشي على المناطق المحررة وقوات الثوار ، مستغلا هدوء جبهتي فييتنام واللاوس للاستمرار بكمبوديا والقيام بحملة اباداة شاملة ، لمدة ستة اشهر ليلا نهارا . ولكن ذلك كله لم يمنع ان تنتقل قوات الثورة الى الهجوم العام مع بداية عام ١٩٧٣ . وتحرر مزيدا من الارض الكمبودية وتحقيق سيطرتها على كل طرق المواصلات الاستراتيجية البرية والمائية . ومحاصرة مدينة بنوم بنه . وما كاد ينتهي عام ١٩٧٤ حتى كانت الثورة قد حررت اكثر من ٩٠٪ من الارض الكمبودية . ولم يبق بيد حكومة لون نول العميلة سوى العاصمة وبعض المدن المحاصرة التي قطعت المواصلات اليها الا عن طريق الجو . وبقيت حلقة الحصار تضيق على بنوم بنه حتى اجتاحت اخيرا بهجوم صاعق . وتحقق الانتصار الكامل لكمبوديا .

ب — برنامج الجبهة المتحدة الوطنية الكمبودية : كان خط الجبهة المتحدة في الداخل هو العمل على توحيد كل القوى المعارضة للتدخل الامريكي ، وتركيز النار على طغمة لون نول — سيريك ماتاك . والالتحام مع يسهاتوك ، والانطلاق في الكفاح المسلح ضد التدخل المباشر الامريكي . وبالفعل استطاعت الجبهة المتحدة الوطنية الكمبودية وحكومة الاتحاد الوطني الملكية ، والقوات المسلحة الشعبية ان تعزل سياسيا طغمة لون نول ، وتبني قواعد محررة وتنزل الضربات العسكرية الناجحة بجيش العملاء . وكان ذلك في ظل برنامج الجبهة الذي دعا لتبني سياسة الحياد وعدم الانحياز ، والتمسك بالاستقلالية ، وتطبيق مبدأ الاعتماد على الذات في ظل استراتيجية وتكتيك حرب شعب طويلة الامد . وطرح خطا صحيحا في مجالات : (١) توحيد كل القوى المعادية لعملاء الامبريالية الامريكية والتدخل الامريكي . يقول برنامج الجبهة « توحيد وتعبئة جميع الطبقات والفئات الاجتماعية ، كل الاحزاب السياسية ، كل المنظمات المهنية والدينية ، وجميع الشخصيات الوطنية في داخل البلاد وخارجها ، بغض النظر عن الراي السياسي والجنس والمعتقد ، في سبيل الدفاع عن الاستقلال الوطني والسلام والحياد ووحدة اراضي البلاد في حدودها الحالية ، ضد المؤامرة والعدوان الامبريالي الامريكي ومن اجل اسقاط دكتاتورية خدامهم الفاشية والعنصرية ، والتي على رأسها « لون نول » و « سيريك ماتاك » » . (٢) « بناء وتوطيد جيش التحرير الوطني الذي يتكون من الفدائيين والانصار وعناصر الجيش الملكي الكمبودي التي رفضت الانصياع لدكتاتورية زمرة « لون نول — ماتاك » ، وعناصر اخرى من جيش المرتزقة التابع للخونة « لون نول — ماتاك » ، ممن يقررون الانضمام الى جيش

التحرير الوطني» . (٣) التنسيق في القتال فيما بين الجبهات الثلاث التي تقود كفاح كمبوديا وفيتنام ولاوس مسترشدا بالمبدأ العائل « ان تحرير بلد والدفاع عنه هو مسؤولية تشعبه بالذات ، وان الدعم المتبادل بين الشعوب الثلاثة يجب ان يقوم على الاحترام المتبادل والاهداف المتشروعة لكل شعب » . (٤) النضال من أجل بناء كمبوديا ديمقراطية مزدهرة . (ومن أبرز ما يلفت النظر ذلك البند المتعلق بالدين) : « ان البوذية الآن ، وسنفي ، دين الدولة ولكن الجبهة المتحدة ، تعترف وتحمي ممارسة حرية العبادة لجميع الاديان والمعتقدات الاخرى : الاسلام ، البرهمانية ، معتقدات « الخميريين اللو ، الكاثوليكية ، البروتستانتية والكاودية الخ . . . ضمان حرمة أماكن العبادة » (٥) وتؤكد الجبهة ، انها ستسعى في المجال الاقتصادي « لبناء وتطوير اقتصاد وطني مستقل معتمدا بالدرجة الاولى على الثروات والقوى المنتجة الكمبودية » اما في المجال التعليمي ، فيقول برنامج الجبهة : « رعاية ما وصل اليها من التقاليد الحيدة للحضارة الانغورية . بناء ثقافة وطنية قائمة على الوطنية الحققة وحب العمل المتقن وتقدير الفن العناية بالاثار الدينية ، وكل الاماكن التاريخية » . . « العمل تدريجيا على جعل برامج الدراسة لمختلف المستويات باللغة الكمبودية » . . « جعل البرامج والمناهج التعليمية تتطابق مع حاجات البلاد » . (٦) السياسة الخارجية: « تقوم السياسة الخارجية للجبهة الوطنية المتحدة الكمبودية على مبادئ الاستقلال الوطني ، والسلام ، والحياد ، وعدم الانحياز ، والتضامن والصداقة مع كل الشعوب والحكومات المحبة للسلام والعدالة . ان الجبهة الوطنية المتحدة الكمبودية تقيم علاقات صداقة وتعاون مع جميع البلدان على اساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمي ، وروح ميثاق الامم المتحدة ، دون تمييز سياسي او ايديولوجي » . والى جانب ذلك تشدد الجبهة على « تدعيم نضال شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية في سبيل الاستقلال والحرية » . . . و « تساند نضال الشعب العربي ، وخاصة الشعب الفلسطيني ضد المعتدين الاسرائيليين عملاء الامبريالية الامريكية ، في سبيل انتزاع حقوقه الوطنية الاساسية » .

كان من شأن هذا البرنامج الذي يشبه الى حد بعيد برنامج جبهة تحرير جنوب فيتنام ، ان يكتل اوسع القوى في الجبهة المتحدة ، ويدفع حرب الشعب الى امام ويحظى بتأييد عالمي واسع .

التأييد الدولي لكمبوديا : اعلنت الصين وفيتنام الشمالية، بعد الانقلاب العسكري، وقوفهما الحازم الى جانب الشعب الكمبودي . واعلنتا المساعدة غير المشروطة لحكومة الاتحاد الوطني بصفتها السلطة الشرعية الوحيدة لكمبوديا . وكان هذا الموقف استمرارا لسياسة البلدين الاشتراكيين منذ توقيع اتفاقيات جينيف ١٩٥٤ . وذلك بتأييد سياسة سهانوك المحايدة ورفض اي تدخل في الشؤون الداخلية لكمبوديا . بل ان فيتنام الشمالية حرصت في اثناء توتر العلاقات في عام ١٩٦٦ بين حكومة سهانوك وبين جبهة تحرير فيتنام الجنوبية على عدم التدخل بدعم القواعد الثورية السرية الكمبودية . وكذلك فعلت الصين . ولكن بعد الانقلاب العسكري اصبح من الصحيح مد الثورة الكمبودية بكل اشكال المساعدة ما دامت فيتنام والصين تعترفان بحكومة سهانوك سلطة شرعية وهيدة على كل كمبوديا . والجدير بالذكر انه في هذه الحالة ، لا يكون هنالك تدخل بالشؤون الداخلية لكمبوديا ، بل على العكس ان التدخل بالشؤون الداخلية يكون بالاعتراف بحكومة لون نول - سيريك ماتاك او (مساعدتها) . ان التأييد للثورة الكمبودية جاء ايضا من كوريا الشمالية والبنان وكوبا والعديد من بلدان العالم الثالث كما عبر عنه مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر ١٩٧٣ . اما

الاتحاد السوفيياتي فقد اعترف « بجمهورية » لون - نول وأبقى سفارته مفتوحة حتى أواخر أيام سقوط طغمة لون نول ، وان كان بعد مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر عام ١٩٧٣ ، وبعد الهجوم الشديد الذي وجهه سهانوك لموقف الاتحاد السوفيياتي قد بعث برسالة شفوية لسهانوك معترفا ، واقعيا ، دون أن يسحب اعترافه الدبلوماسي بلون - نول . و أعلن سحب موظفي السفارة قبل عشرة أيام من سقوط بنوم بنه .

يؤكد نجاح الثورة الكمبودية ، كما هو الحال بالنسبة لنجاح الثورة الفيتنامية :
 (١) أن عامل الحسم في كل ثورة هو العامل الداخلي وليس العامل الخارجي . فالذي يحقق انتصار الثورة هو شعبها وقيادتها الحكيمة ذات الخط السياسي الصحيح في إدارة الصراع ضد العدو . أما العوامل الخارجية فهي عوامل من المرتبة الثانية .
 (٢) بطلان المقولة التي تروج لوجود « معادلات » دولية تقرر مصائر الشعوب والثورات . أو ان الثورة لا يمكن ان تقاتل دولة كبرى الا اذا كانت في كنف دولة كبرى اخرى . لقد تحركت التورتان الفيتنامية والكمبودية باستقلالية ، ودون وصاية من أية قوة . بل كان ذلك احد شروط انتصارهما ضمن الوضع الدولي المعطى الذي هو مؤات لانتصار ثورات الشعوب . (٣) ان القضية العادلة تحظى بالتأييد العالمي الواسع في حين يمتن الظلم والعدوان بالعزلة الخائفة .

موقف كمبوديا من اتفاقية باريس ١٩٧٣ : تقول وثيقة جبهة التحرير الكمبودية المؤرخة في ٢ ايار ١٩٧٣ : « بعد هزيمة الامبرياليين الامريكيين في فيتنام ولاوس حيث ارغموا من قبل الشعبين الشقيقتين الفيتنامي واللاوسي على توقيع مفاوضات ، نراهم يتكالبون على كمبوديا ، والشعب الكمبودي حيث دخلت حريهم سنتها الرابعة ، وبينما يضاعفون باستمزاز معوناتهم العسكرية والمادية للخونة ، فهم يصعدون تصفهم لبلادنا مستخدمين كل أنواع الطائرات بما فيها الب ٥٢ . انهم يجهدون في تقتيل سكان المناطق المحررة ، ويعملون على تدمير المدن والقرى وحقول الارز والغابات والمزارع فيها ، بغرض الإبقاء على سلطة لون - نول ، وسيريك ماتاك ، وسون نوك تان المتهاوية في بنوم بنه » . ان الاستعمار الامريكي بعد وقف اطلاق النار في اللاوس وفيتنام حاول الاستفراد بالشعب الكمبودي ولكن ذلك لم يدفع ثورة كمبوديا الى القمة على قيادتي لاوس وفيتنام ، او اتهامها ببيع قضية الشعب الكمبودي . بل بالعكس نفهت قيادة الثورة الكمبودية الوضع تماما وصدفت لانتصارات فيتنام واللاوس في عقد تلك الاتفاقيات . وزادت الجبهات الثلاث من التنسيق فيما بينها . وهذا الدرس يجب ان يتعلمه الثوريون في كيفية تفهم الوضع في كل بلد ، وفي كيفية احترام قرارات أشقائهم الثوريين بما في ذلك ، احترام ما يقومون به من مساومات ثورية واتفاقيات ، والا يعتبروا ذلك قد تم على حساب الشعوب الأخرى . اما من ناحية ثانية فان من الضروري ان يلاحظ كيف استمر الشعب الكمبودي في خوض النضال وفقا لسياسته هو ، فلم يعتبر ان عليه هو ايضا ان يقبل بالدخول في مفاوضات مع العدو او عقد اتفاقيات معه . فقد استمرت سياسة قيادة الثورة الكمبودية في رفض أية مفاوضة مع طغمة العملاء او مع الامبريالية الامريكية ، وراحت تشدد من كفاحها لانتزاع النصر الكامل بلا مفاوضات او اتفاقيات . تقول الوثيقة الكمبودية في ٢ ايار ١٩٧٣ تحت عنوان « الوضع الحالي لنضال الشعب الكمبودي » ما يلي : « أولا : ان تغيرا كفيما قد طرا على وضعنا الحالي ، يميز تماما هذه المرحلة عن سابقتها . وذلك ان الشعب الكمبودي وقواته المسلحة الشعبية هم في موقع الهجوم الاستراتيجي العام . انهم يهاجمون ويسيطرون تماما على جميع المناطق وطرق المواصلات

الاستراتيجية البرية والمائية ، ويحاصرون مدينة بنوم بنه . ويضيقون عليها فكي الكماشة . وهم يحضرون للقيام بهجمات أعنف ضد الخونة والأمبرياليين الأمريكيين المعتصمين في معاقلمهم الأخيرة ، يهدف الحاق الهزيمة النهائية بهم . ثانياً : على أثر الضربات القاصمة والمتلاحقة التي أصيب بها العدو ، لجأ إلى جميع المناورات الخداعة ، وخاصة محاولات بث التفرقة بين صفوف الجبهة الوطنية ، وإقامة قوة ثالثة ، وطرح شعارات « المفاوضات » و « المساومة » بين الخونة وبين جبهتنا الوطنية ، والدعوة إلى « السلام » المزيف ، و « وقف إطلاق النار المباشر » ، وتوجيه « النداءات إلى السكان والوطنيين » لكي يستسلموا له . لكننا احبطنا جميع هذه المناورات ، الواحدة تلو الأخرى . واستمر الأمبرياليون الأمريكيون واذنابهم بمحاولاتهم هذه خلال ١٩٧٣ . فتابعوا الدعوة « لوقف إطلاق النار » في كمبوديا ، و « المفاوضات » و « المساومات » و « السلام المزيف » والمصالحة الخداعة . اننا نعارض ذلك معارضة قاطعة ، اننا في موقع القوة » . وكما يقول يانغ ساري : « ان كل أمل او محاولة لفرض تسوية على شعبنا مهما كانت . وتحت أي غطاء كان ، وبالتحديد حل عن طريق التقسيم ، ان ينتج عنه الأخيبة أمل مريرة . ولن يكون سوى تشجيع للأمريكيين ولعملائهم لتصعيد وتمديد عدوانهم الإجرامي » .

على ان السؤال هنا . هل ثمة تناقض في الموقف الثوري لكل من قيادتي الثورتين في جنوبي فييتنام وكمبودية ، حين قبلت الأولى ، في مرحلة معينة ، بالمفاوضات وعقدت اتفاقات ، بينما رفضت الثانية رفضاً قاطعاً أية مفاوضة او مساومة او اتفاقية مع العدو ؟ الجواب لا . ان الموقفين ينبعان من جوهر واحد ويقومان على الاسس نفسها . فكل من السياستين صحيحة انطلاقاً من الظروف المعطاة في كل حالة . ولا مبالغة اذا قيل انه لو كانت قيادة الثورة الكمبودية في ظروف فييتنام لسارت على هدي سياسة قيادة الثورة في فييتنام ، والعكس صحيح . لان المسألة تحسب بدقة وفقاً لميزان القوى الداخلي (قوة الثورة وقوة العدو) . وللمحافظة على الجبهة المتحدة وتوسيعها وعزل العدو سياسياً وتفكيك جبهته . لهذا كانت الثورة الفيتنامية ترفض المفاوضة عندما كان ميزان القوى في غير مصلحتها ولا يسمح بفرض اتفاقيات لمصلحة تحقيق اهداف الثورة ، كما ان المفاوضة في ذلك الحين لم تكن لتخدم توسيع الجبهة وعزل العدو وتفسيح صفوفه . وكانت تذهب إلى المفاوضات ضمن ميزان قوى محدد ، وفي ظروف سياسية محددة . وتنجح في فرض اتفاقية تعكس ميزان القوى على ارض المعركة — القوى العسكرية والسياسية لكل جانب . وتكون النتيجة كسب المزيد من الحلفاء لصفوف الجبهة المتحدة ، وتفسيح صفوف العدو وزيادة عزله . اما الثورة الكمبودية فقد استطاعت منذ البداية بناء جبهة واسعة ، وعزل طغمة العملاء ، ثم استطاعت بسرعة ان تحقق تفوقاً كاسحاً في ميزان القوى العسكرية والسياسية . ولهذا كان أي تساهل في قبول التفاوض مع العدو سيضعف الجبهة المتحدة ، ويخفف من عزلة العدو . فكان الاصرار على ان تحسم الحرب في الميدان فقط هو الخط السياسي الصحيح . وهكذا يتأكد بان الجوهر في السياستين الفيتنامية والكمبودية واحد .

دروس عامة من تجرتي كمبوديا وفييتنام

ثمة مجموعة من الموضوعات اكدتها ثورتا كمبوديا وفييتنام مع اغنائها بالتطبيق الخلاق على الظروف الملموسة لكل منهما . وهي في الواقع اقرب للمبادئ والنظريات . ان الشعب الصغير يستطيع ان يهزم الدولة الكبرى : لقد اصبحت هذه الموضوعات

قانونا تاريخيا تدعمه عشرات الشواهد . ان الاستعمار القديم مني بهزائم عديدة على يد الشعوب الصغيرة . وكانت الدول الاستعمارية القديمة تمثل دولا كبرى في ذلك العهد . وها هي ذى الان الدولة الكبرى — الامبريالية الامريكية تهزم امام شعبيين صغيرين بعد صراع طويل وشاق . انها ترحل عن فييتنام وكمبوديا بعد ان استخدمت كل ما تستطيع استخدامه من اسلحة الفتك والتدمير ، التقليدية . ولم تترك اسلوبا في الابداء او الخداع الا وطبخته على هذين الشعبين . ولكنها باءت بالفشل الذريع عسكريا وسياسيا .

٢ — حرب الشعب طويلة الامد تحقق الانتصار على القوى العسكرية المتفوقة :
لقد اتبعت الثورتان الفيتنامية والكمبودية في كفاها استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد ، واثارتا على القتال ضد الاستعمار الامريكي وعملائه . فاثبتت هاتان التجريبتان ان حرب الشعب سلاح ماضي بيد الشعب في مواجهة قوى العدو المتفوقة ماديا وعسكريا وتقنيا . لقد استطاع هذان الشعبان الصغيران بتطبيق استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد ان يستنزفا قوى العدو المادية والعسكرية والتقنية تدريجيا الى حد انهيارها . واستطاعا في الوقت نفسه ان يطورا القوات المسلحة الشعبية ، البدائية التسليح ، تطورا مستمرا الى حد القدرة على شن الهجوم العام على جيوش باكملها واقتحام العواصم . لقد اثبتت هاتان التجريبتان ان المواظبة على تطوير القوات المسلحة الشعبية من خلال العمل السياسي والتنظيمي والقتال في حرب الشعب مسألة حاسمة في احراز النصر . بل اكثرت ان قوات الشعب المسلحة تتعاظم قدراتها في معمعان القتال والمواظبة عليه وتتطور من خلال العمل السياسي والنضال الجماهيري .

لقد اثبتت هاتان التجريبتان ان العامل الحاسم في الحرب هو الانسان . وان وعيه السياسي هو السلاح البتار الذي يتيح له معرفة طبيعة العدو الحقيقية وتحديد نقاط ضعفه وقوته . ومن ثم يعالجه حتى يقضي عليه ولو كان مسلحا حتى الاسنان . ان الاستعمار الامريكي استخدم في مواجهة حرب الشعب في فييتنام وكمبوديا ارقى ما وصلت اليه التكنولوجيا العالمية والاسلحة التقليدية ، بل جند الى جانب ذلك كل خبرائه في « علم النفس » ، وفي « التخطيط » . وفي « علم الاجتماع » الخ . ولكن كل هذا وذاك سقط في امتحان حرب الشعب في كمبوديا وفييتنام — البلدان الصغيران اللذان ينتميان للعالم الثالث « المتخلف » !

٣ — التحالف مع كل القوى التي يمكن التحالف معها وعزل العدو الرئيسي المباشر :
ان من يدرس الثورتين الفيتنامية والكمبودية يلحظ كم بذلت الطليعة الثورية في كل منهما من جهود لتشكيل اوسع جبهة ممكنة من خلال السعي للتحالف مع كل القوى التي يمكن التحالف معها وعزل العدو الى الحد الاقصى . فاذا كانتا قد اعتبرت ان العمال والفلاحين الفقراء هم اساس الجبهة المتحدة ، الا انها سعنا للتحالف مع كل القوى التي يمكن التحالف معها من مختلف الطبقات والفئات ، بما في ذلك ، قوى من اليمين والوسط . هنا كانت مسألة التفريق بين التناقضات الاساسية وبين التناقض الرئيسي مسألة حاسمة حيث كان يجري فورا تحديد التناقض الرئيسي ، واساسا ، تحديد الطرف الذي يشكل العدو الرئيسي المباشر في المرحلة المعطاة بالذات . اي العدو الذي يضرب الثورة مباشرة . اما بقية الطبقات والفئات التي بينها وبين العمال والفلاحين الفقراء تناقضات اساسية ، فقد كانت قيادتا الثورتين الفيتنامية والكمبودية تحولانها الى قوى حليفة ، وبعضها قوى محايدة يجري العمل على كسبها . ومن ثم معالجة

التناقضات الأساسية معها باعتبارها تناقضات ثانوية بالقياس للتناقض الرئيسي في المرحلة المعطاة . أي في اثناء عملية تركيز النار على العدو الرئيسي المباشر . ومن هنا يفهم لماذا حددت الجبهة المتحدة الفيتنامية عدوها — الرئيسي المباشر — **المعتدين الأمريكيين وطفمة فان ثيو** . اما ما عداهم فقد فتحت الجبهة ذراعيها لعضويتهم بما في ذلك فئات من الكومبرادور والاقطاع والقوى السياسية اليمينية ممن يعارضون فان ثيو والتدخل الأمريكي ، وبعضهم كان الى امد من مرتكزات الامبريالية الأمريكية في فييتنام . وكذلك يفهم لماذا فتحت الجبهة ذراعيها في كمبوديا لكل من هو معارض لطفمة لون نول — وسيريك ماناك والعدوان الأمريكي •

٤ — **التمسك بالاستقلال والاعتماد على النفس** : ان مبدأ تحرير الوطن من النفوذ الخارجي ، والتمسك بالاستقلال في كل المجالات يشكل شرطا حاسما لانتصار الشعب على الاستعمار وعملائه : (أ) لانه يشكل اصلا هدف النضال ومسوغه ضد المعتدين على الوطن ، وعملاتهم . (ب) لانه يتيح للثورة ان يكون ولاؤها لشعبها ووطنها ويسمح لقيادة الثورة ان تقود الصراع قيادة مبدعة « فاهل مكة ادرى بشعابها » . (ج) لانه يشحن الشعب بحماسة لا نظير لها . ويسمح بحشد اوسع جبهة ضد العدو الرئيسي • ولكن مبدأ التمسك بالاستقلال سيظل عرضة للاهتزاز اذا لم يدعم بمبدأ اخر هو الاعتماد على النفس ، اي الاعتماد على الشعب واطلاق مبادراته في حل كل المعضلات الاقتصادية والعسكرية والسياسية . لانه عندئذ يمكن التمسك بالاستقلال الحقيقي ورد الشروط والضغط الخارجية .

ان للثورتين الكمبودية والفيتنامية تاريخا مجيدا ، وتقاليد راسخة ، في التمسك بالاستقلال والاعتماد على النفس • وهذا ما اتاح لهما ان يكون قرارهما دائما قرارا كمبوديا ، وفيتناميا كل على انفراد • ومن ثم اتاح لهما توحيد الأمة وعزل العدو وانزال الهزيمة به •

٥ — **القضية العادلة تنتصر** : لقد اثبتت تجربتا فييتنام وكمبوديا ان القضية العادلة التي تحملها الثورة هي نقطة قوتها الأساسية ، وهي التي تضعها في الموقع الاقوى سياسيا . وان الجبهة التي تتأهل من اجل قضية عادلة تستطيع ان تتحمل الصعاب والتضحيات وتحارب حتى النهاية وتحظى بالتأييد الواسع داخليا وعالميا . وفي المقابل ان موقف العدو الذي يشن حربا غير عادلة سوف تتضاءل قواه وتتفسخ صفوفه ويصاب بالعزلة داخليا وعالميا .

٦ — **كسب تأييد الشعوب والرأي العام العالمي** : لقد اثبتت تجربتا فييتنام وكمبوديا ان النضال من اجل القضية العادلة ، وخوض حرب الشعب طويلة الامد ، والتمسك بالاستقلالية وتبني سياسة الحياد وعدم الانحياز ، تعود للثورة بصداقة الشعوب وتأييد الرأي العام العالمي . حيث يصبح بمقدور الثورة من خلال الموقف الاستقلالي وتبني سياسة الحياد وعدم الانحياز ، واقامة علاقات الصداقة مع كل القوى والدول التي تؤيدها ، ان تتحرك على اوسع نطاق لكسب الاصدقاء وعزل العدو عالميا .

٧ — **الخط السياسي الصحيح** : تعلم تجربتا كمبوديا وفيتنام ان الخط السياسي الصحيح يشمل كل ما تقدم من موضوعات . كما يشمل طرح السياسات التي تعالج الوضع الراهن في كل مرة . ان الصراع بين الثورة وبين العدو صراع شديد التعقيد وشديد الحركة والتغير ، وهو لهذا بحاجة الى خط سياسي صحيح في ادارة الصراع تكتيكا واستراتيجيا من خلال تقدير صائب للوضع ، ولموازين القوى بين الثورة وبين

العدو . ومن ثم طرح السياسات التي من شأنها كسب مزيد من الحلفاء وعزل العدو ، ودفع الثورة على طريق الانتصار . ولعل ما عرض من تحليل لسياسات القوى الثورية في كمبوديا خلال ١٩٥٥ — ١٩٦٠ . ومن ثم بعد اندلاع الثورة . وكذلك التحليل الذي عرضت فيه سياسات القوى الثورية في فيتنام على اختلاف المراحل ، ليوضحا المعنى الدقيق الشامل لاهمية الخط السياسي الصحيح .

الوحدة والترابط والتكامل والتفاعل بين الموضوعات العامة

إذا كانت ضرورة التفصيل والشرح قد اقتضت ان تطرح الموضوعات اعلاه التي اكدتها تجربتا الثورتين تحت عناوين منفصلة فان من الضروري التأكيد على انها جميعا تشكل وحدة حية مترابطة متكاملة متفاعلة ، ولا تفعل اي منها فعلها في تحقيق النصر دون الموضوعات الاخرى . فعلى سبيل المثال ان القول ان الشعب الصغير يستطيع ان يهزم الدولة الكبرى لا معنى له اذا لم يهب الى النضال وحمل السلاح والمواظبة على المقاومة وتحمل التضحيات ، ويوحد قواه ويتمسك بالاستقلالية ويسير على هدى خط سياسي صحيح . كذلك ان حرب الشعب لا تقود الى النصر اذا لم توحد قوى الشعب ويعزل العدو ، ويرسم خط سياسي صحيح الخ . هذا هو المقصود بمعالجة الموضوعات المذكورة كوحدة حية متكاملة مترابطة متفاعلة .

ومن الممكن القول ان في الثورتين الكمبودية والفيتنامية تحقق النصر نتيجة تبني الشعب وقواته المسلحة وجبهته المتحدة الواسعة ، استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد ، والتمسك تحت القيادة الصحيحة بأهداف الجبهة من اجل تحقيق الاستقلال الوطني والديمقراطية والحياد وعدم الانحياز والسلام ووحدة الوطن ، والمثابرة على الاستقلالية وتقرير الشعب مصيره بنفسه، والجرأة على خوض القتال حتى النهاية ، وتحدي الصعاب مهما بلغت التضحيات . ورفض التراجع عن المبادئ، والعمل المتواصل لتوسيع صفوف الجبهة وكسب اوسع تأييد عالمي وعزل العدو وتفسخ صفوفه حتى تحقيق النصر الكامل عليه .

وبعد ،

فاذا كان الانتصاران التاريخيان الكمبودي والفيتنامي ملهمين لثورتنا الفلسطينية ، ومشجعين لنا لتشديد ضرباتنا ضد عدونا الرئيسي ، وصولا لتحقيق الانتصار الكامل ، فان دراسة التجربتين الفيتنامية والكمبودية تتطلب من قيادات وكوادر وجماهير الثورة الفلسطينية والثورة العربية فهمها فهما اصيلا بعيدا عن التقليد والمحاكاة . وذلك بالنقاط الجوهر ، والتركيز ، اولا وقبل كل شيء ، على السمات الخاصة للوضع في بلادنا لكي يكون بالامكان تطبيق القوانين العامة تطبيقا خلاقا فوق ارضنا العربية . وطرح الخط السياسي الصحيح النابع من الظروف المعطاة لبلادنا ، في كل مرحلة . وهذا ما أسهمت به الثورة الفلسطينية والتجارب الثورية العربية اسهاما كبيرا . وهو مدرستنا اولا واخيرا .

ذاهبون الى القصيدة ..

[الى بابلو نيرودا]

محمود درويش

يَتَسَلَّقُ الجِيتَارَ :

ستُ سنابلٍ تأتي من الأسرارِ .

تتَهَمَّرُ الجهاتُ عليه - منه . وهكذا تأتي الخلاصةُ :

إنَّ خمسَ أناملٍ تحمي المحيطَ من الجفافِ .

ويغضبُ الجيتارُ :

ستُ زوابعٍ تأتي من الصمتِ المهْدَدِ .

هكذا تأتي الخلاصةُ : إن خمسَ أصابعٍ

تحمي الصباحَ من التردُّدِ

إنَّ

نيرودا

يُغَنِّي

بين الفراشة واللييب يسافر الشعراء

بين السيف والدم فوق حدِّ السيف ينتظرون ورددتهم

يُحِبُّونَ القصيدة حيث تفلت من هواجسهم وينتَحرون في أوج القصيدة

ألموتُ يسكنهم ولا يدرون .. ينفجرون مثل شقائق النعمان في يومٍ

ربيعي قصير .

بين القصيدة والقصيدة يطردون البحر ...
 ينتقمون من زبدي يفر من الأصابع
 يذهبون الى الشوارع عاجزين ومتمعين
 كأي بوليس يُفتش عن علاقات مُحَرِّمة ليكتب أي

شيء ضد شيء ..

يكذبون على النساء ...

يزورون الخبر والقبلات ..

عاديون عاديون ما بين القصيدة والقصيدة يسأمون الشعر والفجر

المبكر و .. الوطن .

.. وكما يموت النسرُ ينطلقون

نيرودا !

جمعت لنا الندى من كل زنبقة وجمجمة

شربت هدير هذا البحر نخب بسد تقاوم في حقول الموز -

والأصداف بين يديك -

كان الشرق يغسل وجهه في لهجة صينية

والحرب تجعل كل شيء واضحاً كالخبز

هل يتمهل الزلزال أمسية لنخرج من قواميس اللغات الى

ضواحي الصوت ؟

فلاحوك

صبيادوك

جلاؤوك

يحتشدون فوق أصابع الجيتار ..

أحصنةٌ تدور مع الرياحِ السودِ
 امرأةٌ تهاجمها بأغنيةٍ ، وتسقط في البنفسجِ
 تستطيعُ وتستطيع وتستطيعُ

دَمْنَا على المحراثِ
 نيرودا ! تُغَنِّي أمْ تُرَوِّضُ غابسةً
 تمشي على الإيقاع أم يَتَجَوَّلُ البركانُ فيكَ
 وحارسُ البستانِ يخترن الأفاعي خلف صوتكِ .
 إنْ جمهوريةٌ أخرى تُعيد قصيدةَ أخرى إلى أفراحها ..
 لكنْ شطآنُ القصيدة لا تُدَجِّنُها البحيرةُ -
 كان فيديريكو يموتُ على « سياجِ يحجبُ القمرِ » الحبيبِ يموتُ .
 أجراسُ تدقُّ وتختفي في القلبِ ..
 كان الموتُ يجعلُ كُتْلَ شيءٍ واضحاً كالمُشْبِ
 هل يتمهلُ الزلزالُ أمسيةً لنجمع عن خناجرهم دمَ الأطفالِ
 والشعراءِ ؟

كان الليلُ أوضحَ من خطى الشهداءِ
 لكنْ المياهَ تسيل من وتَرٍ يقاومُ صخرةً صمَّاءً ..
 نيرودا ! سننتصرُ
 القيودُ لنا - سننتصرُ
 النشيدُ لنا - سننتصرُ
 الضروعُ مليئةٌ بالبرقِ - ننتصرُ
 الضلوعُ منازلٌ للعشق - ننتصرُ
 الجيادُ السودُ تهبط من مكانٍ ما - سننتصرُ

النهاية قنتهي

هذا هو الجيتار أرض في تمام الصوت تزخر بالوضوح من الوريد
إلى الوريد ..

وها هم الشعراء في أوج القصيدة ذاهبون إلى القصيدة في
شباك الصيد

يولد فوج ضباط جديد. سورة الموتى تزيد. وعامل التعدين
يدخل عامه السبعين. والشعراء يختارون هاجسهم

وينتخرون خلف البرلمان ..

منذ البداية : إن هذا المسرح الخالي من الجمهور والجدران
ينتظر البشارة في الأغاني .

ها نحن نتفق : الغزاة لا تحب الشعر

والشعراء حقل أزرق لم يفترع إلا بأقدام الغزاة .

ها نحن نختلف : الجبال بعيدة ..

نتسلق الجيتار . ست زنايق تأتي من الفحم . الجهات تعود

من ساحات غربتها وتأوى للنوافذ . إن خمس أصابع تحمي الفضاء

من البقاء على سطوح البرلمان

وإن

نيرودا

يُعَسِّي .

ها نحن نختلف - اتفقنا

ها نحن نتفق - اختلفنا

للجبال يد هي المطر . القصيدة ملاء هذا المسرح الخالي من

الجدران

للأرض ارتعاشاتٌ هي الدمُ . حين ينهمرُ الرصاص عليك = منك
ومن لصوص الليل تصرخُ في وضوح

إنَّ الجروح هي الجروح .

لكنَّ هذا البحر أزرقُ

لكنَّ هذا الحقل أخضرُ

ودم المغنسي أبيضُ فوق الشوارع والأصابع .

عاملُ التعدين يدخل عامه السبعين . . .

يقراً أيجديّة قلبه المشويّ فوق الفحم فحمًا . .

والرغيفُ غزالةٌ تعدو وتعدو في القيود . .

وفوج ضبّاط جديدٌ يمتقن السهر الطويلَ على حدود الجبن . . .

قد مرّوا « جماجم من رصاص » مرةً أخرى . . ونيرودا يموتُ .

« خيولهم سوداء » . نيرودا يموتُ على قصيدته . . فتذهب في الفضاء . .

وعاملُ التعدين يقرأ صَفْحَةً أخرى ويسقط في البنفسج

يفضبُ الجيتارُ

ستُ زوابعٍ

تأتي من الصمت المهدّد

إن خمس أصابعٍ

تحمي

الصباحَ

من

التردّد .

كان نيرودا يغنّي

ها نحن نتفق : الغزاة بين أيدينا .

دمُ الشعراء محراثُ

ويحتفلُ الترابُ .

ها نحن نتفق : الغزاة بين أيدينا .

لأجلك يرجع البطُ المُخيمُ في جنوب البحرِ

نيرودا ! لأجلك نكتفي بالمر أغنيةً وكأساً من سحاب .

مُدُنُ تنام على السلام في انتظارك . آه نيرودا . شواطيء هذه

الأرض الصغيرة - عبر صوتك - قبلةٌ مفتوحةٌ للنورس الباكي وللجمع

الذي يتعلمُ الرقص المميتَ

لكَ القرنفلُ . شهرُ أيارَ . البديلُ الاشتراكيُ . المدارسُ . أجديةُ

عامل الميناء . تمثال الصدى والعطر . أوّل خطوة بعد الزنازين .

الأغاني في حوانيت الفواكه .

آه نيرودا ! حدودُ الأرض في ليمون صوتك ملعبُ الكرة ،

المظاهرة ، احتفالُ الذاهبين الى الجحيم . لك اعترافاتُ النساء العاشقات .

لك النشيدُ الأزرقُ .. الحريةُ الزرقاءُ .. أبعدُ قريةً في الأرض

لكن

بعد موتك

عبر موتك

قرب موتك

كُلُّ فجرٍ كان ينتظرُ انطفاءك كي يضيء

وكُلُّ صوت كان ينتظرُ اختفاءك كي يجيء .

ها نحن نتفق : الغزاة لا تحبُّ الشعراءَ في الزمن الرديء .

مسؤولية بدء الأعمال العدائية في حرب حزيران ١٩٦٧ في ضوء القانون الدولي

الدكتور كيث م. ليفان

في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، قصفت اسرائيل المطارات المصرية ودمرت بذلك كل القوة الجوية المصرية تقريبا . وفي الايام التالية احتلت القوات العسكرية الاسرائيلية الضفة الغربية من الاردن ، بما فيها القدس القديمة ، وقطاع غزة ، وشبه جزيرة سيناء وقسما من سوريا يشمل مرتفعات الجولان . ان المسألة التي سيتم تناولها في القسم الاول من هذا البحث تدور حول ما اذا كانت ايا من الشروط التالية قائمة حينما شنت اسرائيل هجومها : أن يكون بدأ هجوم عربي فعلا ، أو أنه كان هنالك هجوم وشيك الحدوث ، أو ان الحصار المصري لخليج العقبة عرض للخطر مصلحة اقتصادية حيوية لاسرائيل .

والمسألة ذات أهمية لأن « أخلاقية » عمل اسرائيل عموما تقاس بوجود أو عدم وجود احد أو بعض هذه الشروط (١) . وهي ذات مغزى أيضا من أجل محاكمة أعمال الخصمين في حرب ١٩٦٧ في الشرق الأوسط . أكثر من ذلك ، غفسي حقل أبحاث السلام هنالك مطالبة بالتحقيق في الأسباب المزعومة للنزاعات الخطيرة . ومن وجهة نظر القانون الدولي فإن استخدام القوة في ظل احد هذه الشروط أمر ينبغي تبريره . اما في القسم الثاني فستتم دراسة العمل العسكري الاسرائيلي في ضوء معايير القانون الدولي .

[١]

١ — وفقا للاعلان الاسرائيلي الاول ، بدأت مصر الحرب بهجوم بالطيران والمدفعية في النقب الجنوبي . وبالإضافة ، زعم الاسرائيليون انهم كشفوا هجوما مصريا بواسطة شاشات راداراتهم ، فقاموا عندئذ بهجوم مضاد . وبعد الحرب ألقى وزير خارجية اسرائيل ، ابا ايبان ، خطابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة سعى فيه الى تبرير مسلك اسرائيل . وقال ايبان ، بين أشياء أخرى : لقد أطبق علينا حصار ساحق ، وأخذت الجماهير في كل أنحاء العالم ترتجف هلعاً على مضي اسرائيل . وعلى ذلك ، ففي الصباح الحاسم له حزيران ، حينما تحركت القوات المصرية بالجو والبر ضد الساحل الغربي لاسرائيل ، ومناطقها الجنوبية ، وكان خيار بلادنا واضحا . كان الخيار [أمام بلادنا] أن تعيش أو تموت ، أن تدافع عن وجودها القومي أو تخسره الى الأبد . ومن هذه اللحظات الرهيبة ، خرجت اسرائيل في خمسة أيام بطولية من الخطر المروغ الى المقاومة الناجحة والمجيدة . وبمفردها ، ودون مساعدة ، ومن غير السعي للعون أو الحصول عليه ، فإن أمتنا نهضت دفاعا عن النفس (٢) .

وقد ترددت هذه التهمة في مناسبات مختلفة . وذكرت غولدا مائير في مقابلة أجرتها

معها مؤخرا Vorwärts ، جريدة الحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيا الغربية (٣) . لكن واقع أن قوة الطيران المصرية لم تكن مستعدة للعمل وانها دمرت على الارض تشهد بوضوح ضد هذا التأكيد . وقد أقر اشكول بحقيقة الامر في مقابلة مع نيو يورك تايمس ، فقال ان جونسون طلب منه الامتناع عن الهجوم بضعة ايام بينما يحاول هو [اي جونسون] أن يرفع الحصار . وأضاف اشكول : « اعتقد كثيرون منا أننا سنؤدي له صنيعا حسنا لو بادرنا للعمل » (٤) .

ب — وحاول ابيان أيضا أن يثبت أن القادة العرب كانوا قد خططوا لمهاجمة اسرائيل : « لقد ثبت ، بدون ريب ، أن الحكومات العربية أعدت منذ ١٤ أيار بصورة منهجية — وبقيادة وتوجيه الرئيس عبد الناصر — لهجوم عدواني يستهدف تحقيق التدمير الفوري والشامل لاسرائيل نفذته صبيحة الخامس من حزيران . انني استند في هذه القناعة الى بيانات الحكومات العربية نفسها وأعمالها . وهناك كل الاسباب لتصديق ما تقوله وللتقيد بما تفعله . لقد كان حزيران ، ١٩٦٧ ، شهر الحسم . وكان الحل النهائي وشيكا » .

أكثر من ذلك أكد ابيان أن التقدم العربي الى حدود اسرائيل لا يمكن تفسيره الا على أساس غرض بدء الحرب . فمن أجل منع هجوم « محدود في نطاقه ووقته » لم يكن السوريون بحاجة الى أكثر من منع أعمال الارهاب . وأضاف ابيان أن العرب ينبغي أن يكونوا عرفوا ان اسرائيل لم تكن تخطط للهجوم في الاسبوع الثاني أو الثالث من أيار ، لان الامم المتحدة لم تستطع أن تجد أي حشد للقوات الاسرائيلية على حدود سوريا في ٩ أيار ولان الروس رفضوا دعوة اسرائيل لتفقد الحدود السورية . وفي ٤ حزيران ، ١٩٧٢ ، كشفت الحكومة الاسرائيلية قرارا كانت قد أقرته قبل اندلاع الحرب : « . . . ان الحكومة تأكدت ان جيوش مصر وسوريا والاردن قد وزعت للقيام بعدوان فوري متعدد الجبهات يهدد وجود الدولة نفسها . ان الحكومة تقرر ان تقوم بعمل عسكري لتحرير اسرائيل من قبضة العدوان التي يتم تشديدها بصورة متزايدة حول اسرائيل » (٥) .

في تشرين الثاني ، ١٩٦٦ ، أبرم عبدالناصر ميثاقا دفاعيا مع سوريا ، والزم نفسه بالدفاع عن سوريا ، اذا ما هاجمتها اسرائيل . ومع ان الحدود المصرية ظلت هادئة لعدة سنوات ، ومع ان الاردنيين كانوا يمارسون ضبط النفس ، فقد كان ثمة نزاع متكرر على الحدود السورية . وكان السوريون والاسرائيليون يشتمكون بسبب استخدام الارض الواقعة على الحدود وتحويل المياه من نهر الاردن (٦) . وكان الفدائيون الفلسطينيون ينطلقون من الاراضي السورية للقيام بغارات عبر الحدود وأعمال تخريب ضد اسرائيل . وبالمقابل ، كان الاسرائيليون يوجهون ضربات قاسية ، بين الحين والآخر ، بواسطة قوتهم الجوية أو جيشهم . وقد قاموا بثلاث من هذه الهجمات في السنة السابقة لاندلاع الحرب : الاول في تموز ١٩٦٦ ضد سوريا ، والثاني في تشرين الثاني ١٩٦٦ ضد الاردن (أكد الاسرائيليون أن الحكومة الاردنية عجزت عن منع الفدائيين من تنفيذ بعض غارات الحدود انطلاقا من الاراضي الاردنية) والثالث في نيسان ١٩٦٧ ضد سوريا أيضا . ولان عبد الناصر لم يتخذ أية اجراءات بوصفه زعيم العالم العربي ، للدفاع عن سوريا والاردن في هذه المناسبات فان خيبة الامل في اوساط الجماهير كانت عظيمة . ومن أجل فهم حوافز عبد الناصر ، من المهم كذلك الانتباه الى أن سقوط الحكومة السورية — وكان ذلك خطرا جديا بسبب الهجمات الاسرائيلية الاخيرة والتهديدات الاسرائيلية التي سنتناولها في الفقرة التالية — كان يشكل ضربة قاسية بالنسبة له (٧) .

وبعد أن استمرت غارات الحدود أدلى القادة الاسرائيليون بالتهديدات التالية . قال أشكول : « افنا قد نرغم على استخدام اجراءات لا تثقل فعالية عن تلك التي استخدمت في السابع من نيسان » .

وقال رابين ، رئيس أركان الجيش الاسرائيلي في مقابلة جرت معه : « تعرف اسرائيل ان سوريا تقف خلف كل اعمال التخريب ، وستكون ردة فعلها على هذا الاساس اذا ما استمر الارهاب . وستبدو ردة الفعل هذه مختلفة تماما عن الاعمال الانتقامية التي اتخذت ضد الاردن في الماضي » .

وتشدد مصدر اسرائيلي موثوق على ان اسرائيل ستقوم بما هو أكثر من عمليات الانتقام والصد . ان هدف اي تدخل عسكري محتمل سيكون سقوط النظام البعثي المتطرف في دمشق(٨) .

وكان آخر « الاعمال الثأرية ضد الاردن » التي اثار اليها رابين قد أسفر عن مقتل ١٨ وجرح ١٣٤ ، بالإضافة الى تدمير ١٢٥ منزلا ، ومدرسة واحدة وعبادة واحدة(٩) . وعلى ذلك فالضرر الذي لحقه الاسرائيليون بالعرب فاق كثيرا ما سببه العرب للاسرائيليين(١٠) .

وفي الخطاب الذي لقيه عبدالناصر بعد الحرب بقليل أعلن ان الاتحاد السوفياتي كان قد حذره من خطة اسرائيلية للهجوم على سوريا . وبما ان القادة الاسرائيليين كانوا قد قالوا الشيء نفسه تقريبا في بياناتهم العامة ، فان ملاحظة عبد الناصر تبدو صحيحة . وبالنظر الى استخدام اسرائيل في الماضي للقوة العسكرية فقد كان لديه سبب مشنع للنظر الى مثل هذا التحذير بجدية .

ان التفوق العسكري لاسرائيل لم يثبت في ١٩٤٨ فحسب ، بل ، وذلك أكثر أهمية ، في ١٩٥٦ كذلك . ومنذ البداية الأولى ، وخلال كل سنوات الصراع اتبعت اسرائيل بصورة متعمدة سياسة الحاق الضرر بالعرب بنسبة لا سبيل الى مقارنتها بما تعانيه هي . وقبل وقت طويل من حرب ١٩٥٦ قامت اسرائيل بعمليات واسعة النطاق بواسطة الطيران والجيش البري ، في حين لم يقم أعداؤها بشيء مماثل . وقد نفذ العديد من مثل هذه الأختبارات للتفوق العسكري لاسرائيل . وأوضح دايان نفسه هذه السياسة بقوله ان فشل العرب في الرد بالمستوى ذاته أثبت انهم اقل شأنًا من الناحية العسكرية . « اذ كان المصريون لم يعلنوا الحرب بعد هجومنا على غزة ، كما لم يعلنها الاردنيون بعد نحالين فذلك يثبت انها ، وسواهما من البلدان العربية ، لم يكونا في موقع يتيح لهما هزيمة اسرائيل »(١١) . وينبغي أن نتذكر ان الرد على الضربات الثلاث القاسية التي وجهتها اسرائيل في السنة السابقة لاندلاع حرب حزيران تم بواسطة غارات الحدود وأعمال الفدائيين وليس بواسطة قوات نظامية مثيلة للقوات الاسرائيلية .

وكان للاسرائيليين ميزة تفوقهم على العرب من حيث الخبرة الفنية والمهارة التنظيمية . ونتج وضع اضافي غير مؤات بالنسبة للعرب من العلاقات المتوترة بين سوريا ومصر من جهة ، والاردن من جهة أخرى ، وكذلك من الصراع المحلي في الاردن . وكان خصوم حسين يعتبرونه اقطاعيا رجعيا ينبغي التخلص منه . وقد لاحظ ادلبرت فينشتين ، وهو خبير عسكري ورئيس تحرير Frankfurter Allgemeine Zeitung في تحليله الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٦٧ ان وضع خطة فعالة للمعركة كان غير ممكن قطعاً ، لأن مثل هذه الخطة تتطلب تحرك القوات من بلد الى آخر ، وتلك مخاطرة لم يكن باستطاعة

حسين تخملها . واخيرا ، كانت القوة الاميركية في المتوسط دون منازع . فالروس لم يبدأوا في بناء قوة ذات مغزى هناك الا بعد الحرب .

ومن المؤكد ان عبدالناصر كان مدركا للوقائع المؤثرة في القوة النسبية للطرفين المتنازعين حينما أرسل قواته نحو الحدود الاسرائيلية . وعدم وجود حشد للقوات على الحدود السورية لم يكن ليلغي احتمال حدوث هجوم اسرائيلي في وقت لاحق . وكما في الماضي يمكن البدء بالهجوم بواسطة الطيران وكذلك ، اذا لزم الامر ، يمكن القيام بعملية تحريك للقوات بسرعة . وفي ضوء كل هذه الوقائع فان تقدم القوات الغربية وطلب سحب قوات الامم المتحدة ينبغي تفسيرهما استنادا الى نوايا دفاعية وليس هجومية (١٢) .

لكننا لم نعالج بعد مسألة ما اذا كان ثمة هجوم عربي وشيك حينما وجهت اسرائيل ضربتها . لذا ننقل الآن للنظر في الاحداث التي شهدتها الفترة بين اعلان حصار مضائق تيران في ٢٢ ايار واندلاع الحرب . دعونا نتذكر ان الحصار استهدف السفن الاسرائيلية وكل السفن الاخرى التي تحمل مواد استراتيجية الى مرفأ ايلات . وان الوقائع المتعلقة بالقوة العسكرية النسبية للطرفين وبمدى استعدادهما لاستخدام القوة الجوية ذات مغزى ايضا بالنسبة لهذه الفترة .

واصلت القوات المصرية تقدمها نحو الحدود الاسرائيلية . ودخل عبد الناصر والملك حسين في ميثاق دفاعي ، واعلنت مصر استعدادها للاشتراك في لجنة الهدنة المشتركة التي اقترحها كل من يو ثانت وانكلترا . وكانت مهمة هذه اللجنة مراقبة الاحداث الجارية على الحدود . وفي ثلاث مناسبات مختلفة اعرب عبد الناصر عن نواياه في القتال اذا ما أخذت اسرائيل مبادرة الهجوم . وحينما أعلن الحصار فانه قال : « اذا كانت اسرائيل تريد أن تهاجمنا هذه المرة بدون فرنسا وبريطانيا فاننا مستعدون » (١٣) . وأخبر تجمعا من نقابات العمال انه « اذا قامت اسرائيل بهجوم ، فاننا سنخوض ضدها القتال بصورة شاملة » (١٤) . وأوضح عبدالناصر في مؤتمر صحفي ان مصر لم تكن تنوي مهاجمة اسرائيل ، غير انها مستعدة لان تحمي بواسطة القوة العسكرية المزايا الاستراتيجية التي حصلت عليها . وان فرض الحصار وكل الاجراءات الاخرى التي اتخذت في غضون الاسبوعين الماضيين هو مقاومة العدوان (١٥) . ووعد يو ثانت بأنه لن يهاجم اسرائيل (١٦) . كذلك طمان عبدالناصر انطوني ناتينغ ، وكان وزير دولة في بريطانيا ، انه حقق فرضه بعد ان استعيد الوضع الذي كان قائما قبل ١٩٥٦ (١٧) . وكتبت وكالة الانباء الالمانية (dpa) ، ومراسل جريدة Süddeutsche Zeitung في القاهرة عن خطب نارية وموسيقى عسكرية واستعداد نفسي لدى سكان القاهرة ، لكنهما شددتا على انه لم يحدث اي شيء حاسم . فلم يتم اي استعداد ذي مغزى للاحتياط ولا اية تعبئة للمدنيين (١٨) .

حينما أعلنت انباء الحصار ، أعلن ناطق باسم الحكومة الاسرائيلية ان اسرائيل لن تتجهل الحصار طويلا (١٩) . وفي واشنطن سعى ايبان للحصول على تأكيدات بأن الولايات المتحدة ستقوم بعمل ما لضمان حرية المرور للسفن الاسرائيلية عبر مضائق تيران (٢٠) . وفي نهاية ايار أعلن ايبان ان اسرائيل ستتصرف وحدها ، اذا دعت الضرورة ، أي اذا لم يبدأ أي عمل دولي على الفور . وجوابا على سؤال حول مدى استعداده للانتظار أجاب : « انني أعني وقتا قصيرا . انني لا أرغب في أن أقول أن ذلك يعني بضعة ايام أو اسبوع ، لكنه قطعا لا يعني أشهر أو سنوات » (٢١) . وأكثر ذلك : « ان اسرائيل مستعدة للقتال وستقدم تضحيات غير محدودة لضمان أمنها » (٢٢) . وفي هذا

الصدد فانه لامر ذي مغزى ان رئيس الوزراء البريطاني، ولسون، الذي كان يتفاوض مع جونسون وايان اضطر لبدء ملاحظة مفادها انه لم يبق اكثر من يوم او يومين (٢٣) . ورفض السفير الاسرائيلي في الامم المتحدة الاشتراك في لجنة الهدنة التي كان اقترحها كل من يو ثانت وانكلترا (٢٤) .

وقال اشكول اولاً انه يريد رفع الحصار بالوسائل الدبلوماسية ، لكنه احتفظ بحق اسرائيل في الدفاع عن النفس . وكان اشكول يقصد بـ « الوسائل الدبلوماسية » عملاً غورياً من جانب الولايات المتحدة ، وبريطانيا وغيرها من البلدان (٢٥) . وذكر في الوقت نفسه ان النقد الموجه في اسرائيل الى « الموقف المسالم » لاشكول اصبحت « أعلى وأعلى » (٢٦) . وكان الحديث التالي لاشكول حول هجوم مزعوم على كيبوتز نحال عوز على حدود قطاع غزة . وادعى اشكول اكتشاف بداية موجة جديدة من الارهاب تقودها القاهرة : « اننا قد نشهد عودة الوضع الذي كان قائماً في ١٩٥٦ ، حينما تسبب رجال العصابات المصريون بحملة سنياء بأعمالهم التخريبية اليومية . ان أي ازدياد في الاستنزازات ينبغي ان يقود الى ضربات اسرائيلية مضادة والى تخطي كل الاعتبارات والجهود الدبلوماسية » (٢٧) .

ووردت تقارير متضاربة حول حادث نحال عوز ، ولم تتخذ الامم المتحدة أي موقف رسمي (٢٨) . وفي اليوم السابق للحرب قال اشكول انه سيحصل على العبور الحر الى البحر « بكل الوسائل الممكنة ، اذا لزم الامر » (٢٩) .

وذكرت تقارير من اسرائيل ان فكرة التوصل الى حل وسط حول الحصار مرفوضة عموماً ، وان الصحف والرأي العام كانا يطالبان بدايان وانه جرت تعبئة كاملة للمدنيين (٣٠) .

وتكتسب التطورات التالية أهمية خاصة اذا ربطناها مع ما سبق . عرض يو ثانت قبل سحب قوات الامم المتحدة من مصر ان يضعها في الاراضي الاسرائيلية، لكن الحكومة الاسرائيلية رفضت العرض (٣١) . ووفقاً لأعضاء الوزارة الاسرائيلية ، الذين ظهرت تصريحاتهم في الصحف الاسرائيلية ، فان الوزارة اجرت في ٢٧/٢٨ أيار تصويتاً حول ما اذا كان ينبغي على اسرائيل ان تخوض الحرب ، وكانت النتيجة ٩ أصوات مع الاقتراح ، و ٩ ضده . لكن ثلاثة من الذين صوتوا ضده (أعضاء الحزب الديني - القومي) لم يكونوا ضد الحرب بحد ذاتها : فقد جعلوا موافقتهم مشروطة بادخال حزبين يمينيين ، حزب رافي وحزب جاحال ، الى الحكومة بحيث يصبح دايان او بن غوريون وزيراً للدفاع . وقد تمت الاستجابة لهذا الشرط في ١ حزيران (٣٢) . أكثر من ذلك، حينما وجهت اسرائيل ضربتها لم تكن قوة الطيران المصرية حتى في وضع استعداد للعمل وتم تحطيمها كلياً تقريباً على الارض .

ان الاستنتاج الذي تستتبعه الوقائع السابقة ، وهو ان الهجوم العربي لم يكن محتملاً ، اكده ٤ من أصل ١٢ جنرالاً كانوا يشكلون في ذلك الحين هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي (٣٣) . فقد قال الجنرال رايبين ، رئيس الاركان ، في مقابلة مع اريك رولو ، نشرت في لوموند : « لا اعتقد ان عبد الناصر كان يريد الحرب . فالفرقتان اللتان ارسلهما الى سيناء في ١٤ أيار لم تكونا تكفيان لشن هجوم ضد اسرائيل . وكان هو يعرف ذلك كما كنا نحن نعرف ذلك أيضاً » . وجواباً على سؤال حول سبب اقدام اسرائيل على الهجوم مع ان الحصار لم يكن مسألة حياة او موت بالنسبة لاسرائيل وبرغم ان عبد الناصر كان مستعداً للمساومة ، وخاصة فيما يتعلق بشحنات النفط ، قال رايبين : « انني اكرر ان اغلاق خليج العقبة كان بحد ذاته سبب الحرب بالنسبة

لنا . لكن ، وفي الجوهر ، أثارت الحرب مجموعة من العوامل المحلية والدولية . فالدور الخبيث للاتحاد السوفياتي أتى ليزيد حدة المشاعر والحقد الذي يحكم المنطقة » . وعبر نائب راين ، الجنرال بارليف ، والجنرالان الآخران عن آرائهم في مقابلات مع صحف اسرائيلية . قال بارليف : « لم تكن مهددين بالموت عشية حرب الأيام الستة ولم يخطر ببالنا اطلاقاً مثل هذا الاحتمال » . وقال الجنرال بيليد : « ليس هنالك سبب لاختفاء واقع انه منذ ١٩٤٩ لم يجرؤ أحد ، أو بتعبير أكثر دقة ، لم يكن أحد في موقع يتيح له تهديد وجود اسرائيل نفسه . ومع ذلك فقد استمرينا في رعاية شعور النقص ، وكأنا شعب ضعيف وقليل الشأن يعيش في مضائق كثيفة ويناضل للحفاظ على وجوده في وجه اباده وشيكة . . . انه لامر معروف جيدا ان القادة العرب انفسهم كانوا مدركين لعجزهم ولم يكونوا يؤمنون بتهدياتهم هم . انني مقتنع ان أركاننا العامة لم تقل للحكومة يوما أن هنالك أساسا للتهديد العسكري المصري لاسرائيل ، او اننا غير قادرين على سحق جيش عبدالناصر الذي كشف نفسه ، بغيا لم يسبق له مثيل ، أمام الضربات المدمرة لقواتنا . أما كل تلك الأتاصيص حول الخطر الهائل الذي كنا نواجهه بحكم حجمنا الاقليمي الصغير ، وتلك احدى الحجج التي عرضت بعد انتهاء الحرب ، فانها لم تدخل في حساباتنا قبل اندلاع الحرب . وفيها كنا نسير نحو التعبئة الكاملة لقواتنا فان أي شخص عاقل لم يكن باستطاعته أن يصدق ان كل هذه القوة ضرورية « لدفاعنا » ضد التهديد المصري . لقد كانت تلك القوة ضرورية لكي نسحق نهائيا المصريين على المستوى العسكري وأسيادهم السوفيات على المستوى السياسي » .

وقال الجنرال وايزمان : « . . . حينما فرض الحصار على مضائق تيران كانت المسألة ما اذا كان ينبغي ان نخوض الحرب لاعادة فتح المضائق وليس لاننا مهددون بالابادة لو لم نفعل . ولو نتجت المسألة عن الاعتبار الثاني لكان القرار أسهل كثيرا . ففي حالة كهذه ما كنا انتظرنا مدة اسبوعين مرهقين للاعصاب ، بل كنا سرنا فوراً نحو الحرب لان ارواحنا في خطر . ان هذه الاشياء تتعارض مع شعار الـ « لا خيار » . فهذا الشعار يتبناه يهود الثنات الذين ، خدمة لاغراضهم ، يريدون أن يرونا أبطالا يقفون بثبات وظهورهم الى البحر . ان محذور التدمير قد انزاح فعلا عن اسرائيل اثناء حرب الاستقلال » .

وأكد الرئيس جونسون هذا الاستنتاج في مذكراته : « عشية ٢٦ أيار اجتمعت مع وزير الخارجية الاسرائيلي ، أبا ايبان ، الذي كان اتصل باتفونيا بواشنطن قبل ذلك بقليل . وكان حديثنا مفتوحا وصريحا . وقال ايبان انه وفقا لمعلومات الاستخبارات الاسرائيلية فان الجمهورية العربية المتحدة تخطط للقيام بهجوم واسع النطاق . فطلبت من ماكنمارا الذي كان موجودا ، أن يقدم لايان خلاصة لاستنتاجاتنا . وقال ماكنمارا ان ثلاث مجموعات منفصلة من « وكالة المخابرات المركزية » كانت تتابع المسألة . وانه وفقا لمعلوماتنا وتقييمنا للامور فلن يحدث أي هجوم من جانب الجمهورية العربية المتحدة ، « وأن كل العنيين بالامر في وزارة الدفاع متفتنون على أنكم ستصيبون الجمهورية العربية المتحدة بضربة جهنمية اذا ما هاجمكم » (٢٤) .

كذلك أكد ايبان في خطابه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة ان حصار خليج العقبة سيؤدي الى خنق اسرائيل . وفي مناسبة أخرى قال ان مرقا ايلات « أسابني بالنسبة لوجود « اسرائيل وان الحصار سيؤدي الى « عزل المرقا وخرابه » والى « الايقاف التام للسفن » المتجهة اليه (٢٥) . ودعونا نتذكر ان عبدالناصر أعلن ان مضائق تيران ستغلق أمام السفن الاسرائيلية وكل السفن الأخرى التي تحمل مواد استراتيجية الى ميناء ايلات .

ووفق النشرة الإحصائية لإسرائيل عن السنة ١٩٦٦ فإن ٧ بالمئة من مجمل الصادرات الإسرائيلية مرت عبر أيلات . وتم شحن ما يقارب ربع هذه النسبة على متن سفن إسرائيلية . أما الواردات عبر أيلات (باستثناء النفط الذي سنبحث فيه بصورة منفصلة فيما بعد) فشكلت ٢ بالمئة من مجمل الواردات . وقد تسم نقل حوالي نصف هذه الواردات بواسطة السفن الإسرائيلية (٣٦) . أما السفن الأجنبية التي لم تكن تحمل مواد حربية فلم تتأثر بالحصار وكان باستطاعتها أن تستمر في نقل البضائع من أيلات واليهما . وفي عطلة الاسبوع التي سبقت الحرب نشرت أنباء أفادت أن أية سفينة إسرائيلية ترفع العلم الإسرائيلي لم تكن قد استخدمت المرفأ منذ سنتين (٣٧) . وبالنظر الى واقعة ان الرئيس عبدالناصر أكد أنه لن يسمح بمرور سفن ترفع العلم الإسرائيلي ، فان احتمال استمرار عبور سفن إسرائيلية مؤجرة ترفع أعلاما أجنبية لم يكن احتمالا يصح تجاهله كليا . والنتيجة : ان المقدار الضئيل من الصادرات عبر أيلات لم يتأثر اطلاقا ، أو أنه تأثر بصورة طفيفة فحسب . أما الكمية القليلة جدا من الواردات فلم تتأثر بدورها أو انها تأثرت في أنسوا الاحوال بنسبة النصف ، هذا على افتراض ان المواد الاستراتيجية لا تدخل في الموضوع .

لم ينشر الإسرائيليون حتى الآن أي تقرير عن شحناتهم النفطية (٣٨) . ويمكن لنا افتراض أنه وفق الممارسة السائدة كانت الشحنات تتم بواسطة الشركات النفطية الكبرى ، أي بواسطة سفن أجنبية . وحينما اندلعت الحرب لم تكن قد حسمت بعد مسألة ما إذا كان ينبغي شمول الحصار لشحنات النفط . فبعد اعلان الحصار اقترح جونسون وويلسون ، يطلب من هذا الأخير ، حلا وسطا . وقد اقترحا صدور اعلان عن القوى البحرية تعبر فيه عن تأييدها للعبور الحر لكل السفن عبر خليج العقبة . وبعد ذلك تحاول السفن الأجنبية التي تحمل النفط وغيره من المواد الى أيلات ان تعبر مضائق تيزان ، الامر الذي يرغم عبدالناصر على توضيح معنى « المواد الاستراتيجية » والنطاق الفعلي للحصار . ولو تحققت خطة الحل الوسط هذه لكانت إسرائيل أمنت تزويدها بالنفط بصورة تامة ، ولكان عبدالناصر حصل على الاعتراف بادعائه السيادة على خليج العقبة (٣٩) .

كان لدى جونسون وويلسون بعض الحشيات التي تجعلها يتوقعان ان يقبل عبدالناصر الحل الوسط المقترح ، ففي توضيحه لأسباب فرض الحصار شدد عبدالناصر على التهديدات الإسرائيلية المسبقة ضد سوريا ، بحيث ان ازالة ذلك الخطر كانت ستحدث اختلافا هاما في الوضع . كذلك لاحظ عبدالناصر ان ظهور العلم الإسرائيلي في الخليج يثير نفور المصريين . وأكثر من ذلك فإسرائيل متفوقة كثيرا على الدول العربية . وفي أي حال أفاد جونسون وويلسون انهما لم يكونا يريدان الحؤول دون إمكانية التوصل الى حل وسط قبل القيام بعبور تجريبي . وتبعاً لذلك فقد طلبا الى الإسرائيليين ان يضبطوا انفسهم .

لكن الحكومة الإسرائيلية رفضت مشروع الحل الوسط . وأعلن أيان ان إسرائيل لن توافق على أي ترتيب يسمح بعبور السفن الأخرى بينما تبقى سفن إسرائيل تحت الحصار (٤٠) . وأصر على أن تقوم الولايات المتحدة « بعمل ما » لصالح مرور السفن الإسرائيلية . إلا اضطرت إسرائيل الى العمل بمفردها (٤١) . وبكلمات أخرى : حتى لو ان إسرائيل حصلت على كل ما تحتاجه من النفط بواسطة السفن الأجنبية ، كما كانت تفعل في الماضي ، ولم تعان من أية أضرار اقتصادية مهمة ، فان الحكومة الإسرائيلية سوف تصر على مرور السفن الإسرائيلية .

وللانتهاه من هذه النقطة : لا شك في أن مصر كانت ستحمل إسرائيل بعض التكاليف الإضافية لو أن عبدالناصر رفض مشروع الحل الوسط ولم يحدث شيء لتغيير الوضع . فقد اختصرت إسرائيل ، بعد اقتحامها خليج العقبة في ١٩٥٦ ، الطريق الأطول كثيرا حول إفريقيا . لكننا معنيون بالزعم القائل أن عمل إسرائيل كان مبررا بحكم الضرورة . واستنادا الى وقائع هذه القضية فإن ذلك الزعم لا يمكن قبوله جديا .

[٢]

وإذا انتقلنا الى بحث مسألة ما إذا بدء الاعمال العدائية مبررا وفق معايير القانون الدولي ، فإن إمامنا المادة ٢ (٤) من ميثاق الأمم المتحدة . ووفقا لهذا البند الزم الأعضاء أنفسهم بالامتناع عن استخدام القوة : « أن كل الأعضاء سوف يمتنعون في علاقاتهم الدولية عن التهديد بالقوة ، أو استخدامها ، ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي دولة ، أو بأية طريقة أخرى غير متوافقة مع أغراض الأمم المتحدة » .

وعلى غرار ذلك تنص المادة ٢ (٣) : « أن كل الأعضاء سوف يسوون نزاعاتهم الدولية بالوسائل السلمية وبطريقة لا تعرض السلام والأمن الدوليين ، والعدالة ، للخطر » .

ومن الواضح أن اشعال الحرب أمر يقع ضمن المعنى الحربي للتحريم المفروض على استخدام القوة . دعونا نتأمل الآن فيما إذا كان عمل إسرائيل قابلا للتبرير استنادا الى أي بند آخر في الميثاق او الى أية قاعدة في القانون الدولي المتعارف عليه .

وتتضمن المادة ٥١ استثناء بالنسبة للمادة ٢ (٤) : « أن شيئا في الميثاق الحالي لن يمس الحق الأصلي ، الذاتي أو الجماعي ، للدفاع عن النفس إذا ما حدث اعتداء مسلح على أحد أعضاء الأمم المتحدة ، وذلك الى حين اتخاذ مجلس الأمن الاجراءات الضرورية للحفاظ على السلام والأمن الدوليين » .

وتعتبر اكثرية المحامين الدوليين المادة ٥١ الاستثناء الوحيد لتحريم استخدام القوة الذي ينطبق في هذه الحالة (٤٢) . أما بالنسبة لمفهوم « الاعتداء المسلح » فإن وجهات نظرهم تتباين . فالبعض يفسره ليعني هجوما بدأ فعلا ، حسب المعنى الذي يبدو ان الكلمات تتضمنه . هذا بينما يرفض الآخرون ان يعتبروا الكلمات بصورة جديّة الى هذه الدرجة : فالهجوم الوشيك الحدوث يكون أيضا كافيا لتبرير استخدام القوة دفاعا عن النفس وفق المادة ٥١ .

ويعتبر علماء آخرون في القانون الدولي ان القانون العرفي للدفاع عن النفس ، الذي كان قائما قبل ١٩٤٥ ، ما زال ساري المفعول ، بحيث انهم يعتبرونه استثناء آخر للمادة ٢ (٤) . وعلى العموم فانهم يعلنون هذا الحق بالطريقة نفسها التي يفضل علماء آخرون ان يعلنوا بواسطتها المادة ٥١ : ان استخدام القوة العسكرية دفاعا عن النفس مسموح به كذلك في حالة التعرض لخطر هجوم وشيك . والصياغة الكلاسيكية لوجهة النظر هذه هي كما يلي : ينبغي ان تكون هناك ضرورة للدفاع عن النفس ، وأن تكون هذه الضرورة عاجلة وطاغية بحيث لا تترك مجالا لاختيار الوسائل او لحظة للتفكير . ويعني هذا ان الحروب الرادعة بمعنى الحروب التي تخاض بغرض تجنب أخطار ممكنة في المستقبل لا تعتبر اجراءات متخذة دفاعا عن النفس .

لن أدخل في نقاش الحجج المؤيدة والحجج المعارضة لوجهات النظر هذه . فقد جرى

وصفها بصورة كافية في أماكن أخرى ، وهي كلها ، في نظري ، قابلة للدفاع عنها ، كما أن حل المسألة الأساسية التي تعيننا هنا لا يعتمد على تحديد أي منها هو الأصح . لكن ينبغي التشديد على شيئين مشتركين في وجهات النظر هذه . أولا ، أن أية دولة لا تملك حق استخدام القوة العسكرية للدفاع عن النفس إلا إذا كان ذلك ضروريا لصد اعتداء أو اعتداء وشيك . ثانيا ، أن القوة المستخدمة ينبغي أن تكون متناسبة مع الضرر الذي سببه الطرف الآخر أو هدد بالتسبب به . وفي نقطة لاحقة سأبحث وجهة نظر أخرى أقل انتشارا تفيد أن استخدام القوة مسموح به أيضا في حالات ما يسمى الضرورة . لكننا الآن سنطبق المواقف التي بحثناها سابقا على الحالة المعروضة أمامنا .

يتضح من الوقائع التي تم عرضها في القسم (١) أنه لم يكن هنالك نية لشن هجوم عربي حينما افتتحت إسرائيل الأعمال العدائية . لكن ماذا عن احتمال أن الخطوات التي اتخذتها مصر لإغلاق مضائق تيران أعطت إسرائيل حق خوض الحرب دفاعا عن نفسها ؟ قال إيبان في خطابه أمام الأمم المتحدة : « أن الحصار هو حسب تعريفه عمل حربي تم فرضه وتنفيذه بواسطة العنف المسلح . . . ومنذ ٢٤ أيار وصاعدا ، أصبحت مسألة من بدأ الحرب أو من أطلق الطلقة الأولى غير ذات أهمية إلى درجة كبيرة . فليس هنالك فرق في القانون المدني بين قتل رجل بواسطة الخنق أو قتله برصاصة في رأسه . ومنذ اللحظة التي فرض فيها الحصار فإن الحرب الفعلية ابتدأت ولم تعد إسرائيل ملزمة أمام مصر بأي من حقوقها التي ينص عليها الميثاق » .

وسوف نحكم الآن هذا التأكيد في ضوء بضعة اعتبارات .

١ - أن السؤال الأول الذي يبرز هو ما إذا كان لمصر الحق في الدفاع عن النفس على أساس حالة الحرب القائمة مع إسرائيل والتي تسمح لمصر بإغلاق خليج العقبة . وللإجابة على السؤال ينبغي للمرء أن يدرس اتفاقية الهدنة التي أبرمتها مصر وإسرائيل في ١٩٤٩ . أن المعزى التقليدي لاية اتفاقية هدنة هو أنها تحرم الأعمال العسكرية ، غير أنها ليست معاهدة سلام أو بياناً رسمياً يفيد أن النزاع الأساسي حول الحدود ، أو حقوق اللاجئين أو أية مسألة أخرى سوف ينتهي . ويعني ذلك ، من بين أشياء أخرى ، أن دولة تسيطر على ممر مائي يحق لها أن تمنع مرور كل سفن العدو والسفن المحايدة التي تحمل مواد حربية إلى الطرف الآخر . وأن التهديدات باستخدام القوة ، والزيارات ، وأعمال التفتيش وحتى الاستيلاء على السفن التي ينبغي القيام بها من أجل تنفيذ ذلك ليست خارج القانون (٤٣) . ووفقا لذلك فإن مثل هذه الإجراءات لا تعتبر أعمالاً عدائية . وهكذا يقول أوبنهايم - لوتريخت : . . . بما أن الهدنة لا تضع حدا للحرب ، وبما أن ممارسة حق التفتيش ليست عملاً حربياً ، فمن الممكن إذا ممارسته في وقت الهدنة الجزئية أو الكاملة (٤٤) . ويوجد استثناء لهذه القاعدة في الحالات التي يستثنى فيها أطراف الهدنة بشكل خاص حق الحصار ، لكن الاتفاقية المصرية - الإسرائيلية لا تتضمن أي بند من هذا النوع (٤٥) .

والتبرير الذي يعطى عادة لدعم هذه القاعدة العرفية هو أن المصلحة في الدفاع عن النفس ينبغي أن تلتى الأفضلية طالما يبقى النزاع السياسي الأساسي وحالة الحرب قائمين . وحتى ذلك الحين فإن احتمال حدوث هجوم جديد احتمال جدي ، كما أن نطاق الإجراءات المسموح بها يتناسب مع الحاجة التي عرقلت استعدادات العدو . ويمكن للمرء ، منطقياً ، أن يتخذ موقف أنه ينبغي إزالة هذه القاعدة ، لأن إجراءات كهذه قد تستنزف الطرف الآخر ، خاصة إذا كان أقوى عسكرياً .

ان وجود القاعدة العرفية لم يوضع موضع التساؤل من جانب مندوبي اسرائيل . لكن ايبان وشابتاي روزين ، المستشار القانوني لوزارة خارجية اسرائيل ، عبرا عن وجهة نظرهما بأن الهدنة المصرية الاسرائيلية ، ورغم ذلك ، وضعت حدا لحالة الحرب القائمة بين الدولتين ، بحيث لم يعد حق الحصار قائما بعد سريان مفعول الهدنة . وفي خطاب امام مجلس الامن في ١٩٥١ ، في وقت كانت فيه قضية المرور عبر السويس قضية مطروحة ، بنى ايبان دعواه على المادة ٧ ، المقطع ٢ ، من اتفاقية الهدنة : « هذه الاتفاقية ... سوف تبقى سارية المفعول الى حين تحقيق تسوية سلمية بين الطرفين ... » . وقال ايبان : « ان اتفاقية الهدنة هذه ليست مجرد تعليق للاعمال العدائية بترك حقوق القتال على حالها . ان هذه الاتفاقية ، كما يكرر نصها نفسه باستمرار ، عبارة عن تخل دائم وغير قابل للنقض عن كل الاعمال العدائية » (٤٦) .

ومع ذلك فان قصد الطرفين في عدم خلق وضعية نهائية بمعنى معاهدة سلام واضح رغم « التخلي الدائم » عن كل الاعمال العدائية . فالاطراف المتعاقدة نفسها تصف الاتفاقية بأنها هدنة، وتعايير الاتفاقية تتضمن مسائل عسكرية فقط بينما تترك قطاعا النزاع السياسي لاتفاقات مقبلة، كما ان التمييز بين الاتفاقية ومعاهدة السلام يرد في نفس البند الذي استشهد به ايبان : « هذه الاتفاقية ... سوف تبقى سارية المفعول الى حين تحقيق تسوية سلمية بين الطرفين ... » وينص الامر نفسه بالنسبة للمادة ١ ، المقطع ٤ : « ان اقامة هدنة بين القوات المسلحة للطرفين مقبول بوصفه خطوة لا غنى عنها نحو تصفية النزاع المسلح واعادة السلام في فلسطين » . وكان غرض اتفاقية الهدنة منع الاعمال العسكرية الى حين انتهاء حالة الحرب ، فلم تكن مهمتها اذا انتهاء حالة الحرب نفسها . وقد اشرنا سابقا الى ان الاجراءات موضع البحث هنا ليست اعمالا عدائية وفق القاعدة القانونية القائمة .

ويقتر مؤلف رسالة صدرت مؤخرا (٤٧) ان الهدنة المصرية - الاسرائيلية لم تضع حدا لحالة الحرب بين البلدين . غير انه يتمسك بوجهة نظر ان استمرار حق الزيارة والتفتيش ، السخ ، بعد الهدنة لا يعتمد على وجود حالة الحرب وحدها . فهناك شرط اضافي : ان تكون الاطراف المعنية تخلت عن الاعمال العدائية مؤقتا وليس بصورة دائمة . وعلى غرار ايبان فانه يصف التحريم الوارد في الهدنة المصرية - الاسرائيلية بأنه دائم . وللبهنة على هذه النقطة فهو يلفت الانتباه اولا الى الوصف الذي اطلقه القضاة والكتاب القانونيون تكرارا على الهدنة : معاهدة تعلق الاعمال العدائية (غالبا ما يشيرون الى تعليق مؤقت) من غير انتهاء حالة الحرب . وبالإضافة فهو يؤكد انه لا يمكن تبرير حق الاستيلاء على سفينة وحمولتها الا كوسيلة لاعاقبة اعادة تسليح العدو . اما بالنسبة للهدنة المصرية - الاسرائيلية فانه يتابع ليخلص الى الحكم التالي : « ان كلا الطرفين ممنوعان بصورة دائمة من تجديد الاعمال العدائية . وبذلك تزول ضرورة منع العدو من تجديد قوته عن طريق منع تدفق المواد الحربية » .

يمكننا الاقرار ان كلمتي « تعليق » و « تعليق مؤقت » يمكنهما ان تعبرا في الاستخدام العادي عن المعنى الذي يجده كابلهوف - وولف فيهما . فاتفاقية الهدنة التي تجري صياغتها على نحو يسمح بالاعمال العدائية في وقت ما يمكن اعتبارها تعليقا مؤقتا ، اما التخلي عن الاعمال العدائية « الى حين التوصل الى تسوية سلمية » ، أي التخلي الذي يبقى ساري المفعول الى حين بدء تطبيق معاهدة سلام فيمكن اعتباره قاطعا . لكن كابلهوف - وولف لا يشير اطلاقا الى القرار القضائي او الكتابات القانونية التي

تعبر عن فكرة انه، برغم استمرار حالة الحرب فان حق الاستيلاء على سفينة وحمولتها يعتبر مستثنى حينها يظهر مثل هذا التحريم « الدائم » للاعمال العدائية في اتفاقية الهدنة . اكثر من ذلك فهناك مراجع ذات شأن كبير تناقض تفسيره . فقد بينت احدى المحاكم الفيدرالية في الولايات المتحدة ، ومحكمة الاستئناف الفرنسية انهما يجدان الصفة المؤقتة لتعليق الاشتباكات في اية هدنة في واقعة ان الهدنة تدوم الى حين بدء تطبيق معاهدة السلام فحسب . وعلى ذلك فانهما تعتبران التخلي « الى حين التوصل الى تسوية سلمية » « مؤقتا » وليس « ثابتا » . وان واقعة ان الصفة المؤقتة لا تعتبر شرطا ثانيا بل الجانب الآخر من قطعة النقود نفسها جلوية من استخدام مفاهيم « التعليق المؤقت » و « انتهاء حالة الحرب » في المقاطع التالية :

محكمة الولايات المتحدة : « ان الهدنة لا تؤثر سوى في تعليق الاعمال العدائية ، اما الحرب فتظل مستمرة » . ومحكمة الاستئناف (Court de Cassation) : « ان معاهدة الهدنة المعقودة بين طرفين متحاربين لا تشكل سوى تعليق مؤقت للاعمال العدائية ولا تستطيع بحد ذاتها ان تضع حدا لحالة الحرب » (٤٨) .

وأخيرا ، انه لغير واقعي تأكيد أن الحاجة لمنع اعادة تسليح العدو تزول حالما يوافق الطرفان على وضع أسلحتهم جانباً « الى حين التوصل الى تسوية سلمية » ، برغم واقع ان النزاع السياسي الاساسي يبقى مستمرا . وذلك ما يؤكد تاريخ العلاقات المصرية - الاسرائيلية (٤٩) .

في ١٩٥١ التي ابيان خطابا أمام مجلس الامن حول المرور عبر قناة السويس زعم فيه انه لم يعد ممكنا وجود حالة حرب ، وبالتالي حقوق الاطراف المتحاربة ، لان ميثاق الامم المتحدة حرم التهديد بالقوة ، واستخدامها . على ذلك استخلص ابيان ان الحرم المفروض على المرور عبر مضائق تيران ، والذي لا سبيل لتبريره الا بالاستناد الى حقوق الاطراف المتحاربة ، غدا غير شرعي .

« لقد خلق الميثاق عالما جديدا من العلاقات الدولية لا سبيل ضمنه الى تجسيد « حقوق الحرب » التقليدية . وليس صدفة ان حقوق الاطراف المتحاربة لم تقر ولم ترد الاشارة اليها سواء في الميثاق او من قبل أي من أجهزة الامم المتحدة . ان أعضاء الامم المتحدة ملتزمون بالامتناع كليا ، في علاقاتهم الدولية ، عن استخدام القوة او التهديد باستخدامها ، الا اذا كان ذلك لصالح أغراض الامم المتحدة . وعلى ذلك لا يمكن ان يكون مجال ضمن نظام الميثاق لاية عقيدة شاملة لحالة الاشتراك الفعلي في الحرب ، لان هذه الحالة ليست سوى صيغة سياسية وقانونية لتنظيم التهديد بالقوة او استخدامها » (٥٠) .

وينبغي التشديد أولا على انه تم التمييز حتى الان ما بين *bellum iustum* و *ius in bello* . وعلى ذلك ليس ثمة تبرير للانطلاق من واقع ان الميثاق لا يتضمن شيئا حول قواعد الحرب لاستنتاج انه يلغونها (٥١) . لكن تبقى مسألة ما اذا كانت ممارسة حقوق حالة الاشتراك الفعلي في الحرب تتناقض مع غرض الميثاق في تحديد استخدام القوة . وقد بين ريتشارد باكستر ان لا وجود لمثل هذا التناقض . فالقواعد التي تتناول ادارة الحرب - والتي تشمل حق الاستيلاء على سفينة مع حمولتها - تستهدف ايضا حصر استخدام القوة (٥٢) . ويطور باكستر هذه الفكرة في نص آخر : « ان القناعة التي يجري ترديدها مرارا بأن ميثاق الامم المتحدة الغى الحرب وان المتحاربين يفتقدون بالتالي السلطة القانونية لاتخاذ اجراءات حربية في ظل قانون الحرب تطالب في الواقع ان تزول من الوجود مجموعة من القوانين المكرسة لتقييد العنف الذي قد يستخدمه

التحاربون من قبل ان نعتبر المؤسسة البشرية التي تتناولها هذه القوانين غير شرعية . ان الاستناد المتكرر لاطراف النزاع نفسها الى مبادئ قانون الحرب ، واستنتاج الهدنة نفسها ، والاشارات التي لا تحصى الى « الحرب » بين اسرائيل ومصر تم عن وجهة نظر واقعية للنزاع لا تتفق مع الاعتراض النظري المرتكز الى ميثاق الامم المتحدة « (٥٦) » .

وبعد نقاش في ١٩٥١ حول المرور عبر قناة السويس اتخذ مجلس الامن قرارا يدعو مصر الى السماح بعبور السفن المرتبطة باسرائيل ، مع شحناتها ، القناة . وقد صوتت البرازيل ، واكوادور ، وفرنسا ، وهولندا ، وتركيا ، وانكوترا ، والولايات المتحدة ويوغوسلافيا لصالح القرار . وجاء في فاتحة القرار : « ان ايا من الطرفين لا يستطيع ان يؤكد ، بصورة منطقية ، انه في حالة حرب فعلية او ان يطالب بممارسة حق الزيارة ، والتفتيش والاستيلاء لغرض شرعي يتعلق بالدفاع عن النفس » . ما هو هذا القرار بالنسبة للنزاع حول المرور في خليج العقبة ؟ ان المرء قد يرغب في تطبيق الغرض الذي يستهدفه قرار مجلس الامن على حالات مماثلة مع ان المعنى الحرفي للقرار ليس واسعا بما فيه الكفاية لشمولها . لكن المرء يتردد في انتزاع القرار المتعلق بتطبيق القرار الى حالات كهذه من يدي مجلس الامن . وثمة بيانات صادرة عن كتاب قاتونيين تدعم كلا الموقفين (٥٤) ، ولكن ليس هنالك مصدر مخول صلاحية التفسير في حالات كهذه . اكثر من ذلك ، فهذا القرار كان مجرد توصية من اجل حسم النزاع وليس قرارا او امرا يمكن له ان يغير الحقوق والواجبات القائمة (٥٥) . واخيرا ، حينما هوجمت مصر في ١٩٥٦ ، فان الاساس المنطقي للنتيجة التي كان مجلس الامن قد توصل اليها ، من ان الحرم المفروض على مرور السفن ذات الصلة باسرائيل عبر قناة السويس ليس مبررا كاجراء دفاعي ، لم يعد قابلا للتطبيق .

ب — دعونا نفترض انه برغم الاعتبارات السابقة فان مصر واسرائيل لم تكونا في حالة حرب . ومنذ هذه اللحظة نستطيع ان نسقط احتمال ان مصر كانت مخولة اغلاق مضائق تيران بسبب حاجة استثنائية لاتخاذ اجراءات امنية في وقت اعلان الحصار لكن ليس واضحا ما اذا كان يوجد حق متعارف عليه في وقت السلم للمرور عبر مضائق تربط اعالي البحار بالمياه الاقليمية لدولة ما . وحينما كانت لجنة القانون الدولية تقوم بتقنين قانون البحر فان الحكومة الاسرائيلية طالبتها باتخاذ موقف من المسألة . ومع ان اللجنة اعربت عن وجهة نظرها بوجود حق للمرور عبر المضائق التي تربط جزئين من اعالي البحار ، فانها اعلنت ان قضية المرور عبر مضائق تيران « حالة استثنائية ليس ممكنا ادخالها ضمن قاعدة عامة » (٥٦) . وفي ١٩٥٨ اعلن مؤتمر جنيف في المادة ١٦ من الميثاق حول البحر الاقليمي والقطاع الجاور : « سوف لن يحدث اي تعليق للمرور البريء لسفن اجنبية عبر مضائق تستخدم للملاحة الدولية بين جزء من اعالي البحار وجزء اخر من اعالي البحار او البحر الاقليمي لدولة اجنبية » (٥٧) .

لكن مصر لم تكن طرفا في المعاهدة وبالتالي فانها لم تكن مقيدة بتفويضها (٥٨) . لكن بغض النظر عن الطرف الذي يمتلك الاحقية في هذه المسألة ، فان استنتاج ان عمل اسرائيل لم يكن مبررا وفق معايير القانون الدولي يبقى قائما . وبالتأكيد فان اعلان الحصار واغلاق الممر المائي يشكلان خرقا للمادة ٢ (٤) ، هذا اذا افترضنا انه لم تكن هنالك حالة حرب وان هذه الاجراءات لم تكن قابلة للتبرير على اساس الامن . غير ان المسألة هي ما اذا كانت اجراءات مصر شكلت هجوما مسلحا او هجوما وشيك الحدوث . ومن الواضح ان اعلان الحصار ليس هجوما . والمدافع المصرية في مضائق

تيران لم تطلق اي طلقة ، ولم تقترب منها اي سفن — حتى بغرض جس نبض النوايا المصرية ، مما كان يمكن ان يؤدي الى طلقات تحذيرية . وفي حالة قناة كورفو اصدرت محكمة العدل الدولية حكما حول مسألة ما اذا كان يحق لانتكثرا ان تزيل حقل الغمام زرعته البانيا في القناة . ومع ان المحكمة حكمت بان انتكثرا تملك حق المرور ، وان الاغلاق عمل غير شرعي ، فانها اكدت ان ازالة الالغام عمل غير شرعي كذلك . وهكذا لم يعتبر اغلاق المر المائي كافيا لتبرير استخدام القوة (٥٩) .

ج — حينما أعلن عبد الناصر الحصار فانه أكد على واقعة ان اسرائيل كانت قد هددت سوريا . وجددير بالذكر ان الميثاق حول البحار الاقليمي ، الذي تشكل اسرائيل احد الاعضاء المنتزمين به ، وافق على الاعتراض الموقت للمرور في مضائق تيران من قبل الدولة الساحلية « اذا كان هذا التعليق ضروريا لامنها » . وتضمن قرار مجلس الامن لعام ١٩٥١ الذي يتعلق بالمرور عبر قناة السويس ، والذي أعلن ان مصر لا تستطيع منطقتيا الزعم بان الاغلاق كان ضروريا « لغرض شرعي يتعلق بالدفاع عن النفس » ، ان ظروفها كهذه يمكن ان تبرر اغلاق المر المائي . ويشمل المفهوم الاوسع للمادة ٥١ ، وكذلك القاعدة العرفية المناسبة التي تسمح باستخدام القوة في حالة خطر هجوم وشيك ، العمل الذي قامت به مصر . فالتهديدات الاسرائيلية كانت قوية كما انها كانت — في ضوء التجربة الماضية — مقنعة . وكما بينت في القسم (١) فانه لامر معتاد تاما ان يتخذ الدفاع الشرعي عن النفس شكل اعمال الحصار ضد سفن العدو والسفن الاجنبية التي تحمل موادا حربية محظرة . والتهديدات الاسرائيلية يمكن ان تبرز الاجراءات المصرية ، هذا برغم واقعة انها وجهت ضد سوريا وليس مصر ، وذلك لان المادة ٥١ تسمح بحق الدفاع الجماعي عن النفس (١٠) . ومن جهة اخرى ، اذا ما جرى تفسير المادة ٥١ على اساس ان الهجوم الذي يكون بدأ فعلا هو وحدة الذي يبرر استخدام القوة العسكرية ، فان اعلان الحصار واغلاق الممرات لا يعودان يشكلان اجراء للدفاع عن النفس ، هذا اذا افترضنا انه لم تكن هنالك حالة حرب قائمة . وهكذا توصل احد العلماء الذين يؤيدون وجهة النظر هذه بالنسبة للمادة ٥١ الى ان « الحجر » الكوبي في ١٩٦٢ شكل خرقا للمادة ٢ (٤) بغض النظر عما اذا كان هنالك خطر هجوم وشيك على الولايات المتحدة (٦١) . لكن حتى اذا افترض المرء ان هذا التفسير للمادة ٥١ سليم ، فانه يصل على اساس الحجج الواردة في النقطة (ب) الى استنتاج ان افتتاح الاعمال العدائية شكل خرقا للقانون الدولي ، حتى في ظل فرضية ان هذه الاحداث تمت في حالة السلم .

والى جانب الاسباب التي سبق عرضها هنالك اسباب اخرى تؤكد اطروحة ان عمل اسرائيل كان غير شرعي . دعونا نستعيد شروط حق الدفاع عن النفس التي ينبغي تتهمها في ظل كل وجهات النظر التي نتناولها — ان استخدام القوة ينبغي ان يكون ضروريا ، وانه ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار مبدأ التناسب . ان القوة لم تكن وسيلة اسرائيل الوحيدة للخروج من الوضع الذي كان قائما في اوائل حزيران ١٩٦٧ . فقد كان بإمكانها ان تقبل قوات الامم المتحدة ، او ان تدعم خطة الحل الوسط التي كانت ضمنت لها وصول حاجاتها من النفط . ومن اجل توضيح مبدأ التناسب وتبيان كيفية تطبيقه هنا دعونا ندرس حالة واحدة نموذجية : بعد حرب السويس لجأت اسرائيل لتبرير دورها في القضية امام مجلس الامن بالزعم انها تصرفت في حالة دفاع عن النفس . لكن مجلس الامن أعلن ، برغم ذلك ، ان اسرائيل خرقت مبدأ التناسب (٦٢) . وفي الحالة الراهنة فان التفاوت بين الضرر الذي سببته الحرب غير المحدودة والضرر الاقتصادي الطفيف الذي كان يمكن ان تعساني منه اسرائيل بسبب الحصار واضح

تماما . واخيرا فان حق استخدام القوة دفاعا عن النفس ينتهي مع اعادة الوضع السابق الى حاله . فلا ينبغي اساءة استخدامه بغرض الغزو .

في بداية هذا القسم اشرنا الى وجهة نظر يسمح ، وفقا لها ، باستخدام القوة العسكرية في حالات ما يسمى الضرورة . وغالبا ما يوصف هذا الحق المزعوم على انه حق للدفاع عن النفس بمعنى واسع جدا او حق للمحافظة على النفس . ويقول دعاة هذا الموقف ان القانون العرفي يسمح باستخدام القوة في اي وقت يحدث فيه خرق للقانون الدولي يهدد المصالح الجوهرية للدولة المصابة ، حتى ولو ان العمل غير القانوني لم يتخذ شكل استخدام القوة العسكرية . وهم يلحون على ان التقييدات على القوة التي يضعها الميثاق تفترض ان النزاعات قابلة للتسوية سلميا . واذا ما تبين ان هذه الفرضية تفتقد الى اساس سليم في حالة معينة ، فان هذه التقييدات تصبح غير قابلة للتطبيق . كذلك يفترض مؤيدو وجهة النظر هذه ان استخدام القوة للدفاع عن النفس ليس مسموحا به الا اذا لم تتوفر وسيلة اخف ومع مراعاة مبدأ التناسب (١٣) .

ان السؤال حول ما اذا كان مثل هذا الحق العرفي قائما لا يحتاج الى اجابة هنا . فالظروف التي كانت ستجعله قابلا للتطبيق في حالة معينة غير موجودة في هذه الحالة . وفي العديد من الحالات لا يكون واضحا ما اذا كانت المصالح الحيوية معرضة فعلا للخطر ، لكن الامر بالكاد يحتمل الشك في هذه الحالة ، فلو ان الحصار كان فعالا ، لكان على الاسرائيليين ان يتحملوا عبء الرحلة الاطول حول افريقيا ، اي العودة الى الوضع الذي كان قائما قبل ان امنوا بالقوة مروزمهم عبر خليج العقبة ، اثناء حرب السويس . اكثر من ذلك ، فالحصار المصري لم يكن غير شرعي . وقد رفضت اسرائيل حلا وسطا معقولا وتصرفت على نحو بعيد عن التناسب مع الضرر الذي كان يمكن ان تتعرض له .

واخيرا ، تنفي الاشارة الى ان بدء الاعمال العدائية لم يخرق الميثاق فحسب ، بل كذلك هدنة ١٩٤٩ التي منعت قطعا الاعمال الحربية والاعمال العدائية . وهنا ايضا يمكن ان يستدعي حق الدفاع عن النفس بعض الاستثناءات ، لكن ، وكما رأينا ، فان الشروط الضرورية لذلك لم تكن قائمة .

خلاصة

ان الحجج المتنوعة التي قدمتها اسرائيل ومؤيدوها لتبرير بدء الاعمال العدائية في حرب حزيران ١٩٦٧ هي من نوع الحجج التي يقدمها العديد من علماء القانون الدولي حينما يصدرون حكمهم بالنسبة لاستخدام القوة العسكرية من جانب الدول . غير ان حقيقة المسألة هي ان المزاعم الاسرائيلية التي شكلت اساسا لمساجلتهم كانت مجرد مزاعم . وهكذا فان لجوءهم الى هذه الحجج كان تطبيقا خاطئا لمعايير اخلاقية وقانونية مقبولة على نطاق واسع .

١٧ - ١٨ .

٤ - نيويورك تايمس ، ٨ ثوز ، ص ٤ .

١ - مذكور في : Joseph Ryan, S. J., « The Annihilation Controversy », Middle East International, (June 1973), p. 4, ff., 7.

١ - انظر Kenneth M. Lewan, *Der Nahostkrieg in der Westdeutschen Presse*, (1970) Chap. IV

٢ - نيويورك تايمس ، ٢٠ حزيران ، الصفحة ١٧ . حيث لا ترد اشارة الى السنة يكون المقصود سنة ١٩٦٧ .

٣ - *Vorwärts* ، ١٣ ايلول ، ١٩٧٣ ، ٦ - من اجل نقاش لهذه الاحداث انظر :

بنوايا الذين يسيطرون على مصادر الدعاية ، بل طريقة لاحداث اطار تفكير مرقوب به لدى الذين يستمعون اليها . وهكذا يصح استنتاج ان اسيااد الدعاية المصرية يريدون من المواطنين العرب الذين تتوجه الدعاية اليهم ان يعتقدوا بأن مصر معادية بصورة لا رجوع عنها لاسرائيل ، وانها تنوي في وقت غير محدد في المستقبل ان تخوض الحرب بغرض التقلب على الدولة الاسرائيلية . لكن ذلك ليس برهانا على انهم يخططون فعليا للقيام بذلك .

« ان الدعاية المضادة تصوره (أي عبدالناصر) وكأنه يهدد باستمرار بتدمير اسرائيل ، لكنني لم أجد في أي من خطبه ما يتعدى التصريح الذي أدلى به لمراسل النيويورك تايمس ، والذي نشر في مقابلة بتاريخ ٦ تشرين الاول ، ١٩٥٥ : « ان الحرب ليست قرارا سهلا بالنسبة لاحد ، وخاصة بالنسبة لي . ولا يوجد أي عربي يقول الان بتدمير اسرائيل . ان العرب لا يطالبون سوى بأن يحصل اللاجئون الفلسطينيون على حتهم الطبيعي في الحياة وفي ممتلكاتهم المفقودة ، الامر الذي وعدتهم به مقررات الامم المتحدة قبل سبع سنوات ... كلا ، اننا لسنا عدوانيين . ان التهديد صادر من الجانب الاخر » . (Burns, op. cit., Supra note 10, pp. 18/19).

- Süddeutsche Zeitung*, May 24/ — ١٩
25, p. 1.
- Stuttgarter Zeitung*, May 27, — ٢٠
p. 1.
- Süddeutsche Zeitung*, May 31, — ٢١
p. 2.
- Frankfurter Allgemeine*, May 31, — ٢٢
p. 4.
- Die Welt*, June 3, p. 1. — ٢٣
- Stuttgarter Zeitung*, May 30, p.3. — ٢٤
- Süddeutsche Zeitung*, May 30, — ٢٥
p. 2.
- Stuttgarter Zeitung*, May 30, — ٢٦
p. 1.
- Frankfurter Allgemeine*, May 31, — ٢٧
p. 4.
- Süddeutsche Zeitung*, May 30, — ٢٨
p. 1.
- Süddeutsche Zeitung*, June 5, — ٢٩
p. 2.

Carl von Horn, *Soldiering for Peace* (London, 1966), pp. 115-141; E. L. M. Burns, *Between Arab and Israeli*, (1963) pp. 111/12; Fred Khouri, « The Policy of Retaliation in Arab-Israeli Relation », *Middle East Journal*, (1966) pp. 435, ff., 442/43, 445ff., « The Jordan River Controversy », *The Review of Politics* (1965), p. 42 ff.

Charles Yost, «The Arab-Israeli — ٧
War - How it Began», *Foreign Affairs* (19 Jan.1968) pp. 304 ff., 306; Wolfgang Abendroth, «Sind wir im arabisch-israelischen Konflikt Partei ?», *Stimme* (July 1967) pp. 428 ff., 453/54.

Süddeutsche Zeitung, May 18, — ٨
p. 1.

«Chronology - Nov. 19», *Middle — ٩
East Journal* (1966).

See *Id.* «July - Nov. 19». — ١٠

Quoted in Burns, *op. cit. supra*, — ١١
p. 63.

See also Yost, *supra*, p. 308. — ١٢

Die Welt, May 24, p. 1. — ١٣

Frankfurter Allgemeine, May 29, — ١٤
p. 6.

Die Welt, May 29, p. 1. — ١٥

Die Welt, May 30, p. 3. — ١٦

Die Welt, June 5, p. 1. — ١٧

مسؤولين مصريين كبار قدموا التأكيدات نفسها

للولايات المتحدة .

(Yost, Supra note 11 at 317)

Stuttgarter Zeitung, May 29, p.4; — ١٨

Süddeutsche Zeitung, June 2, p. 9.

في هذا الصدد ينبغي الانتباه الى الملاحظات

التالية للجنرال بيرنز السذي كان رئيس اركان

منظمة الاشراف على الهدنة التابعة للاسم

المتخذة : « بالطبع ، وفي فيض الدعاية الذي

يتدفق باستمرار من اذاعة وصحف القاهرة ،

وجدت تهديدات عديدة بالانتقام انتقاما رهيبا من

اسرائيل ، وردد بعض هذه التهديدات اشخاص

مسؤولون . وقد واظبت الحكومة الاسرائيلية

على جمع هذه التهديدات ونشرها . ويلج

الاسرائيليون على ان اجهزة الاعلام ، في دولة

سلطوية كمصر ، تخضع لراية صارمة ، وان

ما يقال ينبغي ان يعكس ، بالتالي ، سياسة

السلطات المسؤولة . لكن هذا الرأي يتجاهل

طبيعة الدعاية التي هي ليست بالضرورة بيانا

Rolf Derpa, *Das Gewaltverbot der Satzung der Vereinten Nationen* (1970), pp. 94-120.

ومقالات

Bothe, Wildhaber and Kewenig in Wilfried Schaumann ed.,

الصادرة في

Volkerrechtliches Gewaltverbot und Friedensforschung (1970).

Howard Levie, «The Nature and Scope of the Armistice Agreement,» *American Journal of International Law* (1956), pp. 880 ff. 886; Richard Baxter, *The Law of International Water Ways* (1964), p. 213; Bernd Hartwig, *Frankfurter Allgemeine Zeitung*, June 3, p.2, references to the pertinent Judicial decisions are in C. John Colombos, *International Law of the Sea* (6 th ed., 1967), pp. 623-25, a detailed analysis of the legal sources is in Edgar Kappelhoff-Wulff, *Die Zulässigkeit der Ausübung des Prisenrechts Während eines Waffenstillstandes* (diss., Hamburg, 1969), pp. 213-326.

بدأ حصار مصر لطبخ العقبة إبان الحرب المصرية - الإسرائيلية الأولى . وحينما تولت الأمم المتحدة السيطرة على المواقع الاستراتيجية في ١٩٥٧ ، فإن هامرشولد شدد على أن هناك نزاعاً قانونياً حول حق المرور الحر وان قوات الأمم المتحدة ينبغي أن لا تعمل على « حل المسألة المتنازع عليها لصالح أحد الجانبين » .
مذكورة في :

Burns, *op cit.*, *Supra*, p. 247.

٤٤ - أوبنهايم ، *القانون الدولي* (الطبعة

السابعة ، ١٩٥٢) ، ص ٨٤٨ - ٨٤٩ .

٤٥ - انظر *U.N.T.S.* المجلد ٤٢ ، ص ٢٥١ .

٤٦ - *U. N. Security Council Off. Rec.* 6th Year, 549th meeting 9 (S/PV.549) (1951).

يعترف روزين بوضوح بوجود القانون العرفي .

انظر :

Rosenne, *Israel's Armistice Agreements with Arab States* (1951), p.83.

وأشار روزين من أجل دعم ادعائه أن الهدنة

المصرية - الإسرائيلية أنهت حالة الحرب التي

المادة ١٢ ، المقطع ٣ ، الذي ينص على أنه

يمكن للأطراف المعنية أن تفسر أية بنود في

اتفاقية الهدنة، بما عدا تلك التي تتعلق بوقف الأعمال

العنيفة (Rosenne, *op. cit.*, p. 70) .

Süddeutsche Zeitung, May 24/ - ٢٠
25, p. 2; *Die Welt*, June 3, p. 3; *Süddeutsche Zeitung*, June 3/4, p.3; *Stuttgarter Zeitung*, June 1, p. 4.

٢١ - *نيويورك تايمز* ، ٢١ حزيران ، ص ١ .

انظر ايضا *Vereinten Nationen* عدد تشرين

الاول ١٩٦٧ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

٢٢ - والتر لاکور *Nahost - Vor dem Sturm*

(١٩٦٨) ، ص ١٥٦ وما بعدها .

٢٣ - المقننات الواردة في النص مأخوذة من

رايان، مجلة *Middle East International*

(آب ١٩٧٢) ص ١٣ - ١٥ .

٢٤ - Lyndon B. Johnson, *Meine*

Jahre im Wei Ben Haus, (1971) p. 243.

See also pp. 246/247.

كذلك امرب جورج بوست الذي كان

مستشاراً لشؤون الشرق الأوسط في وزارة

الخارجية في ذلك الوقت والذي خلف آرثر

غولدبرغ كسفير لدى الأمم المتحدة ، عن اعتقاده

أن عبدالناصر لم يكن ينوي مهاجمة اسرائيل .

(Yost, *Supra*, p. 317).

٢٥ - *Süddeutsche Zeitung*, May 24/

25, p. 1.

٢٦ - *الكتاب الإحصائي السنوي لاسرائيل* (١٩٦٦)

الجدول ١٣ .

٢٧ - تكفي هذه التقارير التي وردت من « مصادر

حكومية في لندن » ومن « وكالة الصحافة

الفرنسية » بالإشارة الى « سفن اسرائيلية » .

Süddeutsche Zeitung, June 5,

p. 1.

وبالنظر الى المعلومات الواردة في الكتاب

الإحصائي السنوي الإسرائيلي والتقارير عن

السفن الإسرائيلية المؤجرة التي استخدمت برماً

إيلات ، فبإمكاننا افترض ان التقارير تشير

الى سفن اسرائيلية ترفع اعلاما اسرائيلية .

٢٨ - *الكتاب الإحصائي السنوي لاسرائيل* (١٩٦٦)

الجدول ١٠ .

٢٩ - *Süddeutsche Zeitung*, May 29,

p. 2, Jun 1, p. 2, June 3/4, p. 2.

٤٠ - *Stuttgarter Zeitung*, May 31,

p. 4.

٤١ - *Stuttgarter Zeitung*, May 27,

p. 1; *Süddeutsche Zeitung*, May 31,

p. 2.

٤٢ - لمراجعة تفسيرات لاحقة للمواقف المشار

اليها في النص ولمصادر قديمة ، انظر

«State of War» After the Cessation of Hostilities (1961), p. 30 ff; Leo Gross, «Passage through the Suez Canal» *American Journal of International Law* 530, 567 and « Passage through the Strait of Tiran» and the Gulf of Aqaba, *Law and Contemporary Problems* (1968). 125, 138; Elihu Lauterpacht, «The Legal Irrelevance of the 'State of War'», *Proceedings of the American Society of International Law* (1968) 58.

Baxter, «The Definition of War», — ٥١
Revue Egyptienne de Droit International (1960) 1, 8.

Id. at 10. — ٥٢

Baxter, *The Law of...*, *op. cit.*, — ٥٢
supra at 222 and «The Legal Consequences of the Unlawful Use of Force under the Charter», *Proceedings of the American Society of International Law* (1968) 68.

Compare Hartwig, *Frankfurter Allgemeine Zeitung*, June 3, p. 2 with Baxter, *The Law of...*, *op. cit.*, pp. 211/12. — ٥٤

U. N. Doc. No. S/2298/Rev. I — ٥٥
(1951). See the discussion of this matter in Halderman, «Constitutional Aspects of the Palestine Case», *Law and Contemporary Problems* (1968) 78, 85-90.

Yearbook of the International Law Commission (1956), Vol. I, p. 203 (U. N. Pub. Sales No. 1956, V. 3, Vol. 1) The arguments are summarized in Heinz Wagner, *Der arabisch-israelische Konflikt im Völkerrecht* (1971), pp. 389 ff. — ٥٦

U. N. Doc. A/Conf. 13/L. 52, — ٥٧
1958.

٥٨ — أكد ليو غروس أن المادة ١٦ «... تعين أو تخصص قاعدة تعتبر ضمنية في القانون الدولي العربي»، هي المبدأ العام لحرية البحار... وتتمثل هذه القاعدة تقريبا للقانون الدولي العربي مع أنه يمكن المساجلة بأنها تتضمن تطورا تقديميا للقانون «.

(Leo Gross, «Passage Through the Straits of Tiran and the Gulf of Aqaba», *Supra*, 143).

هنا ينبغي الاعتراض بأن المبدأ العام ليس قاعدة قانونية. وأكثر من ذلك، فالمادة ١٦ لا ينبغي أن تعتبر اثباتا على وجود قاعدة عرفية

ان هذه الحجة عرضة للنقد نفسه الموجه الى حجج ايبان .

Kappelhoff-Wulff, *op. cit.*, *Supra* — ٤٧
note 39, pp. 69-81.

Commercial Cable Co. Vs. — ٤٨
Burluson, 255 Fed. 99, (S.D.; N. Y., 1919); *Annal Digest* (1943-45), p. 412.

٤٩ — وفي مقطع اخر فأنه يدافع عن حق الاستيلاء على سفينة مع حمولتها بعد هدنة تخلي فيها طرف واحد فحسب عن حق تجديد الاعمال العدائية . وهو يقول : « ان تجديد الاعمال العدائية من قبل أحد الطرفين المتحاربين أمر لا يمكن استبعاده كليا الى حين الإبرام النهائي للسلام ». وفي هذا الصدد فإنه لا يشير الى تأكده أنه حينما يتخلى الجانبان بصورة دائمة عن الاعمال العدائية في اتفاقية هدنة ، فإن الحاجة لمنع العدو من تجديد قوته تزول . وبدلا من ذلك ، فإنه يقول : « غير أن هنالك اعتبارا آخر يصح بالنسبة لاتفاقات الهدنة المعقودة بعد الحرب العالمية الثانية .

فهذه الاتفاقات قامت بوظيفة — كما سيبين في ما بعد — انتهاء الحرب مؤقتا ، وذلك لأنه لم يكن ممكنا توقع إبرام معاهدات سلام . (Id. pp. 319/20 n. 222) ثم يلاحظ ان الهدنة المصرية — الاسرائيلية سارية المفعول منذ سنوات وانه لا تلوح في الأفق إمكانية عقد معاهدة سلام نهائية . وعلى ذلك فإن الهدنة « ينبغي » ان تظل محل معاهدة السلام . وإن لها « في واقع الامر طابعا محددا » . فهي « تلعب دور بديل عن السلام » . (Id. pp. 327/8, 335). وهذا القول قد يصح كخلاصة للعلاقات الواقعية ، أي انها وصلت الى مرحلة جمود ، ولم يسمح للجائين بالعودة الى منازلهم ولا أعطوا تعويضات عن خسائرهم، وظلت الحدود نفس خطوط الهدنة ، ولم تلق اسرائيل الاعتراف بها من جانب الدول العربية. لكنه بوصفه بيانا حول الاوضاع القانونية يتحول الى مجرد تأكيد .

U. N. Security Council Off. Rec., — ٥٠
supra note 42 at 11/12. Also Rosenne, *op. cit.*, *supra* note 42 at 83-85; L.M. Bloomfield, *Egypt, Israel and the Gulf of Agaba* (1957), pp. 53 ff.; Nathan Feinberg, *The Legality of a*

علا عدائيا ، وبالتالي خرقا لهدنة ١٩٤٩ التي حرمت الاعمال الحربية والعدائية . انظر قرار مجلس الامن المؤرخ في ١ ايلول ١٩٥١ (S/2322) . لان كلمتي « الاعمال العدائية » اوسع نطاقا من « الهجوم المسلح » فليس مبررا افتراض اتخاذ ان مجلس الامن اتخذ ، ضمنا ، موقفا من المسألة التي تعنيها هنا .

٦٠ - في رسالة الى رئيس التحضير نشرت في « النيويورك تايمس » في ١١ حزيران ، اعرّب روجر فيشر عن رأيه بأن الاستجابة المصرية كانت مبررة كاجراء دفاعي .

See Quincy Wright, «The Cuban Quarantene», *American Journal of International Law* (1963) 547, 559-602.

See Rosalyn Higgins, *The Development of International Law through the Political Organs of the United Nations* (1963) p. 220-02.

See the discussion in Wilhelm Wengler, *Das völkerrechtliche Gewaltverbot* (1967) pp. 20-22; see also note 43 *supra*.

مطابقة ، لان المؤتمر لم يعبر عن اية نوايا من هذا القبيل . انظر : بوكستر ، « المعاهدات المتعددة الاطراف كدليل على القانون الدولي العام » ، الكتاب البريطاني للقانون الدولي (١٩٦٦/١٩٦٥) ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ - ٢٨٠ .

اكثر من ذلك : ان الميثاق حول اعالي البحار ، الذي وضع في المؤتمر نفسه ، يبدأ بالجملة التالية : « ان الدول الاطراف في هذا الميثاق رغبة منها في تثبت قواعد القانون الدولي المتعلقة بأعالي البحار ، ... تبنت البند التالي كاعلان عام من المبادئ المكرسة للقانون الدولي ... » انظر :

Geneva Convention on the High Seas (1958) U. N. Doc. No A/Conf. 13/38.

ولا يظهر اي بيان من هذا النوع في الميثاق حول المياه الاقليمية .

٥٩ - قضية قناة كورفو ، تقارير محكمة العدل الدولية (١٩٤٩) ٤ . في قراره حول المرور عبر قناة السويس لم يناقش مجلس الامن مسألة ما اذا كان اغلاق القناة شكلا هجوما مسلحا بالمعنى الوارد في المادة ٥١ . بل اعتبر الاغلاق

صدر عن مركز الابحاث كتاب

قائمة بيليوغرافية بالمطبوعات العربية والمعربة

الصادرة في لبنان والعراق

١٩٤٨ - ١٩٧٣

بقلم

يونس اسماعيل الخاروف

سعر النسخة ١. ل.ل. تضاف اليها اجور البريد

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

حرب حزيران ١٩٦٧ :

« حرب دفاعية » ... أم غزوة امبريالية - توسعية فاشلة ؟

يوسف حمدان

ما زالت المؤسسة الصهيونية والقوى الامبريالية المؤيدة لها تصر حتى الآن على ان حرب حزيران كانت « حربا دفاعية لانقاذ الشعب الاسرائيلي من الابداء » . هذا الزعم رددته المسؤولون الاسرائيليون وحلفاؤهم اثناء الحرب وبعدها . وما زالت تردده وسائط الاعلام الصهيونية في اسرائيل وخارجها حتى اليوم .

ولكن منذ تلك الحرب حتى اليوم تكتسفت حقائق ونشرت تصريحات اثبتت ان تلك الحرب لم تكن اجراء اضطراريا اتخذه اسرائيل . ولم تكن هجوما وقائيا امام خطر مداهم . بل كانت تنفيذا دقيقا لخطة مدروسة ، استغرق اعداد تفاصيلها وقتا طويلا ، وكانت دوافعها : دوافع صهيونية ذاتية من جهة ، ودوافع امبريالية من جهة اخرى .

خطة مدروسة

لقد صدرت تصريحات كثيرة بعد حرب حزيران لمسؤولين اسرائيليين عديدين اثبتت ان شن العدوان كان تنفيذا لخطة مدروسة بدأ اعدادها قبل العدوان بوقت طويل ، وبالتحديد في اعقاب العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ . وسوف نسجل هنا بعض هذه التصريحات .

من المعروف ان حكومة ليفي اشكول اجرت تعديلا وزاريا بتاريخ ١٩٦٧/٦/١ . فاقامت حكومة « التكتل الوطني » بحيث عين موشي ديسان ، من حزب رافي في ذلك الوقت ، وزيرا للدفاع . ودخلت الحكومة ايضا كل من مناحم بيغن ويوسف سابير ، من كتلة جاحل (حيروت - الاحرار) المعارضة . وقد فهم بعض المراقبين في ذلك الوقت ، اي قبل نشوب الحرب بخمسة ايام ، ان اسرائيل بدأت بهذا التعديل الوزاري تتجه نحو عملية عسكرية كبيرة وبدأت ترسم الخطط لذلك . ولكن اتضح بعد ذلك ، ان اقامة « حكومة التكتل » هذه لم يقصد منها وضع خطط الحرب او ادارتها ، لان الخطط كانت موضوعة ، كما صرح يغئال الون وزير العمل حينذاك ، والذي قال في تل ابيب بتاريخ ١٩٦٧/٦/٧ : « ... كانت الخطط جاهزة قبل دخول الوزراء الجدد ، ولم يصف ضمهم الى الحكومة الا وزنا معنويا ... » (١) .

فبتاريخ ١٩٦٨/٥/١٦ . وفي احتفال جرى في فندق « امبسدور » في القدس العربية للذين شاركوا في اقامة جهاز الحكم العسكري في المناطق المحتلة ، قال هرتسوغ ، اول حاكم عسكري في الضفة الغربية المحتلة : « قبل عشر سنوات ، خلال حملة سيناء ، انتظرنا الملك الاردني ان يعلن الحرب في جبهة القدس ، واعدت المخططات لاقامة حكومة عسكرية في فندق امبسدور » (٢) . ولذلك اختار هرتسوغ نفس الفندق ليكون مقرا للحكم العسكري في حزيران ١٩٦٧ .

فهذا التصريح يثبت ان خطط العدوان كانت موضوعة، منذ عام ١٩٥٦، وان اسرائيل كانت فقط تبحث عن حجة لشن عدوانها على الدول العربية ، ووجدتها في الاجراءات الدفاعية التي اتخذتها مصر وغيرها من الدول العربية في ذلك الوقت ، وكذلك في بعض التصريحات العربية التي لم يؤمن بها مطلقوها ، ولم يصدقها الحكام الاسرائيليون .

وبعد العدوان بأيام ادلى شمعون بيرس بتصريح يفهم منه بوضوح ، ان الاعداد لهذا العدوان استغرق عشر سنوات . قال بيرس : « ما حققته خيول جنكيز خان واقبال هنيبال ، يتضائل امام عمليات الطيران [في ٥ حزيران] ، ثمانين دقيقة ليست فترة طويلة ، ولكن من اجل هذه الثمانين دقيقة ، التي بالقياس لها لا زمن يبدو بهذا الطول ، مئات الطيارين وآلاف الملاك الارضي وضباط قوات الطيران ، استعدوا باستمرار مدة (١ سنوات) » .

ومنع ان اسرائيل ربطت الحرب مع « خطر الهجوم » وصورتها على انها تدبير اضطراري لمنع « ابادة الشعب الاسرائيلي » ، فقد أكد موشي ديان بعد سنة من العدوان ، ان تلك الحرب « الدفاعية » لم تكن حتمية . فعندما سُئل ديان بأي مدى كانت الحرب حتمية ؟ اجاب : « ما معنى حتمية ؟ بالطبع كانت هناك امكانية للتسليم باغلاق المضائق ... فغير اليهود بدأوا حتى باجراء احصائيات عن عدد السفن الاسرائيلية التي تمر في مضائق تيران ... أي انه كان من الممكن ان تكون الحرب غير حتمية ، شريطة ان تكون المضائق مغلقة امام الملاحه الاسرائيلية » (٤) .

وصدرت تصريحات مماثلة عن عدد كبير من المسؤولين الاسرائيليين قبيل مرور سنة على العدوان . وكان من ابرز هؤلاء المسؤولين ليفي اشكول ، ويغثال الون ، اللذين اكدا مع غيرها ، ان العدوان لم يكن الا خطة مدبرة ، وان ارجاء الحرب عدة اسابيع (بعد اغلاق المضائق) كان مناورة سياسية ، قصد منها اعداد الراي العام الاسرائيلي والعالمي لمبادرة الحرب الاسرائيلية بمساندة امركية . وهذه التصريحات التي ناقضت الخط الاعلامي الاسرائيلي ، دفعت احد الصحافيين البارزين الى ان يكتب بغضب : « الراي العام كان مستعدا لان يصدق ، ان اسرائيل واجهت في ايار ١٩٦٧ خطرا شاملا ، خطر الابداء ، ولكن الان حدث العكس . فرئيس الحكومة ووزراء آخرون ، يقولون انهم توقعوا الانتصار ، وانهم لم يراودهم ادنى شك ، وان الارتباك الذي سبق الانتصار لم يكن الا مناورة ، وبكلمة اخرى : مسرحية ... من الواضح ان اولئك الذين خافوا على سلامة اسرائيل بين شعوب العالم ، من شأنهم ان يتسرعوا الان بانهم مخدوعون ، عندما يقول رئيس الحكومة ووزراؤه ان الارتباك كان مخطئا . وذلك يعرض اسرائيل كعدوانية منذ البداية ، سرقت بالاحابيل ثقة الراي العام في العالم ، في الوقت الذي كانت كل نيتها هي احتلال مناطق اخرى من ايدي العرب ... » (٥) .

وبعد عدوان حزيران بسنوات أكد كل من الجنرالين عيزر وايزمن ومتتياهو بيلد ، ان اسرائيل لم تواجه خطر ابادة وهي التي خططت للحرب وبادرت اليها . ففسال متتياهو بيلد (٦) ، ان اسرائيل لم تكن لتستطيع ان تشن حربا لاسباب سياسية ، لان المجتمع الدولي لا يقبل بمثل هذه الحرب اليوم . لذلك كان عليها لكي تشن الحرب ، ان تتنح العالم انها مهددة بخطر الابداء .

ان ما اوردناه ما هو الاجزاء من التصريحات التي صدرت عن مسؤولين اسرائيليين بعد حرب حزيران ، والتي تثبت ان تلك الحرب كانت عدوانا اسرائيليا ، جرى الاعداد له منذ زمن بعيد . الا ان هذه الحقيقة تتأكد ليس فقط من تصريحات ما بعد الحرب ولكن ايضا من تصريحات ما قبل الحرب .

ففي سنة ١٩٥٩ قال دافيد بن غوريون في حفلة اقامها لوفد الجباية اليهودية الموحدة : « يجب على اسرائيل ان تلتن العرب درسا . . . وهي ستخترق الحصار المضروب حولها حتى ولو كلفها ذلك غالبا » (٧) .

وكان بن غوريون واضحا اكثر ، عندما عاد واعلن في شباط ١٩٦٠ ، في مؤتمر الهستدروت التاسع : « في السنوات العشر المقبلة ينتظرنا امتحان عسكري حاسم » (٨) .

واكد رئيس الاركاب الاسرائيلي آنذاك ، تنفي نسور ، ان اسرائيل تستعد فعلا لهذا « الامتحان الحاسم » عندما أعلن في كانون الاول ١٩٦٠ : « ان كل صدام مسلح مع العرب من المحتم ان يكون قصيرا . فان كل الاوساط الدولية حساسة لما يجري هنا ، لذلك فهي لن تجلس مكتوفة الايدي في حالة نشوب الحرب . ومن ناحية ثانية يمكن احراز حسم عسكري في وقت قصير ، اذا كان القتال سريعا ، نظرا لدخول اسلحة حديثة وسريعة وقوية الى المنطقة خلال العام الماضي . ولذلك يجب على جيش الدفاع الاسرائيلي تركيز جهوده في تلك القوى التي يمكن بواسطتها تحقيق حسم كهذا » (٩) .

وفي سنة ١٩٦٤ صرح رئيس الاركاب التالي ، اسحاق رابين ، ان اسرائيل « ستشغل مشروع المياه القطري حتى لو ادى ذلك الى الحرب » (١٠) . واعلن في سنة ١٩٦٥ ان « القوة العسكرية وحدها هي التي تؤمن الحل وهي مفتاح منع الحرب والنصر فيها اذا « فرضت علينا » . . . » (١١) وفي سنة ١٩٦٦ هدد رابين بصراحة « بالتدخل في سوريا بهدف اسقاط نظام الحكم فيها » (١٢) . وفي عشية العدوان تراكمت تهديدات الرسميين السياسيين والعسكريين في اسرائيل ضد سوريا . واتضح بعد ذلك ان سوريا لم تكن الهدف الوحيد ، بل كان من اهداف التحرش بها استدراج مصر ايضا . وقد نشرت الصحف الاسرائيلية بعد اغلاق المضائق ان « موسى ديان توقع بدقة الخطوات التي سيتخذها عبد الناصر قبل اتخاذها » (١٣) .

وقبل وقوع الحرب بثمانية اشهر ، اكدت مجلة اسرائيلية ذات معلومات جيدة ، ويصدرها النائب اوري افيري ، ان هناك خطة ، وان تلك الخطة لم تكن اسرائيلية فقط بل امريكية ايضا . ففي ٢٩ ايلول ١٩٦٦ صدرت مجلة « هعولام هزه » الاسبوعية وعلى غلافها العنوان التالي : **خطر حرب ! امريكيون يطالبون بمهاجمة سوريا . وفي داخل المجلة نشر تقرير تحت عنوان : انذار ! الحرب غير الصحيحة - في الخطة غير الصحيحة .** ومما جاء في التقرير : « . . . في سوريا فشلت محاولة انقلاب . كانت تلك المحاولة الاخيرة للمخابرات المركزية الامريكية ، لانقاذ هذه الدولة ، مما بدا لها انه بداية الطريق لتحويلها الى جمهورية شعبية في الكتلة السوفيتية . . . جونسون يتخوف الان من ان فشلا سافرا في سوريا بالاضافة الى فشله في فيتنام سيؤدي الى خراب حزبه في الانتخابات القادمة . . . » (١٤) . وازدادت حدة المجلة نقلا عن شخصية فرنسية التقى معها في ذلك الاسبوع : « امريكيون يستعدون للمرحلة الحاسمة في حربهم على المنطقة وعلى النفط . لو نجحت الثورة المضادة في سوريا نفسها ، لما كانت حاجة لاستخدام اسرائيل . ولكن بعد ان فشلت المحاولة ، تفكر امريكا في تدخل عسكري من الخارج وذلك يأتي من اسرائيل فقط . منذ مدة بدأت امريكا بتزويد اسرائيل بالسلاح ، بما يعارض مع سياستها المعلنة منذ قيام الدولة . وهذا الامر يذكر بتسليح الفرنسيين لاسرائيل عشية حملة سيناء . . . » (١٥) .

بالطبع لم تعترف اسرائيل او الولايات المتحدة ان الخطة كانت اسرائيلية - امريكية ،

او ان الولايات المتحدة اشتركت في تنفيذها . ولكن يكفي ان نذكر ما قاله الوزير يغثال لون بعد مرور اكثر من سنة على العدوان . فقد قال في الكنيست بتاريخ ١٠/٣٠/١٩٦٨ : « لي كل الاساس في ان اقول ، انه امام تدخل سوفيتي عسكري ضد اسرائيل ، لن تقف اسرائيل وحيدة . فمع انه ليس لاسرائيل حلف عسكري مع الولايات المتحدة ، او مع حلف الاطلسي مثلا ، فان الرئيس جونسون قام بدور تاريخي في حرب الايام الستة » (١٦) .

دوافع امبريالية — صهيونية

لا يمكن عزل احداث حزيران ١٩٦٧ في الشرق الاوسط ، عن سائر الاحداث التي دارت في كل دول العالم الثالث في سنوات الستين . فدخلت كثيرة في القارات الثلاث : آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية ، استقبلت حديثا . وكانت الدول الامبريالية تخشى ان تقع هذه الدول تحت سيطرة العالم الشيوعي ، لانها لا بد ان تقع في لعبة « شد الحبل » بين الدول الكبرى « وهذه اللعبة غالبا ما تنتهي لصالح الدول الشيوعية » (١٧) .

لذلك سعت الدول الامبريالية بوسائل مختلفة لمنع الدول المستقلة حديثا من الاتجاه نحو اليسار ، وللمحافظة على مواقعها القديمة في هذه الدول . ومن جملة الوسائل التي اتبعت : التدخل العسكري المباشر ، كما حدث في جنوب شرق اسيا . التدخل العسكري بواسطة « طرف ثالث » ، كما حدث في حزيران ١٩٦٧ ، عندما استخدمت اسرائيل لضرب قاعدتي حركة التحرير العربية في مصر وسوريا بدعم اميركي والماني غربي وبريطاني . والتدخل العسكري المباشر الخارجي هذا تم بعد فشل وسائل اخرى : كالثورات المضادة التي نجحت في مجموعة من الدول الافريقية ، وفي اندونيسيا واليونان وغيرها . وعمليات « التسرب الاقتصادي » كتلك التي تمت بواسطة اسرائيل في افريقيا بشكل خاص . وكان من جملة هذه الوسائل ايضا الاحتواء بواسطة « الاحلاف » الاستعمارية .

فبالنسبة للمنطقة العربية ، ذات الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية ، رأت القوى الامبريالية في الانظمة التقدمية في مصر وسوريا ، مصدر خطر بالنسبة للمنطقة كلها . فحاولت هذه القوى لجمها « بالاحلاف » ، وحاولت تقويضها بانقلابات الثورة المضادة ، كما حدث في سوريا عام ١٩٦٦ . ولما فشلت كان لا بد لها من التدخل العسكري الخارجي ، وكانت اسرائيل افضل اداة لذلك .

في ذات الوقت كانت مقاليد السيطرة الامبريالية تنتقل من ايدي اوروبا الغربية الى الولايات المتحدة الامريكية . فبريطانيا اعلنت عن نيتها في الانسحاب من منطقة شرق السويس وان آخر موعد لانسحابها سيكون سنة ١٩٦٨ . وفي ذلك الوقت ، عبرت الولايات المتحدة عن رغبتها في استمرار تواجد القوات البريطانية في اسيا . فقال روبرت مكنمارا ، وزير الدفاع الاميركي حينذاك ، امام احدى لجان الكونغرس : « القوات البريطانية في الشرق الاوسط والشرق الاقصى ، ادت خدمات ذات اهمية كبرى في السنوات الماضية ، واستمرار تواجدها يفيد كثيرا استتباب السلام والامن في المنطقة » (١٨) . وبما ان بريطانيا لم تكن قادرة على استمرار هذا التواجد لاسباب اقتصادية وسياسية ، فكان من الطبيعي ان تحل الولايات المتحدة ذاتها مكانها .

ازاء الوضع الجديد ابدت اسرائيل ارتياحها لان الولايات المتحدة اخذت تنظر الى مضائق تيران بعد اغلاقها « كجبهة جديدة في الحرب الباردة » (١٩) وابدت ارتياحها ايضا لانها « نجحت في ان تصبح للمرة الاولى عاملا في الصراع الدولي بين الكتل ، الامر الذي حلم به بن غوريون دائما » (٢٠) .

لقد كتب ايلي ايال مراسل « هآرتس » في واشنطن بتاريخ ٢٨/٥/١٩٦٧ ، ان الولايات المتحدة ترى بان الشرق الأوسط يقف امام امكائيتين : الاولى ان ينتصر عبد الناصر ، مما سيهدد انظمة الحكم « المحافظة » ليس فقط في السعودية والاردن . بل ان دولاً مثل تركيا وايران ستعيد النظر في علاقاتها مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . والامكانية الثانية ان تنتصر اسرائيل على عبد الناصر وعندها ستضعف مكانة عبد الناصر ، فيما اذا بقي في الحكم . وستتدمر الدول « المحافظة » في العالم العربي كالسعودية والاردن .

هذه هي الارضية التي نشأ عليها عدوان حزيران من حيث الدوافع الامبريالية ، التي التقت اهدافها مع الاهداف الصهيونية ، مع ان الصهيونية كان لها اهداف ذاتية اخرى تقوم على التوسع الاقليمي وللتدليل عليها يكفي ان نشير الى الحقائق التالية :

مع ان اسرائيل اعلنت عندما شنت هجوم حزيران انها لا تتجه نحو الاحتلال ، وان هدفها هو الدفاع عن النفس ، اعلن الوزير موشي ديان في ١٨/١/٦٨ انه « يرفض الانسحاب من الاراضي المصرية المحتلة ، مقابل حرية الملاحة في مضائق تيران وقناة السويس ، وحتى مقابل قيام مصر بالغاء حالة الحرب مع اسرائيل » (٢١) .

وبعد الحرب مباشرة اعلن ليفي اشكول عندما زار الاماكن المقدسة في القدس العربية المحتلة ، ان اسرائيل لن تتخلى ابدا عن القدس . واعدن ديان في مقابلة مع التلفزيون الامركي C. B. S. ، ان اسرائيل « لن تتخلى عن الضفة الغربية وقطاع غزة » (٢٢) . ثم تراكمت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين في السنوات التالية ، والتي كان معناها ان اسرائيل لن تتخلى عن المناطق المحتلة حتى مقابل السلام .

في ٥ حزيران ١٩٦٨ عقدت حركة « ارض اسرائيل الكاملة » مؤتمرها الاول في القدس المحتلة . وطالبت برفض قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وباعتبار خطوط وقف اطلاق النار حدودا ثابتة لاسرائيل . والمهم ان من بين الاربعمئة مندوب الذين اشتركوا في المؤتمر تألفت اسماء اعضاء من حزب العمل الحاكم مثل مردخاي سوروكيس وامنون لين . وحيا حزب حيروت المعارض المؤتمر معبرا عن تضامنه مع اهدافه . كذلك حياه الراب الاكبر نسيم وغيره من الشخصيات الاسرائيلية . واشترك فيه عدد من الكتاب الاسرائيليين مثل موشي شامير ويهودا بورلا . وكذلك ارملة رئيس دولة اسرائيل الاول راحيل بن تسفي مما يدل على ان هذه الحركة لم تكن حركة هامشية في اسرائيل .

بعض الاحزاب اليمينية اصدرت خارطة اسرائيل كما رسمها هرتسل (من النيل الى الفرات) ، واطلقت شعار : « منطقتنا محررة لا تعاد » .

وفي ٢٤ ايلول ١٩٦٧ وبمناسبة الذكرى السبعين للمؤتمر الصهيوني الاول ، عقد في بال بسويسرا اجتماع سنوي خاص للمنظمة الصهيونية العالمية . فالتقت كوادر صهيونية من كافة دول الغرب في القاعة نفسها التي افتتح فيها تيودور هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية المؤتمر الصهيوني العالمي الاول في ٢٩ آب سنة ١٨٩٧ . ومن الجدير بالذكر ان نجم الاجتماع وخطيبه الاول كان الجنرال اسحاق رابين ، رئيس هيئة الاركان العامة . والذي نسبت اليه خطة الهجوم الخاطف في ٥ حزيران . ودارت الخطب في المؤتمر حول الهجرة اليهودية بهدف استيطان المناطق العربية المحتلة حديثا .

وفي آب ١٩٧٣ خطب موشي ديان فقال : « الاستيطان هو صنع لحدود الدولة . وهذه الحدود توضع الان للمرة الثالثة . في عهد خطة بيل شرح بن غوريون ان هذه لن تكون النهاية ، بل تاعدة انطلاق للحصول على ارض اسرائيل الحقيقية . لم تكن

هناك ابدأ فلسفة تقسيم . بل كانت هناك فلسفة الحصول على قاعدة انطلاق .- في سنة ١٩٤٨ . عندما وضعت الحدود للمرة الثانية ، كنا نريد أخذ جنين وغزه وبيت لحم والخليل ، ولكننا لم ننجح . والان توضع الحدود للمرة الثالثة ، ولكن ليست هذه هي المرة الاولى التي نعمل فيها كمبتدئين . . . « (٢٣) .

كل هذه الحقائق ، وغيرها ، تثبت بالتأكيد ان عدوان حزيران كان من اهم اهدافه التوسع الاقليمي الصهيوني في الارض العربية . وهكذا يمكن تلخيص اهداف عدوان حزيران الامبريالية والصهيونية في هدفين رئيسيين :

١ - ضرب حركة التحرر العربية ، باسقاط انظمة الحكم التقدمية في مصر وسوريا .

٢ - السيطرة على رقعة جديدة واسعة من الارض العربية واخلاء اكبر عدد ممكن من سكانها العرب بهدف ضمها الى الكيان الاستيطاني الصهيوني .

اهداف لم تتحقق

اذا كان الهدفان الرئيسيان لعدوان حزيران هما الهدفين المذكورين امبريالياً وصهيونياً ، يمكننا القول الان ، ان غزوة حزيران فشلت في تحقيق كل اهدافها . وان المكاسب التي حققتها الامبريالية والصهيونية كانت مؤقتة . فالهزيمة الساحقة لم تتمكن من اسقاط انظمة الحكم التقدمية في مصر وسوريا ، ولم تتمكن من اخضاعها واستسلامها .

وقد اعترف موشي ديان بهذا الفشل في مقابلة مع راديو الجيش الاسرائيلي في ٢٧/٥/٦٨ . عندما قال : « اني اعترف ، انه حالاً بعد الحرب ، كان تقديري ان الهزيمة التي نزلت بالعرب ، ستقودهم - ان لم تقدر سوريا ، فعلى الاقل مصر والأردن - الى الاستعداد للتوصل الى اتفاقية سلام . ولكن الواقع يشير الى انهم في الوقت الحاضر ، لا يريدون هذه الرغبة » (٢٤) .

ولم تنجح غزوة حزيران في خلق حركة التحرر العربية بل حدث العكس تماماً اذ وقعت انفصالات تحررية ناجحة في اقطار اخرى في المنطقة العربية . وظهرت الثورة الفلسطينية كعامل سياسي هام في المنطقة .

وعلى صعيد الاحتلال لم تنجح المؤسسة الصهيونية مع انها حاولت بشراسة تكرار ما حدث في سنة ١٩٤٨ ، واجلاء السكان العرب من الارض المحتلة ، الامر الذي ضمن ظهور المقاومة الفلسطينية في الارض العربية المحتلة .

وهنا لا بد من التوقف عند السؤال : لماذا لم تنجح المؤسسة الصهيونية رغم كل الوسائل التي اتبعت وتكشفت خلال الحرب وبعدها بهدف « تنظيف » الارض المحتلة من العرب ؟

في اعتقادنا تكمن اهم اسباب هذه الظاهرة في الحقائق التالية :

١ - لقد تعلم المواطنون العرب من تجربة ١٩٤٨ المرة . فاللاجئون في مناطق الاحتلال ، الذين انظروا خلال ١٩ سنة ، العودة الى مدنهم وقراهم المحتلة ، رفضوا ان يكونوا لاجئين للمرة الثانية . فمثلاً ، سكان قرى اللطرون الذين هدمت بيوتهم حاولوا اثناء الحرب العودة الى بيوتهم المهدومة ، كما شهد على ذلك الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان .

٢ - عامل الزمن : حيث ان القوات الاسرائيلية تحركت خلال وقت قصير من جبهة

الى اخرى على الجبهات الثلاث فلم يكن لديها الوقت الكافي قبل وقف اطلاق النار لاجلاء المزيد من المواطنين بحجة هربهم اثناء العمليات الحربية .

٣ - تحفظت اسرائيل من المجازفة بتأييد الرأي العام اذا تمادت بطرد العرب . في حين ارادت ضمان هذا التأييد ، بنية الحصول على المكاسب السياسية المرسومة من الانتصار العسكري .

٤ - ظنت اسرائيل انها ستؤدي بحربها الخاطفة ، الى استسلام انظمة الحكم في الدول العربية المحاربة ، مما يسهل اجلاء السكان العرب ، على مدى أطول ، وبهدوء . ان فشل اسرائيل في تحقيق هذين الهدفين في حزيران ١٩٦٧ كان مقدمة لفشل اكبر في تشرين الاول ١٩٧٣ : ولكن هذا الفشل لا يعني ان الصهيونية يثست من تحقيق اهدافها ، وانفتت عن مخططاتها . فقد يكون الفشل ذاته حافظا لعدوان شرس جديد .

- | | |
|--------------------------------------|--|
| ١٢ - الاتحاد ، ١٩٦٦/٩/٢٠ . | ١ - هارتس ، ١٩٦٧/٦/٩ . |
| ١٣ - هارتس ، ١٩٦٧/٥/٢٤ . | ٢ - جروزلم بوست ، ١٩٦٨/٥/١٧ . |
| ١٤ - هعولام هزه ، ١٩٦٦/٩/٢٩ . | ٣ - مبات حداش ، ١٩٦٧/٦/١٥ . |
| ١٥ - المصدر نفسه . | ٤ - معاريف ، ١٩٦٨/٤/٣٠ . |
| ١٦ - الاتحاد ، ١٩٦٨/١١/١ . | ٥ - شبتاي تيب ، هارتس ، ١٩٦٨/٤/١٨ . |
| ١٧ - مجلة نايم اند تايد ، ١٩٦٠/٩/٣ . | ٦ - هارتس ، ١٩٧٢/٣/١٩ . |
| ١٨ - هارتس ، ١٩٦٧/٤/١٨ . | ٧ - تقرير اللجنة المركزية المؤتمر الحزب الشيوعي الاسرائيلي الرابع عشر ، حزيران ١٩٦١ ، ص ٥٣ |
| ١٩ - هارتس ، ١٩٦٧/٦/٢ . | ٨ - المصدر نفسه . |
| ٢٠ - مردخاي كشتان - المصدر نفسه . | ٩ - بمحانيه ، ١٩٦٠/١٢/٣٠ . |
| ٢١ - هارتس ، ١٩٦٨/١/١٩ . | ١٠ - معاريف ، ١٩٦٤/٤/١٥ . |
| ٢٢ - هارتس ، ١٩٦٧/٦/١٢ . | ١١ - يديعوت احرونوت ، ١٩٦٥/١٢/٢٤ . |
| ٢٣ - معاريف ، ١٩٧٣/٨/٢٣ . | |
| ٢٤ - معاريف ، ١٩٦٨/٥/٢٨ . | |

العجز أمام الحقيقة والهروب الى الامام

ملاحظات حول الصحافة العربية في الخامس من حزيران

الدكتور فيصل دراج

« لا تقدم الايدولوجيا نظام العلاقات الحقيقية التي تحكم وجود الافراد ، بل تقدم العلاقة الوهمية لهؤلاء الافراد بالعلاقات الحقيقية التي يعيشون تحتها » .

التوسر

تحاول الدولة والتي هي الناطق الرسمي باسم طبقة منتصرة في حقل تاريخي محدد أن تدعم وتبرر وجودها بكل السبل والاشكال الممكنة ، أي أن تنشر وتثبت كل الاطروحات والمقولات التي تظهر شرعية وجود الدولة كقوة شمولية لا طبقية ، كقوة سرمدية تقف فوق الطبقات لتصالح وتلجم نزاع هذه الطبقات . بالإضافة الى هذا تطمح الدولة وتناضل من أجل خلق وصياغة افراد يسلمون بشرعية وجود الدولة كقوة الهبة تعمل على صيانة النظام وتطبيقه . فمجال اللعبة هنا تحدده اذن ثلاثة عناصر : العنصر الاول تمثله الطبقة المسيطرة أو المجتمع السياسي في بحثها عن شرعية مستحيلة . والعنصر الثاني هو الشعب أو المجتمع المدني والذي هو حقل اهتمام المجتمع السياسي ، واهتمام هنا يعني ترويض المجتمع المدني وتحويله الى كلية سلبية لا تعيق ممارسات الطبقة المسيطرة . لن نتكلم هنا عن الشكل الاول الذي تستعمله الدولة من أجل الترويض والمثل بالقمع الجسدي والارهاب البوليسي ، وإنما سنتكلم عن الشكل الآخر من القمع : القمع الايدولوجي . ونعني بالقمع الايدولوجي الاثر الحاصل لدى الفرد من جراء تلقيه المستمر لاطروحات المجتمع السياسي والواصلة اليه من خلال آلة الدولة الدعائية ، أو ما يسميه غرامشي بالبنيان الايدولوجي والذي هو « كل ما يؤثر أو يستطيع أن يؤثر بشكل مباشر أو لا مباشر على الرأي العام » (١) .

وهدف البنيان الايدولوجي المباشر صنع افراد لا يرون الواقع على حقيقته وإنما يرون صورة وهمية عن هذا الواقع (٢) ، وبالتالي فالفرد لا يرى موقعه الاجتماعي وواقعه المعاش انطلاقاً من محاكماته الحرة بل من خلال حزمة مفاهيم ضبابية محددة على المستوى الاخير بالبنيان الايدولوجي ، معنى ذلك أنه يمتلك صورة مشوهة عن الواقع رسمت بحيث تخدم أولاً وأخيراً الطبقة المسيطرة . وكما يرى فان الفرد هنا يقع ضحية للتجهيل والتضليل ويستحيل بالتالي الى أننا خام عاجزة عن الفعل الصحيح لانها لا تملك الا انعكاساً شائعاً للواقع والعلاقات المحددة له . فالمعرفة المشوهة للعالم تولد وتفترز دياكتيكيا كياناً سلبياً لا يتحرك الا ضمن اطار محدد مسبقاً بمصالح الجهاز المسيطر .

ويعمل البنيان الايدولوجي وينشر مقولاته من خلال قنوات وأدوات ايدولوجية متعددة « الراديو والتلفزيون ، الصحف ، الكتب . . . » . وهكذا فان الفرد يتلقى أفكار الطبقة المسيطرة من خلال أشكال عدة ، سمعية وبصرية وسمعية - بصرية ، ويصبح في النهاية غارشا في بحر ايدولوجيا الطبقة المسيطرة ، أي مطية سهلة لها .

انطلاقا من المعطيات السابقة سنحاول الآن أن نقوم ب**قراءة ايدولوجية** للصحافة العربية عشية وبعد هزيمة الخامس من حزيران ، لنرى ما هي الدلالة ايدولوجية والسياسية لمنطقها ، وما هي المصالح السياسية والطبقية الكامنة وراء كل كلمة قالتها هذه الصحف . أي أننا سنحاول قراءة المنطق الداخلي لهذه الصحف في صنعها وفبركتها « للحقائق » ، وهل قامت بعكس دقيق للواقع بكل محدداته ، أم أنها لوت عنق الحقائق لتكرس وتبرر واقعا هتكته الحقيقة فهورع وراء التضليل ليجعله قانونا .

نقول منذ البدء ان الكلمة البريئة لا وجود لها ، فكل كلمة تفرز مضمونا سياسيا وايدولوجيا محددًا ، وتتبنى بوعي أو بدون وعي مصالح وأهداف فريق ما ، ولقد يبدو أحيانا للبعض أن الصحف (جزء منها على الأقل) أرادت أن تقول الحقيقة الموضوعية فقط ، أي حقيقتة بدون موقف سياسي ، لكن هذا الاعتقاد يتلاشى عندما نحل هذه « الحقيقة الموضوعية » معرفيا ، أي عندما نربط رؤيا العالم ومنطق البحث بنتائجه السياسية . ذلك ان موضوعية أي منطق تتحدد من خلال موقعه بالنسبة لحركة التاريخ ، أي هل يساهم في دفع قضية الحرية والتحرر الى الامام ، أم يحاول من خلال التضليل أن يثمدتها الى الوراء .

الصحافة العربية والمنطق المثالي

حاولت معظم الصحف أن ترسم لوحة للأحداث بدون أي تحديد تاريخي أو اجتماعي أو سياسي ، بل بواسطة ترسانة لغوية غيبية ، لغة ايدولوجية لا تعرف التحديد ، لغة لا زمانية ولا مكانية تهيم في عالم المطلق والمجرد ، فليس هناك طبقات ، ولا قوى سياسية تعمل بمشيئة الامبريالية ولصالحها ، ولا قوى سياسية مهدت بممارساتها الارضية المولدة للهزيمة ، كان يدور منطق هذه الصحف في متاهة اللاتحديد ، لان التحديد يعني الادانة ، ينبغي اذن ادانة ما يصعب تحديده اجتماعيا وسياسيا ، فالهزيمة تعود الى « العقل العربي الذي عطله الارهاب الفكري وسياسة التخوين والاثام » (٣) ، فالتحليل هنا يهرب وراء كلمتين غائمتين « العقل » و« العربي » ، وبالتالي يبقى قفص الاتهام فارغا ، فاللاتحديد هنا يتواطأ كي يخفي ما يجب تحديده وبالتالي ادانته . لهذا فان الصحف كانت تحلل دائما معركة « الامة العربية » وليس معركة أنظمة محددة بممارساتها ايدولوجية والسياسية والاقتصادية « ان المعركة التي خاضتها الامة العربية ، كانت معركة مباشرة ، معركة وجه لوجه ضد الاستعمار القديم » (٤) . ان هذا المنطق يخطط عمدا ما بين « الأنظمة » و« الامة » ، معنى ذلك ان المعركة لم تكن معركة « طبقة مسيطرة سياسية » بل معركة الامة العربية قاطبة ، وهذا يعني منطقيا ان الهزيمة ليست هزيمة لانظمة محددة بل للعرب أجمعين ، هنا الجزء المسيطر يحاول أن يخفي سقوطه باسقاطه على الكل من خلال تماثل مغتصب ، أي يجعل نفسه ممثلا شرعيا للكل واضعا مكان علاقة التضاد بين الكل والجزء علاقة المصالحة والمطابقة بينهما ، ومعطيا نفسه بنفسه صفة الشرعية : شرعية الوجود وشرعية الهزيمة . فالجزء ممثل للكل والكل هذا « كان في مستوى المعركة ولا يزال » (٥) ، اذن فالنظام المهزوم كان ولا يزال أيضا في مستوى المعركة ، فهو هنا يغتصب الشرعية ليعود فيبرر الهزيمة . تبدو الهزيمة اذن للكل وليس للجزء وان كان هناك ما يحتاج الى تغيير

واصلاح فهو الكل وليس الجزء أي الطبقة المسيطرة سياسيا « سلاح الوعي أمضى ما تحتاجه هذه الامة العربية من اسلحة ... فبالوعي نستطيع جميعا أن ... » (٦).

« فالوعي » كما نرى هنا ينقص الجميع ، من يحكم ومن لا يحكم ، وهذا لا يعني فقط تبرير السقوط بل إسقاط الهزيمة على الوعي الجمعي المتخلف ، وفي كلتا الحالتين يخرج المهزوم نظيفا وبريئا .

من خلال قراءتنا للفكر الغيبي الذي يعمر الصحافة العربية نلاحظ امرا آخر هو المفهوم الصوفي للأمة العربية ، فهي تقدم كوحدة روحية سرمدية ، وكجوهر لانهايتي لا يقبل القسمة ، وكل متجانس متناغم لا مكان فيه للصراع او التناقض ، أي أن هناك مفهوما توحيدا للأمة العربية فهي لا تخضع للصراع الطبقي ولا لقانون صراع الطبقات ، وعلى الرغم من النزعة الاخلاقية ظاهريا لهذه الرؤيا فان دلالتها السياسية خطيرة ، فهذه الرؤيا تنزع الطابع الطبقي للانظمة المهزومة وتجعل البديل عنها مستحيلا أو لا ضرورة له ، ذلك أن سبب الهزيمة لا يعود الى بنیان سياسي محدد بل الى طبيعة الامة العربية « المعركة الأخيرة كشفت عن وجود ثغرات كبيرة في سلوك الامة العربية على جميع المستويات ... ، وما حدث لنا في حزيران الماضي كان نتيجة حتمية لنوعية السلوك العربي » (٧).

ان هذا التحليل يسقط أزمة الانظمة على الشعوب العربية ، وبالتالي فهو على مستوى التضييل يقوم بدوره بوضوح ودقة ، أما عندما يضطر الى تفسير أسباب الهزيمة يختبئ وراء لفظية ميتافيزيقية « سلوك الامة العربية » ، وهذا السلوك يحتاج الى تصحيح وليس الى هدم وإعادة بناء . معنى هذا ان رؤية الهزيمة وتحليل أسبابها يتم من وجهة نظر الطبقة المسيطرة ، أي المهزومة ، وبالتالي فان هذا التحليل **طبقي** حتى الصميم في جوهره على الرغم من لاطبقية الظاهرة ، انه يلجأ الى المفهوم اللابطي ليخفي طبقيته ، لذلك فهو يجتر باستمرار مقولات ميتافيزيقية جامدة مثل « العقل العربي ، الممارسة العربية ، الامة العربية ، الوعي العربي » علما بأن هذا التجانس الموهوم لا وجود له الا في مخيلة ايدولوجيي الطبقة الحاكمة والمهزومة (٨).

يصل الفكر الغيبي الى أعلى درجاته عندما يعطي الهزيمة طابع المعطى الالهي الذي لا يتسهل سبر غوره بسهولة ، عندئذ تصبح الهزيمة نعمة يستحق مسيبتها التكريم لانها جسر الى عالم جديد « ان ما يراه الناس منحة البسها الله ثوب المحنة ، فهي في ظاهرها محنة ولكنها في الحقيقة منحة » (٩). فلا ينبغي اذن لا البحث عن أسباب الهزيمة ولا كيفية تجاوزها لانها معطى قدسيا يجب قبوله بسرور ، يصل هنا الفكر البدائي المتخلف الى أقصى درجاته فهو ليس فقط مضللا ومبررا بل مقاتلا ضد المعرفة والحركة .

مأساة الفكر المتخلف

حاولت بعض الصحف أن تخفي سبب الهزيمة الحقيقي الكامن في التركيب النبوي للأنظمة معطية بذلك صفرا لهذه الأنظمة ، الا أن صحفا أخرى جاءت أيضا لتبرير الهزيمة ، لكن منطق تبريرها المتخلف أظهر السبب الحقيقي للهزيمة ، حيث أظهرت بشكل صارخ اللاتماثل القائم بين الفكر المسيطر وطبيعة العصر ، فالفكر هذا ليس مغتربا عن العصر بل غريبا عن العصر ، انه لا يزال يهيم في عالم الفروسية البائد ، ويضيع في أركان « كلية » متخلفة ، فهو متخلف عن فهم قدراته الذاتية ، وعن فهم قدرات عدوه ، ويقع كل فكر يخارب التخلف . وتحل اللاعقلانية هنا مكان العقلانية ،

فالظاهرة ترى لكنها لا تثير العقل بل تثير عواطف الفارس الكامن في بطون الكتب الصفراء « حديث النكسة... حديث يدمي القلب ويهز الاعصاب ، ان بوسعنا ان نبكي ولكن ما هذا شأن الرجال » (١٠). تدور المحاكمة هنا بين القلب والرجال حيث يبرز حنين الى عهد الفروسية مغترب عن القرن العشرين ، وحيث ينبعث تطلع عنين الى ماضٍ مجيد قديم ، ويلعب الماضي المجيد هنا دورا في تجميل الحاضر البائس ، وتصبح فروسية الاقدمين مخدرا لبشاعة الحاضر ، ويصبح الفكر المتخلف الراهن هنا مغتربا عن حاضر بسبب قربه وعن ماضٍ بسبب بعده ، فهو لا يطاول لا شرف الماضي ولا تقدم العصر ، فيفتضب الحاضر والماضي . فالفكر المتخلف عاجز عن فهم الحاضر « انتهزت اسرائيل ومؤيدوها من دول الغرب الخلاقات العربية وخططت لجر العرب الى الحرب وهم غير مستعدين لها » (١١) .

وكما نرى هنا فان التحليل ينسى كليا الحقل السياسي والنفسي الذي سيطر قبل الخامس من حزيران . وهذا النسيان بلا شك ليس اراديا فقط بل يعود أيضا وبشكل رئيسي الى فكر غريب عن منجزات العصر ، فعندما يصبح عنقرة حاضرا يتلاشى تماما مقال الحرب العلمي « ان العربي شهيم ابي ، يفور امام كل ضميم يلحق به أو اعتداء يقع عليه ... وهو لا يرضخ مطلقا امام القوة بل يفضل الموت على الرضوخ » (١٢) . ينسى هذا التفكير معطيات الواقع العياني ، اي الطبيعة الطبيعية للأنظمة « المحاربة » واللاهثة من أجل مصالحها الانانية . لذلك فهو يردد أيضا معطى من معطيات الفكر القبلي والغيبي ، عبادة الفرد القائد من خلال رؤيا أخلاقية تعيسة ، فالعربي لا يعتبر المحنة منحة فقط بل يفخر بقادته حتى عندما يصنعوا الهزيمة « العربي يعتز بقادته وهو يرجو أن يكونوا دائما خيرا لبلاده ... وهو مؤيد لهم ... ومدافع عنهم » (١٣) . وهكذا يطير الفكر المتخلف في عالمة الضبابي فلا يرى أخطاء ولا هزيمة ، لان هذه لم تكن نتيجة لممارسة جهاز محدد بل بسبب « الزاوغسة التي استعملها الامريكان والبريطانيون ضد العرب » (١٤) ، وتصبح الهزيمة هكذا نتيجة مؤامرة عالمية يقارعها العربي وحيدا ، فالعجز امام فهم الواقع يفرز كل الاطروحات اللامنطقية الأمة في تبرير الهزيمة وامرارها ، ويقفز الفكر المتخلف هنا من عنقرة الى الصليبيين بواسطة شوفينية بائسة « لو ان هذه الاحداث وقعت في غير البلاد العربية والاسلامية لما بقي أحد في دنيا التمدن المزعوم الا رفع صوته بالاستنكار والاستهجان والمطالبة بالقصاص » (١٥) .

يعود الفكر المتخلف بعد ذلك الى ذاته ليبتلع فشله مغتصبا المجد الغابر « العرب اعتادوا ممارسة الكفاح الطويل ، في مختلف العصور والظروف والبقاع ، وكان النصر دائما حليفهم ، والاندحار رفيق أعدائهم » (١٦) . نلمس هنا صنمية الماضي ، أي يصبح الماضي مزارا ليس لقيمته الذاتية بل ليجهل وجه الحاضر المشوه ، ان دورة الفكر هنا ينوس بين محورين ، الماضي والمستقبل ، أما الحاضر فهو غائب باستمرار لانه لا يمكن استعماله وظيغيا الا بقدر .

منطق التبرير

لم تقدم الصحافة العربية تحليلا لهزيمة الخامس من حزيران بل قدمت تبريرا لها ، ومعنى ذلك القفز فوق السبب الحقيقي للهزيمة والبحث عن جملة أسباب أخرى خارجية ، فلا يمكن السبب في بناء الجهاز المسؤول بل في جملة عوامل خارجة عن ارادته وبنينه وتصوراته ، وهذا يعني ان السبب خارجي أو عرضي وليس بنوييا .

من أول التبريرات « اننا » لم نحارب اسرائيل بل الامبريالية العالمية قاطبة ، أي ان الانظمة كانت كاملة لكن الخصم أقوى مما يجب « النصر العسكري الذي تدعيه اسرائيل

اليوم ليس من صنعها ولكنه نتيجة مؤامرة ثلاثية امريكية بريطانية اسرائيلية « (١٧) ، أي ضد « قوى الامبريالية والاستعمار » (١٨) . ومع ذلك تركز بعض الصحف على قوة امبريالية دون أخرى ، « حكومة بون زودت اسرائيل بسم فتاك يكفي لايادة سكان القاهرة » (١٩) . ان الفكر المبرر هنا يصل الى حد الخرافة ، لكن هذه الخرافة ليست متماسكة لان بعض الصحف تعتبر الهزيمة منوطة بشكل رئيسي بـ « قواعد عسكرية لامريكا وبريطانيا » (٢٠) .

مهما تكن طبيعة العدو الخارجي فان التبرير يهدف الى براءة وتقديس النظام المهزوم .

بعض الصحف تقلب الاطروحة وترممها لجعلها أكثر صلابة ، فالهزيمة لا ترجع الى عامل خارجي واحد بل الى عاملين : قوة العدو من ناحية وخديعة الصديق من ناحية ثانية . والاستقاط هنا يقع على الاتحاد السوفييتي اذ يصبح الفراغ الذي تغذف اليه كل مسببات الهزيمة . « فالاتحاد السوفييتي يعترف باسرائيل » (٢١) وهو مصدر لـ « خيبة الامل » (٢٢) ولقد ارتكبنا خطأ عندما « افرطنا في حسن ظننا بالدول الاشتراكية ونسينا ان اسرائيل قد خلقت بالتعاون العجيب بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا السوفييتية » (٢٣) . في البحث اللاهث عن التبرير المستحيل تلوي الصحافة عنق الحقيقة وتغبط الدور النشط والفعال الذي يلعبه الاتحاد السوفييتي في دعم حركة التحرر العربي ضد الصهيونية والقوى الامبريالية .

يفصح التبرير عن هشاشة محاكماته عندما يقوم بنقد ذاتي خجول ، فهو سرعان ما يتبنى اطروحة ثم يعود فيهجرها ، كل ذلك ليؤكد حقيقة واحدة هو أنه لا يحلل ولا يشرح بل يبرر أي يقوم بعكس شأنه للواقع ، لذلك فاننا نعثر في حقل التبرير على جملة محاكمات ، فالهزيمة تعود الى عدم المبادرة ، حيث ان الحرب ونتائجها تحدد بعنصر يتيم هو المبادرة « مفاجأة ضرب الطيران المصري حسمت المعركة في الساعة الاولى » (٢٤) . يظهر التبرير منذ البدء هشاً عندما يستعمل كلمة « مفاجأة » على الرغم من كل الظواهر التي سبقت الحرب والتي كانت تشير باستمرار الى اقترابها .

ويصل « عطارو الفكر » الى اقصى درجات الابتذال عندما « تشرح » الهزيمة بلغظية نفسانية « كان يمكن احراز النصر لولا عوامل تتعلق بالنفسية العربية المبنية على حب التظاهر والطيبة وكشف الاوراق ... وهذه العوامل يتقاسم مسؤوليتها الشعب العربي نفسه ثم القيادات الثورية » (٢٥) . اذن يمكن تجنب الهزيمة بتربية نفسية جديدة تحارب حب التظاهر ، وعلى هذا فالنقص يكمن في « جوهر الانسان العربي » ، ويتدارك المبرر هنا انه انتقد « القيادات الثورية » لذلك يعود ليلقي باللوم كله على الشعب العربي الذي « يريد من حكامه الثوريين والذين يثق بهم ان يعلنوا له كل شيء ، فاذا لم يعملوا ذلك يتهمهم بوطنيتهم » (٢٦) .

يكشف التخلف عن ذاته حتى لو لم يرد ذلك ، فالمنطق السابق ينشر التعمية والتضليل ، أي يقوم بدور وظيفي في تشويه الانسان العربي لحساب طبقة ، مع ذلك فهو يتكلم عن الديمقراطية المطلقة الكامنة وراء الهزيمة ، فمن اسباب الهزيمة اذن ليس علاقة القمع القائمة بين الطبقة المسيطرة سياسيا والفرد ، بل تعود الى فائض الديمقراطية في سوق البرجوازية العربية .

نقطة انطلاق التبرير اذن سلامة البنيان الداخلي . اذن فالبحث عن الاسباب يدور دائما في حقل خارجي ، في الحقل هذا تأخذ مقولة الوحدة العربية دورا في التبرير ، خاصة ان هذه الوحدة ترى كجمع ذوات عربية وليس مشروعا طبقياً موجهاً ضد

الاستغلال والتخلف والإمبريالية « سلاحنا الحيوي في هذه الحرب الطويلة التي دخلناها = القدرات الذاتية للامة العربية . فيجب تعبئة كل طاقاتها الى اقصى الحدود وبأكثر الاشكال فعالية وحسما + وحدة القيادة » (٢٧). والرد الحقيقي لتجاوز الهزيمة لا يكون باعادة البناء السياسي على أسس جديدة قادرة على ادارة الصراع بل ان « الرد العملي الوحيد على النكسة ، للمدى القريب والبعيد معا هو الوحدة » (٢٨).

كما رأينا فان المنطق المثالي يقفز ظاهريا فسوق الطبقات على الرغم من طبقته الصميمية ، وهو يسحب لاطبقته هذه على المستوى العالمي ، فيرى في العالم دولا غنية ودولا فقيرة ، أي ان العالم لا يقسم الى معسكر امبريالي وآخر اشتراكي محكومين بمفهومين للعالم متناقضين ، بل عالمان يتقاسمان التكنيك « ينقسم عالما الحاضر ، على الصعيد الاقتصادي ، الى فئتين كبيرتين هما البلدان المتقدمة والبلدان النامية » (٢٩). ويهدف هذا الموقف الى تشويه طبيعة العلاقة الايجابية القائمة بين البلاد العربية والاتحاد السوفييتي ، وتجميل الوجه الامبريالي الداعم لاسرائيل وللرجعية العربية . ويتسع هذا المنطق ويصعد من تركيباته الذهنية ليجد منفذا جديدا لتجميل الواقع المأزوم ، « فالمحنة » تبقى عائمة على سطح الظاهرة لان مردها تخلف العلم والتكنيك « أهم دروس الهزيمة هو اننا أهملنا العلم في السنوات الماضية » (٣٠). فدروس الهزيمة لا تمس الجهاز البيروقراطي المتضخم ولا القمع البوليسي ولا الموقع السياسي والموقف الايدولوجي للسياسة والعسكريين ، بل تمس فقط وجه التكنيك الغائب . ان التكنيك هنا يستحيل الى مفتاح سحري قادر على فتح كل الابواب وايسادها ، وفي اطار التحليل لا يأخذ قيمته من دوره الفعلي في الانتاج بل كمرتكز جديد للتبرير ، أي ان التركيز على العلم والتكنيك لا يتم من خلال رؤيا علمية ، بل من خلال منطق برغماتي : فراغ جديد للاستقاط . وهذا يعني صيانة الطبقة المسيطرة سياسيا وتطوير التكنيك فقط « اننا أمام عدو متعلم وعصري وليس هناك حل آخر أمامنا على خط المواجهة الشاملة غير ان نكون أيضا متعلمين وعصريين » (٣١) ذلك انه « لا يمكن ان نحقق التفوق على العدو الا على أساس استيعاب كامل للعلم والتكنولوجيا » (٣٢).

كما يحاول البعض ان يتسحح بلبوس الموضوعية ، فينحي جملة العوامل السابقة جانبا ، ليركز بشكل رئيسي على الخصم الرئيسي اسرائيل ، لكن هذه الموضوعية ما تلبث ان تتلاشى عندما يعملق المبرر صورة الخصم ويعطيه ابعادا لا متناهية ، ليعطي بذلك صورة منطقية للهزيمة لاننا « كنا نواجه عدوا تلقى مساعدات غير عادية ، وهذا العدو تصرف فيما حصل عليه من الامكانيات ببراعة غير عادية » (٣٣). لكن المبرر ما يلبث ان يسقط من جديد عندما يقول « ان مفاجأة القدر التي دهمتنا » (٣٤). « فالشرح » السابق لقوة العدو يفقد معناه لان الهزيمة أخذت طابعا قديريا مداها ، أي لا يمكن صده ، عندئذ تبدو حرب حزيران كمأساة يونانية ومشخص المأساة فيها الطرف « العربي » أي الطبقة السائدة سياسيا .

ضمن هذا الاطار الباحث عن التأويل بمجموعة علاقات وهمية ، نجد آثارا لعلم الاجتماع الأمريكي الذي يفسر كل « انحرافات » المجتمع باعتبارها اخلاقية وغيبية ، وليس من خلال علاقات الانتاج التي تحكم المجتمع « فأسباب النكسة موجودة في المجتمع العربي وفي الاخلاق السياسية والاجتماعية التي كان وما يزال يتعامل بها الافراد والجماعات » (٣٥). ما يجب اذن تغييره لا يتعدى اعادة التربية الاخلاقية و « تطهير النفوس » . فقراءة الهزيمة لا تتم من خلال مفاهيم : طبقة ، صراع طبقات ، نظام انتاج كولونيالي ، تبعية اقتصادية — سياسية ، بل من خلال جملة مقولات ايدولوجية — غيبية : أخلاق ، أفراد ، جماعات ، « تعفن أخلاقي سائد » (٣٦).

ان التبرير المتعدد الاشكال هذا تم من وجهة نظر الطبقة المسيطرة ، لذلك فهو عاجز ان يرى نفسه كما هي لانه يتوهم انه شامل كامل ، لذلك فهو يرصد اسباب الهزيمة في عوامل خارجية ، ويرى بالتالي ضرورة تغيير وتطوير العوامل الخارجية ، اما هو كمطلق الفلسفة المثالية كامل لا يتغير وقادر على تغيير غيره ، فهو بؤرة ثابتة وما حوله عالم متحركات . لذلك فالطبقة المسيطرة عاجزة عن رؤية ذاتها ، وهذه الرؤية لا يمكن ان تتم بشكل صحيح الا من خلال نقيضها .

ميكانيكية التضليل

يتمثل التضليل باعطاء تاويل مشوه عن واقع ما لجعل الآخر غير قادر على رؤية الوجه الحقيقي لهذا الواقع ، وهي تهدف الى دعم وتأكيد هذا الواقع المشوه في جوهره ، أي انه عندما تقدم الايدولوجيا المسيطرة صورة مشوهة عنه تقوم بتصحيحه حتى يقبل كواقع عادي . فالتضليل اذن يهدف الى اعطاء صورة مشوهة عن واقع مشوه ، أي ازالة تشويه هذا الواقع بأدوات ايدولوجية .

وقد يكون التضليل عملا واعيا يرمي الى تخدير الآخر حتى لا يرى هشاشة وسوء الواقع ، فهو في الحالة هذه نمطا من الدفاع عن الذات وترميم هذه الذات ازاء الآخر .

اذا طبقنا هذا المفهوم على صحافة الهزيمة لوجدنا انها ارادت ان تغطي الوجه الحقيقي لتجليات الانظمة عند صدامها مع العدو وسقوطها امامه . لذلك أخذ التضليل كل ابعاده الممكنة ابان حرب حزيران وقبيلها ، ويتمحور عمله هنا على رسم شكل العلاقة بين الانظمة العربية والعدو الصهيوني ، أي رسم صورة سلبية للعدو من ناحية ، ورسم صورة ايجابية للانظمة العربية من ناحية ثانية .

لذلك فقد رسمت الصحافة صورة العدو « الذي يعيش في حالة فزع واضطراب » (٢٧) والذي في طبيعته « كيان صنع من الجبس ليس أصيلا ولا صلبا ، ولا يستطيع أن يتغير الا اذا أنكسر » (٢٨) . وعلى هذا فان هذا الكيان بدأ يتصدع « وخطت مدن اسرائيل من الثسبان تماما كما أغلقت الفنادق أبوابها بعد ان هرب السياح » (٢٩) . وتؤكد هذه المعطيات كلها أمرا واحدا هو « ان صفحة جديدة تفتح اليوم لتكتب فيها أمنا نهاية آخر الاستعماريين والى الابد الوجود الصهيوني » (٤٠) .

لا يعجز الفكر الايدولوجي هنا عن تقدير قوة العدو فحسب ، بل يحاول ان يعملق ذاته على حساب الآخر ، فيرتكب عندئذ خطأ مضاعفا : الجهل بالذات والجهل بالآخر . فالآخر يبدو جزءا مضطربا في حين تبدو الذات « الانظمة » قوية متراصة في حركة دينامية دؤوبة ، فهناك « توزيع المتطوعين على تشكيلات السلاح » (٤١) و « التعبئة العربية عسكريا وسياسيا واقتصاديا تصل الى ذروتها » (٤٢) ، كما تبدو المعنويات في أوج حماسها « دفعة جديدة من الطيارين تأخذ مكانها . . . وقائد القوات الجوية يقول : هذه دفعة محظوظة لانها تتخرج والقوات المسلحة مستعدة للقيام بواجبها » (٤٣) ، وتأخذ اليقظة والوعي كل ابعادهما « أمر الى الطائرات المصرية المزودة بالصواريخ الموجهة ان تقوم بمتابعة تحركات حاملة الطائرات البريطانية « هيرمس » التي تعمل في البحر الاحمر » (٤٤) . أما فيما يتعلق بالوضع العربي فالوضع لا يقل حماسا ونهية « رئيس وزراء الاردن يؤكد للاتوار : سنخوض المعركة » (٤٥) و « قوات جوية وبرية تغادر العراق لتتخذ مواقعها في الجبهة الامامية ، وليبيا تعلن انها ستقطع بترونها في حال تعرض الدول العربية للعدوان » (٤٦) . وتظهر النظرة الاولى الى هذه الوقائع استعداد العرب الكامل لخوض المعركة ، وقبول كل التحديات مهما عظم شأنها « غواصتان

مصريتان تلحقان بحاملة الطائرات الامريكية انتربيد «(٤٧)» خاصة ان سير الاحداث يخدم القضية العربية « المراقبون ، كسب عبد الناصر الوقت وصار الزمن ضد اسرائيل «(٤٨)» واذا تتبع الباحث الصورة رأى الامر مبشرا بنصر ساحق ، فالعرب صف واحد لا شقاق فيه « زكريا محي الدين يطير اليوم الى الجزائر «(٤٩)» والجماهير تطلق كل حماسها « مئات الالوف يهتفون : ناصر . ناصر «(٥٠)» . أما فيما يتعلق بموقف الاصدقاء فمشجع ايضا « قطع الاسطول الروسي تصل الى المتوسط وتراقب السفن الامريكية عن كثب « بعد كل هذا تبدو صورة النصر قريبة ، كيف لا « والتنسيق العسكري العربي يتكامل «(٥١)» بل انه يمكن البدء باحتفال النصر قبل وقوع المعركة « لن نقيم التبرعات اسرائيل الى الابد . وعسكريا سقط منطق قوتها المزعومة ، وعربيا زالت الاوهام «(٥٢)» .

يتلاقى في اطار هذا المنطق امران : التخلف والدفاع اللاواعي عن البنيان الهش ، انه ترميم مسبق للبناء المتصدع حتى قبل رؤية الصدوع . وينتج عن ذلك امر اخر هو وجوب ادغان الفرد وصمته ، ذلك ان كل شيء يتسم بالكمال والاتساق ، لذلك فاي نقد هو كسر لقانون سليم وتشهير ببناء متسق بلا شروخ .

يرتفع الحماس ويبلغ ذروته في الخامس من حزيران ، حيث تشير كل الدلائل الى النصر « القوات السعودية تدخل المعركة . الجزائر والكويت والسودان تعلن الحرب على اسرائيل ، وقوات الاردن تحتل جبل « المكبر » في القدس وتضرب خمس مستعمرات اسرائيلية . طيران العراق يقصف مواقع العدو ومنشأته داخل اسرائيل ، والقوات البرية تتقدم . قاذفات القنابل السورية تضرب معامل التكرير في حيفا «(٥٣)» . والنظرة الى ميدان المعركة توحى بأمر واحد أكيد « الشعور عند العرب بالنصر وسقوط اسرائيل «(٥٤)» .

يتابع الفرد العربي بعد ذلك سير المعركة بهدوء ليرقب عملية احتضار اسرائيل السريعة « قواتنا المسلحة توغلت داخل اسرائيل بعد معارك عنيفة واسقاط ٨٦ طائرة ، بيانات اسرائيل تعترف بالخسائر الفادحة والتقدم العربي الجبار «(٥٥)» . هذه الانتصارات حققها فقط فريق واحد في المعركة ، اما الفريق الاخر فله انتصاراته أيضا « نسورنا البواسل يستقون ٥٤ طائرة صهيونية — القوات العربية تدخل فلسطين — الحرب في يوم الانتصار المبين «(٥٦)» .

ان هذا الانتصار حسب منطق الصحافة العربية لم يكن مفاجئا ، فالقاهرة « لم تكن فقط تتوقع العدوان في أي لحظة ومستعدة له كل الاستعداد ، وانما كانت على علم مسبق ودقيق بتاريخ وقوعه ، والقاهرة كانت تقول ، الضربة الاولى لاسرائيل ثم الضربة الثانية لمصر وستكون ضربة قاضية «(٥٧)» يقود هذا المنطق شكليا الى تحديد حجم النصر « العواصم العربية تعيش فرحا تاريخيا والغارات على تل ابيب مستنمرة «(٥٨)» وتحديد حجم هزيمة العدو أيضا « تلقى طيران العدو ضربة قاصمة وفقد ١٦ طائرة في ١٢ ساعة «(٥٩)» .

ولا يريد هذا المنطق المضلل ان يكشف تخلفه ودوره الايديولوجي بالمعنى البتذل للكلمة لذلك يعمد في التضليل عندما يحدد نقاط انطلاقه « الاحتمالات بعيدة عن العاطفة القومية بل نابعة من العقل ، ان اسرائيل وقعت بعدوانها في فخ من الاستحيل عليها الافلات منه «(٦٠)» ؛

بعد تأكد الهزيمة بكل ابعادها المروعة يمكن ان نستخلص حقيقة واحدة هو ان حجم التضليل كان بحجم الهزيمة ، وان ممارسة التضليل هي الخبز اليومي للانظمة ، واذا

كان تضليلها وقف عاريا عاجزا هذه المرة فبسبب عمق الضربة الاسرائيلية ، وتبدأ بعد ذلك مباشرة حملة جديدة من التضليل لتبرير الهزيمة ، أما التفسير الذي هو الخطوة الاولى نحو المعرفة العلمية فيبقى غائبا .

ان ممارسة الصحافة هنا اقل بكثير حتى من حدود المعرفة الايديولوجية ، حيث ان هذه الاخيرة تمس سطح الظاهرة ، لكن الصحافة في ٥ حزيران تأبى حتى ملامسة سطح الظاهرة ، انها تبحث عن السبب في عالم اخر ، فعالم الانظمة عالم مقدس لا يمكن لمسه ، اذلك تهرب الى فراغ بلا حدود كي تبني فيه جملة اطروحات وهمية ، انها « تشرح » الواقع بالوهم وليس بالمعرفة حتى التجريبية منها . لذلك فهي لا تظهر حجم الهزيمة بل « جوانبها الايجابية » « يجب ان نتذكر ان هزائم كثيرة ممكن ان تولد اشياء جديدة » (٦١) فليست الهزيمة مجانية اذن بل ذات مردود ايجابي ، وهي قابلة للتجاوز لان سببها ليس داخليا بل خارجيا . فجوهر الانظمة ملئ ، لهذا يتجه الوهم الذاتي الى « دور سفينة التجسس الامريكية في العدوان ، خمس خدمات قدمتها ليبرتي للعدو الاسرائيلي » (٦٢) ، ويعود الوهم من جديد ليؤكد ان اسرائيل اخفقت في تحقيق ما تريده فعلا « اسقاط الحكومات العربية المتحررة المحيطة باسرائيل » (٦٣) ، تصبح الهزيمة عندئذ نكسة ، فالاشياء لا تسمى بمسمياتها كي تفقد حجمها الحقيقي .

يلاحظ باستمرار ان الحاضر له مكان هامشي ، فالبحث عن التعويض واعادة التوازن ينوس بين الماضي والمستقبل ، ويبحث الوعي التعيس عن تجاوز تعاسته في المستقبل ، اي يصبح المستقبل محور الاهتمام والامل كله ، فامام يؤس الحاضر يصبح الزمن الآتي غردوسا مفقودا ، أي ان هناك تصعيدا لليؤس ومحاولة وهمية لتجاوزه تذكرنا بديالكتيك السماء والارض عند البائس ، فحاضر الانظمة هو الارض بكل يؤسها ، اما سماؤها فهي المستقبل « فالحرب الرابعة في مصلحة العرب » (٦٤) و « الحرب حتمية وسوف تكون من طراز جديد » (٦٥) و « اسرائيل لن تستطيع مجابهة حرب التحرير العربية حتى ولو استخدمت القنبلة الذرية » (٦٦) ويتكرر تأكيد هزيمة اسرائيل المقبلة « لن تكون اسرائيل رابعة في الحرب الرابعة » (٦٧) .

يسقط الحاضر نفسه على المستقبل اولا ثم يعود فيعتبر المستقبل حاضرا عندئذ يستعيد توازنه من جديد ويبرر شرعيته ، خاصة ان هذه الشرعية لها « اساس مادي » المتمثل في اعادة بناء الذات والتهيؤ من جديد « لاسترجاع فلسطين » - « لتطمئن الصحيفة ان مصر تملك من قواعد الصواريخ السرية اكثر بكثير مما زعمت مجلة « لايف » ان اسرائيل استولت عليه » (٦٨) .

ويأخذ التضليل احيانا شكلا اخر هو التماثل مع الآخر المقاتل فعلا ، التماثل مع فينتام ، اي تعطي الذات المهزومة لنفسها الاعتبار من خلال مماثلتها مع من هو لا يماثلها فعلا « كما ان القصف هناك ، اي استعمال القوة ، لم يحقق النصر كذلك فان القصف هنا ، اي استعمال القوة ، لم يحقق النصر » (٦٩) .

يلاحظ ايضا ان المقارنة هنا شائهة وهجينة ، وهي لا تتم انطلاقا من الثنافة بشكل وطبيعة وهدف النضال الفينتامي بل من اعتبارات برغماتية ، اي ترميم الانا المتأكلة والبحث عن التوازن والتعويض . فهناك دائما ذات ناقصة باحثة عن التوازن لذلك فهي تهيم في عالم المستقبل ، وفينتام ، وقدرات البترول العربي (٧٠) ، لانها تنطلق من منطقتها الخاص عن ديوموتها وشموليتها وسلامة ممارساتها .

كما جاءت هزيمة حزيران بشكل جديد من التضليل ، فالدول المهزومة تقف في صف

الدول المناهضة للامبريالية ، الا ان الهزيمة اظهرت غربة هذه الانظمة عن الجوهر الحقيقي للنظام الذي تدافع عنه ، فهي في شكل ممارساتها مغتربة عن النمط الحقيقي للنضال من اجل التقدم ، لذلك فقد فهم سقوطها كسقوط للنهج الوطني الذي تسلكه ، اي ضرورة العودة الى الشكل السياسي الدارج في المنطقة ، والعودة الى الامة العربية المتميزة بعروبيتها فقط « لم يكن العدو يميز وهو يضرب المجاهدين العرب في ميادين القتال بين « رجعي » و « تحرري » ، بل نكاد نقول ان البطولة التي ابدتها بعض الرجعيين كانت اعظم بكثير من التضحيات التي بذلها بعض « الثوريين والتحرريين » (٧١)

وهذا المنطق يعني ان التحرر يقود الى الهزيمة اولا ، كما يعني ان العربي « بجوهره » وطني ومخلص ، فليس هناك بقية استعمارية ، اذن يجب تكريس الفكر الغيبي القديم وتهديم الفوارق التي يزرعها بين ابناء الامة العربية « الفكر الثوري والتحرري » عندهذا ندشن الطريق السليم نحو النصر .

لم يكن هدفنا من خلال هذه الملاحظات التقليل من قدرات اسرائيل العسكرية المرتبطة عضويا بالمعسكر الامبريالي ، ولا التقليل من الدور الذي يلعبه الجندي والانسان العربي في النضال من اجل قضيته : قضية التحرر والديمقراطية والاشتراكية . لكننا اردنا ان نؤكد على امرين فقط : اولهما النتائج المادية لسيطرة الفكر المتخلف المغرب عن العصر ، وعدم قدرته على تحديد العلاقات بشكلها العلمي ، وضرورة استبداله بفكر علمي قادر على رؤية العالم من خلال مفاهيم علمية لا تعمرها المعطيات الغيبية والضبابية المتحنتة في حنايا الماضي ، والتي تريد مخاطبة الحاضر بلغة عفا الزمان عليها ، لغة تتمحور حول منطق الفروسية والعاطفة الكسيحة ، والتي ترى الامور من خلال معايير اخلاقية وضميرية وليس من خلال معطيات محددة « سلاح الكراهية اشد فتكا من أي سلاح اخر » (٧٢) .

أما الامر الاخر الذي اردنا الاشارة اليه فهو حجم التضليل الذي تمارسه الصحافة العربية ، والذي يهدف الى طمس الحقيقة واغراق الفرد في عالم اوهام وتجهيل لا يجعله قادرا على عدم المعرفة فقط بل على عدم الممارسة الصحيحة ايضا ، اي أن عطاري الفكر لدى الطبقة المسيطرة يهدفون الى خلق وصنع فرد خام عاجز عن أي مبادرة حتى لا يمس اركان الجهاز المسيطر . ان هذا الفرد لم ير الامور الامن وجهة نظر الطبقة المسيطرة لذلك فقد عانى ولا يزال من قمع ايدولوجي بلا حدود .

ان هنك حجب الضباب المحيطة بالواقع لا يمكن ان يتم الا بأدوات علمية جديدة ، اي بأدوات الطبقة التي تنقض بفكرها وممارستها فكر وممارسة الطبقة المسيطرة .

ازمة الحضارة العربية ام ازمة البورجوازيات
العربية ، منشورات دار الفارابي ، ١٩٧٤ .

٩ - ابناء اليوم ، ١٩٦٧/٨/٥ .

١٠ - الجمهورية العراقية ، ١٩٦٧/١٠/٩ .

١١ - ملحق الانوار ، ١٩٦٧/١٠/١ .

١٢ - نفس المصدر السابق .

١٣ - نفس المصدر .

١٤ - الثورة العربية العراقية ، ١٩٦٧/١٠/١٢ .

١٥ - الجمهورية العراقية ، ١٩٦٧/١٠/١ .

H. Portelli : Gramsci et le bloc — ١
Historique P. U. F. p. 24-26.

Althusser : La pensée No. 151 — ٢
p. 26.

٣ - الدستور ، ١٩٦٧/٦/١٢ .

٤ - البعث ، ١٩٦٧/٦/١٦ .

٥ - البعث ، ١٩٦٧/٦/١٦ .

٦ - المحرر ، ١٩٦٧/٦/١٢ .

٧ - الدستور الاردنية ، ١٩٦٧/٧/٧٤ .

٨ - حول هذه النقطة راجع كتاب مهدي عامل :

- ١٦ - المصدر نفسه .
- ١٧ - البحث ، ١٥/٦/١٩٦٧ .
- ١٨ - المحرر ، ١٢/٦/١٩٦٧ .
- ١٩ - المثار العراقية ، ٩/١٠/١٩٦٧ .
- ٢٠ - الأهرام ، ٦/٨/١٩٦٧ .
- ٢١ - الحياة ، ٢/٨/١٩٦٧ .
- ٢٢ - المحرر ، ١٢/٦/١٩٦٧ .
- ٢٣ - ملحق النهار ، ٢٢/١٠/١٩٦٧ .
- ٢٤ - الأنوار ، ٧/٦/١٩٦٧ .
- ٢٥ - الكفاح ، ١٣/٦/١٩٦٧ .
- ٢٦ - نفس المصدر ، ١٣/٦/١٩٦٧ .
- ٢٧ - المحرر ، ١٢/٦/١٩٦٧ .
- ٢٨ - المحرر ، ١٢/٦/١٩٦٧ .
- ٢٩ - ملحق الأنوار ، ٢٢/١٠/١٩٦٧ .
- ٣٠ - الكاتب ، آب ١٩٦٧ .
- ٣١ - الأهرام ، ٢/١٠/١٩٦٧ .
- ٣٢ - النهار ، ١٣/٣/١٩٦٨ .
- ٣٣ - الأهرام ، ٦/٦/١٩٦٧ .
- ٣٤ - المصدر نفسه .
- ٣٥ - الدستور الأردنية ، ١٢/٦/١٩٦٧ .
- ٣٦ - المصدر نفسه .
- ٣٧ - الأخبار ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٣٨ - الأهرام ، ملحق ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٣٩ - الأخبار ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٤٠ - نفس المصدر .
- ٤١ - الأخبار ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٤٢ - المحرر ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٤٣ - الأهرام ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٤٤ - المصدر نفسه .
- ٤٥ - الأنوار ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٤٦ - المحرر ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٤٧ - صوت العروبة ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٤٨ - المحرر ، ١/٦/١٩٦٧ .
- ٤٩ - الأهرام ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٥٠ - صوت العروبة ، ٢/٦/١٩٦٧ .
- ٥١ - المحرر ، ١/٦/١٩٦٧ .
- ٥٢ - المحرر ، ١/٦/١٩٦٧ .
- ٥٣ - الأخبار ، ٦/٦/١٩٦٧ .
- ٥٤ - المحرر ، ٥/٦/١٩٦٧ .
- ٥٥ - الأخبار ، ٦/٦/١٩٦٧ .
- ٥٦ - البحث ، ٦/٦/١٩٦٧ .
- ٥٧ - المحرر ، ٦/٦/١٩٦٧ .
- ٥٨ - المصدر نفسه .
- ٥٩ - المصدر نفسه .
- ٦٠ - المصدر نفسه .
- ٦١ - الزمان ، ١٢/٦/١٩٦٧ .
- ٦٢ - الأنوار ، ١٥/٦/١٩٦٧ .
- ٦٣ - البحث ، ١٦/٦/١٩٦٧ .
- ٦٤ - البحث ، ١٦/١٠/١٩٦٧ .
- ٦٥ - الأهرام ، ١١/١٠/١٩٦٧ .
- ٦٦ - الأنوار ، ١١/١٠/١٩٦٧ .
- ٦٧ - الحياة ، ١١/١٠/١٩٦٧ .
- ٦٨ - الأنوار ، ٢٩/١٠/١٩٦٧ .
- ٦٩ - النهار ، ٢٩/١٠/١٩٦٧ .
- ٧٠ - الأنوار ، ١٣/٦/١٩٦٧ .
- ٧١ - الزمان ، ١٢/٦/١٩٦٧ .
- ٧٢ - الحياة ، ٤/٦/١٩٦٧ .

قوة الكلمات

الياس خوري

- ١ -

يرسم غسان كنفاني في روايته الاولى « رجال في الشمس » الرمز الاساسي الذي تعيد التجربة الادبية صياغته باصرار . فالرواية كعمل فني ، تبدو مقررة سلفا ، اذ يتدخل الكاتب بشكل تسري ليقود ابطاله الثلاثة الى الخزان . ثم ينسحب تاركا لمصيرهم المجاني صدى مرارات الذروة المجهضة . ويجلس على حافة الصحراء ويجعلها تردد : « لماذا لم يدقوا جدار الخزان » .

بين الوصول الى الموت المجاني وصرخة التساؤل ، تقع مسافة الكتابة التي تستعجل النهايات ، وصولا الى بداية مفترضة . لكن البداية لا تأتي من داخل السياق ، فالكاتب يفترض عبر وعيه الايديولوجي الحاد ان مجرد طرح التساؤل ، يبرر ضخامة الرمز امام ضمور التفاصيل التي تعجز عن تعبئة مسامه ، فيبقى كتلة صماء ، ذريعة للكتابة . ويموت الثلاثة دون ان نعرف ماذا جرى داخل الخزان لحظة الموت . يموتون موتا مجردا موتا رمزيا ، لان علاقتهم (كنص) تعجز عن اضاءة لحظة التساؤل .

يتدرج كنفاني في تعامله مع رمز « الخزان » في جميع رواياته . فهو مغلق او محطم ، لكنه يقف عائقا عن ايصال العلاقات الى لحظة انفجارها الداخلي . فحين تأتي أم سعد لتفجر خزان المخيم ، بهذا الاصرار العجيب على الفرح الثوري ، يتناثر الخزان شظايا فجرتها القنبلة الثورية ، ويرتفع الايقاع الشعبي الى ذروة الالتحام البسيط بالممارسة . ثم يخفت الايقاع وتعود الى الخزان مرة اخرى ، خزان الحواس . فيقدم لنا كنفاني عبر الحوار بين الاعمى والاطرش . اكثر نصوصه عمقا عن الشرط الفلسطيني ، الذي يتماوج كفعل تحده الاف السدود الذي يقيها جسده الممزق . **الخزان** ، مستوى اخر من العلاقة — فداخل كل رمز شبكة علاقات تصنع ايقاعه ودلالته . اي أن الرمز الكبير الذي تدور حوله رواية « رجال في الشمس » ، ثم يبقى ماثلا في بقية الروايات ، هو تلخيص مكثف لعلاقات اجتماعية ، سياسية ، ولدت وتشابكت وشكل هو امكانية نقطة تقاطعها . من هنا اهمية اكتشاف دلالته وعلاقاته .

الدلالة الاولى : هي دلالة الزمن . فالخزان هو الزمن الفلسطيني « العربي » . زمن جامد يتحرك من خارجه . من خارج ارادات الذين يفترض فيهم صناعته . الزمن هنا هو لحظات ، ست دقائق ، يقول ابو الخيزران . لكن الدقائق مائعة ، سريعة وملتهبة . قرارها خارج الرجال الذي ارتضوا الخزان هربا من خزان المخيم . فكما يتحكم البوليس بأطراف المخيم ، يتحكم البوليس بأطراف الخزان ، وكما يصنع البوليس زمن المخيم يصنع رجال الحدود زمن موت الرجال الثلاثة في خزان الماء .

الدلالة الثانية : هي دلالة الفعل . المكوث في الداخل ، ارتضاء للعجز . والعجز

هنا هو العجز الفردي . فكما ان الهرب من المخيم هو هرب فردي ، في سبيل الوصول الى الكويت . فان طريق هذا الهرب هي طريق فردية ، من يستطيع ان يتكلم مع الاخر داخل جهنم الخزان في هذا القيتظ . ويموت الثلاثة ، كل على حدة ، دون ان نسمع ايقاع موتهم الفردي .

الدلالة الثالثة: هي المكان . الصحراء . الهرب من خزان المخيم يجب ان يمر بالصحراء . كنفاني يلتقط هنا ظاهرة اجتماعية . ظاهرة الهرب الفلسطيني الى الكويت ويرمزها في سبيل تعميم دلالتها . الصحراء هي العطش ، والموت ، والقيتظ الشديد . المساء بعيد والبحر لا وجود له الا خلف الذين يهربون في ذاكرتهم — شط العرب — او على مقاعد الدراسة . فكأن الهرب هو مدخل الى الموت الفلسطيني ، المجاني ومكوث في الصحراء ، ثم انزواء امام القمامة في الكويت .

هذه الدلالات الثلاث تتشابك لتشكّل مدخلا الى العلاقات التي تقع خلف الرمز . العلاقة المحددة تستند بدورها الى شخصيات رمزية . ابو الخيزران هو رمز وواقع للعجز الفلسطيني (العربي) . يقود الخزان ، وهو عاجز جنسيا . ويموت الذين في الداخل ، لان رجال الحدود يمازحونه حول علاقات وهمية يقيمها مع عاهرة في البصرة . العلاقة التي تلف الابطال الثلاثة هي في هذا العجز الذي لا يسمح لابني الخيزران بالتخلص من رجال الحدود ، ثم يقوده الى رمي الجثث وهو يتساءل لماذا لم يقرعوا ؟ فيأتي تساعله هو الاخر مؤثرا رمزيا على الاستحالة ، استحالة الفعل . فقيداته للشاحنة ، هي دليل على وصول الهرب الفردي الى نهاياته المسدودة . الى اين يقود ابو الخيزران جثث رفاقه المحترقة داخل خزان ماء فارغ . الى الموت المجاني من شدة الحر ! هنا المفارقة الصارخة التي تضبط ايقاع الرواية وتجعل من علاقاتها صدى لعلاقات اجتماعية — سياسية اكثر اتساعا وحركة .

صدى العلاقات ، هو ما يتردد في الرواية ، فكما تردد الصحراء صدى صوت المؤلف ، يردد كنفاني صدى العلاقات الاجتماعية في سبيل ضغطها وايقاعها التي الموت . نلمح ثلاث شخصيات رئيسية ، تمثل اجيال الفلسطينيين المختلفة ، ولا نلمح من حياتها سوى الامور التي تتعلق بسبل العيش . واذا كانت شخصية اسعد تحمل معها ماضيها السياسي — الهرب من السجن — فان هذا الماضي ليس مشتركا مع ابي قيس او مروان . الثلاثة يبحثون عن لقمة العيش ، يستعيدون في شريط ذكرياتهم تفاصيل الحياة اليومية ، وبعض الذكريات عن الوطن . لكن عالم الذكريات يضغط حتى النهاية ، وتقوم الرواية بضغطه في حدود ضيقة ، وكان ميتة الخزان أصبحت قدرا فلسطينيا . التركيز على صدى العلاقات الاجتماعية وحدها ، لا يسمح لنا باكتشاف مداخل الخروج من الخزان او القرع على بابه على الاقل . نحن فقط امام لوحة محترقة تجري صياغتها في سبيل الوصول الى النهاية . تبدأ الرواية من نهايتها ، ولا تسمح للتداخل او للتداعيات بالانحراف عن خط وصولها : الموت . لذلك تصبح العلاقات اصداء . نحن امام اصداء الواقع الفلسطيني .

هنا نعود الى الرمز المركزي الذي يلقي بثقله على الرواية . فاذا كانت العلاقات غائبة . فان الرمز يحل محلها ليقوم بزمج الفجوة الايديولوجية بين الكتابة وطموحها . الرمز الروائي هو هرب من الكتابة . نعني بالرمز هنا ، الشبكة التي تلخص في نقطة مركزية واحدة جميع التفاصيل ، لانها تعطيها المعنى في النهاية . فالخزان هو هذه الشبكة الواضحة والمحددة . انه لا يرسم ظلاله على الشخصيات ، بل يرسم

الشخصيات . هنا الفرق بين الايقاع الرمزي الذي يشحن الدلالة ، وبين الرمز الشامل الذي يحددها ويقتنها في مصب واضح .

لا يمكن تحليل « رجال في الشمس » بمعزل عن تاريخها اللاحق ، عن اعادة كتابتها في « ما تبقى لكم » او انفجارها الشعبي في « أم سعد » . انها جزء من مسار روائي وفني ، حاول فيه كنفاني التقاط مفاصل الوعي الفلسطيني وصبها في لغة المرارات التي تسم نتاجه . فالخزان هو اطار الوجود الفلسطيني قبل الثورة . وهو الذي يقود الى الهزيمة . لكنه حين ينفجر يصبح أيقاعا شعبيا متفاوت الحجم . فأم سعد ، هي الرقصة الشعبية على اشلاء الخزان وقد حطمت ارادة التفجير الثورية . لكنها تبقى ، وهي تتعامل مع علاقاته في اطار تبسيطها الى اقصى الحدود . اي ان الرمز الكثيف المغلق ، الذي القى بظله على « رجال في الشمس » تبسط علاقاته الى اقصى الحدود في سبيل كتابة نشيد ثوري ، رومانسي الملامح ، رغم انتقاله على شخصية واقعية ومحاولته محاكاة الواقعية الاشتراكية . الرمز الفلسطيني ، يصل الى درجة انحلاله ، فيتزامن في داخله مستويان : المستوى الواقعي ، محاولة تحطيم الرمز من خارجه عبر اللجوء الى شخصية « أم سعد » الغنية بالدلالات الواقعية ، والتي تتعامل في علاقاتها مع أبسط الاشياء واكثرها مباشرة ، اشياء المخيم وملامحه المرسومة في تفاصيل الحياة اليومية . والمستوى الرومانسي ، الذي يشير الى ان واقعية العلاقات ، هي انتقال بها الى الرمز ، اي انها ليست أبعد من محاولة تبسيط للرمز المعقد وفك عناصره . لذلك تأتي « أم سعد » مشحونة بنبوة رومانسية واضحة ، وتأتي الحكمة الشعبية في داخلها وكأنها لتخلل نهائيا مكان صوت المؤلف الذي ارتفع في نهاية روايته الاولى .

تأخذ الحكمة الشعبية هنا ، الدور المركزي ، انها الوجه الايديولوجي الذي يقع قبل الرواية وفي داخلها . وهي كموجه ايديولوجي تمثل على صعيد الكتابة الروائية الجواب المباشر على اسئلة الواقع . فولادة المقاومة وتحولها الى النبض الاساسي في حياة المخيم ، يترجم عمليا ، بانهيار اتجاهات الخوف ، الهرب ، الموت ، السابقة ، وببروز عناصر الحلم وقد تخلى عن اعطيقته . يأتي الحلم هنا شفاغا ويحمل في داخله مفاجآته بنفسه . هنا تتحول العناصر المختلفة في حياة المخيم الى انسجام جديد . فالمهمات التي تفرضها علاقات المقاومة تضبط المستويات المختلفة لحياة المخيم ، وتعيد تنظيم دلالاتها داخل حقل الممارسة . لكن المستوى الايديولوجي العام ، لا يزال مذهولا بظاهرتين : هزيمة حزيران التي فجرت على مستوى الايديولوجيا السياسية ، الفكر القومي الذي أصيب بصدمة مفجرة ، لانه توقع عكس ما حصل في ايام حزيران القصيرة . والبروز السريع للشخصية المستقلة النضالية للشعب الفلسطيني ، التي أنت لتسد فراغا سياسيا في لحظات بدت وكأنها انهيارية . تنعكس هاتان الظاهرتان في التخلي الواعي عن الوعي السياسي المسبق ، والانفراس في تفاصيل الممارسة الجديدة ، التي بدت وكأنها البديل الوحيد لافتراضات سابقة . لكننا الان نلاحظ تبسيطية هكذا تحليل ، ونلاحظ في الوقت نفسه انه كان محاولة اسقاط العجز السياسي على تفاصيل كانت دائمة مشرقة ، لالباسها ثوب الرمز وتحويلها الى اشارة جديدة تحل مكان الاشارات السابقة . هكذا لا تجيب « أم سعد » على السؤال الذي يطرحه قارئ « رجال في الشمس » ، ماذا جرى داخل الخزان قبل موت الفلسطينيين الثلاثة ؟ انها تجيب بسؤال جديد ، ماذا يجري داخل المخيم في ثانيا علاقات أم سعد ؟ ما هو منطق الحركة الذي بقي غائبا ؟ . ان الاجابة على تساؤل بتساؤل جديد يحكم بنية

الرواية بطرفين محددين : الرمز والعلاقات التي يؤثر لها . فنتبقى العلاقات الحقيقية ، التحول غائبة . هذا ما تشير اليه « ما تبقى لكم » ، حين تقييم معادلة تجريدية ، لا تصل الى عينيتها الا في لحظة اللقاء القصيرة بين حامد والاسرائيلي في الصحراء . هنا مجرد كنفاني العلاقات ويصل رأسا الى النتائج في بناء روائي مذهل في قدرته على اختصار الحركة وتحويلها الى مجرد اشارات . في « ما تبقى لكم » تبدأ مسيرة الالتحام بالارض - القتال . وتصبح العلاقات الاجتماعية من طبيعة تساؤلية . التساؤل حول الخط الذي يصل بين « المؤجل » والفعل . تتوتر اللغة وتختلط عناصرها في محاولة للتغلب على انحلال مفصل العلاقات داخل الرمز الكبير في الرواية السابقة . لكننا نعود مع « عائد الى حيفا » الى اسقاطية سياسية لا مبرر لها . تتخلى عن الرمز وعن العلاقات الاجتماعية ، لتتيم ذروة تقليدية تتجمع عندها الارادية ، وكأنها الجواب المباشر ، على هزيمة حزيران . بعد « عائد الى حيفا » يرتفع صوت المخيم . انها مرحلة المخيم . هنا يعود الفلاح الفلسطيني من ذاكرته الى واقعه . فالعودة الى الارض ليست سوى المعادل الفعلي لاطروحة الموت في سبيل التغيير . هكذا يتغير الفلسطيني داخل موته . نلمح في « أم سعد » محاولات هذا التغير وقد ارتسمت على ملامح شبكة من العلاقات البسيطة والواضحة . لكن أم سعد : الام الواقعية ، تحيل المخيم من علاقاته العينية الى رمز . ونعود الى التساؤل من جديد لماذا لم يتكلم الفلسطينيون الثلاثة داخل الخزان ؟

عندما وضع كنفاني ابطاله الثلاثة في الخزان ، فان السياق كان يؤثر الى خيار الموت . الهرب موت آخر . او هو شكل آخر لموت الفلسطيني . لذلك فموضوع أن تتسع حدود المخيم ، ضاقت الى خزان صهريج يلتهب في حرارة آب الخائفة . هذا الخيار ، الهرب - الموت ، رسم للشخصيات الثلاث نهايتها المنطقية . لذلك نتركها في الداخل لنعاين موتها من خارجه . في علاقة أبي الخيزران برجال الحدود . هذه العلاقة المقررة هي التي تضع المعاني النهائية للهرب الفلسطيني . فالسائق لا يستطيع ان يقرر ، ارادته مسلوبة بعلاقته برجال الحدود . لذلك نبقى معه في زمن الحدث ، ونتخلى عن زمن السكون . زمن الحدث هو زمن العلاقات الخارجية الذي يحيل الدقائق الى مجرد لحظات في المحاولة اليائسة التي يبذلها السائق لانقاذ ضحاياه . نحن هنا ، في زمن الفعل الذي لن ينجح لكنه فعل يتحرك ، يحاول ، يفشل ثم يطلق صيحة الانذار . أما زمن السكون ، زمن الرجال الثلاثة الذين يحترقون داخل الآتون ، فانه زمن ساكن ، زمن الانتظار ، لذلك فهو زمن لا أهمية له في حركة الواقع (القصة) . فمجرد القبول بتسليم الزمام الى ابن الخيزران ، يعني القبول بالغاء زمن الفعل . هكذا يضعنا كنفاني ، في الخارج مع حركة ارتظام الواقع بالمأساة . فنلثت وراء محاولة السائق العبور في الوقت المحدد ، ثم حين يفشل ، تستسلم أجساد الفلسطينيين الى الموت ، وتستسلم الصحراء لصرخات المؤلف وهو يدعو الى دق الجدار قبل الموت ، الى البدء بلمس الطريق ، الى التخلي عن لهب الخزان الى الصحراء حيث تقابل العدو وجها لوجه على الأقل كما فعل حامد .

ان مكوث الرواية في الزمن الخارجي ، زمن الحدث ، يلغي جدل السؤال الذي يطرحه المؤلف . فالتساؤل الذي تحمله الصحراء يبقى من خارج معاناة الرجال الثلاثة داخل الخزان ، او على الأقل ، فان علاقتهم بالسؤال تبقى غامضة وغير واضحة المعالم . لكن لماذا بقيت الرواية في زمن الحركة ، ولم تحاول ان ترصد العلاقات الداخلية التي قادت اجيال الفلسطينيين الثلاثة الى الموت ؟

في آب ، وسط الصحراء يصبح الخزان غرنا حقيقيا . فبعد نقطة الحدود الاولى التي خرجوا منها سالمين ، لم يتكلم أحد منهم . خرجوا ليستنشقوا الهواء ، وليحاولوا استعادة قدرتهم على متابعة الرحلة . في الخارج ، وبعد ست دقائق فقط من المكوث داخل الخزان ، كان حوارهم مستحيلا . اما في نقطة الحدود الثانية ، وبعد الإرهاق الذي عانوه ، فان حوارهم في الداخل ، كان هو الآخر مستحيلا . داخل هذه الدرجة المرتفعة من الحرارة ، لم يكن باستطاعتهم الحوار . كان كل منهم يلهث بصوت مرتفع ، محاولا الحصول على اكبر كمية ممكنة من الهواء . الظلام الحاد ، يعطي لوجودهم معنى الصمت فقط . بين أن تغمض عينيك أو تفتحها هناك مسافة الارادة ، لكن الارادة كانت معلقة على طرف الخزان . متى يأتي الرجل ويفتح الباب ؟ متى تتحرك السيارة ؟ لم يكن مروان يتكلم أو يحلم . كان ينتظر فقط . حتى الزمن أصبح لحظات . ابتداء بالعد من واحد الى ستين ثم ثلاثين تدريجيا . الحوار المستحيل ، يخنق الذاكرة ، والحلم . كيف تحلم . الحلم الوحيد الممكن كان لحظة دخل الثلاثة في غيبوبة الموت . هنا لم يعد للحلم من مبرر . مبرر الحلم هو كسر الموت ، محاولة الافلات من قبضته . الصمت الذي يحترق على ايقاع اللهاث المرتفع ، جعل المسافة بينهم تتسع ، ولم يسمع للحركة . بين المخيم وخزان السيارة ، كانت المسافة تكبر كلما اقترب الموت . وكان العرق الذي ينزف على الاجساد لزجا وحادا في البداية ، ثم أصبح حقل النجاة الوحيد . انه الرطوبة الوحيدة التي تأتي الى هذا الفرن وتساعد على احتماله . ثم تلاشت الاجساد . ولم يصل أبا قيس ، لم يفكر بزوجته . لم يصرخ . كان ينتظر الموت . أما أسعد فقد تمسك بالعارضة حتى لا يسقط . فسقط على العارضة . وخفت اللهاث ، لم يرتفع صوت وكان الهرب الفردي موتا مجانيا وبلا جمال . يرتفع فيه انين الاحتضار الذي يخنق التمرد .

المبرر الوحيد لتحويل لحظات البقاء في الخزان من جمودها هذا ، هو ارادة كسر جدار الخزان . ربما كانت الارادة وحدها لا تكفي ، فليس مؤكدا ان ابا الخيزران ورجال الحدود ، كانوا سيسمعون القرع على الجدار . فهم في الداخل . لكن عدم التحرك باتجاه جدار الخزان يعني أحد احتمالين :

فقدان الزمن ، فالزمن يتحول هنا الى مجرد تتابع ساكن للحظات تتتابع دون ان تتحرك . ترصف الى جانب بعضها دون قدرتها على التداخل . انه زمن الظلام الشامل الذي لا يستطيع ان يقدم امكانيات التحول أو التغير . من هنا لا معنى للزمن الذي يعيشونه . انه زمن مائع ، تتحرك فيه الاجساد بعناصرها الطبيعية فقط ، بالعرق الذي ينزف على الجسد .

فقدان الذاكرة ، الذاكرة هي البعد الذي يمتد الى الماضي في محاولة ادراجه داخل الحاضر . الارادة تتعطل . قرار الهرب الى الكويت هو استجماع كامل للحظات حياة تتشابك لتشكل في مستواها الفردي تلخيصا لعلاقات اجتماعية . لذلك فحين يستحيل الحوار ، ويتوقف الزمن ، تتعطل الذاكرة بالضرورة . تتحول عن الحاضر وعن لزمنة الفعل الثلاثة وترسب في انتظار يخترقه لهاث العجز من جميع الجهات .

الواقع ان العلاقة بين الاحتمالين هي علاقة جدل ، فوجود أحدهما يعني بالضرورة وجود الآخر . لذلك فانها حين يغيبان عن مسرح الخزان ، يغيب الابطال عنه ، ويصبح الرجال الثلاثة مجرد هياكل لرجال لم يولدوا بعد . من هنا لا معنى للبحث عن الجدل الداخلي الذي يخترقه الخزان . فقبل الولادة ، او حين لا تأتي الولادة ، فان الجنين

الميت لا تعني له الحياة اي شيء ، لانها لم تستطع بعد ان تمس شريط وعيه . المبرر الوحيد لاختراق جدار الخزان كان في القرع على بابه ، في تحطيم جداره ، لكن عندما لم نصل الى هذه النقطة ، فان موت الرجال الثلاثة اصبحت مجرد جزء من حدث يجري في الخارج . في فشل السائق .

هل يبقى من مبرر لطرح التساؤل على لسان ابي الخيزران والصحراء ، بعد ان رميت الجثث امام القمامة ؟

يقفز التساؤل الى ذهن ابي الخيزران فجأة كما تقول الرواية . ثم يأخذ معناه في الصدى الذي تزدده الصحراء ويبقى عالقا في ذهن القارئ . هذه اللحظة المفاجئة التي تجعل السؤال البديهي مفاجئا تعني اساسا عدم قدرة بنية الرواية على طرح الاسئلة . فيأتي السؤال من خارجها ، ليعيد تفسيرها ويشحن رموزها بامكانيات المستقبل .

ان عدم قدرة جدل عناصر الرواية الداخلية على الوصول الى التساؤل ، تعني ان الرمز الكبير — الخزان — لم يستطع ان يشحن بالحركة الواقعية . ففرض حرارته على الابطال وشل قدرتهم على التحرك . هنا تصل بنية الرواية الى مأزقها وطموحها في آن : مأزقها ، في عدم القدرة على الاقتناع من داخل حركة الرمز فيها ، فتلجأ الى عناصر خارجية لتقوم بتعبئة فراغات الرمز . وطموحها ، في كونها صدى لمحاولات الخروج من مأزق الخزان — السكون . فالخروج الفردي من المخيم الى البحث عن خلاص جزئي — وهذا هو المستوى الواقعي في الرواية — يتساقط ليفسح المجال امام ضرورات قرع جدار الخزان وكسره . هذا القرع لا بد وان يكون عملا جماعيا . نقيض رحلة الهرب الى الكويت ، لذلك يضع نفسه في اطار آخر . يشير الى المخيم والى ضرورة كسر جداره والخروج منه جماعيا الى الوطن — وهذا هو المستوى الرمزي في الرواية — لذلك يضطر النص الروائي للجوء الى عناصر من خارجه لتقوم بكسر حركته ، ورسم الملامح الاولى لجدل الخروج ، الذي لن يأتي الا على ايقاع الثورة الفلسطينية .

بين الدعوة الى كسر جدار الخزان وبين كسره في « ام سعد » تقع مسافة الهزيمة الحزيرية ، التي قامت بعنصرها السلبي والايجابي ، بقلب معادلة « رجال في الشمس » . « معائد الى حيفا » . تكشف للوعي الفلسطيني المذهول بالهزيمة ضرورات المعارك التي لا بد من خوضها ، وحركة المقاومة تضع الشروط الاولى للشروع في مسيرة المعارك . لكن الجدل الداخلي الذي تبحث عنه علاقات الرواية الداخلية ، لا يزال غائبا ، ولا بد من اكتشافه في لهب الممارسة اليومية . هنا تأتي اهمية « الاعمى والاطرش » ، ففي العودة الى خزان « الحواس » ، يعيد كنفاني اكتشافه للعناصر الداخلية التي تسمح له ليس فقط بطرح سؤاله ، بل بتلمس الجواب على سؤال واقعي يخرج من صلب الممارسة .

العلاقة المستحيلة مبدئيا بين الاعمى والاطرش ، تتحول في مشروع الرواية الذي لم يكتمل ، آلية اكتشاف الاجوبة من داخل أسئلة طرحها الحاجات اليومية لحياة المخيم . واللجوء الى الرمز في الشخصيتين الرئيسيتين ، هو عودة الى الحواس الاولى لتفجيرها من داخلها ، جعل اكتشاف الحركة ضرورة تنبع من داخل الحياة اليومية ، في الجدل اليومي الذي لا يتوقف عن طرح الاسئلة . داخل أسئلة هذا الجدل ، تبدأ الاجوبة في البروز راسمة ملامح المستقبل . هكذا القصة تبرز فجأة ، لانها تحمل في ثناياها تاريخا طويلا من المعاناة . ثم حين يأتي اللقاء في المقطع الثالث من الرواية ، يكون عند الولي — الوهم ، الذي يجري كشفه في حركة حوار مستحيلة بين الرجلين ، هنا تبدأ الرواية برسم مستقبلها ، تكتشف أرضها الواقعية ولا تستمر .

حوار الاعمى والاطرش امام ضريح الولي - الفطر ، هو تلخيص مكثف لحوارات المعاناة التي ترسم الخط البياني للوعي الفلسطيني في المنفى . تكسر جدران المخيم ، لانها تكتشف امكانيات الخروج في فعل جماعي هو الجواب الحقيقي على اسئلة الخزان التي طرحها المؤلف ، دون أن يجيب عليها .

هذا الخط البياني ، لعلاقة الخزان - المخيم ، بأسئلته ، والذي حاولنا استكشافه من خلال قراءة أعمال كنفاني الروائية ، يؤشر الى ثلاث نقاط رئيسية :

١ - الطريق الذي يسلكه مسار الوعي ، الذي تحاول الرواية التعبير عنه . فالوعي بالمأساة حاد ومأسوي وملتهب . يريد الخلاص بسرعة من المقدمات وصولا الى النتائج ، الى الحركة التي تعيد صياغة معادلات الواقع . لذلك يأخذ الوعي ثلاثة مسارات متعارضة . فهو من جهة أولى اصرار على بلوغ النتائج من صحبة الصحراء في « رجال في الشمس » الى لقاء حامد بالجندي الاسرائيلي في « ما تبقى لكم » . لكنه يكتشف على أيقاع هزيمة حزيران ضرورة إعادة اكتشاف مقدماته في « عائد الى حيفا » ، ثم كسر جدار المخيم وتحويله من الداخل في « أم سعد » . هذا الانتقال الثاني الذي تمثله « أم سعد » هو تقيض مباشر للمسار الذي سلكه الوعي في مرحلته الاولى . انها عودة الى البساطة الكاملة التي تلتحم في تفاصيل الممارسة اليومية ، دون ان تكشف عن ترابط هذه التفاصيل في داخلها . هنا تكمن أهمية المرحلة الثالثة التي لم تكتمل في أدب كنفاني . مرحلة الوعي بوصفه مسارا تاريخيا ، يقوم بالتقاط العناصر الواقعية المختلفة وصبها في وعي جدلي ، يضم التناقضات في وحدة تتقدم . « فالاعمى والاطرش » ، هي نموذج على الحوارات الفلسطينية (العربية) التي اكتشفت طرقها بالممارسة الحقيقية ، حيث تبقى في الخزان ، لكننا نبدأ عمليا بكسر جدرانه .

٢ - تقود هذه النقطة الى اكتشاف العلاقات الداخلية ، التي تقع خلف الشخصيات المتعددة في النتاج الروائي الذي نعالج هنا . هذه العلاقات تنتقل من الخطوط المستقيمة المتوازية ، الى الخطوط المتقاطعة . فالخطوط المتوازية هي مؤشرات الى الواقع . تلخيص مكثف لعناصره عنصرا عنصرا . لكن هذا التلخيص يفتت الواقع داخل الوعي المفتت . ثم حين يقوم بربطه ، يأتي هذا الربط خارجيا . ان هذا لا يعني أن الصوت الحاد المتوتر لصوت الربط يفتقد حدثه أو حرارته ، لكنه يبقى وكأنه صراخ مأزقي ، لا يكتشف طريقه الا بالوعي الذي يسقط على الواقع . من هنا أهمية نسج الخطوط المتقاطعة التي تبدأ في « ما تبقى لكم » . لتندرج نحو رؤية صافية للواقع بأكثر عناصره المتحركة .

٣ - أن هذا الوعي ، المرتبط بنمط معين من جدل العلاقات في الرواية ، يعكس نفسه على بنية الرواية ، اذ يقوم بتجديدها بشكل صارم ومحكم . تصبح الرواية بنية يتحاور في داخلها عنصران . اللغة الخارجية - السرد - تقوم هذه اللغة بالتمهيد للدعائيات التي تصنع الحركة في الرواية الى جانب الحوار . لكنها تبقى حتى في وصفيتها ، بعيدة عن التفاصيل . انه السرد الشامل للحالة العامة التي يعيشها الأبطال . تضع التفاصيل مترابطة منذ اللحظة الاولى ، ثم يأتي التداعي والحوار ، ليقيم فواصل الحركة التي تضع التساؤلات وتصيغ الاجوبة . هذه البنية ، هي في آخر تحليل بنية الرواية العربية ، اذا استثنينا محفوظ الذي رسم لنفسه اطارات واقعية خاصة ، لم نعلم ، بل قامت الرواية العربية بكسرها في سبيل التعبير عن بنية اجتماعية مفتتة .

لقد حاول التحليل حتى الآن ، أن يرسم خطأ. بياننا لروايات كنفاني انطلاقا من رمز الخزان الذي نجده واضحا في روايته الاولى ، ثم نعيد اكتشافه مع تفاصيل بقية أعماله

الروائية . هذا الخط هو بالضرورة مجرد مؤشر ، ينطلق من نقطة واحدة ، ويحاول دراستها في مسار عمل ابداعي طويل النفس ، يشمل العديد من الاعمال الروائية . لكن هذه الدلالة التأثيرية التي توقفتنا عندها طويلا ، تصلح أن تكون مقياسا لدراسة تطور العلاقة التركيبية بين مستوى الكتابة — الذي يدرج ضرورة ضمن المستوى الايديولوجي ، وبين مستوى الواقع — علاقات الانتاج والحركة الاجتماعية . والواقع ان أهم ما في محاولة كنفاني ، هي اصراره على المطابقة بين الادب والواقع . فالرواية والقصة تعبر عن الواقع ، قطعة منه ، تلتقط بعض عناصره لتعبر في حركتها العامة ، عن حركته العامة . أي ان محدد الحركتين في هكذا تصور محدد وأضح . يقوم الادب بمهمة عكس الواقع عبر الكشف عن نقاط تحوله . البحث عن التحول الذي يسقط في الاعمال الاولى ، يتحول هنا في الاعمال الاخيرة الى ادراج لجسد الواقع في جسد الرواية . فتأتي قمة الرواية في حواراتها التي تكثف التاريخ الانساني في لحظات تحوله .

هل يصلح هذا التحليل مقدمة لدراسة العلاقة بين الادب العربي وهزيمة حزيران ؟

لقد أحدثت الهزيمة اختلالا عميقا في الفكر القومي أساسا ، ثم انعكست على بقية التيارات الايديولوجية العربية . وهي بهذا المعنى حدث ثقافي — ايديولوجي ، بمقدار كونها حدثا واقعيا . فهي رغم انها على الصعيد السياسي لم تحدث تحولات جذرية بالمعنى التاريخي ، لكنها حملت في أحشائها بذور تحولات سياسية سوف تلعب والى فترة طويلة دورا مستقبليا في الحياة السياسية العربية . انها على الاقل سمحت للمقاومة بالتحول الى تيار جماهيري يلعب دورا سياسيا مقررا ، كما أطلقت العديد من التمللات الطبقية من عقالها ، لتحل دورها على المسرح السياسي . لكن الاختلال الثقافي ، كان أكثر سرعة على الاستجابة ، وعلى التوجه الى شرائح واسعة من المثقفين . هنا لعب النقد والنقد الذاتي ، دوره في فتح آفاق الفكر القومي على الفكر العلمي الماركسي ، وفرض على الادب محاولة تمثل التحولات الثقافية ، عبر الانتقال من نبوءة الهزيمة الى معاناتها عينيا وفي تفاصيل العمل الابداعي .

هذا هو المؤشر الذي يجعل من سداسية اميل حبيبي ، ايقاعا للوعي الفلسطيني الذي يعيد اكتشاف حقائقه من تفاصيل الهزيمة . وعيا بمأساة التمزق الذي ستعود « يعاد » في الثلاثية الى اكتشاف طرق العبور منها بالاشترك الفعلي في المقاومة . هنا تأتي الممارسة الجماهيرية المسلحة على رغم الفشل الجزئي والاطفاء ، وكأنها المؤشر الحقيقي للمرحلة المثقلة .

ان الانحناءات التي تطبع جسد الرواية في بحثها عن المعاني الواقعية لرموزها السابقة ، تحول الرواية الى تفاصيل حين تدمج ببعضها تنتقل الى خيز الشعر ، الحلم الذي لا يجري في فراغ ، بل يلتقط أرضية الممارسة ويعيد سكبها في هذا « الزمن الموحش » الذي يلف أبطال حيدر حيدر وهم يبحثون عن خلاصهم في لغة التمرد الحقيقية ، في تفجير الأوضاع والحالات ، ورمي الوعي البرجوازي الى الخلف وصولا الى لحظات التفجير التي هي جواب واستشراف في آن . انها جواب على لحظات التحول الفعلية ، واستشراف لمستقبل هذه التحولات . هكذا تغربس الكتابة نفسها في المستقبل وتصبح معاناتها مؤشرات لاكتشاف العلاقات . فكسر دائرة الايديولوجيا المسيطرة لا يتم الا داخل علاقات ثورية جديدة . لذلك فيما يتفكخ الفكر المسيطر ، تبرز عناصر المستقبل وكأنها لتضم اشلاء الزمن التفصيلي في حركتها . تحت لهب شمس آب

نعاني مع « نجمة اغسطس » لحظات اكتشاف التفاصيل التي لا تدور في فراغ ، بل تضم أجزاء الواقع الذي يكتب مستقبله .

٢ -

قد تكون الكتابة الروائية ، أكثر انكشافا على الواقع ، لأنها تدعي أو تطمح الى التقاط عناصره واعداده سكبها . لكنها تبقى في مجال التجريب الذي يبحث عن لغته الخاصة . فلفة الرواية ، لا تزال حديثة ، تتزامن في داخلها تواريخ عديدة لم تشترك في صنعها ، من هنا بلبلتها وعدم قدرتها على المغامرة التجريبية الا في نتاجات قليلة ومعدودة ، لا تزال مجرد بداية تبحث عن عناصر مستقبلها . من هنا أهمية الشعر في صياغة خريطة لغة الكتابة العربية . فلفة الشعر التي تعرضت لاهتزازات عنيفة ابتداء من الخمسينات ، مع التفعيلة التي حاولت كسر عمود الشعر ، يلخص في اتجاهاته الرئيسية والتي تبلورت في السنوات الاخيرة طموح الكتابة العربية الى الوصول نحو نقطة انطلاق يمتزج فيها الحلم بمستقبل الواقع ، لتشكل علامة على زمن البدايات التي تشارك في صياغة الوعي .

قد يكون الدور الاجتماعي - السياسي الذي لعبه الشعر الفلسطيني بعد الهزيمة مباشرة ، مؤشرا بالغ الأهمية ، للمأزق الذي وجد الشعر العربي نفسه أمامه ، لحظة اختلال الثوابت التي حاول الشعر صياغتها . فلفة الواقع التفصيلي تنحل أمام عصف حركة الواقع في تفتته السياسي العسكري . هكذا تجد لغة البياتي نفسها أمام استحالة طرق أبواب المستقبل ، لأنها تعجز عن تمثيل تحول الحاضر بتحول لغة الشعر . هنا في التفاوت الحاصل بين المستويين تقع الفجوة الأساسية ، التي لا تستطيع لغة الرمز الحضاري النبوي (لعازار ٦٢) الوصول الى تعبئة فراغاتها ، لأنها تبقى على مستوى اللغة (الكتابة) في حيز التقاط التفاصيل وصنع اطارات لعلاقتها ، دون القدرة على اعطاء هذه التفاصيل نبرة الواقع . من هنا كان الشعر الفلسطيني الذي يمزج غنائية السياب بواقعية الأجزاء ، ضمن توجه ثوري (رومانسي في نقاط تفصله الرئيسية) هو علامة الخروج من ذهول الموت - الهزيمة الى رحاب بشارات الممارسة التي مثلتها المقاومة .

غير ان نقطة المنطلق هذه ، لم تكن تستطيع سوى التقاط بداية ممكنة للغة العلاقات في القصيدة وليس للغة القصيدة . اللغة الأولى هي لغة خارجية ، تصب في تداخل عناصر ايديولوجية قومية في توجهاتها نحو/تبلور وعيها الخاص . لكن هذا التبلور لا يستطيع أن يلغي عناصره الفنية المكونة . من هنا حاجة لغة العلاقات المفترضة الى لغة الشعر ، أي الى استرجاع تطور الاتجاه العام للشعر العربي المعاصر ، والانتباه عن التنوع على بعض عناصره . هنا استطاع الموضوع الغني بالدلالات بشكل لا ينفذ ، المكان الفلسطيني الذي يلفه زمن التحدي الثوري ان يستعيد لغة الشعر ، عبر الايغال في تجربة بناء قصيدة مأساوية درامية . هذا هو البعد الاساسي الذي تقدمه تجربة لغة محمود درويش الشعرية . فهو ينطلق من أبسط العناصر وأكثرها غنائية ، ليصل الى وحدة بين الذات والموضوع على مسرح العلاقة التي توحد صوت الشاعر بصوت الشهيد . هذه الوحدة التي تختلط في عناصرها أبعاد التحولات ، وكأنها تأتي داخل لحظة واحدة تتحقق فيها الرؤيا الى جانب عناصرها الأولى ، تضع فلسطين ، الزمن ، داخل زمن الكتابة ، وكأنها المؤثر الذي يلتقط عناصر الحلم ويصحبها في حركة الواقع . هنا بمقدار ما تلتصق الكتابة بالواقع بوصفه جدلا لعناصر التحولات ، ينفصل زمنها عن

زمنه . فزمن الحدث الواقعي ، زمن التراكبات والانفجارات في النص السردي ، الذي يضم التفاصيل ، يتحول في زمن الكتابة الى زمن الانفجار الذي لا يلتقط العناصر الا لحظة تحولها . هذا هو زمن حوار المتكلم — الغائب في « تلك صورتها » . زمن البحث عن التوتر الذي يكشف في الواقع عنصر جدله ، ويسقط عنه الهالة التطورية بالمعنى السكوني التي تغرسها الايدولوجيا المسيطرة .

هذه اللحظة هي في الواقع تلخيص مكثف ، لثلاث لحظات في الشعر الفلسطيني :

لحظة الواقع المتحول ، ضمن نبرة مأساوية تحدث اختلال النص ، بوصفها تعبرا عن اختلال اللغة — الاشارة . هذا الاختلال هو اختلال في المرجع الواقعي الذي تحاوله مرثي القاسم وهي تمتد الى عزلة الموت في نبرة جماعية ، تتفتت عناصرها ويبقى منها الحزن الذي يوحد .

لحظة المخيم ، التي تستحيل في لغة دجور ، الى امتداد نحو الفعل ، نحو جدار الخزان وقد تجمعت أيدي الفقراء حوله وابتدأت تضرب ، تأتي الى كربلاء لتشهد للولادة داخل الدم .

لحظة الحلم ، الذي يأخذ معنى قرويا بالغ الشفافية مع « خضرة » ، ويمتد داخل حقل البعد الشامل ، في لغة « العصافير تموت في الجليل » ، حيث نعرش على ملامح التحول الذي سينعطف مع « سرحان » ليصل الى لحظات تفجره في « الخروج من ساحل المتوسط » ، التي تستعيد « تلك صورتها » مأساويتها ضمن توجه نحو مستقبل تحمله الكلمة الشعرية المستديرة ، التي تحمل في داخلها جدلا يمتد نحو الحلم .

هذا الاتجاه العام ، الذي يؤكد مسيرة الضوت الشعري الفلسطيني ، لا يتوقف عند الرمز الشامل ، الا ليضمه في مسيرة التحول . هكذا ينفجر الخزان داخل القصيدة ، وهو يبحث من خلال أيدي الذين يكسرون جدرانهم عن الحلم الذي يرتسم داخل أفق الممارسة . فالقصيدة ليست لحظات متتالية من الصور او الايقاع . وهي كذلك ، ليست تلخيصا ايقاعيا لعناصر الايدولوجيا الثورية بشكل مباشر والبأسا الثوب الشعري . انها سياق داخلي ، يجري فيه جدل الابعاد المتعددة وصولا الى لحظات الحلم ، التي تطرح أسئلة ، تبحث عنها في حوارات داخلية ، هي الامتداد الواقعي ، لايقاع في الممارسة داخل اللغة . فالقول الشعري او الادبي ليس معطى متحرر من المسابقات . انه لغة مليئة بالمسابقات التي يجب اعادة محاكمتها ، وتغيير منظورها . هنا تأخذ مشروعية البحث عن الحلم الذي يمتد في حوارات ينتفي فيها الأبطال ، بعدها الحقيقي ، بوصفها في التحليل الأخير ، جزءا من العملية الثورية .

هنا ، تقع الاضافة التي تقدمها تجربة أدونيس الشعرية . فهي دخلت ابتداء من « هذا هو اسمي » ، في محاولة اكتشاف لغة شعرية جديدة ، انطلاقا من انجاز الحركة الشعرية المعاصرة . يأنف داخل هذه اللغة ، لغة الرمز التاريخي مع لغة العناصر الواقعية المباشرة ، التي تحول الواقع . لكن الاساسي هو في قدرة القصيدة على ضم هذين العنصرين في بنية تفتح نفسها لاستقبال مداليل جديدة للغة الشعر . فالشعر ليس مجرد استرجاع للذاكرة ، وليس هو الحلم بمعنى مزج العناصر لتشكل ابعادا جديدة . انه في القدرة على صياغة سياق يصل اللحظة الحاضرة بمستقبلها أي تتواصل في داخله ، بنية الواقع ضمن لغة جديدة ، تعيد للمداليل المعاني ، أو بتعبير أكثر دقة ،

تعطي هذه المعاني مدلول التحولات ، التي يشير التاريخ الشعري الادونيسي لها ، وهو يحاول هنا استيعابها في حركة تلخص التاريخ (الماضي) في عناصر الحاضر التي تقف على أعتاب المستقبل . هذه المعادلة البالغة الصعوبة ، تعني ايصالا لبنية القصيدة الى لولبية دائرية ، لا تراكم فيها ، بل تخطيات مستمرة . هكذا يصبح الايقاع في تحوله ، تحولاً للغة . وتفتح الاحتمالات ، ويصبح القارئ مشاركاً في عمليتين : الكتابة ، من خلال نص يقرأ في أكثر من زاوية ، والتلقي داخل مقاطع غنائية تلخص له لحظات القصيدة . هذا الازدواج هو معادلة القصيدة التجريبية التي تبدأ مع الانجاز الذي صاغه ادونيس في تلمس ملامحها .

ان البداية الجديدة التي تحاول كسر خزانات التمتع ، حين تشير التجربة الشعرية الى امكانية الوصول الى لغتها ، في ثانياً قصيدة جديدة ، تستعيد من الخمسينات أحلام البداية ، وتعيد صياغة هذه البداية في نتاجات ، لا تهمل عناصر الواقع ، بل تعيد ضبطها في حركة المستقبل . هذه المؤشرات ، هي عناصر اللغة الشعرية التي يبدأها الجيل الشعري الجديد ، وهو يعي أن الاستمرار هو انقطاع عن الماضي ، لكنه انقطاع استيعابي ، يكسر الحواجز ، لان اليد التي ادميت وهي تفرع جدران الخزان ، تستطيع ان تخط حلم المستقبل ، بلغة جديدة .

— ٣ —

قوة الكلمات ، هو المسيرة ، التي تحاولها وهي تفرع جدران الواقع ، وصولاً الى بناء لغة مستقبله . فاللغة الجديدة هي التعبير الواقعي ، عن بروز عناصر جديدة ، تكسر رتابة المصطلح المشحون بدلالات مسبقة . هنا تكون البداية مجرد محاولة ، مستقبلها الحقيقي هو في ادراجها ضمن تاريخ المحاولات ، التي تصنع في التاريخ وعي علاقته .

البحث عن الجميل ، المستقبلي ، هو لحظة لا يستطيع الارهاب فيها ان يحول المبدع الى مجرد صدى . فالارهاب الذي تمارسه الايديولوجيا المسيطرة ، وهي تدافع عن مواقعها في حقل الممارسة الادبية ، قد يتسمى بأجمل التسميات . لكنه حين يحاول ابقاها في خزان حزين ، وفي ردود الفعل عليه ، تسقط أغطيته ، ليبقى وحشاً يخنق الابداع بحجة المحافظة عليه . هكذا تتقدم الممارسة الادبية . لحظتها ماضيها . والمستقبل هو مجموعة من عناصر الحاضر الذي يستطيع اختراق حجاب المعطى ، الجاهز . ان الجدل الذي كانت لغة كنفاني تبحث عنه ، هو رمز لجدل آخر ، يبحث عن نفسه ، بين الكلمات ، لانها الدلالة التي يجب تغييرها . الاسماء الجديدة ، ليست مجرد نزوة فنية ، انها حلم التغيير وقد لبس أحد اجزائه الممكنة .

لقد اكتشف ماياكوفسكي قوة الكلمة ، لحظة الغياب — الحضور الذي يعنيه انتحاره . انها قوة اعطاء أسماء جديدة لحركة الواقع الذي تنزف على جنباته دماء الذين يطمون بالمستقبل .

لقد غطت دماء الذين يطمون خزان الصحراء ، وهي تتقدم ، لتفجر الحلم على حلم جديد . هذه هي قوة الكلمات ، ومن أجل هذا ، ندرس مسيرتها .

عندما أخطأ الكاريكاتير المصري

زهدي

أتذكر الآن وصفا سمعته من طبيب صديق عن الشلل الذي يفاجئ الإنسان ويعرفه أهل الطب باسم « الشلل الاسترخائي » حيث يبدأ بتوقف شامل لكل أجهزة الجسم — أو يكاد — لفترة زمنية محددة ، ثم تبدأ الدورة في العودة من جديد ، ليجد المصاب نفسه في وضع معين بعد أن يكون الشلل قد تمكن من بعض أعضائه حسب جوانب المقاومة الداخلية للجسم ، ويظل هذا وضعه الى حين تبدأ نتائج العلاج تؤتي ثمارها . وكلما خطر على بالي ما حدث في ٥ يونيه ١٩٦٧ أتذكر هذا الوصف . فالمفاجأة كانت مذهلة وشاملة أصابت العرب وأصدقاءهم كما أصابت الأعداء وأصدقاءهم أيضا ، غلى حد سواء ، وهي لهذا تستحق أن نقف عندها لنأمل ، ما دمنا نسعى الى أهداف التقدم .

وأكثر ما يستحق الاهتمام منا ، هو الدور الذي كان من نصيبنا والذي ساهمنا به حتى جاءت المفاجأة بهذا الحجم المذهل ، والذي لم يكن الأعداء يحلمون به . وما هو نصيب الكاريكاتير من هذا الدور ، وهو ما سنتعرض له في هذا المقال واضعين في الاعتبار الأهمية الخاصة لوظيفة الكاريكاتير في التعامل السياسي هذه الأيام .

إن الكاريكاتير المصري الحديث ، منذ نشأته بعد ثورة ١٩١٩ ، كانت له تأثيرات واسعة المدى ومباشرة في مجريات الأمور ، جعلته يتصدر الفنون الشعبية على الإطلاق . ومن الممكن إذا تابعنا الأفكار التي أفرزها ونشرها تباعا منذ البداية ، أن نؤلف منها سجلا دقيقا وشاملا لكل ما يشغل أذهان الملايين في مصر والعالم العربي ، بأكبر قدر من الصدق . فهو — لهذا — انعكاس حسي ، ومؤشر يقظ ، للاتجاهات الشعبية في حدود الإطار الوطني الرحيب . وقد يعتبر البعض أن هذا وحده مبرر كاف للأخطاء التي وقع فيها الكاريكاتير ، والتي ساهمت في صياغة المفاجأة المذهلة عند النكسة . إلا أن التجارب العالمية وتجاربنا نحن أيضا تقول بغير ذلك . فالمفروض أن الكاريكاتير الاصيل يقوم على النقد بغرض التقويم والتصحيح ، تعبيرا عن روح الاخلاص وشجاعة الفروسية الشعبية . وليس هذا فحسب — ولكن بنظرة وأعية مدركة . أما إذا تحول الى المجاملة والانسياق الاعمى بغير الاقتناع الذاتي الكامل ، يصبح مجرد بوق من أدوات الدعاية والاعلان بعد أن تعطلت فيه روح المبادرة الواعية الشجاعة . ولعل هذا ما حدث للكاريكاتير المصري بالفعل ، وهو ما يستحق المؤاخذة عليه .

فقد زار القاهرة صحفي أوروبي من أصدقاء العرب — وذلك بعد النكسة — جاء ليبحث عن مادة تصلح للنشر في الخارج دفاعا عن العرب ، ولواجهة الدعاية المعادية التي اتهمت عقول الناس هناك ، وأوهمتهم بأن العرب « متوحشون » وأنهم يبيتون النية لاغتيال دولة إسرائيل « الوديعه » . وكان هذا الصحفي الصديق ممن اتفقوا على هذه الخديعة الاعلامية بعد النكسة ، بعد أن تبين له أن هذه « الوديعه »

ليست الا الوحشية المجردة من كل رحمة وخلق ، وما ان افاق من صدمة المفاجأة حتى قرر أن يفعل شيئا يقاوم هذا الطغيان . فجاء مصر زائرا .

واستلقت نظرنا عندما طلب منا ان نستبعد الرسوم الكاريكاتيرية التي تصور أعمال البطش والتنكيل باسرائيل والتي كثر نشرها قبل حرب يوفيه في مصر . لان اسرائيل اعتمدت على هذه الرسوم في واحدة من اوسع حملاتها الدعائية ضد العرب . فقد جمعوا كمية من هذه الرسوم ، وهي تصور العرب يطعنون اسرائيل ، وينسفونها ، ويقطعونها بالبلط ، ويطيحون بها في البحر ، بمختلف اشكال التنكيل والبطش ، ثم طبعوا منها كتيبات ووزعوها بمختلف اللغات بعد ان كتبوا تحتها « هذا ما ينوي العرب ان يفعلوه باسرائيل الوديعة المتمدنة » . وكسبت اسرائيل ، بهذا ، الراي العام العالمي في صفها .

اليس من حق الرسام المصري — ومن واجبه أيضا — أن يدرك الكيفية التي ساهم بها في صياغة النكسة ، والتي بذل في سبيلها الكثير من سهر الليالي تفكيرا وتخطيطا ؟ اليس من حقه وواجبه ان يتأمل ، في جهده ، كيف يتحول الى سلاح في يد الاعلام الصهيوني ، يستولي به على الراي العام العالمي ؟

من الانصاف — للكاريكاتير ولانفسنا — أن نسترجع بعض الحقائق التي مهدت لهذا الخطأ . ولنبدأ بالانتصارات التي كان للكاريكاتير دور ونصيب واضح فيها ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . سنجد قائمة طويلة عريضة من المعارك التي انتهت نتائجها بفضح مشاريع الاستعمار — قديمه وجديده — والتي كانت تهدف الى ربط دول المنطقة به عن طريق الاحلاف العسكرية ، ابتداء من مشروع حلف شرق البحر الابيض وانتهاء بحلف بغداد ، مروراً في الطريق بمشروع ايزنهاور للماء الفراغ ، وبالنقطة الرابعة المشبوهة ، وبالمشروع الاكثر شبها « الهلال الخصيب » . . . والى آخر هذه المحاولات . ويكفي أن نسوق دليلا — لم يسبق نشره في مصر — وهو على لسان « ريتشارد نيكسون » — وكان وقتها مستشارا للرئيس الامريكي الراحل « دوايت ايزنهاور » — وكان « نيكسون » وقتها عائدا من توه من رحلة فاشلة قام بها الى « الخرطوم » بحثا عن أي نجاح ، ولو محدود ، لمشروعات الربط الاستعمارية هذه ، والتي لم تنجح منها محاولة واحدة . فقد كان في استقبال « نيكسون » على الطريق من المطار الى الخرطوم مئات من الافيشات والمصقات الحائطية ، تردد نفس الجملة التي كان الامريكيون يواجهون بها في كل مكان يذهبون اليه خارج الولايات المتحدة الامريكية ، والتي تتألف من ثلاث كلمات أساسية ، وهي « عد الى بلادك » . وكأننا أدرك مصير رحلته فاختصر الزيارة ، وعاد ليعقد مؤتمرا صحفيا ، وليعلن فيه رأيه في أسباب فشل رحلته ، بالهجوم على الرسامين الكاريكاتيريين في مصر . وقد نشرت مواد هذا الهجوم في الصحف الامريكية في حينها .

وما يعنينا من هذه المعارك الاعلامية ، هو أن الانتصارات التي تراكمت واحدة تلو الاخرى كانت متتابعة متلاحقة ، الى الحد الذي جعل الحركة الكاريكاتيرية المصرية تعتبرها كنوع من العادات الثابتة . وهذا الاعتياد على النصر جعل الانتاج الكاريكاتيري يتأثر ، الى حد القصور عن مواصلة الاجتهاد والمعاناة اللازمين في عملية الخلق الفني . فالنتائج متيسرة بغير الاجتهاد والمعاناة . . . أو هكذا توهم الرسام المصري بطريقة تلقائية ، وهذه بعينها هي الغفلة .

إذا أضفنا الى هذه الشريحة التاريخية شريحة أخرى للتغيرات المادية التي أصابت علاقات مصر الخارجية ، نكون على اقتراب من لب الموضوع . فمن البدايات المسلم

بها أن المحور الرئيسي الذي دارت حوله أحداث المنطقة من بعد الحرب العالمية الثانية هو « التواجد الصهيوني » فوق الأرض الفلسطينية . هذا التواجد القهري الذي فرض بقوة الإكراه المسلح وبالخيانة السياسية المحلية ، جعل الهدف المباشر للقوى الوطنية هو التجهز والاستعداد بقدرات ردع عسكرية لمواجهة ، وبقيام ثورة يوليو ٥٢ تلاحقت الخطوات مسرعة نحو هذا الهدف بعد أن فشلت محاولات الامبريالية الأمريكية في احتواء هذه الثورة ، بل كان من نتيجة هذه المحاولات أن جاء السلاح من المعسكر الاشتراكي ودخل المنطقة لأول مرة في التاريخ الحديث ، ثم تتابعت الأحداث وتطورت ، الى أن جاء العدوان الثلاثي ومن بعده الوحدة بين مصر وسوريا ثم الانفصال وبدء التحول نحو النظام غير الرأسمالي ، بصور القوانين الاشتراكية .

وفي نفس الوقت ، كان سباق التسليح بين إسرائيل من جانب وبين مصر وبعض البلاد العربية من جانب آخر قد اتخذ وضعاً يتجه نحو الصدام المسلح في السنين السابقة على ٦٧ . وقد سيطرت على نفوس المصريين بصفة خاصة مشاعر وطنية ساخنة جاءت تعبيراً عن الاقتناع العام بالتصريح الرسمي الذي جاء على لسان القيادة السياسية وقتها في مصر وهي « لدينا لكبر قوة عسكرية ضاربة في المنطقة » .

هذه الجملة التي تتألف من سبع كلمات فقط ، هي تعبير واضح عن الحالة المعنوية التي شملت مصر وقتها شعبا وحكومة وقيادة ، وهي ، هي ذاتها التي سيطرت على الفكر الكاريكاتيري أيضا . وكان من الطبيعي — ومن الحتمي أيضا — أن يؤدي هذا الاقتناع الشامل الى دفع الرسام المصري نحو التعبير عن عواطفه الوطنية بقدر من الثقة يتفق مع تصديقه واقتناعه بأننا حقا « أكبر قوة .. الخ » فاذا أضيف الى هذا ما يمارسه الصهاينة من أعمال الاضطهاد والقهر كل يوم ضد العرب — سواء من كان منهم داخل الأرض المحتلة أو خارجها — نجد أن ردود الفعل لدى الرسامين العرب لا بد وأن تتخذ أشكال العنف ، وتكون النتيجة أن تخرج الرسوم الكاريكاتيرية المصرية حاملة أنواعا مختلفة من أشكال البطش والتكليل ، كما سبق أن عرضنا .

وقد يكون هناك دافع آخر — ولو أنه أقل شأنًا — وهو أن هذا النوع من الرسم — العنيف — يبدو للناظر أكثر اغراء وجاذبية ، لأنه حكم قاطع فاصل لا يحتمل التأويل ويجعله سهل التناول ، كما أنه أسهل على الرسام تفكيرا وتنفيذا . وهذا يعني أن كمية الاجتهاد والمعاونة المبذولة في هذا العمل كمية ضئيلة ، وهو ما سبق الإشارة إليه .

هذه الحالة من الثقة الزائدة عن الحد اعتمدت على القدرة العسكرية وحدها ، والتي قال الخبراء عن بعضها — الدبابات المصرية التي كانت على الحدود قبل حرب يونيو — انها قادرة اذا تحركت أن تصل حتى حدود إيران في فترة شهرين فقط دون أن تقف في وجهها أي قوة مضادة طالما تجد المستاندة الجوية .

والخبراء العسكريون حين يتحدثون يركزون على فن القتال المسلح ليس الا ، الا أن هذه القوة لم تكن تكفي — وحدها — طالما كان العمل السياسي متغيبا . وقد يحتاج هذا الجانب الى كثير من البحث والتأمل ، وهو ما لا تتسع له هذه المناسبة ، ولكن يكفينا الاحاطة ببعض نواحيه حتى نحصل على صورة أكثر وضوحا للموقف . فالمقصود بالعمل السياسي ، العمل الجماهيري أصلا . ومن الثابت أن أغلب التفاعلات والصراعات التي دارت وقررت مضمير الامور في مصر لم يكن للجماهير دور مؤثر وواضح في تخطيط مسارها ، ذلك لان عمليات التخطيط كانت تتم وقتها في أضيق الحدود ، ومن خلال المستويات الاعلى في القيادة ، لان الأنشطة القيادية المسؤولة تمارسها مجموعة محدودة العدد ، بحكم الضرورة ، للحفاظ على سرية التخطيط ،

نظرا لعدم وجود تنظيم جماهيري يتولى اشراك الشعب ، بطريقة عملية وفعالة ، في تقرير مصيره عند مناقشة الخطوات المقبلة . ولا بد أن يكون لغياب العمل السياسي الجماهيري نصيب مباشر في تضيخ حجم الكارثة عندما وقعت في ٥ يونيو ١٩٦٧ .

أما عن اتجاهات الكاريكاتير المصري ، وفي حدود الالتزام الوطني ، فقد تركز انتاجه في المواضيع السياسية وفي مقدمتها الهجوم على الاستعمار ، باعتباره العدو الأخطر . لهذا كانت رسوم ما قبل النكسة تتجه نحو فضح المؤامرات البريطانية في الجنوب العربي ومناصرة قوى التحرر هناك . وبحكم الضرورة ، كان الهجوم يشمل في بعض مواده عددا من الحكام العرب من أعوان الاستعمار ، بكل ضراوة ، الى الدرجة التي أصبحت فيه هذه الرسوم تشكل حملات مركزة ، لفترات من الوقت ، قد تطول أو تقصر حسب تغير الظروف . وقد زاد من سخونة هذا الصراع ، التحولات التي بدأت تظهر في مصر بعد أن اتجهت نحو النظام غير الرأسمالي في حل مشاكل التنمية ، لأن هذه التحولات تهدد مباشرة لمصالح بعض النظم التقليدية التي تعدت عن التطور الحديث ، الذي يغمر العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الأخيرة ، وخاصة بعد نجاح التجارب الأولى في قيام النظم الاشتراكية في دول أخرى غير الاتحاد السوفييتي . ولو أن الكاريكاتير المصري لم يتعرض بأي قدر من العمق في التعبير عن هذا الاتجاه — أعوان الاستعمار — وفي كسفه وفضحه إلا باعتبارهم قوى متخلفة عن مستوى الصراع الوطني فحسب .

كل هذا يتعلق بالجانب الموضوعي في الإنتاج الكاريكاتيري ، من تحديد الهدف وبذل الجهد الفكري في التصميم والصيغة . فالثابت بالتجربة أن الفكرة الصادرة عن اقتناع ذاتي أقرب الى التوفيق من التي تتولد بدوافع أخرى خارجة عن ارادة الفنان ، سواء بالايحاء أو بدافع المجاملة وارضاء الغير . إذ أن الأولى أصيلة ، أما الثانية فهي استجابة لرغبة بعيدة عن وجدان الرسام .

ولا شك أن المناخ الغريب الذي سبق النكسة — كما سبق أن ذكرنا — كان له تأثير على عملية الاداء التنفيذي للكاريكاتير . وقد يكون من المفيد في هذه المناسبة أن نستعرض مثلا لمجرد القياس والمقارنة حتى يتم التوضيح . والمثال الذي نعرضه هنا يرجع الى منتصف القرن الماضي في فرنسا ، حيث الصراع على أشده بين القوى السياسية حول الحريات . ففي جانب كان يقف الملك « لوي فيليب » ومعه رجال المال والاعمال وكبار ضباط وقيادة الجيش والبوليس ورجال الكنيسة ومحترفو السياسة البرجوازيون ، بينما يقف في الجانب الآخر جميع فئات الشعب ومن معهم من رجال السياسة والصحافة . وكان من الكاريكاتير قد بدأ شبابه في تلك الفترة حيث بدأ يخوض معارك كبيرة وشاملة ، ومن بين الفنانين الرواد في الكاريكاتير كان « أونوريه دوميهيه » يهاجم أعداء الشعب ويدافع عن الحرية وكانت تتمثل في أعماله حول حرية الصحافة أساسا . وفي سبيل هذا تعرض « دوميهيه » لكافة ألوان الاضطهاد ، الى حد اعتقال الرسام وسجنه بدعوى أنه نشر رسما لعامل فرنسي يقف متحفزا للدفاع عن قطعة الأرض التي يقف عليها والمكتوب فوقها « حرية الصحافة » في شكل قوس يبرز من خلفه الملك ورجاله في حالة من الغيظ الشديد ، وكأنهم يتربصون لينتصروا عليه . ولم يمكن أن يكون اعتقال دوميهيه الى ما لا نهاية ، فالقوى الشعبية كانت تغلي بالثورة ولهذا اطلق سراح دوميهيه . فماذا فعل ؟ خرج دوميهيه لينشر رسمين من روائع انتاجه فكرا وصياغة :

الأول ، رسم مكبسا حديديا من النوع الذي كان وقتها يستخدم في طباعة الرسوم

المحفورة بالمجالات ، وقد أمسك العامل الطابع بذراعي المكبس يديرهما بقوة ليضغط بين دفتي المكبس دماغ الملك ، وتحت الرسم تعليق يعني ان هذا هو مصير كل من يجرؤ على أن يدمس انفه في الصحافة ليحرمها من حريتها .

والثاني ، رسما لشخص الملك ممسكا بيديه ذراع الطحن الكبير الذي يستخدم في طحن التوابل وسحتها في وعاء نحاسي « هون » ، وفي هذا الهون دمية من المطاط بهيئة مهرج السيرك — وهو الرمز الذي كان يتخذه دومييه تعبيراً عن الكاريكاتير — ورغم الدق العنيف الذي تلاقيه دمية المطاط هذه ، فانها كانت تمد يدها مفردة الاصابع أمام انفها ، وهي الحركة التي تستعمل عادة في الاغظة والاستفزاز . وهو بهذا الرسم يعبر عن فكرة جديدة ، لانه يعني ان الكاريكاتير لا يمكن تحطيمه بالدق والطرق ، بل سيظل مصدرا متحديا بالسخرية والنقد اللاذع . وهذا الرسم يحتوي على ما يقرب من الكمال في صياغة الفكرة وقوة الاداء .

ان اتخاذ هذين الرسمين امثلة للمقارنة بانتاجنا الكاريكاتيري ، يجعلنا نلاحظ الى اي مدى أصبح الكاريكاتير عندنا قاصرا عن حمل الرسالة ، وانه كمن يقول جملة لم يكتهل بناؤها ، ويظل في موقفه هذا مترددا حتى يصبح الرسم الكاريكاتيري المصري ، بعد مضي الوقت ، اثنس بقطعة « اللادن » المستهلكة والتي جفت في الحلق من كثرة المضغ ، حتى لم تعد تصلح الا لتلقى على الارض بعيدا . وباستمرار هذا الوضع فلا سبيل الا بالحكم عليه بالابتذال الفني . ولكن عاملا هاما ومؤثرا ساعد على ان يظل منسوب الابتذال هذا ضئيلا ، الا وهو ، جلال المشاعر الوطنية الملتهبة ، نتيجة للتواجد الصهيوني المفروض بقوة العدوان الاستعماري وامكانياته الواسعة .

ولنستعرض عددا من الامثلة للانتاج الكاريكاتيري المصري في المرحلة التي سبقت العدوان الاسرائيلي في يونيه ٦٧ ، مع ملاحظة أن غالبية هذا الانتاج من رسوم الفنانين الشبان ، الذين يصح ان نعتبرهم جيل ثورة ٢٣ يوليو .

● بريشة « ايهاب » ، نشرت مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢ يناير ٦٧ ، رسما يمثل شخصا هو « الرجعية العربية » يمسك مسدسا ويقف على قدم واحدة وهو يدور على هذه القدم ويصيح : اخط رجلي فين ؟ اخط رجلي فين ؟ يا خبر أسود الارض كلها اتلغمت !!!

● وفي مناسبة حصول الملك حسين على صفقة دبابات امريكية حديثة ، في نفس الايام الاولى من يناير ، نشرت روز اليوسف رسما بريشة « ليثي » يصور الملك حسين راكبا دبابة ولها مدفع يمتد قليلا الى الامام ثم يتغير اتجاهه عدة مرات متعرجا لتصبح فوهة المدفع موجهة ضد الاردن وليست ضد اسرائيل .

● وقد تعرض « ليثي » لنفس الموضوع في خلال تلك الفترة الزمنية ، فنشر بتاريخ ٢٣ يناير ، رسما لمدفع كبير جدا يمثل « تحرير فلسطين » وقد وقف على سلم خشبي « العم سام » ، الذي يرمز به لأمريكا ، وهو يخمل الملك حسين ليصل الى مستوى ارتفاع فوهة المدفع ، وهو ممسك بتاج الملك يحاول أن يسد به الفوهة ، وتحت الرسم تعليق : « أمريكا تعمل بكل قواها لتثبيت تاج حسين في مكانه » . وهذا الرسم يحتوي على قدر طيب وممتاز للخدمة الفنية ، سواء في تكوين عناصره الشكلية ، أو في توفيقه الى اجادة التعبير عن المعنى المطلوب بكل بساطة .

● وفي نفس العدد من روز اليوسف ، يظهر رسم بريشة « جورج » لقنبلة ذات فتيل مكتوب عليها « خطوط الهدنة » ، وهي كبيرة الحجم ، يقف خلفها « ليقى اشكول » ،

وكان وقتها رئيسا لوزراء اسرائيل ، وبجواره « جولدا مائير » وتحت الرسم : ليفي اشكول لجولدا مائير : مشن ناقصنا غير حد يتبرع لنا بعود كبريت . وفي هذه الفكرة تلخيص لعدة جوانب . فهي تعلن عن انتهاكات اسرائيل للحدود المجاورة التي وقعت الهدنة على أساسها ، كما تعبر عن التصور السائد وقتئذ ، بأن الحرب مع اسرائيل ستصيب اسرائيل أولا بالدمار . وهو بالطبع تصور مليء بالتناقض الواضح .

● ويرسم « جورج » في ٣٠ يناير « اشكول » واقفا على كرسي مثل الباعة الذين يظهرون في المناسبات والموالد ، حيث تجمعات الناس كثيرة ليبيعوا زجاجات الدواء المزيف ، ويقف أمامه شخص دماغه الكرة الارضية ، رمز « العالم » الذي يسد أذنيه بأصابعه وتحت الرسم تعليق : اشكول — الا ليه . . قالك ايه قالك سوريا بتعتدي علينا . . بترمي مفرقات . . بترمي الغام . . بتعمل انفجارات . . قالك أمريكا تسمعنا . . تبعلتنا تبرعات . . هيئة الامم تسمعنا تبعت لنا صلح مع العرب .

وفي هذا الرسم تركيز على اعتماد اسرائيل الاكبر على مساعدات أمريكا ، وفي نفس الوقت يوضح سياسة التهويش التي تستخدمها اسرائيل في دعايتها . فهي في الوقت الذي تتحرش بالبلدان العربية المجاورة ، مثل سوريا ، تستخدم هذا التحرش للحصول على المساعدة الأمريكية ولتوريط أمريكا في مشكلتها المفتعلة بشكل أكثر . ولعل أخبث ما تكشفه هذه الفكرة ، هو التعرض للسياسة الاعلامية الصهيونية التي كانت ترد كل حين « ان اسرائيل راغبة في التفاوض المباشر مع العرب » .

● في تلك الفترة من ايام ما قبل النكسة ، كان الرسام « صلاح جاهين » يعمل في روز اليوسف وفي صباح الخير . وقد سجل على غلاف « روز اليوسف » في ٦ فبراير رسما جديرا بالاهتمام ، لانه يضع امام الاعين قضية لم تكن في ذلك الوقت تلقى اهتماما اعلاميا كافيا . فتحت عنوان « حكمة الاسبوع » رسم مظهرة تأييد شعبية عربية بمناسبة زيارة الرئيس الراحل « عبد السلام عارف » وهي تحيط به وبالزعيم الراحل « جمال عبدالناصر » . وفي مقدمة الرسم يظهر « جون بول » رمز بريطانيا وهو يحمل صحيفة بترول ويبدو عليه الانزعاج الشديد والارتباك وذلك يؤكد التعليق المكتوب تحت الرسم : كلما سمعت كلمة « عروبة » . . تحسست صحيفة بترولي ! وقد جاءت الايام بعد حرب اكتوبر لتؤكد صدق هذه الرؤية بكل ما في كلمة الجدارة من معنى .

● وعندما اجريت محادثات سرية بين الملكين « حسين » و« فيصل » رسم « ليثي » في ٢٧ فبراير وجها لشخص كبير الحجم وفي مكان شاربه تحت الانف كتب كلمة « الاستعمار » ، وتظهر في الرسم اذن واحدة لهذا الشخص وهي كبيرة يجلس فيها الملكان يتحدثان في السر . والفكرة غاية في البساطة ولا تحتاج الى اشارة توضيح . وهي لهذا تحمل مقومات الفكرة الناجحة تماما .

● وكأنها دبت الحياة في طريق التنبيه لموضوع البترول اعلاميا ، بعد انتصار سوريا في مطالبتها من شركة بترول العراق البريطانية ١٩٦٦ ، حيث رسم « جاهين » حلبة ملاكمة ، يرقد على أرضها ملاكم هو « جون بول » وقد كتب على جسمه « شركة بترول العراق » ويقف الحكم الى جواره ، والحكم هنا شخص يمثل « العالم » ، وهو يرفع يد ملاكم الى أعلى يمثل « الشعب السوري » وفي نفس الوقت يكمل الغد ، كما يحدث عادة في مباريات الملاكمة حين يسقط أحدهما ويعد له الحكم حتى العشرة فاذا لم ينهض يعتبر مغلوبا . وكما تعودنا من « جاهين » فانه يدخل على فكرته تحسينات لفظية في التعليق ، وذلك بمناسبة ان الصراع حول استغلال البترول يحسب بالملايين ، فنرى « الحكم » وهو يعد ، يستبدل الاحاد بالملايين فيكون التعليق : واحد مليون . .

اتنين مليون .. سبعة مليون .. اثنا عشر مليون .. خمستاشر مليون .. هذا التوفيق في استكمال المعنى جدير بفنان وشاعر في نفس الوقت .

● وقد استجاب « ليثي » لحملة البترول هذه ، في ١٣ مارس ، حيث ترددت الأخبار عن قرب اجتماع مؤتمر البترول العربي السادس ، وان بعض شركات البترول الاستغلالية سوف تشارك في هذا المؤتمر بصفة مراقبين . والرسم لمنصة اجتماع عليها أوراق وأقلام لثلاثة أماكن ، ولكن بدلا من المقاعد وضعت ثلاثة أجهزة « وابور جاز » ، ويقف الساعي أمام احد هؤلاء المراقبين ويشير الى هذه الأجهزة بديلة المقاعد ويقول : .. انتفضل استريح !!

● وفي العدد التالي لروز اليوسف وتحت عنوان « آخر نكتة من تل أبيب » نشرت فقرة تحريرية عن الأوضاع المعيشية داخل اسرائيل ، وهي : « شاهد وزير مالية اسرائيل بنحاس سابير كناسا يدخل المطعم الذي يناول فيه غداءه . جلس الكناس وطلب وجبة دسمة تتناسب ودخله . فتوجه اليه سابير وسأله عن سر هذا التناقض . فرد الكناس - اليوم اول الشهر ولقد نسي الصراف وصرف لي المقتطعات التي تخصم بدلا من الماهية » . وسوف نجد هذا المعنى الدال على افتعال الوجود الصهيوني في أكثر من مناسبة تميز الاعلام العربي ، في الصراع المصري مع الصهيونية . وتؤكد الأخبار التي تذييعها وكالات الأنباء الغربية ان المعونات الخارجية وصلت وقتئذ (١٩٦٧) الى نصف مليون دولار اسبوعيا بصورة منتظمة من أمريكا وحدها ، وهو أمر غاية في الغرابة والشذوذ ولا تنتج عنه الا اوضاع شاذة داخل اسرائيل ذاتها .

● اما عن أمريكا وسياستها الخارجية ، فقد صورها « جاهين » في « صباح الخير » التي كان يرئس تحريرها وقتها بتاريخ ٢٣ مارس ، فرسم الرئيس الأمريكي السابق « ليندون جونسون » في جلباب الجزائر ويحمل الحبل على كتفه وملوث بالدماء ويقف أمام باب فتحته بنت فلاحه مصرية صغيرة تنادي على من بالمنزل وتخبرهم عن الطارق بالياب صائحة : الجزائر .

ولئن كان « جاهين » يعني بهذا الرسم ادانة الجرائم الأمريكية في فيتنام ، فكأنه يتخطى ببصيرته وبدون عهد مسبق لينطق بما سوف يقع في حرب يوتيه من مذابح نتيجة المعاونة الأمريكية التي بدونها ما كان ممكنا أن يحدث ما حدث ..

● وأهم الجوانب التي تركز الاهتمام الكاريكاتيري عليها، جانب التزييف الذي تتصف به السياسة الخارجية الأمريكية والتي تعني في مضمونها خلاف ما يعلن عنها مظهرها . فالمساعدة المعلنة للشعوب النامية هي في واقع الحال سلاح موجه الى صدر هذه الشعوب ، كما رسمها « حجازي » في ٨ مايو بروز اليوسف ، لشخص يمثل أمريكا يمسك بيده فرخة تمثل « المعاونة الأمريكية » ويختفي داخلها مسدس تتجه فوهته نحو شخص يمثل « الدول النامية » الذي ينصرف عنه رافضا معونته ، رغم ان الأمريكي يقول : انت جعان يا حبيبي ، خذ الفرخة دي !! والمعنى الناتج عن هذه الفكرة اثبات لتعميم الشعور وسيادة السياسة التي أعلنت قبيلا ذلك عن رفض المساعدات المشروطة .

● وبنفس الاسلوب المباشر رسم حجازي في نفس العدد من المجلة « جونسون » وهو جالس في مكان السائق لسيارة تبرز من مقدمتها فوهات « مدافع رشاشة » مكتوب امامها « لقمع أي حركة تحررية في العالم » وتحيط السيارة مجموعة من الكتابات لشرح أجزائها ووظائفها على النحو التالي : فوق موجات الدخان الذي يخرج من خلف السيارة « دخان كثيف من الديمقراطية المزيفة لتعمية الراي العام العالمي عما

يحدث داخل أمريكا » . وعلى زجاج السيارة « زجاج مصفح يمنع تسرب اي فكر اشتراكي داخل العربية » . وعلى شاشة التلفزيون « . . تتبع المخابرات الامريكية » . على جانب الرفراف الامامي ، ترس بشكل الصليب المعقوف « يد ميكانيكية تفك عجلة أي بند نامية تحاول ان تعتمد على نفسها » . وخلف السيارة على الأرض بقع زيتية « زيت لزوج حتى ينزلق عليه شباب العالم المبهور بالافلام الامريكية » . أما شخص جونسون فمكتوب عليه « جونسون بوند » .

• ومن رسوم « ايهاب » قبل النكسة بعشرة ايام فقط عدد من الافكار في صفحتين متقابلتين تحت باب « غرائب كوكب الارض » حول الاوضاع داخل اسرائيل . وتلاعب الرسام بالعنوان فجعله : غس . . رائيل ، او في اسرائيل .

وتحتوي الصفحتان على رسوم متعددة لثلاثة افكار ومسلسلتين من عدة رسوم .

١ - جنديان اسرائيليان أحدهما بالقميص فقط ونصفه الانفل عار يقول لزميله : هي برضه بقية المعونة لسه ما جاتش !!

٢ - دبابتان تتحدثان ، الاولى مكتوب عليها صنع في امريكا تقول : هاي ! والثانية مكتوب عليها صنع في المانيا غ . تقول : هاي هتلر .

٣ - جنديان اسرائيليان أحدهما يقول للآخر : انت عسكري وأنا عسكري . . تيجي نلخبط نفسنا على بعض فنبقى « عسعس . . كرى كرى » . وبالطريقة ذي . . العدو (يقصد العرب) مش جا يعرف اذا كنا عساكر والا « عسعس » !!

ولعل الاساس الذي تقوم عليه الفكرة الثالثة هو أحد الامثلة التي تدل على استهانة الرسام الكاريكاتيري المصري بقوة العدو وبأنه راغب في الهروب قبل المعركة ، كما تؤكد هذا المعنى الرسوم الآتية ايضا .

٤ - سلسلة من أربع فقرات :

أ - ضابط اسرائيلي امامه اربعة عساكر يقفون سفا واحدا والضابط يصيح : فرقة استعد . . واحد .

ب - نفس الموقف والضابط يصيح : اثنين .

ج - نفس الموقف والضابط يصيح : ثلاثة .

د - الضابط يجري والعساكر يسبقونه وهو يصيح : اجري الى المراحيض .

هـ - سلسلة من اربع فقرات ، لجندي :

أ - يتجه نحو دورة مياه وحمام يظهر الدش من وراء الباب القصير .

ب - الجندي بعد ان دخل وقد بدأ خلع ملابسه وخوذته على حائط الباب ، ونراه من الخارج .

ج - القميص معلق على الباب بجوار الخوذة على الحائط .

د - الدش مفتوح والمياه تتساقط منه وعلى الباب بجوار القميص معلق بسوتيان حريمي .

وهاتان المسلسلتان يصح اعتبارهما أمثلة واضحة ومقنعة بالمستوى الهابط الذي جعل الكاريكاتير فيهما يصل الى حد السب والشتم لا أكثر ولا أقل . فليس فيهما اجتهاد في المعالجة بما يجعل المعنى أكثر فنية .

• ويضيف العدد الصادر في اول يونيه ١٩٦٧ من مجلة صباح الخير دليلا اخر ولعله يكون اشمل للمعاني المحدودة التي احتلت تفكيرنا في تلك الاونة ، والتي اتخذت في الرسم اشكالا فطرية بدائية حتى تتناسب مع كون اليد التي تخطها هي ايدي طفل صغير حملته اخته امام حائط مليء بالرسوم والكتابات الآتية : « بابا اجدع جدد » . « يا جمال » . « بابا حيضرب الحرامية » . « حنحارب » ومرسوم فوقها جندي بشوارب وبنندقية وفي خطوط ساذجة . ورسم لوجه خواجه مكتوب تحته « الخواجه جونسون شرم برم » . « طظ فيكي يا اسرائيل » فوق رسم لشخص يمثل اسرائيل مقلوبا وارجله لاعلى . « ناصر كلنا بنحبك » . « خمسة وخميسة في عين العدو » . هذا العدد يصلح اتخاذه نموذجا مثاليا للحالة المعنوية التي سبقت النكسة ، لهذا يستحق ان نتناوله ببعض الذاني والتأمل .

١ — فعلى مساحة صفحة كاملة بريشة « ناجي » رسم لفتاة جالسة امام مكتب بالملابس العسكرية وامامها ورقة تكتب عليها ، واستبدل الرسام القلم بينندقية ، وكتب تحته التعليق الاتي : — امتى بقى الامتحانات تخلص ... !!

والصدق الذي يحويه هذا الرسم ليس مزيفا ، لانه جاء في الوقت الذي يوافق موسم الامتحانات . والرسام هنا قد اصابه التوفيق حقا ، لانه سجل في موضوعه حالة القلق التي تسيطر على الطالب منذ اقتراب موعد الامتحان وحتى ظهور النتيجة . وهو هنا يقابل بين حالة الطالب والحالة التي كانت وقتها تنذر بالقتال والحرب مع اسرائيل ، والذي جاءت الايام وظهرت نتائجه — الامتحان العسكري — ورسبت القوى الوطنية ازوع رسوب ممكن ان يقع لامة باكملها .

اما باقي الرسوم ، فتأخذ نفس النهج السائد وقتها من الاعتداد بالقوة والاستهانة بالعدو .

٢ — عملاق يمثل « الجيوش العربية » وامامه يقف ثلاثة اشخاص اقزام يقفون الواحد على كتف الآخر ليظهروا طوال القامة ولكنهم لا يكادون يصلون بهذا الوضع الى اكثر من حزام العملاق . هؤلاء الثلاثة بالترتيب من اسفل الى اعلى « جونسون يحمل ويلسون الذي يحمل اشكول » الذي يصيح : — الحقتي يا جونسون .. برضه مش طايله ... !!

٣ — ومن رسم « حجازي » فكرة موضوعها الرئيس الامريكى السابق « جونسون » يمسك اذن خواجه يمثل « المخابرات الامريكية » الذي يحمل في يده منظارا مكبرا ، ويقول جونسون : — حتودينا في داهية يا اهيل .. بلغتنا معلومات غلط عن الشرق الاوسط ليه !!!

٤ — ومن رسوم « ليثي » تحت عنوان « اعلان » صورة جونسون وهو يشرب من كوب ماء مستعملا الشفاطة الرفيعة بقمه والكوب بداخله ورقة مكتوب عليها « حديث السفير الامريكى مع وزير الخارجية » . وكتب الرسام تعليقه على الرسم : بلئه واشرب ميته .

٥ — وعن ازدياد ظاهرة الهجرة من اسرائيل ، رسم « محسن » مكتب التطوع ويقف احد الاسرائيليين امام الضابط ممسكا بطلب مكتوب عليه : « طلب تطوع للخروج من البلاد » .

• ونجد ان « ايهاب » يواصل حملته التي بدأها في العدد السابق تحت باب « من غرائب الى U. S. A. ويعنوان « امري كان .. يا ما كان ! او امريكان .. يا ما

كان « في مساحة صفحتين متقابلتين بها : ١ — بحار امريكاني ينتف شارب اخر اسرائيلي وهو يردد : حنفوت من العقبة .. مش حنفوت .. حنفوت .. مش حنفوت .. الخ .

وذلك بمناسبة سحب مصر لقوات الامم المتحدة من الحدود واحتلال قوات مصرية لشرم الشيخ واغلاق مضائق « تيران » في مدخل خليج العقبة . وكان الامريكان يسعون الى الحصول على تأييد الشعوب البحرية لمواجهة هذا التصرف بشكل جماعي ، ولكنهم عجزوا عن تأليف قوة بحرية لاقتحام المضائق واحراج مصر . ولهذا جاء منطلق التفكير الكاريكاتيري للرسم معبرا عن هذا المعنى ، ولكنه اضاف اليه — بحكم الاستهانة بقوة اسرائيل — الطرف الاخر في التحالف الاستعماري .

٢ — باب مكتوب عليه « زريبة صهيون » مفتوح ويجري خارجا منه خنزير يصيح : — اففف .. ريحة امريكان !

ولئن كانت الفكرة قد نجحت في الاشارة الى التدخل الامريكي في الازمة ، فانها لا تعدو ان تكون مواصلة لاسلوب السب والشتم ليس الا ، فهي خالية من البريق الذي يبهر في التفكير الكاريكاتيري .

٣ — اعلان لاسرائيلي تلتصق مؤخرته بالارض عن عريق قطعة لادن كبيرة . ومكتوب بجوار الرسم : « شونجام Chowngam اللبان الامريكاني ، يجعل قعدتك » أكثر لزقا في اسرائيل » .

٤ — تمثال الحرية يحمل في يده اليمنى بدلا من الشعلة ، قصيرة مما يستعمله الاطفال للتخلص من فضلاتهم . ولا حاجة بنا الى الاجتهاد في الحكم على هذه الفكرة ، فهي — فضلا عن كونها رخيصة — فانها لا تدل على شيء له معنى مناسب وله قيمه ، اللهم الا اذا كان يعني ان الاستعمار الجديد — الامريكي — يحتاج الى هذه القصيرة لان امعاءه قد اضطربت من الخوف — منا بالطبع — كما يحدث للانسان اذا اصابه الرعب ان يحس بحاجته الى الذهاب الى دورة المياه . وهو اذا كان يعني هذا يكون غارقا في التفاؤل بكل اسراف . ولا اظن هناك من يجادل في ان استخدام هذه الوسائل في التعبير الفني هو هبوط لا يؤدي الى شيء غير الشعور « بالقرف » ليس الا لبعده عن الذوق السليم .

• اما « حجازي » فيرسم باسلوبه الجميل جزيرة « جمايكا » التي ذهب ليستجم فيها « ايدن » بعد انسحابه من بور سعيد في اعقاب العدوان الثلاثي على مصر وخروجه من الوزارة ومن الحياة السياسية كلها ، وفي الجزيرة « ايدن » يتحدث في تليفون : ايدن — .. الو .. جونسون .. انا منتظرك تعال ..!!

• كما يرسم « ليثي » بانينو حمام مملوء بالماء وتطل من سطحه يد اسرائيل الغارقة وعلى سطح الماء تطفو مركب من الورق تمثل « الاسطول السادس » وهو رسم بغير تعليق .

• ويستعير « حجازي » ما حدث في غيننام للامريكان ، فيرسم « جونسون » كبير الحجم ويلبس قفاز ملاكمة في يمينه وذراعه اليسرى مصابة ومربوطة ومعلقة في رقبته بضمادات مكتوب عليها « حرب فيتنام » ويقف امامه شخص يمثل اسرائيل والقفاز في يسه يمينها يمينه مصابة ومعلقة بضمادة مكتوب عليها « ١٩٥٦ » رمز لما حدث لاسرائيل في العدوان الثلاثي . وتحت الرسم تعليق : موقف امريكا واسرائيل ..

• والاكثر من هذا تفاؤلا ، استخدام الاغاني الحماسية في التعبير عن قوتنا وضعف

العدو ، كما في رسم « حجازي » لجندي اسرائيلي اصابه الذعر وترك بندقيته تسقط وهو يرفع يديه ويميل الى الورا كمن هو على وشك السقوط لان عددا من انغام الموسيقى يندفع نحو بطنه وهو يصيح غزعا صارخا : .. آي .. فايذة كامل بتغني !!
 • وحتى في الصفحة الاخرية حيث باب « نادي الرسامين » استعراض للنشاط الفني وفيه صورة فوتوغرافية للمعرض المعلق على جدران « دار الهلال » وفيه عشرات من الرسوم لا تخرج عن هذا المعنى المتفائل الحماسي .

فاذا نحن سلطنا احدى نظرتينا الى الانتاج الكاريكاتيري الذي قدمنا منه بعض نماذج ، ووضعنا النظرة الثانية على تسلسل الاحداث التي جرت في تلك الفترة بتواريخها ، فقد نجد ما يبرر — بل ويحتم — وجود هذا الخط الفكري بصورته هذه التي ننفقها :
 ١٥ مايو — اعلان حالة الطوارئ بين القوات المسلحة المصرية بعد توتر الموقف نتيجة لتهديدات اسرائيل المتكررة بالزحف لاحتلال دمشق .

١٧ مايو — انتهاء مهمة قوة الطوارئ الدولية في خليج العقبة وفي غزة .

٢٠ مايو — كندا تتزعم حملة تشكيك في اقليمية مياه العقبة .

٢١ مايو — القوات الاسرائيلية تتدفق على خطوط الجبهة المصرية الاسرائيلية .

— القيادة المصرية تدعو الاحتياطي للخدمة العسكرية العاملة فوراً .

— وصول قوة مصرية مسلحة واحتلال « شرم الشيخ » .

— بعث الرئيس « جونسون » الى رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي « كوسيجين » رسالة سرية يقترح فيها عليه ان يشتركا معا في مواجهة الازمة .

٢٥ مايو — عبرت قوات عراقية الحدود الى سوريا لتتخذ مواقعها المحددة من قبل على خط الجبهة مع اسرائيل .

— بدأت عائلات موظفي السفارة الامريكية تغادر القاهرة .

— بعث « جونسون » برسالة الى ج.ع.م. (مصر) يناشدها ضبط النفس .

٢٩ مايو — اصدر الرئيس الراحل « عبد الناصر » قرارا بتعيين السيد « زكريا محيي الدين » قائدا للمقاومة الشعبية .

٣ يونيه — حذر الرئيس « عبد الناصر » في مؤتمره مع القيادة العسكرية المصرية من ان ضربة سوف توجهها اسرائيل الى مصر في ٥ يونيه وتهدف البدء بتدمير المطارات واصابة السلاح الجوي المصري بالشلل .

واذا تأملنا العدد الصادر في ٨ يونيه ١٩٦٧ من « صباح الخير » سوف نجد نموذجا كاملا للدليل القاطع على وجهة النظر التي نطرحها في هذا المجال . فهذا العدد ، وان كان يحمل تاريخ ٨ يونيه الا انه اخر عدد صدر من هذه المجلة قبل وقوع النكسة ، لان آخر مواد تسلم الى المطبعة يوم ٥ يونيه نظرا لظروف المطبعة وقتها . ثم ان اخبار النكسة الصادقة لم تتأكد الا يوم ٨ مساء وفي الساعة الثامنة مساء ايضا ، وذلك عندما وجه الرئيس الراحل « عبد الناصر » خطابه الذي اعلن فيه التنحي عن طريق التلفزيون . وفي نفس الوقت كانت قد مضت اكثر من عشرين ساعة على انتهاء طبع المجلة ونزولها للتوزيع في الشارع .

• وغلاف العدد رسمه « حجازي » لطفل صغير يتقدم نحو امه وهو غاضب ويمسك في يده بمسدس العاب ويقول : — ماما .. فبين اسرائيل ..؟؟!

- وبريشة « جورج » رسم لبندقية تتكون من كلمة « سننتصر » .
- ومن رسم « ايهاب » فكرة بارعة حقا وواقعية في نفس الوقت ، لشخص يمثل العرب يحمل فأسا ويرفعها ليهوى بها على خط انابيب بترول ، ومكتوب تحتها تعليق : « يا عمال البترول العرب انتم الجيش الثاني في المعركة » .
- ورسم بريشة « جورج » لجندي مصري يعد على اصابعه الطائرات التي تتساقط خلفه من طائرات الاعداء : واحد .. اثنين .. ثلاثة .. (حتى رقم ٨٥) .. والبقية تأتي .
- وله أيضا رسم عن الطيران الاسرائيلي الذي يقبض جندي مصري على اثنتين منها وحوله تتساقط غيرها : « احنا حديد وفولاذ .. وطياراتهم صفيح وورق » .
- ويكمل هذين الرسمين برواز لبيتين من الزجل بغير توقيع :

بحر المعارك غويط واحنا الحيتان والنسور
من الخليج للمحيط شعب العرب منصور

- وبغير توقيع نشر رسم فيه طيار مصري يمسك بيديه جهاز رش مبيد للحشرات يطلق امواجه وذراته على اربع طائرات اسرائيلية تتساقط فوق كومة من حطام الطائرات وتحت الرسم تعليق بالزجل :

سبعين طيسارة يا موشي يا ديان
من اول غارة زي الدبان !!

- ومن رسم « بطراوي » صورة شخص يمثل اسرائيل تحاصره طائرات من كل جانب تمثل كل منها بلدا عربيا .
- ورسم بغير توقيع لمدينة عربية خلفها يبرز نسر ضخم تنطلق من عينه شرارات تنفجر في الجو كأنها قذائف حربية .

• ويتهم « ناجي » على عاهة « موشي ديان » برسم زوجته تمسك بفردة سوتيان والفردة الثانية على عين ديان وهي تقول : — وبعدين معاك .. هو انا كل ما اجيب سوتيان تخسر هولي بالشكل ده .. !!

- و « حجازي » رسم الدول العربية في شكل أسد امامه « ديان » يحاول فتح فمه ، وذلك بعد اغلاق مصر لخليج العقبة ، واقتراح امريكا « الدول البحرية تفكر في فتح خليج العقبة بالقوة !! »

• ومن أعمال « حجازي » رسم لجنديين اسرائيليين أحدهما يقول للآخر : — تالولي اتبرع للمجهود الحربي ، قلت لهم لا ، أموت أرخص .. !!

- ويؤكد « ناجي » تهكمه على عاهة « ديان » ولكن هذه المرة بموضوعة أكثر من السابقة ، حيث يرسمه ممسكا بمنظار من النوع المفرد العدسة ويضعها امام عينه المعصوبة ويعلق على الرسم : « كيف يرى موشي ديان الموقف .. !! »

• وفي موضوع تحريري بقلم « محمود السعدني » تهكم وسخرية بالدور الذي تقوم به الامم المتحدة بتأثير من الولايات المتحدة الامريكية ، ويرمز لذلك برسوم بريشة « جاهين » :

١ — اجتماع الامم المتحدة والاعضاء يخطبون ومكان شعار المنظمة الدولية مرسوم

مكان الكرة الأرضية زجاجة كوكاكولا . والى يمين الرسم برواز فيه كتابة « الجنازة حارة والميت لازرة كوكاكولا » .

وتحت الرسم ثلاثة ابيات من الزجل :

نيويورك في يوم كذا م التعلب اللي فسات وفي ديليه ميمة دول لفت مبيع لفسات
امريكا داعيه الفراودة لاجتباع عاجل تؤمر وتنهي ولا تناقش ولا تساجل
تفتح وتعلق كلامها في ملفة الراجل بقى مجلس الامن مصنع تعبئة زجاجات

٢ - ورسم لصندوق ثلاجة كوكاكولا وخلفه مكتوب على لافتة « الصندوق الدولي ملك الشركة الامريكية للتعبئة » .

٣ - ورسم ثالث « للعم سام » وهو رمز امريكا يرفع في يده مفتاحا لزجاجات المياه الغازية ويصيح : - مفتاح الموقف .

● والفكرة الرابعة من رسم «ايهاب» وعلى مساحة صفحتين تحت باب « من غرائب اسرائيل » وهما مرتبطتان معا . الاولى صورة موشي ديان بشكل ضخيم وبملابسه العسكرية ونياشينه ومنها نيشان على شماعة ملابس فيه صورة العلم الامريكي . والثانية لنفس الرسم ولكن من خلفه حيث يتضح ان كل هذا المنظر عبارة عن ديكور كبير يقف من خلفه ديان ليطل براسه من فوق سلم خشبي . وعلى ظهر الديكور تلتصق رسم « ايدن وجي موليه وجونسون وويلسون » .

● ويرسم « تاج » فكرة بسيطة لاربع لافتات وقوف السيارات مكتوب على كل منها بالنوالي « موقف امريكا » و « موقف بريطانيا » و « موقف كندا » وقد ربط الى هذه اللافتات حمار عليه رسم نجمة صهيون رمز اسرائيل . واما اللافتة الرابعة فمكتوب عليها « موقف فرنسا » فتقف عليها حمامة سلامه . وهذا الرسم بارع في التعبير عن الموقف وقتها ببساطة ووضوح شديدين .

● رسم بريشة « ليثي » لحاملة الطائرات الامريكية « انتربيد » وهي تحمل بدلا من الطائرات صفا من الصليب المعقوف « علامة النازية » فوق سطح الحاملة .

● ويرسم ايضا باخرة اسرائيلية يسير من فوقها اسرائيليون والقبطان يكلم بحارا :
- اصل واحد قال لهم ان البحر الاحمر فيه قروش . . !!

● ومن الرسوم الموضوعية فكرة بريشة « حجازي » لشخص يمثل مصر وهو يشير الى سيدة عملاقة تمثل « فلسطين » وامامها فتاة صغيرة تمثل « العقبة » وخواجة يمثل « الغرب » الذي يعلق مشيرا الى « العقبة » : - فلسطين ايه ؟ انا مش شايف غير دي !!

● وبريشة « رؤوف » رسم للرئيس « جونسون » جالسا على مكتبه وامامه يقف مندوب افلام « جيمس بوند » بيده بندقية رشاشة ويقدم جريدة فيها « منع افلام جيمس بوند في ج . ع . م . » ويقول : - جيت لك سبب وجيه للحرب !

● ويرسم « جورج » « عبد الناصر » بملابس كرة القدم وهو يركل كرة في شكل « اسرائيل » وكتب تحتها : - اكبر شوطنة في دوري السياسة .

● كما رسم « ناجي » اثنين من جنود العدو رافعين ذراعيهما الى اعلى ، والتعليق :
- دي احسن طريقة نخش بيها على الجيوش الغربية !!

- وايضا رسم « ناجي » جنديا عملاقا عربيا أمامه قزم « اسرائيل » الذي يقول :
— بأه يا راجل تعمل عقلك بعقل واد ما يجيش قد ركبك ... !!
- وبريشة « رؤوف » رسم فكرتين . الاولى لجندي اسرائيلي يكلم الاخر : — وعلى ايه المانيا تبعت لنا « كمامات » ما هو العرب حيكممونا طبيعي ... !!
- والثانية لاسرائيلي يشنق نفسه ويحدث زوجته : — يا وليه اعلمي زي ما باقولك .. عاوزانا ننتظرهم لحد ما يجوا يهدلونا ... !!
- وعلى الصفحة الاخيرة رسم « رؤوف » فكرتين . الاولى لتمثال الحرية الامريكي يغطي وجهه بالكتاب ويقف اثنان يتحدثان : — مكسوف مش قادر يوري وشه لحد .
والثانية لمركب مكتوب عليها « الاسطول السادس » وفوقها بحار يقول للاخر :
— انا ادخت بأه من اللف الكثير اللي من غير فايده .. وعابز استقر .
حقيقة ان الظروف قد ساهمت بدورها في صياغة النكسة بحجمها المذهل . وحقيقة ان الفكر الكاريكاتيري قد تورط بما جعله قاصرا عن الادراك الواعي لدوره . ولكن هناك حقيقة مجرية وهي : ان المصيبة التي لا تقتل تغير . ولا بد ان الكاريكاتير المصري قد استفاد من الكارثة التي لم تقتل ، وهو ما يستحق بحثا اخر .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

تجربة البحث عن افق

مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمة

بقلم : الياس خوري

وهو مقدمة تحليلية ، تدرس اهم الاتجاهات في الرواية العربية المعاصرة ، عبر الملائمة بانتحدى الذي فرضه منطلق الصراع مع الغرب الرأسمالي ، والذي يشكل الصراع العربي الاسرائيلي احد منعطفاته الاساسية . دراسة تركز على تلاق بينية الروائية في بحثها عن افق تمبيري يحبل تحولات الشكل الرؤيوي .

١١٢ صفحة بثلاث ليرات لبنانية ، تصاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل في العالم

العربي ، ١ ل.ل. في اوربوا ، ٢٥٠ ق.ل في سائر الدول .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

دور الطيران في حربي حزيران ١٩٦٧ وتشرين الاول ١٩٧٣

الرائد الطيار حسين عويضة

طراز (ميج ١٧) فوق بحيرة طبريا (٣). وقد تكررت الاشتباكات بين القوات السورية والاسرائيلية مما دفع الحكومة الاسرائيلية الى عقد اجتماع طرازي في ١٥/١/١٩٦٧ بحثت خلاله تطورات الوضع على الحدود . وابلغ « أشكول » رئيس الوزارة الاسرائيلية المجتمعين بالخطوات التي يجب على اسرائيل ان تتخذها استعدادا لمواجهة احتمالات الموقف . وقد بدا وقتها ان اسرائيل كانت مصممة على اتخاذ اجراء انتقامي ضد سوريا (٤).

وفي صباح ٧/٥/٦٧ بدأت القوات السورية والقوات الاسرائيلية التراشق بالمدفعية وقد تطور الاشتباك فيما بعد الى اشتراك الطيران في القتال الدائر حيث جرت معركة جوية كبيرة استخدم فيها الطرفان اعدادا كبيرة من الطائرات . ونجم عن الاشتباكات فقدان (٦) طائرات سورية من طراز (ميج - ٢١) . وقد برهن الاشتباك عن قدرة سلاح الطيران الاسرائيلي ، وتفوقه الظاهر . وبعد توقف الاشتباك التقى « الجنرال اسحق رابين » رئيس اركان الجيش الاسرائيلي بمراسلي الصحف وأعلن « ان معركة يوم الجمعة ٥/٧ كانت درسا مهما للسوريين بالنسبة لقدرتهم على الصمود امام الجيش الاسرائيلي في معركة جوية » . كما أعلن انه سمح لقائد الطيران الاسرائيلي بان يدفع طائراته حتى مشارف دمشق ابان احتدام القتال (٥). وكانت هذه المعركة اختيارا أكد تفوق الطيران الاسرائيلي على الطيران السوري ، وبين للقيادة الاسرائيلية عما سيحدث في اية مواجهة قادمة مع سوريا .

اما على الجبهة الاردنية فقد نشط رجال المعاصرة - الجناح العسكري لحركة التحرير

منذ بداية عام ١٩٦٦ ساد التوتر خطوط الهدنة السورية - الاسرائيلية والاردنية - الاسرائيلية وذلك بسبب ازدياد النشاط الفدائي عبر هذه الخطوط وقيام اسرائيل بالرد على هذه للهجمات بغارات عسكرية انتقامية وقيام الجرارات الاسرائيلية بمحاولات متكررة لحسك الاراضي الواقعة في المناطق المنزوعة السلاح على الحدود مع سوريا وقيام السوريين بالرد على هذه المحاولات . وقد فرضت هذه الاحداث على الاردن اتخاذ الاجراءات الامنية الوقائية على حدوده تحسبا لاي طرازي ، على حين حشد السوريون والاسرائيليون قواتهما المسلحة على الحدود باعداد كبيرة . لقد بلغ التوتر مداه على الجبهة السورية في ١٤/٧/٦٦ عندما دفعت القيادة الجوية الاسرائيلية لأول مرة الطيران الاسرائيلي للعمل ضد المواقع السورية . وهو الاجراء الاول الذي تتخذه هذه القيادة منذ ١٣/١١/١٩٦٤ عندما هاجمت الطائرات الاسرائيلية مواقع المدفعية السورية في بانياس وتل الاحمر وتل العزيبات (١). فقد هاجمت الطائرات الاسرائيلية من طراز (مراج) في هذا اليوم مواقع العمل السورية في المشروع العربي لاستثمار مياه نهر الاردن ، وقامت بضرب المعسكات الهندسية المدنية التي تعمل في المشروع (٢). وفي ٥/٨/١٩٦٦ هاجمت الطائرات الاسرائيلية مواقع المدفعية السورية « في مشعدة » وكانت هذه هي المرة الاولى التي يضر فيها الامر للطائرات الاسرائيلية منذ حرب عام ١٩٥٦ بعدم احترام الحدود في اثناء تعقبها للطائرات السورية التي ظهرت في سماء المعركة . وقد اسفر الحادث عن اسقاط طائرة سورية من

تواته من مواعيمها في سيناء (١١).

٣- اغلاق ممرات تيران في وجبه الملاحة الاسرائيلية في ١٩٦٧/٥/٢٢ (١٢).

٤- توقيع اتفاق التنسيق والتعاون بين الجيشين السوري والعراقي في ١٩٦٧/٥/٢٨ والاعلان عن دخول القوات العراقية الى سوريا ومزايقتها في مواعيمها المحددة (١٣).

٥- توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن في ١٩٦٧/٥/٢٠ (١٤).

٦- تحرك القوات العراقية الى الاردن في ١٩٦٧/٦/١٥ (١٥).

٧- انضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك بين الاردن ومصر (١٦).

٨- تشكيل حكومة « الاتحاد الوطني » او « حكومة الحزب » في اسرائيل في بداية شهر حزيران ١٩٦٧ برئاسة « ليفي اشكول ». وقد انضم الى الحكومة الجنرال « موشيه دايان » وزير الدفاع و « مناحيم بييجين » وزير بلا وزارة (١٧).

كانت هذه اهم التطورات التي وضعت المنطقة على شفير الحرب التي خططت لها اسرائيل بدقة وعناية فائقتين مع الولايات المتحدة . لتسد ادركت منذ بدأ التصعيد الخطير للاوضاع على الحدود مع جاراتها العربيات انه سيكون بمقدور الجيش الاسرائيلي مذبوحا بالسلح الجوي الاسرائيلي خسم القتال مع سوريا بسرعة مستندة في تقديرها هذا على نتائج المعركة الجوية التي وقعت بين المقاتلات السورية والاسرائيلية في ١٩٦٧/٤/٧ كما ان هذه المصادر قدرت ان اوضاع مصر العسكرية والاقتصادية وعلاقتها السياسية السيئة بالدول العربية ستعد الى درجة كبيرة من فعالية اي تحرك عسكري مصري لدعم سوريا. يضاف الى ذلك تزدى العلاقات بين الدول العربية وخاصة بين دول المواجهة (مصر - الاردن وسوريا) الى اسوأ حالاتها . لذلك استبعدت هذه المصادر الاسرائيلية قيام اي تعاون فعال بين كل من الاردن وسوريا والعراق ومصر .

ان اكثر ما كانت تخشاه القيادة العسكرية في اسرائيل هو سلاح الطيران المصري الذي كان

الوطني الفلسطيني (متح) في عملياتهم ضد الاهداف الاسرائيلية . مما دفع اسرائيل الى شن اشارة انتقامية ضد قرية (السموع) في ١١/١٢/ ١٩٦٦ استخدمت فيها مجموعة لواء مدرع تساندها الطائرات الاسرائيلية (١٨) . كما اشتمت الطائرات الاردنية والاسرائيلية لأول مرة في تاريخ السلاحين الجويين واسفر الاشتباك عن اسقاط طائرة اردنية من طراز « هوكر هنتر » ومقتل طيارها . وقد كشف الحادث وقتها عن ضعف الاجراءات الاردنية في التصدي للقوات الاسرائيلية المعتدية .

وعلى اثر هذا التصعيد الخطير للاوضاع على خطوط الهدنة مع كل من الاردن وسوريا ، بات متوقعا قيام اسرائيل بعمل عسكري ضد سوريا يفوق ما اعتادت المنطقة عليه . فقد اعلن « ايسا ايبان » وزير خارجية اسرائيل « بان اسرائيل لن تستكت » ووجه تهديدا الى سوريا معلنا ان « الموقف خطير على خطوط الهدنة السورية » (١٩) . ومن جهة اخرى هدد مصدر عسكري اسرائيلي باستعمال القوة ضد سوريا لوقف غارات الفدائيين المنطلقة من اراضيها . وقال « ان امام اسرائيل عددا من الاحتمالات يراوح بين شن حرب العصابات وبين الغزو واحتلال دمشق واسقاط نظام الحكم فيها (٢٠) .

وكان لهذه التهديدات ردود فعل عنيفة من جانب الجمهورية العربية المتحدة (مصر) التي اتخذت سلسلة تدابير عسكرية التزاما باتفاقية الدفاع المشترك المصرية - السورية . وفي ١٠/ ٤/ ١٩٦٧. زار قائد سلاح الطيران المصري دمشق واجرى مباحثات هامة مع قادة سلاح الطيران السوري وكبار المسؤولين في رئاسة الاركسان السورية . واعلن بعد انتهاء الزيارة ان الجانبين اتفقا على التصدي لاسرائيل بصورة مشتركة (٢١) . وقد توالى الاحداث والاشتبكات مما دفع الدول المعنية التحرك على الصعيدين العسكري والسياسي حيث ازداد الوضع تفاقما وكان ابرزها الاحداث التالية : -

١- تحرك الوحدات المصرية الى سيناء في ١٥/٥/١٩٦٧ وحشد حوالي (٩٠) الف جندي مصري على الحدود مع اسرائيل (٢٢).

٢- الطلب الى قائد القوات الدولية بسحب

المنتجة للطائرات في المعتكر الغربي التي وافقت على تزويد سلاح الطيران الاسرائيلي بالطائرات المقاتلة النفاثة وبالتجهيزات والمعدات الجوية الحديثة . لهذا اقامت اسرائيل علاقات حميمة مع الحكومة الفرنسية التي كسنت حريصة على تعزيزها ، نجم عنها ازدهار العلاقة بينهما في اواخر الخمسينات وبداية الستينات والتي استمرت ثرابية (١٢) عاما قدمت خلالها فرنسا كميات ضخمة من السلاح الحديث غير المشروط ، وهو ما عزز قدرة السلاح الجوي وجعله قادرا على تحمل مسؤولياته .

كانت المشكلة الاساسية التي واجهت القيادة العليا في اسرائيل تتمثل في كيفية تهديد الطيران المصري ، وبالتالي اخراجه من المعركة ، او اذا لم يكن بالامكان تحقيق ذلك منعه من مهاجمة الاهداف الجوية في اسرائيل ، وكانت اسرائيل تدرك ان طائرة من طراز (تي يو - ١٦) القاذفة للقتال بحمولتها التي تبلغ (٩) طن من القنابل يمكن ان تحدث دمارا هائلا وتنزل افدح الخسائر بالارواح لو اتبع لها الامتلات من المقاتلات الاسرائيلية والقاء حمولتها على هدف حيوي في اسرائيل . لذلك سعت اسرائيل لدى الولايات المتحدة في عام ١٩٦٢ للحصول على صواريخ « هوك » الموجهة ارض - جو من اجل مقاومة طائرات (تي يو - ١٦) المصرية . ذلك لانها اعتبرت هذه المسألة مشكلة أمنية خطيرة . وهو ما دفع القيادة الجوية في اسرائيل لتركيز جهودها منذ مطلع الستينات باتجاه مصر محاولة ايجاد مخرج لهذه المشكلة الخطيرة ، وظلت مهتمة بجمع المعلومات عن الطيران المصري (طائراته - مطاراته - اجهزة راداره - وصواريخه الموجهة) حتى تظل مطلعة عما كان يجري من تطورات في هذا السلاح . وهو عامل اجبر اجهزة الاستخبارات والمخابرات الاسرائيلية التركيز على مصر دون غيرها من الدول العربية ، وتوجيه عملاتها للعمل فيها بغية جمع المعلومات عن نشاطاتها العسكرية . لقد ادركت القيادة العسكرية الاسرائيلية ان أية مواجهة مع العرب يجب ان يسبقها اعداد دقيق للمعركة بحيث يأخذ في حساباته دور الطيران في الحرب . فلتقد تطور السلاحان الجويان المصري والاسرائيلي كثيرا مما

يضم حوالي (٤٣٠) طائرة حربية (قاذفات متوسطة وخفيفة ، مقاتلات ، مطارات ، طائرات هجوم ارضي) بالاضافة الى حوالي (٤٨) طائرة نقل خفيفة ومتوسطة و (٧٠) هليكوبتر عدا طائرات التدريب والاستخدام الخاص (١٨) بالاضافة الى قيادة الدفاع الجوي التي كان لديها حوالي (٢٠) بطارية من الصواريخ الموجهة ارض - جو من طراز (سام - ٢) وتتكون كل بطارية من ٦ صواريخ . وكان لدى قيادة الدفاع الجوي حوالي (١٥٠) صاروخا وهي صواريخ معدة لمقاومة الطائرات على ارتفاعات متوسطة وشاهقة (٢٥ - ٦٠) الف قدم (١٩) ، لكنها غير فعالة لمقاومة الطائرات على ارتفاعات منخفضة (وهو عامل لم تدركه القيادة العربية المصرية الا بعد حرب حزيران ١٩٦٧) . كما ضمت قيادة الدفاع الجوي المصرية شبكة حديثة من اجهزة الرادار اقتصرت مسؤوليتها في اربع مناطق دفاع جوي وعددا من الاسراب الجوية المجهزة بطائرات (ميغ ٢١ - ب ف) المحسنة التي كان سلاح الطيران المصري قد تسلمها من الاتحاد السوفييتي قبل الحرب بفترة قصيرة مع عدد من طائرات (سوخوي - ٧) القاذمة المقاتلة . وذلك لتعزيز امكاناته وقدراته نظرا لكونها طائرة للهجوم ارضي بالدرجة الاساسية .

ومن جهة اخرى كانت القيادة الجوية في اسرائيل قد توصلت الى قناعة تامة بان امكانيات الطيران السوري والطيران العراقي كانت محدودة للغاية من الناحية القتالية وقد مزقتها المنازعات السياسية . اما سلاح الطيران الاردني فلم تكن تحسب له حسابا ذلك انه كان محدود الطاقات والامكانات وكان يتشكل من حوالي (٢٤) طائرة قاذفة مقاتلة من طراز (هوك هنتر) يضاف الي ذلك عامل سياسي له علاقة بالسياسة العليا للحكومة الاردنية ومواقفها الخاصة من الصراع .

لقد انصب اهتمام القيادة الجوية في اسرائيل على بناء وتطوير القوة الجوية القادرة على تحقيق السيطرة الجوية ، وتقديم الدعم الجوي للوحدات البرية والبحرية . لهذا باشرت القيادة في اعداد الطيارين والذنيين ، والحصول على احسن الطائرات والتجهيزات المتوفرة في الترسانة الحربية الفرنسية . لقد كانت فرنسا الدولة الوحيدة

— مقاتلة من طراز «مراج ٢ سي» قوام كل سرب منها (٢٤) طائرة، وسرب معترض رابع مكون من طائرات «سوبر مستير ب ٢» (٢٤) طائرة، يضاف إليها أربعة أسراب قاذفة مقاتلة من طراز «مستير ١٤» و«أوريغان» تبلغ في مجموعها ٤٠ (مستير ١٤) و«أوريغان» ٤) وسرب من القاذفات الخفيفة طراز (غوتور ٢ و ٢ ن) ٢٤ طائرة وثلاثة أسراب للهجوم الأرضي مكونة من الطائرات الخفيفة نوع «ماجستير» (٦٠ طائرة). ثم يربين نقل مجهزين بـ (١٥) طائرة «داكوتا» و(١٨) طائرة من نوع (نورد أتلان) وجناح جوي من طائرات الهليكوبتر تكونت من الطائرات التالية: (٥) طائرات سوبر فريبلون ثقيلة و (٨) طائرات «البيوت» خفيفة و (٣٢) طائرة نوع «سيكورسكي» (س — ٥٨) و(س — ٥٥) بالإضافة إلى عدد آخر من الطائرات الخفيفة وطائرات التدريب (٣٠). في حين قدر حجم القوة الجوية العربية المحيطة بإسرائيل بـ (٨٠٠) طائرة (مصر — العراق — سوريا — الأردن). أخطرها كان الطيران المصري الذي كان يتكون من (٣) البوية جوية توأمها (١٠٠) طائرة من نوع (ميغ ٢١) ، و (٢٠) لواء جوي توأمها (٦) أسراب نوع (ميغ ١٧) وثلاث أسراب جوية مكونة من طائرات (ميغ ١٩) و (٥) أسراب قاذفة مقاتلة اشتملت على طائرات (ميغ ١٥) و (ميغ ١٧) يضاف إليها ثلاثة أسراب من قاذفات القنابل المتوسطة نوع (اليوشن — ٢٨) توأمها (٣٥) طائرة وحوالي ٣٠ قاذفة للقنابل ثقيلة من طراز (تي يو — ١٦). أما الأسلحة الجوية العربية الأخرى فكانت حسب الترتيب التالي: (٢١)

السلح الجوي السوري : ٥٠ مقاتلة معترضة من طراز ميغ (٢١) ، ٣٦ قاذفة مقاتلة من طراز ميغ (١٧) ، ٦ قاذفات متوسطة من طراز (اليوشن ٢٨) . وعدد آخر من طائرات النقل والهليكوبتر والتدريب .

السلح الجوي العراقي : ٥٠ قاذفة مقاتلة من طراز (هوكز هنتر) ، ٢٥ مقاتلة من طراز (ميغ ٢١) ، ٤٠ قاذفة مقاتلة من طراز (ميغ ١٧) ، ١٥ قاذفة متوسطة من طراز (اليوشن ٢٨) ، ١٠ قاذفات ثقيلة من طراز (تي يو — ١٦) ،

كانا عليه في حرب عام ١٩٥٦ . خاصة وان القيادة العسكرية في إسرائيل لمست خطورة الطيران المصري في مرحلة القتال الأولى في حرب السويس ١٩٥٦ . وكانت تدرك ان امكانيات الطيران المصري وقدراته القتالية زادت اضعاف ما كانت عليه في السابق . بعد أن تلقى طياروه وكافة العناصر الفنية تدريباً متواصلاً واصبحوا على مستوى عال من الكفاءة والمعونة . لذلك وضعت القيادة الاسرائيلية كل هذه الاعتبارات في الحسبان عندما قررت توجيه الضربة الأولى له في صبيحة ١٩٦٧/٦/٥ وعندما وضعت القيادة الاسرائيلية خططها راعت دور الطيران الحاسم في الحرب ، لذلك اتجهت بجهودها لإيجاد الوسائل التي تكفه له نقل الحرب إلى الأراضي العربية لعلمها انه الوسيلة لتحقيق ذلك اذا ما استخدم بدقة ومهارة .

لقد راعت إسرائيل عند تقييمها لأوضاع المنطقة الانقسامات في الصف العربي واخذت في حساباتها عمليات التشریح الجماعي التي كانت تحدث في صفوف السلاحين الجويين العراقي والسوري والتي كان لها الأثر الكبير في تدني القدرة القتالية لهذين السلاحين وكانت تدرك وتعرف جيداً المستويات الفنية التي كانت سائدة في صفوف عناصرها الفنية ، على حين قامت هذه القيادة منذ عام ١٩٥٦ ببناء قوة جوية عصرية استندت على اسس علمية وواقعية ، وركزت خلالها على زيادة قدرات الطيارين والعناصر الفنية . كما كان للسلاح الجوي الاسرائيلي ميزة يتفوق فيها على الأسلحة الجوية العربية ، فقد كان لهذا السلاح القدرة على اجراء التعديلات والاصلاحات الرئيسية المناسبة على كافة طائراته ليتناسب ذلك ومتطلبات المعركة وهو عامل لم يكن متوفراً للسلحة الجوية العربية . يضاف الى ذلك قدرته في النقل وامداد القوات في جبهات القتال بكل ما تحتاج اليه من مؤن وذخائر وتجهيزات حرب أخرى . وهكذا عندما قررت إسرائيل دخول الحرب في عام ١٩٦٧ ، وجدت في متناول يدها سلاحاً جويًا قادرًا على مواجهة الطيران المصري وجاهزاً للمعركة .

الاستعدادات الأخيرة للحرب

في صبيحة ٦/٥ قدر «مردخاي هود» قوته بـ ٢٥٠ طائرة موزعة على ثلاثة أسراب معترضة

لقصر مداها ومحدودية إمكانياتها القتالية إذ أنها ستكون هدفا سهلا للطائرات المقاتلة المصرية وللمقاتلات الأرضية لو أعطيت أهدافا في عمق الأراضي المصرية . حددت الخطة الساعة (٨ر٢٥) بتوقيت القاهرة (٧٤٢٥) بتوقيت إسرائيل) موعدا لاقلاع طائرات الموجة الأولى من مطاراتها في إسرائيل . وقد أن تستغرق الرحلة (٢٠) دقيقة . وهو وقت يكفي لأن تكون الطائرات فيه فوق أهدافها في الساعة (٨ر٤٥) وهو الموعد الذي اختارته القيادة الإسرائيلية موعدا للهجوم وذلك للأسباب التالية : (٢٨) .

١ - تمكنت أجهزة الاستخبارات والمخابرات الإسرائيلية من الحصول على معلومات دقيقة عن موعد التحاق كبار الضباط المصريين في سلاح الطيران إلى مراكز عملهم . وكان هذا الوقت هو حوالي (٩ر٠٠) من كل يوم . لذلك رأت القيادة الإسرائيلية أن هذا الوقت سيكون مناسباً لقيامها بالهجوم على المطارات المصرية ، إذ أن الهجوم سيكون مفاجئا لهؤلاء القادة وسيحرمهم من فرصة إعطاء تعليماتهم إلى مرؤوسيهيهم . ذلك لأن الوقت سيكون متأخرا وستكون الطائرات الإسرائيلية قد انجزت واجبها . ومن جهة أخرى لقد اعتاد صغار الضباط المصريين عدم التصرف على مسؤوليتهم الخاصة . لذلك عند قيام الهجوم في هذا الوقت سيحاول هؤلاء الاتصال بقادتهم لتلقي الأوامر والتعليمات وهذا قد يأخذ وقتا وعندما ستكون الطائرات الإسرائيلية قد أفرغت حمولتها .

٢ - لقد اعتاد المصريون ارتجال دورياتهم الجوية لحراسة الأجواء المصرية في الصباح الباكر ما بين (٤ر٠٠) و (٨ر٣٥) . عندما تهبط آخر طائرة . كما اعتاد الطيارون المصريون تناول وجبة الإفطار في حوالي الساعة (٩ر٠٠) . وفي هذا الوقت تكون كافة الطائرات المصرية على الأرض . يضاف إلى ذلك أن دورية الطائرات المصرية الثانية لا تحلق في الجو إلا بعد التاسعة بقليل . لذلك رأت القيادة الإسرائيلية أن هذه الفترة ستكون مثالية وستمنح الطائرات الإسرائيلية الفرصة لتدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات المصرية .

٣ - دلت التقارير التي تصدرها أجهزة الرصد

وعدد آخر من طائرات النقل والهليكوبتر والتدزيب .

السلاح الجوي الأردني : ٢١ طائرة خانقنة مقاتلة من طراز (هوكر هنتر) ، ٥ طائرات هليكوبتر نوع « البيوت ٣ » ، ٥ طائرات نقل من طراز « داكوتا » .

تم التصديق على خطة عمليات الطيران الإسرائيلي في الأسبوع الأخير من شهر ايار (مايو) . وقد شارك في وضعها البريغادير « عزيز وايزمن » مدير العمليات في رئاسة الأركان والبريغادير « مردخاي هود » قائد سلاح الطيران الإسرائيلي (٢٢) . وكان الإطار العام للخطة يدمو إلى شن هجوم جوي خاطف على (١٩) مطارا مصرية في آن واحد وتدمير الطيران المصري على الأرض (٢٣) . فقد تم الاتفاق على أن تقوم طائرات (الميراج) بالطلعة الأولى وأن تهاجم المطارات التالية : - غربي القاهرة ، المنصورة وانشاص ، وأبو صوير ، وغايد ، وكبريت ، وحلوان ، وبني سويف والمنيا وهي المطارات المصرية الرئيسية . وطلب من طياري الميراج التركيز على مطار غربي القاهرة الذي كانت ترابط فيه (٣٠) طائرة قتال متوسطة بعيدة المدى من طراز (تي يو - ١٦) (٢٤) . وخصص للطائرات الجنوبية في مصر وهي « المفردة » و « الامتزر » و « رأس بناس » طائرات « الفوتور » البعيدة المدى التي اتخذت من قاعدة « حنسریم » القريبة من بئر النبع قاعدة لها وهي الطائرات الوحيدة التي كان يملكها سلاح الطيران الإسرائيلي وبإمكانها ضرب المطارات الجنوبية في مصر . وكان يربط في هذه المطارات الثلاث حوالي (١٢) سربا من الطائرات المعترضة طراز (ميغ ٢١) و (ميغ ١٩) التي استند لها مهمة التصدي للطائرات الإسرائيلية في حال مهاجمتها الأهداف المصرية من اتجاه شرم الشيخ (٢٥) . أما مطارا « الجبيل » في بور سعيد و « الدفرسوار » في منطقة القتال فقد خصص لها طائرات (المستر ٤ ا) التي كان محدد لها أن تطير إلى المطارين بطريقتة مباشرة (٢٦) . على حين خصص للمطارات المصرية الأربع في سيناء وهي « العريش » و « جبل لبنى » و « بئر جفجفائه » و « بئر تمناده » طائرات « الأوريمان » و « المستر ٤ أ »

١٩٤٢ . تبدأ طائرات الموجة الرابعة هجومها .
ثم تتبعها الموجتان الخامسة والسادسة فسي
الاقوات المحددة لها .

لقد قدر كل من « وايزمن » و « هود » انه
بعد ان تتم هذه الموجات هجماتها ستكون ٧٠٪ من
الطائرات المصرية قد دمرت تماماً او اعطيت .
وعندها سيرتك المجال للطائرات الاسرائيلية التفرغ
لمهاجمة المطارات السورية والاردنية والعراقية^(٢٧)
لانه حسب تقدير « وايزمن » و « هود » سوف
لن تتمكن طائرات هذه الدول من العمل الا بعد
ثلاث ساعات على الاقل من بدء الهجوم الجوي
على المطارات المصرية^(٢٨) . فقد تطلبت الخطة
مهاجمة المطارات السورية التالية : الضمير ،
صيقل ، مرج ريال ، المزه ، وت ، و . والمطارات
العراقية : ه ٣ والحبانية . اما المطارات
الاردنية فلن تهاجم الا اذا دخل الاردن الحرب ،
وعندها تهاجم الطائرات الاسرائيلية مطاري
« المرقق » و « عمان »^(٢٩) .

تقرر ان تستخدم قنبلة سرية لتدمير المدرج في
المطارات المصرية، وهي قنبلة بإمكانها احداث فجوة
كبيرة في ارضية المدرج تكون كافية لتعطيله لفترة
طويلة . حيث كان الهدف الاساسي لهذه القنبلة
منع الطيران المصري من العمل ، لتبدأ بعد ذلك
عملية تدمير طائراته على الارض . لقد كثر الحديث
عن هذه القنبلة والجهة الصانعة لها . فقد ادعت
اسرائيل انها الصانعة لهذه القنبلة لكنها لم
تثبت ذلك على الاطلاق بدليل انها لم تستخدمها
بعد ذلك . ففي شهر كانون اول ١٩٦٧ ظهر
تحقيقان محققان في مجلتي الطيران (فليات)
البريطانية و (انفيسيون) الفرنسية ذكر فيهما ان
هذه القنبلة هي من صنع شركة (ماترا) الفرنسية
لانتاج الصواريخ . لكن اسرائيل اجرت عليها
التحسينات بعد حصولها عليها لتعطي المردود
المطلوب . فالقنبلة مجهزة بجهاز (ايقاف) يشتمل
على مظلة وصاروخين . يعمل احدهما باتجاه
معاكس لخط سيرها لإبطاء سرعتها وهي في طريقها
الى الارض بعد القائها من الطائرة التي تكون في
تلك الارتفاع على ارتفاع (٥٠) متراً وبسرعة (٥٠٠)
عقدة (١٢٠) كم . في حين تعمل المظلة على
تصحيح وضع القنبلة بان توجه مقدمتها باتجاه
الارض . وفي تلك الارتفاع ينطلق صاروخ اخر دافعا

الجوي ان منطقة القناة يغطيها في الصباح الباكر
ضباب كثيف (حتى الساعة ٨:٣٠) لهذا رأت
القيادة الاسرائيلية ان تؤخر ضربتها الى ما بعد
انقشاع الضباب .

{ - تتم الغارات عادة في الفجر عند طلوع
النهار او في الفسق عند هبوط الليل . وهذا
يعني ان الطيارين سيستيقظون باكراً اي قبل
موعد الاقلاع بساعتين على الاقل وهذا بعد ذاته
سيسبب الارهاق لهم اما اذا كانت الضربة
الساعة ٨:٤٥ . فسيمنح الطيارون مدة اطول للنوم
وهذا ما سيساعدهم في طيرانهم . اما من الناحية
التكتيكية فان شن الهجوم في الفجر سيكون مملاً
روتينياً ولن يحقق أهدافه ذلك لان الطائرات
المصرية ستكون مستعدة لاستقبال المغيرين . اما
اذا شن الهجوم في وقت لاحق وفي موعد لا يتوقعه
المصريون فعندها ستكون المفاجأة وسيحقق الهجوم
اغراضه .

لقد كانت خطة الهجوم الجوي الاسرائيلي
كالتالي : - (٢٩)

٨٢٥ . تطلع طائرات الموجة الاولى من قواعدها
وتتوجه الى اهدافها .

٨٣٥ . تطلع طائرات الموجة الثانية . وتتدخل
طائرات الموجة الاولى الاراضي المصرية .

٨٤٥ . تبدأ الموجة الاولى هجومها على المطارات
المصرية . وتتدخل طائرات الموجة الثانية الاراضي
المصرية وتقلع طائرات الموجة الثالثة من
قواعدها .

٨٥٢ . تترك طائرات الموجة الاولى منطقة
الهدف .

٨٥٥ . تبدأ طائرات الموجة الثانية هجومها .
وتتدخل طائرات الموجة الثالثة الاراضي المصرية .

٩٠٢ . تترك طائرات الموجة الثانية منطقة
الهدف .

٩٠٥ . تبدأ طائرات الموجة الثالثة هجومها .

٩١٢ . تترك طائرات الموجة الثالثة منطقة
الهدف . تعود طائرات الموجة الاولى وتهبط في
قواعدها .

٩٢٢ . تطلع طائرات الموجة الاولى (تصبح
الان الموجة الرابعة) من قواعدها .

الرئيس الأميركي « ليندون جونسون » واهتمامه الزائد بامن اسرائيل وضمان حدودها ، وهو الذي سخر قدرات وامكانيات الولايات المتحدة العسكرية والسياسية والاقتصادية وتفوذها في العالم ووضعه في خدمة اسرائيل والصهيونية العالمية ، يقابل ذلك تجاهله التام للاماني القومية العربية وحقوق الفلسطينيين في ارضهم ووطنهم واستخفافه وكراهه للعرب . يضاف الى هذا العامل التطور الذي طرا على الاستراتيجية الاميركية في المنطقة والذي يشجع الدول التي تستطيع ان تساهم في المسؤولية الدولية للمحافظة على السلام ، ولا شك بأن موافقة واشنطن قبل الحرب على تزويد اسرائيل بكميات غير محدودة من السلاح يفوق احتياجاتها الدفاعية له ارتباط بهذا التحول . ثم تأتي التحركات البحرية وخاصة تحركات قطع الاسطول الاميركي السادس في البحرين الابيض والاحمر الذي تمثل بوضع حاملتي الطائرات « اميركا » و « ساراتوغا » في حالة الانتظار والتقرب وارسال حاملتي الطائرات « انتربريد » في ١٩٦٧/٥/٢٠ للمرابطة في البحر الاحمر على مقربة من شرم الشيخ(٣٤).

٢ - **الدعم البريطاني** ورغبة بريطانيا التقليدية الالتزام الجدي بمصر اسرائيل وتمسكها بالسياسة الغربية التقليدية تجاه المنطقة وتخصيها ايمان الازمة بتشكيل القوة البحرية الدولية لفتح ممرات تيران بقوة السلاح . يضاف اليه ارسالها في ١٩٦٧/٥/٢٠ حاملتي الطائرات « فكتوريوس » والمدمرة « ريل » للمرابطة في البحر الابيض المتوسط ، وحاملة الطائرات « هيرمس » للمرابطة في البحر الاحمر على مقربة من شبه جزيرة سيناء(٣٥).

٣ - **الدعم الفرنسي** على الرغم من التحول الذي بدأ يطرأ على السياسة الفرنسية ازاء دول منطقة الشرق الاوسط قبل الحرب ، والتحول المفاجيء والخطير في العلاقات الفرنسية - الاسرائيلية في اعقاب صدور قرار الحكومة الفرنسية في ١٩٦٧/٦/٢٠ بفرض الحظر على توريد السلاح الى الدول المعنية بالصراع العربي - الاسرائيلي، حيث لعبت فرنسا في السنوات (١٢) الماضية دورا نشطا ورئيسيا في تزويد اسرائيل بالسلاح بدون قيد او شرط وكانت حصة سلاح

القتلة بسرعة هائلة وبقوة في اتجاه الطبقة الاسمنتية حيث تخرق القنبلة ارضية المدرج وتستقر على عمق متر او متر ونصف . بعد ذلك يحدث الانفجار محدثا فجوة كبيرة في ارض المدرج .

لقد علم بعد الحرب ان اسرائيل لم تكن تملك الا اعدادا محدودة من هذه القنبلة ، لذلك اضطرت القيادة الاسرائيلية الى تسليح ٤٠٪ فقط من الطائرات المهاجمة بهذه القنبلة . اما بقية الطائرات المشتركة في الضربة الجوية فقد جرى تسليحها بقتل عادية زنة (٥٠٠) رطل (٢٢٥) كلغ و (١٠٠٠) رطل (٤٥٠) كلغ .

لهذا بدأت الطائرات الاسرائيلية منذ ٢١/٥ رحلات استطلاع على ارتفاعات شاهقة دون انقطاع ، قصد منها تضليل المصريين وجعلهم يعتقدون بأن اسرائيل تنوي القيام بعمل ما في الجنوب باتجاه السويس والفردقة وشرم الشيخ . واستمرت هذه الرحلات حتى ٢٧/٥ حين توقفت . وقد تصدت القيادة الجوية الاسرائيلية من هذه الطلعات بالاضافة الى تضليل المصريين ، جس نبض اجهزة الدفاع الجوي المصرية لمعرفة مدى استعدادها ، والمدة التي تستغرقها هذه الاجهزة للتصدي للطائرات الغربية(٣٦). توقفت طلعات الطائرات الاسرائيلية بعد ٢٧/٥ ووضعت كافة الطائرات لكثومات وفحوصات دقيقة استعدادا لساعة الصفر ، وقد بذلت خلال هذه الفترة جهود جبارة لاعداد اكبر عدد ممكن من الطائرات المتوفرة في السلاح للطيران في ٦/٥ ، وفي ٣ و ٦/٤ هادت طائرات (الميراج) للتخليق فوق شرم الشيخ بقصد التضليل . وقد اعدت التقارير التي امكن الحصول عليها بعد الحرب ان هذه الرحلات الجوية ضللت المصريين فعلا حيث نقلت القيادة الجوية في القاهرة قسما كبيرا من طائراتها المعرضة والمختلة الى المطارات في الجنوب « الفردقة » و « رأس بناس » و « فايد » و « كبريت » . على حين استبعدت هذه القيادة قيام الطيران الاسرائيلي بهاجمة مصر من ناحية البحر الابيض المتوسط . ليس هنالك من ينكر ان عوامل عدة شجعت اسرائيل على القيام بمغامرتها وهم هذه العوامل هي :

١ - **الدعم الاميركي** غير المحدود والمطلق لاسرائيل الذي ظهرت مؤثراته من خلال تحمس

الى الهدف (الذي يبعد مسافة (٢٥٠٠) ميل عن « حتسريم » القاعدة التي انطلقت منها هذه الطائرات) وذلك للاقتصاد بالوقود . وأنتم الطيارون هجومهم فوق الهدف بحركتين ، وفي طريق العودة اضطروا مرة اخرى للطيران بمحرك واحد الى ان هبطوا في قاعدتهم . لقد قدر لرحلة « رأس بناس » (٥) ساعات الا انه تم انجازها في (٣) ساعات . ومن جهة اخرى اتجهت جميع الطائرات نحو اهدانها على ارتفاع (٢٠٠) قدم فوق سطح الارض وسطح الماء لتفادي شبكات الرادار المصرية والبريطانية في قبرص ، وادارات الاسطولين الاميركي والسوفياتي في البحر الابيض ومحطة الرادار الاردنية في « عجلون » التي بإمكانها ان تغطي دائرة نصف قطرها ٢٠٠ — ٢٥٠ ميلا ، وعند وصولها منطقة اعالي الدلتا اتجهت جنوبا في طريقها الى اهدانها . وقد وضع مطار « غربي القاهرة » في رأس القائمة وذلك لان (٣٠) منقاذات القنابل المصرية من طراز (تي يو ١٦) كانت ترابط فيه . وقد ارتأت القيادة الجوية في اسرائيل تحطيم هذه الطائرات حتى تجرد السلاح الجوي المصري من هذه القاذفات وبهذا تحرمه من امكانية مهاجمة الاهداف الحيوية في اسرائيل . وفي الوقت الذي توجهت فيه هذه الطائرات الى اهدانها ، انطلقت الموجة الثانية من الطائرات الاسرائيلية بعد عشر دقائق من اقلاع الموجة الاولى اي في تمام الساعة (٠٨٣٥) وتألقت من (٨٧) طائرة ، (٦٠) لمهاجمة قلب مصر (١٦) لسيناء (٧) للجنوب (٤) لمهاجمة مطار « الغردقة » . وسلكت الاتجاهات نفسها التي سلكتها الموجة الاولى وقد اضيفت (٦) مطارات هي : كبريت ، المازله ، حلوان ، ابو صوير ، القاهرة الدولي ، الغردقة ، بالاضافة الى المطارات الاخرى . وما أن وصلت الى الاهداف المحددة لها في الساعة (٠٨٤٥) حتى بدأت بمهاجمة مدارج المطارات بقنابل أعدت خصيصا لها . وعندما أثبتت الطائرات احداث الفجوات المطلوبة في هذه المدارج بهدف منع الطائرات المصرية من الاقلاع بدأت في مهاجمة الطائرات المقاتلة الجائئة على الارض . وفي الساعة (٠٨٥٢) . انتهت هذه الطائرات هجماتها وأعلنت راجعة الى قواعدهما وهبطت في الساعة (٠٩١٢) . لم يهاجم مطار « الغردقة » الا بعد فترة من بدء

الطيران الاسرائيلي منها نصيب الاسد ، حيث شكلت الطائرات الفرنسية العمود الفقري للقوة الجوية الاسرائيلية الضاربة . وقد وصف « شمعون بيريز » هذه العلاقة بقوله : « ان علاقتنا الجيدة بفرنسا زادتنا تفاؤلا وفتحت امامنا افقا جديدة » (٢٦) . ولقد لعبت الصناعات الجوية الفرنسية دورا هاما في تزويد آلة الحرب الجوية الاسرائيلية بالطائرات والتجهيزات المتقدمة التي لعبت بدورها دورا رئيسيا وحاسما في الحرب . كان اخرها هبوط (٣) طائرات نوع (بوينغ — ٧٠٧) تابعة لشركة العمال الاسرائيلية في مطار « بوردو » في جنوب غربي فرنسا في الساعة (٢٢٠٠) من ليل ١٩٦٧/٥/٢٩ (٢٧) وفور وصولها جرى تحميلها بالصواريخ الموجهة جو — جو نوع (ماترا — ٥٣٠) وبقطع الغيار والمعدات العسكرية الاخرى التي كان سلاح الجو الاسرائيلي بحاجة ماسة لها . وظلت الطائرات في رحلات مستمرة حتى يوم ٦/٣ عندما انتهت مهبتها (٣٨) .

الحرب : الاثني الساعة (٠٨٤٥) / ٦/٥

١٩٦٧ .

انطلقت في الساعة (٠٨٢٥) من المطارات الجنوبية في اسرائيل دفعة واحدة اول موجة من الطائرات الاسرائيلية ومددها (٦٢) طائرة . فاتجهت (٢٨) من نوع « مياج » لمهاجمة المطارات المصرية الرئيسية في منطقتي الدلتا والقناة وهي مطارات غربي القاهرة ، المنصورة ، بلبليس ، فايد ، انشاص ، كبريت ، بني سويف . اما فايد فلم يهاجم بسبب كثافة الضباب الا بعد (١٠) دقائق من بدء الهجوم على المطارات الاخرى . على حين اتجهت (١٦) طائرة من نوع « مستر ٤ » لمهاجمة مطارات العريش ، جبل لبنى ، بئر جنجافه ، بئر تماده فسي صحراء سيناء . كما انطلقت (٨) طائرات قاذفة خفيفة من طراز « فوتور » الى الجنوب لمهاجمة مطاري « الاقصر » و « رأس بناس » . حلقت الطائرات في تشكيلات قتالية ، يتكون كل تشكيل من (٤) طائرات ، وخصص تشكيل واحد لكل مطار . فاتجهت الطائرات الى اهدانها بصمت لاسلكي وعلى ارتفاع ٢٠٠ قدم . ما عدا طائرات « الفوتور » التي حلقت على ارتفاع (٢٤) الف قدم مستخدمة محركا واحدا في طريقها

وعلى الرغم مما حدث قام الطيارون المصريون بما مجموعه ١٣٣ طلعة جوية ، وذكر الرئيس الراحل جمال عبدالناصر بعد الحرب ان (٤٠) طيارا استشهدوا في المعارك (٩٢) . وهذا دليل عملي على شجاعة الطيارين المصريين والطواقم الارضية التي ساعدتهم على الطيران ، ودليل على ان مسؤولية ما حدث لسلاح الطيران المصري تقع على كبار قادة السلاح وهدمهم فقد قدم صغار الضباط ما عليهم وأبلوا بلاء حسنا .

تقرر مصر الحرب بعد (٣) ساعات من اندلاعها ، واصبح واضحا ان القوات المصرية ستقاتل في سيناء تحت اقصى الظروف وفي فياب كلي لسلاح الطيران المصري . فني الساعة (٠٨٤٨) دخلت الطوابير المدرعة الاسرائيلية الحدود وبدأت الاشتباك مع القوات المصرية . ولما واجهت مقاومة عنيفة وبدأت المدفعية المصرية تعيق تقدمها ارسل سلاح الطيران الاسرائيلي طائرات «الفوجا مستير» لتقدم الدعم للقوات البرية التي كانت تواجه مقاومة عنيفة نظرا لانتشال الطائرات الاخرى في مهاجمة المطارات المصرية . وظلت هذه الطائرات في العمل طيلة فترة الصباح .

ومما تجدر الاشارة الى ذكره ان القيادة الاسرائيلية كانت قد اُبقت (١٢) طائرة من طراز « ميراج » لحماية الاجواء الاسرائيلية اثناء الغارات الجوية على مصر . ومن جهة اخرى كانت قد طلبت من الطيارين الاسرائيليين عدم تعطيل مدارج مطاري « العريش » و « جبل لبنى » كلياً حتى تتمكن القوات الجوية الاسرائيلية من استخدامها في مهام نقل التعزيزات الى القوات الاسرائيلية في سيناء في حال تنفيذ الخطة على الوجه الكامل . لذلك ركز الطيارون تصفهم على اول (٣٥٠٠) قدم من هذه المدارج التي يبلغ طول الواحد منها (٧٠٠٠) قدم وكان الهدف من ذلك هو منع الطائرات النفاثة من استخدام هذه المطارات وابقائها صالحة لاستقبال طائرات النقل الاسرائيلية من طراز « نور اطلس » و «داكوتا » التي لا تتطلب اكثر من (٢٥٠٠ - ٣٠٠٠) قدم (٤٦) .

انتهت الغارات الجوية على المطارات المصرية في الساعة (١١٣٠٠) لتبدأ عملية ضرب محطات الرادار الـ (٢٣) الموجودة في مصر (منها ١٦

الهجوم الاول) . ذلك فعندما بدأت الطائرات الاسرائيلية في مهاجمة المطارات المصرية في القناة ، اُقلعت من هذا المطار (٢٠٠) طائرة من نوع (ميغ ٢١) واشتبكت مع الطائرات الاسرائيلية من نوع « ميراج » فوق منطقة القناة . ولكن هذه الطائرات اضطرت اثناء الاشتباكات الى ترك مسرح العمليات بسبب نفاد وقودها . وحاول طياروها الهبوط لكن دون جدوى ففتقر بعضهم بالمظلات في حين حاول البعض الاخر الهبوط بطائراتهم لكنهم لم يوفقوا فتحطمت طائراتهم وقتل بعضهم . اُقلعت في الوقت نفسه (٨) طائرات (ميغ ٢١) اخرى من عدة مطارات وخاضت معارك جوية يائسة مع الطائرات الاسرائيلية وتمكنت هذه المجموعة من اسقاط طائرتي « مستير ٤ ا » قبل أن تضطر الى الهبوط اضطراريا في المطارات المدمرة .

من الجدير بالذكر انه في اثناء مهاجمة الطائرات الاسرائيلية للمطارات المصرية ، كان المشير عبد الحكيم عامر والفريق محمد محمود صدقي قائد الطيران المصري ومعهما عدد من كبار ضباط هيئة الاركان المصرية محلقتين في الجو بطائرة نقل من طراز (اليوشن ١٤) . فقد اُقلعت هذه الطائرة في الساعة (٠٨١٠) وكانت وجهتها مطار « بير جنجافه » حيث كان مقررا عقد اجتماع يضم قادة الفرق والاولوية المصرية في سيناء وكان الجميع بانتظار وصول طائرة المشير عندما بدأ الهجوم الجوي . فقد دعا المشير الى هذا الاجتماع ليبحث معهم في آخر تطورات الوضع العسكري . وما أن حلقت الطائرة فوق مطار « بير جنجافه » حتى أمرت بالعودة الى القاهرة ، حيث هبطت في مطار القاهرة الدولي بعد ساعتين من بدء الهجوم الاسرائيلي . وقد حدثت تطورات مذهلة اثناء هذه الفترة وتم فيها تدمير ٧٠ ٪ من مجموع طائرات السلاح الجوي المصري . وكانت هذه المدة كافية لاحتدات الارتباك والنوحى في صفوف القوات المصرية المسلحة حيث كان كبار القادة ومعهم الاوامر والتعليقات بعيدين عن وحدتهم خلال هذه الفترة الثمينة .

واصلت الطائرات الاسرائيلية بلا انقطاع مهاجمة المطارات المصرية وتمكنت في خلال (٢) ساعات من تدمير اكثر من (٢٠٠) طائرة مصرية .

العراقية . وفور وصولهم التحقوا بسرب من طائرات « هوكر هنتر » . وكانت قيادة سلاح الطيران العراقي قد نقلت الى قاعدة (هـ ٣) سرى من طائرات « هوكر هنتر » وآخر من نوع « ميغ ٢١ » مع عدد من طائرات النقل .

أما في الجبهة السورية ، فقد قامت الطائرات السورية بعد ظهر ٦/٥ بمهاجمة مصنعة البترول في حيفا . كما قصفت مجموعات أخرى مطار «جدو» في مرج بن عامر . وقد ردت اسرائيل على الفور ففي الساعة (١٣٣٠) هاجمت الطائرات الاسرائيلية خمسة مطارات سورية هي : الضمير (ت ٤) وصيقل ومرج ريال والزه حيث دمرت (٣٢) طائرة من نوع (ميغ ٢١) و (٢٣) طائرة نوع (ميغ ١٧) وطائرتين نوع (اليوشن ٢٨) و (٣) طائرات هليكوبتر نوع (مي ٤) . وكانت المقاومة الارضية شديدة حيث اسقطت (٦) طائرات اسرائيلية (٤٦).

وفي ٦/٦ اغارت طائرة عراقية من نوع (تي يو - ١٦) على « نائيا » في قلب اسرائيل لكنها اسقطت وقتل قائدها وجميع افراد طاقمها المؤلف من (٦) افراد . فردت اسرائيل بغارة جوية على مطار (هـ ٣) . ولكن الطائرات الاسرائيلية فوجئت بالطائرات العراقية فوق القاعدة حيث دارت معركة جوية اسقطت خلالها طائرتان اسرائيليتان . وفي اثناء الغارة تمكنت طائرة اسرائيلية من تدمير عدد من الطائرات العراقية الجاثمة على ارض المطار كما هاجمت اخرى خزان الوقود الرئيسي في القاعدة واشعلت فيه النيران . وفي وقت لاحق حاولت (٦) طائرات اسرائيلية من نوع « فوكتور » مهاجمة المطار مرة اخرى لكنها اصطدمت ثانية بالطائرات العراقية حيث اسقطت (٤) منها وقد شارك في هذه الاشتباكات الطيارون الاردنيون جنبا الى جنب مع الطيارين العراقيين تساعدهم وسائل الدفاع الجوي التي ساهمت في اسقاط عدد من الطائرات الاسرائيلية ، لذلك لم تحاول الطائرات الاسرائيلية بعد ذلك الاقتراب من مطار (هـ ٣) حتى نهاية الحرب .

كانت الخسارة العربية في الطائرات في اليومين الاول والثاني (٤٧): ٣١٩ طائرة مصرية ، ٦٠ طائرة

في سيناء) . وفي ليل ٥ - ٦/٦/١٩٦٧ عاد الطيران الاسرائيلي لتصف الطائرات المصرية المدمرة مستخدما القنابل شديدة الانفجار . وذلك حتى لا يمكن القيادة المصرية من استخدام هذه المطارات خاصة بعد ورود الاتباء عن وصول الطائرات الجزائرية الى مصر . استمرت الهجمات حتى طلوع الفجر (٤١).

أما على الجبهة الاردنية ، فقد ظل كل شيء هادئا حتى الساعة (١٠٥٠) عندما اتجهت (٤) طائرات من نوع « هوكر هنتر » وهاجمت مطار « كنار سيركن » القريب من اللد ، فنجم عن الهجوم تدمير طائرتين من نوع « باير كاب » وطائرة نقل من نوع « نور اطلس » (٤٢). ردت اسرائيل على الهجوم فتمرت (٨) طائرات من نوع « فوتور » كانت متوجهة نحو الاقصر بتغيير وجهة سيرها ومهاجمة مطار عمان (٤٣). على حين أرسلت (٦) طائرات « سوبر مستير » بحماية (٤) طائرات مبراج لمهاجمة مطار « الفرق » . وقد تم تدمير (٢١) طائرة « هوكر هنتر » من اصل (٢٤) يملكها السلاح الجوي الاردني كما دمرت طائرتا هليكوبتر من نوع « الويت » وست طائرات نقل من طراز « داكوتا » و « دوف » (٤٤). وكانت التعليمات قد صدرت الى الطيارين الاسرائيليين بتجنب الحاق اية خسائر في المنشآت والمعدات الاميركية الموجودة في مطار الفرق . وكانت قد وصلت الاردن قبل الحرب (٣) طائرات تدريب من نوع ستارفايتر (ف - ١٠٤ ب) الاميركية وطائرتان مقاتلتان من نوع ستارفايتر (ف - ١٠٤) . الا ان الحكومة الاميركية كانت قبل (٣٦) ساعة من اندلاع الحرب قد طلبت سحب هذه الطائرات وفريق الخبراء المكون من (١٠٠) رجل من قاعدة الفرق حيث نقلوا جميعا الى قاعدة زيجلي (Cigli) التركية التابعة لحلف شمال الاطلسي (٤٥). كما هاجمت الطائرات محطة الرادار في « عجلون » حيث تم تدمير الرسائل ونجم عنه تعطيل المحطة نهائيا .

طلب الى الطيارين الاردنيين بعد تدمير طائراتهم في مطاري الفرق و عمان الالتحاق بالقاعدة الجوية العراقية (هـ ٣) القريبة من الحدود الاردنية -

ولكننا نود ان نشير الى انه ليس صحيحا كما شاع وقتها ان طائرات تابعة لدول اجنبية قد شاركت في القتال . ان هذه الضربة الاجهازية كانت حصيلة جهد متواصل استمر ١٦ عاما . وكما قال الجنرال « هود » قائد الطيران « أمضينا ١٦ عاما نعمل بصمت وجد . لقد عشنا وأكلنا ونمنا مع الخطة وكنا نعمل على اكبالها دون انقطاع » (٤٩) . لقد تضارفت جهود كافة القيادات والاسراب والاقسام لتنفيذ الخطة التي كان من أسباب نجاحها : ١ - تحضير جيد للهجوم وانتقاء بارع للأسلحة التي ساهمت فيه . ٢ - التخطيط الجيد والقيادة الكفؤة . ٣ - اجهزة استخبارية ناجحة قدمت أدق المعلومات عن الأسلحة الجوية والجيوش العربية بالإضافة الى تقييم دقيق للوضع . ٤ - طيارون في مستوى قتالي جيد نفذوا الخطة الموضوعية بتجاح . ٥ - تفوق في استخدام الأسلحة والمعدات والاجهزة الالكترونية الحديثة في الجانب الاسرائيلي يقابله مجز وتقصر واهمال في الجانب العربي . ٦ - انهيار تام للقيادات العربية السياسية والعسكرية في الساعات الاولى لاندلاع القتال . ٧ - ظروف وأوضاع عربية مؤاتية ، أجادت اسرائيل في استغلالها . ٨ - ظروف وأوضاع دولية مؤاتية بالإضافة الى الدعم الاميزكي المادي والمعنوي . لقد بالفت اسرائيل ايضا في استخدامها لاجهزة التشويش الالكترونية . ان كان ذلك ضد اجهزة الرادار او ضد الصواريخ الموجهة او ضد الاجهزة السلكية واللاسلكية . ولم يعد سرا انها استخدمت في حرب حزيران (٣) طائرات من نوع « داكوتا » مجهزة بأجهزة التشويش الالكتروني ، استطاعت التشويش على بعض اجهزة الرادار المصرية وهو عامل لم يعد شيئا خارقا ومستغربا في ظل التقدم التقني والعلمي الذي حققتة البشرية، الا انه ليس صحيحا ان ما أصاب القيادات والجيوش العربية من فوضى وارياب كان حصيلة تدخل اجهزتها . لان هذا الارتباك نجم عن انهيار

سورية ، ٢٠ طائرة عراقية . ١٠٤ طائرة لبنانية* ، ٢٩ طائرة اردنية . اما خسائر اسرائيل فكانت (٤٨) : ٢٦ طائرة و ٢١ طيارا (ارتفعت في نهاية الحرب الى ٣٦ طائرة) .

اليوم الثاني : ٦/٦

قامت الطائرات الاسرائيلية بتدمير كافة المطارات العربية المحيطة بها والقريبة من ساحات القتال والتي كانت تشكل مصدر خطر عليها وعلى قواتها العاملة في ارض المعركة . ومنذ صبيحة ٦/٦ حدد سلاح الطيران اربع مهام رئيسية : ١ - تقديم الدعم الجوي للوحدات المدرعة الاسرائيلية العاملة في جبهات القتال . ٢ - مطاردة الطائرات العربية التي تظهر في الجو والتي نجت من الضربة الاولى صبيحة ٦/٥ . ٣ - تصف المواقع السورية في هضبة الجولان تهيدا للهجوم المرتقب . ٤ - مطاردة غلوز القوات المصرية المنسحبة غربا في سيناء والقوات الاردنية المنسحبة شرقا في الضفة الغربية والاجهز على وحداتها المدرعة، وبطاريات المدفعية للجيشين .

وهكذا مع طلوع فجر ٦/٦ انقسم سلاح الطيران الى ثلاث مجموعات المجموعة الاولى وجهت باتجاه الجبهة المصرية والمجموعة الثانية باتجاه الجبهة الاردنية والثالثة باتجاه هضبة الجولان . ويمكن القول ، ان سلاح الطيران الاسرائيلي حقق في ٦/٥ سيطرة جوية مطلقة على سماء منطقة الشرق الاوسط ، وأصبح بإمكان طائراته العمل بحرية تامة والتركز بصورة اساسية لتقديم الدعم للقوات البرية وفي المراحل الاخيرة من الحرب، درج الطيران الاسرائيلي على استخدام أسلوب واحد وسارت عملياته على وتيرة واحدة وإصبح عملها تكرارا لطلعات سابقة . وكلها وجهت بشكل رئيسي لمهاجمة الدبابات والاليات وبطاريات المدفعية والجنود المنسحبين من خطوط القتال في الجبهات الثلاث .

* لم يشترك لبنان رسميا في الحرب . انما حصل اشتباك جوي بعد ظهر اليوم الاول فوق قرية كفرمشكي أسقط فيها سلاح الطيران اللبناني طائرة اسرائيلية من نوع (مستير) حسبما جاء في البلاغ العسكري اللبناني . وفي ٦/٧ حاولت الطائرات الاسرائيلية الهجوم على المواقع اللبنانية العسكرية المتقدمة فتصدت لها الطائرات اللبنانية وجرى اشتباك جوي اسقطت فيه طائرة لبنانية من طراز (هوكر هنتر) . (أنظر : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، ص ٢١٣) .

الى القيام ببعض التجارب والاختبارات الفعلية على اجهزتها ومعداتنا . ولا يستبعد ان تكون مهمتها ايضا اشتملت جمع المعلومات الدقيقة عن عمل ودور الاسلحة السوفيتية في الحرب . ومهما يقال عن السفينة « ليبرتي » فان دورها في الحرب سيظل لغزا يحير الجميع وسيظل كافة التفسيرات التي صدرت عن دورها في الحرب مجرد تكهنات واستنتاجات لا تستند الى اي حقيقة . وربما يماط اللثام عن دورها في المستقبل عندما يحين الوقت .

خرجت اسرائيل من الحرب مزهوة بانتصارها وهي تعتقد انها قد حققت بذلك الاهداف الرئيسية لنظرية أمنها فقد تمكنت من تدمير جيوش ثلاث دول عربية بما في ذلك ابادلة اسلحتها الجوية . واحتلت من الاراضي العربية ما مجموعه (٨٨) الف كيلومتر مربع .

كانت حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ حربا جوية بدأها سلاح الطيران وحسبها سلاح الطيران . كانت عبارة عن ضربة جوية مسبقة ناجحة وجهت في الساعات الاولى من صبيحة ٦/٥ الى سلاح الطيران المصري ، الذي تم اخراجه نهائيا من المعركة في الساعات الثلاث الاولى من بدء الحرب . فقد نجحت القيادة الاسرائيلية في اختيار ساعة الصفر كما نجحت في انتقاء المطارات التي شملها القصف في الموجة الاولى ، وهو عامل منحها السيطرة على الامور ووضع زمام الموقف في يدها منذ ان عادت الموجة الاولى من الطائرات الى قواعدها سالمة . ويمكن القول ايضا ان سلاح الطيران مههد الطريق لسلاح المدرعات الاسرائيلي ليعمل ضد الوحدات المصرية المحرومة من الغطاء الجوي في ظروف وأوضاع بالغة الصعوبة والدقة . ولولا هذه الضربة والاثر النفسي السيء الذي تركته في صفوف المقاتلين العرب لكانت الحرب قد سارت في وجهة مفيرة لما آلت اليه ، ولكن بمقدور الجيوش العربية ان تلحق في صفوف الجيش الاسرائيلي أفدح الخسائر وان تصمد في وجه هجماته مهما بلغ حجمها ولما كان لاسرائيل القدرة لتحتمل الجولان وسيناء والضفة الغربية وقطاع غزة .

لقد نقلها هذا الانتصار من واقع الى واقع ، فبعد ان كانت محاصرة بين ثلاثة جيوش عربية (مصر وسوريا والاردن) وتنتظر الى العمق الاستراتيجي ومهددة من قبل الطائرات والمدفعية العربية ،

القيادات العسكرية العربية وتقتصر عادة الكبار ولا شيء غير ذلك .

اقد ادعت وقتها اجهزة الاعلام الصهيونية والاجنبية ان اجهزة التشويش الاسرائيلية كان لها الفضل في التقليل من فعالية الصواريخ الموجهة المصرية من نوع (مسام ٢) . وهذا ليس صحيحا ، لان ما حدث وقتها كان مرده الى ان هذه الصواريخ تعمل فقط ضد الطائرات المحلقة على ارتفاع شاهق (٢٥٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ قدم) ولما كانت كافة العمليات التي قامت بها الطائرات قد تمت تحت ارتفاع (٥٠٠٠) قدم فمن البديهي ان لا تكون لهذه الصواريخ اية فعالية . هذا من جهة اما من الجهة الاخرى فلم تكن اجهزة الدفاع الجوي المصرية قد حصلت على اعداد كبيرة من هذه الصواريخ ولهذا لم تتمكن من توزيعها على كافة المناطق الجوية . ولم تكن قد آتت بعد الانتهاء من بناء شبكات دفاعها الجوي لعاملين :

الاول انه كانت تنقص هذه القيادة الصواريخ والعناصر والتجهيزات الضرورية والثاني يعود الى ان عناصر هذه القيادة من الضباط وضباط الصف والامراء المصريين لم تكن لديهم الخبرة الكافية لادارة هذه الصواريخ . وبالإضافة الى ذلك فان القيادة الجوية في مصر لم تكن تعمل كثيرا على هذه الصواريخ ، ذلك ان مسؤولية الدفاع الجوي في ذلك الوقت كانت تتركز على الطائرات المقاتلة والمعرضة ووسائل الدفاع الجوي الارضية التقليدية (المدفعية المضادة للطائرات) . وكانت الصواريخ عاملا مساعدا في بعض الحالات فقط . وهناك عامل آخر نود التطرق اليه الا وهو السفينة « ليبرتي » (Liberty) الجهزة بأدق الاجهزة الالكترونية التي اكتشفت في المياه الاقليمية لسيناء ابان احتدام القتال مما دفع الطيران الاسرائيلي لقصفها بعد ظهر يوم الخميس ١٩٦٧/٦/٨ ملحقا بها أفدح الخسائر حيث بلغت الخسائر في طاقمها (٣٤ قتيل) و (٧٥) جريحا واشتملت النيران في مقدمتها (٥٠) . فهذه السفينة تابعة للمخابرات المركزية الاميركية . وأغلب الظن انها أرسلت الى المنطقة لتراقب تطورات الوضع عن كعب . وربما تواجدت في المياه الاقليمية لسيناء وعلى مسافة (١٤ كم) عن « العريش » لاطلاع المسؤولين في واشنطن اول بأول عن تطورات الحرب ، بالإضافة

وفي الفترة ما بين ١٩٦٦ - ١٩٧٣ شن سلسلة من الهجمات الجوية ضد قواعد الفدائيين في جنوب لبنان .

إن أهم التحولات والتطورات السياسية والعسكرية التي حدثت في هذه الفترة التي امتدت ما بين ١٩٦٧ - ١٩٧٣ كانت التحولات والتطورات التالية :

١ - حدوث تطور هام على العلاقات الاميركية - الاسرائيلية وعلى علاقات الولايات المتحدة بالدول الصالحة في الصراع العربي الاسرائيلي وتحمس الولايات المتحدة في المحافظة على الكيان الاسرائيلي وتدعيمها ضمانات اميركية ثابتة لامن اسرائيل وسعيها الحثيث للحفاظ على السدود العربية لتقبل الامر الواقع والتفاوض مع اسرائيل في ظل اختلال ميزان القوى في المنطقة لصالح اسرائيل ومحاولاتها الدائبة لتمرير التسوية الاميركية - الاسرائيلية ، لاعطاء اسرائيل مكاسب اقليمية من خلال رفضها العودة الى خطوط ١٩٦٧/٦/٥ .

٢ - استقرار الدم السوفيتي ودعم دول الكتلة الشرقية ودول عدم الانحياز للدول العربية .

٣ - حدوث انفراج في العلاقات الاميركية - السوفيتية وهو ما يعرف بسياسة الوفاق الدولي في محاولة لوقف تصعيد التوتر في المنطقة بنمسا لوقوع الحرب ، تهييدا لاقامة سلام دائم وعادل في المنطقة والاعتراف بحقوق كافة الدول بالمنطقة وضمان حدودها . لقد نجم عن هذه السياسة قيام حالة اللاحرب واللاسلم في ظل الاحتلال ورفض اسرائيل الانسحاب ، مما اوجب على العرب التصرف بطريقة تحفظ لهم مصالحهم القومية العليا بعد ان عجزت المحافل الدولية عن اقناع اسرائيل بالتصرف بعقلانية والانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . فكان لا بد من قيام مجابهة رابعة لتحدث التبدلات الجوهرية على ميزان القوى في المنطقة .

ثانيا : عسكريا

١ - تحول اسرائيل من الاعتماد على السلاح الفرنسي الى السلاح الاميركي ، وحصولها على كميات كبيرة من طائرات « الفانتوم » و« مكاي هوك » والصواريخ الموجهة والقهيزات والمعدات الالكترونية الحديثة واجهزة الرادار .

اصبحت الان في وضع استراتيجي جيد ، حيث شكلت الاراضي العربية التي ضمتها حاجزا يقبها تهديدات الجيوش العربية كما امنت لها عمقا استراتيجيا مثاليا واصبحت هي التي تهدد بعد ان كانت مهددة ، تنف طائراتها ومدفعتها على بعد أميال ودقائق معدودات عن المدن الرئيسية والعواصم العربية .

وفي الفترة ما بين ١٩٦٨ - ١٩٧٣ دخل الطيران الاسرائيلي معارك الردع ضد الجبهات العربية .

ففي يوم ١٩٦٨/٣/٢١ شنت اسرائيل هجوما برها وجويا ضد قواعد الفدائيين في « الكرامة » . ففي هذا اليوم عمل سلاح الطيران بكل قوته ضد مواقع المدفعية الاردنية في منطقة « السلط » ، وضد قواعد الفدائيين في غور الاردن . كما هاجمت طائراته الدبابات والاليات الاردنية المتقدمة على محوري السلط وتقاطع الطرق المعروف بمثلث المصري والسلط - الشونة . استمرت هجماته من الساعة (٠٧.٠٠) حتى (١٧.٠٠) عندما توقفت . اما بعد معركة الكرامة شملت نشاطاته مهاجمة قواعد الفدائيين المنتشرة على سلسلة الجبال الممتدة من اربد ، السلط ، مادبا والكرك في الجنوب ، وفي عمق الجبهة الاردنية ، كما وشملت ايضا مهاجمة معسكرات ومواقع مدفعية الجيش الاردني . وفي بداية عام ١٩٧١ توقف نشاطه نهائيا ضد الجبهة الاردنية في اثر اخراج الفدائيين من الاردن .

وفي الفترة ما بين ١٩٦٩ - ١٩٧٠ دخل الطيران اغنف معاركة في « حرب الاستنزاف » ضد مصر ، وكانت مصر قد بدأت في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ حربا موضعية لاستنزاف طاقات الوحدات الاسرائيلية المرابطة في الضفة الشرقية من قناة السويس . استمرت هذه الحرب حتى تموز (يوليو) ١٩٧٠ عندما توقفت في اثر تقديم وليام روجرز وزير الخارجية الاميركية لبادرته السلمية في ١٩٧٠/٦/٥ والتي قبلها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . لقد سجلت هذه الحرب بداية تأسيس اجهزة الدفاع الجوي المصرية المجهزة بالموازيخ الموجهة ارض - جو .

وفي الفترة ما بين ١٩٧١ - ١٩٧٣ دخل الطيران الاسرائيلي معاركة ضد قواعد الفدائيين ومواقع المدفعية والمعسكرات السورية في الجبهة السورية .

للحرب بصورة سرية ، وهكذا شكلت في بداية عام ١٩٧٣ هيئة مشتركة للتخطيط من بين كبار الضباط المصريين والسوريين لدراسة الأوضاع العسكرية السائدة في المنطقة ولوضع خطة الحرب . لقد تبين للمجتمعين أثناء الاجتماعات أن سلاح الطيران الاسرائيلي يعتمد بصورة أساسية في تفوقه على الأمور التالية :

١ - امتلاكه لطائرات التفوق الجوي ذات المدى البعيد القادرة على هبل حولة كبيرة من القنابل والصواريخ على أشكالها .

٢ - تفوق نومي لطياريه وتفنيه والذي تحقق بفضل البرامج التدريبية المدروسة والهادفة .

٣ - بعد تواعده الجوية من مدى الطائرات المصرية والصورية .

٤ - دعم الولايات المتحدة للسلاح واستعدادها لتعويضه عن كافة خسائره في الطائرات والتجهيزات والمعدات والأعداء والقنابل والصواريخ ، وبلا حدود .

٥ - افتقار سلاحي الطيران المصري والسوري للطائرات القاذفة المتأصلة ذات المدى البعيد القادرة على حمل كميات ضخمة من القنابل والصواريخ من أجل مهاجمة العمق الاسرائيلي وتقديم الدعم للقوات البرية العربية في ساحات القتال .

٦ - افتقار هذين السلاحين الى امتلاك العدد الكافي من الطيارين والفنيين الكفاء القادرين على تشغيل كافة الطائرات المتوفرة في السلاحين .

ولواجهة هذه الحالة تقرر زيادة فعالية أجهزة الدفاع الجوي في القطرين العربيين وتعزيز شبكتها بالعدد الكافي من الصواريخ الموجهة أرض - جو نوع (سام ٢) للارتفاعات العالية (٢٥٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ قدم) ونوع (سام ٣) للارتفاعات المتوسطة (١٠٠٠٠ - ٢٠٠٠٠ قدم) و(سام ٦) للارتفاعات الواطئة (١٠٠٠ - ١٥٠٠٠ قدم) و(سام ٧) للاستخدام جنود المشاة . بالإضافة الى تعزيز كفاءة وقدرة أجهزة الرادار ، ووسائل الدفاع الجوي الأرضية التقليدية ومدما بالعدد الكافي من المدافع المضادة للطائرات (١٠٠ ملم و ٨٥ ملم) للارتفاعات العالية (١٥٠٠٠ - ٣٠٠٠٠ قدم) و(٥٧) ملم للارتفاعات المتوسطة (٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ قدم) و(٢٣) ملم و(١٤٤)

٢ - تدفق السلاح السوفييتي على الدول العربية للتعويض عما فقدته في حرب (١٩٦٧) حيث اشتملت على :

١ - طائرات معترضة (ميغ ٢١) وقاذفة مقاتلة (سوخوي ٧) و(ميغ ١٧) .

ب - صواريخ موجهة أرض جو نوع (سام ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧) .

ج - كميات كبيرة من المدفعية المضادة للطائرات التقليدية والموجهة بالرادار ، و
د - أجهزة رادار .

٣ - تعاون الدول العربية عسكريا فيما بينها والتنسيق الفعال فيما بين دول المواجهة وعلى وجه الخصوص بين كل من مصر وسوريا . وقيام الدول العربية الغنية المصدرة للنفط بتقديم المساعدات المالية والعسكرية (على شكل تجهيزات وأسلحة ومعدات) الى دول المواجهة العربية وعلى الأخص لمصر وسوريا .

٤ - رفع مستوى التدريب في الوحدات الجوية العربية .

٥ - ظهور قيادات شابة مسؤولة في الاسلحة الجوية العربية قادرة على التخطيط الجيد والتنفيذ البارع .

الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : حرب ٦ تشرين اول (أكتوبر) ١٩٧٣ :

طرأت تغييرات جوهرية على أوضاع سلاح الطيران الاسرائيلي في أعقاب حرب ١٩٦٧ من ناحية الحجم والتسليح والتنظيم بحيث زاد ذلك من قدرته القتالية وجعله قادرا على مواجهة تطور الأوضاع العسكرية على خطوط القتال التي أصبحت بعيدة عن تواعده الجوية وخاصة في الجبهة المصرية . فقد أصبح هذا السلاح بعد حرب حزيران أداة الردع الاسرائيلية الرئيسية ضد العرب بالإضافة الى كونه العمود الفقري للقوة العسكرية الاسرائيلية الخسارية في المنطقة .

أدرك العرب وخاصة القادة المصريين والسوريين أن حالة اللاحرب واللامسلم لا يمكن أن تدوم . لذلك اقدمت كل من مصر وسوريا على تحمل مسؤولياتها التومية والتاريخية وبدأنا الأعداد

أيديهم وأنه لا خطر عليهم من الطيران العربي . وربما قصد الاسرائيليون من هذه المعركة الحصول على بعض المعلومات العملية لتقرير الاسلوب او النهج العسكري الذي سيتبعونه حيال سوريا في حالة اندلاع القتال في المنطقة وكيفية معالجة الاوضاع في حال اندلاعها على الجبهتين المصرية والسورية في آن واحد . وأغلب الظن ان نتائج المعركة الجوية جعلت اسرائيل تفكر باتباع الاسلوب التالي في حال اندلاع القتال على الجبهتين (وهو ما حدث فعلا) :

١ - اعطاء الجبهة السورية الاولوية لقبولها من المناطق الحيوية الاهلة بالسكان ومعالجة الاوضاع عليها اولا لاختصاصها وانزال الهزيمة في الجيش السوري ومن ثم الانتقال الى الجبهة المصرية التي تتمتع فيها قواتها بعمق استراتيجي يتيح لها وقتا اكبر للتفكير وبعيد خطر الجيش المصري عن مناطقها الحيوية .

٢ - الاعتماد بصورة اساسية على الطيران وذلك بالقيام بغارات جوية كثيفة تستهدف مهاجمة المطارات السورية لتدمير الطائرات السورية والمنشآت العسكرية فيها وخاصة التركيز على مدارج الطائرات لمنع الطائرات السورية من استخدامها . واسقاط الطائرات السورية التي تخرج للمقاتلة الطائرات الاسرائيلية في الجو . وتحقيق السيطرة الجوية على سماء المعركة ، والانتقال بعد ذلك لمهاجمة الاهداف الحيوية الاقتصادية والعسكرية في سوريا ، ومهاجمة القوات السورية البرية العاملة في جبهة القتال والتركيز بصورة اساسية على الوحدات المدرعة وبطاريات المدفعية . وبعد التأكد من انهيار سوريا عسكريا الانتقال الى الجبهة المصرية لمواجهة الجيش المصري بعد ترك الامور للجيش الاسرائيلي في الجبهة الشمالية لينهي ما بدأه سلاح الطيران .

تدرت القيادة الاسرائيلية ان القتال على هذه الجبهة (الشمالية) لن يتصل طويلا ولن يستغرق إلا أياما معدودات يتم خلالها اخضاع سوريا وتحقيق النصر السياسي والعسكري الذي سيعطيها فرصة للتفرغ للجيش المصري الذي يتطلب جهدا اكبر. ومدة أطول للتغلب عليه . فقد قدرت القيادة الاسرائيلية انه سيكون بمقدورها انزال الهزيمة بالقوات المصرية في فترة قصيرة يضاف الى ذلك انها

لم الرباعي للارتفاعات الواطئة . بالإضافة الى تعزيز الشبكات بمدافع مضادة للطائرات ذاتية الحركة موجهة بالرادار عيار ٢٣ ملم رباعية من طراز (ز . س . يو - ٢٣ - ٤) ، ومدافع مضادة للطائرات ذاتية الحركة عادية عيار ٥٧ ملم ثنائية من طراز (ز . س . يو - ٥٧ - ٢) .

وعندما بدأ للقادة الاسرائيليين أنه لا مفر من الحرب وان القتال سيندلع في جبهتين في آن واحد ، وبعد تقييم خاطيء للوضع بالاستناد الى عقلية ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، حاول هؤلاء القادة جس نبض السوريين لمعرفة مدى استعدادهم للحرب ومدى قدرتهم للقتال . وكما فعلوا في يوم ١٩٦٧/٤/٧ عندما ارسلوا طائراتهم لمعرفة قدرة سلاح الطيران السوري وقتها ، فقد دفعوا بمجموعات كبيرة من طائراتهم في يوم ١٩٧٣/٩/١٣ الى المنطقة الغربية الساحلية من سوريا (اللاذقية - طرطوس وبياتياس) لمعرفة مدى استعداد الطيران السوري لتقرير ما يمكن اتخاذه من اجراءات في حال اندلاع القتال على الجبهتين . بالإضافة الى ذلك قصد من هذه المجابهة الجوية عرض عضلات سلاح الطيران الاسرائيلي وتحذير الاردن بان لا يحاول المشاركة في اية عمليات حربية قد تنشب في المنطقة على أمل ان يسلك الاردن السلوك نفسه الذي سلكه في حرب عام ١٩٥٦ ، كما قصد منها تحذير كل من مصر وسوريا من نتائج ما كانتا تعدان له . يضاف الى هذا كله ان الاسرائيليين ادعوا ان المعركة قصد بها تجربة صواريخهم الموجهة جوجو نوع « شفرز » التي توصلوا الى انتاجها محليا .

بدأ الحادث بأن حلقت (٤) طائرات اسرائيلية فوق الساحل السوري قريبا من مدد من المنشآت السورية الهامة ، وكانت القيادة الاسرائيلية تتوقع ان تفرج الطائرات السورية لاعتراضها لذلك دفعت مجموعة كبيرة من الطائرات الاسرائيلية للتطبيق قريبا من الساحل السوري استعدادا لتنفيذ المخطط الموضوع . وفعلا انطلقت الطائرات السورية في اثر الطائرات الاسرائيلية الاربعة وبدأ الاشتباك ثم توالى تدفق طائرات الطرفين الى المنطقة حتى بلغ عدد الطائرات المشتركة في الاشتباك ما يربو على الـ (٦٠) طائرة . أعطت هذه المعركة القناعة للاسرائيليين بان السيطرة الجوية لا زالت في

على التعاون التام بين اسراب القتال المصرية واجهزة الدفاع الارضي المصرية (الصواريخ والمدفعية م/ط) . كما قامت طائرات اخرى تاخذة مقاتلة (نوع سوخوي) (وميغ ١٧) ومقاتلة من نوع (ميغ ٢١) في تقديم الدعم والحماية الجوية للوحدات المصرية التي بدأت عبور القناة الى الضفة الشرقية لمهاجمة واقتحام «خط بارليف» (٥٥).

جاءت ردود الفعل الاسرائيلية بعد (٤٠) دقيقة من بدء الغارات الجوية المصرية ، وبدأت الطائرات الاسرائيلية بأعداد كبيرة في مهاجمة قوارب الاقتحام وعددها (١٠٠٠) والمعديات التي تمكن المصريون من اقامتها على القناة في محاولة لمنع تدفق القوات المصرية عليها (٥٦). كما حاولت الطائرات الاسرائيلية مهاجمة تجمعات القوات المصرية في الضفة الغربية لكن المقاتلات المصرية واجهزة الدفاع الارضي تصدت لها وانزلت بها خسائر كبيرة فاضطرت هذه الطائرات الى حصر نشاطها ضد الجسور وضد القوات التي تكنت من عبور قناة السويس الى الضفة الشرقية . وعند الغروب بدأت القيادة الاسرائيلية تترك فعالية اجهزة الصواريخ العربية نتيجة للخسائر الكبيرة التي منيت بها طائراتها . وعلى صعيد آخر انطلقت عشرات من طائرات الهليكوبتر المصرية من نوع (مي ٦) و (مي ٨) في غروب يوم ٦/١٠/٧٣ وهي محملة بجنود الصاعقة لانزالهم في سيناء على اعماق مختلفة تتراوح بين ٣٠ - ٤٠ كيلومترا في الاماكن التي حددتها الخطة الموضوعية (٥٧).

اما في الجبهة السورية فانطلقت (١٠٠) طائرة سورية في طلعة واحدة لمهاجمة معسكري « شرياشوف » و« ميشار هايردين » في سهل الحولة والمعسكرات الاسرائيلية في هضبة الجولان. وفي اللحظة ذاتها انطلقت طائرات الهليكوبتر السورية المحملة بجنود الصاعقة السوريين لمهاجمة موقع جبل الشيخ الاستراتيجي ومقر قيادة القوات الاسرائيلية في « كفر نفاخ » . وقد دارت معركة جوية بين الطائرات السورية والاسرائيلية فوق الحولة وجنوب لبنان ومنطقة الهضبة السورية (٥٨).

وفي صبيحة يوم ٦/٧ دفعت القيادة الجوية الاسرائيلية بأعداد كبيرة من الطائرات في موجات متلاحقة بدأ معها واضحا ان هذه القيادة تحاول

كانت تستعيد اقدم القوات المصرية على اجتياح « خط بارليف » المنيع .

لذلك عندما ايقنت القيادة الاسرائيلية ان الحرب واقعة لا محالة في صبيحة ٦/١٠/٧٣ اكدت بوضع وحدات الجيش النظامي ووحدات الخدمة الالزامية وسلاح الطيران في حالة تاهب تصوى انتظارا لبدء الحرب (٥٩). وقد أكد استعداد اسرائيل للحرب الرئيس حافظ الاسد في مقابلة صحفية قال فيها : « اريد ان اوضح نقطة مهمة لا يجوز ان تظل غامضة على الذين يريدون ان يؤرخوا حرب تشرين بتجرد وموضوعية ، وهي ان الهجوم العربي لم يكن مباغتة تماما للعدو ، وهذا ما عرفناه من افادات الاسرى الذين اجمعوا على ان قياداتهم عرفت بالهجوم قبل وقوعه (٥٢).

في تمام الساعة (١٤٠٥) من يوم ٦/١٠/١٩٧٣ بدأت القوات السورية والمصرية على جبهتي القتال هجوما مركزا وشاملا ضد القوات الاسرائيلية المرابطة في خط (الون) في الهضبة السورية وخط (بارليف) في الضفة الشرقية لقناة السويس .

انطلقت في الجبهة الجنوبية في طلعة واحدة (٢٠٠) من الطائرات المصرية المتأذنة والمقاتلة الى اعماق سيناء لمهاجمة الاهداف العسكرية الهامة الموزعة في شبه الجزيرة التي تبلغ مساحتها (٦٠) الف كيلومتر مربع (٥٣). مهاجمت التأذفات المتوسطة البعيدة المدى نوع (تي يو ١٦) القواعد الجوية في العريش ، ووبر جنجله ، ووبر تمادا وآبار النفط في ابو رديس . وقد رافقتها في رحلتها طائرات « الميغ ٢١ » لتقديم الحماية لها . وفي الوقت نفسه قامت الطائرات المتأذنة المقاتلة من نوع (سوخوي ٧) بمهاجمة مركز السيطرة الاسرائيلي الرئيسي في « ام مرجم » ومقر القيادة الاسرائيلية في « ام خشيب » ومركزا اسرائيليا للتشويش على اجهزة الرادار المصرية ومركز عمليات الدفاع الجوي الاسرائيلية . استهدفت الضربة ارباك القوات الاسرائيلية وانزال الخسائر في صفوفها ومعداتها وشلها عن العمل ، وبالتالي التأثير على الروح المعنوية بين الضباط والجنود الاسرائيليين (٥٤). وتحسبا لردة الفعل الجوية الاسرائيلية حطقت في الجو (٢٤) طائرة (ميغ - ٢١) مصرية على شكل مظلة جوية واقية بصفة دائمة . وكانت الخطة المصرية قد استندت اساسا

الاسرائيلية التي كشفت غاراتها .
لقد عملت القيادة الاسرائيلية للسيطرة على
الوضع وفق الاسس التالية :

١ - تحقيق السيطرة الجوية مهما كلفها ذلك
لتدمير قواعد الصواريخ الموجهة في الجبهتين
واسقاط وتدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات
العربية المصرية والسورية .

٢ - مهاجمة المنشآت الاقتصادية المصرية في
كل من مصر وسورية للتأثير على آلة الحرب والروح
المعنوية .

٣ - وقف تقدم القوات السورية في هضبة
الجولان مهما كلفها ذلك ، قبل فوات الوقت .
لذلك نقلت الجزء الأكبر من طائراتها ووجهتها
للمعمل ضد القوات السورية في الجبهة الشمالية .
وفي يومي ١٠/٧ و ١٠/٨ ركزت الطائرات الاسرائيلية
سائتي انطلقت باعداد كبيرة - هجماتها على مواقع
الصواريخ الموجهة السورية ومواقع المدفعية
والدبابات والآليات السورية في عرض الجبهة
وعمقتها ووجهت جزءا كبيرا من طائراتها لمهاجمة
الارتال العراقية المتوجهة الى جبهة القتال (١٢) .
وكان باديا للجميع ان القيادة الاسرائيلية كانت
تسعى الى ضرب الجيش السوري لتقرير مصير
القتال في هذه الجبهة بصورة حاسمة وذلك من
أجل التفرد للجبهة المصرية التي بدأت الاوضاع
فيها تسوء .

وهكذا بدأت اسرائيل تشعر ان هذه الحرب
تختلف إختلافا كبيرا عن جروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦
و ١٩٦٧ ، وان ما حدث في حربي ٥٦ و ٦٧ لا يمكن
ان يتكرر . وفي هذه اللحظة شعر القادة الاسرائيليين
بخطورة الوضع ، فقرر « دايان » وزير الدفاع
سحب القوات الاسرائيلية الى ما وراء مبرات
سيناء ومن مرتفعات الجولان (١٣) . لقد ادرك هؤلاء
القادة انهم يواجهون في هذه الحرب قيادات
وجيوش عربية تختلف كليا عما تعودوا على مواجهته
في السابق . لقد كان اعتمادهم كبيرا على الطيران
وكانوا يتوقعون - كما قدروا - ان ينجز هذا
السلاح عمله ضد الجيش السوري في مدة قصيرة
قد لا تزيد عن يومين او ثلاثة ايام . لكن التطورات
التي وقعت اشعرتهم بان هذه المهمة قد تطول وقد
لا يتمكن هذا السلاح من حسم الامور على هذه
الجبهة على الاطلاق .

حسم المعركة بشكل سريع كي لا يغت زمام الامر
من يدها . فدفع طائراتها لمهاجمة المطارات
والمعسكرات وقواعد الصواريخ أرض - جو
ومواقع المدفعية السورية وارتال الدبابات السورية
المتقدمة في الجبهة . لكن أجهزة الصواريخ الموجهة
السورية ووسائل الدفاع الجوي الأخرى فوّتت
على القيادة الاسرائيلية هذه الفرصة ومنعت
الطائرات الاسرائيلية من تحقيق أهدافها منزلة
في صفوفها خسائر جسيمة (١٤) . وفي يوم ١٠/٧
ذكر ضابط هولندي مختص بالصواريخ الموجهة
كان يعمل مع قوات الامم المتحدة في الهضبة ان
من كل ٥ طائرات اسرائيلية مهاجمة كانت تسقط
(٣) طائرات ، ومما ساعد على اسقاط الطائرات
الاسرائيلية بأعداد كبيرة الاحوال الجوية السيئة ،
فقد اضطرت الطائرات العمل تحت الغيوم مما
ساعد ذلك المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ
الموجهة من نوع (نسام ٣) و (نسام ٦ و ٧) على
اصطيادها بسهولة . ومن ناحية أخرى واصلت
الطائرات القتالة السورية مهاجمة الاهداف
والمواقع الاسرائيلية في الهضبة وفي سهل الحولة
واستمرت في غلبها طيلة اليوم ، وظلت طائرات
الهليكوبتر السورية تنقل جنود الصاعقة الى
النقاط المحددة بالرغم من الخسائر التي نزلت في
صفوفها .

واصلت الطائرات المصرية في الجبهة الجنوبية ،
مهاجمتها للاهداف العسكرية الحيوية والمنشآت
الهامة في اعماق سيناء كما شاركت في تقديم الدم
الجوي للقوات المصرية التي تمكنت من احتلال
الجزء الرئيسي من « خط بارليف » (١٥) .

شعرت القيادة الاسرائيلية بخطورة الوضع
فقررت التركيز بصورة رئيسية على القواعد الجوية
ومواقع الصواريخ الموجهة المصرية في منطقتي
الدقا وبور سعيد . ولهذا ارسلت الطائرات
الاسرائيلية لتهاجم هذه الاهداف بطلعات متلاحقة ،
وكانت في كل مرة تصادف مقاومة غنية من الطائرات
المصرية وبطاريات الصواريخ الموجهة التي لم تفرك
لها فرصة لتحقيق السيطرة الجوية التي كانت
القيادة الاسرائيلية تسعى الى تحقيقها . وبهذا
قدمت الطائرات المصرية الحماية للقوات المصرية
التي بدأت تتدفق باعداد كبيرة عبر الجنود الى
سيناء (١٦) ، وفوّتت الفرصة على الطائرات

ومشاركة الطائرات العراقية في القتال الدائر جنباً إلى جنب مع الطائرات السورية . وقد أطلق هذا الحدث القيادة الإسرائيلية التي كانت تتوقع انهيار الطيران السوري ، فأذا بها تفاجأ دخول الطيران العراقي الحرب (٦٩) ، وهو ما كانت تخشى حدوثه وطالما هددت وتوعدت في السابق بأنها لن تسمح بهرباً بطائرات القوات العراقية على خطوط وقف إطلاق النار إن كان ذلك على الجبهة الأردنية او السورية . وها هو العراق يلقي بكل ثقله في المعركة عسكرياً ومالياً . وقد توبلت مشاركة العراق في الحرب باهتمام زائد من قبل المراقبين العسكريين والسياسيين لما سيكون لها من تأثير على سير القتال الدائر . والجدير بالذكر إن (١٢) طائرة عراقية تاذفة مقاتلة من طراز « هوكر هنتر - فاجأ - ٩ » كانت قد وصلت الى مصر قبل اندلاع القتال تشارك الان في القتال الدائر في الجبهة الجنوبية منذ ١٠/٦ (٧) .

استخدمت القيادتان الجويتان المصرية والسورية تكتيكاً رائعاً في عملياتها الجوية . إذ كانت طائرات « الميغ ١٧ » و « السوخوي ٧ » القاذفة المقاتلة تقوم بطلعاتها ضد الاهداف الاسرائيلية في الجبهتين بحماية الطائرات المعترضة من نوع « ميغ ٢١ » وهو اسلوب درج على استخدامه سلاح الطيران الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٦ . وقد كرر استخدامه لهذا الاسلوب . ففي حين كانت طائرات « الفانتوم » و « سكاي هوك » تقوم بهمام القصف الجوي كانت طائرات « الميراج » تقدم لها الحماية الجوية . وفي حالات اخرى كانت طائرات « الفانتوم » تقوم بتقديم الحماية لطائرات « سكاي هوك » أثناء قيامها بواجباتها .

كان أبرز ما طرأ على صعيد هذه الحرب هو استخدام الصواريخ الموجهة أرض - جو وجو - جو على نطاق واسع بشكل لم يسبق له مثيل في أي حرب من الحروب التي دارت في العالم . وحتى في الحرب الفيتنامية التي استخدمت فيها الصواريخ الموجهة أرض - جو وجو - أرض لم يتم استخدامها بمثل هذه الكثافة والدقة ، وفي الحرب الفيتنامية لم يستخدم الصاروخ « سام ٦ » كما لم تستخدم الصواريخ الموجهة جو - جو على نطاق واسع لثقله المعارك الجوية التي وقعت في هذه الحرب . ففي يوم ١٠/١١ بلغت الخسائر

واصلت اسرائيل تركيز هجمات طائراتها على الاهداف الحيوية في عمق الاراضي السورية . ففي ١٠/٨ هاجمت هذه الطائرات مقر رئاسة الاركان السورية ومبنى قيادة القوى الجوية في محاولة لارباك القوات السورية والتأثير على معنويات أفراد الشعب السوري (٦٤) . كما هاجمت مجموعات اخرى محطة توليد الكهرباء الرئيسية في حمص التي تزود العاصمة دمشق بالتيار الكهربائي ودمرتها (٦٥) . ثم هاجمت تشكيلات اخرى مصفاة النفط القريبة من حمص واعطبتها تماًماً . وتعرضت أيضاً خزانات النفط في طرطوس لهجمات مماثلة (٦٦) .

يستدل من هذه الهجمات انه لما فشلت الطائرات الاسرائيلية في هجماتها ضد القوات السورية العاملة في الجبهة ، ولما فشلت في تدمير قواعد الصواريخ ومواقع المدفعية السورية ، انتقلت لتضرب الاهداف الحيوية التي تمون آلة الحرب بالنفط . مستهدفة التأثير على مخزون هذه القوات من هذه المادة الحيوية .

ويمكننا القول بعد مرور اربعة ايام على الحرب ان المعركة دارت في الجبهة الشمالية بين الطيران الاسرائيلي والوحدات السورية المدرعة وشبكات الصواريخ الموجهة ضد الطائرات . وقد عبر عن ذلك البريفادير « روفائيل ايتان » قائد القوات الاسرائيلية العاملة في القطاع الشمالي من هضبة الجولان بقوله « استطعنا ايقاف السوريين بواسطة الطائرات ، وبالرغم من ذلك وصلت الحالة الى حد الخطر بما ان نقتصر او ننهزم » (٦٧) .

اتبعته القيادة الاسرائيلية في الجبهة الجنوبية الاسلوب نفسه الذي اتبعته في الجبهة الشمالية . فركزت هجمات طائراتها على القوات المصرية التي تمكنت من اقامة رؤوس الجسور في الضفة الشرقية ، وضد قواعد الصواريخ الموجهة وضد القواعد الجوية في منطقة الدلتا ومنطقة القناة وفي نهاية اليوم الرابع وقف الجنرال هرتزوغ ليقول « ان الحرب التي نخوضها تختلف عن الحروب السابقة . فالفرقان يقفان وجهاً لوجه ويتبادلان الغريبات ويحاول احدهما انهاء الآخر ويبحث عن نقاط الضعف لديه . أننا نواجه حرباً استنزافية » (٦٨) .

كان أبرز ما طرأ على الاحداث في ١٠/٩ وصول طلائع القوات العراقية الى الجبهة السورية

للقوات السورية والعراقية في جبهات القتال .
أما في الجبهة الجنوبية فواصلت الطائرات المصرية مهاجمتها للقوات الاسرائيلية على طول امتداد الجبهة في وقت نشط فيه طائرات الميخ (٢١مف) في اعتراض الطائرات الاسرائيلية فوق جبهة القتال وفوق سماء الضفة الغربية .

في يوم ١٠/١٣ حلقت فوق سماء الجبهة على ارتفاع شاهق وبسرعة عالية طائرة استطلاع استراتيجية امريكية من طراز (سر - ٧١) قادمة من الشمال . ويبدو انها كانت في مهمة استطلاعية اذ توغلت في عمق الاراضي المصرية ووصلت حتى (الانصر) ثم دارت واتجهت شمالا معلقة فوق سماء الجبهة مرة اخرى حيث اتجهت شمالا باتجاه الاراضي المحتلة وسوريا(٧٥) .

أما اجهزة الدفاع الجوي فقد نشطت في الجبهتين في التصدي للطائرات الاسرائيلية وتغيير الحياية للقوات البرية السورية والمصرية . كما قامت بتأمين الحياية للقواعد الجوية والاهداف الحيوية المحيطة بالعاصمة « دمشق » والاهداف الرئيسية والقواعد الجوية في مناطق أعالي الدلتا وبورسعيد والاسماعيلية والسويس . وبعد ١٠/١٠ ركزت الهجمات الاسرائيلية بصورة رئيسية على قواعد الصواريخ الموجهة ارض - جو في الجبهتين بشكل كثيف حيث استخدمت الطائرات الاسرائيلية صواريخ جو - ارض من نوع (شرايك) ومعدات الكترونية للتشويش على رادارات الصواريخ(٧٦) .

في يوم ١٠/١٠ ونتيجة للزحف الكبير في الطائرات والصواريخ الموجهة والدبابات والاسلحة الاخرى بدأ الاتحاد السوفييتي في نقل الاسلحة والمعدات الحربية الى كل من مصر وسوريا عبر جسر جوي، بالإضافة الى جسر بحري اقامه السوفييت لنقل التجهيزات الثقيلة التي يعجز نقلها جوا . كانت هذه السفن تمر من مضيق « الدردنيل » بمعدل (٣) سفن يوميا في طريقها الى مينائي « اللاذقية » في سوريا و« الاسكندرية » في مصر(٧٧) . كما ظلت طائرات الجسر الجوي السوفييتي تعمل بين الاتحاد السوفييتي وكل من مصر وسوريا بمعدل (٢٠) طائرة في اليوم خلال ايام القتال العنيفة وقد تمكنت من نقل ما زنته (١٣) الف طن من الاسلحة والمواد الحربية طيلة فترة القتال التي توقفت في ١٠/٢٥(٧٨) .

الاسرائيلية في الطائرات ربما قياسيا وظل السفر الاسرائيلي في واشنطن على اتصال مستمر باوساط الكونغرس المؤيدة لاسرائيل ليطلعهم على حجم الخسائر . وعلى اثر هذا الاتصال صرح في اليوم نفسه أحد كبار المسؤولين الاميركيين بقوله « ان الولايات المتحدة ستسحقن على وجه السرعة ذخيرة حربية واسلحة الى اسرائيل تشمل صواريخ موجهة جو - جو لان اسرائيل تشكو فعلا من نقص في هذه المواد »(٧٩) . وكانت طائرات شركة « العال » الاسرائيلية قد بدأت منذ يوم ١٠/٧ رحلات سريعة الى ومن القواعد الجوية والبحرية في الولايات المتحدة لشحن الذخيرة والصواريخ الموجهة والتجهيزات الحربية التي يحتاج اليها سلاح الطيران الاسرائيلي(٨٠) .

وجه نشاط السلاح الجوي الاسرائيلي في ١٠/٨ على منطقة القناة وعلى الجسور التي تبسكن المصريون من اقامتها وذلك لمنع المصريين من ارسال التعزيزات والامدادات لتعزير رؤوس الجسور (وعددها ٥) التي تمكنوا من اقامتها في الضفة الشرقية . كما وجهت أعداد كبيرة من الطائرات الاسرائيلية لمهاجمة الاهداف الداخلية في مصر حيث وجه (٦ ٪) منها ضد المطارات والقواعد الجوية و (١٥ ٪) ضد مواقع الصواريخ الموجهة . في حين وجه (٧٠ ٪) من طلعات الاسرائيلية ضد الوحدات المدرعة والآلية وقوات المشاة(٨١) .

ظلت طلعات الطائرات الاسرائيلية موجهة بصورة رئيسية ضد القوات البرية في الجبهتين ، وبلغت في مجموعها (٢٥٠٠) طلعة . ففي اليومين الاول والثاني بلغت في مجموعها (١١٠٠) طلعة يوميا وصلت الى (٧٩٠) طلعة في ١٠/٨ ثم زادت الى (١١٦٤) طلعة يوم ١٠/١٠ و (١١٢٨) طلعة يوم ١٠/١٢(٨٢) .

ومن جهة أخرى انحصرت واجبات الطائرات السورية في الجبهة الشمالية في الدفاع من القواعد الجوية والاهداف الحيوية العسكرية والاقتصادية وكانت تقوم في هذه المهام طائرات الميخ (١٧) وطائرات الميخ (٢١ مف) في حين واصلت طائرات السوخوي (- ٧ -) مهاجمة القوات الاسرائيلية في القطاعين الشمالي والوسط ، وتقديم الدعم

هجماته ضد المطارات المصرية في منطقتي السويس والإسماعيلية وضد قواعد الصواريخ الموجهة في القطاعين الأوسط والجنوبي من الضفة الغربية ، في حين شنت الطائرات المصرية غارات كثيفة وعنيفة ضد القوات الإسرائيلية التي كانت تعمل في ثغرة « الدفرسوار » وركزت هجماتها بصورة رئيسية على الجسور والمعابر التي تمكن الإسرائيليين من بنائها في الطرف الشمالي للبحيرات المرة . وفي يوم ١٠/١٧ - ١٠/٢٠ دارت معارك جوية كبيرة بين طائرات الطرفين . ففي حين كانت الطائرات الإسرائيلية تستهدف مهاجمة القواعد الجوية ومواقع الصواريخ الموجهة كان الواجب الرئيسي للطائرات المصرية اعتراضها . وقد اشتكرت في القتال بصورة رئيسية طائرات (ميغ ٢١ م ف) المعدلة الحديثة التي بإمكانها حمل حمولة أكبر من الوقود نظرا لسعة خزاناتها الداخلية فضلا عن أنه بمقدورها حمل (٤) قنابل زنة (٥٥٠) رطلا (٢٢٥) كغ بدل (٢) في الطرازات القديمة . بالإضافة الى إمكانها التحليق في الجو لمدة أطول نسبيا .

وفي ١٠/٢١ نشطت الطائرات السورية فوق منطقة جبل الشيخ في التصدي للقوات الإسرائيلية التي بدأت في مهاجمة المواقع السورية على الجبل ودارت معارك جوية طاحنة بين طائرات الطرفين استمرت حتى صبيحة ١٠/٢٣ عندما خف القتال على سفوح جبل الشيخ الغربية والجنوبية (٨) . في الفترة ما بين ١٠/١٦ و ١٠/٢٥ أصبحت نشاطات طائرات الجانبين الإسرائيلي والمصري عادية وتكرر يوميا . اذ اقتصرتم مهام الطائرات القاذفة المقاتلة الإسرائيلية من نوع (غانتوم) و (سكاى هوك) على مهاجمة الاهداف التكتيكية المصرية على كلا ضفتي القناة في حين انحصرت مسؤولية طائرات الميراج في مهام الاشتباك بالطائرات المصرية ومحاولة تدميرها في الجو . وفي المقابل حددت مهام الطائرات القاذفة المقاتلة العربية من طراز (هوكر هنتر) و (ميغ ١٧) * * و (ميراج -

وفي ١٠/١٣ عندما شعرب الولايات المتحدة ان يوازن القوى في الحرب قد مال بشكل ظاهر وولموس لصالح القوات العربية أعلنت « واشنطن » انها قررت كاجراء احتياطي شحن الاسلحة الضرورية الى اسرائيل لمواجهة احتمالات الوضع المتدهور (على حد قولها) . وفي هذا اليوم بدأت الطائرات الاميركية رحلات متواصلة وبلا انقطاع في نقل المواد الاولية والاسلحة والمعدات الحربية الى القواعد الجوية في اسرائيل . ونظرا لحراجه موقف القوات الإسرائيلية في جبهة سيناء اضطرت هذه الطائرات الى الهبوط في العريش ليتم نقل الدبابات راسا الى جبهة القتال . بالإضافة الى الجسر الجوي أقامت الولايات المتحدة جسرا بحريا لنقل الاعدة والتجهيزات الحربية الثقيلة التي لم تكن ضرورية لسير المعركة مثل دبابات (م - ٤٨) وطائرات (سكاى هوك) . أما طائرات (الفانتوم) ودبابات (م - ٦٠) فكان يتم نقلها على متن طائرات النقل الجوي الاميركية من نوع (كلاسي س - ٥) وغيرها من طائرات النقل الاميركية الاخرى . وبلغ ما نقلته هذه الطائرات حوالي (٧٠٠ - ٨٠٠) طن من المواد الحربية في اليوم ، اشتملت على صواريخ موجهة من الجو - للارض من نوع « وول - أي » و « شرايك » و « روك - أي » و « مافريك » و « روكويل » وجميعها صواريخ وقنابل موجهة لم يستخدمها السلاح الجوي الاميركي بعد . كما ضمت الشحنات صاروخ « تو » وصاروخ « لو » المضادين للدبابات . كما قدمت الولايات المتحدة (١٢) طائرة نقل من نوع « هيركوليس سي - ١٣٠ » لاسرائيل على سبيل الاعارة لتعزيز قدرة سلاح الطيران الإسرائيلي في هذا المجال (٧٩) .

في صبيحة ١٠/١٦ دارت فوق سماء البحيرات المرة والسويس والإسماعيلية معارك جوية طاحنة بين الطائرات المصرية والطائرات الإسرائيلية . ففي صبيحة هذا اليوم ركز سلاح الطيران الإسرائيلي

* أرسلت الجزائر طائراتها الى الجبهة المصرية للمشاركة في القتال في يوم ١٠/٧ .

* أرسل العراق قبل اندلاع القتال سربا من طائرات « هوكر هنتر » القاذفة المقاتلة وعددها (١٢) لتعزيز الجبهة المصرية . شاركت طائرات « الهنتر » العراقية في القتال منذ اليوم الاول . وقدمت دعما جويا فعلا للقوات البرية طيلة مدة الحرب . وقامت بمهاجمة الاهداف الإسرائيلية في عمق سيناء منذ اندلاع القتال . سقط منها (٦) طائرات واستشهد (٦) طيارين (٨١) .

أما طائرات الهليكوبتر فقد شاركت في العمليات منذ اليوم الاول في الجبهتين، ففي الجبهة الشمالية نقلت طائرات الهليكوبتر السورية في ١٠/٦ جنود المفاوير السورية الى موقع « المرصد الاسرائيلي » في جبل الشيخ ومكنتهم من مفاجأة المدافعين واحتلال المرصد . وفي ١٠/٧ نقلت طائرات الهليكوبتر من طراز (مي ٨) السورية جنود المفاوير الى خلف الخطوط الاسرائيلية في القطاع الاوسط ومكنتهم من احتلال مقر القيادة الاسرائيلية في « كتر نفاخ » . وطيلة مدة الحرب عملت هذه الطائرات في مهام متعددة منها نقل التعزيزات والامدادات الى خطوط الجبهة واخلاء الخسائر من الميدان ونقل جنود الصاعقة السوريين الى خلف خطوط الاعداء .

أما في الجبهة الجنوبية ففي ١٠/٦ نقلت طائرات الهليكوبتر اللخضة من طراز (مي - ٦) و (مي - ٨) المصرية جنود الصاعقة المصريين الى أعماق سيناء حيث تم انزالهم في المواقع المحددة والتي نصت عليها الخطة الموضوعية . وطيلة مدة الحرب نشطت هذه الطائرات وقدمت الدعم المطلوب بالإضافة الى قيامها بمهام انتحارية في أعماق سيناء مما اضطر العدو الاسرائيلي الى تخصيص جزء من قوته الجوية للبحث عنها في سيناء .

ومن جهة اخرى نشطت الطائرات الاسرائيلية في نقل التعزيزات والامدادات الى القوات الاسرائيلية العاملة في الجبهتين . ومن المهام الاخرى

٥) * و (سوخوي ٧٠) بمهاجمة القوات الاسرائيلية العاملة في جبهة القناة وسيناء ، وتقديم الدعم الجوي للقوات المصرية والوحدات العربية التي وصلت الى الجبهة المصرية . في حين حلفت منذ بدء القتال (٢٤) طائرة من نوع (ميغ ٢١مف) بطلمات متواصلة وبلا انقطاع فوق منطقة القناة في مهمة تقديم الحماية للقوات البرية والطائرات القاذفة المتناقلة والتعرض للطائرات الاسرائيلية وتدميرها في الجو (٨٢) .

أما في الجبهة الشمالية ، واصلت الطائرات السورية والعراقية القاذفة المتناقلة في تقديم الدعم النعال والمتواصل الى القوات العربية** * العاملة في مختلف جبهات القتال في الجولان ، ومهاجمة القوات الاسرائيلية العاملة في ثغرة سمع . في حين حلفت طائرات (ميغ ٢١ م ف) السورية والعراقية في طلعات مستمرة لتقديم الحماية للقوات البرية والطائرات القاذفة المتناقلة وطائرات الهليكوبتر في حين ركزت الطائرات الاسرائيلية** * من طراز « فاننوم » هجماتها على الاهداف الحيوية في سوريا واستهدفت مصفاة النفط في حمص وخزانات النفط في طرطوس ومحطة الكهرباء في حمص . ومن جهة اخرى ركزت الطائرات الاسرائيلية هجماتها بصورة رئيسية ضد المطارات السورية ومواقع الصواريخ الموجهة وضد الارتال العراقية المتقدمة باتجاه الجبهة .

* أرسلت ليبيا قبل اندلاع الحرب سربا من طائرات (ميراج - ٥) وعددها (١٨) طائرة . شاركت هذه الطائرات في القتال وخرجت في طلعة واحدة ضد مطار « بير جنجامة » في اواسط سيناء في ١٠/١٤ . وهاجمت منشآت المطار والقوات المرابطة فيه . اضطرت القيادة المصرية الى عدم استخدام الطائرات في أعقاب الضجة الكبيرة التي قامت بها اسرائيل في باريس . وعلى اثر استفسار الحكومة الفرنسية من الحكومة المصرية على حقيقة الاتهام الاسرائيلي (٨٢) .

* في يوم ١٠/١٢ أعلنت رئاسة الاركان العراقية ان القوات البرية والجوية العراقية تشترك في القتال في الجبهتين الشمالية والجنوبية وانها تقدمت حتى الان ١٢ طائرة وفي اليوم نفسه أعلن رسميا ان قوات اردنية مدرعة تتألف من اللواء (٤٠) المدرع قد وصلت سرا الى جبهة القتال الشمالية، وفي ١٠/١٤ أعلن رسميا عن وصول وحدات سعودية الى الجبهة الشمالية للمشاركة في القتال . كما شاركت في القتال وحدات فلسطينية تابعة لقوات اليرموك (فتح) . وفي ١٠/١٦ أعلن عن وصول وحدات كويتية الى الجبهة الشمالية . أما المغرب فكان قد ارسل مجموعة لواء للرباطة في الجبهة السورية ، التي اشتركت في القتال منذ اندلاعه في اليوم الاول (٨٤) .

** في ١٠/٩ هاجمت ٦ طائرات اسرائيلية محطة الرادار اللبنانية الواقعة على « جبل اليرموك » داخل الاراضي اللبنانية والحقت بها خسائر جسيمة . (انظر الحاشية رقم ٧٥ ، المصدر نفسه، صفحة ٥١) .

الاسرائيليين من سياسيين وعسكريين على علم بالتحركات العسكرية العربية منذ بدايتها وكانوا يتوقعون اندلاع الحرب في اية لحظة غير ان العقليّة الاسرائيلية ظلت هي نفسها عقليّة ما قبل ١٩٦٧ ولم تتبدل ، لذلك لم تأخذ بالمفترقات والمعطيات الجديدة الا بعد فوات الوقت . ان الذي جاء مفاجئا للعدو بصورة حاسمة هو المستوى الرفيع للقيادات العربية التي ادارت الحرب في الجبهتين وارادة القتال التي لم يكن يتوقعها هؤلاء القادة والتي تجلت بين المتأطين العرب ، والاستخدام الجيد والبارع للأسلحة المعقدة التي استخدمت على نطاق واسع في الحرب ، والشجاعة العظيمة التي تحلى بها المتأطون العرب ، والتي اذهلت المراقبين العسكريين في العالم .

ان الفارق بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ كبير جدا وجاءت الاوضاع في حرب ١٩٧٣ مغايرة تماما لما حدث في حرب حزيران ١٩٦٧ . ففي حرب ١٩٧٣ ظهرت المعطيات التالية التي لم يكن لها وجود في حرب ١٩٦٧ وهي :

- ١ - ارادة القتال والروح المعنوية العالية والقدرة القتالية الخارقة التي تجلت بين المتأطين العرب قيادات وضباط وضباط صف وفراد ، وكانت جميعها عوامل ساعدت في تحقيق النصر .
- ٢ - وجود القيادات البارعة ، والتخطيط السليم والتنفيذ البارع الحازم الهادف . وكلها معطيات فابت كليا في حرب ١٩٦٧ .
- ٣ - وحدة الجبهتين والتنسيق الرائع بين القيادتين المصرية والسورية ضمن للسلاحين الجويين المصري والسوري مجالا اوسع للعمل بشكل فعال ومؤثر .

٤ - الدعم العسكري العربي الفعال الذي تجلى في تقديم كل من العراق والجزائر وليبيا طائراتهم المناظرة لتعزيز السلاحين الجويين المصري والسوري . فقد لعب الدعم العراقي عاملا بارزا في التأثير على مجرى القتال في الجبهة الشمالية . يحدث هذا في حرب ١٩٧٣ ويجه مغايرا لما حدث في حرب ١٩٦٧ عندما ادارت الدول العربية ظهرها وتركت السلاح الجوي المصري في بداية القتال يواجه ثقل الهجوم الاسرائيلي لوحده .

٥ - ظهور الاسلحة المعقدة في هذه الحرب

التي اسندت اليها ، اخلاء الخسائر من الميدان والتعرض للدبابات المصرية واقتناصها في ساحات القتال . وكانت طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية من طراز (بيل ٢٠٥) و(أروكوبز - يو ٥ - ا د) المجهزتين بصواريخ جو - ارض نوع (تو) و(لو) و (س س ١١) قد اشتركت في التصدي للدبابات المصرية العاملة في سيناء .

ارهقت الحرب الجانبين وتكبدا خسائر كبيرة في الاسلحة والمعدات والطائرات . ففي ١٠/١٢ أصدر البنتاغون الامركي تقديراته عن خسائر الاطراف المشتركة في الحرب وجاءت كما يلي : (٨٥) مصر (٦٥) طائرة ، سوريا (٧٠) طائرة ، اسرائيل (٦٥) طائرة .

توسعت عمليات سلاح الطيران الاسرائيلي بعد يوم ١٠/١٥ لدرجة لم يعد معها قادرا على التأثير على سير المعارك بالشكل الذي كان متوقعا . ولم يكن عدد الطائرات التي بحوزته كافيا لتغطية جبهة قتال واسعة تمتد من سورية في الشمال الى شرم الشيخ في الجنوب وفي عمق الاراضي المصرية وسيناء . واصبح هذا الاتساع في النشاط والجهد عملية متعبة وباهظة التكاليف . وقد شملت هذه المهام :

- ١ - اعتراض الطائرات العربية المقاتلة والمناظرة والمناظرة المقاتلة .
- ٢ - التفتيش في سيناء عن طائرات الهليكوبتر المصرية التي كانت تنقل رجال الصاعقة الى خلف خطوط القوات الاسرائيلية في سيناء .
- ٣ - تقديم الحماية للزوارق المسلحة في البحرين الابيض والاحمر .
- ٤ - حماية الاجواء الاسرائيلية في الشمال والجنوب .
- ٥ - مهاجمة الاهداف الحيوية في عمق الاراضي السورية والمصرية .
- ٦ - استطلاع تحركات القوات العربية في الجبهتين والمحاوِر والطرق الرئيسية المؤدية اليها خاصة في الجبهة الشمالية حيث ركز نشاطه ضد الارتال العراقية المتقدمة من العراق الى الجبهة السورية .

لم تكن الحرب مفاجئة للعدو وكان كل القادة

تمكنا من مواجهة سلاح الطيران الاسرائيلي والصمود طيلة فترة القتال. حيث دارت الاشتباكات الجوية بصورة مستمرة وبلا انقطاع طيلة فترة الحرب. لقد تصور العدو ان طيرانه سيتمكن من ابادة اسلحة الجويين المصري والسوري في ايام معدودات. وقد كلفه هذا الاعتقاد الشيء الكثير وافقده اتزانه في مراحل القتال الاولى. ولمعب الطيارون العرب دورا مؤثرا في الحرب لا يقل اهمية عن الدور الذي لعبه الطيارون الامرائيليون.

لقد اعطت نكسة ١٩٦٧ دفعة قوية للقادة العرب جعلتهم يفكرون جديا في بناء اسلحة جوية قوية وفعالة واعطت - هذه النكسة - ضباط وطيارين وفتحي الاسلحة الجوية العربية الكثير من الدروس والعبر التي كان لها الفضل في اظهار اسلحة جوية عربية متطورة بمستوى المسؤولية قادرة على القيام بهامها القتالية على احسن وجه. ان دور الاسلحة الجوية العربية المصري والسوري والدعم الفعال من جانب الدول العربية يعتبر بحق نقطة تحول هامة وبارزة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ستكون له نتائج ايجابية على غاية من الاهمية في الجولات القادمة.

١٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

١٦ - المصدر نفسه .

١٧ - المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .

١٨ - انظر :

The Military Balance (1966 - 67) p. 41.

The Israeli Air Force Story, - ١٩ p. 153.

٢٠ - انظر : (ا) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ ،

(ب) يشعياهو بن فورث وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١١٠ - ١١٣ .

٢١ - المصدر نفسه .

The Israeli Air Force Story, - ٢٢ p. 176.

٢٣ - المصدر نفسه .

٢٤ - المصدر نفسه ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

٢٥ - المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

٢٦ - المصدر نفسه .

٢٧ - المصدر نفسه .

٢٨ - المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .

واعمها وابرزها دور الصواريخ الموجهة ارض - جو نوع (سام ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧) في التصدي للطيران الاسرائيلي بشكل اثار اعجاب المراقبين العسكريين في العالم ، بالإضافة الى تأثير هذا السلاح الحاسم على مجرى الحرب .

٦ - استخدام الطائرات العربية بصورة جيدة وتصديها الفعال للطائرات الاسرائيلية في الجبهتين الجنوبية والشمالية وقيامها بواجبات تكتيكية على غاية من الاهمية وهو عامل لم يتوفر في حرب ١٩٦٧ .

٧ - استغل الطيران الاسرائيلي عامل المفاجأة بشكل حاسم في حرب ١٩٦٧ وتمكن من ابادة الطائرات المصرية والعربية على الارض وهي جاثمة في مطاراتها . فخرم القوات البرية العربية من الدعم الجوي . لذلك لم يضادف الطيران الاسرائيلي أي مقاومة جوية وظل طيلة الحرب منهكما في مهاجمة الارتال المزعزة المصرية في سيناء والاردنية في الضفة الغربية والسورية في الجولان . أما في حرب ١٩٧٣ فكان دوره مختلفا فيها . اذ حقق السلاحان الجويان السوري والمصري عنصر المفاجأة وان كان على نطاق اضيق ، وبهذا

١ - انظر كتاب :

Robert Jackson, *The Israeli Airforce Story*, (Tomstacey Ltd., London, 1970), pp. 158, 159.

٢ - انظر كتاب : الكتاب السنوي للقضية

ال فلسطينية لعام ١٩٦٧ (منشورات مؤسسة

الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩) ،

ص ٥٧٢ .

٣ - المصدر نفسه .

٤ - المصدر نفسه ، ص ٥٧٧ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ٥٨٨ .

٦ - المصدر نفسه ، ص ٥٧٣ .

٧ - المصدر نفسه ، ص ٥٩٤ .

٨ - المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .

٩ - المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .

١٠ - المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ .

١١ - المصدر نفسه .

١٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

١٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

١٤ - المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

- الرابعة (وقائع وتفاعلات) بيروت ، مركز
الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٤ ،
ص ٢٥ .
- ٥٤ - المصدر نفسه .
- ٥٥ - المصدر نفسه .
- ٥٦ - كتاب حسن البدرى وآخرون ، حرب رمضان
أكتوبر ١٩٧٣ ، الشركة المتحدة للتوزيع والنشر ،
القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٠٦ و ١٠٧ .
- ٥٧ - المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
- ٥٨ - المصدر نفسه .
- ٥٩ - المصدر نفسه ، ص ٣٩ .
- ٦٠ - المصدر نفسه ، ص ٤١ .
- ٦١ - المصدر نفسه .
- ٦٢ - المصدر نفسه .
- ٦٣ - انظر مقال اريك رولو (حرب الجنرالات)
جريدة النهار ، ١/٢٦/١٩٧٤ .
- ٦٤ - الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، وقائع
وتفاعلات ، مركز الابحاث ، ص ٥٠ .
- ٦٥ - المصدر نفسه .
- ٦٦ - المصدر نفسه .
- ٦٧ - المصدر نفسه ، ص ٥١ .
- ٦٨ - المصدر نفسه ، ص ٥٤ .
- ٦٩ - المصدر نفسه .
- ٧٠ - المصدر نفسه ، ص ٤٢ .
- ٧١ - المصدر نفسه ، ص ١٩٠ و ١٩١ .
- ٧٢ - المصدر نفسه .
- ٧٣ - اللواء حسن البدرى وآخرون ، حروب
رمضان (أكتوبر) ١٩٧٣ ، ص ١٢٦ .
- ٧٤ - المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
- ٧٥ - المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
- ٧٦ - المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
- ٧٧ - الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، وقائع
وتفاعلات ، مركز الابحاث ، ص ١٨٤ - ١٨٧ .
- ٧٨ - المصدر نفسه ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
- ٧٩ - المصدر نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٥ .
- ٨٠ - المصدر نفسه ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٤ .
- ٨١ - المصدر نفسه ، ص ٤٢ .
- ٨٢ - المصدر نفسه ، ص ٧٨ .
- ٨٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
- ٨٤ - المصدر نفسه ، ص ٤٣ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٦ .
- ٨٥ - المصدر نفسه ، ص ١٩٢ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .
- ٣٠ - المصدر نفسه ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .
- ٣١ - المصدر نفسه ، ص ١٨١ .
- ٣٢ - المصدر نفسه .
- ٣٣ - المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .
- ٣٤ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام
١٩٦٧ ، ص ٢٦٩ ، ٢٦١ ، ٦٩٢ ، ٧٠١ ،
٧٠٢ ، ٧٢٥ - ٧٤٧ ، ٧٧٥ .
- ٣٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ ، ٧٧٥ .
- ٣٦ - David's Shing, p. 64.
- ٣٧ - The Israeli Air Force Story,
p. 182.
- ٣٨ - المصدر نفسه ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- ٣٩ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام
١٩٦٧ ، ص ٦٠٧ .
- ٤٠ - The Israeli Air Force Story,
p. 190.
- ٤١ - كتاب راندولف تشرشل ، المصدر السابق ،
ص ٨٤ .
- ٤٢ - The Israeli Air Force Story,
p. 192.
- ٤٣ - يشعياهو بن فورث وآخرون ، المصدر
السابق ، ص ١٥٧ .
- ٤٤ - The Israeli Air Force Story,
pp. 193, 194.
- ٤٥ - المصدر نفسه ، ص ١٩٣ .
- ٤٦ - المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .
- ٤٧ - راجع المصادر التالية :
- (أ) المصدر نفسه ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ، ٢٠٤ .
- (ب) يشعياهو بن فورث وآخرون ، المصدر
السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .
- (ج) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة
١٩٦٦ ، ص ٢١٣ و ٦٠٨ .
- ٤٨ - D. Kimche, the Six Day War,
p. 180.
- ٤٩ - راندولف تشرشل ، المصدر السابق ،
ص ٨٩ .
- ٥٠ - المصدر نفسه ، ص ٩٨ .
- ٥١ - انظر مقال « اريك رولو » (حرب الجنرالات)
المنشور في صحيفة النهار اللبنانية ، ١/٢٦/
١٩٧٤ .
- ٥٢ - الانوار ، ١٩٧٤/٣/٧ .
- ٥٣ - انظر كتاب الحروب العربية الاسرائيلية

المقاطعة العربية

ندوة

ادارها : هاني الهندي

اشترك فيها : برهان الدجاني

د. يوسف صايغ

د. منذر عنتاوي

يوسف حمدان

فلسطين . وتبلورت المقاطعة بعد الحرب العالمية الثانية وبعد قيام اسرائيل فاصبح لها اجهزتها الخاصة في الدول العربية كافة تعمل جميعها ، بالتنسيق مع مكتب مركزي تابع لجامعة الدول العربية ، في احكام الحصار على اسرائيل ومنع التعامل معها .

وبعد حرب تشرين شدد الاسرائيليون على الغاء المقاطعة كشرط من شروط التسوية التي يريدونها ، وقد طرح رابين هذا الشرط في بيانه الوزاري الذي تقدم به لنيل ثقة الكنيست بحكومته في حزيران الماضي ، كما راحت أجهزة العدو الصهيوني تركز اهتمامها على المقاطعة العربية وتضغط بالتعاون مع امريكا لوضع حد ونهاية لاطول مقاطعة عرفها هذا العصر .

وبعد ... أرجو ان تسمحوا لي ان اقترح — تيسيرا للمناقشة وتسهيلا لسيرها — تقسيم هذا الموضوع الى الاجزاء التالية : ١ — المقاطعة العربية والقانون الدولي ٢ . المقاطعة العربية — منذ ان بدأت بعد قيام اسرائيل — كيف تسير وتتطور ؟ هل تتجه نحو مزيد من التشدد والاحكام أم ان ثغراتها تتسع وتكبر ؟ مشاكلها ؟ ٣ — تأثير المقاطعة على العدو : اقتصاديا وسياسيا . ٤ — مدى تأثير القوى الداعمة لاسرائيل (الدول الغربية وامريكا خاصة) بالمقاطعة العربية .

هاني الهندي : يسر مركز الابحاث ومجلة « شؤون فلسطينية » ان يرحبا بكم في هذه الندوة التي نعقدتها لدراسة المقاطعة العربية باعتبارها سلاحا هاما من الاسلحة التي واجه بها العرب الغزو الصهيوني لفلسطين منذ عشرات السنين ، والتي لا تزال تلعب حتى اليوم دورا أساسيا في صراعنا الحياتي مع الحركة الصهيونية ومؤيديها . وأملنا كبير في ان تكون هذه الندوة مشاركة ايجابية مثمرة في تعزيز النضال العربي وتصلبيه في هذه المرحلة التي تشهد فيها ضغوط القوى الاستعمارية والصهيونية على امتنا لفرض تسوية ظالمة عليها تستهدف فيما تستهدفه انتزاع الاعتراف باسرائيل ووجودها على أرضنا .

كانت المقاطعة في البداية فكرة ودعوة طرحتها العناصر الوطنية والصحافة العربية في اوائل هذا القرن لمقاومة موجات الهجرة ومشاريع الصهيونية في « احتلال الارض » و« غزو العمل » ، ثم منا لبثت ان تطورت ونمت في السنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى فأصبحت ايام الانتداب البريطاني نيارا شعبيا ناميا ومادة شبه دائمة في قرارات المؤتمرات الوطنية والاجتماعات الشعبية التي كانت تعقد في فلسطين وخارجها ، تطالب بها القوى الوطنية وترفعها شعارا من شعارات النضال ضد المؤامرة الصهيونية — البريطانية . لتهدويد

الاقتصادية بمعنى حظر التعامل مع العدو سلبا او ايجابا ، وانما ايضا اتخاذ الاجراءات التمييزية اللازمة ازاء تلك الاطراف الثالثة ، تلك الدول المحايدة التي لا تقوم بآداء واجبات الحياد ازاء الحرب القائمة ، فمن هنا انا اعتقد بأن الدول العربية في تطبيقها لانظمة المقاطعة كانت متساهلة جدا ، لان قانون الحرب كان يمنحها الحق في ان تتخذ كافة الاجراءات التمييزية اللازمة ازاء الاطراف الاخرى غير المشتركة في الحرب كلما اتخذت تلك الاطراف من الخطوات ما يساعد العدو في الحرب بشكل مباشر او غير مباشر ، بمعنى آخر او اوضح ان الدول العربية كان بإمكانها ان تميز ضد الولايات المتحدة ومثلا ضد الدول الأوروبية الغربية ان تقاطعها بشكل مباشر. والمقاطعة هنا ليست مقاطعة اقتصادية فقط وانما يمكن ان تكون مقاطعة سياسية لكن الدول العربية لأسباب واضحة اهمها العجز من ناحية وعدم الثقة بالنفس من ناحية، والارتباطات المختلفة مع الامبريالية الغربية دفعتها الى ان تسلك هذا التسهيل المرن جدا والمتساعل بالنسبة لتلك الشركات والمؤسسات التي تتعامل مع اسرائيل بشكل يمكنها دعم الاقتصاد الاسرائيلي وبالتالي دعم قوته العسكرية والسياسية . فما دام بإمكان الدول العربية زمن الحرب ومن الناحية القانونية ما دام الحق القانوني في ان تقاطع الخصم مباشرة وبشكل كامل وما دام من حقها ان تقاطع الاطراف الاخرى غير المشتركة في الحرب اذا ما تخلت عن آداء واجباتها كأطراف محايدة فمن باب اولى ان من حقها ان تضع من اللوائح والقرارات ما تراه مناسباً لتنظيم علاقتها بالشركات والمؤسسات التي تتعامل مع العدو الاسرائيلي . ان كل ما علقته الدول العربية هو انها قامت للشركات والمؤسسات اننا غير مستعدين للتعامل معكم اذا استمرت علاقاتكم مع اسرائيل هنا الامر ليس فيه اكراه ولا اجبار ولا شيء آخر . كل ما هنالك ان تركت الحرية للمؤسسات الاخرى ، انها اذا ارادت ان تتعامل مع الدول العربية فيجب ان تتصرف بشكل معين بالنسبة لعلاقتها مع اسرائيل . هذا فيما يتعلق بزمن الحرب وباختصار شديد. اذا اردنا ان ننقل للحديث عن المقاطعة في القانون الدولي زمن السلم الواقع ليس هناك تواجد تنظيم هذا الامر بالنسبة لزمن السلم . فالاصل في زمن السلم

٥ - تأثير المقاطعة على اقتصادنا ؟ ايجابي ...
 أم سلبي ؟ ٦ - المقاطعة بعد حرب تشرين : النفط والاموال العربية . ٧ - مستقبل المقاطعة : تقييم عام . ٨ - اقتراحات وتوصيات .

د. منذر عنقاوي : في الحقيقة لدي سؤالان : هل المقاطعة المقصودة في هذه الندوة هي المقاطعة الاقتصادية اساسا كما بدأت الدول العربية في تطبيقها مع بداية الخمسينات، من خلال المؤسسات ومن خلال قرارات معينة انصرفت معظمها للنواحي الاقتصادية . ولا بد انها تنصرف الى معالجة المقاطعة السياسية . والثاني هو هل نريد ان نبعث مستقبل المقاطعة في ضوء الحلول المطروحة على الساحة للقضية الفلسطينية او في معزل عن هذه الحلول .

هاني الهندي : اعتقد ان هذه الاسئلة ممكن ان تتطور مع البحث ، ولا بد ان يتطرق الباحث اليها .

برهان الدجاني : اقترح ان ننصرف مباشرة الى معالجة النقاط التي تقدم بها الاخ هاني ، واذا طرأت أية ملاحظة من أي نوع هذا النوع او غيره يمكن ادخالها في مكانها المناسب ، وبما ان اول نقطة هي المقاطعة العربية والقانون الدولي ، وبما انك انت خبيرنا في القانون الدولي فمن الطبيعي ان نرجو ان تنتج هذه المرحلة وتتفضل تعطينا رأيك .

د. منذر عنقاوي : بكل سرور ... في الحقيقة لم تكن عندي فكرة عن هيكل الندوة الذي طرح الآن، ولذلك لم أكن عارفا بالضبط ما اذا كان الحديث عن المقاطعة سيتناول نواحي القانون الدولي أم لا . وعلى كل حال فان الموضوع في ذهني وعندني فكرة عامة لكنها غير مبنية على مستندات في طبيعة الحال ، والان لا اقدر ان ابرز المستندات اللازمة.

في تدريبي المقاطعة العربية كما مارستها الدول العربية منذ اوائل الخمسينات كانت مقاطعة قائمة على التسامح الشديد والتساهل الكبير بالتعامل مع الدول الاخرى . والسبب في ذلك هو ان الدول العربية منذ قيام دولة اسرائيل وهي في حالة حرب مع اسرائيل ، وطلبا لقواعد قانون الحرب يحق للدول المتحاربة ان تمارس ليس فقط المقاطعة

د. منذر غنباوي : بالنسبة للسؤال الأول عن المقاطعة في الواقع ليس هناك تعبير مقاطعة بالقانون الدولي ، بل هناك تعبير سياسي يطلق على الإجراءات التي يمكن أن تتخذها دولة محاربة زمن الحرب أو تتخذها دولة غير محاربة زمن السلم لأسباب تتعلق بأمنها القومي أو استراتيجيتها السياسية . ليس هناك تعبير في القانون الدولي اسمه المقاطعة إنما هو تعبير سياسي بالنسبة للإجراءات العربية ضد الصهيونية في فلسطين . وقبل قيام إسرائيل اتخذت هذه الإجراءات في الواقع من باب التضامن مع نضال الشعب الفلسطيني ضد العدوان الصهيوني والمخططات الصهيونية كإجراء من إجراءات الدفاع عن النفس . ويمكن أن نسميها مساعدة الذات . أي ان المقاطعة كانت يومذاك تعبيرا عن الشعور بوجود خطر عدواني ومع ان هذا الخطر لم يصل الى حدودنا بعد ، ولكن كان منع التعامل من باب التضامن مع الشعب الفلسطيني بصفته جزء من الامة العربية وبسبب الخوف من انتشار العدوان الصهيوني وتوسعه ضد الدول العربية فكان ان اتخذت هذا الموقف وإذا يتذكر الإخ جاني فان الدول العربية اتخذت وقتها قرارا سياسيا أكثر من قرار قانوني فقد توجهت الى الامة العربية لمقاطعة البضائع والمنتجات الإسرائيلية ولكن حتى هذه الدول العربية لم تكن اتخذت الإجراءات القانونية في داخل حدودها . لقد ذهبت شخصيا وانا اقرا منذ فترة بسيطة في صحف لبنانية قديمة في عام ١٩٤٦ او ١٩٤٧ في الفترة هذه اقرا ان وفدا من الصناعيين والانتصائيين اليهود في تل ابيب زار بيروت ثم توجه الى دمشق . ذهلت انه كيف تكون مثل هذه الامور حصلت في ١٩٤٦ او ١٩٤٧ . لقد قرأتها في « النهار » في باب قبل كذا سنة .

برهان الدجاني : في الاربعمينات كان يحصل هذا الشيء لغاية الاستقلال .

د. منذر غنباوي : كلا بعد الاستقلال وانا متأكد من الخبر الذي قرأته انه كان في فترة بعد الاستقلال . ما اريد ان اقله هنا هو ليس نفي الوطنية من الناس او الحكومات التي كانت قائمة بقدر ما اريد ان اشير الى انه لم تكن هناك حتى اجراءات قانونية عربية تستدعي ان تسمى مقاطعة . لقد بدأت الاجراءات القانونية بعد ١٩٥١ حين قرر

ان الدول يفترض فيها طبقا للمبادئ العامة ان تقيم علاقات ودية مع كافة الدول الاخرى . ان لا تتصرف بشكل من الاشكال التي يمكن ان تعكس رغبة في افساء العلاقات الدولية . . . لكن اذا رغبت ان نحصر الكلام على زمن الحرب اولا ثم نتحدث عن القانون الدولي والمقاطعة في زمن السلم عندما تبدأ الحديث عن المستقبل اذا ما رأيت ذلك مناسباً اما اذا رأيت ان تعالج الموضوع الآن عن موضوع المقاطعة والقانون الدولي زمن السلم . . .

برهان الدجاني : هل المقصود بحالة حرب وجود صراع مسلح ؟

د. منذر غنباوي : ان حالة الحرب تظل قائمة سواء كانت هناك اشتباكات فعلية أو لم تكن . حالة الحرب لا تنتهي الا بعقد اتفاقية صلح او بتطلب أحد الاطراف المتحاربة على الطرف الاخر او السيطرة سيطرة كاملة كان تحتل اراضي الدولة المعادية كلية عندئذ لا يبقى مجال للحرب يكون هناك استلام وتسليم وتنتهي الحكاية .

د. يوسف صايغ : أعتقد ان من الجائز بحث الموضوع في الحالتين عندما نبحت مستقبل المقاطعة ويمكننا ان نتصور وضعين : وضع يكون فيه سلم ووضع استمرار او حالة الحرب . نرى ان تبقى المسألة مفتوحة وانت الذي تستطيع ان تقرر ذلك من أجل تماسك وجهة نظرك .

برهان الدجاني : السؤال هو هل في القانون شيء اسمه مقاطعة وإذا كان هناك شيء اسمه مقاطعة فما هو معناه قانونيا ؟

هاني الهندي : ما اريد ان اشير له هنا هو ان موضوع المقاطعة في الواقع بدأ قبل ان تقوم حالة حرب وقبل ان تظهر دولة إسرائيل أي ان الجامعة العربية قامت بموضوع المقاطعة منذ سنة ١٩٤٥ يوم لم تنشأ إسرائيل فكان ان شكلت الجامعة مكتبا خاصا فهل كانت تنطبق عليها حالة الحرب حين لم يكن هناك دولة تحارب في ذلك الوقت ؟ وكيف يتلاءم هذا مع القانون الدولي ؟

يوسف حمدان : تكلمت عن طرف ثالث محايد فهل تصد بذلك دولا فقط أم تصد ايضا منظمات مثلا او جاليات وعلى سبيل المثال المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الاميركية واوروبا والجالية اليهودية بشكل عام .

قال انه لا يكتفي ان يقال ان هذه التبرعات مخصصة لاعمال خيرية او لاعمال انسانية مثل تقديم ادوات طبية او غيرها. لان المفروض التأكيد من دقة موقف الحياد وعدم تجاوزه والمفروض ايضا بأن هذه الاموال قد استقبلت بالفعل لهذه الغاية ، وفي الحرب من الصعب استثناء مثل هذه الامور .

أعود الى النقطة الاولى التي بحثها الدكتور يوسف التي هي لماذا لا نتحدث عن المقاطعة في زمن السلم . الواقع في القانون الدولي كما قلت : في الاصل في زمن السلم هو حسن العلاقات بين الدول وبالتالي ليس من الطبيعي في زمن يسود فيه السلم بين الدول او بين الدول المعنية ان تمارس دولة من الدول اجراءات تمييزية ضد دولة أخرى . ولكن الغرب علمنا اثناء الحرب الثانية وبعدها ان هذا ممكن في العالم خصوصا في امريكا واوروبا الغربية وقد حدث هذا الشيء ولم يعترض احد عليه في حينه بل أكثر من ذلك فان هذه الاجراءات قامت بها الولايات المتحدة ضد دول تقيم معها علاقات دبلوماسية ومارستها من خلال قوانين أقرتها وأول قانون كان « قانون رقابة التصدير Export Control Act الذي صدر في سنة ١٩٤٩ في الولايات المتحدة وهو يعطي الحق لرئيس الولايات المتحدة بممارسة منع تصدير سلع معينة طبقا للوائح التي يمكن ان تصدر بموجب ذلك القانون ثم عدل هذا القانون بقانون آخر هو « ادارة التصدير » Export Administration الذي صدر في عام ١٩٦٩ ، اعطيت لرئيس الولايات المتحدة الصلاحيات نفسها وكان المبرر الوحيد لذلك ان اية اجراءات من هذا النوع يمكن ان يقرها رئيس الولايات المتحدة انما تتخذ بالاستناد الى ضرورات الامن القومي الاميركي او الاستراتيجية السياسية الاميركية الخارجية . بل ان ما هو اكثر من هذا وهذه تمنا لاغراض هذه الثروة فان الولايات المتحدة لم تكف بأن تقرر هي هذا الشيء بالنسبة لتعاملها مع الدول الاخرى وكان المقصود هنا دول الكتلة الاشتراكية كلها وانما مارست ما يمكن تسميته تدويل الاجراءات التمييزية وذلك من طريقين ، الطريق الاول انها حاولت مع حلفائها الغربيين اصدار قوانين مماثلة بالنسبة لصادراتهم لهذه الدول وقد تم ذلك بالفعل وأنشئت لجنة استشارية او مجموعة استشارية في اوروبا سنة

مجلس الجامعة العربية انشاء مكتب المقاطعة .
 فيما يتعلق بالمقاطعة ضد الدول وغيرها. فما من شك ان المقاطعة يمكن أن تنصرف الى مؤسسات داخل الدولة اذا ما كانت هذه المؤسسات موجودة في دولة ما هي طرف في الحرب . في هذه الحالة فان الدولة مفروض بها ان تتخذ الاجراءات اللازمة لكي لا تتم منها او من خلالها اية تصرفات يمكن ان تكون لصالح احد اطراف النزاع . فاذا ما أخلت الدولة بمثل هذا الالتزام عندئذ يصبح من حق الطرف المحارب المظلوم او المغدور ان يمارس مثل هذه الصلاحيات مثلا : قواعد الحياد تفرض على الدولة المحايدة بأن لا ترسل أسلحة او ذخائر الى احد اطراف النزاع او ان لا تكون ممرا لارسال هذه الاسلحة والذخائر والمواد الاستراتيجية عموما .
 ثانيا يفترض في مثل هذه الدولة ان لا تسمح بتنظيم عمليات تطوع داخل حدودها لصالح طرف أو آخر وان لا تسمح بالخروج او مرور المتطوعين بشكل منظم من اراضيها او عبر اراضيها الى أحد اطراف النزاع . فاذا أخلت الدولة بهذا الالتزام عندئذ يكون من حق الطرف المغدور ان يميز ضد هذه الدولة وان يتخذ من الاجراءات ما يدافع به عن نفسه ازاء مثل هذه التصرفات . واذا لم يرد ان يفعل ذلك ازاء الدولة فمن باب اولي ان يفعل ذلك ازاء بعض المؤسسات الموجودة بداخل الدولة .
 والقانون الدولي في هذه الحالة يعتمد حتى الان على قواعد مثبتة عن اتفاقات عقدت في لاهاي سنة ١٩٠٧ بعد ذلك ليس هناك اتفاقات . مثلا من ضمن الاشياء التي لم تكن واردة موضوع التبرع بالمال اذ لم تكن هناك اية نصوص تتعلق بالتبرعات المالية التي يمكن ان تقدم من داخل دولة معينة لصالح أحد الاطراف ... وما دام ليس هناك نص فقد غسر الفقهاء هذا الامر في ذلك الوقت بأن ليس فيه ما يعارض مع القواعد الحياد . لكن الفقهاء بعد فترة من الزمن وصلوا الى قناعة ان هذا الكلام غير معقول وذلك لان الدول ذات النظام الاقتصادي الليبرالي من الممكن ان تكون الاموال المجموعة قادرة على شراء السلاح وغيره من المواد الاستراتيجية التي يمكن ان تلعب دورا كبيرا في الحرب وترجح كفة فريق على آخر ، وبالتالي صار الحديث عن امكانية اعتبار حتى التبرعات المادية اخلايا لواجبات الحياد . حتى ان بعض الفقهاء

العربية حاليا بمقاطعة المؤتمرات الاقليمية التي تحضرها اسرائيل او التي تعتد في اية دولة عربية . وفي هذه الحالة فان الدول العربية لا تدعو اسرائيل ولكن اذا ما تم الاعتراف باسرائيل وعقد الصلح معها فمعنى ذلك من ناحية القانون الدولي بأنها هي جزء من هذه المنطقة وبالتالي فلا يعود هناك مبرر قانوني امام الدول العربية بعدم دعوة اسرائيل او الحضور معها في مؤتمرات اقليمية .

برهان الدجاني : توضيحا للبحث لا بد ان نبرز ما بين المقاطعة بالمعنى الفني المتداول في البلاد العربية طالما ان كلمة مقاطعة ليس لها معنى قانوني محدد وانها لها معنى عربي ، فيجب ان تميز بين هذا المعنى العربي المتداول وبين المعاني الاخرى التي تحتلها لغويا كلمة مقاطعة . فنحن يجب ان لا ندخل في مباحث لغوية في هذه المرحلة . يمكن بعد ذلك ان نتطرق الى الامكانات التي تحتلها كلمة مقاطعة من الناحية اللغوية . ولكن افضل الان ان نركز بعض الوقت وبقصد التوضيح على المقاطعة كما هي عرف سائد يطبق في البلاد العربية . في هذا السبيل اذا سمحت لنفسني ان اقدم تعريفا للمقاطعة واعتقد انه يفيدنا فيما بعد لتكوين الفكرة يمكن ان نقول ان المقاطعة عرفيا هي نوع من المبايزة في المعاملة ضد (كلمة ضد مهمة هنا) طرف معين بالاسم ، بالتحديد تصل الى حد المنع اليات للمعتود المتلقية ببيع وشراء البضائع والخدمات .

د. منذر عنبناوي : في الواقع كان هذا موثقي من الاول فقد أثرت السؤال بقصد التحديد هل المقاطعة التي نبحثها تشتمل المقاطعة الاقتصادية او المقاطعة الاقتصادية والسياسية وعلى مستوى دولي او على مستوى محلي هذا هو ما كنت اود توضيحه من البداية .

برهان الدجاني : فعلا لقد ساهم الشيء الذي تفضلت فيه في طرح الاطار الاوسع واعطانا فرصة ان نقترح البدء بالناحية الاصغر ومنها نخرج الى المعاني الاوسع للمقاطعة .

د. يوسف صايغ : يمكن التعريف هذا ان يشمل كل الحالات لكن أخشى ان تنشأ حالات يتعين ظاهريا على الاقل انها غير مشمولة مثلا لو جاءت

من اجل ان تتفق هذه الدول الخمسة عشر الغربية وتقرر ما هي المواد التي تصدق او لا تصدق بها هذه الكتلة . وكان الاجراء الثاني الذي اتبعته الولايات المتحدة لتدويل هذه الاجراءات التمييزية انها صارت تشترط على الدول التي تقدم لها مساعدات اقتصادية انها تمتنع ايضا عن تصدير مواد معينة للدول الاعضاء في الكتلة الاشتراكية وهذه الممارسات لا تزال سارية قانونا بالنسبة لمعظم هذه الدول . اذا هذا الامر ممكن جدا . وفي مثل هذه المقاطعة من الممكن قياسا على الممارسة الدولية على الاقل انه حتى لو وصلت الدول العربية الى حالة من السلم مع اسرائيل يمكن ان تظل الناحية الاخرى اي المقاطعة السياسية . هناك سؤال آخر هو هل المقاطعة السياسية في زمن السلم تكون واردة ام لا ؟ في المقاطعة السياسية نجد شكلين لها . الاول هو عدم اقامة او مقاطعة او قطع العلاقات الدبلوماسية وهذه مسألة مباشرة بين الدولة المعنية والدول الاخرى . وفي هذه الحالة يمكن للدول ان تقرر اقامة او عدم اقامة علاقات دبلوماسية . وهناك نقطة وهي مهمة جدا لاغراض هذه الندوة وهي انه فيما لو تم الصلح بين الدول العربية واسرائيل فان هذه الامور كلها يمكن ان تكون موضع نص في الاتفاقات التي يمكن ان تعتقد (لا سيماح الله) بين الدول العربية وبين اسرائيل عندئذ فان ما تتفق عليه الاطراف يصبح قانونا يسود العلاقات بينها وان الاشياء التي تتفق عليها هي التي تطبق . والاتفاقات الدولية كالمعتود مثل بيع المتعاقدين اذ يمكن ان تتفق الاطراف على ان تقوم علاقات دبلوماسية بينها على ان لا تكون هنالك مقاطعة اقتصادية على كذا . لكن اذا لم يتم النص على اقامة علاقات دبلوماسية سلبا او ايجابا فان الدول العربية بهذه الحالة ليس هناك ما يجبرها بأن تقيم علاقات اقتصادية مع اسرائيل . اذا فالحال الاول هو العلاقات السياسية المباشرة اما الشكل الثاني فهو قيام العلاقات السياسية غير المباشرة التي تمارس من خلال المؤتمرات الدولية والاقليمية فاذا ما تم الصلح لا اعتقد انه سوف يكون بإمكان الدول العربية قانونا بأن تقاطع المؤتمرات الاقليمية التي تحضرها اسرائيل لانه هنا لا توجد حالة حرب بين الطرفين ، وهو المبرر الذي تركز عليه الدول

خاصة معروفة وانما تشتغل من خلال القوانين الموجودة ومن خلال المؤسسات الموجودة فقط . مثلا لو جاءت دولة من الدول وأخضعت كل تجارتها الخارجية لتراخيص التصدير والاستيراد يمكن وبمنتهى البساطة وبدون ان تترك مجالا لاحد لان يقول ان هذا اجراء غير قانوني عندها تستطيع الدولة المعنية ان تمنع التصدير لسلع معينة الى دول معينة بحجة انه لم تحصل هذه الدولة على رخصة التصدير اللازمة وان تمنع الاستيراد من تلك الدولة بنفس الحجة . ولكن طبعنا هنا تكون هذه الدولة تطبق ممييزة انها باستطاعتها دائما ان تدعي بانها لا تميز وهذا موضوع يدخل في اعتبارات الحساب الاقتصادي مائة في المائة . وأحب ايضا ان الفت النظر بالنسبة للمستقبل الى هذا النوع المستتر من المقاطعة التي يمكن ان تطبق فيها . ولنقل ان بهذا المعنى من المقاطعة المستترة نجد ان هناك مقاطعة اسرائيلية وصهيونية ضد العرب مستمرة كل الوقت . الفرق الوحيد بين الوضعين ان العرب يجاهرون بها وقد أعطوا علما تشريعيا واداريا وسياسيا بوجود مقاطعتهم بينما الاسرائيليون والصهيونيون كانوا يستترون بمقاطعتهم ويدعون انهم لا يطبقون اي نوع من انواع المقاطعات . ولكن لا يعقل ابدا ان المؤسسات التي يستطيعون ان يؤثروا عليها لم تكن تميز ضد العرب ممييزة واضحة وصريحة في امور معينة ، لا بل هنالك بالنسبة لاسرائيل وللصهيونية العالية ممييزة معينة موضوعة وبنص مكتوب وهي الممييزة ضد العمال العرب وهي ااردة في القانون الاساسي للكثيرين كايتمت - الصندوق القومي الاسرائيلي - فهنالك نص على انه لا يجوز استخدام العرب أي لا يجوز اذا شراء الخدمات من العرب .

د. يوسف صايغ : ولا يبيع الاراضي .. طبعنا لا يتول اليهود انهم لا يبيعون الاراضي للعرب لكنهم يقولون ان الارض تصبح ملكا اديبا للشعب اليهودي ... واما بالنسبة للعمال فالممييزة صريحة اذ نجد نصا يقول بان يستخدم العمال اليهود فقط أي لا يجوز العمل على الارض المشتراة او تأجيرها لغمر اليهود .

د. منذر عنبتاوي : احب ان ابدأ من النقطة الاخيرة في الواقع ، هذا النص الذي ورد في نظام الصندوق القومي اليهودي يطبق بالفعل منذ أن

مجموعة مالية تريد ان تقدم قرضا (بيع وشراء خدمات) . لقد قلت (بيع وشراء خدمات) أي صيغة تعامل اقتصادي . او اذا جاءت بعفة فنية فهل يغطي التعريف المقترح هذه النواحي ؟

برهان الدجاني : هذه تدخل في الخدمات . أما النقطة التي أريد أن أركز عليها بالنسبة لما تفضلت من شرحه من المقاطعة في القانون الدولي فانا نستطيع ان نميز بين حالتين : الحالة الاولى هي الحالة التي تجهر فيها دولة او مجموعة من الدول بانها تطبق هذه الممييزة وهذا الجهر يكون بوضع القوانين وانشاء المؤسسات والاعلام السياسي بأن هذه الدولة او مجموعة من الدول تطبق نظاما معيناً وهي تستند في ذلك الى اعتبارات معينة مثل اعتبارات الحرب أو اية اعتبارات أخرى تعتبرها شرعية مثل اعتبارات الدفاع بالمعنى العساق إستراتيجيا أو الدبلوماسية او اعتبارات الامن القومي .

فأنت تفضلت بأن المقاطعة العربية اعطيتها مستندا من قانون الحرب (زمن الحرب) وطبعاً ما دام زمن الحرب باقياً بين الدول العربية واسرائيل فهذا مستند واضح يمكن اللجوء اليه بصورة لا تقبل أي جدل لان هذا هو قانون حرب . وعندما يجادل فيه فانا يكون الجدل لا على أساس منع صدور القانون او حدوده وانما من منطلق القوة وليكن ما يكون القانون نحن نريد ان تكون بهذا الشكل ، خصوصا وانه كما تعلم فان القوانين الدولية ليست قوانين ملزمة وانما مقدار الالتزام فيها يعتمد الى حد كبير على ناحية الالتزام الذاتي من ناحية ، والناحية الثانية هي الردع المتبادل وحساباته بحيث يجعل طرفا ما يخشى انه اذا لم يلتزم فيلحقه ضرر أكثر مما يلحقه من نفع . لكن يجب ان نستذكر في ذهننا ان المستند القانوني يمكن ان يكون وضعا غير وضع الحرب . يمكن ان يبقى الوضع الامني . وهذه النقطة هي التي يمكن ان يدور حولها جدل القانون بالنسبة للمستقبل . هل هنالك ظرف امني يستلزم او ليس هنالك ظرف امني يستلزم المقاطعة . كل هذا ضمن المفهوم الاول للمقاطعة وهو الجهر وبالمفهوم الجبري أي المقاطعة الجاهرة . أما المفهوم الثاني للمقاطعة فهو المقاطعة المستترة الخفية المبررة ، وهذه لا تدخل طرفا معنا ولا تضع قانونا محددًا ولا تقيم مؤسسة

امكانياته الاعلامية للدفاع عن النفس او مهاجمة الاخصام . اي اني لا اعتقد بإمكانية تحرير عملية من هذا النوع على أي طرف في العالم ، والمتوقع ان تقوم ضجة طويلة عريضة ضد مثل هذه العملية تنظمها الاوساط الصهيونية والاطار المناصرة لها . فضلا عن نقطة اخرى هي انه اذا كنا نتحدث عن مثل هذه الحالة في ظرف السلم ومن الجانب العربي غنا أقول انه اذا وصل العالم العربي الى مرحلة التصالح الرسمي مع اسرائيل ففي تقديري ان هذا يعني ان العالم العربي قد وصل الى اضعف مراحلها وان البلاد العربية ستكون في وضع انهيار نفسي واذا كان الامر في النهاية هو الصلح فان هذا مكسب لإسرائيل وليس مكسبا للعرب ...

د. يوسف صايغ : أرجو ان لا ندخل في هذه التفاصيل الان ويمكن ان نبحثها فيما بعد .

د. منذر عنباتوي : اذا أنا أؤجل البحث في هذه النقطة لركز فقط على امكانية المقاطعة لاسرائيل ، انا اعتقد ان المقاطعة المستترة لن تستمر مستترة طويلا وانه في اول مرة تحاول ان تقوم بتحيز عملي ضد اسرائيل او ضد مؤسسات صهيونية او مائلة للصهيونية سوف تثار ضجة كبيرة ضد العرب حول هذا الموضوع .

هاني الهندي : هل هناك نص في ميثاق الامم المتحدة يتعلق بأوضاع المايزة الاقتصادية وحالات الحرب الاقتصادية والمقوبات الاقتصادية وما هو تأثير ذلك من الناحية القانونية ؟

د. منذر عنباتوي : ميثاق الامم المتحدة لا يدخل في مثل هذه التفاصيل . ميثاق الامم المتحدة يطرح المبادئ التي يقوم عليها الميثاق ويشير الى ان العلاقات يجب ان تكون بين الدول علاقات ودية وأن لا تلجأ اي دولة لحل خلافاتها مع الدول الاخرى بواسطة استعمال القوة او التهديد بها ، او ان الدول ملزمة بان تحاول البحث عن الوسائل لحل الخلافات فيما بينها . ولكن هناك اعلانا صادرا عن الامم المتحدة في اوائل الستينات او منتصفها ، ويسمى هذا الاعلان باعلان المبادئ الودية او مبادئ القانون الدولي الودية وينص هذا الاعلان على عدم جواز ممارسة اي دولة من الدول لاجراءات تمييزية في علاقتها مع الدول الاخرى او الضغط على دول اخرى لكي تمارس

بدا الصندوق بممارسة عمليات شراء الارض الفلسطينية او الاستيلاء عليها . وتستطيع ان نقول انه طبق بحذافيره لقرية سنة ١٩٦٧ وكان الخط الواضح ان يتم اولا الاستيلاء على الارض العربية ثم تهجير العرب منها وهذا هو تحقيق للاهداف الصهيونية بعد سنة ٦٧ ، وأحب ان اقول انه بعد مضي حوالي عشرين سنة تقريبا على قيام اسرائيل بدأ الاسرائيليون بادخال تعديل على هذا الاتجاه وذلك لاضطرارهم الى سلوك سياسة جديدة معينة في اسرائيل بعد سنة ٦٧ تستهدف او بالاحرى تجيز من ناحية عملية استخدام العرب حيثما لزم الامر داخل اسرائيل للسبب التي نعرفها وهي اشغال العرب في المناطق المحتلة عن التمثال ضد الاحتلال وببفس الوقت تقوية الاقتصاد الاسرائيلي . اي ان هذا المنع لم يعد واردا الا فيما يتعلق بالصناعات الاستراتيجية او المواقع الحساسة . والنسب وراء هذا التعديل هو الحاجة الى الايدي العاملة من ناحية اقتصادية واستبعادا لاية احتمالات نشوء احتمالات ثورية في المناطق المحتلة . ان المقاطعة المباشرة لاسرائيل لا تلقى اعتراضا من احد . ولكن الاعتراض القائم يتعلق بمقاطعة الاطراف الاخرى التي تتعامل مع اسرائيل اي حتى اسرائيل لم تعد تتناقش في حقنا بمقاطعتها مباشرة والنقاش الدائر يتعلق بمقاطعة الاطراف الاخرى ومدى تعاملها مع اسرائيل ، بكلمة اخرى ليس هناك احد ينازع او يناقش حقا في مقاطعة اسرائيل في الوقت الحاضر وطالما نحن في حالة حرب معها . أما فيما يتعلق بالمقاطعة المستترة والظاهرة ، فنحن متفقون على انها قانونية زمن الحرب سواء ضد الطرف الاخر في الحرب او ازاء الاطراف التي تميز لصالح العدو . أما زمن السلم فقد بينا امكانية ممارستها لاسباب أمنية واستراتيجية عملا بالسوابق الدولية . وفيما يتعلق باحتمال ممارسة مقاطعة مستترة زمن السلم من خلال الانظمة والمؤسسات القائمة طبعا هذه ممكنة لكن أرجو ان نتصور انه اذا كان المقصود ان يقوم الطرف العربي بممارستها ازاء اسرائيل وحلفائها أو انصارها سواء كانت دولا او مؤسسات ، فانا أعتقد انه من الصعب تصور تحرير هذه العملية على المجتمع الدولي وعلينا ان ندرك تماما قوة الاعلام الاسرائيلي وقدرته على استفاد كل

اجراءات تنفيذية ضد طرف من الاطراف الاعضاء او غيرها .

هانى الهندي : الجمعية العامة هي التي قررت ذلك ان لم يكن مخطئا .

د. منذر عنبناوي : باسم الجمعية العامة . لكن هنا الموضوع قانوني طويل ولا تريد ان ندخل في تفاصيله .

برهان الدجاني : يعني هذه ليست مقاطعة منبثقة من الامم المتحدة بل انها خاصة بالدول العربية فقط . . . علما بأن هذه الدول طلبت في مناسبات عديدة تطبيق مادة المقاطعة او العقوبات الاقتصادية على اسرائيل لعدم تنفيذها قرارات معينة من الامم المتحدة . وفي بعض قرارات مجلس الامن كانت هناك اكثر من اشارة الى احتمال اتخاذ اجراءات اخرى (دون الاشارة الى ماهية هذه الاجراءات) .

د. منذر عنبناوي : هذا الوضع يختلف كلية لان مجلس الامن بموجب صلاحيات الاتفاق يمكن ان يفرض اجراءات تنفيذية ولكنه يعطها طبعاً باسم الامم المتحدة .

هانى الهندي : أخشى ان لا يكون الوقت المحدد كافياً لمقابلة مواد الندوة اذا اطلقنا الحوار في الجانب القانوني . وأرى ان ننقل الى البند التالي .

برهان الدجاني : اعتقد ان النقاط وضحت ، ويمكن ان ننقل الى البند الثاني .

د. يوسف صايغ : بخصوص البند الثاني ارى ان هناك تقارباً بين البندين الثاني والثالث من حيث سير عملية المقاطعة (الثانية) وتأثير المقاطعة على العدو اقتصادياً وسياسياً ، فلترابط الاثنى ونناقشهما معاً .

برهان الدجاني : بالنسبة لسير المقاطعة نستطيع ان نميز في المقاطعة بين مرحلتين تاريخيتين . المرحلة الاولى يمكن ان نطلق عليها وصفا عاماً قد لا يكون دقيقاً وهي المرحلة الدفاعية والمرحلة الثانية هي ما يمكن ان نطلق عليها صفة عامة المرحلة الهجومية . المرحلة الدفاعية بدأت ببداية تطبيق المقاطعة وربما كان من أهم أسباب اقتناع الدول العربية في وقت مبكر جداً في المقاطعة كسلاح

مثل تلك الاجراءات ضد اطراف اخرى بهذا المعنى . ويشير هذا الاعلان بنفس الوقت الى عدم جواز احتلال الاراضي بالقوة والى عدم جواز التنكر لمبادئ حقوق الانسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها الى آخره . ولا يجوز قراءة مادة من اليوم دون قراءة المواد الاخرى في مثل هذا الاعلان ومع ذلك فمن الممكن الافادة من هذا الاعلان في الدفاع عن اية مقاطعة حتى لو جاءت مخالفة لهذا النص ، وذلك بسبب انكار الاطراف المعنية لمبادئ اخرى وردت في مثل هذا النص . اعتقد انه في زمن السلم ممكن جداً ومباشرة وبشكل صريح وبدون أي تكتم ممارسة اجراءات تمييزية لاسباب تتعلق بالامن او لاسباب تتعلق بالسياسة الاستراتيجية .

برهان الدجاني : المايزة في المعاملة مبدأ مفهوم دولياً ودرجة المايزة التي يمكن ان تكون عليها . ففي التجارة الدولية نعرف ان جميع انواع التعامل التجاري بين الدولة الاكثر رعاية نوع من المايزة على الدول التي ليس لها حالة الاكثر رعاية ، والامفضلية مايزة فوق الاكثر رعاية ، ومنطقية التجارة الحرة مايزة فوق الامفضلية ، والوحدة الجبركية مايزة فوق منطقة التجارة الحرة وهكذا .

د. منذر عنبناوي : هذه المايزة مع . . ونحن نتكلم عن المايزة ضد . .

برهان الدجاني : هذا صار تقريباً لغوياً . . لان كل مايزة مع هي في الوقت ذاته مايزة ضد . ليس هناك شيء اسمه مع بدون ضد .

د. منذر عنبناوي : لا . . ليس شرطاً .

برهان الدجاني : لا هي مايزة ضد شرط ، ولكن ضد بالتحديد ولا ضد ليس بالتحديد .

هانى الهندي : اعتقد ان في المواثيق الدولية نصوصاً تشير الى الدول المعتدية . ففي ميثاق عصبة الامم اشارات من هذا النوع . ولقد طبقت عقوبات اقتصادية في الثلاثينات ضد اليابان وايطاليا ، وفي ميثاق الامم المتحدة نصوص مماثلة او قريبة . وقد طبقت عقوبات ضد جنوب افريقيا وروديسيا رغم عدم وجود حالة حرب مع هاتين الدولتين . وكانت المقاطعة احدى هذه العقوبات .

د. منذر عنبناوي : هنا المقاطعة يهتلها مجلس الامن بصفتها صاحب صلاحية بموجب الميثاق لاتخاذ

دوائر المقاطعة تضع هذه الأجهزة أمام أمر واتع بأخذها قرارات معينة ، ونظرا لان المقاطعة اتخذت صبغة وطنية فقد كانت الأجهزة المعنية الأخرى في الدول العربية تجد صعوبة في رفض تلك القرارات . ونحن نعرف أمثلة كثيرة في دول عربية متعددة كانت قرارات المؤتمر نصف السنوي لضباط المقاطعة تعلق أو يؤجل التصويت عليها لان هذه القرارات لا تصبح نافذة الا عندمسا تصدق عليها كل دولة بوسائلها التشريعية والادارية فكانت تمضي احيانا شهور عديدة وأحيانا سنين قبل ان تقرر دولة معينة انها ستطبق القرار رقم كذا وقرار رقم كذا . . . لقد كان من الصعب رفض قرارات المقاطعة ، نظرا لحساسيتها الخاصة . ولم يكن تطبيق القرارات المختلفة يتزامن مع اوقات قرارات مؤتمرات المقاطعة دائما . . من هنا نحس انه كان هناك نوع من عدم اليسر في تقبل قرارات المقاطعة في البداية، ولكن نشأ مع مرور الزمن وضع اصبحت الدول العربية كلها تنتقل هذه القرارات تقريبا بدون سؤال واذا كان هناك تساؤل او تردد فكان ذلك يجري من خلال المؤتمر الاقليمي . . لكن ما أن تأخذ هذه القرارات مجراها الطبيعي حتى تنتقلها الدول . . فالمؤتمرات الاقليمية طورت عدة مفاهيم بحيث انتقلت بالمقاطعة من كونها ضد اسرائيل الى كونها ضد الدول والمنشآت القائمة في دول مختلفة والتي تساند اسرائيل . نقطة الانتقال كانت حين حاولت اسرائيل ان تتجاوز المقاطعة بانشاء شركات في الخارج . . فكان ان وجدت اسرائيل او المؤسسات الصهيونية الى اقامة مصانع لها في قبرص او تركيا ، وعليه فبدلا من ان تبيعنا اسرائيل انتاجها مباشرة (الشوكولاته وغيرها مثلا) تقوم بتصدير منتجات تلك المصانع الى البلاد العربية . . من هنا نشأ مفهوم جديد هو مفهوم متابعة ملكية تلك المؤسسات وجنسياتها الحقيقية بقطع النظر عن مكان التواجد . ثم بدأ الربط ما بين الملكية في اسرائيل والملكية الصهيونية . هناك صهيونيون يمتلكون وليس اسرائيليين ويمكن ان يكون الشخص المالك اسرائيليا وامريكيا في الوقت ذاته . ويمكن اذا ان يمتلك وهو في اميركا لكن هو في الحقيقة اسرائيلي ولحساب اسرائيل اما بترتيب شكلي او لانه يحمل جنسيتين . . وهذا استتبع اتخاذ اجراءات تتعلق بين يتعاطف مع اسرائيل سواء

هو الجوف الذي شعرت به هذه الدول من تطور النظام الاقتصادي الصهيوني او الاسرائيلي مما أصبح معروفا فيما بعد لانه كان يتطور في اذهان الامة العربية خلال فترة الحرب العالمية الثانية بأن الوجود الصهيوني في فلسطين هو نوع من انواع الاستعمار الذي يستهدف اهدانا اقتصادية . وكانت الصورة في ذهن العربي ان اسرائيل تريد ان تقوم بدور المركز الصناعي لمنطقة متخلفة اي انه كان هناك سعي دولي لاستيقاظ العرب يعمدون على الزراعة فقط بينما تصبح اسرائيل المركز الصناعي في المنطقة العربية وايجاد مبادلة بين الدول العربية واسرائيل على هذا الاساس . وهناك تصريحات من الاسرائيليين والصهاينة وبعض مؤيديها من الدول الاجنبية تدعم هذه النظرية ، فالدول العربية كانت طموحة الى دخول مرحلة التصنيع وخشيت ان تقوم اسرائيل بمرحلة هذا الطموح الصناعي وتعطيله وكانت هناك تجارب كثيرة نقل على ان الدول الصناعية تحب ان تعزل التطور الصناعي للدول العربية فعلا ومن مظاهر ذلك تأخير كبرية خزان اسوان وكذلك مقاومة الانكليز لنمو الصناعات في مصر وخاصة صناعة النسيج ، وهناك امثلة كثيرة على هذا الاتجاه ، لذلك كان لدى الحكام العرب اعتقاد جازم ان هناك مخططا عاما او تصورا وتفكيرا عاما لدى تلك الدول الصناعية في تلك الايام في عدم فتح باب الصناعة للدول العربية وان يترك هذا المجال لاسرائيل فقط . طبعاً هذا معناه ان اسرائيل لكونها صناعية ستكون أقوى ، لان القوة والصناعة مترابطتان فكانت فكرة المقاطعة حماية (نوع من الحماية) للحيلولة دون منع التقدم الصناعي للبلاد العربية . وعلى هذا فقد نشأت المقاطعة العربية ولم تجد تخلفا او تردداً أو تلكوا من الدول العربية اطلاقاً لانها في ذهن قيادات تلك الدول كانت تسم مصالحها المباشرة بقدر ما كانت تم القضية الفلسطينية . بل لعل ذلك كان يمس تلك المصالح العربية اكثر من كونها جزءاً من القضية الفلسطينية . لكن عندما نشأ جهاز خاص بالمقاطعة بدأ هذا الجهاز يتطور المقاطعة على اساس تجريدي انتقائي وبدون التشاور الكافي ، ربما في كثير من الاحيان وليس دائما ، مع الأجهزة الامنية في البلاد العربية او الأجهزة السياسية . وفي كثير من الاحيان كانت

التسلسل في المقاطعة متطورا .. التسلسل الذي ذكرته اي تسلسل قانوني اقتصادي تبع الخطوات الاقتصادية في الاساس . من هو الاسرائيلي من هو المتعاطف مع اسرائيل في اية شركة . موجود ومؤثراته كلها كانت مؤشرات قانونية . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية لم يحصل حتى سنة ١٩٧٣ اي ربط استراتيجي ولم يدخل المفهوم الاستراتيجي في المقاطعة حتى سنة ١٩٧٣ كانت في السابق مجرد محاولة نظرية ابرزها واضخمها كانت تلك التي جرت في ٦٤ - ١٩٦٥ ضد المانيا الغربية والتي تزعمها الرئيس جمال عبد الناصر وطلب يومها ان تستخدم المقاطعة كوسيلة للضغط على المانيا .. اي المقاطعة ضد دولة لمساندها لاسرائيل . لقد جرب ان يدخل هذا المبدأ ، ولكن الدول العربية لم تسانده في هذا الموضوع . تبنت المقاطعة السياسية او الدبلوماسية ولكنها لم تقبل بتطبيق المقاطعة على دولة ساندت اسرائيل مساندة علنية جاهرة بتزويدها بالسلاح . والسبب كان واضحا جدا وهو ان هذه قضية اختبار وتجربة .. فلو نجحت المقاطعة بهذا الشكل ضد المانيا الغربية لكان واجبا تطبيقها على امريكا مثلا . لقد باتت معروفا ان المانيا الغربية اخذت تعهدا من امريكا انها ستلقى مساندة كاملة من امريكا لتحطيم هذه الفكرة وتقال المسؤولون الالمان صراحة وقتها اننا تمنا بهذه العملية بناء على طلب امريكا وقد اكدت الولايات المتحدة ذلك واعلنت انها ستقدم موقف المانيا الغربية . ومن ناحية ثانية كانت الدول العربية تخشى ان تواجه موقفا تضطر فيه ان تواجه امريكا ... حتى ذلك الحين لم تكن عندها الثقة والقدرة على انها تستطيع ان تتدخل في اي نوع من انواع المواجهة . ولقد كانت المرة الاولى التي طبقت فيها المقاطعة كسلاح استراتيجي وليس ضد اسرائيل وانما ضد دول تساندت اسرائيل باستخدام سلخ استراتيجي ذات تأثير حاسم على هذه الدول كان ذلك في سنة ١٩٧٣ بعد حرب تشرين من خلال ما تسميه المبراة الاستراتيجية من استخدام النفط ولكن ؛ لاسباب واضحة ؛ لم تمض الدول العربية في هذا الشوط الى نهايته . انما المهم انه حصل تحول حاسم بالنسبة لمبدأ المقاطعة سنة ١٩٧٣ ولو انه كان قصيرا الايد لكنه تحول حازم . واعتقد ان هذا التحول كامتائية نظرية

كانوا يحملون جنسية اسرائيلية او غيرها ثم حصل توسيع لنطاق هذه العلاقة والتعاطف بحيث انسه وضعت مؤشرات مختلفة لذلك لتحديد من يتعاطف مع اسرائيل . لقد اصبح هناك الصهيوني لكن ليس بالضرورة ان يكون يهوديا فقد يكون غير يهودي ولكنه يشتري سندات من اسرائيل ويتقدم تبرعات لاسرائيل ، ويزودها بامكانيات سياسية ، او بامكانيات عسكرية وهؤلاء نجدهم في مختلف بلاد العالم . وهذا جعل مكاتب المقاطعة تتوسع في تعريف من هو المتعاطف مع اسرائيل . فدخل في التعريف ذلك الذي يفتح العديد من المشاريع او يفتح نوعا معينا من الاعمال في اسرائيل بقطع النظر عن جنسيته وعن انتبائه السخ .. فنشأ نطاق واسع من التعريفات والمؤشرات التي يلجأ اليها . ويقدر ما كان يتوسع بقدر ما كان يشمل منشآت اكثر وفي بلاد اكثر واقتوى . وقد حصلت حوادث اختبار لشركات ذات قوة عالية ذهبت الى اسرائيل وتبعها لهذه المؤشرات فرضت عليها المقاطعة ، وتبين ان على هذه الشركات ان توازن ما بين مصالحها العربية وبين تواجدتها في اسرائيل . وبدا يظهر ان هذه الشركات ليست مستعدة بالذهاب بمصالحها مع اسرائيل الى اخر الشوط وانه عند نقطة معينة تنسحب . وقد حصل هذا بالنسبة لشركات عالمية مثل (رينو) و (فيليبس) . وغيرها وهذا اعطى لمكاتب المقاطعة تشجيعا على ان المبدأ سليم وقابل للتطبيق من ناحية . ومن ناحية ثانية فان المقاطعة لم تصادف معارضة جدية في البلاد التي طبقت عليها وعلى منشآتها قانون المقاطعة لان هذه البلاد شعرت بانها ليست متضررة من هذه المقاطعة . وفي الحقيقة كانت هذه الدول موزعة دائما ما بين تعاطفها السياسي مع اسرائيل وبين مصالحها الاقتصادية مع الدول العربية . ووجدت في النتيجة ان التعاطف السياسي يتطلب منها ان تقوم كذلك بدعم الموقف الاسرائيلي في المقاطعة . لكن في الحقيقة لم تكن غير مرتاحة او منزوعة من المقاطعة لا بل لدينا امثلة كثيرة من ممثلي دول ومنشآت وشركات وبنوك وغيرهم الذين كانوا يصرحون لمكاتب المقاطعة بعد ان انفرتهم بوجوب وقف التعامل مع اسرائيل ويقولون دائما انهم مرتاحون لقطع علاقاتهم مع اسرائيل . وهذا ايضا اعطى المقاطعة تشجيعا اخر ... لقد صار

بل أن كل ضغوطهم على شركة تويوتا اليابانية لم تنجح — كما هو معروف — في تحقيق ما أرادوه ، إذ بقيت هذه الشركة وغيرها ترفض مخالفة مبادئ المقاطعة . ونظم الصهاينة حملة عالمية واسمعة هددوا بمقاطعة (تويوتا) في الولايات المتحدة وضغطوا على موزعي الشركة في أميركا ولكن الحملة لم تثمر إذ ردت الشركة بشعنين موزعين خاصين بها . كذلك هناك شركة داتسون التي وصلت المفاوضات معها إلى مرحلة عقد الاتفاق على إنشاء مصانع تجميع لسيارات داتسون في إسرائيل . لكن الموضوع توقف بعد اشتداد الضغط العربي ، ولعبت الحكومة اليابانية دورا هاما في ذلك ، إذ أن اليابان كانت ولا تزال حريصة على عدم تحدي أنظمة المقاطعة ولقد ثبت أنه ليس هناك أية دولة في العالم لها مصلحة أن تقف مع إسرائيل لتتحدي المقاطعة . وهذا يحز كثيرا في نفوس الاسرائيليين .

ونأتي الآن إلى الثغرات . . . اعتقد أنه يجب أن نفرق بين الأشياء التي لم تدخل إليها المقاطعة ولا تعتبرها ثغرة ، والأشياء التي دخلت إليها المقاطعة ولم تنفذ فيها التهديدات . طبعاً هنالك حوادث لا شك فيها أنها شهدت تحايلاً على المقاطعة العربية وقد تجاهلت الدول العربية ذلك ، أي سبكت عنها . . . على كل لناخذ مثلاً شركة الكوكاكولا . . فقد عدل اسمها ليصبح كيكولا أو كيكوولا ، وكسنت النتيجة أن الشركة أقامت فرعاً يأخذ من العمارة ذاتها ولكن باسم آخر ليتابع إنتاج الكوكاكولا وما زالت شركات الكوكاكولا تجتمع دورياً مع أنها مقاطعة ، لكن الملاحظ أن مثل هذه المؤسسة تمكنت من التحايل بسهولة لأن نوع إنتاجها بسيط فاستطاعت أن تحتال على دوائر المقاطعة وقد استخدم الإعلام الإسرائيلي هذه الحقيقة للتحويل والتقليل من شأن المقاطعة لكن أمثال هذه الشركة ليس كثيراً بالتأكيد وليست أمراً كثيراً الحدوث . فلقد قاطعت الدول العربية شركات كبيرة مثل فورد واليوم لا نجد سيارات هذه الشركة في بلادنا ، ولم تستطع شركة فورد أن تقيم فرعاً لها باسم آخر لتبيع إنتاجها عندنا . لقد واجهتها المقاطعة بموقف حازم . الإنسحاب من إسرائيل أو تقيي الشركة على القائمة السوداء ، وهناك شركات اضطرت أجهزة

أصبح الآن واقعيًا وليس مجرد امر تجريدي وهذا هو عنصر (ولين أقول سلاحاً) مجرد منصر أو نقطة في الجانب العربي .

السؤال الآخر الذي طرح هو هل هناك ثغرات تشكو منها المقاطعة أم أنها تمكنت من التغلب على ما واجهها من مشاكل ومخاطر ؟ استطع ان اقول بوجه عام اني مرتاح بالنسبة لعمل أجهزة المقاطعة والتطور فيها جيد . وكنا دائماً نقول ان المقاطعة هي الاجراء العربي الوحيد الناجح من ناحية امنية . وقد استطاع العرب ان يحافظوا على اجماع بشأنها في مختلف الظروف والتقلبات التي لم يجمع العرب اثناءها على شيء آخر ابداً اطلاقاً . والثغرات لا بد ان توجد ولكن ما من شك كئنان هنالك جهد مقبول لسد الكثير من هذه الثغرات . التعامل المباشر مع إسرائيل اعتقد أنه غير موجود . . . وفي تقديري لا يمكن ان يكون هناك تعامل مباشر . وسوف نأتي قريباً إلى موضوع الجسور المفتوحة لانه بعد ١٩٦٧ فتحت ثغرة ذات نوع خاص ولكن قبل حزيران ١٩٦٧ يمكن ان نقول ان التعامل المباشر مع إسرائيل ومع المؤسسات الاسرائيلية قد زال ولم يعد له وجود . . . اعتقد ان الوهن العربي العام بعد ٦٧ وزوح الهزيمة لا يد وانها وصلت إلى المقاطعة . فقد أصبح هناك شيء من الزوح التشاؤمية كان هناك شيء من التراخي من ناحية ، ومن ناحية ثانية ازداد الجانب الاسرائيلي ثقة وقوة فاصبح زاعباً في ايجاد نوع جديد من التعامل

د . منذر عنبناوي : ترى هل أصبح الجانب الإسرائيلي أقل قدرة على مقاومة الضغوط العربية أو أكثر ؟

برهان الدجاني : اعتقد على وجه العموم أن الصورة لم تختلف ، ذلك أن إسرائيل جربت عدة اختبارات وفشلت فيها وكانت اختباراتنا كبيرة وليست صغيرة ، وبعض منها فشلت فيه مثلاً كبيراً ومن أمثلة ذلك اللورد الصهيوني مدير إحدى شركات التأمين البريطانية في منتصف الستينات واستقالته من عضوية تلك الشركة .

كذلك جرب الصهاينة الضغط على اليابان . فقد سعوا لاستدراج شركة يابانية لتأتي وتقيم مجعماً في إسرائيل ، ولكن مساعيهم فشلت . . لا

العربية التي وصفت مبدأ يقوم على عدم جواز وصول نبط عربي الى اسرائيل اي ان هذا المبدأ الذي وضعته المقاطعة استطاعت الدول العربية بموجبه ان تحدد وتمنع الى حد كبير التعامل بالنفط العربي . وانا اذكر في السنوات التي تلت عام ١٩٤٨ ، او بعد الخمسين بالاجري حين بدأت الناقلين عملها هنا كانت الصحافة تكتب ان هناك ناقلات يلاحظ عليها سرعتها المذهلة في مغادرتها الموانئ العربية وعودتها اليها . وهذا معناه ان هذه الناقلات التي لا يطول غيابها عن (٢٤) ساعة كانت تذهب الى حيفا وتعود الى صيدا ثانية لتنتقل...شحنات جديدة...وتد تكون هناك ثغرات في هذا المجال ولكنها لم تعد هامة ومثل هذه التجاوزات كانت في الماضي اكثر مما هي اليوم وذلك لان الدول العربية أصبحت اليوم بوضع افضل واقدر على متابعة اتجاهات وسير ناقلات النفط . لقد أصبح الآن من الصعب على سفينة ان تتحرك من صيدا الى حيفا . واحتياطاً لذلك سن مكتب المقاطعة مبدأ يمنع بموجبه ناقلات النفط من المرور على مينائي عربي واسرائيلي ، بحيث باتت المقاطعة تلاحق الناقلات التي تبحر بميناء اسرائيلي وتمنعها من الرسو في ميناء عربي . . . والواضح ان هذه الاجراءات ان لم تحقق فعالية كاملة بدرجة مائة بالمائة فانها بلا شك تعطي نتائج كبيرة جدا ، مما اضطر اسرائيل نتيجة لذلك لان تحصل على نفطها من مصادر غير عربية ، من ايران بالدرجة الاولى وبواسطة ناقلات لا يسمح لها بالدخول الى ميناء عربي .

د. منذر عفتباوي : هذا عن موضوع النقل ولكن ..

برهان الدجاني : اسمح لي سائل الى هذه النقطة . . . لقد حاولنا فكراً ، عدد ممن كنا نواهمون بالمقاطعة ويتابعون نشاطاتها ، بان نتقل الى ممارسة ضغط اخر ، في المجال المفكري ، على بلد معين وهو بهذه الحالة البلد المراد او ضغط على الشركات . . . بالنسبة لايران مثلا لم تكن الدول العربية راغبة في ممارسة اي ضغط عليها وكان الموقف السياسي العربي دائماً ويقول المسؤولون العرب اننا غير مرتاحين للموقف الايراني وكنا نعرب لايران بالوسائل الدبلوماسية عن عدم ارتياحنا ولكن لا نستطيع ان نذهب الى ما هو

المقاطعة لاجاد مخرج او نسوية لوضعها بسبب الحاجة الماسة لنتائجها . . . مثلا شركات لمنتجات الكترونية معينة او اجهزة كومبيوتر متقدمة ، فكان ان اضطرت المقاطعة الى شيء من حرية الحركة بالنسبة لادخال بعض المنتجات المشار اليها .

الا ان ذلك لم يزل حد المضايقة او التأثير على عمل المقاطعة . والسبب هو ان السوق العالمي واسع جدا بحيث نستطيع ببساطة ان نتسوق ما نريد من امكان وشركات مختلفة وعديدة . كما اننا لا نزال بعيدين عن مرحلة الحاجة الشديدة لتكنولوجيا متقدمة جدا لن نجدتها الا لدى دولة معينة او شركة معينة ، اي اننا لم نصل بعد الى مرحلة نحتاج فيها الى احداث كومبيوتر يهنا الحصول عليه الان . . . وحين نصل الى مثل هذه المرحلة فلا شك في ان اسرائيل يومها تكون قد خلصت وانتهت ، وذلك لاننا حين نصل الى تلك الدرجة من التقدم التكنولوجي فان هذا يعني ان اسرائيل لم تعد تستطيع ان تنافسنا .

هناك جانب يجب ان يشار اليه بشأن المقاطعة وهو انه قد لا نستطيع اجهزة المقاطعة ان تفرض منعاً شاملاً او تنفيذ حظر كامل ولكنها بالتأكيد استطاعت ان تفرض على الشركات التي تريد التلاعب والتحايل تدابير واجراءات فيها من التعقيد والتعصير بل والتأكيد الكثير . ومجرد الازعاج والتأكيد يسبب ردعا هو في جذراته خطوة لا بأس بها في حال عدم نجاح المنع البليت . ومن هنا يمكن القول ان المقاطعة ناجحة بنسبة عالية جدا .

د. منذر عفتباوي : ما هي الاسباب التي دعت وتدعو الدول العربية لعدم اتخاذ اجراءات فعالة ضد شركات النفط المرتبطة مصالحها في البلاد العربية حتى الان في الاقتصاد الامريكي ومنعها من ايصال النفط الى اسرائيل خاصة وان هناك مجالات استراتيجية هامة تساعد اسرائيل مساعدة ضخمة .

برهان الدجاني : للمرة الثانية يجب ان نميز بين اشياء مختلفة . اولا : من الضروري دراسة ميزان القوى بالنسبة للدول العربية المنتجة للنفط فيما بينها وبين الشركات ولغاية عام ١٩٧٣ ، والدراسة تشير الى ان التحول لصالحنا ظهر بقوة بعد تشرين ١٩٧٣ . . . وهناك ثانيا سياسة الدول

الأوراق التي يمكن أن يتم بشأنها تفاهم عربي - إيراني ... إلا أن الاتجاه الإيراني الحالي هو أن هذه القضية قضية بيع وشراء من ناحية ، ومن ناحية ثانية يبدو أن هناك اتصالات ومساومات تجري حول حقول نفط (أبو رديس) المصرية ، حيث يمكننا أن نقول إن الجانب العربي أو المصري لا يمانع من اقدم إيران على تطمين إسرائيل مقابل انسحابها من حقول النفط المصرية .. بكلام آخر أن هناك مساعي لتحقيق ذلك وهذه خطوة سياسية دبلوماسية لفترة معينة ؟ أي يمكن أن يكون هناك اتفاق لخمس سنين أو عشرة .. وواضح أن مثل هذه الخطوات تعقد عمل المقاطعة وتجعله أصعب ...

يوسف حمدان : في ملاحظة لسؤالك الأخير بخصوص شركات النفط الأمريكية بالذات وهي أن إسرائيل تشكو جدا من شركات النفط الأمريكية وتحدث عنها بعداء وقد وصل الحديث إلى درجة القول أنه يوجد هناك (لوبي) في الكونغرس الأمريكي ، أي أن هناك فريقا مؤثرا في الكونغرس وهذا الفريق هو شركات النفط الأمريكية وهي ذات نفوذ كبير . وقال أحد المراملين الإسرائيليين في واشنطن : لقد ظهر هذا (اللوبي) وهناك خوف أن تظهر مجموعات ضغط أخرى .

هاني الهندي : قسم الآخ برهان عمل المقاطعة إلى مرحلتين دفاعية وهجومية ، فإذا كانت المرحلة الدفاعية بدأت مع بداية المقاطعة في عام ١٩٥١ نمك سنة استمرت ، ومتى بدأت المرحلة الهجومية ؟

برهان الدجاني : بدأت المرحلة الثانية في أوائل الخمسينات أيضا .. كانت بداية المرحلة الهجومية الرد التدريجي البطيء والذي كان يتطور بقدر ما كان الوسط العربي السياسي قادرا على استيعابه . واعتقد أن المقاطعة كانت أكثر تطوراً من باقي المفهومات العربية . كانت في وقت ما من الأشياء المهمة جدا . أنها في وقت ما كانت هي النقطة التي تبلور حولها الضمور الوطني تجاه القضية الفلسطينية بدون اختلافات أخرى . وهذه النقطة ايجابية للمقاطعة قلنا نحسبها ونشير إليها ، والدليل على ذلك أن كثيرا من الحركات نشأت حول مفهوم المقاطعة . قضية فلسطين غلفت في فترة ما بأسبها حين غلف الشعب الفلسطيني كله ونزل

أبعد من هذا الأعراب . وكانت إيران تجيب العرب بأنها لا تباع النفط لإسرائيل بالذات ، بل أن هذه السلعة تباعها لأي مشتر . وبالنسبة للشركات البترولية فقد حاولت دوائر المقاطعة أن تعاملها بنفس الأساليب التي عاملت بها الشركات الأخرى المخالفة ، أي تمنع التعامل مع الشركات التي لها مصالح في البلاد العربية وتعامل مع إسرائيل ... ولكن الواقع الحقيقي أظهر أن الشركات البترولية نظمت أمورها وعلاقاتها بحيث تجنبت الشركات ذات المصالح الكبيرة في بلادنا كل تجاوز أو إخلال بمبادئ المقاطعة وأصبح للشركات البترولية الصغيرة - المستقلة - والتي تشترك بنسبة صغيرة في الكونسورتيوم الإيراني دور أساسي في نقل البترول الإيراني إلى إسرائيل . وكان ترتيب هذه العملية شكليا ، أي إجراء عملية تسجيل وتقيود دفترية لصالح هذه الشركات الصغيرة وإبقاء الشركات الكبيرة بعيدة عن مجال المخالفات للمقاطعة . وعلى هذا الأساس فإن ما ظهره دوائر الشركات وتبوءها هو أن البترول الإيراني ينقل إلى إسرائيل بواسطة شركة أمريكية صغيرة تملك في الكونسورتيوم الإيراني حصة من الأسهم لا تتعدى ٢٠٪ ، بينما تملك الشركات الكبيرة « كالبترول البريطانية » B. P. التي تملك ٤٠٪ (أربعين في المائة) وستاندارد أويل أوف نيو جرزي وكاليفورنيا وتكساس وغيرها بعيدة عن التعامل المباشر مع إسرائيل وتحصلت الشركات الصغيرة هذه المسؤولية أمام العرب وتمثلت بالمقاطعة .. هذه هي المفذلة التي لجأت إليها شركات البترول في الاستدارة حول الموضوع ، ولم تقم هذه الشركات بتأمين بيع النفط الإيراني فقط ، بل لعبت هذه الشركات دورا هاما في بناء الاقتصاد الإيراني وتطويره وربتت إيران مشاريع انمائية واتمامت لها ارتباطات هامة ... أما اليوم فإن هلاطات هذه الشركات مع البلاد العربية قد تطورت ودخلتها تعديلات هامة وسبب ذلك هو أن ميزان القوى بين الدول العربية والشركات قد تغير وتعديل لصالح العرب ... فهل نستطيع على ضوء هذه التخيرات أن نمضي خطوة أخرى إلى الأمام بحيث نمسى - مثلا - إلى اقتناع إيران لتفرض حظرا بتروليا على إسرائيل ؟ نظريا يبدو هذا غير مستبعد ، أي قد يكون ممكنا أن تكون هذه المسألة هي إحدى

المالية الضخمة التي لم تتوجه الى اسرائيل خوفاً من المقاطعة . واصبحت هذه المسألة بعد عام ١٩٧٢ اكثر اهمية وخطورة ، اذ كان متوقعا ، من الناحية النظرية على الاقل ، ان تنجح بعض هذه الاموال للسوق المالية الاسرائيلية بشكل قروض أو ايداعات مصرفية . . . ومن ناحية ثانية نستطيع ان نتخيل ، في حالة عدم وجود المقاطعة ، قدوم بعض الخبرات الفنية الاسرائيلية الى بلادنا، وان يكن هذا الجانب - برأيي - زهيدا او لا يكاد يذكر . . . الا ان اهم اثر للمقاطعة هو الذي اشار اليه الاخ برهان وهو ردع الشركات الكبرى من تجارية وصناعية عن فتح فروع وشركات فرعية للتجميع في اسرائيل لخوفها من فرض الحظر عليها في الاسواق العربية . . . وهناك نواح اخرى تضررت بها اسرائيل ولكن كل هذه الامور بقيت ضمن قدرات الاقتصاد الاسرائيلي على استيعابها وان تكن كلفتها تصل الى عشرات الملايين من الدولارات سنويا ، وذلك لان هذا الاقتصاد بحجمه الكبير أبقى هذه الكلفة الإضافية بنسبة كبيرة ، صغيرة نسبة للطاقة الانتاجية الضخمة ، وفي حساب اكلاف المدخلات في الانتاج الاسرائيلي . . . لذلك فاني اشعر ان للمقاطعة تأثيرا محسوسا ولكنه محدود ، وانما الاثر الاكبر هو سياسي ونفسي .

د منذر عنتاوي : ترى هل نستطيع تقدير اثر المساعدات الاقتصادية الاميركية لاسرائيل في الحد من آثار المقاطعة العربية ؟

برهان الدجاني : قبل ان اجيب على سؤال الدكتور منذر احب ان اعلق على التقديرات في المقاطعة ، وطبعاً فان البتيل الذي تقدم به الدكتور صايع يبين فعلاً جانباً كبيراً من الواقع بالنسبة لتأثير المقاطعة وان كان في رأيي لا يظهر الصورة بأكملها يعني في مختلف الظروف . . . فقد قال ان تأثير المقاطعة كان محدوداً وهذا صحيح . لكن لماذا كان محدوداً وهذا في الحقيقة هو السؤال الذي اثاره بشكل ما الاخ منذر . اريد ان اتول انه قبل ان نبحث ما اذا كان تأثير المقاطعة في السابق محدوداً او غير محدود ، فلننتقل على كيفية قياس تأثير المقاطعة وما هو الاسلوب الذي يمكن ان نتجه في قياس تأثيراتها ، ثم يمكن ان نطبق ذلك سنة بعد سنة ، لنرى بعدئذ هل

الى ادى الارض . غلفت موضوع المقاطعة مثلاً الحركة التي كان يتزعمها في لبنان سعيد تقي الدين باسم « كل مواطن خفير » وكانت موجودة في لبنان وفي سوريا ، ويمكن ان يكون هناك غيرها . والمهم ان هذا الخفير الذي اهتم بالمقاطعة انما كان همه بمسألة فلسطين وهي محور اهتمامه . ان عمل هذه اللجنة وغيرها انما كان نوعاً من العمل الشعبي لفلسطين وفي الفترة الاخيرة كنت اراجع تاريخ المؤسسة التي اعمل معها حالياً ، فلاحظت انه في السنوات الاولى من وجود هذه المؤسسة ، وفي الفترة التحضيرية لها كان أهم ما يشغل بال العاملين فيها هو المقاطعة واحكام المقاطعة والضغط في سبيل المقاطعة ، وفعلاً عملنا في تلك الفترة بصلة وثيقة جداً مع اجهزة المقاطعة وما خفت هذه الصلة الا بعد ان كان اطمئناننا تاماً ومائة بالمائة الى ان اجهزة المقاطعة لستفلت احسن ولم يكن هناك حاجة لضغط منا ، بل لقد وجدنا ان اجهزة المقاطعة كانت تضغط على البلاد العربية بقدر كاف لتنفيذ مهام المقاطعة . وكان هذا هو المطلوب من اجهزة المقاطعة .

د . يوسف صايع : الحقيقة اني اشعر ان الاخ برهان ادري مني في اصول المقاطعة ضد اسرائيل لكن تصوري مع عدم وجود ارقام محددة لدي او دراسة ، لكن يبدو لي ان قبل سنة ١٩٧٢ كان اثر المقاطعة الاقتصادي على اسرائيل محدوداً وان يكن اثر التأكيد اكبر . لكن رغم محدودية الاثر الاقتصادي يمكن ان نشير الى عدة نواح مثلاً : ارتفعت اسعار عدد من عناصر الانتاج ومنها الطاقة فقد كانت امراييل تضطر لان تستوردها من امكان ابعدها مما كان بإمكانها ان تشتريها لو لم تكن هناك مقاطعة اذ كان يوسعها ان تشتريها من بعض البلاد العربية . . . وهنالك مسألة المحاصيل الزراعية وحاجة اسرائيل اليها وامكانية الحصول عليها من البلاد العربية . . . لقد كان من تأثيرات المقاطعة انها اثرت على السوق الاسرائيلية فجعلتها اصغر مما اضطر اسرائيل ان تعتمد على اسواق بعيدة عنها وليس اسواق منطقتنا بسبب المقاطعة . وهذا بالتالي رفع الكلاف النقل وجعلها تضطر لمناسبة اشد هنا مع منتجين آخرين وبالتالي اضطرها ان تعطي منحاً ومساعدات انتاجية تقديرية كثيرة . . . وهناك مسألة الموارد

وبدأت المقاطعة تحدث تأثيرا ما ؟ وهل هذا التأثير في ازدياد او نقصان ؟ وفي رأبي ان الدكتور صايغ اشار الى مؤشرين من المؤشرات . الاول هو غلاء كلفة الانتاج بالنسبة لاسرائيل نتيجة حرمانها من الموارد الارخص التي يمكن ان تتواجد في البلاد العربية وبالاخص في بلاد النفط وطبعاً هناك مواد اخرى ولكن النفط يبقى اهم مادة لهم اسرائيل . واقع الغلاء هذا صحيح وقد اثر هذا الحرمان بالذات في تركيب كلف الانتاج بالنسبة لاسرائيل . وإن كان من الصعب علينا ان نحدده . لكن بكل تأكيد كان له تأثير يضاف الى ذلك تأثيرات اخرى ... أوضاع العمال في اسرائيل وحجم الكلفة المالية . والاضطرار الصهيوني لأن يوجد مستوى معين يشكل جاذبا لاسرائيل والى تشجيع اليهود من انحاء العالم ليهاجروا اليها ، واذا هبطت مستويات المعيشة الى هذا المستوى فلا تعود هناك قدرة على الجذب فعده كلها اعتبارات اخرى دخلت في تراكيب الكلفة . واطن ان الدكتور صايغ هو الذي درس في الانتزاع الاسرائيلي معناه حيث وجد أن الكلفة تعتبر مرتفعة جدا ، وبالتالي فان قدرة اسرائيل على المزاومة تصبح محدودة ... كذلك فان المقاطعة خلقت متاعب كثيرة للتجارة الخارجية الاسرائيلية لاننا فرضنا عليهم ان يذهبوا الى اسواق ابعد ، وبالتالي اضطروا ان يدعموا نفقات اضافية ليستطيعوا ايجاد منتجاتهم اليها والسعي لدخولها ، وهذه الاسواق الابعد هسي عادة اسواق تقليدية لدول اخرى ... وهناك مشكلة اخرى واجهتها اسرائيل هي حاجز انساني بني مع الوقت انه حاجز ضخم والمقصود هنا افريقياً حيث كنا نركز دائما على التقليل الاسرائيلي في هذه القارة ، ولم تكن نلاحظ كثيرا هذا الحاجز الانساني بين الاسرائيلي المتعصب والغنصري ذي البشرة البيضاء ، وبين الافريقي الاسود ... ولقد اوجد هذا الوضع صعوبات اخرى امام اسرائيل . والشيء الثاني الذي يمكن ان نضيفه هو تأثير المقاطعة على اسرائيل وحجمه . وهل كان هذا التأثير آتيا او مستقبليا ... ان هذا يتطلب دراسة تركيبة الاستثمارات الاسرائيلية ، وهنا نلاحظ ان كثيرا من هذه الاستثمارات عبارة عن تحركات مالية مترابطة بدول تحابي اسرائيل

وتخدم مصالحها ، فالاستثمار في اسرائيل لا يقوم على اعتبارات المؤشرات الخاصة بالاستثمار العادي ، من حيث اهتمامه بالربح فقط ، بل انها تأخذ شكل تبرعات وامانات غير خاضعة للضرائب او اموالا تريد التهرب من الضرائب في امريكا .. وهي مقدمة لاسرائيل لخدمة اقتصادها وتقويته كجزء من مهمات الحركة الصهيونية العالمية .. ومن هنا فان تأثير المقاطعة على الاستثمارات بقي محدودا . ولكن نستطيع ان نقول ان المقاطعة في قطاع معين نجحت فسي التأثير على هذه الاستثمارات بدليل ان هناك شركات لم تستطع ان تذهب الى نهاية الشوط في تحدي المقاطعة ومسيرة اسرائيل فاضطرت الى الانسحاب . هناك مؤشر اخر اعتقد يجب الاشارة له لانه مهم جدا والاخ يوسف لم يشر له وهو افادة اسرائيل من الثروة العربية او اجراء الحماية .. يعني الى حد استطعنا ان نحسي انفسنا من اسرائيل . هنا بكل تأكيد ان اسرائيل خسرت الحرب خسارة ضخمة جدا خسرت ليس بمعنى انه كان عندها شيء وفقدته ولكنها خسرت امكانية اجتذاب اسواق وخدمات وبيع خدمات وبيع بضائع على نطاق واسع ... ويكفي ان نشير الى ان تقسما من الثروة العربية التي خرجت من الخليج في السنوات العشرين الماضية مثلا حرت عن طريق لبنان ... لبنان استفاد كثيرا منها بينما لو كانت اسرائيل في وضع طبيعي لكان قسم من هذه الثروة مر عب ن طريقها وكانت هذه الاموال ستأخذ شكل مياحة مثلا او العلاج الطبي او التعليم او على شكل شركات مشتركة او على شكل خدمات اخرى كالملاحة والطيران .. الخ . وهناك نقطة مهمة جدا وهي ان المقاطعة حددت حجم اسرائيل ، وهي لا تستطيع ان تتجاوزة بسهولة . ولا شك ان اسرائيل كانت اكبر من حجمها بكثير لو كانت المقاطعة غير موجودة ... ومع ذلك كانت هذه النقطة اكثر وضوحا لولا صعوبة قياسها وحسابها ، اذ ان هناك جانباً غير منظور بحيث يصعب القول انها خسرت. كذا وفقدت كذا ... والان وصلت المقاطعة الى نقطة زادت فيها مخاوف اسرائيل من ناحية تأثيرها على الاقتصاد ومن ناحية تأثيرها على سياسات الحكومات تجاه الاموال المنسابة الى اسرائيل بالطرق غير المباشرة .. اي اني لا استبعد انه بتأثير المقاطعة ، وبعد فترة من

العلاقات مع ألمانيا الغربية في ٦٤ - ١٩٦٥ ، على أساس اتخاذ موقف شامل ضدها ، كما اشار الاستاذ برهان . وبتقديرى كانت للمقاطعة ازمة اسبق بسبب اتفاقية التعويضات الالمانية في عام ١٩٥٢ . وهناك مسألة الازمة العربية الاميركية بسبب سياسة الولايات المتحدة من القضايا العربية وخاصة فلسطين . وفي اعقاب حرب حزيران قدم المكتب الرئيسي لمقاطعة اسرائيل انهجما مع الخط المذكور اقتراحات بقصد دراستها من قبل الدول العربية لمقاطعة اميركا وبريطانيا والمانيا الغربية لمشاركتها اسرائيل في العدوان . . . ما اريد ان اتوله تحديدا هو ان المقاطعة هي دائما جزء من الموقف السياسي العربي العام ، فحين تكون هناك مقدره وارادة للتصدي لاميركا والسدول المعادية للعرب ويتصلب الموقف العربي من اسرائيل تلاحظ قيام نوع من المجابهة التي تكون المقاطعة جزءا او جانبا هاما من ذلك الموقف العربي المتصلب . . . ان ما وقع في ٦٤ - ١٩٦٥ حين تصدى الرئيس عبد الناصر لمانيا واطلق الدعوة لمقاطعتها انما كانت المسألة كلها جزءا من الصدام العربي الاميركي . . ولم تكن هذه الدعوة لمقاطعة المانيا الا جانبا من صورة التوتر مع اميركا التي قامت حكومة جونسون اثناءها باصدار تشريعات ضد المقاطعة العربية واجهزتها وتصدي عدد من الشيوخ الاميركيين لحماية الشركات الاميركية التي قاطعها العرب . . . والمسؤال الهام الذي اريد طرحه هو ما هي - بتقديرى - المشاكل والعقبات التي وفتت في طريق خط نمو وتصاعد المقاطعة مع العلم انك اكدت ان المقاطعة كانت من اكثر الاجهزة العربية فعالية ؟

برهان الدجاني : لناخذ المواضيع واحدا واحدا .
اولا هل نشأت ثغرات المقاطعة اثناء تطبيقها وما هو حجم هذه الثغرات ؟ ثانيا لماذا لم يمكن توسيع نطاق المقاطعة كسلاح استراتيجي وهل يمكننا مستقبلا توسيع اثره ؟

في الواقع ان اهم ثغرة تعرضت لها المقاطعة كانت وليدة احتلال ١٩٦٧ حيث اصبح لاول مرة حوالي مليون عربي اضافي تحت سيطرة اسرائيل غير الذين كانوا في السابق تحت حكمها منذ ١٩٤٨ . . . هذا الاحتلال انشأ وضعا جديدا بالنسبة لاسرائيل وللدول العربية . . وقد فرض هذا الوضع

الفترة ، ان تضطر اميركا او جهاز القضاء الاميركي لان ينظر في اوضاع الاموال المسافرة الى اسرائيل التي لا تزال الصهيونية العالمية تادرة حتى الان على حمايتها من الاعين ومن التحقيق . . . ويمكن ان يرى الانسان نوع التحقيقات التي تحصل ونوع التحقيقات التي لم تحصل حول المؤسسات والاموال الصهيونية . . وعلى اي حال فقد قسام فولبرايت في اواخر الخمسينات باجراء تحقيق واسع حول النشاط الصهيوني ككشف امورا غريبة كثيرة . . .

يوسف حمدان : الحقيقة هنا في قضية رفعتها في اميركا منظمة الخريجين الاميركيين العرب تيل سنطين تقريبا واخذت سنتين امام قاض واحد حتى انه اتخذ قرارا جديدا بعدم الصلاحية . . . ولكن الذي همته ايضا ان القضية فشلت كما يبدو .

برهان الدجاني : ان فشل القضية لا يعني ان قضايا مماثلة ستبقى ناشلة ، ذلك ان ما يقرر مثل هذه الامور هو ميزان القوى داخل المجتمع الاميركي . وليس هناك شيء اسمه قانون وكفى . . فانت تعرف ان التفسير القانوني يخضع لظروف مجتمعية ، فلما كانت هذه الظروف المجتمعية في اميركا لصالح البيض ١٠٠٪ قالوا ان التمييز امر غير مخالف للدستور ، وهناك احكام صادرة من المحكمة العليا تؤكد ذلك . . ومع الزمن وتغير ميزان القوى المجتمعية في اميركا تقدم الزنوج الى المحكمة العليا وصدرت عنها قرارات لصالحهم ضد التمييز وقالت المحكمة ان التمييز مخالف للدستور والقانون وعليه فان نوعية الاحكام تخضع للتوازنات المجتمعية . . . وعليه يمكن ان نقول انه لو حصل توازن مجتمعي ولنقل انه توازن متكافئ ، اي نشوء نوع من تفتح العين على الصهيونية ، نوع من عدم التقبل الاعمى للصهيونية ، عندها يمكن ان تثار هذه الامور ، اما الان فلا اعتقد ان هناك فرصة لان تنجح في هذه الامور .

هاني الهندي : اود ان اسأل الاستاذ برهان عن رايه في سير المقاطعة خلال السنوات الماضية وعن المشاكل التي واجهتها . بتقديرى كانت الجسور المفتوحة على نهر الاردن احدى تلك المشاكل الكبرى . . . وقبل ذلك واجهت المقاطعة مشكلة عندما اثار الرئيس عبد الناصر مسألة

الظروف ... ومن ناحية ثانية وجد الجانب العربي انه لم يكن راغبا في قطع الصلة مع عرب المناطق المحتلة لاسباب قانونية وقومية وغيرها ، فالاردن كان لا يزال يعتبر الضفة الغربية اردنية وبالتالي ما كان مستعدا ان يأخذ ضدها اجراءات المايزة التي كان يتخذها ضد اسرائيل ، كما وجد الاردن انه مسؤول عن الصيود مما اضطره لان يتوصل الى نوع من التفاهم غير المباشر وغير المكتوب يستطيع بموجبه ان يقوم ببعض التصرفات في الضفة الغربية ومن جعلتها دفع رواتب الموظفين السابطين الذي لا يعرف ما اذا كان هذا الدفع مستمرا حتى الان ... وكان هناك الجانب القومي والرغبة في عدم قطع الصلة والتفاعل مع عرب المناطق المحتلة فبقيت مبادئ التعامل مفتوحة ...

د. منذر عنتاوي : تقول انه قوميا كانت هناك رغبة في عدم ترك اولئك العرب في أيدي الصهاينة وخدمهم وضمن الحصار المضروب مع اسرائيل . فهل يعني هذا ان الموضوع بحث - على حد علمك - على مستوى عربي رسمي قومي وجرى الوصول الى قناعة بهذا الخصوص ؟

برهان الدجاني : يستطيع الواحد ان يكون متاكدا ان مجرد عدم اثاره الدول العربية لموضوع الجسور المفتوحة في اجتماعات الجامعة العربية يعني انها قبلت هذا الوضع على مضمض ، فقبلته كضرورة وليس كشيء مقبول . وشيء آخر استطيع ان اقول انه في فترات كانت تأتي دعوة من جهة ما ، مكتب مقاطعة او دولة عربية معينة مطالبة بسد هذه الثغرات . وكانت نتيجة الطلب هذا ان يبحث الموضوع بشكل جدي وما من مرة اخذت الدول العربية قرارا حاسما او اظهرت ميلا لاخذ قرار حاسم باغلاق هذه الجسور ، مما يدل على انه في موازنة من الحاسن والمساوي . كانت قناعة الدول العربية ان الحاسن ربما تزيد على المساوي مما أجاز لها وللاردن انها تسمح بوجود هذه الثغرة . وسؤال مهم الحقيقة انه ما هو حجم التبادل الجاري من خلال هذه الثغرة . لنا لا اعرف ولا استطيع ان اكون متاكدا . ان قسما من البضائع الاسرائيلية يمر منها ، لكن ايضا ما هي نسبة هذا القسم ، الى مجموع الحجم ... ان هذا كله غير معروف عندي وليس عندي تخمين على نسبة التسرب الاسرائيلي من خلال هذه الثغرة .

الجديد تحركات مختلفة من قبل الجانبين ... قبل عام ١٩٦٧ كانت في اسرائيل اقلية عربية تضاعف عددها تقريبا بحيث وصل الان اكثر من (٤٠٠) الف عربي . ولقد تمسكت هذه الاقلية بعروبتها وصمدت ببطولة وظهرت مقاومتها بأشكال مختلفة ، وكان ان برز مثلا الادب المقاوم الذي نعيش عليه الان وعلى ما فيه من غن وابداع ... المهم ان هذه الفئة العربية الصامدة لم تجد غضاضة في ان يقام السور والحصار عليها باعتبارها ضمن اسرائيل ، وكذلك لم تجد الدول العربية غضاضة في هذا الامر . وتم نكن ن فكر ابدا بان علينا ان نفتح في السور ثغرة من اجل محمود درويش او سميح القاسم او غيرها نخرجوا من اسرائيل الى البلاد العربية ثم يعودوا ... فلقد كان هؤلاء راضين بهذه العزلة وكانت الدول العربية راضية ، لان حجم الاقلية العربية كان يجيز هذه المعاملة . ولكن حين صار الحجم بحدود المليون عربي في مدنهم الكاملة وفي قراهم الكاملة ومؤسساتهم ووجودهم السكاني والمعنوي .. السى اخره ... الذي لم يتقلع ، وعدم اقتناعه انشا وضعا مختلفا ... وشخصيا لا اعرف حتى الان لماذا لم تجل اسرائيل بعد انتصارها في ١٩٦٧ العرب من المناطق التي احتلتها ... اقول هذا لان من المعروف ان اسرائيل ، وفي مناسبات متعددة وصلت الى كتاب قوانين او ادنى من تنفيذ هذه السياسة ... مثلا جاءت فترة قررت فيها ان تجلي كل سكان غزة واعلنت اسرائيل هذا كقرار ، وبدأت تعد العدة لنقل سكان القطاع الى منطقة الجسور حتى يعبروا نهر الاردن او ليتوزعوا في الضفة الغربية .. اي ان اسرائيل وصلت في وقت معين الى مرحلة البدء في تفريغ نصف مليون عربي من غزة ، وكان هذا هدفا معلنا ، ولكن لسبب ما لم تجرئ اسرائيل على تطبيق هذا القرار ... وكذلك علينا ان نذكر ايام حرب حزيران خروج (٤٥٠) الف عربي الى الضفة الشرقية ، حسب ما تشير الاحصاءات الاردنية ... ولكن هذا الضغط المباشر لم يستمر لضرورات أمنية ولاسباب مختلفة فضلت اسرائيل ان تستثمر هذا الوجود العربي بالإغراء المادي ، بعد ان وجدت ان بقاء العرب تحت سيطرتها يتطلب استرضاءهم بشكل مادي او بأي شكل اخر ... فكان ان استخدمت الالف العمال العرب نتيجة لهذه

هما جدا في بناء الاقتصاد الاسرائيلي . . وهم لا يعملون في الاراضي التي يقيمون عليها ولكنهم يشتغلون في بناء الاقتصاد الاسرائيلي في الداخل . وهناك اكثر من (٦٠) الف عامل عربي من غزة والضفة الغربية يعملون داخل اسرائيل . . ان الزراعة في المناطق المحتلة لا يجري تطويرها لصالح سكان هذه المناطق ، ولكن التطوير يتم بالشكل والاسلوب اللذين يجعلان هذه الاراضي متكاملة مع متطلبات الاقتصاد الاسرائيلي ولخدمته . . . وهناك ملاحظة اخرى وهي انه في حال ظهور ركود اقتصادي في اسرائيل الذي يؤدي لازدياد البطالة نجد ان اول من يتأثر بذلك هم العمال العرب . . . وفي فترة الانكماش الاقتصادي قبل حرب حزيران وجدنا ان العمال العرب كانوا اول من طرد من العمل ، وصاروا يعانون من مشكلة البطالة لغاية ١٩٦٧ . . .

برهان الدجاني : أود ان اسبح لنفسي ان اتول كلمتين ثم سأقول كل ما عندي بعد ذلك . . . لكن واضحين فلقد سمحت اسرائيل بوجود جسرين ، الاول جسر مادي والثاني معنوي .

الاول هو القائم على نهر الاردن والذي نتكلم عنه ، وغيره ينتقل الامداد والبضائع من المناطق المحتلة الى الاردن ومن ثم الى البلاد العربية وبالعكس ايضا . . . وما يجب تقيمه هو هل تساعد الجسور على الصمود او انها تؤثر سلبا عليه ؟ لقد كان لدى الاسرائيليين دائما مخطط اجلائي ، وحين اتول لا اعرف لماذا لم ينفذوه لا اتمد انه غير موجود . . . لكن للسؤال هو لماذا لم ينفذ الاسرائيليون هذا المخطط ؟

يوسف حمدان : لو كانت الحرب اطول من خمسة ايام كان يحتمل ان ينفذ . . .

برهان الدجاني : في فترة ما بين حزيران ١٩٦٧ الى تشرين ١٩٧٣ والى الان لا تبدو الاسباب واضحة . . ولكنهم في الجولان بدت الامور واضحة اذ نفذوا مخططهم وبنفس الاسباب التي استخدموها في عام ١٩٤٨ .

يوسف حمدان : يمكن ان تكون كثافة السكان في الضفة والتطاع . . . الكثافة من ناحية وتعلم الناس من تجربة ١٩٤٨ واصرارهم على البقاء من ناحية ثانية . . قد يكون ذلك لعب دورا في هدم

هاني الهندي : حول هذا الموضوع هناك دراسة لعادل الحيايري تضع رقم (١٦) مليون دينار هو مبلغ ما توفره اسرائيل سنويا من العملة الصعبة من خلال ما تستورده عبر الضفة الشرقية . . .

د. يوسف صايغ : اخشى ان يكون هذا الرقم كبيرا . . .

يوسف حمدان : قلت انه ليس واضحا لك لماذا لم تطرد اسرائيل العرب من مناطق الاحتلال في عام ١٩٦٧ . . . ونظرا لتربي من هذا الموضوع لاقامتي في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٠ احب ان ابدي ملاحظة في هذا الموضوع ، فقد تبين لي بالتأكيد ان اسرائيل كان عندها مخطط لان تجلي اكبر عدد ممكن من العرب من الاراضي التي احتلتها في ١٩٦٧ بل وان بعض الكتاب الاسرائيليين ذكروا انهم ارادوا في ١٩٦٧ ان يعيدوا ما فعلوه في سنة ١٩٤٨ ولكن لم يستطيعوا . . . نجحوا نجاحا شبه كامل في الجولان وطردوا طردا جماعيا خلال ايام الحرب حوالي (١٥٠) الف مواطن هذا كحسا طردوا العرب من قرى اللطرون، ثم تكدت خلال وجودي في الاراضي المحتلة في ذاك الوقت ان كثيرين من الشباب العرب الذين ذهبوا للضفة الشرقية حاولوا العودة بعد مدة ليمروا ما حل باهلهم وبيوتهم فكانت تنتظرهم اوامر قتل صريحة على الاردن ، وبالفعل قتل الكثير من العائدين وجرى دنفهم على ضفة النهر وطمرتهم الجرارات . وحتى بعد انتهاء ايام الحرب استمرت عمليات اجلاء السكان ، فهناك عدد كبير من العرب تم طردهم بموجب قانون الطوارئ وجرت عملية نقل السكان من مكان الى آخر ، وحاول الاسرائيليون ان ينقلوا سكان غزة عدا عن الذين طردوهم خارج الارض المحتلة الى الضفة الغربية . ومؤخرا كان هناك تصريح لوزير الدفاع شمعون بيرس قال فيه انه تبين لنا من الممارسة ان العربي مخلص اولا لكان اقامته ، وثانيا لبلاده كوطن . . . من حيث التفكير يترك ثغرة اقتصادية تفيد اقتصاديا العرب المقيمين في الارض المحتلة هناك عدة ملاحظات التي تتلخص بسؤال هل هذه الثغرة تفيد العرب هناك في الارض المحتلة او تفيد اسرائيل اقتصاديا اكثر ؟ كذلك فان اسرائيل التي لم تستطع الاستيلاء على الارض العربية لو نجحت في طرد العرب ، قد استفادت كثيرا من بقائهم لانهم شكلوا عنصرا

حرب تشرين .. ويوتني بؤلك الأخير حول
امكانية التوسع في المقاطعة على ضوء التجارب
السابقة مع ألمانيا وأمريكا وغيرها بحيث نستطيع أن
نستفيد من هذا السلاح الى أقصى حد بالاستعمال
الاستراتيجي لمصلحة السياسة الاقتصادية للدول
العربية ... وجوابي بكل بساطة : ان هذا
البرلمان من الامكانيات الاقتصادية العربية لدعم
الاستراتيجية موضوع اكبر من المقاطعة واكبر من
جهاز المقاطعة وأولا المقاطعة كاجراء ليست لديها
المرونة الكافية للتأثير .. المقاطعة بحكم التعريف
الذي استخدمناه الا وهو : « نوع من الممايزة في
المعاملة ضد طرف معين بالاسم تصل الى حد
المنع البات للعقود المتعلقة بشراء وبيع المواد
والخدمات » ... وكل عمل استراتيجي لا يصل
الى المنع البات رأسا وإنما تتم خطواته بشكل
متدرج ومدروس اذ كل ما كانت هناك ضرورة
تصوى تدرج في ذاك العمل فيتم استلام مصلحة
بعد مصلحة ويتم التحرك بشكل يستفيد من
التناقضات الموجودة في المعسكر الآخر واستخدام
تواك لصالحك بدل استشارة كل القوى ضدك ،
ولا بد من انشاء توازن قوى عند الطرف الآخر
يكون اقرب الى مصلحتك منه لصالح الخصم ...
وعليه فالمقاطعة ، كسلاح استراتيجي بحد ذاته ،
لا تصلح في رأبي ... إنما يجب ان تدرس المصالح
دراسة تحضيرية وان تترك القرارات في هذه الامور
في يد هيئة سياسية عليا او استراتيجية عليا
وهي تقرر استخدام الاسلحة المختلفة ليس سلبيا
بل ايجابيا ايضا في سبيل التأثير السياسي في المحيط
العالمي وقد رأينا ان هذه هي بداية وبداية ضخمة
بعد تشرين ١٩٧٣ . والان توفرت لنا قوى احتياطية
كبيرة . وما قاله الاخ يوسف حمدان عن وجود او
امكانية وجود قوى ضغط عربية في امريكا تساند
العرب (شركات البترول) هو احد النتائج لوضع
ما بعد تشرين . وسيأتي يوم تضطر فيه قوى
عالمية عديدة ان تراعي العرب اكثر من مراعاتها
لاسرائيل ، ذلك لان المال يل كل الاموال القائمة
في العالم هي في ايد عربية وهذه تادرة على التأثير
في المؤسسات والدول .

يوسف حمدان : اعتقد تأكيدا لكلام الاستاذ
دجاني ان من الاشياء التي تشكو منها اسرائيل هي
ان المقاطعة العربية نفذت تنفيذا وقائيا في معاملتها ،

قدرة اسرائيل على التهجير .. كذلك الوضع
العالمي ...

برهان الدجاني : الجسر الثاني هو الجسر
البشري او السكاني .. الجسر المعنوي الذي
رمزت اليه بمسألة العمال ... كان السؤال الكبير
المطروح على العرب هو امكانية حجب العمال من
العمل في اسرائيل ... كان مطلوباً من الدول
العربية — فيما اعتقد — ان تقدم (١٥) مليون
دينار كتعويض ، وهذه كان يمكننا ان ندفع للعمال
كاجور ويشغلوا في مشاريع عربية في الضفة .
لكن لسوء الحظ لم تقبل الدول العربية في اي مرحلة
من مراحل ما بعد ١٩٦٧ ان تلزم بتسديد هذا
المبلغ ... فكان على العمال ان يشتغلوا مع
اسرائيل ويتعرضوا لتعاب لا حد لها وما ان
يتعرضوا — عند امتناعهم عن العمل — للجوع
والعذاب .. ولهذا فانهم يواجهون امرين احلاهما
من .. وبالتالي يضطر العمال امام ضغط المعيشة
وصعوبة الحياة ان يقبلوا العمل في مشاريع
اسرائيل ، مع ان الامكانيات الاقتصادية في الضفة
والقطاع لم تكن تسمح باستيعاب العمال ، وعمل
الاسرائيليين على اجلاء الفلاحين عن اراضيهم
وخلقوا بذلك كتلة اضافية من البروليتاريا دون ان
يتوفر امامهم العمل . كذلك ادى انقطاع الصلات
المادية ، الى حد كبير ، بين سكان المناطق المحتلة
وابنائهم العاملين في مناطق الخليج والسعودية ،
الى ازدياد سوء الاوضاع الاقتصادية في تلك
المناطق . كذلك ربما كان هناك تقصير عربي
بالنسبة لدعم الصمود ...

هاني الهندي : الى أي مدى تأثرت الدول
الاجنبية بالمقاطعة ، والمتصود اميركا والدول
الغربية ؟ وهل كانت المقاطعة فعالة بالنسبة لهذه
الدول قبل تشرين ١٩٧٣ ؟ وهل للمقاطعة تأثير
على هذه الدول كتأثيرها بمسألة النفط العربي ؟
وكيف يمكن ان تزيد فعالية المقاطعة ضد هذه الدول
على ضوء الدروس المستفادة من تجارب الماضي
كله ؟

برهان الدجاني : كان تأثير المقاطعة قبل ١٩٧٣
على هذه الدول ضئيلا ... كان صفرا او قريبا من
الصفير ... واذا اردنا ان نؤرخ لتأثير المقاطعة
على الدول الداعمة لاسرائيل فيجب ان نؤرخها منذ

لامكانيات وحدود استخدام كل الاسلحة التي يمكن استخدامها في هذا المجال . وكانت المقاطعة احدى هذه الاسلحة ... لقد كان الكثيرون يتحدثون عن تأميم البترول ... ما هو تأميم النفط . هل كان ممكنا تأميمه يومذاك ؟ كان الجواب غير ممكن ... اما اليوم واذا أردت ان تؤمم فسوف يقال لك : تفضل أمم ... اذا فقد وصلنا يومذاك الى نتيجة مفادها ان التأميم ليس فعالا . الاجر الحاسم هو قطع النفط وليس التأميم ... وعليه فاني اعتقد ان الاطار العام صحيح . ونحن ما زلنا في هذه المباراة . والخطة المباراة يجب ان تطول ويجب ان تطور الخطة . والمقاطعة هي احدى وسائل الخطة المباراة ولكن ليست كل المباراة عمليات مقاطعة . اذ يجب ان تكون المباراة اكبر بكثير من المقاطعة . ولا يجوز ان تكون كلها قطعاً وبتراً ... هناك اشياء عديدة قد تكون عابرة واخرى يجب التصرف فيها بمرونة كاملة ... ولا يفيد هذه العملية جهاز المقاطعة الحالي الذي يجتمع مرة كل ستة اشهر .. هناك أمور كثيرة تتطلب تحركات تصاحبها حملات اعلامية وحملات سياسية دبلوماسية تسير جنباً الى جنب .. ولا بد من خطوات تمهيدية مدروسة تتلاقح فيها الاجراءات وتتوضح الاهداف .. ومعها يتم التقدم او التأخر على ضوء التحركات المختلفة وفي خجبة اهداف تلك المرحلة .

د. منذر عنبتاوي : احب ان اشير الى نقطة واحدة وهي تطوير المقاطعة او تصعيدها لتشمل قطاعات اخرى جديدة لم تصل اليها حتى الان مثل مروع المالية والاستثمارات ان هذا امر يتطلب انتهاؤه بقرار سياسي وهو امر يعقد كلية على الاتجاهات السياسية نحو الحل السلمي التي يبدو كأنها سائدة من خلال التطورات في البلاد العربية وبالتالي من الصعب الحديث عن المباراة واستكمال المباراة الاستراتيجية بمعزل عن الخطوات السياسية والنتائج التي يمكن ان تصل جميعها .

برهان الدجاني : علينا ان ندرك تماماً اننا نعيش مع مشكلة الوجود الصهيوني وسنعيش مع مشكلة الوجود الصهيوني وطالما هو موجود ومهما كان نوع النظام السياسي العربي الذي قد ينشأ في الاشهر القادمة او في السنين القادمة ستبقى هذه المشكلة تواجهنا ... لا يمكن ان تنتهي المشكلة ولن

وتنفيذا ايجابيا مع المؤسسات الاقتصادية في اوربا الغربية . فقد قال احد المرسلين ان المقاطعة العربية تبدو مشوشة ومتناقضة ولكن يبدو انها تتبع هذا التشويش كاسلوب عمل في هذا الاسلوب هي انما تخول شركات لكي لا تتعامل مع اسرائيل وفي نفس الوقت تستطيع الدول العربية عنسد مصلحتها ان تتعامل مع بعض هذه الشركات التي تفيد اكثر اقتصاديا ، يعني تتبع اسلوبا انتقائيا مرنا في تعاملها السلبي والايجابي مع المؤسسات العالمية .

برهان الدجاني : في الحقيقة ان الشيء الذي كنت اريد الاشارة اليه كانت بدايته في عام ١٩٧٢ . لقد انطلق هذا التحرك الاستراتيجي في ١٩٧٢ من المجلس الاقتصادي العربي حين وضعت دراسات قام بها عدد من الاقتصاديين العرب لرسم السبل والوسائل التي تستخدم المصالح الاقتصادية في خدمة السياسة القومية العربية . ودرس هؤلاء بالطبع امكانيات المقاطعة والمجالات التي يمكن ان تستخدم فيها . ووضحنا في النتيجة التي توصلنا اليها نموذجا يتألف من شقين الاول اسميناه « المباراة الاستراتيجية » وهي استخدام هذه المصالح في مباراة « بتطلع وبتنزل فيها » حسب التأثير اما تصعد قليلا واما تصعد أكثر حسب ردود الفعل التي تأتيك . وهناك تبضي اولاً بالموضوع . تتصرف ايجابيا وسلبيا هناك . هذه امور وخطوات يجب ان تكون موزونة ومدروسة . يجب ان نلعب بمهارة ويجب متابعة المؤشرات دائماً ومتابعة كل التأثيرات الحاصلة وعلى ضوءها نلعب المباراة تماماً كما تجري مباراة الشطرنج اذ يتم تحريك حجر من هنا وآخر من هناك . وهذا القسم بالذات « المباراة الاستراتيجية » هو القسم الذي اتبعته الدول العربية في حرب النفط ١٩٧٣ . في بادئ الامر تم بخذافيره ثم جرى تطويره بعدئذ على طريقتهم الخاصة . اما القسم الثاني فقد سميناه « الخطة الواكبة » أي يجب ان يكون للدول العربية خطة تنمية وبناء تقوي الجسم العربي ، وكل ما كنت اقوى كل ما كان العالم اكثر استجابة لك بشكل او بآخر ... هذان الشيطان يحصلان لان ولكن ليس بالقدر الذي نستطيع ان نستوعبه . واعتقد ان هذه الدراسة بالذات نجحت ولاول مرة على مستوى الفكر العربي في تقديم صورة واضحة

المقاطعة كجزء من التسوية واعتقد ان الرئيس السادات كان واضحا حين قال « انو نحنا ننهي حالة الحرب لكن انشاء علاقات دبلوماسية والغاء المقاطعة هذه أمور لاحقة لانه في عدا مسبق على مدى عقود من الزمن لا يمكن ازالته بفترة قصيرة من الزمن ». اعتقد ان هذا هو التفسير العربي جدا الموضوع . اعتقد وقد قلت في البداية ان المقاطعة امدت الدول العربية . وقد استطاعت هذه الدول ان تحمي نفسها من خلال المقاطعة وان تقوم بعمل وطني يخدم القضية الفلسطينية . . . لم تكن المقاطعة كلها لحساب قضية فلسطين . ولا تزال الدول العربية تفكر بهذا التفكير : تريد ان تحمي نفسها وفي نفس الوقت تريد ان تخدم القضية الفلسطينية . . . ولو فرضنا ان قضية فلسطين لم تعد ملحة لكن حماية نفسها تبقى أساسية .

د. يوسف صايغ : بالنسبة للسؤال حول عقدة المقاطعة والدول الداعمة لاسرائيل بعد فشل المحاولة التي حصلت في ٦٤ - ٦٥ ضد ألمانيا ، لا نجد محاولة اخرى تستهدف الدول الداعمة لاسرائيل وانما نجد محاولات ضد مؤسسات ومنشآت مقيمة او مسجلة في البلدان الداعمة لاسرائيل . لقد كان تأثير اقتصادات هذه الدول (امريكا وبريطانيا والماتينا) بالمقاطعة محدودا جدا . . . بمعنى ان الشركات التي تعرضت لضغط المقاطعة التي عدلت عن فتح فروع لها في اسرائيل وجدت بدائل في البلدان العربية . وقد تكون هذه الشركات استقادات اكثر نتيجة تهديدها بالمقاطعة وتحولها كليا للاسواق العربية . . . اما الشركات التي اصرت على التعاون مع اسرائيل فلا بد انها اجرت حساباتها ووجدت في النهاية ان مضحتها تقتضي منها ذلك . . . اما عن تأثير اقتصادات تلك الدول كإقتصادات كاملة فأعتقد ان ذلك كان طفيفا جدا . . . اما عن تأثير البلدان العربية بالمقاطعة فان تقديري ايضا هو ان هناك بدائل مفتوحة امام العرب تغنيهم عن اسرائيل سابقا ولاحقا ، وسواء كان ذلك قبل حصولنا على الاموال الفائضة . . . فلقد كانت اسرائيل في حالة استجداء دائما وكانت « شحادة » دائما ولهذا ليس محقولا ان تعطي العرب أموالا حتى حين كانوا بحاجة لها . . . وبقى مسألة الخدمات واستعارتها من

ينتهي الصراع مع هذا الوجود . . . غير ممكن ابدا . . . لقد استجتمت الى ما قلته عن « الانهيار الكامل . . . والمعنويات . . . » ان هذا لن يحصل في الجبهة العربية . . . لا اعتقد ان هناك نهاية قريبة لهذه المواجهة . . .

د. منذر غنبتاوي : ما هو الشيء غير الممكن حصوله ؟ الحل السلمي او الانهيار . . . انا أقول ان الحل السلمي ممكن ولكن الانهيار الكامل غير ممكن .

برهان الدجاني : انا اختلف معك في هذا . . . حتى لو حصل فسوف تقع زيود فعل وبعد ستة اشهر . . . ويعنف اكثر . . .

د. منذر غنبتاوي : يجوز . . .

برهان الدجاني : المقاطعة ليس لها علينا تأثير سلبي . . . اي ان كل شيء يمكن ان تقدمه اسرائيل من بابها الضيق موجود بصورة أفضل ومن الابواب الاوسع في العالم . ليس هناك شيء تحتكره اسرائيل ، او تسك به بقدر اعلى من الكفاءة او من القدرة اطلاقا . . . اذا تأثر المقاطعة علينا سلبي بل هو صفر . . . اما التأثير الايجابي فهو توفير الحماية لنا كما قلنا . . . ان تكنولوجيا اسرائيل ليست سوى فرع للتكنولوجيا الام في العالم الصناعي . . . واليوم نحن نملك الاموال . . . صناعيا ليس لدى اسرائيل القدرة الصناعية . والفنيون المهرة موجودون في العالم اكثر مما هم موجودون في اسرائيل ، واذا اردنا شراءهم فنستطيع ذلك ، وسعرهم خارج اسرائيل ارخص . . . ذلك ان التكنولوجيا الاسرائيلي غال لان الوجود عندهم غال . ليس هناك خدمة او بضاعة وليس هناك مجال يمكن ان تقدمه اسرائيل ولا نجده او نقدر الحصول عليه من خارج اسرائيل . . . كل شيء يمكن توفيره من العالم . . .

هاني الهندي : اذا اردت ان تطور هذه النقطة بشكل آخر ، اود ان اسأل هل الغاء المقاطعة - كما يصر الاسرائيليون - باعتبار انها جزء من التسوية - يلحق الضرر بالمصالح العربي العام ؟ أي اضرار الغاء المقاطعة كبد من بنود التسوية . . . هو ما اود اثارته بشكل محدد . . .

برهان الدجاني : اعتقد وعندني شعور بان اسرائيل لم تستطع الحصول على قول بالغناء

المقاطعة ... مرافق بيروت التي حد يذكر نما تبوا
 واسعاً بسبب عدم الاعتماد على مرافق حيفا ...
 مطار بيروت سار في نفس الاتجاه بعد الاستغناء عن
 مطار اللد ... المدارس والمستشفيات والخدمات
 المالية والقطاع المصرفي في لبنان طبعاً يمكن ان
 تتعرض للمنافسة الاسرائيلية لولا المقاطعة
 العربية ... لقد كانت هذه المجالات موجودة في
 لبنان من قبل لكنها لم تكن نشيطة بالمقدار الحالي ،
 وكانت معرضة للمزاحمة المباشرة لولا المقاطعة ...
 واستفاد لبنان ايضاً كمحطة ترانزيت ونقل الى
 الداخل العربي : سوريا والعراق والخليج
 والسفودية ، وكانت اسرائيل تشكل قوة منافسة
 لولا المقاطعة ... وكذلك الامر بالنسبة لثايب
 النفط من العراق والسعودية ، ولقد كانت حيفا في
 الماضي ذات اهمية بارزة ... ومن الضروري ان
 نركز على ناحية استفادة لبنان من المقاطعة
 واطرافها للجهاز ... وهذا الامر يعيه الاخوان
 في لبنان بشكل جيد ، وانا افكر بعد حرب ١٩٦٧
 ان الجهات الرسمية للاعلام : الوكالة الوطنية
 للانباء ومديرية الاعلام وجهات اخرى اصدرت عدة
 كراسات مدروسة وكلف عدد من الباحثين لكتابتها
 ونشرها باللغات الثلاث : العربية والانكليزية
 والفرنسية وهي توضح ان لبنان من هذه الناحية
 استفاد اقتصادياً . هذا فيما يخص بالتعليق
 على المقاطعة قبل ١٩٧٣ ، وحتى ما استمر اذا
 سمحت لي ان اتكلم عن المقاطعة بعد تشرين ١٩٧٣
 هنا اود ان اؤكد ما تفضل به الاخوان برهان ومنذر
 من ان الأوضاع الجديدة شهدت تبديلاً كبيراً
 بشكل يجعل التبدل نوعياً وليس كمياً ، اي اصبحنا
 امام وضع جديد يتطلب نظرة جديدة ... بعض
 هذا التبدل بدأ قبل عام ١٩٧٣ وكما ذكر الاخ
 برهان فان المجلس الاقتصادي العربي شكل باقتراح
 من وزير الاقتصاد اللبناني - الدكتور صائب
 جارودي - وكان يرأس دورة عام ١٩٧٢ ، لجنة
 لرصد العلاقات الاقتصادية العربية والعلاقات
 العربية - الاجنبية وكيفية الامادة من ذلك في خدمة
 تضايانا القومية باعتبار ان هذا الموضوع يذكر
 بشكل متواصل ولكن ليس حوله دراسات جادة
 فالتت لجنة خبراء وكلفت بدراسة الموضوع وكلف
 الاخ برهان بدراسة النواحي التجارية والتعامل
 التجاري وكلف الدكتور شفيق الخرس بدراسة

اسرائيل (مستشفيات ومدارس وسياحة .. الخ)
 وهذه كلها في الواقع متوفرة خارج اسرائيل وبشكل
 افضل وبسعر ارخص مما هو موجود في اسرائيل ...
 وبالإضافة فان المؤسسات الدولية تفتح ابوابها لكل
 طالب دون ان تكون لها شروط سياسية او وراها
 ملائمت سياسية عند الحصول على تلك الخبرات
 الفنية من المؤسسات الدولية . لذلك ليس الامر
 ان المقاطعة لم تلحق الضرر بالبلدان العربية ،
 بل ان ما حصل هو ان هذه البلدان قد استفادت
 من مقاطعة اسرائيل ؟ وبلادنا لم تكن بحاجة للتعامل
 مع اسرائيل على الصعيدين المالي والخبراتي
 الفنية . ان السوق الاسرائيلي صغير بالنسبة
 لعدد السكان وان تكن قدرته الشرائية مرتفعة .
 ولكن مشكلتنا ليست مشكلة تأمين اسواق ، ذلك
 ان حاصلاتنا الرئيسية زراعية وهي اقل من
 حاجتنا ، ومن هنا لم يكن عندنا فائض ... واما
 المواد الفائضة عندنا كالعطن والتبوير والشعير
 في بعض البلدان العربية ، فان لهذ المنتجات
 اسواقاً دولية ، واسرائيل لن تكون سوقاً لها
 واذا أخذنا الموضوع بشكل عام او قسمناه
 وأخذناه سلعة فسلعة وخدمة فخدمة ، نجد ان
 هذه الخدمات موجودة عندنا . وما ينبغي ان
 نشير اليه هنا هو ان اسرائيل كانت تتمتع في الماضي
 ببعض الثنوق في بعض انواع الخدمات الطبية لكن
 لبنان نما هذه الخدمات بشكل مواز بحيث صار
 يعوض عنها فن يرد الطبابة على مستوى رفيع
 وخدمات طبية على مستوى رفيع يستطيع ان
 يجدها في لبنان ، ونفس الشيء ينطبق على التعليم ،
 ومن يرد دراسة بعض الفروع الموجودة في الجامعة
 العربية في القدس ليتخصص بها ولا يجدها في
 جامعاتنا في البلاد العربية يستطيع ان يذهب الى
 بريطانيا والمانيا وغيرها .. الخ ... وبشكل عام
 لم يكن تأثير المقاطعة على اقتصادياتنا سلبياً بل
 كان ايجابياً وايجابيته تظهر في نقطتين : الاولى
 شاملة تشتمل كل البلاد العربية وهي ان المقاطعة
 شكلت حماية للاقتصاديات العربية وتحدياً لها .
 والتحدي هذا استدرج المزيد من التثير والمزيد من
 النمو والتوسع والتنوع في الاقتصاديات العربية
 سواء كان من حيث انتاج السلع او الخدمات .
 الثانية : ان اقتصاداً مينا بالذات ، ونشير الى
 ان الاقتصاد اللبناني ، استفاد استفادة كبرى من

ليست عملية دينية أو عنصرية. يلاحق اليهود... بل انها موجهة ضد الصهاينة ونشاطهم تشمل اليهود وغيرهم ممن يقدمون المساعدة لاسرائيل. كذلك يجب ان نبين ان المقاطعة ليست عملية سلبية وانما هي عملية ايجابية...

وأود الان ان انتقل بالمقاطعة بأجهزتها الحالية الى ما اتصوره في شكلها المطلوب وعلى صعيد عربي شامل حيث يجب ان تكون هذه الاجهزة الجديدة جاهزة لاستخدام المعطيات الاقتصادية لخدمة القضايا العامة ، القضايا القومية . . . هذا الجهاز يجب عليه ، من ناحية سلبية ، ان يدافع عن نفسه من حيث توضيحه ان الاجراءات العربية ليست سبب أزمة النظام الزاماني وانما هي أزمة سابقة على ارتفاع سعر النفط ، وهذا أمر ثابت من احصائيات صندوق النقد الدولي ، وصارت هذه المشكلة معروفة ومنشورة في لغات عديدة . . . ان التضخم مشكلة عالمية بدأت في ١٩٧١ بحيث انه في ١٩٧٢/٩/٢٠ وقيل ان يتوقع أحد انفجار حرب تشرين كانت أسعار منتجات البلدان الصناعية قد ارتفعت حوالي ٥٠٪ عما كانت عليه في ١٩٧٠ إذن الغرب ليسوا المسؤولين عن العملية هذه

كذلك على الجهاز ان يقوم باستكشاف الجبهات والصيغ التي تعتمدھا اسرائيل والصهيونية العالية ضدنا وعلى هذا الجهاز ان يتابع الحوارات العديدة التي تجريها اسرائيل في أماكن عديدة ليدرستها بتعمق ويقطع الطريق عليها في الوقت المناسب فلا يأتي ردنا عليها بعد ستة اشهر أو سنة بعدما يبدأ العمل وينشط سائق بعض الافكار لما ينبغي عمله ولن تكون هذه الاقتراحات مترابطة وبشكل منطقي متكامل ، . . . وأهم ما أرى ضرورة التركيز عليه اعلاميا وسياسيا ودبلوماسيا هو اظهار الفارق للغرب بيننا وبين اسرائيل ، اذ بينما تأخذ اسرائيل من الغرب فان العرب يعطون الغرب . . . اسرائيل تشكل عبئا ومسئولية مالية بيننا العرب يشكون باب فزج ومصدر رجاء ومثل هذا التوجه يفيدنا حين نستخدمه للضغط لخدمة قضيتنا القومية . وهذا الخط رغم بساطته يحتاج لمتابعة وتعميق على الصعيد الاعلامي والسياسي والدبلوماسي ومثل بسيط على امكانياتنا يكفي ان نشير انه لولا الاموال العربية

الخدمات مثل القطاع المصرفي والتأمين ، وكلفت انا بدراسة النفط. وفيما بعد نشرت هذه الدراسة في كتيب باستثناء القسم المتعلق بالنفط. مثل ما اشار الاستاذ برهان في مقدمة ذلك الكتاب لانه كان قد نشر في مجلة « شؤون فلسطينية » كبحث حول استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية كان واضحا منذ ذلك الحين ان الوضع الجديد يتطلب شيئا اكبر من المقاطعة ووسائلها وهذا يجعلني اطرح بعض الملاحظات العامة عن المقاطعة أنا اشعر انه بالإضافة الى حاجتنا الى تصور جديد ومؤسسات جديدة تستطيع اتخاذ القرار على المستوى السياسي مثل ما قال الدكتور عنبتاري والمقاطعة نفسها صارت بحاجة الى تعديلات اساسية لان الوضعية تعدت ولم تعد بالبساطة التي كانت عليها من قبل. ولا بد من توضيح جوانب ذلك : اولا - هناك حاجة ماسة لاعداد بحوث معمقة في المقاطعة حول كيفية تضييق المقاطعة بخطوطها الحالية ، ناهيك عن الامتداد بها الى مناطق جديدة وهناك حاجة لمتابعة النفوذ والتحرك الصهيوني في القطاعات المصرفية والتجارية والتوزيعية الخ حتى تعرف حقيقة نشاطاتهم وأساليبهم ، وذلك لان الصهيونية العالية متضاعف مهارتها وتنوع طرق عملها حتى لا تقع تحت المقاطعة خاصة وان المقاطعة أصبحت أكثر فعالية وأهمية وهناك حاجة لجهاز مقاطعة أو أجهزة عديدة لتستطيع التوصل الى أفضل المشاريع المعروضة علينا وأنسبها والتعرف على حقيقة المستوى والمؤسسات التي تقدم الدراسات ومشاريع التنمية لنا او تلك التي تريد الاموال منا ومن المهم جدا ان تعرف المقاطعة من يقف وراء تلك العروض والمشاريع ولبنا بحاجة لان نكتشف بعد مدة ان الصهاينة يقفون وراء بعض هذه النشاطات وهناك حاجة لتقسيم عملية المقاطعة من جهة لتبيان انها ليست عملية فريدة ابتدعها العرب ، وانما هي عملية قديمة ترجع الى بداية الصراعات بين الدول ، وان أكثر من استخدمتها كانت الدول الغربية نفسها وبشكل خاص امريكا وحلفاؤها حين لجأت لاستعمالها بعد الحرب العالمية الثانية ، كما ان الصهاينة أنفسهم مارسوها ضمن نطسباق اقتصادهم في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل إذن هناك حاجة الى اعلام ماهر يشرح ان المقاطعة

والمقاطعة بحجمها الحالي غير قادرة على القيام بمثل هذه الاعمال ولسنا في معرض توجيه اللوم لها ، وانما الاوضاع تتطلب الآن أشياء جديدة وأساليب جديدة... .وعلىنا ان نذكر الدول الغربية بدورنا في تعويم اقتصادياتها وبعبكس ما تدعيه الاوساط الغربية من اننا سبب المصاعب التي تواجهها ، وذلك من خلال ما نستورده من سلع راسالية و سلع استهلاكية وأسلحة هي التي تمنحنا ارجلا واقداما للاقتصاديات الغربية وخاصة اميركا لتستطيع الاستثمار والتقدم... .وانه لولا الاموال العربية لازدادت متاعبهم وتعقدت ، وهاهي الاحصاءات الرسمية الاميركية تشير اليوم الى وجود ثمانية ملايين عامل عاطل عن العمل مسجلين رسميا في اميركا ، وكان من الممكن ان تكون الازمة اعدت أسوأ... .ومثل هذه الامور يمكن ان نستغلها للضغط على الدول الغربية لخدمة قضايانا القومية عامة وقضية فلسطين خاصة .

د. منذر عنبأوي: احب ان اضيف شيئا اخر وانا كلية مع كافة النقاط التي اثارها د. يوسف صايغ وهي يمكن تلخيصها اننا مطالبون باتخاذ اجراءات رئيسية ثلاثة : **اولا** : محاولة تطوير اجهزة المقاطعة بحيث تتمكن من كشف الاساليب الجديدة التي يمكن ان تتبعها الحركة الصهيونية بالتحايل على الاجراءات العربية الاقتصادية . **ثانيا** : مطالبة الدول العربية باتخاذ قرارات معينة خاصة بالامور المالية التي يمكن ان تحرم اسرائيل من خلال الدول الغربية من الاستفادة من اموالنا . **وثالثا** : تسخير الاعلام العربي او توظيف الاعلام العربي في خدمة تفسير هذه الامور . وانا اعتقد ان هذه نقط في غاية الاهمية خاصة وان الاعلام سلاح ، والسلاح هو ركيزة رئيسية ضخمة يمكن ان يساعد او لا يساعد جهات ، سواء كان هذا الهدف قائما على أسس سليمة او غير قائم... .الدول العربية مع الاسف الشديد أهملت ولا تزال تهمل سلاح الاعلام الضروري في زمن الحرب ، كما هو ضروري ومفيد في زمن السلم... .الدول العربية تقوم الان بمساع لحل القضية سلميا ، لكنها لا تستفيد من اصول اللعبة السلمية... .معنى ذلك اننا نريد ان نحل القضية سلميا من خلال تغيير اوضاع ومحاولة تغيير الموقف الاميركي لكننا نحن لا نستفيد من متطلبات تغيير الموقف الاميركي وهو الدخول في اللعبة

النافضة لما تمكنت الحكومة الاميركية من اصدار سنداتنا الحكومية بعد حرب ١٩٧٣ وهذه السندات هي التي مكنت الولايات المتحدة ان تهد اسرائيل بالمعونات الاقتصادية التي اقترتها في ١٩٧٤ - ١٩٧٥ وكذلك الحال بالنسبة للمعونات التي تبعت الان لقرارها في ميزانية ٧٥ - ١٩٧٦ . وذلك لان ميزان المدفوعات الاميركي كان بحالة عجز كبير لولا ستة الاف مليون دولار وظفت في السندات الحكومية . وكان الامر سيصبح صعبا جدا ان توقع الحكومة الاميركية ميزان مدفوعاتها في مزيد من المتاعب لتعطي مليارين وربع مليار دولار لاسرائيل عام ١٩٧٤ أو مليارين ونصف مليار دولار التي تطالب بها اسرائيل الآن للسنة القادمة . من هنا نثار مسألة وجوب درس هذا الموضوع على المستوى السياسي بحيث لا تصبح اموالنا اداة لكسر المقاطعة وما هو اهم من المقاطعة بحيث نقوم نحن بتكئين اميركا لمساندة اسرائيل اقتصاديا وبالتسالي عسكريا... .كما ان من الخطوط التي يجب ان نركز عليها ان مصالح الغرب مع العرب هي اوسع بكثير من مصالحها مع اسرائيل ، واظن ان هذا كان واضحا قبل عام ١٩٧٣ واصبح الان بغير حاجة الى مجادلة ومناقشة ، فقد ارتفعت المستوردات العربية بحيث بلغت ثلاثين مليار دولار في ١٩٧٤ ، ولم يعد هناك مجال للتساؤل عن هو اكثر اهمية من الاخر . وعليه فعندما يريد بلد عربي ان يستورد سيجد امامه عروضا كثيرة متنافسة ولهذا نستطيع ان ننتقي المصدر الذي لا يتعامل مع اسرائيل . ونحن بوضع نستطيع فيه ان نمارس الانتقاء ببسر وسهولة بسبب ضخامة حجم التعامل الاقتصادي الذي وصلنا اليه الآن... .بل اننا نستطيع ان ندفع الامور اكثر قليلا لنثير مسألة هامة هي التساؤل عما اذا كانت المساندة الاقتصادية الاميركية لاسرائيل مستضاف الى ال (١٥٠) مليار دولار التي اهدرت في فيتنام... .أي نستطيع ان نستغل سلاحا آخر ضد اسرائيل حين نشير الى ان هذه السلة المجوفة (المخوثة) التي هي فيتنام كلفت اميركا ما يعادل (١٥٠) مليار دولار ، وان اسرائيل كلفت اميركا ايضا كذا مليار دولار وانها الان تضع مليارات اخرى في سلة لا تعمل لها لتصل الى نفس النتيجة .

مثل هذه الخطوط نستطيع ان نركز عليها

النظر السياسية . ثانيا تشجيع قيام توسيع قوى الضغط العربية (اللوبي) وفي المجتمع الاميركي (اللوبي) مؤسسة مغترف بها ومقبولة وليس هناك ما يدعو لان نحتر ونتردد في كيفية ترتيبها وتنظيمها بالرشوة او بالشراء او بشكل آخر... انها مؤسسة قانونية ويجب ان تتم على المكشوف وان توسع نشاطها ضمن مختلف الفئات الفاعلة في تكوين الرأي العام واتخاذ القرار السياسي في امريكا من خلال مصالحه الاقتصادية . ثالثا التركيز على المشاريع المشتركة مع المنشآت الغربية فاذا قررنا ان ندخل بشهر اموالنا في البلدان الغربية لدي تحفظات تجاه الموضوع هذا . فانا أرغب في ان ارى الاموال العربية تشر في الوطن العربي للتنمية العربية وفي المقام الثاني للتنمية بلدان العالم الثالث لكن في مدى ما تتوجه فيه اموالنا الى الغرب للثريات ينبغي ان ندخل في مشاريع مشتركة حتى ان الحملة الاسرائيلية والصهيونية ضدنا تواجه احتمال ايداء مصالح ابناء البلد الذين يشركون معنا في تلك المشاريع وعندها لا تقتصر الحملة المعادية على العرب وحدهم... وطبعاً وفي كل هذا ينبغي ان نكون مرنين ولبقين في التلويح بقوتنا اذ لا يجوز ان ننسى ان العرب أصبحوا قوة مالية في العالم بعدما كانوا مستغلين اقتصادياً ومحكومين سياسياً ومهتلين عسكرياً... يجب ان نكون لبقين في التعبير عن قدرتنا الجديدة نمارسها ، لكن بلباقة وحذر حتى تكسب الناس قدر الامكان لا ان ننفهمهم ونستفزهم... آتي الان الى الناحية الايجابية . وآخر نقطة اريد الكلام فيها وما يمكن ان اتوله بالنتيجة هو ان استخدام القدرات الاقتصادية في خدمة القضية عن طريق التأثير على العالم الخارجي على اهميته يبقى محدودا... التأثير الاساسي يجب ان يكون في بناء قوتنا الذاتية الاقتصادية فعندما نتحول الى بلدان متطورة اقتصادياً وناجحاً علمياً ومن ناحية سلبية وصاعدة وأسواقاً كبيرة عندها نزداد قدرة على الالتفاف حول اسرائيل وعندها نجد دولا اخرى تسعى لطلب رضائنا وتعمل ما وسعها لتساعدنا في الالتفاف حول اسرائيل... بالنقطة الاخيرة وتذكيري عليها انهي كلمتي...

يوسف همدان : في الواقع كنت راغبا في الكلام اكثر عن تأثير المقاطعة العربية على اسرائيل ومن

السياسية والتي يعتبر الاعلام من أهم متركزاتها.. أنا مع الدكتور يوسف في كل النقاط الانسانية التي يتوجب على الحملة الاعلامية تضمينها ، لكن أحب ان اضيف نقطة على الاصل اليها ، وربما هناك نقاط اخرى غابت عنا...وهي ان الاجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الدول العربية ولا تزال تتخذها انها تقوم بها انطلاقاً من حقوق نمارسها ونتمتع بها ومخولين للتمتع بها بموجب قواعد قانون الحرب ، بسبب اننا نحن في حالة حرب ويمكن في هذه الحالة ان نشير الى ان الولايات المتحدة مارست او قامت باتخاذ اجراءات اقتصادية شبيهة بلك التي تتخذها الدول العربية في زمن السلم نحن اتخذناها وننخذها دفاعاً من حقوق أساسية يكفلها لنا ميثاق الامم المتحدة ، وبحكم كون اراضيها خاضعة لاحتلال اجنبي في حين ان الولايات المتحدة اتخذت هذه الاجراءات في حالة السلم وازاء دول تقم معها او مع معظمها علاقات دبلوماسية ، كما ان اراضي الولايات المتحدة غير محظية وليس هناك أي اعتبار دفع الولايات المتحدة الى اتخاذ هذه الاجراءات سوى اعتبارات السياسة الخارجية الاميركية .

د. يوسف صايغ : لقد اشرت الى ان امريكا كانت تتخذ اجراءات مماثلة بعد ١٩٤٧. واعتادنا على توضيحك الاساسي في منطلق الندوة الى ان هذا حقنا واضح وصريح . كنت الان اتكلم عن بعض الشعارات او المحاور الفكرية التي ركز عليها... والآن سوف آتي الى بعض الاجراءات التي هي مربوطة بتحركنا من أجل التأثير في العالم الغربي واخيراً اود ان اتكلم عن الناحية الايجابية في الموضوع الاقتصادي اولاً انه ينبغي القول انه غير كاف ان يصير لنا مركز كبير في البلدان الغربية حتى يؤثر في السياسات الاقتصادية والمنشآت السياسية الاقتصادية ان كنا نتصرف بشكل غير انتقائي... مثلاً ليس كافياً ان نشترى ارضاً في فلوريدا... الحقيقة يجب ان تكون سياسة الاستثمارات العربية سياسة انتقائية تأخذ في الاعتبار نواحي سياسية وتعمل وفق اولويات مختارة ويجب ان يأخذ العمل بعين الاعتبار ضرورة شراء اسهم في الشركات الالكترونية والكمبيوتر ووسائل التخاطب والتلفزيون والراديو ، أي الاشياء الحساسة التي توفر الربح وينفس الوقت تؤثر في توضيح وجهة

اللجنة التي تسمى « لجنة مكافحة النشهر » . هذه اللجنة وسواها من المنظمات الصهيونية تريد أن تستعمل النفوذ الصهيوني في الكونغرس الأمريكي من أجل اصدار تشريعات لمكافحة المقاطعة العربية وليس فقط المقاطعة العربية بل ايضا لجم ما يسونه التفلغل الاقتصادي العربي فسي اوروبا والولايات المتحدة بشكل خاص . اذ ان هناك محاولة لاصدار تشريعات ضد النشاط الاقتصادي العربي بشكل عام ... وهناك حملة دعائية مركزة تعتمد العناصر التالية الادعاء ان العرب والمقاطعة العربية لا يقاطعون اسرائيل نحسب بل انهم اصبحوا خاصة بعد ١٩٧٣ يقاطعون اليهود لجرد كونهم يهودا واصبحوا يسمون المقاطعة العربية عبارة عن اسلوب جديد من اللاسامية واصبحوا يتهمون العرب بأنهم يتبعون الاساليب النازية لمحاربة اليهود اقتصاديا في اسرائيل وفي العالم وينطلقون من هذا طبعاً ان هناك مشكلة اقتصادية في اسرائيل وفي اوروبا بسبب عدة بنوك في اوروبا في فرنسا وفي بريطانيا بالذات مثل بنك روتشيلد وبنك لازارد الذي تقررت مقاطعتهما وينطلقون ايضا حسب تقارير اللجنة لمكافحة النشهر على الاقل ثبت لدى اللجنة ان المقاطعة العربية لا تقاطع اسرائيل فقط بل انها تقاطع القوى الصهيونية بأمريكا ايضا ... وان هناك اكثر من الف شركة يعتقد انها تقاطع اليهود ايضا ... ومن جملة العناصر الاخرى التي تحاول الصهيونية التركيز عليها في حربها الدعائية ضد الاقتصاد العربي في الغرب ان العرب يبدون الان بعد حرب ١٩٧٣ وبالذات بعد رفع اسعار النفط الى حوالي ٤٠ ٪ يبدون ، انهم كما قال السيناتور برمي بعد عودته لأمريكا اثر زيارته للشرق الاوسط ، ان العرب اصبحوا موجة المستقبل يعني يجب المراعاة عليهم ويجب ان تقنع رجال الاعمال والمؤسسات الاقتصادية في الغرب والسياسيين في اوروبا وأمريكا بأن هذا الشيء غير مضمون يعني ان يكون العرب هم موجة المستقبل كتقوة اقتصادية متنامية هذا شيء غير مضمون . وتذكر المحف الاسرائيلية بعض النجاح الذي احرزته في مكافحتها للمقاطعة العربية بل حتى الاستثمارات العربية في أمريكا ذكر مثلا ان منع العرب من ممارسة نشاط اقتصادي في ديترويت شراء بنك فيها بواسطة الضغط الصهيوني

علاقات اسرائيل بالقوى الاقتصادية الغربية التي تدعها ولكني ارى ان الوقت لم يعد متسعا ، لذلك يمكن العودة الى تقرير ورد في نشرة قضايا اسرائيلية العدد ٦ من هذه السنة ... وهناك اشياء اخرى ظهرت بعد ذلك . لقد ذكرت الصحف الاسرائيلية ان وضع التبادل التجاري بين اسرائيل وايطاليا بالذات قد ساء وتدهور . وهناك تأثيرات اقتصادية في العلاقات المباشرة مع اسرائيل . وهناك تأثيرات سياسية . فمثلا من جملة الاشياء التي تذكر تقلص العلاقات السياسية والاقتصادية بين اسرائيل ودول افريقيا وآسيا خاصة القارة الهندية . ويشار الى عامل المقاطعة العربية انه من العوامل التي يذكرون انها تؤثر سياسيا على اسرائيل . فقد ظهر ذلك في التصويت في الامم المتحدة كما برز في الدورة الاخيرة للجمعية العامة وذكروا كذلك ان احد العوامل التي اوجدت اسرائيل في وضع سييء هو المقاطعة العربية من ضمن اشياء اخرى . ولكن ارى من المهم في هذا المجال ان نبين من هذه الجهة ما هي الحرب المضادة ؟ ما هي الاساليب التي تتبعها اسرائيل في الحرب المضادة ضد المقاطعة العربية ؟ الفت اسرائيل فوراً بعد حرب ١٩٧٣ لجنة خاصة مؤلفة من ثلاثة اشخاص منبثقة عن وزارة المالية لتدرس ما سموه تفلغل الرأسمال العربي في الاقتصاد الغربي ... الان يقولون ان هذه اللجنة أصبحت غير كافية ويتحدثون عن اقامة هيئة مؤلفة من عدة وزارات واقترح ان يرأسها رئيس الخسارات العسكرية خلال حرب ١٩٧٣ الجنرال **الياهو زعيم** ... لماذا يجب ان تكون مكونة من عدة وزارات ؟ لانها ترى بأن التعامل في الحروب الاقتصادية ضد الدول العربية غير نابع من اعتبارات اقتصادية فحسب بل نابع من اعتبارات سياسية خارجية لذلك يجب ان تشترك وزارة الخارجية ويدخلها عنصر من الاعلام بشكل بارز ولذلك يجب ان تدخل فيها وزارة الاعلام ... على سبيل المثال هناك عدة مجالات تحاول اسرائيل ، مستخدمة القوى الصهيونية في أمريكا بالذات ، ان تتبعها لمكافحة ليس فقط المقاطعة العربية بل ايضا محاولة كبح او لجم الاقتصاد العربي في الغرب بشكل خاص ... انشط المنظمات الصهيونية التي تستخدم لهذا الغرض هي منظمة (بني بريت) او

وفي اعتقادي ان وجود مثل هذا التعاون قد يسد اي ثغرة يمكن ان تنفذ منها اسرائيل الى افريقيا السوداء حيث ان هناك رؤوس أموال عربية كافية لتمويل مشاريع اقتصادية في افريقيا وهناك غنيون وخبرات فنية في أوروبا لسد حاجات افريقيا الفنية ...

هاني الهندي : حين ندرس المقاطعة نجد ان هناك اهتماما شديدا في أمور وجوانب الاعلام الخارجي مقابل نوع من الغياب الكلي في عمل المقاطعة في الأوساط الشعبية العربية ويشعر المراقب ان المواطن العادي او حتى الاحزاب السياسية ، بشكل او بآخر ، بعيدة جدا عن معرفة تأثير هذا السلاح وعزوف أجهزة المقاطعة عن توعية الجماهير وتعريفها بشؤون المقاطعة ... وتزايد الوعي الشعبي وقوته في ميدان المقاطعة هو سلاح اساسي في عمل المقاطعة نفسها ومفيد لها نفسها ... ومن المفيد ان نذكر دائما ان المقاطعة هي احد الاسلحة الاساسية في المعركة الدائرة ضد اسرائيل اي ان المقاطعة هي سلاح واحد من اسلحة الحرب الاقتصادية والحرب الاقتصادية هي جزء من نضال مصري حياتي ضخم نخوضه ضد اسرائيل .. وبا يلجسه الانسان ان كان ذلك على مستوى أجهزة المقاطعة او على مستوى عمل الهيئات الفنية الاقتصادية وغيرها ، ان هذا الجانب الاعلامي الشعبي للعرب بعيد وبعيد جدا مع الاسف ... والنقطة الثانية تتعلق في مجال الاستثمارات وهي لاي درجة تستطيع هذه الاموال ان تخدم تضايانا ؟ اي ان المفروض ان يكون مجال الاستثمار موجها بشكل انساني نحو المنطقة العربية لرفع المستوى ولتحسين اوضاع المعيشة وتقوية البلاد اقتصاديا ولكن هناك تفكرا وسياسة وخططا تتحكم بهذه الاموال لكي توظف في الخارج ... وكما ذكر د. صايغ فان جزءا من أموالنا تقوي اسرائيل ونحن نتحدث عن المقاطعة وهناك مجال ثالث نتحدث به الأوساط السياسية والرسمية والشعبية وهو ان توظف في العالم الثالث وهذا سلاح اساسي وهو يفيدنا جدا .. ولكن في الذهن سؤال هو : ما هي امكانيات الاعادة من هذه الاموال لتعزيز علاقتنا وتقوية صداقتنا مع الكتلة الاشتراكية وخاصة مع الاتحاد السوفييتي ؟ فالمعروف ان احد اسباب الضغط

ومنعوا شراء شركات في سان كوريت وكاليفورنيا ونفس الشيء حدث وبعد اللجوء الى المحكمة انهم عرقلوا النشاط الاقتصادي العربي في ميشيغن . هناك ايضا حديث اسرائيلي على ان الحرب المضادة الاقتصادية التي تقوم بها الصهيونية واسرائيل تبدي علامات فشل وينتقدون كثيرا الحكومة الاسرائيلية على أنها لا تتسق مع المنظمات الصهيونية في أمريكا من اجل رسم خطط لمكافحة التفلغل الاقتصادي العربي في أوروبا . ويتحدثون ايضا عن ثغرات موجودة في المقاطعة العربية وفي استثمار رؤوس الاموال العربية في الغرب ويحاولون ان يثيروا الرأي العام لان العرب يريدون شراء اماكن وارض في الغرب ، اي نجد دائما ان الاسرائيليين يركزون على السيطرة على اقتصاديات الغرب وانهم يريدون شراء مؤسساتهم من ضمن حملة التحريض على العرب ... وهناك شيء مهم من ناحية اين توظف الاموال العربية ، اذا اريد طبعا هناك نقاش من جدوى استثمار المال العربي في الغرب .. وهل يجب ان يستمر في الغرب وهل من الافضل ان يوجه الى الدول العربية نفسها ولكن فيما اذا كان هناك استثمار لماذا لا يستثمر في اشياء حيوية يمكن كقوة اقتصادية ان تتحول الى قوة سياسية ؟ هنالك رعب من ان العرب يريدون ان يستثمروا وسائل الاعلام الصهيونية التي تملك سيطرة كبيرة جدا على وسائل الاعلام من اجل سيطرتهم في الكونغرس ... يجب ان يكون معهم رأي عام امريكي ... اذن سيطرة العرب على قطاع هام من وسائل اعلام أمريكا هو خطر على اسرائيل في الرأي العام الامريكي وبالتالي خطر على اسرائيل في الكونغرس .. هناك امكانية اقتصادية ان تستثمر رؤوس الاموال العربية فيما اذا كان هناك استثمار في وسائل الاعلام في مشاريع انتاجية في صناعات الكترونية التي من جهة تفيد الدول العربية ومن جهة اخرى تؤثر تأثيرا سلبيا على اسرائيل ... وهناك نقطة هامة تشير الى ان اسرائيل رغم قطع علاقتها السياسية مع افريقيا يبدو ان اسرائيل نشيطة في المحافظة او استرجاع العلاقات الاقتصادية مع هذه الدول وكانت هناك مقابلة اخيرا مع الرئيس سنغور رئيس السنغال في صحيفة اسرائيلية وتحدث عن وجوب تعاون عربي افريقي اوروبي في نفس الوقت في المجال الاقتصادي ...

لقد أشرت الى ذلك ولكن هذا لا يكفي إذ يجب التركيز على ذلك .. أن التركيز الأول يجب أن يكون على التنمية العربية واستثمار أموالنا داخل البلدان العربية كما يجب أن يوجه قسم من أموالنا صوب التعاون مع كتلة البلدان الاشتراكية كما قال الاخ هاني وأنا بالذات قدمت مذكرة خطية لاحدى البلدان النفطية العربية منذ اشهر طويلة حين كان الاتحاد السوفييتي يفتش على ثلاثة مليارات دولار وأمطر قبول بعض الشروط العاسية الامريكية السياسية من أجل ان يحصل عليها فما الذي كان يمنع الدول العربية ان تقدم له هذه الفلوس كيلا يظل الاتحاد السوفييتي الى حد بعيد مرتها سياسيا ... ويجب ان نتذكر هنا ان الاتحاد السوفييتي لم ينكث ابدا في الوفاء بأي التزام مالي منذ أن قام الاتحاد السوفييتي الى الان والمعروف ان هذا البلد لم يسجل عليه اي تهرب من مسؤولية النزم بها ... وبالنسبة للاستثمارات أحب أن أقول انه ستمر فترة في المدى القصير او المتوسط تكون خلالها غير تاديرين على استيعاب كل الاموال العربية التي تردنا من خلال تصدير النفط ... وهنا يواجهنا سؤال هام وهو ليس من الخطأ ان نأخذ الانتاج النفطي والموارد المالية كمعطيات تنجم عن حاجة السوق وطلبه ثم نفتش بعد ذلك كيف يجب ان نوظف هذه الاموال ؟ لتعود هذه الاموال الى البلاد الغربية وهو ليس الخيار الاصوب ؟ .. أليس المفروض ان نبكث وندرس ما هي حاجتنا الاجتماعية والقومية وحاجات بلدان العالم الثالث ثم نتج بعد ذلك الحجم المناسب من النفط الذي يوفر لنا المورد المالي اللازم لهذه الحاجات ؟ بكلمة اخرى أقول ان هذه وجهة نظر طرحتها في مجلة « قضايا عربية » عدد نيسان ١٩٧٥ ورفعتها ايضا لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط كوجهة نظر مهمة لاننا نتحول اليوم الى رهائن لاموالنا وأخشى انه بعد ان نجحنا في لوي ذراع الغرب بسبب النفط في ٧٢ - ١٩٧٤ عاد الغرب الان لوضع يستطيع فيه ان يلوي ذراعنا بالتهديد بتجديد أموالنا الموجودة عنده ... وبهذا نصبح اقل قدرة على استخدام أموالنا كسلاح ضغط سياسي ومن هنا تأتي ضرورة اعادة النظر في كل السياسة النقدية على مستوى عال جدا يتخطى المقاطعة بأجهزتها الحالية ... فيكون هناك مثلا مختص بالبريقا لياتبع

التي مارسها الولايات المتحدة على الاقتصاد السوفييتي هو حاجته الماسة للاموال من اجل تطوير اقتصاده وتحسينه وقد فرضت امريكا بسبب ذلك الاتفاقيه التجارية التي أرادت اذلاله بها واستغلال حاجته لاقصى حد ، وكان من مظاهر ذلك انها فرضت مسألة الهجرة اليهودية والسماح بخروج اليهود من الاتحاد السوفييتي ، وقد اضطرت موسكو في كانون الاول الماضي الى الغاء هذه الاتفاقيه ... والسؤال هو : ألا نستطيع ان نستفيد من هذه الاموال وبشكل أفضل كثيرا حين تكون في خدمة تعزيز العلاقات مع الدول الاشتراكية خاصة وان هناك حيرة في كيفية توظيفها واستثمارها؟ وباختصار لدي سؤالان : المقاطعة والتنوعية الشمسية اولا ومجال جديد أكثر فائدة لتوظيف الاموال العربية الفائضة ؟

د. يوسف صايغ : عندي بعض التطبيقات واريد ان أبدأ بأخر نقطة أثارها الاخ هاني .. معه حق ان عملية المقاطعة اتسعت وصارت اوسع من اجهزة المقاطعة ومن اغراض المقاطعة الرئيسية بحيث نسينا الاغراض الاصلية الصغيرة التي هي مقاطعة السلع الامريكية وما الى ذلك ... المقاطعة الجماهيرية للسلع التي تنتجها البلاد المعادية لنا لم تنسها جماهيرنا فقط بل نسيت رسميا . فالمعاملات التجارية مع امريكا والتجارة الخارجية بين الولايات المتحدة والبلدان العربية تضاعفت في ١٩٧٤ في حين انه كان من المفروض ان نجد صيفا بديلة في التعامل مع بلدان اخرى فاننا نجد ان هذه الاشياء من النقاط السوداء في تقييم الوضع .. ثانيا صحيح اننا نشترى اسهما من شركات متعددة لكن نحن لا نمارس الصلاحيات التي تعطىها لنا حقوق المشاركة . مثلا اذا كان لنا ١٠ ٪ من اسهم شركة امريكية ، او اية شركة فهل نجد اعضاء من العرب في مجلس الادارة حتى يستطيعوا التأثير في سياستها ؟ وأين هي دلالة تلك العرب لخمسة بالمائة او عشرة بالمائة ؟ اننا ان لم نرسم سياسة عامة توجه النشاطات في شراء هذه الشركات والمنشآت نستبقى الامور قاصرة على أخذ الأرباح في آخر السنة دون ان نؤثر على سياسة هذه المؤسسات وملاحظة ثالثة يجب ان لا ننسى من أجل المزيد من استخدام سلاح الاقتصاد في خدمة تضايانا القومية اولوياتنا في استخدامنا لمواردنا

الخطوات التي تتخذها هي في الواقع ليست نتيجة اخطار قائمة بوجودها حاليا وانما تتخذها اراء اخطار محتملة صادرة عن تخوفها من المستقبل ... انها حرب وقائية وهي تعتمد اعتماداً كبيراً على الاعلام . وان قدرة اسرائيل في نجاحها في هذه الحرب في تقديري تتوقف على الوسيلة الاعلامية فهي ليست قادرة اطلاقاً على محاربتها بأساليب اقتصادية وانما اسلوبها الوحيد هو الاسلوب الاعلامي . ولذلك نلاحظ انها في الخطوات التي قطعتها واللجان التي شكلتها حريصة جدا على ان تكون اجهزة اعلام خارجية ممثلة فيها وان تستهدف الولايات المتحدة بالذات والمنظمات الصهيونية بالذات وخاصة « العصابة ضد التشهير » كما ان الامر الواضح جدا في الاعلام ان السلاح الوحيد الباتي في ايديها هو سلاح اتهام العرب بالاسامية وهذا هو المنفذ الوحيد الذي تأمل اسرائيل من خلاله باستصدار بعض التشريعات من الكونغرس الامريكي ، واذا اراد الكونغرس ان يضغط فاعتقد انه حسب رأبي ينطلق من هذا المطلق . ولكن من الصعوبة يمكن اثبات هذه الصفة بانها هي التي منعت او لم تمنع شركة من الشركات الامريكية من التعامل مع العرب او عدم التعامل معهم . هنا تستلزم الحاجة اعتماد الاعلام وسيلة هامة جدا في امتيازنا لحقوقنا المشروعة سواء كانت ممتازة هذه الحقوق بوسائل عسكرية او وسائل اقتصادية ، وفيما يتعلق بالمستقبل اريد ان اؤكد مرة اخرى ان مستقبل المقاطعة يعتمد اعتماداً كلياً على الخطوات السياسية التي يمكن ان تتخذها الدول العربية وعلى مدى ايمانها بالخط النضالي بطبيعة الحال ... ان السلم لا يعني دائماً وبالضرورة التخلي عن سلاح المقاطعة لان التخلي عن الناحية القانونية يتم وهو أمر ممكن ولكن انا اخشى على هذا السلاح من الفشل في ظل ظروف تصفية استعمارية واخشى ان يرافقتها انهيار في الروح المعنوية لدى المواطن العربي وخصوصاً انه اذا وصل الامر الى درجة يصلح بها اسرائيل او يصبح قريباً من عقد الصلح مع اسرائيل ويقبل بها ، عندئذ على الاقل يصبح الصلح ممكناً . اذا وصلنا الى مرحلة تقبل بها الصلح مع اسرائيل عندئذ كل ذلك يصبح جائزاً وممكناً من الناحية العملية ...

هاني الهندي : شكرا لكم .

المحاولات العربية في تخفيف عبء المستوردات النفطية من خلال الصندوق الذي اقيم لهذا الغرض ولينابيع ايضا صندوق التنمية الذي رصد له (٢٥) مليون دولار لمساعدة الدول الافريقية .. ولكن هذا يجب ان يزداد اكثر من المخصص الحالي ذلك اذا تراجمت البلدان الافريقية عن خطها السياسي وعادت للتعامل مع اسرائيل فيكون ذلك نكسة كبيرة للبلدان العربية ، واخيراً تبقى قضية المستقبل غلقه كان مطروحا مستقبل المقاطعة واننا لا اريد ان ادخل في أي تصور طويل عريض للموضوع .. كل شيء اريد قوله اننا امام وضع جديد .. وضع نوعي يختلف كل الاختلاف عن السابق . وضع تظهر فيه الامكانيات الهائلة جدا التي نملكها ولهذا نريد تصورا طبيعيا جديداً وعلينا ان نتذكر ان حسن استخدام هذه الامكانيات الاقتصادية من أجل القضية من خلال المقاطعة لا يشكل الا ساحة صغيرة من العمل وخلال الاستخدام الاوسع لكل امكانياتنا ... ولكن الامر الاساسي والهام في الاستخدام الصحيح والفعال لهذه الامكانيات يتوقف الى حد بعيد على وجود محيط نضالي والاستمرار بروحية الكفاح والنضال من اجل التحرير ... فاذا سادت هذه الروحية واشتدت عزيمته النضال و ارادة الكفاح فيصبح كل شيء معنا ولنا ... اما اذا سيطرت روحية مستسلمة مترددة فلن ننوينا أموالنا كثيراً ... انا شخصياً من القائلين ان الشيء الاساسي الذي يتوجب التركيز عليه والاهتمام به هو استمرار روحية النضال من اجل التحرير ... ومن ضمن هذه الروحية يمكن ان تستخدم النواحي الاقتصادية احسن استخدام ...

د. منذر عنباتوي : انا متفق مرة اخرى كلية مع استنتاجات الدكتور يوسف .. واحب ان اشرع فيما يتعلق بالاستثمارات العربية في الخارج وكيفية التصرف بها انها كانت قاصرة - وبسبب اغراض هذه الفروة - على الاستثمارات الحكومية .. طبعا نحن لم نعالج الاستثمارات الشخصية وهي كثيرة وتستثمر في اغراض تجارية بحتة ولا اعتقد انها توظف وفق اية اهداف قومية او غيرها ... ولكني احب ان اعود الى كلام الاخ يوسف حمدان فيما يتعلق بالحرب المضادة التي حاولت اسرائيل ان تقوم بها في الدول الغربية خاصة في امريكا ضد المقاطعة العربية في اشكالها الحديثة .. احب ان اقول ان الخطط التي تعدها اسرائيل او

الاساليب الصهيونية في الضغط والتحريف والتشويه

فارس المنصوري

في جلسة الكنيست التي عقدت في اعقاب جولة كيسنجر الفاشلة في شهر اذار من العام الحالي ، القى منحيم بيغن كلمة طالب فيها الحكومة الاسرائيلية بشن حملة اعلامية واسعة النطاق في الولايات المتحدة ، وذلك لاطلاع الشعب الاميركي على وجهة النظر الاسرائيلية حيال احتمالات السلام في المنطقة . ولا شك ان قائد جبهة ليكود كان في اقتراحه هذا يعبر عن رأي الاكثرية الاسرائيلية التي باتت تخشى من احتمال حدوث بعض التغيير في السياسة الاميركية حيال اسرائيل ، لا سيما وان كيسنجر غادر اسرائيل حانقا ، واخذ يتحدث في مجالسه الخاصة عن تعنت قادتها وقصر نظرهم .

وبعد ايام قليلة على كلمة بيغن ، كان الرئيس فورد نفسه يبدي عدم ارتياحه من الموقف الاسرائيلي ، ملمحا الى ان حكومته ستعيد النظر في سياستها . ومع ان المسؤولين الاميركيين كانوا في كل مناسبة يؤكدون على التزام بلادهم ببقاء اسرائيل وسلامتها ، الا ان القادة الاسرائيليين كانوا يريدون ان يشمل هذا الالتزام الاميركي الجزء الاكبر من فتوحاتهم ، وليس مجرد اسرائيل في حدودها الاصلية . ولذا توجب عليهم القيام بحركة التفاف داخل الولايات المتحدة نفسها ، للتاثير على القواعد التي يستمد منها الرئيس الاميركي واعضاء الكونغرس سلطتهم ، منتهزين فرصة الظروف غير العادية التي حملت جيرالد فورد الى البيت الابيض . فان فورد كان قد خلف سبيرو اغنيو في منصب نائب الرئيس بعد اقالة الاخير ، ثم بعد ذلك خلف الرئيس نيكسون . اي انه وصل الى البيت الابيض دون المرور بآية انتخابات ، لا ككاتب للرئيس ، ولا كرئيس للجمهورية ، مما سيجعله يقف على أرض ليست ثابتة تماما عندما تنتهي ولاية نيكسون في العام المقبل ، ويتحتم عليه ان يرشح نفسه للانتخابات الرئاسية لأول مرة .

في هذه الظروف الملائمة لها ، ستمارس الحركة الصهيونية ضغوطها القوية لتحمل المسؤولين الاميركيين على العودة الى حظيرة التأييد شبه المطلق لاسرائيل . ونحن نعلم ان الحركة الصهيونية ما زالت تتمتع بنفوذ ضخم في الولايات المتحدة ، خاصة وانها تبنت السناتور هنري جاكسون ، المنافس الرئيسي للرئيس فورد في الانتخابات القادمة . ونحن نتذكر حادثة الجنرال براون ، قائد الجيش الاميركي ، عندما القى كلمة قبل اشهر ، هاجم فيها الفئات الموالية لاسرائيل في بلاده ، متهما اياها ببسط نفوذها في اوساط الصحافة والمال ، وبين رجال السلطة التشريعية في واشنطن ، وذلك لمصلحة الدولة اليهودية . وكان الجنرال المذكور قد ابدى تدمره بصورة خاصة من عملية التفريغ المستمرة التي تعرضت لها مخازن الاسلحة والمعدات التابعة للقوات الاميركية ، مما جعل بعض الوحدات تفتقر الى السلاح الكافي ، وبالتالي تفقد جزءا لا يستهان به من فعاليتها الحربية . اذ قال براون ان المسؤولين الاسرائيليين يحضرون الى البنتاغون ، حاملين القوائم الطويلة الحافلة بانواع الاسلحة والمعدات الحديثة

جدا ، التي يرغبون في الحصول عليها . فاذا ما قيل لهم ان الكونغرس قد يعارض تلبية جميع رغباتهم ، يكون جوابهم : لا يهمكم امر الكونغرس ، فنحن سننتدبر امزه . وذكر الجنرال ايضا بان الصحافة الاميركية تساند هذا النفوذ الذي لا يخدم مصلحة الولايات المتحدة .

هذا التصريح اذهل العالم ، اذ لم يحدث قبل ذلك ان وثف موظف اميركي كبير ، ما زال يمارس مهام وظيفته ، لينتقد النفوذ الصهيوني في بلاده . تم ان الجنرال كان بدون شك يتحدث بلسان القوات المسلحة الاميركية التي يقودها ويمثلها ، مما يدل على مقدار الاستياء الذي يعم الاوساط العسكرية الاميركية بسبب عملية الاستنزاف المستمر الذي تتعرض له مخازنها لمسلحة اسرائيل . ولكن الذي اذهل الناس اكثر من ذلك كان التراجع الكامل السريع لهذا المسؤول العسكري الكبير . فبعد ان استدعاه الرئيس فورد الى مكتبه ووبخه بشدة ، خرج الجنرال من المقابلة وذيله بين رجليله ، ليعلن امام الصحافة اسفه وندمه على ما سبق ان تفوه به في ساعة طيش وجهل . لقد تراجع تماما عن موقفه السابق ، وسحب كل ما قاله ، حتى انه اعترف في تبرئه الدليل بانه شخص جاهل لا يفهم شيئا في الامور السياسية .

وهكذا مرة اخرى نجح الصهونيون ، بمعونة الفئات التي تأتمر بأوامرهم ، في اسكات صوت تعرض لهم بالنقد . وخرجت مجلة تايم الاسبوعية ، التي يرأس تحريرها الصهيوني غرونفالد ، حاملة مقالا فسرت فيه تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل على انه نابع من اعجاب الشعب الاميركي بالدولة اليهودية ، ونافية ان يكون هذا التأييد صادرا عن قوى ضاغطة . الا ان قوة الردهية الصهيونية في اميركا لم تعد كافية لاسكات جميع الاصوات ، كما كان الامر في الماضي . فالسناتور بيرسي ، مثلا ، الذي اشتهر في السابق بتأييده التام لاسرائيل ، اصبح الان اقل حماسا للدولة الصهيونية عن ذي قبل ، وخاصة بعد جولته في بعض الاقطار العربية . ولذا فالتوقع ان تضاعف الحركة الصهيونية من جهودها ، وتستخدم كل اسلحتها في الضغط لاقاء الراي العام الاميركي في قبضتها . فالمعركة بالنسبة لها تكاد تكون معركة موت او حياة ، لا سيما في ظل ازمة الطاقة التي تهدد اميركا . وسيترتب على العرب ذوي النفوذ الاقتصادي المتزايد في اميركا ان يكونوا طرفا في هذه المعركة ذات العلاقة المباشرة بهم . لذا يجب ان يدرسوا الاساليب الصهيونية في الضغط وكسب التأييد ، لاستخلاص العبر منها ، وبالتالي لمواجهة بقوى متكافئة .

وسنحاول في هذا البحث ان نكتشف عن بعض الاساليب الصهيونية ، وذلك من خلال استعراض عينة من الحالات المشهورة ، علاوة على بعض النماذج الخاصة التي وصلت الى علم الكاتب الحالي ، آملين ان تكون هذه المحاولة مجرد مقدمة لدراسة كثيفة شاملة لاساليب الضغط الصهيوني تبينها جهات عربية مختصة ، وتضعها تحت تصرف الاعلام العربي الموحد في العالم . ان استقصاء هذه الاساليب ليس سهلا ، نظرا الى ان معظم ضحايا الضغط او التشهير الصهيوني يترددون في التحدث بصراحة عما تعرضوا له من ملاحظات ومضايقات ، وضغوط نفسية واقتصادية واجتماعية تصل احيانا الى جِد الأبتزاز ، او حتى التهديد بالقتل ، وفي كثير من الاحيان ، تؤدي الحملة الصهيونية المشنة على فرد من الافراد ، الى تحقيق هدفها ، اي الى اسكات الشخص المنوي اسكاته . فميسكت وينسحب من المعركة ، ثم يحاول جهد امكانه ان ينسى الموضوع المؤلم كله .

لنستعرض مثلا حملة الضغط والتشهير التي تعرضت لها السيدة الاميركية (س)

فهذه السيدة المتزوجة تقطن في مدينة جامعة بالولايات المتحدة ، وتتابع الندوات الثقافية التي يعقدها طلاب الجامعة المحلية واساتذتهم . وقد حدث ان حضرت ، فيما حضرت ، ندوات ساهم فيها بعض الطلاب العرب ، وعرضوا خلالها وجهة النظر العربية حول فلسطين ، فشرعت لأول مرة في حياتها بان لهذه القضية جانبين ، وبعد ان كانت سابقا تعتنق وجهة النظر الصهيونية بدون تحفظ ، كمعظم المواطنين الاميركيين المهتمين بسياسة بلادهم الخارجية (وهم على كل حال قلائل في بلاد لا يهتم معظم مواطنيها الا بالسياسة الداخلية) فقد اخذت الان تدرس القضية بالجدية المعروفة عن الاميركيين . فاتصلت بالطلاب العرب لتناقشهم وتستزيد من معلوماتها عن القضية ، كما انكبت على دراسة الكتب التي تدور حول الموضوع ، الى ان باتت على اقتناع بالحق العربي . عند ذلك أدلت بدلوها في النقاش الدائر حول فلسطين ، وذلك عن طريق القاء المحاضرات ، وكتابة الرسائل الى الصحف ، والاشتراك في الندوات ، والظهور في محطة التلفزيون المحلية للتحدث عن العرب ، وغير ذلك من نشاط اثار عليها حنق الصهيونيين المقيمين في ولايتها . فقاموا بشن حملة مضادة عليها وعلى امرتها . فأخذ زوجها يتعرض لمحاولة خنق اقتصادي في عمله التجاري ، اذ انصرف عدد من زبائنه القدامى ، وهم طبعاً من اليهود واصدقائهم ، الى التعامل مع مؤسسات اخرى منافسة له ، مما جلب له الخسارة المادية . وهذه الخسارة المادية اساءت الى العلاقات بينه وبين شريكه في المكتب . فالشريك ابدى ضيقه من تصرفات زوجة صاحبه عندما مست بمشاعر اليهود الاغنياء المتنفذين في تلك المنطقة ، وجعلتهم يتوجهون بعقودهم التجارية الى مكاتب اخرى . وتولى الزوج نقل تدمير شريكه الى زوجته ، لكنها أصرت على مجابهة التحدي الصهيوني لاسرتها .

وكانت الحملة الصهيونية المنظمة قد شملت الان الحرب النفسية . فطفق جرس التليفون يرن ليل نهار . وعندما ترفع السيدة او زوجها او احد ابنائها السماعية ، تحمل الاسلاك صوتاً مجهولاً يقذف الالفاظ النابية الفاحشة ويهدد ويتوعد . وكذلك كان البريد يحمل الى الاسرة الرسائل المليئة بالشتائم والتهديدات . كما تذف مجهولون نوافذ البيت بالحجارة وحطموا الزجاج . وكذلك القيت الفرقتات على عتبة الدار في ساعات الليل المتأخر ، لتخويف ساكني البيت وخاصة الاطفال منهم . واتهمت السيدة بانها نازية ومعادية للسامية ، كما نشرت الاشاعات البذيئة عنها . فقتيل ان السبب في تأييدها للعرب يعود الى انها تعشق عربياً ، كما قيل ان السبب في عداتها لاسرائيل يعود الى قصة حب فاشل عاشته مع يهودي . وان هذا اليهودي نبذها ، مما جعلها تحقد على اليهود جميعاً ، وتقرر ان تنتقم منهم بمهاجمة اسرائيل ، وغير ذلك من الاشاعات المفضضة التي لا تستند الى اساس من الصحة . الا ان الحملة الصهيونية ، بشقيها النفسي والاقتصادي ، ادت في نهاية المطاف الى تعكير صفو العلاقات بين هذه السيدة وزوجها ، فوقع الطلاق بينهما .

هذه هي مجرد حادثة من بين حوادث تشهير عديدة وقع بعض الاشخاص ضحية لها لانهم قاموا بنشاط اعتبرته الحركة الصهيونية معادياً لها . وقد نتذكر في هذا الصدد حملة التشهير التي تعرض لها الدبلوماسي الاسباني الذي كانت حكومته قد كلفته في اواسط الستينات ببذل المساعي الحميدة بين مصر والمانيا الغربية ، وذلك بعد ان ساءت العلاقات بين البلدين اثر تزويد المانيا لاسرائيل بالسلاح ، وقرار الرئيس عبد الناصر بدعوة فالتر اولبريخت ، زعيم المانيا الشرقية ، لزيارة مصر . فقد اشاعت الاوساط الصهيونية بان الكونت الاسباني يتاجر بالسلاح ، وله مصلحة شخصية خاصة في التوسط بين مصر والمانيا . ومع ان هذه الاشاعة كانت كاذبة تماماً ، الا انها احرقت

بسمعة الدبلوماسي الاسيائي ، لا سيما وان الصحف لم تفتح المجال لدفاعه عن نفسه . ففشلت الوساطة الاسبانية بين البلدين ، مثلما تمت اسرائيل ان يحدث .

وهناك ايضا قصة الشاعر الاميركي الكبير عزرا باوند* . فهذا الشاعر اذاع سلسلة من الاحاديث من اذاعة روما ابان الحرب العالمية الثانية ، انتقد فيها الرئيس فرانكلين روزفلت ، وكذلك حمل على النفوذ اليهودي في اميركا . فحوكم بتهمة الخيانة العظمى بعد انتهاء الحرب . ولما لم تثبت عليه هذه التهمة ، ابي الحقد الصهيوني ان يتركه يذهب طليقا . فحكم على الشاعر بالجنون ، وادخل مستشفى الامراض العقلية حيث قضى عشرين سنة كتب اثناءها اروع اشعاره . وتشاء سخرية الاقدار ان تحمل الصحف الاميركية على الاتحاد السوفيتي هذه الايام ، متهمة اياه بانه يزج بمعارضتي النظام في مستشفيات الامراض العقلية !

وبين الحملات التشهيرية التي شنتها الحركة الصهيونية ، نتذكر حملتين شهيرتين : اولهما تلك التي استهدفت وزير الدفاع الاميركي جيمس فورستول (١٨٩٢ — ١٩٤٩) بسبب معارضته للتأييد الاميركي للاهداف الصهيونية ، وتاكيد على تضارب ذلك مع مصالح اميركا الحيوية في العالم العربي . وقد انتهت حياة هذا الرجل في ظروف غامضة ، اذ يقال انه اصيب بالجنون ، ورمى نفسه من النافذة وهو يصيح : الروس قادمون .

والحملة الثانية هي تلك التي تعرض لها ايرنست بيفن (١٨٨١ — ١٩٥١) وزير خارجية بريطانيا العمالي ، وقد تولى قيادتها داخل حزبه زميله رشارد كروسمن ، وذلك نيابة عن الحركة الصهيونية التي تبنته .

اما في مجال الضغط في المستويات العليا ، فهناك قضية الرئيس هاري ترومن . فخلفنا لما يظنه الكثيرون ، لم يرتقم هذا الرئيس الاميركي طوعا في احضان الصهيونيين . بل انه في بداية عهده كرئيس للجمهورية اراد ان يقتفي اثر روزفلت في اتباع سياسة متوازنة حيال القضية الفلسطينية . وكان روزفلت قد اقتنع في مقابلته المشهورة مع الملك عبد العزيز بن سعود : على ظهر البارجة الاميركية ، بان العرب سيقيمون تهويد فلسطين بشدة ، وان المصالح الاميركية في البلاد العربية ستعرض للخطر في حالة انحياز الولايات المتحدة للجانب الصهيوني . ولعل روزفلت كان سيقف موقفا اكثر حزما تجاه الضغوط الصهيونية لو ان الحياة امتدت به . فهو الرئيس الوحيد في تاريخ الولايات المتحدة الذي انتخب رئيسا في ثلاث دورات متتالية . ولكنه عندما مات في السنة الثانية عشرة لحكمه ، خلفه نائبه ترومن الذي لم يكن يتمتع بشعبية ومكانته . لا على الصعيد الدولي ، ولا على الصعيد الاميركي الداخلي . فاستغل الصهيونيون الاميركيون ضعفه الظاهر للضغط عليه بشدة ، وتجدد اشارة الى هذا الضغط في مذكرات تاحوم غولدمن ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، اذ كتب بان ترومن بين عدة مرأت بأنه لا يرى اية وسيلة للخروج من المأزق الفلسطيني ، ولذا يود الانسحاب من الموضوع كله . وقد علق غولدمن على ذلك بقوله ان انسحاب ترومن وغسله يديه من مساعدة اليهود في الحصول على فلسطين كدولة لهم ، كان سيعني حدوث كارثة هي اسوأ من وقوع حرب مفتوحة بين

* الشاعر باوند ليس يهوديا كما قد يتبادر الى الاذهان من جراء اسمه اليهودي : عزرا . فالاميركان كانوا متأثرين بانبياء العهد القديم ، ولذا أطلقوا الاسماء الاسرائيلية على ابنائهم مع انهم بروتستانت . وكان تأثيرهم هذا متأثرا من اعتقادهم بان الثورة الجديدة هي ارض الميعاد لهم ، كما كانت فلسطين ارض الميعاد لبني اسرائيل المهاجرين من مصر .

يهود فلسطين وبريطانيا (١). وكانت قيادة الحركة الصهيونية قد انتقلت من بريطانيا الى اميركا بعد أن برزت الاخيرة كأقوى دولة في العالم ، وأصبحت الجسالية اليهودية في اميركا اوسع الجاليات نفوذا واعظمها ثراء . فازداد الضغط على ترومن الى أن أصبح يشعر بانته في حالة حصار . فأعطى الاوامر المشددة لمساعديه بعدم السماح لاي زعيم صهيوني بمقابلته . والرواية السائدة اليوم هي أن القيادة الصهيونية بحثت بين معارف ترومن واصدقائه الشخصيين القدامى ، الى أن عثرت على يهودي مغفور كان صديقا لترومن وشريكا له في العمل اثناء شباب رئيس الجمهورية . فأرسلته ليحصل على اذن بزيارة للرئيس كصديق شخصي قديم . فلما قابلته ، قال له متوسلا : أرجوك : بحق صداقتنا القديمة ، اسمح للدكتور حايم وايزمن بمقابلتك . اني في حياتي كلها لم يسبق لي ان طلبت منك شيئا ، فهل ستردني الان على اعقابى دون ان تستجيب لالتماسي هذا ؟!

هذه هي الصورة العاطفية التي يرسمها المؤرخون الصهيونيون للظروف التي ادت الى حدوث المقابلة التاريخية بين ترومن ووايزمن ، عندما وافق الرئيس الامركي على مطالب الزعيم الصهيوني ، وربط سياسة بلاده منذ ذلك اليوم الى عجلة المطامع الصهيونية . الا انها كصورة ، لا تتضمن الاجزاء من الحقيقة . فالصهيونيون لجأوا الى اسلوب الترهيب والترغيب مع ترومن ، وافهموه انهم يجيدون فن المكافأة بقدر ما يتقنون اسلوب العقاب . فبعد وفاة ترومن منذ سنوات ، اذاعت ابنته مرغريت سرا لم يكن يعرفه الا القلائل . فقد ذكرت ان اباهما استلم تهديدا بالقتل ان هو لم يستجب لمطالب الصهيونيين ، مما يدل على ان الحركة الصهيونية استخدمت جميع اسلحتها في الضغط : من التلويح بالمكافأة العظيمة (اعادة انتخابه رئيسا للجمهورية) الى التهديد باغتياله . ونحن نميل الى الظن بان ترومن لم يستخف بهذا التهديد . فقبل سنوات معدودة من ولايته ، اغتال الصهيونيون اللورد موين ، الوزير البريطاني المسؤول عن شؤون الشرق الاوسط، والمقيم في القاهرة . واثناء ولايته اغتالوا الكونت بيرنادوت ، الذي لم يكن وسيط الامم المتحدة فحسب ، وانما ايضا احد اقرباء ملك السويد ، والرئيس السابق لمنظمة الصليب الاحمر الدولية ، والرجل الذي سبق أن بذل مساعيه الحميدة لانهاء الحرب العالمية الثانية . الا ان هذه الخدمات البارزة كلها لم تشفع له ، فمسقط ضحية الرصاص الصهيوني ، ولم يلحق العقاب بقاتليه ابدا .

ولا شك ان ترومن ادرك بان المذابح النازية الرهيبة قد جعلت الراي العام في كل من أوروبا واميركا في اطار ذهني هو على استعداد لان يصفح عن اي عمل اجرامي يقوم به اليهود . فلنفترض ان ترومن صمد امام الضغوط الصهيونية الى ان اضطر الصهيونيون الى تصفيته . ان ما سيتبع حادثة الاغتيال هو على الأرجح ما يلي : ستستنكر الاوساط الصهيونية هذا « الحادث الفردي الاجرامي » ، ولكنها ستشير في الوقت نفسه الى ان الشخص الذي قام به سبق ان تعرض لاقسى انواع التعذيب في معسكرات الاعتقال النازية ، وشاهد معظم افراد عائلته يموتون خنقا في قاعات الغاز ، ولذا فقد توازنه العقلي واقدم على جريمته . وستلمح هذه الاوساط ايضا الى السياسة الجائرة التي كان الرئيس القتل ينتهجها حيال شعب فقد ستة ملايين من ابناءه في افطع عملية ابادة جماعية عرفها التاريخ ، وأصبح يتخوف حتى الموت من احتمال تكرار هذه الكارثة الكبرى .

ثم سنفترض أيضا بأن الرئيس الذي سيخلف ترومن القتل سيكون أكثر تفهما للحساسيات اليهودية من سلفه ، وسيتجه بالتالي سياسة جديدة حيال القضية الفلسطينية ، ولعل القارئ سيفغر لنا افتراضا اضافيا عندما نقول بان الرئيس ترومن ربما ورد في خاطره هذا كله ، فانتهى الى الاقتناع بان عليه ان يحمل تهديد الاغتيال محمل الجد ، ولذا عليه ان يعيد النظر في الخيار المتوفر امامه . فتراجع عن تصلبه المبدئي ، واختار الهزيمة في معركة الترهيب ، من اجل ان يفوز بثمار الترغيب . فمحض اسرائيل كل تأييده ، مقابل الاصوات التي اعادته الى البيت الابيض . وعندها وقف ليقول لدبلوماسيه الذين جاءوا يطالبوه باتباع سياسة متوازنة في الشرق الاوسط : « قولوا لي يا سادة : كم هو عدد الاصوات العربية في انتخاباتنا ؟ » .

هذه تبقى بالطبع مجرد افتراضات ، الا ان الواقع التاريخي يبين على كل حال بان ترومن استسلم امام الضغوط الصهيونية ، وان هذه الضغوط كانت متعددة الاساليب ، وتتضمن حتى التهديد بالقتل . ونحن نعلم ان الحركة الصهيونية لا تتردد في اللجوء الى سلاح الاغتيال في الحالات القصوى . ولدينا امثلة على ذلك في ملاحقة الاستخبارات الاسرائيلية للعلماء والامان المتعاونين مع مصر في صناعة السلاح . فأحد هؤلاء العلماء ، وهو الدكتور كروغ ، اختفى نهائيا ولم يعثر له على أثر ابدا . وسكرتيرة البروفيسور لينز ، المثرف على تصميم الصواريخ المصرية ، استلمت طردا موجهها الى البروفيسور . فلما فتحته ، انفجر في وجهها ، فشووها وافقدتها حاستي السمع والنظر . وجرت محاولة لاغتيال عالم الماني آخر لنفس السبب . فلما فشلت المحاولة ، اتصل الصهيونيون بابنته وابنه واستدرجوها الى لقاء في فندق في سويسرا . وكان الاثنان قد ابلغا السلطات السويسرية بالامر ، فوضعت جهاز تسجيل تحت المائدة ، وانتحل رجال الامن صفة خدم الفندق وزبائنه الى ان تمكنوا من القاء القبض على العميلين بالجرم المشهود ، وبعد ان سجل الجهاز تهديداتهما باغتيال العالم . الا ان المحكمة راعت ظروف اسرائيل « التي يهددها العرب بالفناء والدمار » ، وافرجت عن ساحة الرجلين ليعودا الى اسرائيل ! وهذا التصرف سنراه يتكرر دائما منذ اغتيال بيرنادوت في الاربعمينات ، الى اغتيال بوشيخي في السبعينات . وقد بلغ من خشية الناس في الغرب من سلاح الاغتيال الاسرائيلي ان بعضهم فسر غياب صوت الكاتب ايزمكين تشيلدرز اثناء حرب حزيران وبعدها بانه قد وقع ضحية الاغتيال ، وان الصهيونيين اسكتوا صوته المؤيد للعرب الى الابد . وفي الواقع كان تشيلدرز قد انزوى لاسباب شخصية لا علاقة لها بالصراع العربي الاسرائيلي ، الا ان تخوف اصحابه من احتمال وقوعه ضحية للاغتيال يدلنا على مقدار الهيبة التي نالها جهاز الضغط الصهيوني في الاذهان .

ولا بد من التشديد هنا بان الصهيونية لا تلجأ الى الاغتيال الا كوسيلة اخيرة في حالة كون الاشخاص الذين تريد تصفيتهم هم من غير العرب . ففي كثير من الاحيان تكفي الحملات الشديدة لتحقيق الهدف المطلوب منها في القضاء على المعارضة ، او على الاقل في اسكاتها . ومع ان الاعتقاد السائد عن المواطن الغربي في الدول الديمقراطية هو انه غيور على حريته الشخصية واستقلاله الفكري ولا ينقاد بسهولة امام الطغاة والغوغائيين ، كما انقاد الالماني لهتلر والايطاليون لموسوليني ، الا ان الواقع يشير الى ان هذه الصورة مسرفة في التفاؤل . ففي بداية الخمسينات تمكن عضو في مجلس الشيوخ الاميركي من ارهاب واذلال عدد كبير من ابرز المفكرين في بلاده . هذا الرجل الغوغائي هو السناتور جوزف مكارثي ، الذي اعلن الحرب على اليسار ، او من اتهمهم بانهم ينتمون الى اليسار ، في امريكا . فكان يكفي ان يتهم احد المفكرين او العلماء

او الصحفيين بانه كان قبل عشرين او ثلاثين سنة صديقا لاحد الشيوعيين ، لان يفقد هذا الرجل مركزه ومكانته في المجتمع ويصبح شريدا منبوذا .

لقد طفى جو من الرعب والارهاب على البلاد كلها ، وكانت القوائم السوداء تعد في الاوساط السياسية والمالية والفكرية والفنية ، لتتضمن أسماء « الحمر » غير المرغوب فيهم . وكان اصحاب الاسماء في هذه القوائم يفصلون من وظائفهم ، واحيانا يقدمون الى المحاكمة بتهمة التآمر على سلامة الدولة ، والاتصال باعدائها (اي الكتلة الشيوعية) وفي هوليوود ، مثلا ، تولى الممثل اليميني جون وين الاشراف على اعداد قائمة سوداء تضمنت أسماء عدد من أبرز المخرجين ومؤلفي السيناريو ، مما اضطر هؤلاء المنبوذين الى مغادرة هوليوود ، وحتى الولايات المتحدة في بعض الحالات ، بعد ان رفضت جميع الشركات التعامل معهم . واضطر المخرج السينمائي والمسرحي الشهير (ليا تازان ان يتبرأ من يسارته السابقة عندما وقف امام اللجنة المكارثية ليثني باصدقائه السابقين . ثم اخرج فيلما يدعى « ذئب الميناء » (بطولة مارلون براندو) يدور موضوعه حول واجب المواطن بان يبلغ السلطات باسماء الاشخاص الخارجين على القانون ، وهذا الفيلم حاز على جائزة أوسكار .

كان الشعب الامركي يجلس منبهر الانفاس امام شاشة التلفزيون كل مساء ليتابع سلسلة التحقيقات الجلودرامية التي كان السناتور المخيف يقوم بها في كل ركن من اركان الدولة . واصبحت العادة ان يمر كل منهم بسلسلة طقوس لا تتغير . فهو يقف امام لجنة التحقيق ، ويعترف بذنبه حتى اذا كان هذا الذنب هو صداقته القديمة ليساري وليس أكثر . وبعد ذلك ، كان عليه ان يعلن تبرؤه من ماضيه المخجل ، ويشدد على ولائه المطلق لنظام الحكم في الولايات المتحدة . ولكن حتى ذلك لم يكن كافيا ، بل كان عليه ان يعين بالاسماء كل شخص من معارقه يشتمبه بيسارته ، وبالتالي عديم اخلاصه للنظام الامركي . وهذا كان اصعب جزء من شهادته ، اذ عليه ان يثني باصدقائه ومعارفه ، حتى وان كان واثقا من براعتهم واخلاصهم لوطنهم . فهذا هو الثمن المطلوب لتخليص نفسه واسرته من مصير المنبوذين . لقد ارهب مكارثي (ولم يكن أكثر من شيخ انتخب حديثا في مجلس الشيوخ) اميركا كلها ، وحتى رئيس الجمهورية ايزنهاور ، صاحب الشعبية الواسعة كبطل من ابطال الحرب العالمية الثانية ، ووزير خارجيته القوي جون فوستر داليس ، لم يتمكن من الوقوف بوجهه . كما ان السناتور الليبرالي جون ف. كندي حافظ على صمته في تلك الفترة ، مبررا ذلك فيما بعد بان مكارثي كان صديقا لابيه جوزف كندي ، ولذا لم يشأ ان يتعرض لاساليبه بالنقد . والطريف ان كندي الف بعد ذلك كتابا عن الجراءة السياسية دعاه : صور من الشجاعة ، حاز على جائزة بوليتزر بسببه !

المهم في هذا السياق هو التدليل على فعالية الحملات المنظمة التي تستهدف شخصا او مجموعة اشخاص ، فتعرضهم لحالة حصار من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والايديولوجية ، وتختنقهم خنقا . انها تصورهم على أنهم اعداء المجتمع والوطن ولذا يجب مطاردتهم دون هوادة او شفقة . وهذا هو التكنيك الذي تتبعه الحركة الصهيونية في محاربة من تعتبره خصما لها .

وبين الاشخاص الذين تعرضوا لهذه الحملة قبل سنوات : هوجكن ، احد محرري صحيفة التايمز اللندنية ، وهو مختص بالشؤون العربية . فقد كتب مقالا انتقد فيه باسلوب معتدل سياسة القمع التي تنتهجها اسرائيل في الاراضي المحتلة . واذا بعاصفة هوجاء تنفجر فوق رأسه . فقد امتلأ عمود الرسائل في التايمز على مدى ايام

بعد ذلك برسائل الاحتجاج والاستنكار التي تحمل تواريخ عدد من أبرز الشخصيات البريطانية من مفكرين وساسة وتبلاء ، ناهيك عن المكالمات التليفونية التي انهالت عليه بدون انقطاع في البيت والمكتب ، وكلها سب وشتم وتهديد بقطع دابر الفاشيستين واعداء السامية امثاله !

وحتى بعض اليهود يتعرضون احيانا لحملة مماثلة في حالة توجيههم الانتقاد لاسرائيل . وبين هؤلاء مارك ابراهام ، اليهودي الاسترالي المتدين ، الذي انتقد اسرائيل لعدم تدينها ، فاذا بالصحيفة اليهودية التي يكتب فيها ، تضطر الى الاحتجاج عن الصدور ، ويضطر هو نفسه الى مغادرة استراليا بعد ان اتهم بالتعاون مع فتح ! وهناك أيضا صولي ساخس ، من جنوب افريقيا . فلانه وجه خطابا مفتوحا في الصنداي تايمز الى غولدا مير ، ضمنه الى جانب تمنياته بازدهار اسرائيل ، امه بان تتفاهم رئيسة الوزراء مع العرب ، وتتخلى عن الاراضي المحتلة ، ساخس هذا اصبح في عداد المغضوب عليهم هو الآخر . اما اليهودي الثالث ، فهو الصحفي المعروف برنارد ليفين ، الذي ارتكب الجريمة الكبرى في نظر الصهيونية ، عندما كتب بانه يعتبر نفسه بريطانيا اولا ، ويهوديا ثانيا ، وانه يتمنى لاسرائيل التوفيق والتقدم ولكنه لا يريد الارتباط بها . لقد اتهم ليفين بمعاداة السامية .

ما هو الاسلوب الصهيوني في شن الحملات المنظمة ؟ اننا نعلم بالطبع ان الحركة الصهيونية هي اشيء ما تكون بالحزب السياسي المنظم ذي الكوادر والمكاتب والفروع ، الا انها حزب على نطاق دولي وليس وطني . والهدف المعلن لهذا الحزب ينشطر الى شقين : الدعوة الى الفكرة الصهيونية بين الاوساط اليهودية ، والحصول على التأييد لاسرائيل من بين الاوساط غير اليهودية . أما الهدف غير المعلن ، فهو مع اليهود من الذوبان في المجتمعات التي يعيشون فيها . فبقدر ما يتعلق الامر بقيادة الصهيونية ، لا يقل الذوبان الطوعي في خطره عن قاعات الغاز الهتلرية . فكلما الخطرين يعينان نقصان عدد اليهود في العالم ، وبالتالي اضعاف نفوذهم . اذن فالحركة الصهيونية تعتبر نفسها الحارس الامين الذي انيطت به مهمة المحافظة على الكيان اليهودي في الشتات . وظاهريا تبدو الحركة الصهيونية وكأنها منقسمة الى عشرات الجمعيات المختلفة ، فهناك جمعيات للنساء ، وجمعيات للشباب ، وجمعيات للمتدينين الخ . . الا انها جميعا تصب في نفس الخليج ، وتخدم غرضا واحدا وهو الهدف الصهيوني الحقيقي . ويقود الحركة الصهيونية مسؤولون متفرغون لهذا العمل يمكن تسميتهم باليهود المحترفين .

والان لنفترض ان محررا او مراسلا في احدى الصحف البريطانية نشر مقالا ينال من سمعة اسرائيل كدولة ديمقراطية تسود فيها المبادئ الانسانية الفاضلة . ان ردة الفعل الصهيوني ستكون عادة كما يلي :

١ - تملىء اعمدة الصحف في الاعداد التالية بالاحتجاج والاستنكار والتذكير بالملايين الستة (بعض الكتاب رفعوا عددهم الى ثمانية ملايين) الذين لا تقوا حتفهم على ايدي النازيين . ويخطيء من يظن بان كاتب هذه الرسائل هم جميعا من القراء العاديين الذين بادروا الى الكتابة كردة فعل شخصية ، فهم في اغلب الاحوال من الصهيونيين المحترفين ، وكتابة هذه الرسائل تنبع من صميم عملهم واختصاصهم .

٢ - يلجأ الصهيونيون الى اصداقائهم من الشخصيات البارزة غير اليهودية، ويطلبون منهم الكتابة الى الصحف ، او على الاقل التوقيع على الرسائل الجاهزة . وبين هؤلاء: الممثل لورنس اوليفيه ، وليدي فيتسكل ، وجوليان هكسلي ، وستيفن سبندر الخ . .

٣ - يتوجه وفد من الشخصيات اليهودية المعروفة في تلك المنطقة ، لمقابلة رئيس تحرير الصحيفة التي نشرت المقال المذكور ، وييدي له استياء الجالية من موقف الصحيفة المعادي للشعب اليهودي .

٤ - يعتقد هذا الوفد مؤتمرا صحفيا يرد فيه على المقال ، وتوزع وقائعه على جميع الصحف .

٥ - تعرب بعض الشركات والمؤسسات اليهودية عن استيائها وتهدد بحسب اعلاناتها .

٦ - يكتب عدد من القراء الى قسم الاشتراكات بالصحيفة ، طالبين الغاء اشتراكاتهم .

٧ - تنهال المكالمات التليفونية والرسائل على كاتب المقال وكلها شتم وتهديد ووعيد . ثم أخيرا وبعد أسابيع من الحرب النفسية القاسية ، تنتهي الحملة ، وعموما ينتهي معها أيضا دور المحرر كرجل يتمتع بحرية الرأي والشجاعة المعنوية . واحد الصحفيين الذين تعرضوا لهذه الحملة هو مايكل أدمز ، مراسل الغارديان في البلاد العربية واسرائيل سابقا . ومع أنها لم تنجح في إسكاته ، إلا أنها سدت أبواب الصحافة البريطانية في وجهه ، وأرغمته على التخلي عن استقلاله الصحفي ليصبح ناطقا بلسان العرب ، وذلك عندما رئس مجلس التفاهم العربي البريطاني وتولى تحرير مجلة ميدل ايست انترناشنل التي أسست بأموال عربية . وهذا هو بالضبط ما أرادته له الصهيونية لتؤكد للناس بان ادمز كان أساسا عميلا للعرب .

طبعا الصحافة البريطانية لن تعترف بوجود ضغط صهيوني عليها . فقبل سنوات صدر في لندن كتاب بعنوان « ضغوط على الصحافة » اثار اهتماما كبيرا في الاوساط الصحفية . هذا الكتاب الذي ألفه شارلس ونتور ، رئيس تحرير صحيفة الايفننغ ستاندرد التابعة لسلسلة الصحف التي يمتلكها اللورد بيفربروك ، تحدث عن الضغوط الصادرة عن نقابات عمال المطابع وبعض الشركات المعلنه ، الا انه لم يتضمن كلمة واحدة عن الضغوط الصهيونية ، مع ان مجلة ذي ليسنر الصادرة عن هيئة الاذاعة البريطانية ، كانت في تلك الفترة تقريبا قد نشرت مقالين لاثنين من اذاعبي البي بي سي تحدثا فيها بتفصيل عن الضغوط الصهيونية الواقعة على البي بي سي . يتضح لنا من ذلك ان اغفال ونتور لذكر الضغوط الصهيونية على الصحافة البريطانية هو في حد ذاته نوع من الرقابة الذاتية على موضوع لا يشرف هذه الصحافة ان تخوض به .

وهنا نجد السؤال التالي يطرح نفسه بالحاح : هل الصحافة البريطانية مشتراة من قبل الحركة الصهيونية ؟ وللإجابة على هذا السؤال برأي قاطع جازم ، لا بد من القيام بدراسة شاملة عميقة لهذا الموضوع . ولما كان البحث الحالي ليس أكثر من مقدمة لهذه الدراسة المقترحة ، يمكن في الوقت الحاضر الإشارة الى ان أغلب الصحف البريطانية تابعة لشركات مساهمة . اما ما هي نسبة الأموال الصهيونية في هذه الاسهم ، فهذا ما لا نستطيع الإجابة عليه ، وأن كان يرجح بانها ليست قليلة . فإذا ما اتينا على ذكر المحررين والمراسلين والكتاب الرئيسيين في هذه الصحف ، وجدنا العنصر الصهيوني يحتل مكانة بارزة . فمثلا في صحيفة التايمز ، نجد أن نائب رئيس التحرير والمشرف على الشؤون الخارجية هو لويس هيرين الذي استنكر اختيار العرب ليوم كيبور ليشنوا هجومهم فيه بحجة أنه يوم مقدس يحتفل فيه حتى اليهود غير المتدينين . أما المشرف على شؤون الشرق الاوسط في الايفننغ ستاندرد فهو جون

قميحي الغني عن التعريف ، وقس على ذلك . . فإذا ما تركنا المحررين لتناول المعلنين ، وجدنا الشركات والمُتاجر اليهودية تلعب دورا حيويًا في تمويل الصحف عن طريق حقتها بالاعلانات . وأخيرا ولاكمال الصورة ، علينا ان نتذكر بان الصحفي البريطاني غير الصهيوني الذي يعلم جيدا بان نسبة غير قليلة من قرائه الانكليز تشاطر الصهيونيين كراهيتهم للعرب ، هذا الصحفي لن يشعر بتأنيب الضمير الزائد ان هو حابى اسرائيل على حساب العرب . فهو ببساطة يعكس بموقفه هذا اتجاهات الرأي العام في بلده .

ويخطيء من يظن بان الصحافة الغربية تعتنق ذلك الرأي المثالي القائل بان واجب الصحافة المسؤولة يحتم عليها ان تقود الرأي العام ، لا ان تلهث وراءه ، فتهافتت على عكس اهوائه ومواقفه الخاطئة . بل ان هذه الصحافة لم تكتف بعدم تنوير قرائها ، بل تعمدت تضليلهم في بعض الحالات . ولدينا مثال على ذلك في أزمة الطاقة الراهنة : فعلى مدى سنوات دأبت هذه الصحف على ترديد اقتناعها بان العرب لا يستطيعون شرب نطفهم ، ولذا فهم مجبرون على بيعه للغرب ، مهما كان موقف هذا الغرب معاديا لهم ، ومؤيدا لعدوتهم الاولى اسرائيل . اما الاصوات المحذرة التي كانت تقول : « يجب عدم الانسياق وراء هذا الرأي المغالط ، فبإمكان العرب ان يضغطوا على الغرب ، وينضروا باقتصاده ضررا بالغا ، دونما الحاجة الى اقفال حنفية النفط » . . هذه الاصوات بقيت ضعيفة وقليلة ، وذلك لان الصحف لم تفسح لها المجال الكافي كي تترك الاثر المطلوب في أذهان الغربيين . وكانت النتيجة ان وقعت المفاجأة الكبرى التي ما كان يجب ان تعتبر مفاجأة : فالعرب لم يشربوا نطفهم ، وانما ضاعفوا سعره .

اين اذن كانت الصحف الغربية بكل خبرائها واختصاصييها في النفط والسياسة والاستراتيجية العليا ، ناهيك عن الخبراء في السيكولوجيا العربية ؟ ولماذا تقاعست هذه الصحف عن التحذير من مغبة السير في الركاب الصهيوني على حساب المصالح الغربية الحيوية ؟ ولماذا تواطأت مع القوى الصهيونية في الاستخفاف بالانذارات العربية المتعددة ؟ الا يزسم هذا الموقف المشبوه علامات الاستهتام والتعجب حول اتجاهاتها المتناقضة تماما مع مصالح شعوبها ؟

لقد رأينا من سياق عرضنا الملخص لتركيبية الصحيفة البريطانية بأن اتجاهها حيال القضية الفلسطينية (والعرب عموما) كان وليد التوافق بين رغبة كل من المعلن والمحرر والقارئ . الا أن ذلك كان قبل أزمة الطاقة ، ولذا يصعب الحكم على مؤشرات الاتجاه القادم في الوقت الحاضر . ولكن قد تتبلور ملامح الاتجاه الجديد خلال العام الحالي ، وتكتسب وضوحا أكبر في العام المقبل ، عندما قد ترتفع اصوات جريئة لتندد بخنوع الصحافة البريطانية أمام الضغوط الصهيونية . اما في الوقت الحاضر ، فلا يوجد أي رئيس تحرير بريطاني على استعداد لان يعترف بان المعلن يملى عليه ارادته ، أو ان المجرر ، بسبب انتمائه الديني ، أو علاقاته العاطفية ، أو احتياجاته المادية ، يؤيد اسرائيل على حساب العرب . أنه قد يتحدث عن ذلك بحرية في مجالسه الخاصة ، اما التصريح بذلك علانية ، فأمر يبدو انه لا يتفق مع المثل الانكليزية العليا ، كما يجد من يقرأ كتاب المستر ونتور . فمع ان رئيس تحرير الايفنغ ستاندرد يقر بوجود محاولات للضغط على الصحافة ، وخاصة من قبل النقابات العمالية ، الا انه يشدد على القول بأنها جميعا باءت بالفشل . فلما ذكره الكاتب الحالي بالمقالين المنشورين في مجلة ذي ليسنر ، وبوقائع أخرى تدل على وجود الضغط الصريح ، وذلك في رسالة شخصية أرسلها اليه ، أجاب ونتور برسالة قصيرة قال فيها ان الامر ليس بالبساطة التي يتصورها الكاتب الحالي . الا انه على كل حال وعد بالاطلاع على مقالي ذي ليسنر ،

لكنه لم يعلق على الوقائع الأخرى ، بل عاد ليكرر ثقته بعدم وجود ضغط من قبل المعتنين . وأخيرا اعترف بأنه كان يجب أن يتوسع في الكتابة عن مجموعات الضغط السياسي في بريطانيا (أي أنه لم يفعل ذلك بما فيه الكفاية) وربما سيفعل ذلك في طبعة جديدة للكتاب . ونحن الآن بانتظار صدور الطبعة المنقحة ، لنرى إذا كانت هذه الإضافات المقترحة قد أدخلت الى الكتاب أم لا .

على أننا لو افترضنا بأن الشعب البريطاني سيغير موقفه تجاه العرب ، فهل ستعكس صحافته هذا التغيير في الموقف يا ترى ؟ أن هذا السؤال يكتسب أهميته الفائقة في الظروف الراهنة من خلال أزمة الطاقة التي دخلت بيت كل مواطن في أوروبا الغربية وأمريكا . فهذه الأزمة جعلت الغربيين يدركون بجلاء أنها وليدة الصراع العربي الصهيوني ، وأقمتهم بالتالي أن الصراع الدائر في المنطقة التي يطلقون عليها اسم الشرق الأوسط ، لم يعد بعيدا عنهم ، بل أصبح يؤثر تأثيرا مباشرا على حياتهم اليومية ، وعلى مصالحهم الحيوية . ولقد عبرت إحدى الصحف الألمانية الغربية عن هذا الإدراك الجديد بشكل ظريف عندما نشرت رسما كاريكاتوريا ظهرت فيه أسرة ألمانية ترتعد من البرد في بيتها (بسبب نفاد الوقود) بينما جلس رب الأسرة ليكتب رسالة الى رئيس إحدى الدول العربية المنتجة للنفط ، يقول فيها : أننا عائلة مولر (وهذا هو الاسم الألماني الشائع) نريد أن نعرب لكم يا سيادة الرئيس عن تضامننا التام مع الشعوب العربية في سياستها ومواقفها . . بس دخيلك اعطينا ثوية نفط !

إن التاريخ السري للمحاولات الهادفة الى كسب الرأي العام ، وذلك عن طريق شراء الأقاليم المعروضة للبيع ما زال ، على حد علمنا ، غير مدون بتفصيل . ومع ذلك نجد لمحات هنا وهناك تدلنا على بعض الأساليب المستخدمة ، وبينها الواقعة التالية التي يرويها ناحوم غولدمن في سيرته الذاتية : أبان الحرب العالمية الأولى ، فوجيء الألمان بموقف الصحافة الاسكندنافية منهم . فمع أن الدول الاسكندنافية كانت تقف على الحياد بين المعسكرين المتحاربين ، إلا أن صحافتها كانت تؤيد بريطانيا وتهاجم ألمانيا . وأخيرا اكتشف الألمان بأن هذه الصحف تتقاضى الأجور من السلطات البريطانية ، وأن موقفها المعادي لألمانيا لا ينبع عن الاجتهاد الصادق وإنما عن الجنبه الاسترليني . وكانت بريطانيا قد اشترت المحررين والمراسلين الاسكندنافيين بأسلوب ذكي . فمثلا كلفت ادارة الموسوعة البريطانية (الانسكلوبيديا برينانكا) كاتبا نرويجيا بأن يكتب للموسوعة بحثا ، ثم أعطته مكافأته سلفا ، وكانت ضخمة حقا ، وأهملت في مطالبته بالبحث ، إذ بالطبع لم يهتمها أن يكتب البحث أم لا ، فالامر كله كان رشوة ، ولكن بأسلوب مهذب مستتر . ومراسل اسكندنافي آخر دعته بريطانيا ليزورها على حساب الدولة ، ثم سلمته سكا لينفق منه اثناء زيارته القصيرة ، إلا أن هذا الصك كان كافيا لان يعيش عليه هذا المراسل مدة عام كامل بعد زيارته لبريطانيا .

وكان الألمان في ذلك العهد ما زالوا يحيطون مهنة الكتابة والصحافة بهالة من التقديس ، الى أن جاء من يوقظهم من نومهم ، ويلفت نظرهم الى حقيقة بسيطة ، وهي أن الصحافة مهنة كسائر المهن ، وبضاعتها تباع وتشترى حسب الطلب . علاوة على أن الكاتب النرويجي أو السويدي أو الدنماركي لا يشعر بأنه يخون وطنه عندما يتقاضى المال من بريطانيا ، باعتبار أن بلاده هو ليست متورطة في الحرب ، فما ضره إذن إذا انتفع من الحرب التي تعصف خارج بلاده ؟

وقررت ألمانيا أن تدخل طرفا في المزاك السري ، ولكن لانها كانت مستعدة في هذه

المصلحة ، فقد سلكت سبيلا وعرا لم يصل بها الى النتيجة المرجاة . فقد انتدبت احد موظفي وزارة الخارجية للتوجه الى كوبنهاغن ، والاتصال بالصحفيين الاسكندنافيين في اقطارهم الثلاثة . وكان الذي فعله هذا الدبلوماسي الالماني هو انه وجه رسالة دورية الى الصحفيين الاسكندنافيين ، ابلغهم فيها بأنه مفوض من قبل حكومته لان يعرض عليهم مبالغ تفوق تلك التي حصلوا عليها من الانكليز . فصدرت احدي الصحف الدنماركية وهي تحمل مقالا افتتاحيا تددت فيه بمحاولة الالمان افساد ضمائر الصحفيين الدنماركيين !

بالمقارنة مع هذا الاسلوب الساذج في شراء الاقلام ، نذكر مثالا واحدا على براعة الصهيونيين في هذا المجال . ففي مطلع الستينات (او نهاية الخمسينات) توجه الى القاهرة مؤلف اميركي يدعى روبرت سنتجن ، وطلب من السلطات المصرية ان تزوده بالمعلومات اللازمة عن حياة الرئيس عبد الناصر لانه يروم تأليف كتاب عنه ، وفعلا تمكن من مقابلة الرئيس الراحل عدة مرات . وبعد فترة صدر كتابه بعنوان « الرئيس »* ، وكان من اوائل السير التي الفت عن الرئيس عبدالناصر ، وقد اتصف الكتاب اجمالا بالموضوعية .

بعد هذا الكتاب ، توجه المؤلف المذكور الى اسرائيل ليؤلف كتابا عن دافيد بن غوريون ، وكان ما زال رئيسا للوزراء آنذاك . ونحن لا نعلم اذا كان قد فعل ذلك ببادرة شخصية ، او ان السلطات الصهيونية دعتة وعرضت عليه القيام بهذا المشروع ، فالهم انه لم يكتف بتأليف سيرة بن غوريون ، بل اتبع ذلك بسبعة كتب اخرى عن اسرائيل ، كانت عبارة عن اثائيد وله وغرام بالدولة الصهيونية ! ففي هذه الكتب تخلى المؤلف عن اي تظاهر بالموضوعية ، فجاءت كتبه وكأنها صادرة عن وزارة الاعلام الاسرائيلية .

وليس المال او المركز هما الواسيلتين الوحيدتين لكسب الاصدقاء . ففي فلسطين الانتداب ، كان يمكن معرفة ميول الضابط البريطاني من جنسية صديقته او زوجته . فاذا كانت يهودية ، فانه في تلك الحالة يصبح شديد التحمس للصهيونية . وعلى هذا الاساس فسر الضباط الانكليز زملاء اورد ونفيت تحمس الاخير للصهيونية على انه تابع عن تزوجه بيهودية (وان كان اصل زوجته ما زال موضع الجدل) وفي محاولة للتغطية على هذا الاسلوب في الحصول على التأييد ، جعل ليون اوريس عشيقته احد الضباط الانكليز عربية في كتابه « اكسودس » ، وهذا طبعا الاسلوب الصهيوني المعهود في قلب الحقائق رأسا على عقب لتخدم مصالحهم . وقيل سنوات اختصار المراسلون الاجانب اسرائيل كالبلاد المفضلة للعمل فيها ، وربما كان اختيارهم هذا ناجما عن استخدام مكتب العلاقات العامة في وزارة الاعلام الاسرائيلية لمجموعة من الفتيات الجميلات الطيبات للتفرغ لسد احتياجات المراسلين الاجانب .

وللصهيونيين ايضا أسلوبهم الخاص في الالاحاح والأصرار . ففي معرض حديثه عن الوسائل الصهيونية في الحصول على ما يرغبون فيه من تنازلات ، تحدث موظف بريطاني كبير في ادارة الانتداب بفلسطين قائلا : « ان العربي عندما يراجع مسؤولا بريطانيا بشأن طلب معين ، ويجابه برفض المسؤول البريطاني لاجابته الى طلبه هذا ، هذا العربي قد يراجع مرة ثانية . فاذا ما أصر المسؤول البريطاني على الرفض ، فانه لن يرى وجه العربي مرة ثالثة . اما اليهودي ، فانه يواصل مراجعته له مرات لا تحصى ،

* Robert St. John, The Boss.

او قد يأتي يهودي آخر ليحل محله ويقدم نفس الطلب . فاذا ما اغلق البريطاني باب مكتبه أمام هذا الالاحاح ، فانه يفاجا بعد أشهر بالسلطات تفتتح محضر تحقيق في الموضوع ، وذلك بعد ان اثاره أحد أعضاء مجلس العموم » . وقد احصى أحد المراقبين المرات التي وجه فيها النواب البريطانيون الاسئلة المتعلقة باليهود الفلسطينيين في عهد الانتداب (وكان عددهم آنذاك نصف مليون) فوجد المجموع يتفوق عدة اضعاف على عدد الاسئلة الموجهة حول الهند التي كان تعداد سكانها يناهز اربعمئة مليون نسمة !

وفي مذكراته المنشورة ، تحدث الدبلوماسي الفيليبيني* الذي كان يمثل بلاده في الامم المتحدة ابان التصويت على قبول اسرائيل عضوا في المنظمة الدولية ، عن الضغوط الشديدة التي تعرض لها هو شخصيا ، وذلك من قبل الصهيونيين وحكومة الولايات المتحدة ، فذكر ان الالاحاح الصهيوني عليه لم يتوقف حتى أثناء رحلته في الباخرة عبر المحيط . فكان الصهيونيون يترددون على كابينته للالاحاح عليه بتغيير موقفه ، بينما لم يتحرك المندوبون العرب الذين كانوا يسافرون معه على نفس الباخرة ، للاتصال به .

ويبرع الصهيونيون أيضا في تشويه الاستشهادات ، وذلك باخراجها من سياق النص الكامل ، وتقديمها مبتورة ناقصة لتخدم الغرض الذي يريدونه منها . وهناك مثال على ذلك من وليمة العشاء الشهيرة التي أقيمت على شرف جورج براون ، وزير خارجية بريطانيا الاسبق ، عندما دعي لزيارة اسرائيل قبل سنوات . فأتثناء هذه الوليمة ، جرى نقاش حاد بين الضيف وأصحاب الدعوة ، دار حول التصريحات التي كان براون قد أدلى بها ، والتي فسرتها اسرائيل بأنها غير ودية تجاهها . وقيل كلام كثير بين الطرفين . ثم فوجيء براون بعد عودته الى بلاده ، عندما قرأ رواية الصحف عما دار في تلك الوليمة . فهذه الرواية كانت مشوهة تماما ، ناهيك عن خرقها للعرف الدبلوماسي الذي لا يسمح بنشر الاحاديث التي تقال في مثل هذه المناسبات .

وكذلك يلاحظ المراقبون أسلوبا معيناً تميز به السياسة الاسرائيليون ، وهو اختلاق التصريحات ونسبها الى مراجع معينة . فلنفترض أن وزير خارجية احدى الدول غير الملتزمة بتأييد اسرائيل على حساب العرب ، قد زار اسرائيل بدعوة رسمية . وأثناء وجوده في القدس ، قابل رئيس بلديتها تيدي كوليك وتحدث معه حديثاً عاماً زهاء ساعة او اكثر . ان الذي يحدث عادة بعد هذه المقابلة هو أن يخرج كوليك من المقابلة ليذلي بتصريح للصحف الاسرائيلية يؤكد فيه بأن الزائر قد عبر له عن ترحيب بلاده بتوحيد القدس تحت الادارة الاسرائيلية ، وهذا التصريح الذي يظهر عادة في الصحف اثناء وجود الزائر الاجنبي في اسرائيل ، سيرجحه طبعاً ، إذ أنه لم يدل بهذا التصريح أبدا . لكنه سيتردد في نفيه نفيًا قاطعاً وذلك لحرصه على عدم انتهاء زيارته نهاية غير ودية . الا أن أصداء هذا التصريح المختلق ستصل البلاد العربية ، وطبعاً تتكون لها النتائج المتوقعة على صعيد العلاقات بين العرب والدولة التي نسب الى وزيرها هذا التصريح المعادي للعرب .

وليست التصريحات هي وحدها التي يزورها الصهيونيون . فان الصورة الشهيرة التي تظهر تيودور هيرتزل واقفا يحدث القيصر الألماني فيلهلم اثناء زيارة الأخير لفلسطين في بداية هذا القرن هي مزورة تماما . فالصورة الاصلية كانت تبين القيصر ممطياً جواده ، بينما وقف أمامه أحد الامراء الالمان . فعمد الصهيونيون الى مسح

* General Carlos R. Romulo, I Walked with Heroes, New York 1961, Holt Rinehart & Winston, p.p. 285-89.

الامر عن الصورة ، واستبدلوه بزعيمهم ، ثم أخذوا يوزعون نسخ هذه الصورة على نطاق واسع ، ليوحوا بوجود علاقة وثيقة بين هيرتزل والقيصر .

.. وهناك مثال آخر على التحريف ، هذه المره من التاريخ القريب . فبعد أشهر على مرور حرب حزيران نشرت مجله لايف الامريكيه مقالا المرسل امريكي تحدث فيه عن مرافقته لدوريه من المقاومة الفلسطينية عبر نهر الاردن للقيام بعمليات في الضفة الغربية المحتلة . وفي عدد المجلة التالي ، حمل بريد القراء رساله من اسرائيلي ابدى فيها استغرابه من زعم المراسل الامريكي انه عبر نهر الاردن الى الضفة العربية ، بينما هو نفسه كان قد صرح لجريده معاريف بان الفدائيين قد خدعوه عندما جعلوه يجتاز نهرا يخترق منطقة يسيطر عليها العرب ، على اساس انه نهر الاردن . فعاد المراسل الامريكي ليكتب موضحا بان ما نشرته معاريف هو بالضبط ما ارادت السلطات الاسرائيلية ان تقصه به دون جدوى . فاسرائيل استمرت مدة طويلة بعد حرب حزيران وهي مصره على ان رجال المقاومة لا يستطيعون عبور نهر الاردن . فلما زار المراسل الامريكي اسرائيل بعد ان نشر مقاله حول العبور ، اتصل به المسؤولون الاسرائيليون وحاولوا ان يوهموه بان النهر الذي عبره لم يكن الاردن . ومع ان المراسل تصسك برأيه ، فقد خرجت معاريف لتعلن لقرائها بانه قد تراجع عن موقفه واعترف بان الفدائيين قد ضحكوا عليه . وارسل اسرائيلي رساله بهذا المعنى الى مجلة لايف .

وفي مجلة لايف ايضا نجد مثالا آخر على الاختلاق الصهيوني . فبعد ان نشرت هذه المجله مثالا عن الصراع العربي الاسرائيلي ، امتلات اعدادها التالية برسائل القراء بين مؤيدين للعرب ومؤيدين لاسرائيل . وكانت بينها رساله من قارئ في استراليا ، تضمنت هجوما عنيفا على اليهود ، كتب بأسلوب غوغائي يدفع بالقارئ الى النفور من الرساله وبالتالي الى رفضها . وكان توقيع المرسل هو : بن قارا ، وهو بالطبع ليس اسما عربيا وان بدا كذلك للغربيين غير المطلعين على الاسماء العربية . وليسبب غير ظاهر ، اهتمت رئاسة تحرير المجلة بهذه الرساله ، وبعثت الى مراسلها في استراليا تطلب منه الاستعلام عن هوية المرسل . فاثبتت التحريات بان الاسم مستعار والعنوان لا وجود له . ولكن المجلة نشرت رساله من قارئ آخر ذكر فيها ان بن قارا هو شخصيه عربية خياليه خلقها المؤلف الالماني كارل ماي* . والمهم هنا ان مجلة لايف قبلت هذا التفسير الذي يوجي بان « بن قارا » ، كاتب الرساله ، هو في الواقع الالماني وليس عربيا ، مع ان الحيله ظاهره تماما . فكاتب الرساله هو صهيوني يكره الالمان والعرب بنفس الدرجه ، ولذا ضرب عصفورين بحجر واحد عندما دافع عن العرب بأسلوب أهوج بسقم تفوح منه رائحة النازية ، منتحلا اسما خياليا يعرف الكثيرون انه اسم بطل روايات رائجة في المانيا .

هذه هي بعض الاساليب الصهيونية المستخدمة في الضغط والتشهير والتحريف . واملنا بان يقوم الاعلام العربي باعداد دراسة شاملة عنها تمهيدا لمحاربتها والقضاء عليها ، فهي ركيزة اساسية من ركائز الحركة الصهيونية العالمية وطالما هي تتمتع بحرية العمل وحدها في الميدان ، فستبقى الصهيونية قوة ضخمة تخيف وترهب .

* مؤلف الماني من القرن التاسع عشر ما زال الاطفال الالمان يقرأون كتبه التي تدور حول مغامراته في البلاد العربية وغيرها ، مع انه لم يغادر المانيا ابدا .

في أعقاب معركة صفد ١٩٤٨

محمد هشام العظم

نشرت شؤون فلسطينية ، في أعدادها السابقة ، أكثر من مقالة حول معارك القسم الشمالي من فلسطين في العام ١٩٤٨ . واذ ننشر فيها يلي مقالة أخرى ، ندعو العسكريين العرب الذين خاضوا المعارك وقادوها في مناطق أخرى من فلسطين أن يكتبوا لنا حتى يتم تسجيل تاريخ حرب ١٩٤٨ في عموم فلسطين ولا ينحصر في قطاع واحد .

شهد النصف الأول من أيار عام ١٩٤٨ أحداثاً متلاحقة عنيفة . وكلما اقترب موعد الجلاء كما أعلنه الإنكليز ، وهو الخامس عشر من أيار ، اشتدت المعارك وتقاتلت الأحداث العنيفة . ولقد تميز النشاط العسكري في مسرح عمليات الجليل بميزات رئيسية ثلاث خلال تلك الفترة : الأولى : سقوط المدن العربية الواحدة تلو الأخرى حتى كان آخرها صفد ، الثانية التسابق الاستراتيجي في احتلال المواقع الهامة ما بين الفريقين ، أو التمسك بها والدفاع عنها بانتظار تدخل الجيوش العربية المرتقب ، الثالثة : انشغال العدو بتدعيم مكنتسياته العسكرية وحماية خطوط مواصلاته ، وعدم توسعه في الاحتلال أو تورطه في المطاردة ، إلا ما كان ضروريا لسد ثغرة أو احتلال موقع (كما حدث في المالكية فيما بعد) .

ومن المؤسف حقا أن يكون السبق الاستراتيجي خلال هذه الفترة لمصلحة العدو ، تحت ضغط عوامل ثلاثة كان العرب يرزحون تحت تأثيرها .

الأول : الاعتماد على جيش الإنقاذ في المهام الدفاعية الكبرى ، وهو جيش من المتطوعين المدنيين في غالبيته ، وينقصه السلاح والخبرة والتدريب ، وقد شكل بالاساس للقيام بمهام محدودة . فلما تطورت الأحداث ، وواجهته المهام التي تتطلب التطور التلقائي حسب الضرورة بالسلاح والتنظيم لم يحدث له شيء من ذلك ، وغدت الاداة غير متناسبة مع المهمة .

الثاني : ضعف المقاومة الفلسطينية : فلم تكن تلك المقاومة على مستوى الأحداث في البدء ، ولم تكن ملائمة لطبيعة المعركة في النهاية .

الثالث : التمسك الجامد بالقانون الدولي : فقد أدى هذا التمسك الاعمى الى ضياع العديد من المدن والمواقع العربية ، ومنع الجيوش العربية المجاورة من انقاذها في الوقت المناسب ، على الرغم من أن الإنكليز قد أخذوا الحدود المجاورة في بدء عملية الانسحاب حتى تركوا تدريجيا في الموانئ البحرية . وهكذا أدى التمسك الاعمى بالقانون والاعراف الدولية الى سقوط العديد من المدن والى التضحية بميزات استراتيجية هامة كانت تستطيع قلب الموقف في بعض المناطق أو تأخير الكارثة والحد من حجمها في بعضها الآخر .

لا اعتقد أن أمة تتمتع بقدر بسيط من الوعي الاستراتيجي يبلغ بها التمسك الجامد بالاعراف القانونية الى درجة التهاون في المعارك المصرية . فشواهد التاريخ القديم والحديث مليئة بحوادث الخرق ، كسبب للمزايا الاستراتيجية أو احتياطا دون وقوعها في أيدي العدو . وما الحرب الوقائية أو الهجوم غير المباشر في بعض حالاته الا مثلين من أمثلة الدوافع النابعة عن الوعي الاستراتيجي . اننا لا ننكر أن بغض التدخل قد حصل من قبل بعض الجيوش العربية وبخاصة الجيش السوري ، ولكنه كان تدخلا محدودا وعلى أساس التنكر ، وغالبا ما كان يحصل متأخرا عن أوامره .

قد يكون لتلك المواقف العربية بعض العذر بسبب ضعف الامكانيات آنذاك . ولكن المراعاة التامة للقانون كانت أرجح في الاعتبار والتنفيذ — ولو على أساس التنكر — كما فعل الجيش السوري . أما العدو فقد كان ينتقل من خرق الى خرق ، ومن احتلال الى احتلال ، ويضرب المثل على نفسه دون أن يقلد فيما يفعل ، ناهيك بوجوده في الاصل فهو غاية كل خرق .

ذكرنا تلك العوامل الثلاثة التي كان العرب يرزحون تحتها ، والتي كانت تؤثر على موقفهم الدفاعي العام فتزيده كل يوم ضعفا . ولا بد لنا من أن نذكر عاملا رابعا يتعلق بالعدو وبنظامه الدفاعي وهو القوة الضاربة . لقد كان للعدو قوة ضاربة هامة ، يحركها من منطقة الى أخرى ، علاوة على القوات الاحتياطية المحلية في المناطق . هذه القوات الضاربة والمالية الاحتياطية قد وفرها له نظامه الدفاعي ، القائم على المستعمرات المحصنة التي كانت تدافع عن نفسها بنفسها ، بصورة مستقلة أو بمشاركة غيرها من المستعمرات المجاورة حسب التنظيم الدفاعي ، فقد كانت كل منطقة مؤلفة من عدة مستعمرات ، تخضع في قيادتها وتنظيمها الدفاعي الى « مستعمرة أم » ، وقيادة واحدة تشرف على الدفاع ، وتوجه القوات الاحتياطية المتوفرة لديها (غير المشتبكة) حسبها يتطلب الموقف . وهذه الكتلة من المستعمرات تساعدها الكتلة المجاورة الى أن تصل الى أقصى العمق أو يحين تدخل الاحتياط الاستراتيجي حسب قرار القيادة العامة .

وتقودنا هذه المناقشة السريعة المؤلفة الى عامل خامس يتعلق بالعدو أيضا ويكاد يشكل الحصيلة الكاملة للعوامل الاربعة السابقة . وهو ميزان القوى فقد كان لمصلحة العدو عددا وعدة وتنظيما وتدريبيا ووحدة قيادة أكثر مما كان في صفوف العرب ، وعلى هذا الأساس فقد كان السبق الاستراتيجي في احتلال المدن العربية والمواقع الهامة قبيل الخامس عشر من أيار (موعد جلاء الإنكليز وموعد تدخل الجيوش العربية المرتقب دون موانع قانونية) هذا السبق قد كان في غالبته في مصلحة العدو لما كان يوفره له ميزان القوى العام كما أسلفنا ، وذلك بالنسبة الى جيش الانقاذ والمقاومة الفلسطينية .

وجدير بنا أن نذكر بكل فخر واعتزاز أن اختلال الموازين جملة وتفصيلا لم يؤثر على روح القتال ولا على الروح المعنوية عند المقاتلين العرب الا بمقدار لا يقاس بنسبة التفوق الظاهر ، وهذا مثال من أروع الأمثلة على أن التفوق المادي ليس كل شيء في المعركة وليس كل شيء في المصير ، خاصة عندما يكون الطرف الأضعف مدافعا في حرب عادلة ، ويكون « هدف الرهان » بالنسبة اليه يعادل وجوده .

معركة الهراوي :

تعتبر هذه المعركة مثلا من أمثلة التسابق الاستراتيجي قام به العرب . فهي وان وقعت قبيل سقوط صدد الا أنها كانت تشكل حافزا استراتيجيا هاما بالنسبة لقيادة

الجليل (العقيد أديب الشيشكلي) وذلك للدواعع التالية : ١ - تخفيف الضغط عن صفد ، ٢ - إبعاد الخطر باحتلالها عن طريق التموين الرئيسية : صور - بنت جبيل - المالكية - سمسع ، (نظرا لوقوع الهراوي الى الشرق من المالكية) ، ٣ - تأمين طريق دخول الجيش السوري الى فلسطين (كما ظهر فيما بعد) ، ٤ - تأمين الاحتفاظ بموقع النبي يوشع الواقع بالقرب منها باتجاه الشمال ، ٥ - الاشراف على سهل الحولة بعد احتلال الهراوي وتضييق الخناق عليه من الغرب بمساندة الجيش السوري من الشرق .

كان قرار الهجوم على هذه المستعمرة نابعا من احساس استراتيجي سليم ، فعلى الرغم من حاجة الشيشكلي الى المزيد من القوات لتدعيم الموقف في صفد الا ان هذا الهجوم لو نجح لتفادي الكثير من الكوارث التي وقعت فيها بعد ، ولحقق مكاسب هامة جدا . ولقد اجمع كل من اشترك في هذه المعركة على ان الهجوم كان موفقا جدا في بادئ الامر . فقد استخدمت فيه لأول مرة بطارية مدفعية من عيار ٧٥ مم بامرة الملازم فائز قصري بالاضافة الى رعييل مدرعات (ثلاث مصفحات) (١) وكتيبة مشاة من المتطوعين السوريين .

بلغ قصف المدفعية الغاية في الدقة وحسن التصويب ، اذ استطاع ان يهدم البرج باحدى قنابله ويسكت المقاومة فيه ، واستطاعت المصفحات الثلاث ان تمارس الرمايات المباشرة من الجهة اليسرى (الشمالية) للمستعمرة وان تسكت المقاومات في داخلها .

وتقدمت كتيبة المشاة تحت تغطية نيران الدعم المذكورة وبواسطة اسلحتها الفردية والجماعية ، وكانت تحت قيادة النقيب صلاح الشيشكلي ، حتى وصلت الى الاسلاك الشائكة . ولما حاولت اقتحامها فتحت عليها النيران الكثيفة بعد انقطاع رمي المدفعية وتوقف المدرعات على الباب الشمالي . ولم تستطع المدرعات اسكات مصادر النيران لاختفائها عن انظارها . فسقط عدة قتلى على الاسلاك الشائكة اثناء الاقتحام ، وحدثت البلبلة وبرز عامل التدريب والانضباط جليا في هذا الموقف . فقد كان ضعفها احد الاسباب الوجيهة ان لم يكن السبب في خسارة هذه المعركة . وهنا حدثت الغلطة الكبرى ، اذ صدر امر الانسحاب ، تفاديا للخسائر وتخلصا من الموقف الجامد . وهذا من ايشع ما يتعرض له المهاجم في القتال ، بسبب ضعف التدريب ، وضعف الانضباط ، وضعف وسائل المواصلات والسيطرة على القوات اثناء المعركة . فلم تستطع العناصر المهاجمة ان تكمل مهمتها . ولم تستطع القيادة ان تتدخل بشكل فعال . ولم تكن هناك قوات احتياطية كافية للزج بها ، لتحريك الموقف ، واستغلال الفوز المبدئي ، واستئناف المعركة ، كما ان المدرعات الثلاث لم تستطع ان تلقي بنفسها في داخل المستعمرة بدون حماية من المشاة . وعلاوة على ذلك فلم تكن الوحدات الصغيرة هي العنصر الفعال والمحرك في القتال تحت قيادات مدربة تعرف مهامها وتعرف ماذا تصنع للقيام بهذه المهام واكمال واجباتها في كافة الاحوال ، وانما كانت تحت قيادات شعبية خضعت في الاختيار للفراصة والاصطفاء . وتم الانسحاب تحت رمايات المدفعية (بطارية الملازم قصري) التي استؤنفت لصالح التغطية .

كان من نتائج هذه المعركة ان تنبه العدو الى نوايا القيادة العربية التي تستهدف التمسك بصفد وتأمين الطريق اليها . فعجل باسقاطها في التاسع من ايار ونقل ثقله

(١) كانت احدى المصفحات بقيادة الملازم عدنان جراد ، وكانت الثانية بقيادة الملازم عبد الحميد السراج ،

ولم أعد اذكر من كان قائد المصفحة الثالثة .

العسكري الى الجهة الشمالية . فعزز مستعمرة الهراوي وجعلها قاعدة لانطلاق هجمات عديدة شنها على موقع النبي يوشع الحصين ، ثم على المالكية ، تدعيها لخطوطه الدفاعية ومنعا للجيش السوري من المرور كما سيأتي . ولقد تعرضت القيادة لصعوبة اضافية خلال اخلاء المنطقة ، اذ كانت قوافل اللاجئين تملأ الطرق لعدة ايام متتالية بعد سقوط صفد فكان يستأثر بالثيشسكي الاهتمام بحمايتهم . فعلى الرغم من قراره بالانسحاب من المنطقة والتمركز على الحدود الشمالية ، فقد أمر بعض القسوات بالاحتفاظ في صفد ثم في كمب (مخفر) صالحه حتى ينسحب اللاجئون .

أما قوات الانقاذ فقد تمركزت دفاعيا في المواقع التالية: الكيلو ٩ والمالكية — قدس — والنبي يوشع . وكانت القيادة والتموين والادارة في عيترون اللبنانية .

مخفر النبي يوشع :

كان هذا المخفر يشكل لسانا ممدودا يعمق الى جهة الشرق . وهو مشرف على سهل الحولة وعلى طريق بنت جبيل — قدس — النبي يوشع — الحولة . وهو من عداد المخافر الحصينة الكثيرة التي بناها الانكليز في النقاط الاستراتيجية من فلسطين المحتلة ، حماية لخطوط المواصلات وايقاعا بالنوار الفلسطينيين . وكان بناؤه من الاسمنت المسلح . ويعتمد في الدفاع عنه على كوى صغيرة للمرائية واطلاق النار . وكان في هذا المخفر فصيل من المجاهدين السوريين بامرة الملازم الشهيد شفيق عبيسي .

بعد سقوط صفد وفشل الهجوم على الهراوي ، ألح العدو على احتلال هذا الموقع الحصين لانه يعتبر جيبا خطيرا في خطوط دفاعه . فشن عليه عدة هجمات ، سقط في احداها الملازم عبيسي شهيدا ، بعد أن صمد صمودا عنيدا للهجمات .

كنت متمركزا في الكيلو ٩ بعد التحاضي بسرية ادلب مع باقي عناصر السرية . فأتاني الشيشسكي يطلب مني أن أستلم امرة مخفر النبي يوشع بعد استشهاد أمره ، معللا سبب انتقائي لهذه المهمة انه سبب معنوي بحت ، لان أكثر عناصر المخفر كان من السرية الحموية . وقد استغربت هذه الالفة الاتقاعية في اصدار الاوامر العسكرية حتى علمت فيما بعد أن هذا المخفر قد عرضت أمرته على غيري ، ولسبب من الاسباب صرفت عنه ، سيما وانني لا انفرد بذلك السبب المعنوي لوحدني . فقد كنا عدة ضباط حمويين .

قبلت المهمة رأسا ، والتحقت بالمخفر بواسطة مصفحة G M C موضوعة خصيصا لتموين المخفر ، لان طريق المخفر معرضة في بعض اقسامها لنيران العدو المباشرة والقريبة من الطريق ، مما يستحيل على السيارات العادية اجتيازها دون أن تتأثر من نيران العدو .

وهكذا دخلت المخفر تحت نيران العدو ودعم الاصدقاء . فوجدت معنويات العناصر مضعفة بسبب المعارك المتواصلة واستشهاد قائدهم الملازم عبيسي . ومع ذلك فقد استقبلوني بحماس ظاهر . وأمرت فوراً بنوزيع الذخيرة على المراكز الدفاعية في المخفر . وبدأت عملية الاستطلاع على المراكز والطوابق والسطح ، والتعرف منه على المنطقة المجاورة . وكانت عناصر القتال تتبادل النيران مع العدو الذي كانت عناصره تحاول التقرب من المخفر باحتلال بعض المرتفعات القريبة منه ، مما يدل على تحضيرات لهجوم مقبل في الليلة القادمة كما تؤيد الظواهر الأخرى . عدت الى غرفتي لاطلع على أوامر الدفاع عن المخفر حتى أقرها أو أعدل فيها حسب استطلاعي الشخصي . فلم أعثر على شيء منها . وسرعان ما بدت عملية الاستجواب الفردي لاتعرف على المهمات

الدفاعية . وفجأة جاعني مسؤول التموين (وهو أحد المساعدين) يطلب مني الموافقة على ذهابه لجلب التموين بالمصفحة . موافقت على ارساله . وما هي الابرهه وجيزة حتى عادت المصفحة بسرعة . وكان مع مسؤول التموين رسالة سرية من أمر السرية (النقيب صلاح الشيشكلي) تتضمن الأمر التالي :

الى الملازم هشام : ١ - وضعت قوات الانقاذ (اليرموك الثاني) تحت قيادة الجيش اللبناني ، ٢ - ثررت القيادة اللبنانية اخلاء مخفر النبي يوشع لانه يشكل نكوة وبروزا متقدمين في الخطوط الدفاعية ، ويمعب الدفاع عنه والاتصال به وتموينه ، ٣ - سيقصف المخفر والمنطقة المحيطة به بالدفعية اللبنانية في تمام الساعة العاشرة مساء ، ٤ - عليك بالانسحاب بعد حلول الظلام ، واخلاء المخفر نهائيا قبل التاسعة والنصف مساء .

التوقيع

أمر السرية : صلاح الشيشكلي

لم أعد أذكر ساعة تلقي هذا الامر على وجه الدقة ، ولكنني أذكر ان الشمس قد اوشكت على المغيب . وكان لا بد من اتخاذ اجراءات عدة تتعلق بايهام العدو قبل كل شيء ، وباجراء مراحل الانسحاب والاخلاء . فأمرت المصفحة ان تحمل الاثقال لعدة سفرات ، وأمرت عناصر القتال بزيادة الرمايات ، وحرصت على أن يدب في المخفر نشاط ملحوظ . كل ذلك ايهاما للعدو ، لانه كان على مقربة .

كان لا بد لي من اجراء استطلاع جديد للتعرف على طريق الانسحاب والمنطقة المحيطة سيما وانني لم أعرفها من قبل ، ولم يمض لي فيها أكثر من ساعة . صعدت الى السطح فاستطلعت مواقع العدو ، وتعرفت على مراكز مقاوماته ثم استطلعت طريق الانسحاب بسرعة ، وعدت الى غرفتي لتحضير الاوامر، وقد داهمني الوقت .

استدعيت الوكيل المساعد (المساعد عوض التركاوي) وأطلعته على أمر الانسحاب ففوجيء به بعد أن شعر بالنشاط يدب مجددا في المخفر . وأمرته بتنفيذ المرحلة الاولى منه . وكان كالتالي :

١ - ينفذ الانسحاب على مراحل ثلاث ،

الاولى : - يبدأ المساعد عوض التركاوي بالانسحاب مع الحضيرة (الجماعة) الاولى عند الاشارة بذلك . (تعطى الاشارة مني بالذات) .

- يتمركز على الضفة الغربية للوادي الواقع غربي المخفر .

- مهمته حماية الانسحاب ضد أي تدخل من قبل العدو ، مع مراقبة الوادي المحيط بالمخفر (والمتصل في نهايته بسهل الحولة) .

- يبقى متمركزا للقيام بهذه المهمة الى أن يتم انسحاب آخر جندي من المخفر .

الثانية : - يبدأ الرقيب أمر الحضيرة الثانية بالانسحاب عند تلقي الاشارة بذلك .

- يتمركز على التلة الواقعة جنوبي الطريق باتجاه العدو (الهراوي) لتغطية الانسحاب وتأمينه ضد أي تدخل من قبل العدو .

- ينسحب من موقعه هذا عند الامر بذلك وبعد مرور آخر جندي من الحضيرة

الاولى .

الثالثة : - تنسحب الحضيرة الثالثة من المخفر مارة بالاولى والثانية باتجاه قدس

عند اعطائها الامر بذلك .

— تتركز على القتل الواقع شرقي قدس وبتجاه العدو لحماية انسحاب الحزيرتين وحتى مرور آخر جندي من الحاضرة الثانية .

٢ — تتم جميع هذه التحركات بكل هدوء وبعد آخر ضوء .

٣ — يشرف الوكيل (تركاوي) على ائتلاف جميع الاوراق والوثائق .

٤ — تبقى الحاضرة الثالثة (على السطح) في تماسها مع العدو بالنيران الى ان تتلقى الامر المعاكس .

ما ان حل الظلام وأصبحت الرؤية المجردة صعبة حتى أمرت الحاضرة الاولى بالتنفيذ . وبعد مرور الوقت المقدر أمرت الثانية ، ثم أمرت الثالثة بإيقاف إطلاق النار فوراً والنزول الى الطابق الأرضي . وبعد مرور الوقت المقدر لوصول الحاضرة الثانية الى موقع تركزها ، أمرت الثالثة بالانسحاب . ثم كنت آخر من انسحب .

تمت عملية الانسحاب بكل دقة ونجاح . ومررت اثناء الطريق بكافة العناصر المتمركزة حاضرة بعد حاضرة ، الى ان مررت بقل قدس فأمرت الحاضرة المتمركزة فيه بالالتحاق بالفصيل . والتحقنا بالسرية في قدس . وتمت عملية ايهام العدو بأن المخفر ما زال محتلاً وان عناصر المقاومة ما زالت متمركزة فيه .

تلقانا أمر السرية مهتناً بسلامة الوصول وتنفيذ الانسحاب . الا انه وجه الي انتقاداً هادئاً بقوله : لقد احترقت ذخيرة كثيرة في تغطية انسحابك . فقلت له : لقد كانت لايهام العدو . ولم تطلق النار اثناء الانسحاب ابداً .

لقد كان من الواجب اعداد المخفر للنسف بالتفجيرات ، اما لنسفه من قبلنا بعد الانسحاب منه حتى لا يستفيد منه العدو . واما بالتوقيت . كما كان من الضروري زرع الالغام والافخاخ داخل المخفر وخارجه حتى تنفجر عند احتلاله من قبل العدو . ولكن لم يكن عندنا شيء منها . وكان أسفي الكبير على المحرك ان تتركه سليماً الا من بعض الاعطاب الطفيفة التي استطعنا اجراءها فيه .

في تمام الساعة العاشرة ليلاً وبعد وصولنا الى قدس بنصف ساعة . بدأ العدو هجومه على الكعب بنيران كثيفة جداً . كانت تنطلق من اتجاهين : من مستعمرة الهراوي ومن التلال المحيطة بها . ومن الوادي والتلال المشرفة على سهل الحولة . وكانت كلها تنصب على الكعب ، فتحدث انفجارات هائلة ، واضواء متلألئة . لان بعض القنابل كان مضيئاً .

استعملت في هذا الهجوم راجمات الالغام بكثافة كما استعملت مدافع الهاون بغزارة . عدا الاسلحة الالية التي كانت مصوبة على الكعب من التلال المطلة عليه (منطقة الهراوي) . كان منظر المخفر على البعد خلاباً وساحراً . فكان شعلة نيران . ولم يبق أحد من القرى المجاورة الا واطل من شرفته ليتفرج على هذا المنظر وعلى تلك المعركة من جانب واحد .

استمر الهجوم قرابة النصف ساعة . ثم سكنت المدفعية فجأة . وتابعت الاسلحة الالية اطلاقها ، وما هي برهة حتى سمعت انفجارات الالغام على الاسلاك الشائكة المحيطة بالمخفر . كل ذلك والمعركة دائرة من جانب واحد . ولم يصدر عن الجانب الاخر أي رد فعل . وما هي الا برهة حتى تعالت الاصوات وانقطعت النيران وانكشف العدو بان ضربته وقعت في فراغ . اما مدفعيتنا كما جاء في امر الانسحاب فلم تطلق قنبلة واحدة في الميعاد المحدد لها . ولو اطلقت لاحدثت في صفوف العدو خسائر فادحة جداً . ولكنها لأذت بالصمت ولا اعلم سبباً لذلك .

معركة المالكية ومناورة الجيش السوري

قام العدو بهجوم ليلي عنيف على المالكية في صبيحة الرابع عشر من أيار . وكان يقصد من ذلك احتلال القرية ومنع الجيش السوري من الدخول الى فلسطين عن طريق بنت جبيل - المالكية - صفد . وبالفعل فقد ظهر فيما بعد ان الجيش السوري قد قام بمناورة استراتيجية بارعة . فقد تقدمت عناصر الاستطلاع المدرعة التابعة الى اللواء الاول حتى وصلت ثلاثتها الى صور . ثم ما لبثت ان عادت ادراجها في الليلة نفسها وتحت جناح الظلام الى دمشق ثم منها الى الزوية ومنها توجهت الى الحمة وهاجمت سبخ ، فاحتلتها لتتابع منها عملياتها في فلسطين كما كان مقررا لها ذلك .

تجاوبا مع هذه المناورة قام العدو بهجومه الليلي على المالكية في صبيحة الرابع عشر من أيار ليمنع الجيش السوري من دخول فلسطين عن هذه الطريق . بدليل وجود الاسلحة المضادة للدروع لديه . حيث عثرنا عليها بعد انتهاء المعركة .

كانت تحتل المالكية سرية لبنانية من الجنوب . بامرة الملازم الاول محمد زغيب . وكانت خلفها في الكيلو ٩ سرية ادلب ، التي سرعان ما صعدت المرتفعات وانضمت الى السرية اللبنانية واشتركت معها في معركة الدفاع ، وهناك عناصر اخرى لم أعد اذكرها .

كانت قيادة الموقع الى الملازم الاول محمد زغيب . ولكنه استشهد خلال القتال ، وحدثت في سريته البلبلة . وخسرت اكثر من ١٥ شهيدا على ما اذكر .

لم يعد للمالكية قيادة بعد استشهاده امرها . كما ان المعركة لم تمهل في تعيين القائد الجديد المسؤول . نظرا لتعدد العناصر المشتركة في الدفاع وكل وحدة كانت تحت امره قائدها .

رغم هذه البلبلة ورغم تعدد القيادات ، وتعدد العناصر التي لا وازع ولا قيادة تربطها مع بعضها ، فقد استماتت هذه العناصر في الدفاع ، ولم يتمكن العدو من احتلال القرية والسيطرة على الطريق . واكتفى باحتلال المعسكر القريب الواقع الى الجنوب الشرقي بعد وصول التعزيزات اليه . وبعد ان تكبد خسائر كثيرة . فلم أر معركة صمدت فيها الفوضى الى النظام كهذه المعركة .

استمرت هذه المعركة من الليل حتى العصر . وكانت معركة مكشوفة لم يستطع العدو ان يضرب فيها بسرعة كما كان يفعل من قبل . وكان الشيشكلي متغيبا عن ساحة المعركة في اجتماع عسكري . وكان يقودها من الخارج المقدم الركن عامر حسك وهو ضابط عراقي جيد . ولكنه كان يجهل المنطقة وقيادة هذا النوع من الجنود . فما كان يملك من حيلة الا أن يزعج بالنجيدات الواحدة تلو الاخرى في اتون المعركة للاحتفاظ بالقرية دون ان يصدر أوامر في ذلك او يحدد مهام كل وحدة في الدفاع . او يعلم الوحدات المجاورة عن تدخل الأصدقاء الجدد . فقد كانت وسائل المواصلات معدومة تماما .

حدثت في هذه المعركة حادثة مؤسفة ما زلنا نذكرها بمرارة حتى الان ، فقد جاءت مفرزة يوغوسلافية بامرة المقدم شوقي بك وهي من العناصر المسلحة . وكانت تتميز بشجاعته وانضباطها . فقادها المرحوم شوقي بك ورمى بها وبف نفسه بين هذا الخليط من الجنود . وقد كانت أوامره وايعازاته الى عناصر المفرزة باللغة اليوغوسلافية كما كانت هذه العناصر ترددها فيما بينها وباصوات عالية في بعض الاحيان . فحدث ان اشتبهت عناصر من جيش الانتقاذ المجاورة الى هذا النوع الجديد من الجنود الثمغر

والمرتدين بزات عسرية نظيفة . فارتابت بهم . وظننت انهم اعداء . فالوجه غير عربي والكلام غير عربي . واللباس مغاير للباسهم ما عدا الكوفيات . فما كان منهم الا أن أمطروهم بوابل من الرصاص سقط على اثره منهم عدة قتلى وجرحى ، ولولا أن دبت بين الجنود صيحات التعارف وان هؤلاء اصدقاء مسلمون لكان قضي عليهم برصاص أخوانهم . ومع ذلك فقد تابعت باقي عناصر تلك الفرزة القتال كما يجب وبكل شجاعة وكفاءة .

عاد الشيشكلي الى ساحة المعركة حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرا (على ما اذكر) فاستطلع الموقف واجرى مقابلة سريعة مع المقدم الركن عامر حسك واندمج بسرعة نحو طربخا (وهي قرية واقعة الى الجنوب الغربي من قرية رميش اللبنانية في الجنوب) حيث تعسكر فيها سرية الملازم الاول محسن يعيش . وكان قائدها وجميع عناصرها من البدو المدربين سابقا في الجيش الاردني ، وكانت هذه السرية متمسكة جدا بتجانسها وبتدريبتها وشجاعته وبأخلاقتها البدوية الرفيعة . فكانت تمثل الوحدات المدربة احسن تمثيل . وتمكن الشيشكلي من التقدم بهذه السرية بالسيارات خلف جبل كحيل الواقع الى الجنوب من بنت جبيل وخلف التلال الممتدة شرقا حتى تصل الى طريق المالكية - سعسع - صفد . فترجلت من سياراتها مستقرة بالتلال . وتقدمت بحذر وهدوء من ساحة المعركة دون ان يشعر بها العدو . الى ان اصبحت على مسافة الهجوم . وكان الوقت حوالي الساعة ٤ مساء . وكان هدفها المعسكر الذي احتله العدو وبقي مثبتا فيه منذ الفجر امام المقاومة العنيفة من المدافعين عن المالكية . وبسرعة ظاهرة وحماسة رائعة (والرواية عن الشيشكلي والملازم اول يعيش بالذات) احتلت هذه السرية قاعدة الانطلاق للهجوم . وشنت هجوما سريعا يكاد ان يكون انقضاضا . فلم تعد السرية تصبر على استعمال الارض بالنار والحركة . بل طارت الى عدوها بخفة البدوي وشجاعته ، فلما شعر بها العدو لم يتمالك نفسه من الهزيمة . فاضطربت صفوفه وانهمز ، فوقع بين نارين . ثار السرية المهاجمة ونار المجاهدين في المالكية ، فتكبد خسائر جسيمة وصار يجر قتلاه وراءه جرا .

حققت السرية المهاجمة اهدافها باحتلال الكعب (المعسكر) وطرده العدو منه . وتمركزت دفاعيا في المعسكر بانتظار الاوامر الجديدة .

انتهت معركة المالكية على هذه الشاكلة . وعلى هذا النمط الفريد من الفوضى والنظام المختلطين ببعضهما البعض . واللذين قدر لهما ان يحققا صمودا عجيبا في البداية وانتصارا رائعا في النهاية .

ومر الخامس عشر من ايار وبدا الجيش السوري طريقه . وتدخلت الجيوش العربية في الحرب كما هو معروف . وخف الضغط الى حد ما عن جيش الانتقاذ . فنقلت بعض وحداته الى قطنا لاعادة التنظيم والتشكيل . وكانت قوات الشيشكلي هي المقصودة في ذلك ، بعد ان استلم المنطقة منها الرائد شكيب وهاب بقواته الخاصة . ولكنه لم يلبث طويلا حتى هاجمه اليهود واحتلوا المالكية . الى ان استرجعتها مرة ثانية قوات البادية السورية بالاشتراك مع جيش الانتقاذ الذي كان في المثلث العربي ونقل الى الجبهة الشمالية ، كما شارك في هذه العملية كتيبة مشاة وكتيبة مدمعية من الجيش اللبناني وكان الجميع في هذه العملية تحت قيادة فوزي باثا القاوقجي ، ورئيس اركان المقدم الركن شوكت شقير .

احتلت القوات العربية المالكية من جديد . وتراجع اليهود الى الهراوي ، ففتحت طريق الجليل مرة ثانية امام جيش الانتقاذ . فترك قوات البادية النظامية السورية في

هذه المنطقة لتؤمن له حماية الطريق والمؤخرة واندفع جنوبا حتى وصل الناصرة . . وكانت المنطقة خالية من قوات العدو . وما زال اكثر السكان العرب في قراهم . فلم يجد في تقدمه اي مقاومة . ولكنه عاد الى ارتكاب اخطائه السابقة ، وخاصة في اقحام نفسه بهذا الجيب العميق دون ان تكون له قدرة على الدفاع الفعلي عنه . ورغم حدوث بعض التغيرات في التشكيلات التي اصبحت على مستوى الوية فقد بقي التغير طفيفا جدا في التسليح والتدريب مما لا يتناسب بأي شكل مع المهمة الجديدة التي تطوع للقيام بها مساعدة للجيش العربي المقاتلة في فلسطين .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتاب

كفاح الشعب الفلسطيني

قبل العام ١٩٤٨

بقلم

عبد القادر ياسين

سعر النسخة ٣. ل. ل. تضاف اليها اجور البريد

اطلب نسختك من : مركز الابحاث ، قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

مراجعات

أحمد الشقيري ، معارك العرب وما أشبه الليلة بالبارحة ، (دار
النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٥) .

ينقل اليها في بساطة وسلاسة ، الكثير من أخبار
وعظمت الحروب التحريرية الطويلة مع الأفرنج ، لما
فيها من دروس لا تزال صالحة في بعض جوانبها
لتكون نبراساً مضيئاً في معارك الحاضر الراهن
بأذات . أضف الى هذا ان الكاتب يشحذ
العزائم ويستنهض الهمم وينبه الأعمدة ، وينثر
ويحذر ويكرر ويراجع ويشرح ويبيد ، وهو في
هذا كله مدرس متحمس ، يخاطب الشبيبة بالأذات ،
عاقدا العزم على أن يقتنمها بما يريد بكل أسلحة
المحرسين الكفاء .

والكتاب يشتمل على تسعة عشر فصلاً ، أربعة
منها ذات « مناخ » خاص يمكن تمييزه عن سائر
فصول الكتاب ، وهي فصول « لي حكاية مع
حطين » و « مكا دمرها الله » و « يوم في بيت
القدس » و « على أي حائط سيكون ؟ » . فالؤلف
يسطر في هذه الفصول مذكرات شخصية كان يمكن
ان يدرجها في كتاب آخر ، ومع ذلك فانها في
مسارها التوجيهي تخدم بصورة مباشرة وقوية
المقاصد الأساسية للكتاب . ولا ينبغي ان يغوتنا
هنا التنويه بالمستوى « الأدبي » الرفيع الذي
يبرز أسلوب هذه الفصول بالأذات ، حيث حرارة
السياق ، وطلاوة العبارة ، وجمال الوصف الذي
يرتقي في عديد من الفقرات الى مراقي الشعر
الوجداني العطر . والحق ان الكاتب في جميع
فصول الكتاب يكتب بلغة مشوقة (آ) مشحونة بمقدار
هائل من اللوعة والتوجع والتفجع ، والسخرية
المريرة من اوضاع قيادية معينة سواء في الماضي
او في الحاضر ، وهو ينفث الزفرات الساخانات على
حال العرب ومآلهم ، داعياً بداب واهمرار الى
اهمية وضرورة التوحيد العربي ، ومحذراً من
مخاطر ومخار التجزئة .

هذه المرة يخرج الاستاذ الشقيري قليلاً ، عن
نطاق ذكرياته الخاصة ومذكراته السياسية التي
سجلها مؤخراً في عدة مؤلفات حافلة . واقول
« قليلاً » لان المؤلف ، وان كان يكتب عن حملات
الأفرنج (١) ومعارك العرب العديدة فيها التي
تراوحت بين الظفر المجيد والاضفاق الكسير ، الا
انه يضمن معظم فصول الكتاب نفثاً وشذرات من
الذكريات الحميمة والاطلالات الدافقة .

على ان هذا المدخل للتعريف بالكتاب خداع ،
اذ قد يوحي بان المؤلف « يؤرخ » لحروب الأفرنج .
هذا صحيح من زاوية معينة ، الا انه ليس صحيحاً
على وجه الاطلاق . ذلك ان الاستاذ الشقيري يكتب
عن الماضي البعيد (آ) الا انه يغوص في الحاضر
المائل بالمقدار نفسه . ان عيني المؤلف مشغولتان
معا في كل صفحات الكتاب : عين على الماضي
تستظهره وتنبش منه الحلو والمر ، وعين على
الحاضر السياسي العربي الراهن ، تستقره وتقلبه
ذات اليمين وذات اليسار ، لتقارن وتقوم وتصدر
الاحكام المثالية المستقيمة .

ومن الصفحة الاولى يكشف المؤلف عن موقفه
السلبى من « الحاضر » العربي ، في معرض
تفسيره لسبب اهداء الكتاب الى عبدالله عثمان بن
سعيد الفصري ورفاقه البواسل دون أحد من
الاحياء المعاصرين . والحق ان عبدالله ورفاقه
جديرون بالهدية ، ولو ان الكتاب كان خليفاً ان
يهدى كذلك الى الناشئة العربية الطامعة التي —
للاسف الشديد — تجهل الكثير من تاريخها . ذلك
انه ليس هناك معلم او هاد او مرشد بكفاية التاريخ،
والامم التي تجهل تاريخها مؤهلة لان تجهل — وان
تتجاهل — مستقبلها ايضا . وما احوج شبيبتنا
في هذه الايام بالأذات ، الى مثل هذا الكتاب الذي

أبعد الليلة من البارحة» ... إلا أنه حين يتحدث في بقية الفصول عما أصاب العرب ، في المساعي أمام الأفرنج وفي الحاضر أمام الغزوة الصهيونية، من هزائم واغتصاب وعدوان واذلال ، فإنه يؤكد في ذيل كل فصل أن التاريخ يعيد نفسه ، و« ما أشبه الليلة بالبارحة » ، ذلك أن العلة واحدة هي الماضي كما في الحاضر ، أنها التجزئة لا غير .

نعم ، أن التاريخ في نظر الكاتب يعيد نفسه ويكررها في هذه المنطقة بصورة تلامس التطبيق . وفيما يتعلق بالغزوتين المذكورتين للوطن العربي، غزوة الأفرنج وغزوة الصهاينة ، أن الأسباب هي هي ، والنتائج هي هي ، وطريق الخلاص هو هو: « فالدين اتخذ ستارا وشعارا في الحملتين، ففي الأولى كان الصليب هو الشعار ، وفي الثانية كان الشعار هو نجمة داود ... وكان الهدف الظاهر في الأولى « انتقاد القبر المقدس » ، وفي الثانية كان الهدف « إعادة بناء هيكل سليمان». ولكن الواقع الذي لا مراء فيه — يضيف المؤلف — أن الحملة الصليبية كانت مجرد غزوة استعمارية استيطانية كالغزوة الصهيونية المعامرة سواء بسواء ... ويسوق الكاتب الأمثلة والأدلة من بطون الكتب التاريخية ، وكذلك من مطالعة الواقع الحالي ، ليثبت « أن الدين الحق براء من الحملتين » ، وأن « الحملة الصليبية في العصور الوسطى تكاد أن تكون متشابهة بل متطابقة مع الحملة الصهيونية في العصر الحديث » .

بناء لما قلناه سابقا (الحاشية رقم ٢) من ضرورة التمييز بين التاريخ وبين الكتابة السياسية، لا نرى داعيا لإلغاء نظرة تقويمية على الكتاب من زاوية تاريخية ، ومع ذلك فلا بأس من استعراض ماير لحجريات التطورات التي يرافقتها المؤلف . أنه كما قلنا يبدأ باقتحام الأفرنج لانتطاكية في ١٠٩٨ (٤) بينما كان حكام بغداد العباسيون وحكام دمشق السلاجقة وحكام القاهرة الفاطميون لا يزالون ولا محترمين ، وبينما كانت حرب «عربية» تدور بين ملك دمشق وشقيقه ملك حلب ! كانت التجزئة هي خريطة المنطقة : إمارة في انتطاكية ومملكة في حلب ومملكة في دمشق وإمارة في حمص وإمارة في الموصل وإمارة في حماه وإمارة في حصن عزاز . ذلك كله في ديار الشام ، وفي غيرها خلافة فاطمية شيعية في القاهرة ، وخطانة عباسية

وهذه الفكرة بالذات ، بشأن الوحدة والتجزئة، هي مفتاح الكتاب كله . ذلك أن الفصول الخمسة عشر النباتية كان يمكن أن يكون عنوانها « نمر مع الوحدة ، وهزيمة مع التجزئة » . والكاتب يتناول — كما قلنا — حملات الأفرنج ، مبتدئا بلحظة اقتحامهم للوطن العربي عن طريق بوابته الشمالية .. انتطاكية في تشرين الأول ١٠٩٨ ، ويقطب صفحات هذه المرحلة الفاصلة في تاريخ العرب ليستخرج منها درسا يكرره بالحاح مستديم: حيثما تكون وحدة يكون انتصار ، وفي أية معركة خاسرة تنتش عن التجزئة والانفصال . وهو في الحالي يختم الفصل بالعبارة التلخيصية ، فإذا كانت الواقعة المقصودة في حملات الأفرنج ومعارك العرب معهم ، انتهت بهزيمة للعرب واحتلال لديارهم ، جاء بما يقابل الواقعة من معارك العرب الخاسرة في أطوار قضية فلسطين المعاصرة ، ليقول بعند « ومسا أشبه الليلة بالبارحة » ! وإذا كانت الواقعة تمثل نعرا مظهرنا حقتة العرب على الأفرنج بفضل وحدتهم وتماسكهم وشجاعة قيادتهم وحكمتها ، جاء بواقعة من حاضر العرب — وهو حاضر الخذلان والاحتلال والتجزئة — ليقول في نهاية الفصل « وما أبعد الليلة من البارحة » ! وأن مقصد الكاتب في الحالي واحد وثابت ، وهو البرهنة سواء بالأدلة التاريخية أو بالقرائن المعاصرة ، على أن الوحدة هي طريق القوة والانتصار وتحرير الأرض وعلو الشأن ، وأن التجزئة والتنسوخ والتعدد القيادي وتناؤد الحكام واستبداد الزعماء ، طريق المهانة وضياح الحقوق والتبكين للغزاة واحتلال ديار العرب .

حين يقارن المؤلف بين قيادة صلاح الدين الأيوبي الموحدة ، وبين الأوضاع القيادية الراهنة، وكذلك حين يقارن بين موقف صلاح الدين من القدس وإصراره الجبار على تحريرها ، ورفضه مساومة الأفرنج على أي مقدار من السيادة عليها ، وبين بعض المواقف المطروحة في الساحة العربية الراهنة ، وكذلك حين يقارن بين دولة الوحدة التي هزمت الأفرنج في ديباط (١٢١٨ — ١٢٢١م)، وبين دول التجزئة الآن حيث يختم جواز سفر المواطن العربي بعبارة « ممنوع العمل بأجر وبدون أجر » ، في جميع هذه الحالات ينبغي أن نتوقع خلوص المتارنة الى عبارة الكاتب الجاهزة « وما

القاهرة ، والعباسيون في بغداد ، وملك دمشق ، يتفرجون . ثم احتل الفرنج وادي عربه والشويك والعقبة ، وزحفوا على سيناء واخترقوها من غزة حتى العريش ثم الفرما في ربيع ١١١٨ م ثم الى جنوبي بحيرة المنزلة . واثناء ذلك شن امير الموصل (٥) حملة كبيبة على الافرنج انتهت بالفشل بسبب رفض ملك حلب وملك دمشق مساعدته ، بل واتصال ملك دمشق بالافرنج سرا !

وتوالى حملات الافرنج على مصر (أ) وتمكن عماد الدين زنكي من قيادة حركة توحيدية عربية تستهدف التحرير ، وتوفي خلفه ابنه نور الدين الذي سار على خط أبيه يعاونه ثم خلفه صلاح الدين الايوبي . . . ويذكر المؤرخون القدامى انه حين اتحدت مصر والشام « ايقن الافرنج الهلاك » . ويتوالى الصراع على مدار عشرات السنين والاجيال ، الى ان قرر صلاح الدين الانتقال من حروب الاستنزاف الى الحرب الفاصلة اذ « العمر قصير والاجل غير مأمون » وهو الراغب بأن يتم تحرير القدس قبل الوفاة . وهكذا بعث صلاح الدين يحث جميع الاتالييم التي كان قد وحدها على الكفاح والنضال ، وعبأ جيشا عظيما ، وقرر ان يلاقي الافرنج على هضاب حطين الجديدة ، بينما كان الافرنج يحسبون في صفورية « حيث الحياة الوفيرة والظلال الوارفة » ، ولهذا عمل صلاح الدين على استدراج الافرنج الى حطين مختارا المكان والزمان المناسبين ليوثمهم في الفخ . ونجح البطل بخطة الاستراتيجية وتلاقى الجمعان عند هضاب حطين عشية ١٣ تهبوز ١١٨٧ ، وانتصر صلاح الدين ، ووصف العماد الاصفهاني نتيجة المعركة قائلا « من شاهد القتلى قال ما هنالك أسير ، ومن شاهد الاسرى قال ما هنالك قتيل » ! ثم حرر صلاح الدين عكا والناصرية وصفوريه وقيساريه وحيفا وارسوف ونابلس وسبسطيه الى اخره . . . الى اخره . وفي ٢٠ ايلول ١١٨٧ بلغ القدس وراح يهبئ لاقترحام أسوارها ، ورفض الافرنج التسليم ، وكانت معركة قاسية انتصر فيها جيش صلاح الدين ، ودخل القدس ، وعلى عكس ما فعله الافرنج قبل ٩٠ عاما عند احتلالهم للقدس من مجازر وقتيل رهيب ، انتهج صلاح الدين سياسة الرحمة والعطف والسماحة ، وكفل الامن والسلامة وحرية العبادة للجميع .

سنية في بغداد « وأوصال منككة تسودها الشحاء والبغضاء ، والشعوب هي الضحية ، والوطن هو الثمن » .

ثم توسع الافرنج بسهولة وسرعة وكانهم نسي نزهة ، لكنها نزهة دامية ، اذ تركوا وراءهم في معظم المدن التي دخلوها وعبروها جثث عشرات — بل مئات — الالاف من الضحايا ، وأنهارا من الدماء . وبينما كانوا يتوسعون من انطاكية الى شيزر ومصرين وحارم والباره ومعرة النعمان ، كان الفاطميون في القاهرة يتصلون بالافرنج يحرضونهم على احتلال بلاد الشام على امل اقتسام المنطقة معهم ! ثم وخلال خمسة أشهر احتل الافرنج المنطقة من نهر العاصي ومصياف وبعرين وسهل البقاع الى حصن الكراد ، ثم طرابلس واللاذقية وطرطوس وجبله ، ثم بيروت وصرفند وصور وعكا وحيفا وارسوف وقيسارية ، ثم اللد والرملة . واثناء ذلك كان امراء شيزر ومصياف وحبص وطرابلس وبيروت وصور وعكا يتعاونون مع الافرنج ويمدونهم بالاغذية والاموال والادلاء ! ومع ذلك فان الشعب قاوم ببسالة في حلب وصيدا ومعرة النعمان وعرةة . وفي ٧ حزيران ١٠٩٩ وصل الافرنج الى بيت المقدس (وهو اليوم نفسه الذي سقطت فيه القدس في أيدي الاسرائيليين عام ١٩٦٧) وحاصروها الى ان سقطت في ١٤ تهبوز ، فاقاموا فيها مجزرة بشعة استمرت اسبوعا من التقتيل الجماعي . ويقول المؤرخ ابو المحاسن : « هذا كله وعسكر مصر لم يحضر » . . . ولا تحرك الخليفة في بغداد !

ثم استولى الافرنج على يافا ونابلس وبيسان وطبريا والناصرية ، ثم شرعوا بتحقيق هدفين استراتيجيين : تمكين اتصالهم البحري باوروبا ، وقطع صلة فلسطين ببقية الوطن العربي . ثم استولوا على بقية الجليل وتوغلوا في الجولان واقتربوا من دمشق ، ثم فتحو قيسارية وارسوف وتابعوا مذابحهم الرهيبة . . . ثم احتلوا طرابلس احتلالا فعليا بعد حصار طويل ومذبحة اخرى واحرقوا فيها مكتبة بني هزاز التي كانت من اعظم مكتبات العالم . وبعد ربع قرن من النضال استسلمت صور ، وبعد سلسلة محاولات استولوا عليها على صيدا . . . وايضا وايضا والفاطميون في

معتزلاً للفرنجة بحق الزيارة والعبادة لا غير .
وهكذا يسجل المؤلف ان صلاح الدين قاتل ١٥
سنة متواصلة ، بينما قاتلنا نحن ٣٠ يوماً في
١٩٤٨ ، و ١٢ يوماً في ١٩٥٦ ، وستة ايام في
١٩٦٧ ، و ١٦ يوماً في ١٩٧٣ . وفي فصل آخر
يستغرب كل هذه الضجة حول العبور وأمجاده ،
مذكراً العرب بعبور آخر اكبر واسبق ، هو عبور
العرب لبحيرة المنزلة ونهر النيل اثناء الصراع
الطويل والمرير مع الفرنجة في وحول دمياط الذي
استمر ثلاث سنوات (١٢١٨ - ١٢٢١ م) .

ثم يكشف الاستاذ الشقري عن سلسلة من
المخازي ارتكبتها « الكامل » سلطان مصر ، اذ
سلم الفرنج القدس ، وذلك بعد اربعين عاماً من
وفاة صلاح الدين ، ثم جاء ثلاثة ملوك (الصالح
أيوب ملك مصر والصالح اسماعيل ملك دمشق
والناصر داود ملك الأردن) مضوا في طريق التفریط
الى ابعاد من ذلك ، فعرضوا على الفرنجة ان تكون
لهم السيطرة الكاملة على بيت المقدس بما فيها
المسجد الاقصى وقبة الصخرة (١٢٤٣ م) ،
انما لم يطل الامر ، اذ عاد العرب في صيف ١٢٤٤م
فحربوا بيت المقدس الذي بقي حراً حتى جاء
يوم ١١/١٢/١٩١٨ لدى دخول اللتبي الى القدس
معلنا : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » !!
وأعقبه بعد ذلك بعامين الجنرال غورو الذي قال
وهو يقف على قبر صلاح الدين في دمشق : « ها
نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين » !! .

ثم انتقل صلاح الدين الى تحرير قلعة هونين
في لبنان (٧) وطرطوس وبيانياس وجبله الخ . .
الخ . . وكانت حملة الفرنجة الثالثة عام ١١٨٩
فحاصروا عكا حصاراً تاسياً وطويلاً (٨) اشترك فيه
من قادة اوربا ثلاثة ملوك وعشرات الامراء ومئات
الزعماء وجنود من ٢٧ شعباً يزيد تعدادهم على
نصف مليون جندي تسندهم اساطيل بحرية ضخمة
وضرب صلاح الدين حصاراً على الحصار
الاوروبي . وبعد عامين من القتال الطاحن، وبعد
تخلي وتخاذل خليفة المشرق العباسي وخليفته
الموحدين في المغرب الاقصى عن اية نجدة ، دخل
الفرنجة عكا ، ونقضوا اتفاقية الاستسلام فذبحوا
ودمروا ونهبوا ، وكان ذلك في ١٢ تموز ١١٩١ ،
وخسر صلاح الدين معارك تالية في ارسوف وبيافا،
فاتبع سياسة الارض المحترقة عاتدا العزم على
حماية القدس ، مطلقاً الغدائين يهاجمون الفرنجة
(تشرين الاول ١١٩١) في كل مكان . واستمر
تقدم الفرنجة ، وعرضوا على صلاح الدين ان يكون
بيت المقدس للفرنجة وقبة الصخرة للمسلمين فرفض،
ثم عرضوا عليه ان تكون الصخرة والقلعة
للمسلمين ، وبقي بيت المقدس مناصفة ، فرفض
أيضاً . وبعد سلسلة من الاشتباكات ، نيس
الفرنجة فانسحبوا ، وبعثوا الى صلاح الدين
يقترحون تعيين احد امراء الفرنجة حاكماً على بيت
القدس « على ان يكون هو وجيشه تحت امرة
صلاح الدين وفي طاعته » ورفض ايضاً وايضاً ،

التاريخية الموجهة ذات الهدف السياسي المسبق.
وعلى هذا فان الكتاب سياسي تماماً وليس
« تاريخياً » ، برغم احتوائه على كمية كبيرة
وغزيرة من المعلومات التاريخية المستقاة من
كتب التاريخ الموضوعة عن حملات الفرنج .
انها كتابة سياسية تتخذ من التاريخ متكسماً
وسنداً وحجة للوصول الى الافئدة السياسية
الذي يتشده المؤلف .

٣ - وبرغم هذه اللغة المشرقة ، فان ما يؤسف
له ان في الكتاب عدداً كبيراً من الاخطاء المطبعية
المسيئة التي نرجو تداركها في الطبعة المقبلة.
وتورد فيما يلي بعض ما امكنا لخطه منها :
- ص ١٠ تنقباها جبلا بعد جبلا (والارجح جبلا

١ - وهي الحملات المعروفة بلغة المؤرخين
والكتاب المحدثين بالحروب الصليبية . واننا
لنتفق مع المؤلف على ضرورة استبعاد هذه
التسمية الخداعة ، ونستحسن ما ذهب اليه -
على مذهب المؤرخين العرب القدامى -
بتسميتها بحروب الفرنج ، ذلك ان حشر الرموز
الدينية في هذا القام عملية تويه زائفة لا
تنسجم والجوهر الحقيقي للحملات واغراضها
المعروفة .

٢ - انه يكتب عن الماضي ولا يقول « يؤرخ » . . .
فالؤلف لم يدع التاريخ لهذه المرحلة الطويلة
الشائكة من تاريخ العرب . ثم ان لعملية
التأريخ مستلزمات وشروطاً تميزها عن الكتابة

٦ - يذكر الكاتب في صفحة (١٠٧) ان الافرنج شنوا خمس حملات على مصر بين ١١٦٣ و١١٦٩ ، لكنه يعود في صفحة (١١١) ليقول انهم شنوا ست حملات متواليات .

٧ - يذكر الكاتب ان الحملة عليها كانت في ١١٩٧ والصحيح ١١٨٧ .

٨ - من العريف في هذه المناسبة ان الاستاذ الشقيري - وهو ابن عكا الباسلة - يرد العبارة الدارجة « عكا وخمه » الى هذه الحقبة من التاريخ ، وهو محق في اجتهاده ، ذلك ان عكا النظيفه الجميلة تحولت خلال هذا الحصار الذي امتد اكثر من عامين ، والذي انطوى على قتال بري وبحري شبه متواصل ، الى مدينة مليئة بالجثث المتعفنة . وهكذا فان قول « عكا وخمه » اذا فهم على حقيقته يصبح وسائسا بطولبا على صدر عكا وليس شتيمة ساخرة . وملاحظة اخرى في هذا المجال ان الكاتب يذكر في صفحة (٢٠٤) ان الافرنج دخلوا في ١١٨٠ والصحيح ١١٩٠ م .

وطالما ان الشيء بالشيء يذكر ، فان المؤلف يذكر لدى حديثه عن سقوط عكا في عام ١٩٤٨ م بأيدي الصهاينة انها لم تطلق اية مساعدة او نجدة . ونحن نوافق الكاتب على ما يقول ، ذلك ان هذه المدينة كغيرها من مدن وقرى فلسطين سقطت والامة العربية بترفة ، لكننا نغتم هذه الفرصة لنسجل ان قرية فلسطينية كبيرة في قضاء الناصرة هي صفورية كانت قد أرسلت من ابنائها عدة نجذات مسلحة الى عدة مواقع مع الصهاينة ، الى « الشجرة » مرتين ، والى « بيت لحم » و« لوبيه » ، وشاركت في الدفاع عن حيفا . وكذلك فان سرية ابي محسود الصفوري ساهمت ببسالة وحتى اللحظة الاخيرة في معركة عكا مع الصهاينة ، وكانت تتركز في نادي اسامة ، وفقدت السرية عدة شهداء في هذه المعركة منهم سليمان محمد عبد الرحمن ، ومحمد سليمان عبد الغني ، ومحمد سعد بدر ، ومحمود الجودي ، ولم تنسحب السرية الا بعد قتال عنيف ، وبعد ان كاد الطوق الصهيوني يكتل ، واذ لم يبق من سنبل للنجاة امامها غير ثغرة عرضها حوالي ١٠٠ متر . ومعذرة لهذا الاستطراد الذي اقتضته المناسبة .

محمد نصر

بعد جيل) ، وفي الصفحة ذاتها : تدبر شؤون الإمبراطورية ، (والاصح تدبير) .

ص ٢٨ - الحاشية : انسي بن مسك ، (والصحيح أنس) .

ص ٤٣ : ازدادت بها صفحات التاريخ ، (والصحيح ازدانت) .

ص ٤٦ : واستلموا سيوفهم ، (واستلوا) .

ص ٥٣ : بيت القدس ، (بيت المقدس) .

ص ٧٦ : واحداث لانرج ، (واحادث الافرنج) .

ص ١٠٩ : كلمة « دمشق » مكررة مرتين بلا داع .

ص ١١٢ : وبينهم أمير انطاكية وطرابلس (يجب ان تكون أميراً بصيغة المثنى) .

ص ١٤٣ : تجاوب (تجارب) .

ص ١٥٢ : ولكن كمين (ولكل كمين) .

ص ١٨٣ : مهناً (مهناً) .

ص ١٩٠ : وانتزع بيت المقدس (وانتزاع) .

ص ٢٠١ : ولها شأنها (شأنها) .

ص ٢٢٠ : وانفج الموقف بعد الشيء (بعض) .

ص ٢٢١ : ذلك العالم (العام) . وفي الصفحة نفسها : ان يضيع وطننا (وطننا) .

ص ٢٤٤ : فرسخين بن بيت المقدس (من) .

ص ٢٥٩ : ان تمتلاً (تبتلى) .

وفي هذه المناسبة ينبغي ان نشير الى نقص سببه سقوط العبارات . مثل ذلك النقص بين آخر صفحة ١٠٨ وأول صفحة ١٠٩ « وكان البطل هو (...) وظل يجاهد للوحدة » . ولا تعرف هنا ماذا أراد الاستاذ الشقيري ان يقول لكننا ينبغي ان نلاحظ ان البطل المتصور لا بد ان يكون نور الدين زنكي . ومثل ذلك في الصفحة ١٦٢ حيث يقول الكاتب « وقد استنبت الافرنج في الدفاع عن عسقلان لاهميتها الاستراتيجية مصر والشام » ... والخلل واضح في العبارة ولا بد ان كلمة ما قد سقطت او اكثر .

٤ - يذكر الكاتب في صفحة (١٥) ان الحملة على انطاكية بدأت في ١٠٩٨ لكنه يذكر في صفحة (٢٧) انها كانت في ١٠٩٧ .

٥ - يذكر الكاتب في صفحة (٨٦) ان مودود كان أمير الموصل ، لكنه يذكر في صفحة (٨٨) انه كان أمير حمص . والصحيح الموصل .

بديعة امين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ، (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤) .

في الفصل الاول عن « الدوافع المادية والجسور التاريخية للهجرة اليهودية » .

ففي هذا الفصل تؤكد على ان الظروف القاسية والصعبة التي كان يعاني منها اليهود من جراء تواجدهم في مناطق فلسطين الجرداء ، اضافة الى النزاعات الداخلية بين اليهود انفسهم او مع الشعوب المجاورة والغزو الذي كانت تتعرض له فلسطين ، لكونها واقعة بين امبراطوريتين ، امبراطورية ما بين النهرين وامبراطورية الفرانجة ، شكلت بمجملها العامل الاساسي في دفع اليهود للهجرة والاستيطان في مناطق خارج فلسطين ، وظلت « اسرائيل » تستند في الدرجة الاولى على اقتصاد ربوي - صيرفي - ضريبي يغطي المنطقة الوسطى من فلسطين . وهكذا كانت البنية الاقتصادية مسيطرا عليها من قبل الارستقراطية اليهودية ورجال الدين . حتى ان هيكل سليمان لم يكن مركزا دينيا بقدر ما كان موردا اساسيا للخزينة عبر الكهنة اليهود . ومرت هذه الارستقراطية اليهودية بمراحل متعددة شهدت انتقالها من كنف اليونانيين الى كنف الرومان . حتى كان تدمير هيكل سليمان عام ٧٠ م حيث كان العدد الاكبر من اليهود في ذلك الحين يعيش خارج فلسطين . اذ ان عددهم في الامبراطورية الرومانية وحدها كان زهاء اربعة ملايين مع نشوء الدموعة المسيحية بينما لم يتجاوز في الفترة ذاتها ٧٠٠ الف في فلسطين .

وتنتقل المؤلفة في الفصل الثاني الى القاء الضوء على « ظهور المشكلة اليهودية مع ولادة الطبقة التجارية المسيحية وبدء انهيار الاقطاع » . ففي الامبراطورية الرومانية التي كان حكامها وارشتراطيوها يحتقرون النشاط التجاري والمالي سيطر اليهود على هذا النشاط سيطرة تامة . اما في اوربوا الاقطاعية ، فكان وضع التجار اليهود وضعا مبيزا من ناحية القدرة على تقديم الخدمات والاموال الى الاباطرة والقياسرة والملوك والاقطاعيين والنبلاء ، وذلك لتمويل عمليات هذه الفئات الحربية . فنشأ ارتباط بين حكام اوربوا وملوكها واقطاعيينها وبين اليهود الذين كانوا

ما يزال تاريخ الحركة الصهيونية ، وتحديد الاسباب الموضوعية لنشوتها ، ومدى ارتباط هذه الاسباب بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي سادت اوربوا الغربية والشرقية ، مجال اخذ ورد . ولقد لجا عدد من الكتاب الغربيين والمغرب الى تفسير نشوء الحركة الصهيونية وتطورها تفسيراً مثاليا طوباويا حيث كان التحليل يتركز بشكل اساسي على « النفسية اليهودية المميزة » ، و« الاساطير التوراتية » ، و« عشدة الشعب المختار » و« التركيب الفيزيولوجي الخاص » باليهود دون غيرهم . ولم يتنبه هؤلاء الكتاب العرب الى ان تحليلاتهم تلتقي من حيث لا يدرون مع التحليلات الصهيونية التي تحاول ابراز هذه الصفات « المميزة والفريدة » ليهود العالم ، وذلك من اجل تكريس وجود « شعب يهودي » واحد له صفاته القومية الخاصة ، وبالتالي ضرورة وجود « ارض واحدة » يعيش عليها هذا الشعب ضمن كيان سياسي واقتصادي وثقافي مستقل .

وياتي كتاب بديعة امين ليضع الحركة الصهيونية ضمن الاطار الصحيح ، مستعيدا الظروف المادية - التاريخية الموضوعية التي كانت في اساس الدموعة الصهيونية وبروزها . وذلك نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها اوربوا الغربية والشرقية في اواخر القرن التاسع عشر ، وانعكاس هذه التحولات على الدور الاقتصادي الذي كان يلعبه اليهود في اوربوا ، وبالتالي التوصل الى تبيان الارتباط العضوي للحركة الصهيونية بالتوسع الاستعماري ، وتحول الرأسمالية الى امبريالية . وما تريد ان تؤكد عليه الكاتبة هو ان الصهيونية هي في جوهرها احد اغراض النظام الاستعماري الامبريالي وليست حركة قومية خاصة بالبرجوازية اليهودية الكبيرة . ولكي تتوصل الكاتبة الى اثبات هذا الاستنتاج ودعونه ، كان لا بد ان تعود الى دراسة وضع اليهود التاريخي والاقتصادي منذ بدء ظهورهم على مسرح التاريخ حتى بروز الحركة الصهيونية . لذلك قسمت كتابها الى اربعة فصول ، حيث تتحدث

— بضاعي تبادلي (استعمال النقود بدلا من المقايضة) . فبدأ الصراع بين طبقة يهودية منهارة وطبقة مسيحية صاعدة وانتهى مع القرن الثالث عشر الى صراع بين العمال والإجراء والعيبد المسيحيين وبين المرابين والتجار يهودا ومسيحيين .

ولا بد هنا من التطرق الى نقطة على قدر كبير من الاهمية ، اثارها المؤلفة لتضع العداء لليهود عبر ممارستهم الربا ضمن ظروف اجتماعية واقتصادية متكاملة لمرحلة تحول تاريخي معين وفي فترة منية محددة . وهي بذلك تناقض الذين عالجوا هذا الجانب من الكتاب للماركسيين كصادق جلال العظم وابراهيم ليون . فباعقداها ان كراهية اليهود لممارستهم الربا لم تتبع من اعتبارها ممارسة لا اخلاقية يحرمها الدين المسيحي ، اذ ان الكنيسة نفسها والمؤسسات المالية المسيحية كانت هي ايضا تمارس الربا في القرون الوسطى، بل نتيجة الصراع بين المؤسسات والبيوتات المالية المسيحية الناشئة وبين المرابين اليهود المرتبطين بالنظام الاعطاشي المتناهي ، وقدرة الكنيسة ورجالها والمؤسسات المالية على توجيه السخط ضد اليهود للتخلص من منافستهم ، وخاصة وان العديد من العامة كان يدين للمرابين اليهود بهذا القدر او ذاك .

فالمشكلة اليهودية في اوربوا الغربية تنحصر فيها بين القرن الثاني عشر والخامس عشر تقريبا ، بينما نلاحظ ان يهود اوربوا الشرقية في الفترة نفسها كانوا يتمتعون بكافة الامتيازات التي تمتع بها يهود اوربوا الغربية ، نظرا لاستمرار النظام الاعطاشي هناك . حيث ان عهد المرابي اليهودي قد انتهى مع نهاية القرن الخامس عشر في اوربوا الغربية (ما عدا هولندا) ثم تم طرد هذه الطبقة من اليهود ، فانتقل دورها الى اوربوا الشرقية .

وفي الفصل الثالث نتكلم المؤلفة حول بروز الصهيونية وعلاقتها بالمشكلة اليهودية ، والدولة اليهودية ، فنتحدث بالتالي عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في اوربوا فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، وحرمة تحرر اليهود من الغيتو ، ثم تراج على دور رأس المال اليهودي في التطور الصناعي وحث الحركة الاستعمارية وصولا الى الواقع الاجتماعي للتجمعات اليهودية

يسيطرون على الميدان التجاري والمالي والاقتصادي في اوربوا الغربية . ويذكر ديورانت ان « التجارة الدولية كانت عملا تخصصوا فيه ، وكادوا يحتكرونه قبل القرن الحادي عشر ، فكانت اعمالهم وقوافلهم وسفائنهم تجتاز الصحراوات والجبال ، والبحار ... وكانوا هم حلقة الاتصال التجاري بين بلاد المسيحية والاسلام وبين اوربوا وآسيا ، وبين صقلية والدول الغربية ، وكانوا هم القائمين بمعظم تجارة الرقيق .. » .

اما من الناحية الاجتماعية والسياسية فكان اليهود يتزاوجون والمسيحيين ، ويتمتعون بالاستقلال في شؤونهم الداخلية ، وتوصلوا الى المناصب الكبرى في عدد من الدول الاوروبية ، خاصة اسبانيا المسيحية . ولم يفرض عليهم العيش في مناطق او احياء محددة ، لكنهم هم من فضل ذلك لتسيير شؤونهم الدينية والدنيوية ، وتمتعوا بمخاطم خاصة مثل بقية طبقات مجتمع القرون الوسطى . كما حظوا بحماية الكنيسة المسيحية ورعايتها اكثر مما تمتع به المسيحيون انفسهم ابان محاكم التفتيش .

فسقوط الامبراطورية الرومانية ، ونشوء النظام الاعطاشي في اوربوا الممثل في طبقتين : طبقة السادة — ملاك الارض ، وهي التي احتكرت التجارة والصناعة ، وطبقة العبيد الارقاء ، اديا الى تعزيز الدور الاقتصادي لليهود . غير ان بدء بزوغ الاقتصاد البضاعي ، وشروع انهيار نظام الاقتصاد الطبيعي الاعطاشي ، ودخول اعداد متزايدة من مئات الالاف الذين تحروا وتحولوا الى عمال جراء الى ميزان التجارة لسد حاجاتها المادية ، كان العملية البهلوية التي مهدت لولادة طبقة تجارية اوربوية مسيحية بلغت في القرن الحادي عشر حدا معيناً من القوة قادها الى الصدام مع التجار والمرابين اليهود بوصفهم كيانا ملازما للنظام المتدهامي فكان عليه ان يرافقه بالانحسار . وبلغ هذا الصراع اوجه ابان القرن الثالث عشر بعد تكون شريحة اجتماعية مسيحية جديدة هي شريحة المرابين المسيحيين . فتكون المشكلة اليهودية في تلك الفترة نتيجة طبيعية لاشتداد الصراع الطبقي مع انتقال مجتمع اوربوا الغربية الاعطاشي الى بداية نظام رأسمالي تجاري

اليهودية . ومن ثم بدء تكون طبقة بروليتارية يهودية التي اضطرت للانخراط في الانتاج الاستهلاكي الصغير لانفتقارها الى تقاليد وأسس حرفية في القطاع الانتاجي . فكانت عرضة لهزات متتالية نتيجة التطورات العلمية والتكنولوجية مما أدى الى تفشي البطالة بين صفوفها ، الأمر الذي أتاح للصهيونية استغلال هذه الظاهرة لخدمة أغراضها ومصالحها ، فكانت سيول المهاجرين في أوروبا الشرقية تساهم في تأجيج العداء ضد اليهود الجدد الذين اعتبروا مصدر منافسة خطيرة للبرجوازية الفرنسية والالمانية الصغيرة ، مثلا .

أما في الفصل الرابع فتطرح علاقة الحركة الصهيونية بالاستعمار وفي هذا الفصل تركز بديعة امين على النقاط التالية :

١) كان اليهود ينتمون في القرن التاسع عشر في أوروبا الغربية الى الطبقة البرجوازية الصغيرة بصورة رئيسية ، وهي طبقة غير منتجة .

٢) أن الأغلبية العظمى من يهود أوروبا الشرقيين كانوا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية من المعارضين للصهيونية ، كما يذكر دويتشر .

٣) أن فكرة توطين اليهود في فلسطين انبثقت من اتقية وزارة الخارجية البريطانية في لندن وذلك منذ نشوء ما يعرف بالمسألة الشرقية مع بروز مشكلة ملء الفراغ الناتج عن تدهور الامبراطورية العثمانية ، خاصة بعد حرب القرم ١٨٥٤ - ١٩٥٦ ، وبرز أهمية الهند ومصر بالنسبة الى بريطانيا ، واشتداد النزاع في الشرق الاوسط بين بريطانيا وفرنسا بوصفه مصدر ثروات اسطورية ووقعه على الطريق الى الهند . حتى ان فكرة توطين يهود أوروبا في فلسطين تعود الى بروز قوة محمد علي ووقوف فرنسا الى جانبه ، مما اوقع الهلع في بريطانيا من تعرض خطوط المواصلات الى الهند للخطر الفرنسي . فكانت فكرة جعل فلسطين « قطعة دفاع امامية » او « مخفرا اماميا للامبراطورية البريطانية » .

ولم تقتصر مسألة ادراك أهمية فلسطين على بريطانيا وحدها ، بل عملت لهذه الفكرة وحرضت يهود أوروبا لتنفيذها دول استعمارية اخرى بدءا بالمانيا البسماركية وفرنسا نابليون الثالث وانتهاء بروسيا القيصرية .

في أوروبا الغربية - الحركة الاندماجية ، ومشكلة البرجوازية اليهودية الصغيرة ابان العقدتين الاخيرين من القرن التاسع عشر . ويمكن تلخيص هذا الفصل فيما يلي :

١) كانت أوروبا ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر تمر في مرحلتين متباينتين اجتماعيا واقتصاديا : أوروبا غربية تقف على عتبة حضارة تجارية وفيها بعد صناعية ، وأوروبا شرقية ما تزال رازحة تحت أنظمة اقطاعية لا يبدأ انهيارها الا في القرن التاسع عشر .

٢) عادت أوروبا الغربية فاستقبلت اليهود مجددا في أعقاب توطيد قوة الطبقة البرجوازية المسيحية وازدياد حاجتها لطاقت مالية ومادية لتنفيذ مشاريعها التوسعية ومد سيطرتها الى بلدان آسيا وافريقيا ومد منافسة بعضها البعض . وهكذا ابتدأ اسهام اليهود في هذه العملية منذ ذلك الحين . فاندمج اليهود اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وروحيا في البرجوازية المسيحية الأوروبية .

٣) لم تبرز الحركة الصهيونية عندما كان اليهود يتعرضون للاضطهاد فيما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر ، وانما ظهرت في اواخر القرن التاسع عشر مع بلوغ النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية أعلى قمة في تطوره - مرحلة الامبريالية .

٤) من هنا فالحركة الصهيونية لم تكن حركة قومية تعبر عن مصالح البرجوازية اليهودية الكبيرة وتطلعاتها في ايجاد سوق وطنية حرة من كل منافسة أجنبية وتجميع شحات اليهود وتسخير طبقتهم العاملة على الاخص لخدمتها . وبذلك تكون البرجوازية اليهودية قد حلت مشكلتها عبر اندماج رأس المال اليهودي برأس المال المسيحي . وكانت الطبقة العاملة اليهودية في مرحلة جنينية لا تلعب دورا انتاجيا فعلا ، الى جانب تأييد البرجوازية اليهودية لحركة الاندماج ووقوفها ضد الحركة الصهيونية .

٥) ازدياد الهجرة في أوروبا الشرقية منذ اوائل سبعينات القرن التاسع عشر واشتدادها في أعقاب أحداث ١٨٨١ في روسيا وبولونيا . وترافقت هذه الهجرة مع تصاعد مد رجعي في أوروبا الغربية ، وبرزت مشكلة استيعاب المهاجرين اليهود الجدد من أوروبا الشرقية وخاصة البرجوازية الصغيرة

تاريخية بلا انقطاع . اما الدولة اليهودية القومية فانها ليست سوى تطبيق عملي لفكرة الاستعمار الاستيطاني من قبل يهود ينتمون الى جنسيات واطنان مختلفة ، وينحدرون بصورة اساسية من البرجوازية الصغيرة .

٤ - ٥ - ان الحركة القومية الأوروبية كانت تعتمد بصورة اساسية ومنذ البداية على القوى الوطنية المؤلفة من البرجوازية المحلية والقوى العاملة سواء في تحقيق الوحدة الوطنية او النضال ضد الحكم الاجنبي . اما الحركة الصهيونية فقد ولدت في سالونات حكام بلدان اوربا الغربية الاستعمارية .

٦ - ان الحركة القومية الأوروبية نشأت قبل بلوغ النظام الرأسمالي المرحلة الامبريالية ... [و] كانت في البدء حركة تقدمية ... اما الحركة الصهيونية فقد ولدت في اوج المرحلة الامبريالية التي تستند الى نظريات التفوق العنصري والانتخاب الطبيعي والبقاء للافوى ... فكانت منذ البدء على اساس استعماري رجعي .

٧ - ان القوى والطاقت الفكرية والعلمية والفلسفية والادبية الأوروبية كانت كلها مكرسة لخدمة نمو وتطور الوجود البرجوازي الأوروبي والحركة القومية ... اما بالنسبة للحركة الصهيونية فان المسألة كانت على خلاف ذلك تماما .

واخيرا لا بد من ابداء بعض الملاحظات حول الكتاب :

١ - تميز التحليل لنشوء الصهيونية وتطورها بشمولية وعبق وموضوعية غير انه توقف عند بدء قيام الدولة الصهيونية مما يعطي للكتاب طابعا اكااديميا بعض الشيء ، وذلك لعدم ايلائه التطورات اللاحقة التي مرت بها دولة العدو الاهمية التي تستحقها ، خاصة لجهة ارتباطها العضوي بالامبريالية الاميركية . والاهتمام بهذه النقطة اساسي باعتباره يلقي الضوء على الصراع العربي - الصهيوني الدائر اليوم ، ويحدد وجهة عمل قادرة على فهم علاقة الامبريالية الاميركية بدولة الصهاينة . فاذا كانت « اسرائيل » قد مثلت المخفر الامامي للامبراطورية البريطانية بشكل خاص والغرب الاستعماري بشكل عام ، فهي تمثل الان الحارس الامين لمصالح الامبريالية الاميركية في

٤) ضمن هذا المد الامبريالي وتوسعه ادرك مرتزل امكانية اقامة دولة يهودية استنادا الى رغبة القوى الاستعمارية وارادتها . فراح يتنقل بين قبرص المانيا والبابسا والسلطان العثماني ، وتشمبرلين وزير المستعمرات البريطاني . وراح يكثف نشاطه في اوساط البرجوازية اليهودية الصغيرة مثريا ومعها الاحساس بالاضطهاد لدى اليهود . ثم توجه للبحث عن الجنود الاوائل الذين ينبغي ان يذهبوا الى فلسطين ، فكانت المسادة الخام الاولى من فقراء اليهود ومعدميهم . غير انه كان يدرك ضرورة جذب المثقفين اليهود فالبرجوازيين منهم . وكانت الخطوة الحاسمة الاتجاه نحو انشاء شركة جمعية تجتذب رأس المال اليهودي لتمويل مشاريع شراء الاراضي الفلسطينية . وهكذا تدريجيا ابتدأت الفكرة الصهيونية تتلاقى مع اهداف بريطانيا حتى كان وعد بلفور خطوة عملية اخرى على تسليم فلسطين الى الصهاينة .

والذي يميز هذا الكتاب ويشكل محوره الاساسي هو بالفعل اثبات ان الحركة الصهيونية ليست حركة قومية يهودية وانما افراز استعماري برز الى حيز الوجود مع صعود الامبريالية في اواخر القرن التاسع عشر . وتورد المؤلفة المقارنات التالية بين الحركة الصهيونية والحركة القومية الأوروبية :

١) ان الحركة القومية كانت نتيجة طبيعية لتطور النظام الرأسمالي بعد انهيار النظام الاتطاعي حيث كانت تستهدف القضاء على التبعض القومي وتوحيد امة واحدة موجودة فعلا ولها تاريخ مشترك وثقافة مشتركة ولغة واحدة وتعيش فوق ارض واحدة إلا انها مجزأة ... اما الحركة الصهيونية فلم تكن تمتلك ايا من القومات الاساسية لمفهوم الامة القومية .

٢) ان الحركة القومية الأوروبية كانت تعبيرا عن مصالح الطبقة البرجوازية العليا ... اما الحركة الصهيونية لا تعبّر الا عن مطالب وتطلعات فئة محدودة من المثقفين المنحدرين على العموم ، من البرجوازية الصغيرة المهاجرة من اوربا الشرقية .

٣) ان الدولة القومية الأوروبية كانت امتدادا لوجود قومي مشترك على أرض مشتركة وموجودة فعلا ويعتق عليها ذلك الوجود القومي بصورة فعلية

باندفاع قوى متعددة لتأييد الحركة الصهيونية ، انطلاقا من الركض وراء الحصول على الثروات في باطن الارض ومن ضمنها البترول ، وظهور امكانية اكتشاف هذا الاخير بشكل هائل ، مما سمر محاولات السيطرة على منابعه بطرق شتى ، خاصة من قبل بريطانيا بالذات ، والصراع اللاحق الذي نشب في مطلع القرن العشرين بين كل من بريطانيا والولايات المتحدة حول انتزاع حقوق الامتيازات . ونحن نعلم ان بعثة المانية للتفتيش عن النفط قد انطلقت في عملها منذ ١٨٧١ . ولم يكن مشروع مد خط سكة حديد بغداد الذي منح امتيازاه للامان في العام ١٩٠٢ الحق في استغلال الثروات المدفونة في الارض في منطقة عرضها ٢٠ كيلو مترا على جانبي الخط وكان هذا يتضمن البترول(١) . . الا ضمن هذا السياق . هذا الى جانب الشركات البريطانية والاميركية والالمانية التي كانت تحاول جاهدة للحصول على امتيازات بترول المنطقة ، برز منها مع مطلع القرن العشرين على سبيل المثال : بريتيش دارسي ، جيرمان دويتش بنك ، داتش - انجلو - ساكسون ، مجموعة اميركان تشيسكو .

وفي هذا المجال يكون من المفيد ان نذكر تصريح ونستون تشرشل في ١٩١٢ عندما كان لا يزال وزيرا للبحرية : « ان هدفنا النهائي انما هو ان تمتلك البحرية (البريطانية) وتنتج الوقود التي تحتاجها . علينا ان نملك ، او على الاقل نسيطر على مساحة متابع النفط التي نطلبها في مناطق الانتاج » .

عند مطلع القرن العشرين ، وخاصة في سنواته العشر الاولى ، بدا واضحا ان صحارى الشرق الاوسط تنطوي على كنوز بترولية هائلة . وهنا يبرز الصراع بين ال روكفلر الاميركيين وال روتشيلد الاوروبيين اليهود حول السيطرة على امتيازات النفط في الشرق الاوسط . ال روكفلر يقفون وراء شركة ستاندرد اويل الاميركية ، وآل روتشيلد يدعمون رويال دوتش . وفي خضم هذا الصراع كان آل روتشيلد يندفعون لشراء الاراضي العربية في فلسطين ، وتبدأ عملية الاستيطان الصهيونية ، ويبرز في تلك الفترة بناء مدينة تل ابيب في العام ١٩٠٩ . ويستمر تدفق الهجرة الصهيونية بالقواطر بين الاستعمار البريطاني

منطقتنا العربية . لذلك كان لا بد من رصد الاحداث التي ادت الى حلول الدولة الاميركية الامبريالية باستعمارها الجديد محل الاستعمار القديم للإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية . وهذا يتجلى انطلاقا من الحرب العالمية الثانية وانهيار هاتين الامبراطوريتين ، وبروز الاستعمار الجديد الاميركي ليرث التركة القديمة الاوروبية ، واندفاعه لملاء الفراغ في الشرق الاوسط ، خاصة في الخمسينات ، وبدء تجوهر حركة التحرر الوطني العربية حول قضية فلسطين ، وصولا الى عام ١٩٦٧ حيث اتضح ان الولايات المتحدة الاميركية تستخدم الدولة الصهيونية لضرب حركات التحرر العربية ومحاولة اسقاط الانظمة الوطنية وتشجيعها على احتلال اراض عربية جديدة . وجاءت حرب اكتوبر ١٩٧٣ والجسر الجوي الاميركي الذي انقذ اسرائيل من الانهيار ليظهرا مدى اهمية هذه الدولة للامبريالية الاميركية ، ثم شروعها بعد توقف القتال بامدادها بكافة انواع الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي . فاقتراد دولة العدو يعتمد اساسا على المنح الاميركية والاموال الصهيونية الاجنبية . وهذا الاندفاع المستهيت لدم « اسرائيل » انما يقوم اساسا على الدور الموكل الى هذه الدولة لطعنه في الشرق الاوسط ، خاصة بعد بروز ازمة الطاقة في الغرب ، واتجاه الدول العربية لرفع اسعار البترول ، واهتمام الولايات المتحدة باستخدام ادوات محلية للتدخل من اجل حسم الامور لصالحها عوض التدخل المباشر كما حدث في فييتنام مثلا . وهكذا تبدو الدولة الصهيونية الاداة الملائمة والاكثر ضمانا لعملية تأمين المصالح الاميركية الامبريالية من طريق التهديد والحرب الخاطفة وخلق الاجواء المؤاتية لانعاش الرجعية العربية .

٢ - صدر هذا الكتاب في اعقاب حرب تشرين والتي استخدم فيها النفط للمرة الاولى على نطاق عربي واسع كسلاح حاسم في المعركة ضد الصهيونية والامبريالية . وي طرح بروز النفط كسلاح سياسي رئيسي مترافق مع الحزب العسكرية ضرورية الرجوع الى ربط اشتداد الدعوة الصهيونية بظهور امكانية وجود النفط في الوطن العربي ، خاصة في العراق والخليج ، وبالتالي ربط هذه الدعوة ليس فقط بمصالح بريطانيا في الهند ومصر بل

العسكرية بعض الشيء ، واعادة بناء قوة العدو الصهيوني ، غير ان ملاحم الصراع الاساسية اصبحت واضحة تدفع كل يوم ، خاصة بعد تكشف عدم امكانية تحييد امريكا ، باتجاه تصعيد المواجهة العربية على كافة المستويات مع العدو الصهيوني .

٢ - اننا نرى انه لا بد من تناول معاهدة سايكس - بيكو بشيء من التفصيل في اية دراسة حول المشروع بتنفيذ مؤامرة اغتصاب ارض فلسطين ، وتبيان ارتباط التجزئة للاقطار العربية بمخططات الاستعمار .

فلقد قسمت هذه المعاهدة الاقطار العربية التي كان يطالب العرب باستقلالها ووحديتها ، خاصة ابان الحرب العالمية الاولى ، وتوزعتها بريطانيا وفرنسا فيما بينها انسجاما مع مصالحها التجارية والاقتصادية . فكان الجزء الاكبر من العراق من حصة بريطانيا ، ونالت فرنسا القسم الاكبر من سورية بما فيها لبنان ، وانفق على اقامة نظام دولي في فلسطين . ثم ما لبثت هاتان الدولتان الاستعماريتان ان حصلتا على الانتداب الشرعي في كل من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، اضافة الى خلق امارة شرق الاردن وغصلها عن فلسطين في العام ١٩٢١ حيث نصب عليها الامر عبد الله كعميل مباحث للاستعمار البريطاني .

كان لهذا التقسيم التعمسفي للولايات العربية اثره الحاسم في تسهيل مهمة اقامة الدولة الصهيونية ، وابقاء هذه الدول في اطار التبعية للامبريالية . اذ ان هذه الدول كانت تقاوم الامبريالية وامتداد نفوذها ومصالحها اليها بفراوة وثبات ، وتميزت بمدنها الرئيسية بتد قومي وحدوي عربي عارم . فجاءت معاهدة سايكس - بيكولتتمثل على ضرب هذا التوجه الوجدوي العربي ، وتخلق دويلات تابعة تدور في فلكها . فجمدت تطور قواها الانتاجية ، وابقتها مصادر للمواد الخام والمفتوحات الزراعية ولتوظيف رؤوس اموالها . فكان ان ادمجت بالنظام الرأسمالي العالمي ، وحدد دورها بشكل يقل امامها اية امكانية للتصنيع . وبالتالي بتر اقتصادها ، وشوهت مقومات نموها وتطورها ، واوجدت فيها طبقات رجعية اقطاعية وبرجوازية مرتبطة مباشرة بالامبريالية التي تسيطر على البلد المعني . وهكذا نجد حتى يومنا هذا ان كيانا مثل

والرأسمال الصهيوني العالمي حتى اتى عام ١٩١٦ الذي وقع فيه اتفاق « سايكس - بيكو » بين فرنسا وبريطانيا ، والذي مهد الطريق عمليا لوعده بلفور عام ١٩١٧ . ومع ظهور البترول في العراق على نطاق واسع في اواسط العشرينات واولئ الثلاثينات ثم تتابع اكتشافه في كل من البحرين والسعودية وقطر نجد ان الهجرة اليهودية الى فلسطين في الفترة الزمنية المرافقة لظهور البترول قد راحت تتصاعد تدريجيا حيث كانت نسبة اليهود من مجمل سكان فلسطين العرب ١٤٤٠٪ قبلت ٢٨٪ من مجموع السكان في ١٩٢٥ . وكانت بريطانيا في الفترة نفسها قد امنت لنفسها الانتداب على فلسطين شرعيا من قبل عصبة الامم في ١٩٢٣ .

وهكذا نلاحظ انه كلما كانت تكشف ابار جديدة للبترول ، يتعاظم اشتداد الهجمة الامبريالية على الوطن العربي ويزداد الدعم المادي والعسكري لاسرائيل . وما ان اعلن قيام هذه الدولة الاستيطانية العنصرية كخسر امامي للامبريالية ، حتى نلاحظ بالمقابل ازدياد الاستثمارات الامريكية في استخراج البترول العربي وصناعته قبلت حوالي ملياري دولار تمثل ثلث استثمارات امريكا في الخارج بمنجملها (١) . وما ان ابتدأت تطرح حركة التحرر الوطني العربية بحزبها التقدمية وانظمتها الوطنية مسألة تأميم البترول وربط الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي ، ويتماظم المد الجماهيري المتف جول شعارات التأميم وتحرير الاقتصاديات العربية من الاحتكارات العالمية ، اضافة الى انطلاق الثورة الفلسطينية في الفاتح من كانون الثاني ١٩٦٥ ، حتى كانت الامبريالية والصهيونية تمدان العدة للقيام بحرب جديدة في العام ١٩٦٧ . تؤدي الى انتصار اسرائيلي عسكري ساحق ، وفتح المجال واسعا امام النهب الامبريالي وتقلل الاستثمارات ورؤوس الاموال الاجنبية ، وخاصة الامريكية . غير ان حرب تشرين الوطنية المحدودة بما حبلته من امكانيات عربية عسكرية وبترولية طرحت لأول مرة ارتباط الصراع ضد الصهيونية بالصراع ضد المصالح الامبريالية في الوطن العربي ، وخاصة البترولية . ورغم ان بعض الانظمة العربية لم يحسن استخدام نتائج حرب تشرين استخداما ثوريا صحيحا ، واستطامت الامبريالية الامريكية تطويق الانتصارات

غير ان المؤامرة ، رغم الانتفاضات الشعبية المتلاحقة ، توصلت الى تحقيق اهدافها . وضمن هذه العملية استطاعت بريطانيا والصهيونية ان تعزلا الشعب الفلسطيني بشكل مباشر او غير مباشر عن اطاره الطبيعي وامتداده القومي الشعبي العربي وبالتالي حددتا منذ البداية امكانيات مواجهة هذا الشعب وقدرته على مواصلة النضال وحيدا ضد قوى امبريالية وصهيونية تتفوق عليه في شتى المجالات . وبذلك استطاعت بريطانيا ارساء الاسبس الفعلية للدولة الصهيونية التي ستتقل فيما بعد في اعقاب انهيار الامبراطورية البريطانية لتستغل الحماية الاميركية وتدخل في سياق مخططاتها الاستعمارية الجديدة .

من هنا يغدو التفرق الى هاتين النقطتين :
ترابط تعاطف الدم العربي الامبريالي للصهيونية بالاندفاع وراء السيطرة على منابع البترول من جهة ، ومعاهدة سايكس - بيكو وما ولدته من تجزئة وتفتيت للقوى العربية من جهة اخرى ، مسألة ذات اهمية تصوى تمكن القوى العربية الوطنية والثورية من رسم خطة عمل متكاملة تنظر الى الوضع العربي بجمله من حيث تعرضه للخطر الصهيوني الامبريالي ، وضرورة الرد على هذا الخطر بإدراك ترابط اجزاء الوطن العربي ببعضها البعض . خاصة بعد امتداد الصراع ليشمل كافة الدول العربية ، خاصة دول الطوق .

غير ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تفك القيود التي ارادتها الامبريالية للشعب الفلسطيني ، وانت لتمثل النموذج الحي للمواجهة العربية لاعداؤها الرئيسيين بحيث يؤدي تصاعد النضال ضد الصهيونية ، وتقود استمرارته ، الى مضاعفة الالتحام العربي ، وتشكل بالتالي المدخل الصحيح لوحدة عربية شعبية ديمقراطية بعد تحرير كامل فلسطين وبقيّة الاراضي العربية المحتلة وتصفيّة المصالح الامبريالية .

لبنان او الاردن هو كيان اصطناعي مبتور عاجز عن تحقيق الحد الأدنى من الاستقلال الاقتصادي السياسي الفعلي . اذ ظل لبنان يلعب دور الوسيط بين الغرب الامبريالي والداخل العربي بحيث يشكل قطاع الخدمات العمود الفقري لاقتصاده ، بينما استمر الاردن يؤمن استمرارية وجود طبيقته الحاكمة عبر المساعدات الخارجية الاجنبية طالما يؤدي الدور القومي الموكل اليه بضرب الحركة الوطنية الفلسطينية خاصة ، والعربية عامة (سلطنة عمان) .

وكانت فلسطين تشكل سورية الجنوبية . ناتي التقسيم الاصطناعي كضربة للقطر الام في امكاناته البشرية والاقتصادية والعسكرية . « والعائلات البرجوازية ذاتها كانت موزعة بين القدس ودمشق وحيفا وبيروت . ولم يكن تقسيم البلاد في ١٩١٩ بين الفرنسيين والانكليز واعطاء جزئها الجنوبي فلسطين للصهيونية في ١٩١٧ على اثر وعد بلفور الا تقسيما اصطناعيا . وقد احس الشعب السوري بهذا الضياع بمرارة تعادل ما شعر به الشعب الفلسطيني » (٣) .

وتؤكد الدراسة التي وضعتها لجنة كنج - كرين عام ١٩١٩ هذا الارتباط بين فلسطين والسدول العربية المجاورة . « الشعور ضد البرنامج الصهيوني ليس مقتصرًا على فلسطين بل يشاركها فيه بصورة شاملة جدا مختلف سكان سوريا كما اظهرت اجتماعاتنا بجلاء » . كما اكد هذا الارتباط البند الثامن من بنود البيان الذي قدمه « المؤتمر السوري العام » في ٣ - ٧ - ١٩١٩ ، الى لجنة كنج - كرين . « اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الساحلية التي من جبلتها لبنان ، عن القطر السوري ونطلب ان تكون وحدة البلاد مضمونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان » (٤) .

٣ - سمر امين ، التطور اللامتكاني (دار الطليعة ، بيروت) ، ١٩٧٤ . ص ٢٤٠ .

٤ - عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، (بيروت ، المؤسسة العربية) ، ١٩٧٣ . ص ١٢٧ - ١٢٩ .

١ - انظر هرتسوغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، دار الحقيقة ، ص ٦٦ - ٦٧ .

٢ - انظر لطفى الخولي ، « التفسير الفلسطيني لتاريخ البترول العربي ومستقبله » ، (جريدة النهار ١٢/٢٧/١٩٧٤) .

عبد اللطيف عقل ، هي أو الموت (منشورات مكتبة الصحافة الفلسطينية في نابلس ، مطبعة الحكيم - الناصرة ، ١٩٧٢) .

في مدح اعمدة الكهرياء

طرردوني من الشارع

فضاجعت معادلة بعدة مجاهيل .

أما في هذا الديوان فقد بدأ عبد اللطيف عقل يعرف طريقه الصحيح نحو الالتزام بالأم شعبيه والانتفاس في جرح وطنه النازف المعذب كما انه بدأ يقترب بشكل حثيث نحو امتلاك صوته الشعري المميز واستطيع ان يقول انه ، وعلى الرغم من الضعف الذي يعتري أحيانا عباراته الشعرية ، قد بدأ يشكل ملامح معينة لشخصيته الشعرية تنسم بالغضب والنزق وطول النفس الشعري « الجيلة الشعرية المسهبة » :

خسوت مداد الحروف —

ومارست ود الجريدة

وأقلعت عبر السطور ، مناخي الاسى

وأهلي يعبون من ذلم ، يرحلون

توزعهم في الجهات البعيد كف الرياح

ولكن تظل الجراح

تنز انتفاضا ورفضاً

تنز حروفاً شهيدة . . .

لقد تبدل عبد اللطيف عقل حتى في عبارته الشعرية من شاعر يمارس اللعب بالحروف والكلمات الى شاعر يعيد هذه الحروف بالنار والبارود والرفض ، ولا بد لي في معرض الحديث عن هذا الديوان من تسجيل النقاط التالية :

أولاً : طغى على معظم قصائد هذا الديوان الاحساس العميق بالتمزق الداخلي الذي هو في مثل ظروف الشاعر دلالة صحية على احساسه بتمزق شعبه ووطنه ، يدل على ذلك استعراض سريع لقصيدة « حب على الطريقة الفلسطينية » التي تعطي القارئ فكرة عن كيفية احساس الشاعر بمأساة شعبه عبر الارتحال الدائم :

إسافر عبر الخوم وأنت الحقيبة

انت جواز المرور المزور

وأزهو بتهرب عينيك عبر الحدود

هذا هو الديوان الثالث الذي يصدر لعبد اللطيف عقل ، صدر ديوانه الاول شواطئ القمر سنة ١٩٦٤ وديوانه الثاني « أغاني القمة والقاع » سنة ١٩٧٢ وصدر هذا الديوان في اوائل عام ١٩٧٤ وقامت سلطات الاحتلال بمصادرته بعد توزيعه في الاسواق على غرار ما حدث لديوان مسيح القاسم « ويكون ان يأتي طائر الرهد » الذي صدر سنة ١٩٦٩ . وفي هذا الديوان « هي أو الموت » يحقق عبد اللطيف عقل انجازاً شعرياً جيداً ، بالنظر الى ديوانه السابق « أغاني القمة والقاع » الى حد يمكن معه القول ان الشاعر قد تخطى متاهة الغموض والابهام ، وشكلية اللعب بالالفاظ الى مرحلة من الانتماء لوجاع الوطن وغربة الناس المقيمين تحت وطأة الاحتلال . وعلى الرغم من أن الفترة الزمنية التي تفصل بين هذين الديوانين تقل عن العامين الا ان النظرة التي استطاع الشاعر ان يخطوها يمكن أن تصيب بالاعوام .

وإذا كان عبد اللطيف عقل قد ظل في ديوانه السابق أسيراً لاصوات ومضامين غيره من الشعراء وخاصة نزار قباني وعبد الوهاب البنتاني ومختد الفيتوري فإنه قد تحرر في هذا الديوان من اسار تلك الاصوات وبدأ مرحلة امتلاك صوته الشخصي ولايضاح هذه المسألة سأورد هنا نموذجين من ديوانه الاول لادلل على تأثيره بكل من نزار قباني وبعض الاصوات السريالية في الشعر الحديث :

يقول في قصيدة صفحة من دفتر قديم ص ٤٠ :

فم طفولي — على طهره —

شفتان من لوز ومن سكر .

بحر على شطيه رف الهوى

إبعاده بالحب لم تسبر

ويقول في قصيدته اوراق بين القمة والقاع

ص ١٤٢ :

شربت سور العين

فاحمرت اهدابي

ونقيات قصيدة بوزن وقافية

ثالثا : الاحساس الدائم بالارض والمدنية
والاشياء الفلسطينية ، وكلية الاشياء هنا تشمل
كل شيء ، العادات ، اللهجة ، المرأة ، الاغنية :

امتطي صهوة الجواد على الريق
أسبق الوقت والمركبات ، اغني :
« قلبي على الزين »
تموت اريحا على راحتني
لا أكون

وفي القدس كل الصبايا أسيره

رابعا : مع كل ذلك لا بد من الإشارة الى
رداءة بعض القصائد في هذا الديوان وخاصة
القصيدة النثرية التي لم تشفع لها المقدمة التي
وضعها الشاعر لتبرير أيرادها في الديوان وقال
فيها : « حين ترتفع درجة حرارة التجربة يصير
التعبير لا فرق فيه بين النثر والشعر » . من قال
هذا ؟ كما أنه لا بد من الإشارة الى ان لهجة
يائسة متخاذلة قد غمرت بعض القصائد الأخرى
ومن هنا هذا المقطع :

مدينتي يسكنها العذاب
يبرح في حاراتها الحزن
ويرتع اليباب

وأهلها الصيد يتاجرون ، يربحون

يفخرون ان في رؤوسهم مشائل الجهل

وفي عيونهم مراتع العذاب

ثم ان هناك نشازا نثريا وغير مستحب داهم
بعض الصور الأخرى وخاصة مقاطع قصيدة
« حاشية » :

مدينتي أجرى الأطباء لرحمها جراحة

يخشون الا تستطيع بعد ضعف رحمها الانجاب

تطيني بالزيت والزيتون والتين

ومرغني فرجك في القراب

كلمة أخيرة ، رغم ان الوضوح الملتمزم ضروري
مادة للشعر المتأوم الا ان من الضروري كذلك
الابتعاد عن المباشرة قدر المستطاع .

خليل السواحري

وأزهو وأزهو وأمخر
وحين يصادرك الجند قبل الحشيش
ويفتقون بؤبؤ عيني الدور
أحس بانني اغتسلت من العار .
أصبحت أمضى وأصبحت أظهر

— هذا بغض النظر عن كلمات محمود درويش
السابقة لقصيدة عبد اللطيف عقل حول الموضوع
نفسه وهي الحقيقية والسفر وجواز المرور — .

ثانيا : تكثفت في هذا الديوان مجموعة من
الرموز الفلسطينية بعضها جاء جديدا وبعضها سبق
وان استهلكه شعراء المقاومة من قبل ، ففي هذا
الديوان كان هناك أصراب على جعل القدس رمزا
لكل فلسطين ورمزا لكل المدن الفلسطينية المستباحة
والمنتهكة ، وقد تكررت القدس كحقيقة وكرمز
بشكل كاد يجعلها تاسسا مشتركا بين معظم
القصائد :

في زمن الجوع

لا يورق في القدس الزيتون

ولا تنمو حبات القمح

تتساقط أوراق التين

وليس يكف عن النزف الجرح

لم أجد في شفة القدس ابتسامة

فمنيا في خاطري الرئيف

وفي ذاكرتي امتدت قيامه

واذا جاء المساء

تصبح الارض — جميع الارض

وجه القدس او وجه السماء

وبالإضافة الى القدس ، كان هناك رمز آخر هو
« سلمى » الذي تراوح بين كونه رمزا للمرأة
الفلسطينية حينما ورمزا للارض الفلسطينية حينما
آخر ، ولقد تكرر هذا الرمز مرارا كسابقة أما
عن الرموز الأخرى والتي رغم كونها فلسطينية
أصلية الا أنها جاءت مستهلكة تماما لكثرة
استعمال الشعراء لها ومنها الزمتر والزيتون
والزيت والتين والخرج ... الخ ..

تقرير حول التطورات الاخيرة على جبهة النفط

رهف بدوي

وتوقع تدخل عسكري امريكي في الشرق الاوسط في حال حدوث تطورات في السياسات البترولية العربية قد تتسبب في « الاختناق الفعلي للعالم الصناعي » . كما رفض كافة الفرص التي اتاحت امامه فيما بعد للتخفيف من حدة هذا الكلام وثقل وقعه . ومُعرف أن « حالة الاختناق » في القاموس الامريكي تعني قيام الدول العربية بخفض انتاج نفطها الى درجة كبيرة وغرض حظر على شحنه الى بعض الدول المستهلكة على اقل تعديل . وجدير بالاشارة هنا انه بعد يومين من صدور تصريح كيسنجر المشار اليه اصدر البيت الابيض بيانا خاصا أكد فيه ان كلام الوزير يعكس وجهات نظر رئيس الجمهورية « . وواضح ان تهديدات كيسنجر تعني ببساطة الاحتلال الامريكي لاجزاء كبيرة من العالم العربي . ومن المعلوم ان البنتاغون قد وضع عددا من الخطط البديلة للاستيلاء على حقول النفط العربية وخاصة في الخليج ، كما تعدد تسريب هذه الانباء كجزء من حملة الضغط الكبرى التي تقودها الولايات المتحدة ضد الدول المنتجة والعربية منها بالتحديد .

اذا اردنا تقديم تقييم موضوعي لجديده هذه التهديدات سيبتين لنا بسرعة ان أي تدخل امريكي عسكري في المناطق النفطية سيؤدي الى كارثة كبيرة تصيب اول ما تصيب الدول المستهلكة للنفط العربي . اي أن الدواء الامريكي سوف يدفع « بالعلّة » التي جاء ليشفيها الى نقطة الانفجار . اذ انه من المعروف ان الاعداد لتفجير إي حقل نفطي لا يستغرق اكثر من حوالي ٢٤ - ٤٨ ساعة بحيث يتوقف الحقل عن الانتاج لمدة سنة كاملة على الأقل . ويمكن تحقيق هذه النتيجة باستخدام متفجرات عادية ومتوفرة في كل مكان تقريبا . في الواقع اذا اعدت الدول العربية نفسها لمثل هذا الاحتمال وقامت بتدريب الكادر اللازم بصورة مسبقة بإمكانها تفجير الحقول خلال مدة لا تتعدى الست ساعات فقط ، هذا بدون وضع المتفجرات منذ الان في الاماكن المطلوبة . وهذا يعني ان الولايات المتحدة لن تتمكن من انزال قواتها على أي من الاراضي العربية قبل تفجير الحقول ان شاءت

كان من النتائج الهامة التي افرزتها حرب اكتوبر ١٩٧٣ وضوح امرين هامين وضوحا قاطعا، وهما : اولاً ، مدى اعتماد اسرائيل على الولايات المتحدة وارتهاها الارادتها حتى على المدى القصير، وثانياً ، مدى اتساع هامش المناورة الذي تملكه الانظمة البترولية العربية في تقرير السياسات النفطية في وجه الشركات والدول المستهلكة التي كانت في السابق تحتكر لنفسها السيطرة على اتخاذ القرار بالنسبة لكافة الامور الهامة المتعلقة بالبترول . لقد بينت حرب اكتوبر ان هامش المناورة هذا اوسع بكثير مما كان متوقعا كما قدمت الفرصة الذهبية المناسبة للانظمة المعنية كسي تستفيد من هذا الهامش وتؤكد دورها ووجودها في صنع السياسات البترولية . وقد اخذ دور الانظمة البترولية يؤكد نفسه في تكوين النظام المسالي والتجاري الذي تخضع له عمليات استخراج البترول واستهلاكه . وبطبيعة الحال لم يكن من المتوقع ان تقف الولايات المتحدة موقف المتفرج امام هذه التطورات التي اخذت تزيد من الاستقلالية النسبية التي تتمتع بها الانظمة البترولية على هذا الصعيد . لذلك سيكون اول موضوع نتناوله في هذا التقرير هو الحملة الضخمة التي شنتها الدول المستهلكة على كافة المستويات (الاعلامية ، والسياسية ، والاقتصادية ، الخ) بقيادة الولايات المتحدة على الدول المنتجة . وقد وصلت هذه الحملة الى ذروتها في التهديدات المتكررة التي اطلقتها ارغف المصادر الرسمية الامريكية - الرئيس فورد وهنري كيسنجر وغيرهما من كبار المسؤولين - باستخدام القوة العسكرية ضد الدول العربية المنتجة ان دعت الحاجة الى ذلك في يوم ما . ولن نعود في هذا التقرير الى تاريخ هذه التهديدات الذي أصبح معروفا على نطاق واسع بل سنرصد التطورات التي طرأت عليها في الاشهر الاخيرة كما سنخضعها لشيء من التقييم والتحليل .

في تصريح ادلى به كيسنجر لجلة «بيزنيس ويك» الامريكية الهامة (في عددها الصادر في ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥) رفض ان يستبعد امكانية

الثالث كما أنها ستصيب الدول الأوروبية الغربية واليابان - التي يفترض في التدخل الأمريكي أن يحمي مصالحها من الإجراءات النفطية العربية - بشلل كامل خلال أشهر قليلة بسبب توقف انتاج النفط .

على الرغم من أنه لا ينبغي على الجانب العربي أن يستخف أو يستهتر بالتهديدات الأمريكية - مما يستدعي اليقظة والاستعداد الدائمين - بين لنا التقييم الموضوعي لطبيعة التهديدات باستخدام القوة العسكرية - أنها جزء من سياسة الجاهلية ، بكل ما تنطوي عليه من تهويل وضغط على العرب، التي تميل الولايات المتحدة إلى اتباعها في التعامل مع دول الأوبك على أمل شق المنظمة وتفطيت تضامنها . ومن علامات سياسة الجاهلية هذه أيضا : (١) اصرار أمريكا على التفاهم شبه التام بين الدول المستهلكة وتضامنها المسبق كشرط لعقد أي مؤتمر يجمع الدول المستهلكة والدول المنتجة . (٢) تهربها من تقديم أية ضمانات مناسبة إلى الدول المنتجة فيما يتعلق بقيمة مداخلها الفائضة في المستقبل . (٣) الضغط على المؤسسات الدولية كي تمتنع عن تقديم القروض إلى دول الأوبك . (٤) التمييز الواضح ضد دول الأوبك في التشريعات التجارية الأمريكية الأخيرة (مثلا التشريعات المعادية للاستثمارات العربية في الولايات المتحدة) . من الطبيعي أن لا تمسك حكومات الدول النفطية على التهديدات الأمريكية فترتكها تبر دون ردود فعل على هذه الدرجة من القوة أو تلك . ومن أهم ما صدر بهذا الصدد التصريحات التي ادلى بها الرئيس يومين إلى الصحيفة المكسيكية « ايكسيلسيور » (الاسبوع الاول من كانون الثاني ١٩٧٥) حيث رد على كيسينجر بتحذيره من أن أي تدخل عسكري أمريكي سيواجه تضامن الدول المنتجة مما سيؤدي إلى حدوث « كارثة » ، ولفت انتباهه إلى استحالة قيام الولايات المتحدة بمثل هذا العمل لأن العالم يمر في الوقت الحاضر بمرحلة تصفية الاحتلال المباشر والتخلص من الإمبريالية ولا يمكن للأمريكيين أن يسبحوا ضد التيار التاريخي بتنفيذ مثل هذا التدخل الإمبريالي . وأكد يومين : (أ) أن احتلال كيلومتر واحد في أي بلد يعني عمليا احتلال البلد بكامله لذلك فإن احتلال بلد عربي واحد يعني ، بالنسبة لنا ، احتلال العالم

الإرادة العربية للجوء إلى مثل هذه الخطوة .
الخطوة .

حتى في منطقة الخليج العربي حيث تقع معظم حقول النفط على الساحل أو داخل المياه الاقليمية ، مما من شأنه تسهيل عمليات الانزال . لا نجد في المنطقة أية قوة بحرية أمريكية دائمة قادرة على تنفيذ مثل هذه المهمة بالسرعة المطلوبة . ويفترض بأن تؤدي أية محاولة أمريكية لإرسال قوات من منطقة أخرى إلى ردود الفعل العربية المناسبة (نسف الحقول) لأن احتلال تلك الحقول غير ممكن بدون عمليات بحرية بسبب افتقار أمريكا لأية قواعد جوية عربية بما فيه الكفاية لضمان الاحتلال استنادا إلى عملية مجوقسة محسوب . يضاف إلى ذلك أن أية محاولة أمريكية لتجميع الأعداد الكافية من المظليين والطائرات الضرورية للحملة على مقربة من منطقة الشرق الأوسط لا بد أن ظلت انتباه الدول المعنية وتدفعها لاتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية نفسها وتعطيل الهدف الأساسي من عملية الاحتلال كلها . أما بالنسبة لليبيا والجزائر فمع أن الولايات المتحدة تملك القوات البحرية الضرورية لاتمام الحملة (الاسطول السادس) فإن حقول النفط تقع في هذين البلدين في الداخل وليس بالإمكان الوصول إليها عبر عملية بحرية قبل قسامة الحكومتين المعنيتين باتخاذ الإجراءات التفجيرية الرادعة . يضاف إلى ذلك استحالة شن الهجوم المطلوب على حقول النفط العربية بأجمعها في وقت واحد ، أي في المشرق وشمال أفريقيا معا ، علما بأن المباشرة بأية عملية احتلال معزولة يفترض أن تؤدي إلى رد عربي فوري وفعال سيأخذ شكل حظر جماعي على شحن النفط على أقل تعديل . بعبارة أخرى أن تنفيذ أي من التهديدات التي ردها كيسينجر غير ممكن بدون دفع العرب إلى تدمير حقول النفط تدميرا كاملا . وسيكون كيسينجر عندئذ في موقع من يريد أن يمنع حظرا مؤقتا بأعمال ستؤدي لا محالة إلى إيقاف انتاج النفط لفترة طويلة جدا . هذا بالنسبة للجانب العسكري من الموضوع . أما الجانب السياسي والاقتصادي فإنه لا يقل أهمية من حيث الأثر المدمر التي سيسفر عنها . إذ سيكون لأية خطوة عدوانية على الدول العربية أثارها السياسية السلبية على علاقات الغرب الرأسمالي بالعالم

بلادنا قد اعتادت على التهديدات الامريكية الهادفة الى فرض وجهة نظر معينة على الدول العربية . وأكد الوزير : (ا) ان حكومته توصلت الى قناعة بان الهدف الكامن وراء هذه الحملات هو الانتقام من حقوق الدول المنتجة في تحديد سعر مادل لبترونها . وبانه سيجري توسيع هذه الحملات لتشمل بقية دول العالم الثالث المصدر للمواد الاولية . (ب) ان الطرف الامريكي يقنأسى بان البترول ليس المادة الاولية الوحيدة في العالم وأن ضروريات الحياة ليست مشتقة كلها من البترول وحده كما أن الدول المنتجة ليست كلها دولا عربية، وان السيطرة الشاملة على الصناعة والاغذية والسلع الاولية مركزة في يد الدول الصناعية الكبرى وما زالت تتحكم بأسعار السلع الصناعية . (ج) ان الدول العربية التي تتعرض باستمرار للتهديدات الامريكية قد اوضحت مرارا وتكرارا موقفها القائل بأنه ينبغي معالجة الازمات الاقتصادية بصورة شمولية وككل وهي تعود لتأكيد الحاجة الى الحوار البناء لان ازدهار العالم يجب ان يعني الانسانية بأجمعها وليس مجرد ازدهار الدول المتطورة .

ولم تكف الكويت بهذا الرد بل صرح وزير المال والبترول آنذاك السيد عبد الرحمن العتيقي ، اثناء وجوده في بلغراد ، (١٠ كانون الثاني) بأن التدخل العسكري الامريكي الذي أشار اليه كيسينجر سيؤدي الى حرب عالمية . ووجه النقد الى كيسينجر مباشرة بقوله ان تهديداته تتحدى العقل والادراك ، خاصة وان الوزير الامريكي شهد في شبابه فظائع الحرب في المانيا النازية ومن المتوقع منه ان ينحاز الى جانب السلام . وأكد العتيقي بدوره مسألة حق تجهيز الدول في السيطرة على مصادرها الطبيعية بغض النظر عن حجم هذه الدول او قوتها العسكرية . كما انهم الولايات المتحدة نفسها بالامتناع عن تصدير المواد الغذائية الى الدول التي ترفض الانصياع للضغط الامريكي ، وبتقديم العون والمساعدات العسكرية والمالية الى اسرائيل على الرغم مما عاناه وما زال يعانيه الفلسطينيون منذ امد بعيد . واستنتج من ذلك أنه من حق الدول المنتجة ان ترفض تصدير النفط الى اعدائها والى من يدعمون اولئك الاعداء .

العربي بأكمله ، (ب) ان التضامن موجسوود وقائم بين الدول المنتجة وهي تدرك بأجمعها ان التضامن هو الذي مكنتها من فرض وجودها على الدول الصناعية ، لذلك لن تسمح اي من هذه الدول للاحداث بأن تتطور بصورة لا تضمن مصالحها الجماعية . (ج) ان نضال الدول المنتجة هو جزء من النضال الضاري الذي يشنه العالم الثالث لرفع قيمة المواد الخام التي ينتجها وتأسيس نظام اقتصادي عالمي جديد . (د) انه ليس اسهل علينا من تدمير المنشآت النفطية في حال حدوث اي اعتداء علينا . فهل الولايات المتحدة مستعدة لتحمل مسؤولية التسبب في كارثة دولية ؟ اذ ان الطاقة هي الاساس في اقتصاديات الدول الصناعية . (هـ) طالما انه لم يجر اكتشاف اي بديل للنفط كمصدر للطاقة علينا ان نبذل كل جهد للحفاظ على ووضعه في خدمة الجميع . وكل ما يطالب به الدول المنتجة هو ان تتلقى ثمنها عادلا لموادها الاولية وهذا ليس بكثر . (و) ان الحل الحقيقي للمشكلة يكمن في الحوار ولا يوجد اي طريق اخر غيره .

أما في العراق فقد أعلن وزير الاقتصاد حكمت العزاوي في ٧ كانون الثاني بأن بلاده ترغب في التهديدات الامريكية وتعتبرها موجبة ضد حق الدول في استخدام مواردها الطبيعية . وأكد الوزير ان المصادر الطبيعية العربية لا تخضع الا لسيادة الشعب العربي ولا يحق لاية دولة مهما عظمت ان تمارس أية سيطرة عليها ، وان التهديدات الامريكية تتعارض مع الاصول الدولية المرمية . وذكرت صحيفة « الجمهورية » العراقية في افتتاحية لها في ٨ كانون الثاني ان الهدف الرئيسي وراء تهديدات كيسينجر هو تعطيل فاعلية البترول كسلاح سياسي اثبت فاعليته في ساحة الصراع العربي - الاسرائيلي مما من شأنه ان يخلق جوا اكثر مؤاتاة لعقد التسوية الاستسلامية . والجدير بالاشارة هنا هو ان الرد العراقي ربط بوضوح بين هذه التهديدات وبين الصراع العربي - الاسرائيلي مشددا على مغزاها السياسي المباشر . وهذا ما لم ترق اليه معظم ردود فعل الدول العربية الاخرى . وفي الفترة ذاتها علق وزير الدولة الكويتي عبد العزيز حسين على تهديدات كيسينجر قائلا بأن

هنا لا بد لنا ان نسأل مجددا لماذا اضطر كيسيونجى للجوء الى اسلوب التهديد السافر باستخدام القوة ؟ والجواب باختصار هو لانه يريد فرض سياسة نفطية معينة على كل الاطراف المعنية تعود كل فوائدها الاينية والمؤجلة على المعسكر الراسمالي بدون ان يكون لهذه السياسة اي مردود ايجابي على الاطلاق بالنسبة للدول المنتجة وحلفائها . وبطبيعة الحال لا يمكن فرض سياسة على مجموعة معينة من الدول لا تجد لنفسها اذنى مصلحة في هذه السياسة الا عن طريق القوة والعنف او التهديد بهما على اقل تعديل . تريد السياسة الامريكية النفطية كما يقوم بصياغتها كيسيونجى في الوقت الحالي تحقيق الاهداف التالية:

(١) الحصول على تخفيض كبير في اسعار النفط الذي تنتجه دول الاوبك للتخفيف من المصاعب الحالية التي تعاني منها الدول الصناعية الغربية ويعاني منها ميزان مدفوعات كل دولة من هذه الدول . (٢) الإبقاء على اسعار البترول داخل الدول الغربية المستهلكة في مستوى مرتفع من أجل تشجيع الاستثمار في برامج تطوير مصادر بديلة للطاقة بحيث ينعدم تدريجيا اعتماد هذه الدول على كتلة الاوبك علما بأن الدولة الرئيسية التي يستثمر في الميادين البديلة هي الولايات المتحدة نفسها على اعتبار ان معظم الدول المعنية الأخرى تفتقر الى مصادر محلية للطاقة يمكن تطويرها على نطاق كبير . (٣) الاستفادة من مائدات النفط العربية وفوائدها المالية بأسرع ما يمكن لتخفيف حدة الازمة التي تعاني منها الراسمالية الغربية في الوقت الحاضر على أن يتم ذلك بشروط «مفربة» للدول المستهلكة الكبرى فقط . توضحت هذه السياسة الامريكية التعجيزية (تعجيزية لانه ليس بإمكان أية دولة بترولية القبول بها مهما كانت حكومتها مسارية للغرب ومرتبطة به ومرتهنة لارادته) في المؤتمر الذي عقده وكالة الطاقة الدولية (شباط ١٩٧٥) المؤلفة من ١٨ دولة حيث اقترحت الولايات المتحدة على لسان كيسيونجى نفسه بأن تنفق الدول الرئيسية المستهلكة للنفط على عدم السماح ببيع البترول الذي تستورده بأسعار من شأنها ابعاد الاستثمارات عن مشاريع تطوير مصادر الطاقة البديلة . وتضمن الاقتراح اجراءات تطبيقية تأخذ شكل أما الاتفاق على سعر حد أدنى لا يسمح ببيع النفط المستورد بأدنى منه

مع انه لم يصدر اي رد فعل رسمي في السعودية على تهديدات كيسيونجى فقد كتبت صحيفة « الندوة » اليومية (ه كانون الثاني) مقالا قالت فيه بأنه ينبغي على الولايات المتحدة ان تكف عن اصدار مثل هذه التهديدات خاصة وانها هي السبب وراء الازمة الاقتصادية الدولية . وذكرت الصحيفة بأن حل الازمة المذكورة لا يكمن في تخفيض اسعار البترول بل في اتخاذ الاجراءات اللازمة لتقليص الفجوة القائمة بين الدول النامية والدول الصناعية مما يعني انه على الدول المنتجة والمستهلكة التشاور بينها لبحث جماع الولايات المتحدة التي تعمل على خلخلة النظام الدولي والتسبب في ازمات اضافية باصرارها على استخدام العنف .

اعتبر الرئيس القذافي (« النهار » ، ١٣ كانون الثاني) ان الغرض من وراء تهديدات كيسيونجى هو الهاء العرب بهذه التهديدات ولذلك يكون من الافضل عدم الاكثار من الكلام حولها كي لا تقوم بمساعدة كيسيونجى على تحقيق اغراضه . وانتقد الرئيس الليبي الاسلوب الذي تتعالم به الاوبك حالياً مشاكلمها مع الدول المستهلكة بقوله ان هذا الاسلوب لا يؤدي الى حل انساني لان السبب الحقيقي وراء ارتفاع اسعار السلع المختلفة ليس زيادة اسعار البترول بل التضخم العالمي الذي وصل الى درجة تتحتم معها معالجته . أما الاسلوب الصحيح للوصول الى ذلك فهو في رأي القذافي عقد اجتماع لكل دول العالم في مؤتمر قمة انساني هدفه معالجة مشكلة التضخم بصورة واقعية وشجاعة .

وعلق وزير خارجية دولة الامارات العربية المتحدة احمد السويدي على موضوع التهديدات (« السياسة » الكويتية ، ١٢ كانون الثاني) بقوله ان الكلام عن التدخل العسكري لا يعزز الاستقرار ولا يسمح بنمو علاقات حسنة بين الاطراف المعنية . وبعد تنديده بأسلوب التهديد لانه لم يعد عملياً عبر السويدي من امله بأن لا تلجأ الولايات المتحدة الى تنفيذ مثل هذه التهديدات وعن استعداد بلاده لتنفيذ اي قرار يتخذه العرب حتى لو كان يدعو الى تدمير المنشآت النفطية على اعتبار ان دولة الامارات هي جزء لا يتجزأ من العالم العربي .

الدول المنتجة حتى الى مجرد التفكير في تبنيها او السير في ركابها . وهذا واضح مما ذكرته مصادر الاوبيك بأنه لا اعتراض لها ، من حيث المبدأ ، على فكرة تحديد سعر حد ادنى للبترول لو لم يكن كل هذا المشروع الامريكي موظفا لخدمة هدف واحد هو ارغام الدول المنتجة على تخفيض اسعارها . ومعروف ان احمد زكي اليماني اخبر كيسينجر خلال زيارة الاخير للرياض (شباط ١٩٧٥) انه اذا مرضت الولايات المتحدة ضريبة قيمتها ثلاثة دولارات على كل برميل نفط مستورد فان السعودية سترد على ذلك بفرض رسم تصدير مماثل على كل برميل تشحنه على ان لا يطبق هذا الاجراء على الدول المستهلكة التي لا تفرض ضريبة مشابهة للضريبة الامريكية .

لكن هل صحيح ان دول الاوبيك واقعة في مأزق صعب على النحو الذي صوره كيسينجر وليس أمامها الا الخيار السيء الذي رسمه لها ام ان في كلامه هذا الكثير من التهويل المحسوب والتهديد المطنن ؟ الجواب في رأينا واضح اذ ان خيارات دول الاوبيك ليست محصورة على الشكل المأساوي الذي رسمه الوزير الامريكي عن عمد وسابق اصرار ، حتى مساعد وزير الخارجية الامريكية للشؤون الاقتصادية - السيد توماس أندرسن - يدرك هذه الحقيقة . فقد ذكر امام اللجنة الاقتصادية التابعة للكونفرس (تشرين الثاني ١٩٧٤) بأنه يرجح ان تتمكن دول الاوبيك من المحافظة على السعر الحقيقي للبترول الذي تصدره وعلى الفائض المالي الذي تحتقه في المستويات الحالية تقريبا وعلى مدى السنوات المقبلة . من ناحية اخرى تبين الدراسات الدقيقة التي اجريت على نفقات تطوير مصادر الطاقة البديلة ان تفاعل كيسينجر الرسمي حول هذا الموضوع هو في غير محله . على سبيل المثال تشير هذه الدراسات انه استنادا الى أسعار البترول السائدة في حوالي منتصف عام ١٩٧٤ ينبغي ان تكون أسعار الحد الأدنى للإنتاج في المصادر البديلة كمي يصبح الاستثمار فيها مغريا اقتصاديا على النحو التالي: الرمال القطرانية ١٢ دولارا للبرميل الواحد ، الزيت الحجري من ٨ الى ١٠ دولارات للبرميل الواحد ، الطاقة النووية من ٤ الى ٥ دولارات للبرميل الواحد ، بترول وغاز بحر الشمال من ٤

او قيام الوكالة الدولية للطاقة بفرض ضريبة مشتركة على البترول المستورد لتجانب على سعره في مستوى معين . هنا نجد الدافع الحقيقي وراء دعوة الرئيس فورد لاستصدار تشريعات تعرض على الحكومات المعنية التقيد بسعر الحد الأدنى هذا او ما شابه ذلك من الاجراءات الاخرى الهادفة الى تحقيق الغرض ذاته. واقترح كيسينجر اجراء دراسات فنية مكثفة لتحديد المستوى المناسب الذي يجب تثبيت اسعار النفط عنده ، كما عبر عن توهمه بأن يكون هذا المستوى أدنى من الاسعار السائدة حاليا في العالم لكن على أن يبقى مرتفعا بما فيه الكفاية لتشجيع الاستثمار في تطوير مصادر الطاقة البديلة على المدى البعيد . بالإضافة الى ذلك يريد كيسينجر أن يكون هذا المستوى (الذي تحدده طبعاً الدول المستهلكة الكبرى بما يناسب مصالحها) هو المرجع في أي اتفاق بين الدول المنتجة والدول المستهلكة في المستقبل . أما بالنسبة للعلاقة مع دول الاوبيك فقد اقترح كيسينجر ان تقوم الدول المستهلكة بضممان بسعر محدد وثابت (سعر اسمي طبعاً وليس حقيقي) تدفعه الدول المنتجة على امتداد فترة معينة من الزمن وذلك لتبديد المخاوف الحالية لدول الاوبيك حول مستقبل أسعار البترول في السنوات القادمة . وفي مقابل ذلك تلزم الدول المنتجة بضممان الاستمرار في تزويد « العالم » بالنفط ، خلال تلك الفترة ، بسعر ادنى الى حد لا يأس به من السعر الحالي . وجدد بالذکر هنا ان كيسينجر طرح سياسته ازاء دول الاوبيك بقوله صراحة ان برامج تطوير مصادر الطاقة البديلة والاستثمار الكثيف فيها سيفتح دول الاوبيك امام الخيار الصعب التالي : اما أن تضطر الدول للقبول بتخفيض مهم للأسعار الان مقابل سعر مستقر لفترة اطول ، او تضطر للمجازفة بتحمل تبعات حدوث انخفاض دراماتيكي في أسعار نفطها عندما تبدأ برامج تطوير المصادر البديلة باعطاء مبرودها ، وأكد الوزير الامريكي انه كلما انتظرت دول الاوبيك كلما أصبح موقع الدول المستهلكة في هذه المساومة اكثر قوة .

واضح اذن ان مرض مثل هذه السياسة التعجيزية لا يمكن ان يتحقق الا بالعنف والقوة او التهديد بهما لانه لا يوجد فيها أية مؤاندة تدعو

بهدف الوصول الى غاية الخيرة. اظهرتها الوثيقة وهي تحقيق صفة اقتصادية جديدة بين الدول الغربية الصناعية والعالم الثالث. بحيث تم الفوائد على الطرفين معاً! ولا شك ان البيان الختامي الذي صدر في مؤتمر القمة جاء نتيجة مناقشات مطولة بين الدول الرئيسية في المنظمة ونتيجة التوسط بين مواقفها المتعددة. لذلك انصف بالاعتدال الشديد وبخنب كل المواقف المتطرفة حول القضايا الحساسة وقد عكس بذلك الروح العامة التي سادت المؤتمر. وعبر الرئيس بومدين عن هذا الجو في خطابه الافتتاحي حيث قال في رد مبطن على سياسة الجبهة التي تريد امريكا اتباعها مع منظمة الاوبك : « نأذا كان لا بد من تجميد الاسعار فاننا سنجمدها ، وإذا كان لا بد من تخفيضها فاننا سنخفضها ، لكن بشرط أن يكون هناك بالتقابل وفي نفس الوقت مجهود مماثل من طرف البلدان المتطورة وان يساهم الجميع ، كل حسب مستوى اهميته وامكانياته ومسؤولياته ، في العمل على اصلاح الاقتصاد العالمي واستئناف الاستقرار الضروري للتنمية والازدهار » .

اما بالنسبة لمناقشة المسائل المحددة في المؤتمر فقد تبلورت المواقف بشكل عام حول طرفين رئيسيين هما وجهات النظر التي تمثلها الجزائر من ناحية وتلك التي تمثلها المملكة العربية السعودية من ناحية اخرى . فالجزائر ومؤيدوها يبدون حتما أكثر راديكالية وتسيينا وتشددا من السعودية ومن يلتف حولها . اما وجهات نظر بقية المشتركين فكانت تتأرجح بين هذين الطرفين ومما للموضوعات المطروحة على النقاش ، وكانت اكثر المسائل حساسية ومدعاة للجدل وضرورات التوسط هي المسائل التالية : ضبط انتاج البترول ، تثبيت الاسعار ، طسرق استخدام الفوائض المالية المتوفرة لدى دول الاوبك ، اسلوب الرد على سياسة الجبهة والتهديد والعدوان الموجهة ضد المنظمة ، تمثيل العالم الثالث في الاجتماع التحضيري الذي سيؤدي الى انعقاد المؤتمر الدولي الاقتصادي ، أسعار المواد الخام . بالنسبة للقضايا الحساسة تمكنت السعودية بمفردها من احباط كافة التحركات التي حاولت المكثة الأخرى في المؤتمر للقيام بها من أجل حل

الى ٥ دولارات للبرميل الواحد . ولا تدخل في هذه الاسعار الدنيا العائدات والضرائب علما بأن هذه الحسابات تفترض مردودا على الاستثمار معتله حوالي ١٥ الى ٢٠ بالمائة . ومعروف ان انخفاض تكاليف المصادر البديلة الى هذا المستوى ما زال بعيدا جدا وغير مطروح كإمكانية جدية في المستقبل القريب . يضاف الى ذلك واقع بسيط هو أن تكاليف مثل هذه المشروعات قد تضاعفت الى حد كبير منذ منتصف عام ١٩٧٤ في حين ان الاسعار الحقيقية للبترول تميل الى الانخفاض بسبب تجميدها في الوقت الحاضر . فلو افترضنا ان مستوى سعر البترول المطلوب في الدول المستهلكة - وفقا لمقترحات كيسينجر - يجب ان يغطي اكثر مصادر الطاقة البديلة كلفة (الرمال القطرانية والزيوت الحجري) لآحراز تقدم ملموس في هذه المشاريع سيكون السعر المطلوب اكثر ارتفاعا نوعا ما من السعر الحالي (عشرة دولارات ونصف الدولار للبرميل الواحد) وبدون ذلك لا يمكن تحقيق النتائج التي يقول كيسينجر بأنه يريد تحقيقها . ومما يؤكد هذا الاستنتاج ابتعاد الشركات الامريكية بسرعة عن الاستثمار في الرمال القطرانية والزيوت الحجري وعمليات تحويل الفحم الحجري الى غاز حتى ضمن اطار المستوى المساند حاليا لاسعار البترول . من هنا اذن محاولة الرئيس بورد فرض ثلاثة دولارات ضريبة على كل برميل من البترول المستورد .

الواقع هو ان دول الاوبك ليست غير تادرة على الاستجابة لهذه السياسة البترولية الامريكية فحسب ، بل انها تعد العدة وتدرس الخطة اللازمة لمواجهة الانخفاض الفعلي الذي سيطرأ على أسعار النفط في السنوات الثلاث المقبلة . ومن الإجراءات التي تدرسها الاوبك حاليا الإبقاء على تجميد الاسعار خلال ١٩٧٥ ، ربط الاسعار جزئيا بمعدل التضخم في ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، ثم ربطها كليا بهذا المعدل خلال السنوات الثلاث التالية .

التطور الرئيسي الثاني الذي سنتناوله في هذا التقرير هو مؤتمر القمة الذي عقده ملوك ورؤساء دول الاوبك في الجزائر من ٤ - ٦ آذار ١٩٧٥ ، وسنتطلق من الوثيقة الهامة التي صدرت عن المؤتمر والتي حددت الاطار العام للحوار المزمع اجراؤه مع الدول المستهلكة ولجهة هذا الحوار . كل ذلك

المستهلكة الى موانع مصطنعة تؤثر على السير الطبيعي لقوانين العرض والطلب . واضاف البيان قائلاً ان دول الاوبك مستعدون تعاوننا وثيقاً وتنسيق فيما بينها كي تحافظ على التوازن بين انتاج البترول وحاجات السوق العالمية . وهذا يعني العودة مرة اخرى الى تفضيل الاجراءات المالية والتسعيرية من جانب دول الاوبك — تحت ضغط الموقف السعودي المتصلب — على اجراءات الحد من الانتاج . في هذه الحال لا بد من اعادة نظر جذرية في الانظمة المالية والتسعيرية التي تتبعها دول الاوبك كي تصبح قادرة على القيام بالدور المطلوب منها كيدل لعمليات ضبط الانتاج مباشرة . على سبيل المثال تشجع اسعار الزيت الخام المزوججة في الوقت الحاضر الشركات على الشراء من البلدان التي لها فيها امتيازات .

هنا لا بد من اشارة سريعة الى فكرة اخرى تداولها المؤتمر بدعم غير رسمي من الكويت لانها تدعو الى اقامة نوع من التسهيلات المالية فيما بين دول الاوبك هدفها حماية اي دولة من السدول الاعضاء من الضغط الذي قد تمارسه عليها الدول المستهلكة مما من شأنه تهديد تضامن المنظمة . وشكلت هذه الفكرة بديلاً جذاباً في رأي البعض لفكرة ضبط الانتاج .

أما فيما يتعلق بمسألة تثبيت الاسعار فقد حاولت ايران بدعم قوي من الجزائر ان تدفع باتجاه اتخاذ القرارات اللازمة لتثبيتها فيما حضر استناداً الى « قيمتها الحقيقية » الا ان المملكة العربية السعودية نجحت في هزلة هذه المحاولة مما أدى الى ظهور اشارة عامة وغامضة الى هذا الموضوع في البيان الاخير للمؤتمر ، في الواقع ترتبط مسألة تثبيت اسعار النفط الان بمشكلة ما ستكون عليه هذه الاسعار في المستقبل بالقياس الى استقرار ازمة التضخم في الدول المستهلكة الرئيسية . هناك اجماع عام داخل الاوبك حول ضرورة ربط اسعار البترول بمعدل التضخم وبتبدلات اسعار العملة ان اجلاً او عاجلاً . لذلك اشار البيان الختامي الى ضرورة المحافظة على سعر البترول بربطه بمعايير موضوعية معينة تشمل من ضمن ما تشمل : اسعار البضائع المصنعة ومعديل التضخم وشروط انتقال البضائع والتكنولوجيا الى بلدان الاوبك من اجل تثبيتها . الا انه توجد

هذه القضايا بما يتفق مع وجهات نظرها على الرغم من أن التحركات المذكورة كانت تحظى بتأييد غالبية دول المؤتمر . على سبيل المثال نجحت السعودية في تعطيل الاقتراحات الداعية الى اتخاذ اجراءات سريعة . اولاً لوضع برنامج للتسيق بين دول الاوبك في عمليات خفض الانتاج من أجل المحافظة على مستوى الاسعار ، وثانياً للبدء بتطبيق ربط اسعار النفط بمستوى التضخم في المستقبل القريب من أجل المحافظة على اسعار البترول الحقيقية . وبطبيعة الحال فان مقدرة السعودية على احباط كل ذلك في وجه اقلية دول المؤتمر نابعة من كونها أكبر دولة مصدرة للنفط وصاحبة أكبر احتياطي معروف في العالم . هذا بالاضافة الى دورها الحاسم في سوق النفط الدولية اذ بإمكان المملكة رفع انتاجها او تخفيضه ضمن حدود ٣ ملايين برميل في اليوم بدون أن تتأثر بذلك البتة .

طالبت مجموعة من الدول في المؤتمر — بقيادة الجزائر والعراق وليبيا ودعم ايران ونيجيريا وفينزويلا — بالبدء فوراً بوضع برنامج منسق لضبط الانتاج من أجل دعم اسعار البترول الحالية الآخذة في التراجع بسبب الانخفاض في الطلب والزيادات التي طرأت على الانتاج . قالت البعثة الجزائرية في دفاعها من هذا الموقف ان الفائض الحالي في البترول هو فائض « مصطنع » لانه ناتج بصورة رئيسية عن سياسة متعمدة تتبعها الدول المستهلكة لتخفيف الطلب تحقيقاً لهدف مجدد هو تخفيض الاسعار . ولذلك على دول الاوبك ان تتخذ الاجراءات اللازمة لحماية مواقعها . وقد ردت السعودية على ذلك بقولها ان الفوائض المشار اليه ليس « مصطنعاً » بأي شكل من الاشكال بل هو رد فعل طبيعي من جانب السوق على الاسعار المرتفعة ، بالاضافة الى ذلك شدد رئيس البعثة السعودية ، الامير فهد بن عبد العزيز ، على المسؤوليات الدولية التي تحملها المملكة العربية السعودية ازاء تزويد العالم بالنفط . بناءً على ذلك وردت الاشارة الى هذا الموضوع في بيان المؤتمر الختامي بعبارة مخففة وعامة اخذت شكل تأكيد المؤتمر استعدادها لضمان استمرار تزويد العالم بالنفط وسد حاجات اقتصاديات البلاد المتقدمة شريطة الا تلجأ الدول

المنظمة . (٢) حصر صلاحيات دراسة مسألة الاستخدام المشترك لاموال الاوبيك الفائضة من أجل اعادة تدويرها في وزراء المال التابعين للدول « الغنية » دون غيرهم .

تناول البيان الختامي للمؤتمر موضوع التهديدات الصادرة عن الدول المستهلكة ضد الاوبيك والداعية الى سياسات المجابهة والعدوان . وهنا ايضا ظهرت بعض الخلافات في وجهات النظر داخل المؤتمر . فقد طالبت دول مثل العراق وليبيا بضرورة خروج المؤتمر بادانة محددة وصرحة للولايات المتحدة في هذا الشأن . الا ان الصيغة الاكثر اعتدالا هي التي لاقت قبول الاغلبية وقد تقدمت بها احدى دول الاوبيك غير العربية في محاولة ناجحة من قبلها للتوفيق بين الاقتراحات الرئيسية لمعالجة هذا الموضوع . نتيجة لذلك عبر المؤتمر عن استعداد الدول الاعضاء لاتخاذ موقف موحد في تنفيذ كافة الاجراءات التورية والفعالة اللازمة للرد على هذه التهديدات عندما تدعو الحاجة الى ذلك ، وخاصة في حال وقوع عدوان على أي من دول الاوبيك . الا انه ينبغي على الجانب العربي ان يدرك بوضوح ان تضامن الاوبيك هذا لا ينطبق الا على العدوان الذي يمكن ان ينتج من سياسة المجابهة مع دول الاوبيك ككل حول موضوع الاسعار مثلا ولا يشمل العدوان الذي يمكن ان يترتب على قيام الدول العربية المعنية بغرض حظر جديد على شحن النفط الى الغرب او تخفيض الانتاج او غيرها من الاجراءات الرادعة في حال اندلاع الحرب مع اسرائيل .

شغل موضوع التمثيل في المؤتمر التحضيري الذي سينعقد في باريس بسين الدول المنتجة والمستهلكة (والذي دعت اليه الحكومة الفرنسية عددا معيناً من البلدان فقط) حيزاً كبيراً في مناقشات المؤتمر . وكان محور الجدل اولاً ، محاولة عدد من بلدان الاوبيك التي لم تلق دعوة من الحكومة الفرنسية للمؤتمر — وهي العراق ونيجريا وليبيا واليابون — الاشتراك فيه . ثانياً ، بذل الجزائر جهوداً كبيرة لتعبئة المؤتمر حول مطلب تأجيل مؤتمر باريس كي يتسنى للدول النامية الاجتماع لاختيار الدول التي ستطلبها في المؤتمر التحضيري . وقد عارضت السعودية وايران وفنزويلا والكويت هذا التمركز بنجاح وانتهى المؤتمر

داخلاً اوبيك كتلة ضاقطة — بقيادة ايران — تدمو الى تطبيق الربط الكامل للاسعار بمعدل التضخم في اقرب وقت ممكن من أجل المحافظة على القيمة الحقيقية لاسعار البترول . وفي مواجهة هذا الموقف تقترح المملكة العربية السعودية تخفيضاً متواضعاً في سعر الحد الأدنى للنفط الخام والسماح للقيمة الحقيقية لاسعاره بالانخفاض لمدة تتعدى نهاية ١٩٧٥ اذا امكن وبعد ذلك يمكن التوجه نحو البدء بتطبيق مبدأ الربط بين الاسعار ومعدل التضخم . وتأخذ السعودية هذا الموقف لانها تعتقد ان تطبيق مثل هذه الاجراءات بصورة تورية سيؤدي الى احداث هزة كبيرة في اقتصاديات البلدان الرأسمالية قد لا تكون قادرة على تحملها والسعودية تسعى لتعزيز الاستقرار « في النظام الاقتصادي العالمي » .

بالنسبة لموضوع استخدام فائض الاموال المتراكم لدى بعض دول الاوبيك في تقديم المعونات المالية والتنمية الى البلدان المتخلفة (بما فيها بلدان الاوبيك التي لا تحقق مثل هذا الفائض) واعادة تدوير هذه الاموال باتجاه البلدان المتقدمة فقد انقسمت الدول في المؤتمر بشكل يخالف عن تكتلاتها بالنسبة للموضوعات الاخرى التي اشرنا اليها . جاء التكتل هذه المرة على أساس تجمع الدول « الغنية » في جانب والدول « الفقيرة » في جانب آخر . ايد الطرف الثاني اقتراحاً يدعو لوضع الاموال الفائضة التي سيجري توجيهها الى البلدان النامية والعالم الثالث تحت السيطرة الادارية لهيئة مركزية تابعة للاوبيك . وقد تبنى الرئيس بومدين هذا الاتجاه في خطابه الافتتاحي بدعوته لاقامة صندوق تابع للاوبيك يتراوح رأسماله بين ١٠ و ١٥ بليون دولار ويجري تمويله من قبل الاعضاء في المنظمة (خاصة الذين يتحقق لديهم فائض من العائدات) وذلك لتغطية التزامات الاوبيك ازاء الدول المتخلفة واستثماراتها في الدول المتقدمة . الا ان الدول الرئيسية صاحبة الفائض المالي رفضت هذه الفكرة كلياً (بصورة خاصة السعودية وايران والكويت ودولة الامارات العربية) وايدت كلها الاقتراح السعودي الداعي الى : (١) تقديم مساعدات دول الاوبيك الى البلدان المتخلفة عبر التنسيق بين صناديق التنمية التي جرى تأسيسها لهذا الغرض في عدد من بلدان

إلحاحية للعائدات . من هنا اتفاق كافة الدول على مبدأ ربط أسعار البترول بمعدل التضخم ، وينبغي ألا يشكل الخلاف الذي مررنا حول توقيت هذا الربط ومدى احكامه عائقا في وجه خطوات عملية وسريعة على الدول البترولية ان تتخذها لحماية مركزها الاقتصادي والمالي .

الموضوع الثالث الهام الذي سنتناوله في هذا التقرير هو فشل المؤتمر التحضيري المنعقد في باريس (٧ - ١٥ نيسان ١٩٧٥) بين ممثلي الدول الصناعية الغربية من ناحية وممثلي الدول المنتجة للبترول ودول العالم الثالث من الناحية الثانية . مثل الجانب الاول في المؤتمر السوق الاوروبية المشتركة والولايات المتحدة واليابان بينما تمثل الجانب الثاني بالجزائر وایران والسعودية وفنزويلا والهند والبرازيل وزائير . وكما ورد معنا جرى التحضير لهذا المؤتمر من جانب الأوبك في قمة الجزائر وفي مؤتمر الوزراء الذي سبقها (في كانون الثاني ١٩٧٥) . وقد نظر هذا الجانب الى مؤتمر باريس على انه خطوة تحضيرية للحوار المزمع اجراؤه مع الدول الغربية الصناعية بهدف اعادة صياغة العلاقات القائمة بين الدول الغربية المتقدمة والعالم الثالث على أساس جديدة تساعد على حل مشكلات الدول النامية وليس فقط مشكلات الدول المتقدمة . وللوصول الى هذا الهدف ترى دول الأوبك والعالم الثالث انه لا بد من التفاهم مع الدول الغربية المعنية على النقاط التالية : (أ) تثبيت أسعار البترول على المدى البعيد . (ب) ضمان تزويد العالم بالكميات الكافية من البترول . (ج) اعادة تدوير الفائض من البترودولارات . (د) التزامات من قبل الدول الصناعية المعنية تنفيذ منها الدول النامية وتعزيز تطورها .

على الرغم من الاعتماد الكبير الذي تتصف به هذه النقاط وغياب اية مطالب متطرفة منها فقد واجهته الكتلة الأخرى في مؤتمر باريس بتعنت وتشدد كبيرين مما أدى الى انهيار المحادثات حول نقطة اجرائية هي مجرد الاتفاق على جدول الاعمال الذي سيبحث فيه المؤتمر . فقد اصر الجانب الغربي (واليابان طبعاً) على جدول اعمال لا يتطرق الا الى موضوع مركزي واحد هو الطاقة ،

الى تأييد الدعوة الفرنسية على حلها والموافقة على تاريخ انعقاد الاجتماعات في باريس كما ورد في الدعوة الاصلية (٧ نيسان ١٩٧٥) . وعدم ادخال اية تعديلات على لائحة الدول التي يستعمل الأوبك والعالم الثالث في المؤتمر . وأكد البيان الختامي لمؤتمر القمة بان جدول اعمال مؤتمر باريس لا يمكن بأي حال من الاحوال ان ينحصر بدراسة مشكلة الطاقة وحدها بل يجب ان يشمل مشكلة المواد الأولية في البلدان النامية واصلاح النظام المالي الدولي بالإضافة الى التعاون الدولي من اجل الوصول الى الاستقرار على الصعيد العالمي . في حين ان الدعوة الفرنسية للمؤتمر شددت على كون هدفه هو دراسة مشكلات الطاقة وما يرتبط بها من قضايا اقتصادية عالمية . وكما سنرى أدى هذا الخلاف حول أهداف المؤتمر الى فشله . طبعاً هذا لا يعني انه لم تبرز وجهات نظر مختلفة في قمة الجزائر حول المدى الذي يجب ان تذهب اليه الدول المعنية في الأضرار على ادخال موضوع المواد الخام في مناقشات مؤتمر باريس . فقد برز اتجاه بقيادة الجزائر يدعو بشدة الى ضرورة الاصرار على عقد صفقة شاملة متكاملة مع الدول المستهلكة الرئيسية تؤدي الى تسوية مشكلات أسعار البترول والمواد الخام في آن واحد . في حين ان اتجاهاً آخر ، دعمته بصورة رئيسية ايران وفنزويلا والسعودية ، كان يرى ان المطالبة بمثل هذه الصفقة هو أمر غير واقعي وليس من الضروري حل المشكلتين معا اذ لا مانع من تسوية كل واحدة منهما على حدة مع اعطاء الاولوية للبترول . وقد تبين من الفشل اللاحق لمؤتمر باريس ان وجهة النظر الجزائرية هي التي سادت . وتناولت المناقشات كذلك تحديد الموقف الذي ستتفاوض على أساسه دول الأوبك في مؤتمر باريس ، وجرى توزيع العمل لهذا الغرض على عدد من اللجان المختصة كي تدرس مواضيع محددة مثل اصلاح النظام النقدي العالمي ومشكلات التسعير ومساعدة الدول المتخلفة واعادة تدوير الأرصدة ومشروع مصنع السباد .

يبدو لنا في هذه المراجعة ان المشكلة الرئيسية الراهنة التي تشغل دول الأوبك لم تعد الان زيادة أسعار البترول بل في ابتداء أسعاره الحقيقية حيث هي والمحافظة على القيمة الشرائية

الطرفين وعددها . (ج) ربط أسعار البترول والمواد الأولية بمعدل التضخم . (د) حماية القيمة الحقيقية لعائدات النفط وموائضها المتراكمة لدى دول الأوبك . (هـ) اصلاح النظام المالي العالمي لصالح العالم الثالث ولغائده .

يبدو ان السبب الكامن خلف تصلب الجانب الغربي — وبالتالي خلف تفشيله للمؤتمر — هو ترار الولايات المتحدة اتباع سياسة المجابهة مع دول العالم الثالث عموما والابيك خصوصا على الرقم من كل ما تقوله حول المواد . فالدول الغربية لا تريد لميزان القوى ان يميل اكثر مما مال لصالح الطرف الاخر في هذا النوع من المساومات والمجابهات . اذ ان الولايات المتحدة ترى بوضوح ان الهدف الاخر الذي ستفضي اليه سياسات العالم الثالث الحالية — ان هي نجحت — هو اعادة ترتيب النظام الاقتصادي العالمي الراهن بحيث يجري توزيع جديد للفروة العالمية ينقل جزءا لا بأس به منها من الدول الصناعية الغربية الى دول العالم الثالث . ولا نذهب بعيدا ان قلنا ان سياسة الولايات المتحدة هي العمل على احباط كل هذه المحاولات والتحركات في مهدها خاصة وان بعض الاجراءات المضادة التي اقدمت عليها الدول المستهلكة قد اخذت تعطي مردودها مما أشعر أمريكا وحلفائها بأن ميزان القوى وضغوط السوق اخذت تعمل بما لا تشتهييه الدول المنتجة في الوقت الحاضر (زيادة العرض على الطلب في السوق البترولية حاليا) وهذا يعني استغلال هذه الفرصة والدفع في خط التصلب وعدم الدخول في اتناقات طويلة الامد وذات طابع عالمي مع الدول المنتجة حول أشياء حيوية مثل أسعار النفط وغيرها من شؤون المواد الأولية الاستراتيجية . يضاف الى ذلك خوف الولايات المتحدة من أن تتشكل تجمعات شبيهة بالأوبك تتحكم بالمواد الخام الأخرى وأسعارها .

على الرغم من أن المشتركين في مؤتمر باريس اعلنوا عن رغبتهم في الاستمرار في الحوار واتفقا على ابقاء الاتصالات قائمة فيما بينهم عبر كسافة الاقنية المناسبة فإن مستقبل هذا الحوار يبدو متائبا في الوقت الحاضر ، لذلك يبدو انه لا مفر امام دول الأوبك والعالم الثالث — اذا لم ترد الاستسلام امام سياسة المجابهة الامريكية — من

او بعبارة اخرى بشكلية البترول واسعاره وموائض عائداته الخ . وقد جرت محاولة فرنسية — جزائرية للتوفيق بين وجهتي النظر الا انها فشلت ايضا . فكانت هذه المحاولة من تقديم جدول اعمال من ثلاث نقاط اولها تقديم تحليل شامل « للوضع » ، وثانيها مناقشة مشكلة الطاقة وبعدها مشكلة المواد الأولية (مع الاصرار على هذا الترتيب) وثالثها تناول موضوع التعاون الدولي في سبيل التنمية . وواضح ان هذا الحل الوسط اراد اعطاء الاولوية لموضوع الطاقة لارضاء امريكا وحلفائها مع تثبيت مسألة المسواد الخام في جدول الاعمال لارضاء دول الأوبك والعالم الثالث . وجدير بالاشارة انه جرى الاتفاق على تقديم هذا الاقتراح خلال محادثات الرئيسين جيسكار ديستان وبومدين اثناء زيارة الاول للجزائر . ومع ان الدول المهتمة للأوبك والعام الثالث وافقت على الاقتراح الفرنسي تشدد الجانب الاخر في رفضه . وبرز دور الولايات المتحدة في هذا المضار بشكل ملفت للنظر خاصة في المراحل الأخيرة من المحادثات اذ أن بعثة دول السوق الاوروبية المشتركة كانت هي المتكلمة باسم الجانب الغربي في جلسات المؤتمر الاولى . لكن مع احتدام النزاع برز الدور الامريكي بشكل صارخ . ومن جهة اخرى لم تنجح محاولات شق الجانب الممثل لدول الأوبك والعالم الثالث وبقي التضامن على هذا الصعيد صامدا حتى النهاية . ومنذ بداية المؤتمر حتى نهايته لم تتغير النغمة الاساسية ، اذ كان الجانب الغربي يطالب بتركيز المؤتمر على موضوع الطاقة مع بعض المناقشات الجانبية للمشكلات الاقتصادية المرتبطة به مع رفض الدخول في أية التزامات محددة . بينما أصر الجانب الاخر على أن يناقش المؤتمر مجموع المشكلات الاقتصادية الملحة التي يواجهها « العالم » في الوقت الحاضر بالاضافة الى البترول مثل المواد الخام وحماية القوة الشرائية لعائدات النفط وشروط التبادل التجاري بين الطرفين واصلاح النظام المالي العالمي . وواضح ان الجانب الممثل للدول الصناعية الغربية كان لا يريد ابدا مناقشة موضوعات قد تؤدي به الى (أ) الربط بين احراز التقدم في موضوع الطاقة باحراز تقدم مشابه في ميدان المواد الخام الأخرى . (ب) تحديد طبيعة المواد الخام التي قد تدخل في الاتفاق بين

ستنخفض قيمتها الحقيقية تلقائياً نتيجة التضخم وتعددت تفسير السعودية نحو الريست البيئي والتدريجي للأسعار بمعدل التضخم . (٢) ليس من المتوقع أن تطرأ أية تغيرات على السياسة السعودية بالنسبة للإنتاج . وهذا أمر مهم بسبب الوزن الخاص الذي تتمتع به السعودية في ميداني الإنتاج والتسويق كما ورد معنا سابقاً . بعبارة أخرى سيبقى سقف الإنتاج المفروض على الأرامكو على حاله (حوالي ٨ ملايين ونصف مليون برميل في اليوم كمعدل سنوي) بدون أن تتدخل السلطة في مستوى الإنتاج طالما أنه لا يخرق هذا السقف فيصعد وينخفض وفقاً لمتطلبات السوق وضغوطها . هذا يعني أن السعودية ليست ضد الانخفاض الطبيعي والمفوي في الإنتاج ولكنها ستبقى معارضة لأي برنامج مسبق يدعو إلى التخفيض بصورة منسقة بين الدول المنتجة للمحافظة على مستوى الأسعار . أي أن السعودية لن تتصاع لطلب الدول الأخرى في الأوبك بالنسبة لتخفيض الإنتاج ولكن من غير المتوقع أن يؤدي هذا الخلاف إلى انشقاق في المنظمة . (٣) تستثمر الحكومة السعودية في الدعوة إلى الحوار مع الدول المستهلكة وإلى التفاهم معها حول مسألة إعادة تدوير البتروودولارات الفائضة وتوجيهها إلى « حيث تشهد الحاجة إليها » من أجل صيانة التوازنات الضرورية لسلامة « الاقتصاد العالمي » . وليس سرا أن السعودية قد قامت بدور مهم في إعادة تدوير هذه الدولارات . وليس هناك ما يشير إلى أنها ستراجع عن هذا الدور في المستقبل القريب . بالمقابل تستثمر السعودية في مطالبة الدول الصناعية الغربية بتقديم الضمانات الكافية لحماية استثمارات دول الأوبك في الدول الصناعية وتقديم التكنولوجيا المتقدمة وما يرافقها من معلومات وخدمات لضمان نجاح برامج التصنيع والتنمية في بلدان الأوبك وغيرها من الدول النامية . (٤) لا شك أن السياسة السعودية حول موضوع المشاركة تستثمر على حالها إن لم نكتسب اندفاعاً جديداً . ففي سنة ١٩٧٤ وصلت حصة الحكومة السعودية في الأرامكو إلى ٦٠ بالمائة والمفاوضات جارية الآن لتحقيق ما يسمى « بالمشاركة مئة بالمائة » أي نقل ملكية الأرامكو كلياً إلى الحكومة السعودية .

السير في الاتجاهات التالية: (أ) استخدام البترول كأداة ضغط قوية جداً للاقتراب قدر الإمكان من هدف إعادة توزيع الثروة العالمية على أسس أكثر انصافاً للجانب المستغل (بفتح الفين) والمحروم . (ب) السير قدماً باتجاه ربط أسعار البترول بمعدلات التضخم وإعادة النظر في الدولار كوحدة أساسية لحساب أسعار النفط واتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية القوة الشرائية للعائدات في وجه التضخم المستمر في أسعار السلع والمواد الغذائية والخدمات المستوردة . (ج) التأكيد على استمرار التضامن بين دول الأوبك والعمل على تثبيته باعتباره السلاح الأهم في الصمود أمام سياسة المجاهدة التي تسير فيها الولايات المتحدة . وقد ترددت أنباء في هذا الصدد تقول بأن الجزائر قد اقترحت عقد مؤتمر استثنائي لدول الأوبك في المستقبل القريب للنظر في مضامين انبهار مؤتمر باريس .

أخيراً لا بد من الإشارة في هذا التقرير إلى التأثيرات المحتملة التي يمكن أن يتركها اغتيال الملك فيصل على السياسات البترولية السعودية . حتى الآن تشير كل الدلائل إلى أنه لن تطرأ أية تبدلات مهمة في هذا الميدان في ظل سيطرة الملك خالد والأمير فهد على الدولة ، ومن المؤكد أن يبقى الأمير فهد وأحمد زكي اليماني الصانعان الأساسيان للسياسة البترولية السعودية (يرأس الأمير فهد أعلى هيئة في البلاد تشرف على شؤون البترول) . لذلك نسجل الاستنتاجات التالية : (١) لن تطرأ في المستقبل القريب أية تغيرات على السياسة السعودية بالنسبة لموضوع أسعار النفط ورفعها . وستستمر السعودية في موقفها القائل بأن ارتفاع الأسعار الذي طرأ منذ نهاية ١٩٧٣ كان أعلى بكثير مما يتحمله الاقتصاد العالمي كما أنه جاء بشكل فجائي . وترى السعودية بأنه كان يجب رفع الأسعار بشكل تدريجي وعبر مدد زمنية أطول . لذلك من المرجح أن تستمر السعودية في مطالبتها تخفيض الأسعار لكنها لن تذهب إلى حد شق الأوبك أو التخلي عن تضامنها مع المنظمة في سبيل فرض وجهة نظرها هذه . وفي حال عدم تحقق هدف السعودية في تخفيض الأسعار فإنها ستستمر على تجديدها حتى نهاية ١٩٧٥ حيث

تحليل لاتجاهات الدعاوية الصهيونية

في شهر آذار (مارس) ١٩٧٥

ادريس الخالدي

عادت واقتحمت الفندق ، ونتيجة لهذا الاقتحام دارت معركة مع الفدائيين الفلسطينيين انتهت بمقتل وجرح عشرات من الصهونيين من العسكريين والمدنيين . ولقد ساد قلب تل ابيب رعب وهلع بسبب اطلاق النار والانفجارات ، وبدأ المستوطنون الصهونيون والسباح بالتركاظ مسرعين طلباً للنجاة ، واصيبت معنويات العدو بضربة سيكولوجية خطيرة .

هذه العملية أثبتت ان أكبر وأهم مدن العدو ليست حصناً منيعاً غير قابل للضرب والاختراق ، وكشفت مرة أخرى عن بربرية العدو الذي لا يعطي أدنى اكرات حتى لحياة اليهود الاسرائيليين أنفسهم ، كما بينت مرة أخرى مقدار الشجاعة البطولية التي يتحلى بها مقاتلو الثورة الفلسطينية . لكن العملية بالإضافة الى هذا كله كانت خطوة فلسطينية مثيرة تعبيراً عن رفض الشعب الفلسطيني القاطع لاية « تسوية سلمية » مزعومة تتجاهل حق هذا الشعب في العودة والسيادة الوطنية في ارضه المغتصبة .

وكان في منتهى الجلاء ان العملية موقفة بحيث تقع مع وصول ناظر الخارجية الامريكية دكتور كيسينجر الى القاهرة ، حيث كان سيبدأ جولة جديدة من المساعي في محاولة تحقيق « تسوية » مصرية - اسرائيلية جزئية ، تؤدي الى ابعاد دول المواجهة عن بعضها بعضاً ، واعطاء تعزيز فعلي للوضع الراهن .

ومن الطبيعي ان الصهونيين الذين وجهت اليهم الضربة ، لم يفهم مغزى العملية وتوقيتها ، وكذلك كان موقف الصحافة الغربية . ومع هذا فلا بد لنا من التمعن في رد الفعل الاسرائيلي والمؤيد

نقاول في تقريرنا التحليلي لهذا الشهر ، موضوعات دعاوية صهيونية متنوعة ، في البدء ، سنتابع ردود وتعليقات الصهونيين وانصارهم على عملية فندق سانفوي البارزة الاهمية ، التي نفذتها قوات الثورة الفلسطينية في أوائل مارس - آذار في تل ابيب ، وسنكرس معظم مادة هذا التقرير لتابعة هذا الموضوع . وسننتقل بعد ذلك لالقاء نظرة على المحاولة الاخيرة للمعلقين الصهونيين ليربطوا بكل وضوح وصراحة بين اسرائيل ومصالح الولايات المتحدة وما يسمى بالعالم الحر . وكنا قد تابعنا بعض نماذج هذه المحاولة في تقارير سابقة ، الا اننا في هذا التقرير سوف نرى كيف يضع الصهونيون هذه القضية في سياق التكتسات المستمرة التي تتعرض بها الامبريالية الغربية في الاشهر الاخيرة . وفي الختام سوف نطرح بكل ايجاز ما استجد في الخط الصهيوني بشأن موضوعين كنا قد تطرقنا اليهما في تحليلات سابقة ، وهما : المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل ، ومسألة يهود سوريا وما ينشر في صحافة الغرب من تقارير مساندة لوجهة النظر العربية .

عملية سانفوي : في الخامس من مارس - آذار ، نفذ فريق من الفدائيين الفلسطينيين مسن متاضلي منظمة فتح ، هجوماً جريئاً في قلب مدينة تل ابيب . لقد رسا هؤلاء المقاتلون على الشاطيء قادمين من البحر ، وسيطروا على فندق يقع على شاطيء البحر ، واحتجزوا عدداً من الرهائن فيه ، وطلبوا الامراج عن عدد من الاسرى الفلسطينيين الموجودين في السجون الاسرائيلية .

وكعادتها في كل مرة ، فان القوات الصهيونية تظاهرت في البداية باجراء مفاوضات ، الا انها

الفلسطينية تدرك ولا شك « مدى ضالة قدرتها على التأثير في الأحداث » ، وذلك بعد أن ظهر تصميم الرئيس السادات على ترتيب « تسوية مرحلية ثانية » ينطلق في أعقابها الى جنيف .

كما ظهرت تعليقات مشابهة باتسلام المطلقين المساندين للصهيونية في الصحافة الغربية . وحاولت هذه التعليقات ان ترسم صورة لمنظمة التحرير الفلسطينية الضعيفة ، المعزولة عن قواعدها ، المناضلة نضالا يائسا لتبتلع زحف التقدم الحتمي نحو « السلام والاعتدال » في المنطقة .

وأمامنا نموذج لهذا الطراز من الكتابات ، ما كتبه المراسل المؤيد للصهيونية «ريك سيلفر» في صحيفة **الجارديان** البريطانية ، في الخامس من مارس - آذار . انه يكتب من اسرائيل ليقرر « ان الحماسة في الضفة الغربية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بدأت تضعف وتخبو . لقد ثارت آمال عريضة بعد الرباط ، وبعد استقبال ياسر عرفات في الامم المتحدة ، لكن يبدو بصورة متزايدة ، للعرب الذين يعيشون في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، انه لم يتغير اي شيء » .

ومن وجهة النظر هذه التي كثيرا ما تجد من يعبر عنها ، لا تصبح منظمة التحرير الفلسطينية سوى زمرة من « الارهابيين » . وان الدعم الذي تلقتة من شعبها هو فصل محشور في الرواية ، عابر وزائف ، وان الامور ستعود بعدئذ الى طبيعتها ، وسيعود الشعب الفلسطيني ليحض ولاءه ومساندته للنظام الهاشمي والسياسات العربية الرجعية على وجه العموم .

وهكذا فان المطلقين المصهانة حاولوا عند وقوع عملية سافوي ، ان يسكوا بالفرصة سمعيا وراء التشكيك بمنظمة التحرير الفلسطينية ، واضعاف الثقة بها ، بغية تعزيز ما يرددونه باستقرار من ان المنظمة ليست سوى زمرة من « الارهابيين » ، وان الاعتراف الدولي بها ليس سوى حماقة كبيرة .

وكان من الطبيعي ان يظهر هذا الخط الاعلامي بصورة أقوى في الصحف الصهيونية نفسها . ومن هذا ما قالته « **الجويش ايزرر** » في مقالتها الانتحاحية في الرابع عشر من مارس - آذار : « ان هذه الهجمة المروعة « للارهابيين » العرب

للصهيونية ، على ضوء الخط الصهيوني بشئان منظمة التحرير الفلسطينية ، الذي كان سائدا قبيل عملية سافوي مباشرة ، من ناحية ، وعلى ضوء وصول كيسينجر الى المنطقة من ناحية ثانية . وقد لا تكون هناك حاجة للاسهاب والتطويل في هذه النقطة ، الا ان هناك شيئا من الفائدة مع ذلك في تقديم بعض النماذج من كتابات الصحافة الصهيونية ، والغربية المساندة للصهيونية .

من المعروف ان الفترة ما بين اواخر شباط - فبراير ، وأوائل آذار - مارس ، شهدت سوء تفاهم بين مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الرسمي . واذا كانت أسباب الخلاف لم تنشر بتفاصيلها الدقيقة ، الا انه كان معروفا ان النقطة الرئيسية التي يدور حولها التباين في الآراء والمواقف هي السياسة المصرية تجاه مبادرة كيسينجر . وبرغم تسوية هذا الخلاف في وقت لاحق ، بعد أن رفضت مصر مقايضة دورها ووزنها الشديدي الاهمية في القضية ، باتفاقية جزئية ، وبعد انهيار مساعي كيسينجر ، فان بعض المطلقين الصهيونيين كان حريصا على عدم تضيق الفرصة السائحة ، فالتقط مسألة هذا الصدد الطارئ والعابر في العلاقات الفلسطينية - المصرية ، ليكتب قائلا ان الأحداث تجاوزت وتخطت منظمة التحرير الفلسطينية ، وان المنظمة تعاني من عزلة متزايدة في العالم العربي . وعلاوة على ذلك فكثيرا ما زعموا ان الجماهير الفلسطينية تنفض من حول المنظمة ، وان م. ت. ف لهذا السبب باتت عاجزة عن انجاز اي تقدم سياسي منذ خريف ١٩٧٤ .

ونضرب لهذا مثلا بما كتبه **الجرزواليم بوست** في الثاني من مارس - آذار ، في مقال افتتاحي زعم ان انتصارات منظمة التحرير الفلسطينية الدبلوماسية على الصعيد الدولي في السنة المنصرمة : « لا بد وانها تتجدد وتغلاشى أمام أعينهم ، كما يبدو ، حيث ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تعد تادرة على ترجمة هذه المكاسب الى مكاسب عملية في المنطقة هنا . لقد قادت الانتصارات الدبلوماسية الى انتصارات دبلوماسية اخرى أكبر ، ومع ذلك فانها لم تحقق شيئا يذكر على صعيد الاتجاز السياسي الحقيقي والعملي » . ثم تمضي الصحيفة الى القول ان منظمة التحرير

مادة اعلامية خارجة عن الخط المسائد ، بل تمثل لب الايديولوجية الاعلامية الاساسية ، كما تبديت في التعليقات الصهيونية على عملية فندق سافوي وعلى م. ت. ق. ، وما ظهر فيها من مكر ومراوغة ومغالطات .

وحين ينتقل الاعلام الصهيوني الى مستوى أكثر حنكة وبراعة ، فإنه يأخذ طابع « التحليل » لدوافع وأسباب عملية سافوي . وفي هذا الصدد فإن « المحللين » الصهيونيين يوردون بالإضافة الى السبب المعروف وهو احباط وتخريب مساعي كينسجر ، سببا آخر ، اذ يزعمون ان بين أبرز دوافع العملية هو تقوية مركز حركة فتح ومكانة أبي عمار حيال منظمات المقاومة الأكثر « تطرفا » .

كتب عنان صفدي مراسل الجيروزايم بوست لشؤون الشرق الاوسط يقول في السابع من مارس - آذار ، ان عملية سافوي « ثبتت تقدم عرفات وقوت مكانته في عين خصومه الراديكاليين داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتباره القائد « الارهابي » العمومي لجميع المنظمات ، الذي لا يقف في سبيله شيء عندما يقرر تسخين الغضبية الفلسطينية » . وعلى ذمة « المراتبين العرب في بيروت » - وهو مصدر مفبرك طبعا ! - يورد صفدي نقطة غير صحيحة في الواقع ، وهي ان حركة فتح « أجهت في السابق عن القيام بعمليات الرهائن التي تميزت بها الجبهة الشعبية الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش » . أما الان فإن « حركة فتح منظمة ياسر عرفات ، انضمت الى معسكر المتطرفين في امثال هذا النوع من العمليات » .

الانطباع الذي تريد المقالة تركه في نفس القارئ ، واضح تماما : ان توحى ضمنا بأن منظمة التحرير الفلسطينية تحول الى وضع أكثر « راديكالية » ، وإلى اساليب أكثر « تطرفا » ، وإلى نهج أكثر « ارهابيا » ، وذلك نتيجة لاضطرار أبي عمار للانحناء امام الضغوطات الموجهة اليه من داخل حركة المقاومة . وبما أن هذا هو غرض « التحليل » ، فإن الصحيفة كانت صريحة اذ نشرته تحت عنوان ضخم يقول : « فتح منظمة عرفات تعود الى صفوف المتطرفين » . وهذا كله يستهدف أمرا واحدا هو اسناد وتبريز الرمض الصهيوني المستمر للاعتراف

على فندق في تل ابيب في الاسبوع الماضي ، تد أنهت بكل تأكيد ، وأخرست ، ومحاولات اولئك الذين كانوا يسعون لرسم صورة معتدلة لياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ، التي يعودها « . بل ان الصحيفة تضي الى القول ان عملية سافوي تكشف كم كان الخطأ فادحا اذ سمح لياسر عرفات ان يعرض تضيقه أمام الامم المتحدة ، وأن « الحادثة قد أسفرت عن تأكيد استحالة النظر الى منظمة التحرير الفلسطينية ، الا باعتبارها عصابة من القتل المستعدين في أية لحظة لاقتحام الفرصة ، ولرمي غصن الزيتون المزموم ، واستخدام البندقية بدلا منه » .

وفي هذا الاتجاه نفسه ، ظهرت في الجيروزايم بوست (٢٥ مارس - آذار) رسالة يعث بها قارئ اسرائيلي ، زعمت ان : « الاعتداء العربي « الارهابي » الذي وقع مؤخرا على الضيوف الابرياء ، في احد فنادق تل ابيب ، يكشف القناع عن الطبيعة الحقيقية لياسر عرفات ومنظمة فتح التي تزعم تمثيل العرب الفلسطينيين ... أن الشعب الفلسطيني لم يعبر أبدا عن أي مساندة لاعمال عرفات ضد كينسجر . وعلى العكس من ذلك ، ان جميع الدلائل تشير الى مساندة الفلسطينيين لخطوات الرئيس المصري انور السادات الذي يباحث الدكتور كينسجر لتحقيق انسحاب اسرائيل ... ولاستعادة حقوق الفلسطينيين ... ان الهجوم على تل ابيب هو في ذاته شاهد على مدى ما يفتقر اليه عرفات من دعم من قبل الفلسطينيين في المناطق التي تديرها اسرائيل ... ان هذه الوقائع وغيرها تبين كيف ان فتح ليست « حركة التحرير الوطني » التي تتألف من أبطال يقاوتون من أجل حقوق شعبهم . بل أنها في الواقع عصابة مافيا منظمة من مجموعة من المجرمين الذين يجندون الاحداث الجانحين لزيادة قوتهم الخاصة » .

هذه الرسالة تمثل في تقديرنا النموذج الأمثل لما ورد في الصحافة الصهيونية من ردود فعل على عملية سافوي ، وتمثل الموقف المسبوم والمشحون بقدر كبير من الحقد والمغالطات . وان لمثل هذه الرسالة ، بما فيها من نقد عنيف ولاذع ، واسلوب اثارة الشفقة والاشجان ، جمهورا مستغسدا للقراءة والاصغاء . وهي ليست نغمة شاذة او

لا تكون على يقين ، اذف قبلة ! » .

وبرغم ما في مخالفة « الجارديان » من محاولة لتفسير عملية سافوي بأنها نتيجة « لارتباك » مزعوم وضياح في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية ، ونتيجة للتداعي المزعوم في مركز ابي عمار ، فان الصحيفة مع ذلك — وهذه نقطة أساسية — اوضحت هدف العملية : « لقد كان الاعتداء على تل ابيب تذكرا للامرائيليين ، وبالتقدر نفسه تذكرا للعرب ، بان الفلسطينيين لا يزالون موجودين » .

والواقع اننا اذا استثنينا الديلي تلجراف البريطانية المتطرفة في صهيونيتها ، فان الصحافة الغربية جميعا ، سواء المتحازة عادة الى الجانب الصهيوني او غير المتحازة ، قد اوضحت في تعليقاتها بكل صراحة هذه النقطة بالذات ، وهي ان عملية سافوي اتت بكل بساطة لتذكير العالم بان آية « تسوية » في الشرق الاوسط تستبعد الفلسطينيين ، لن ترى النور ولن يكتب لها الحياة .

وفيما ادانت جميع وسائل الاعلام الغربية ، باعتدال او بشدة ، استخدام « الارهاب » لتحقيق هذا « التذكير » ، فان هناك اقرارا على نطاق واسع ولو بالتلميح او بالمداراة أو بين السطور ، بان من حق الفلسطينيين القيام بأي نوع من العمليات في الوطن المحتل ، بما في ذلك المناطق الاسرائيلية قبل ١٩٦٧ . بل ان الصحف الاكثر ذكاء وموضوعية ، تضع العملية في اطار مفهوم اوضح اذ تفنّد التوكيد الصهيوني على ان حادثة سافوي تمثل تحولا جذريا من السياسة السابقة لتنظمة التحرير الفلسطينية كما عبر عنها ابو عمار . وبهذا الصدد تقول « التايمز » اللندنية في السابع من مارس — آذار : [ابو عمار] « لم يقل قطعا انه ملتزم باتفاقيات وقف اطلاق النار . وعلى العكس من ذلك فانه اوضح بجلاء كابل لكل من له عينان وقرأ النصوص الكاملة لخطبه واحاديثه ومقابلاته المتعددة انه ... يعتبر نفسه في حالة حرب مع اسرائيل . ومما يبعث على الاسف انه يعتبر « الارهاب » ضد المدنيين شكلا مشروعاً من اشكال الحرب » .

ليس من اغراضنا في هذا التقرير التحليلي الشهري ، التركيز على استعراض التعليقات

بان للشعب الفلسطيني آية جهة « شرعية » تمثله . ومن الطبيعي ان الصحافة الصهيونية الموجهة للجانب لم تشر قطعيا ولا بأية صورة من الصور الى ان اكثرية الشعب الفلسطيني الساحقة كانت منعمة بالغبطة والسرور بعملية سافوي .

وانه لمن الاهمية بمكان ان نتابع الخط الدعاوي الصهيوني حول عملية سافوي ، كما جرى التعبير عنه في الصحافة المساندة للصهيونية . يمكن القول على وجه العموم ، ان الصحافة الغربية الملتزمة بالخط الاعلامي الصهيوني ، لم تعبر — هذه المرة — من الخط الصهيوني بالقوة نفسها التي تبنت في الصحافة الصهيونية عينها . ولم يكن الوضع هكذا دائما ، ذلك ان اجهزة الاعلام المتحازة للصهيونية في دول الغرب ، وكما لاحظنا في تقارير سابقة بقلم كاتب هذه السطور ، رسمت لنفسها في الغالب خطا يكاد يكون مطابقا للخط الذي تنتجه الصحف الصهيونية « الاصيلة » الموجهة للجانب . اما في المثال الذي بين ايدينا ، عملية سافوي ، فانه حتى الصحف والمجلات المتحازة تقليديا الى الجانب الصهيوني ، اخفقت هذه المرة في التعبير عن الاراء الدعاوية الصهيونية الاشد تطرفا .

ونضرب لهذا مثل مجلة « نيوزويك » ، المجلة الاخبارية الثانية في الولايات المتحدة ، والتي تعكس في العادة وجهة النظر الصهيونية بكل قوة ، فانها اكتفت بالاشارة في عددها الصادر يوم ١٧ مارس — آذار ، الى ان ياسر عرفات واطباء حركة فتح ليسوا معتدلين في نهاية الامر .

اما « الجارديان » البريطانية التي يعكس تحريرها الموقف الصهيوني على العموم ، فلقد كانت اشد في ادانتها : « لقد كانت [عملية سافوي] عملية وحشية اجرامية ، كما وصفها راين رئيس الحكومة الاسرائيلية ... ولقد تحدثت عرفات — يقول الاسرائيليون — عن احلامه في فلسطين ، لكن الحقيقة هنا . ان منظمة التحرير الفلسطينية ليست اكثر من منظمة اراهبية . وان العديد من الناس من غير سكان تل ابيب سوف يكونون متفقين في الرأي ... لقد كان الاعتداء على تل ابيب اشارة كئيبة الى وضع الحرية والتسرد الذي يسود منظمة التحرير الفلسطينية : وعندما

لعملية تحول اسرائيل عن العالم الثالث ، وهي العملية التي استغرقت سنين طوالا . وفقدت اسرائيل أية قدرة على الادعاء بعد ذلك انها في معسكر الدول المعادية للامبريالية ، واعادت النظر في توجهها الاعلامي ، ولم تعد السياسة الاعلامية الاسرائيلية اليوم تتحدث عن العالم الثالث ، بعد ان غدا التمسك بالخزانة القديمة امرا عسيرا وغير مقبول . وهكذا طوى رجال الاعلام الاسرائيلي الادعاء القديم بعضوية العالم الثالث ، تجنباً للهجمات السهلة على هذا الخط المضطرب ، وانحرفوا بكل رشاقة الى العالم الغربي . وعلاوة على ذلك فان اسرائيل ما عادت تتوجه الى العناصر اليسارية في المجتمعات الغربية ، الا في أضيق الحدود ، وبصورة متناقضة تدريجيا . وعلى العكس من ذلك ، فانها تعطي قدرا متزايدا من التركيز على نكسات الامبريالية الغربية المتعددة في الهند الصينية ، والبرتغال ، وافريقيا ، وفي الشرق الاوسط ، باعتبار هذه النكسات حجة وذريعة من أجل دعم غربي أشد لاسرائيل .

وقبل خمس سنوات فقط ، كثيرا ما كان رجال الاعلام الاسرائيلي يعلنون ان من الصحافة مضاهاة « النضال العادل » الذي يخوضه الشعب في اسرائيل ، بأنظمة الدمي العنفة في الهند الصينية ، ولو كان الفريقان يستقيان الدم الرئيسي من مصدر واحد هو الولايات المتحدة . وكانت الاوساط اليسارية والليبرالية المحترمة ، تعتبر أي تشبيه او مقارنة من هذا النوع ، كلاما مرفوضا وغير صحيح وكان الجهد الاعلامي الصهيوني واضحا وقويا وراء هذه المواقف على أي حال . لكن الصهيونيين بدأوا فجأة يتحدثون بتعاطف عن الامر التعيس والمشؤوم في «خفق فيتنام وكجوديا» . لكننا عدنا اليوم لنسمع التشبيه والمقارنة بين اسرائيل والمغال الاخرى للامبريالية الامريكية ، والذين يتحدثون ويقارنون هذه المرة هم الاسرائيليون انفسهم !

وتتبمنا في تقارير سابقة المحاولات الصهيونية لربط منظمة التحرير الفلسطينية والعرب عموما بـ « الامبريالية السوفياتية » في أوروبا والشرق الاوسط . ورأينا كيف حاول الاعلام الاسرائيلي اثارة وتعمير واستثمار مخاوف العالم الغربي ، بالادعاء ان النفط العربي ، وكذلك منظمة التحرير

الصحافية التي لا ترضي الصهيونيين . ومع ذلك لا بد من القول ، ان الصحف الغربية عامة بما فيها تلك التي تتعاطف بكل قوة مع الصهيونية في العادة ، أخفقت هذه المرة في ان تعكس أية حماسة في تبني الخط الاعلامي الصهيوني تعلقا على عملية سافوي . ولم يكن بالمستطاع — هذه المرة — العثور على الخط الاعلامي الصهيوني « الاصيل والحقيقي » ، سوى في الصحف الصهيونية الصادرة في الخارج من امثال «**هيروزاليم بوست**» و«**جويش كرونيكل**» الخ . ولا بد ان يثر هذا الامر شيئا من العلق لرجال الدعاوة الصهيونيين ، حيث يبدو واضحا ان حق الفلسطينيين في الكفاح المسلح على أرض وطنهم ، يكسب قبولاً حقيقيا ولو من الكارهين . ان هذه الحقيقة في ذاتها ، دلالة على نكسة خطيرة للمجهودات الدعاوية الاسرائيلية التي كرس طاقاتها منذ ١٩٧٤ لمنع حدوث مثل هذا الامر .

اسرائيل باعتبارها معقلا للامبريالية الغربية :
كان رجال الدعاوة الاسرائيلية يرسون اسرائيل ، حتى اكتوبر — تشرين الاول ١٩٧٣ ، تمشيا مع الخط الحكومي الاسرائيلي ، على انها جزء لا يتجزأ من دول العالم الثالث . وبرغم الاستهجان العربي لمثل هذا الادعاء غير المعقول ، حققت اسرائيل قدرا من النجاح في اقتناع الرأي العام العالمي ، وبالاخص القطاعات اليسارية — الليبرالية ، بانها ليست أمة اوروبية ، بل انها تناضل مع الدول الاخرى الحديثة الاستقلال ، لاقتلاع آخر معالم الهيمنة الكولونيالية الاجنبية ، ولتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي عن مسادتها الغربية « السابقين » . وكانت تحشر في هذا « السيناريو » حربها « الاستقلالية » ضد البريطانيين . ومما كان يثر الدهشة ان اسرائيل تمكنت فعلا من اقامة علاقات قوية مع العديد من دول العالم الثالث ، ومع العناصر اليسارية على امتداد العالم الغربي .

لكن علاقات اسرائيل هذه اهتزت بقوة بعد احتلالها للمزيد من الاراضي العربية في يونيو — حزيران ١٩٦٧ ، وبعد نسجها أعمق الروابط العضوية وأمتنتها مع الامبريالية الغربية ، وبالذات الامبريالية الامريكية . ولم يعد في وسع اسرائيل ان تخفي الحقائق او ان تغطيها . وهكذا شهدت حرب اكتوبر ونتائجها المترتبة عليها ، الذروة المشرفة

على تعهدات و ضمانات مبهمه » .
 وإذا كان هذا التعليق لم تضل به الصراحة الى حد المطالبة بمعد تحالف عسكري بين اسرائيل والولايات المتحدة ، إلا انه يكشف بالتأكيد طبيعة العلاقات والمصالح بينهما . ان تعليقا مماثلا حول موضوع البرتغال ، ظهر في وقت سابق من الشهر (٢/١٧) في الجروزاليم بوست ، يضي الى درجة من الوضوح ابعد من سابقه .

بعد ان تذرف الصحيفة الدموع على هزيمة الانقلاب المضاد الذي دبره الرجعي سبينولا ، وبعد ان تردد ما يقوله مخططو حلف الاطلسي بشأن قلقهم على مستقبل البرتغال السياسي ، فان الصحيفة تكشف القناع عن المعنى الحقيقي لاحداث البرتغال بالنسبة للعلاقات الامريكية - الاسرائيلية: « انه لمن اليسر تصور ما يمكن ان يعنيه للسيطرة الامريكية على غرب البحر الابيض المتوسط ، ظهور نظام مؤيد للسوفييات بقوة في البرتغال ... [بعد ابتعاد اليونان وتركيا عن حلف الاطلسي] ، ان الولايات المتحدة وطفاءها الغربيين منزعجون الى اقصى الحدود ، وربما يدرك نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين قرروا في الاسبوع الماضي ان اسرائيل قوية بما فيه الكفاية ، وانه لا بد من دراسة المساعدات لاسرائيل بكل حرص ، ربما يدركون الان حقيقة انه لا يوجد غير الغليل من الاصدقاء الحقيقيين للولايات المتحدة في منطقة شرق البحر المتوسط ، الذين تستطيع الاعتماد عليهم » .

ان المعنى واضح . اذا ارادت الولايات المتحدة الحفاظ على مصالحها في هذا الجزء من العالم ، فما عليها الا ان تقوي تعزيزها ودعمها للعلاقات مع الدولة اليهودية . ومع ان رجال الاعلام الصهيونيين لم يدعوا مطلقا في أي يوم من الايام ان اسرائيل عدو للامبريالية الامريكية ، الا انهم كانوا ، حتى امد قريب ، يبذلون كل ما في وسعهم لانكار ان اسرائيل تلعب دور عميل او وكيل المصالح الامريكية في المنطقة . لكن ما نشهده بأم اعيننا اليوم ، هو الفصل الختامي لعملية تطور بطيء انتهت الى موقف نقيص .

وفي خلال الاشهر المقبلة ، عندما يصل الانهيار الشامل للمخططات والترتيبات الامبريالية الامريكية في الهند الصينية ، طيلة اكثر من عقدين من الزمان ، عندما يصل الى نهايته العادلة المثيرة ، فان

السلطانية - اصبحا اذاتين طبيعتين لتنفيذ المخططات السوفياتية - الرسومة ، التي تستهدف تقويض أسس ما يسمى بـ « العالم الحر » ، وذلك بالتسبب بازمة صناعية تؤدي الى انهيار شامل وغوضى كاملة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة . هذا الخط الاعلامي نفسه لا يزال مستخدما ، انما بعد اضافة بعض الابعاد الجديدة اليه ، على ضوء الازمات المتعددة التي تواجه الامبريالية الامريكية في الوقت الراهن . وربما كان شهر مارس - آذار هذا العام ، واحدا من اسوأ شهور الولايات المتحدة منذ سنوات . ولهذا نجد ان الدعاويين الصهيونيين انتقلوا الى مستوى جديد من الوضوح والصراحة في ربط اسرائيل بالمصالح المهتدة للامبريالية الامريكية والغربية .

وهناك نموذج رائع لهذا النمط نجده في تعليق الجروزاليم بوست في الثلاثين من مارس - آذار . والموضوع يدور حول الانتصارات العظيمة التي حققتها شعوب الهند الصينية عبر نضالها الذي امتد عقودا طويلة من الزمن ، وكذلك الحل الناجح للمسألة الكردية نتيجة للاتفاق الايراني - العراقي: « ان ردة فعل العالم الحر على المأساة الماثلة امام العيان ، والتي طلت في وقت واحد بشعوب جنوب فيتنام ، وكينوديا ، وكذلك الاكراد ، هي مزيج من الذعر والاسى . ان العالم الغربي يمي جيدا الوحشية التي استعملت في جنوب شرق آسيا وفي جبال الاكراد ... ولم يفعل أي شيء . ان حكومات الولايات المتحدة ومعظم اقطار أوروبا الديموقراطية ، ناهيك عن امريكا اللاتينية وافريقيا ، تجد الذريعة المناسبة والمريحة في اعتبار خلق شعوب جنوب فيتنام وكينوديا والاكراد ، شؤوننا داخلية للشعوب المعنية بهذه القضايا بصورة مباشرة ... ان ملايين البشر يخسرون حريتهم ، وان عشرات وربما مئات الالاف يخسرون ارواحهم ، وان الملايين سوف يصبحون لاجئين في اوطانهم » .

ويعد ان تعبر الصحيفة برباء كاذب وزائف عن الدعم الاسرائيلي للشعب الكردي « المصمم على اهدائه » ، فانها تفصح بوضوح عن ان عواطف اسرائيل الحقيقية هي الى جانب وكلاء الامبريالية الغربية . فهي تضيف ان اسرائيل - بعد خيانة الولايات المتحدة لحلفائها - أصبحت أكثر شكاً وترددا في تقديم « تنازلات من جانب واحد اعتمادا

في خطواتهم ان يحاولوا اثارة قضية المقاطعة على اوسع نطاق اعلامي ، وذلك بأمل ان تولد هذه الصرخة الاحتجاجية العالية ، كحماية من الضغط ينشأ عنها عمل تشريعي في الولايات المتحدة .
وقال لنا مسئول اسرائيلي ان « الوقت مناسب تماما لسن تشريع معين في الولايات المتحدة » .
هذا وان ممثلي اسرائيل في الولايات المتحدة يجهدون من أجل تشريع قانون يحرم المشاركة في المقاطعة ويجعلها غير قانونية » . (التشديد من عندنا) .

ومن اللافت للانتباه ان الحملة المعادية للمقاطعة العربية في صحافة الولايات المتحدة ، لم تكن في شهر مارس - اذار حادة وطاغية بالمقارنة مع ما كانت عليه في الشهر السابق . ومع ذلك فلقد كان هناك نشاط في هذا السبيل ، سواء في الصحافة او في غيرها ، لرسم المقاطعة باعتبارها عملا ذا طبيعة معادية لليهود أساسا ، وللتحريض والمطالبة بسن تدابير تشريعية في الولايات المتحدة لمكافحة المقاطعة .

وهناك نموذج « مثالي » للدعوى المؤيدة للصهيونية في هذه الايام ، هو عبارة عن رسم كاريكاتوري بريشة رسام كاريكاتير أمريكي مشهور على نطاق الامة ، وظهر الرسم في عدة صحف ومجلات على امتداد الولايات المتحدة . والرسم يبين الملك فيصل مبتسما ، ووراءه في الخلفية آبار النفط ، وهو يقدم لاثنتين طويلتين الى شخص ظير راكما ، ويمثل الولايات المتحدة . ولقد كتب على احدى اللاتحتين « قائمة بشراء اسلحة للعرب » ، وعلى الاخرى « اللاتحتة السوداء العربية ضد اليهود » . وعنوان الرسم الكاريكاتوري « أوردز » ، وهي كلمة انجليزية اختيرت بعناية لانها قد تعني « طلبات » وقد تعني « أوامر » ، وما تصده الرسام في هذا الرسم هو طبعيا معنى « الاوامر » . (انظر مجلة تايم في العاشر من مارس - اذار) .

ان النقطة التي يحاول الصهيونيون غرسها في ذهن في ذهن الرأي العام ، سواء في هذا الرسم الكاريكاتوري او في غيره ، هي أن المقاطعة العربية موجهة ضد اليهود وليست ضد الصهاينة . ان هذه هي الفكرة الاساسية التي « يدعون » عليها بتركيز شديد في اوساط الجمهور الأمريكي . وتعيضا لهذه الفكرة ، وترسيخا لها في الذهن

صانعي السياسة في اسرائيل سوف يحاولون ان يغذوا بكل قوة المخاوف المترسبة في نفس الشعب الامريكى ، ليقدما له اسرائيل في صورة الخلل الوفي وأحد اصديقاء الولايات المتحدة النادرين خارج اوروبا الذين يمكن لها أن تعتمد عليهم . او بلغة جوزيف تكوач المندوب الاسرائيلي السابق في الامم المتحدة والرئيس الجديد لجامعة بن جوريون في بئر السبع في النقب ، « انه لفي مصلحة الولايات المتحدة الخاصة علمى الصعيد الجغرافي - السياسي ، ان تساعد وتدعم دولة اسرائيل القوية والمستقلة . » . (الجروزاليم بوست ، ٢١ مارس - اذار) .

وانها لمفارقة مثيرة للسخرية ان الصهيونيين يجدون أنفسهم مجبرين على تبني هذا الخط ، تماما في الوقت الذي يبدو فيه بكل جلاء انه ليس من صالح الولايات المتحدة ، في المدى البعيد ، ان تعادي جميع شعوب الشرق الاوسط بكل بساطة من أجل الكولونيالية الصهيونية العنصرية المتمثلة في الدولة اليهودية . ومما لا شك فيه اننا سوف نجد امابنا مادة ممتعة وطريقة نتعامل معها في تقاريرنا المقبلة ، بشأن معالجة الصهيونيين لهذه المفارقة الصارخة .

حول المقاطعة العربية لاسرائيل ... أيضاً :

اذا كانت الضجة العامة العارمة حول المقاطعة العربية تد هدأت في اوروبا (انظر تقريرنا لشهر فبراير - شباط) ، فان الاعلاميين الصهيونيين في الولايات المتحدة يواصلون حملاتهم ، من ناحية لتصوير المقاطعة باعتبارها موجهة ضد اليهود ، ومن ناحية ثانية للمطالبة باجراءات وتدابير قانونية ملموسة لمكافحة المقاطعة . واشرنا في تقرير الشهر الماضي الى ان المقاطعة ليست مجرد قضية اعلامية . فلقد بدأت المقاطعة - كما لاحظ مراسل امريكى في اسرائيل - تثير « قلقا عميقا في اوساط الحكومة الاسرائيلية وفي دوائر رجال الاعمال على السواء » . ويمضي تقرير هذا المراسل الى القول (انظر الهيرالد تريبيون الدولية ، ٢٩ - ٣٠ مارس - اذار) انه ليس في نية الاسرائيليين ان يرضخوا باستسلام لوجود المقاطعة العربية . ثم يكشف التقرير بالضغط ما يريد الصهيونيون عمله : « هناك خطوات وتدابير يتخذها المسئولون الاسرائيليون لاحباط المقاطعة . وان نقطة البداية

نطاق واسع ، لكن المقال المنشور تحت العنوان لم يكن أكثر من تجميع لبعض التعليقات المعادية للمقاطعة العربية التي ظهرت في صحافة الولايات المتحدة (والتي قدمنا بعضها فعلا في تقرير فبراير — شباط) ، وبالإضافة الى ذلك يتمسب المقال ببعض التصريحات التي تدّين المقاطعة والتي صرح بها نواب وشيوخ امريكيون ، وكذلك الرئيس فورد والدكتور كيسنجر . وهناك اصرار على امتداد المقال على ان المقاطعة العربية تستهدف اليهود كيهود .

ومثل ذلك المقال الذي نشر في « جويش اجزرفر » (التي تصدر في لندن) يوم الرابع عشر من مارس — آذار ، والذي زعم « ان الاستياء يزداد في الولايات المتحدة ضد المقاطعة الاقتصادية العربية الموجهة الى الشركات المتعاملة مع اسرائيل ، وان ثلث أعضاء مجلس الشيوخ ، وربع أعضاء مجلس النواب يحثون على سن تشريع فعال ضد مثل هذه النشاطات » . ونقل الصحيفة عن احد قادة هذه الحملة المطالبين بتشريعات لمكافحة المقاطعة ، وهو الشيخ وليامز ، قوله : « انه ليس في وسع هذه الامة ان تتجاهل المدلولات الخطرة للاجراءات الاقتصادية المنظمة والمذبذبة التي تستهدف تحقيق مكاسب سياسية ضمن حدودنا الوطنية » .

ان مثل هذه التصريحات ، وبكل ما فيها من رياء ومغالطات وتشويه مقصود ، تزايد وتكاثر . فهل تنجح الحملة الصهيونية في جر السلطات الامريكية المسؤولة الى اتخاذ تدابير فعلية ضد المقاطعة العربية ؟ الايام وحدها ستقر على هذا السؤال .

حول يهود سوريا وبعض التقارير المتصفة للعرب في الصحافة الغربية ... ايضا : انفردنا في تقرير الشهر الماضي مساحة كبيرة لعرض وتحليل مقالين متغايرين حول اليهود السوريين لاثنتين من المراقبين الغربيين ، احدهما صحافي بريطاني ، والآخر مشرع امريكي . وكنا قد عرضنا لتقال « الجارديان » البريطانية الذي كتبه مراسلها في المنطقة ديفيد هيرست ، باعتباره نموذجاً طيباً للمكاسب الإيجابية التي يمكن جنيها من اتاحة الفرصة الحرة للصحافيين الغربيين ليحققوا بحرية في أي موضوع من المواضيع . والذي بدل على

العام الامريكي ، دأبت المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة على نشر قوائم بأسماء شركات امريكية ووكالات حكومية امريكية استبعدت توظيف اليهود في الاقطار العربية لتبيان ان هذا الامر ينتهك قوانين الحقوق المدنية الامريكية . وبما لا شك فيه ان الشركات والوكالات الامريكية تمتنع فعلا عن ارسال الموظفين اليهود الى بعض الاقطار العربية ، بناء لطلب هذه الاقطار .

الا ان الاعلاميين الصهيونيين يغفلون كلياً ويتجاهلون السبب الواضح لهذه المسألة : فطالما ان اسرائيل ، تمسحياً مع الخط الايديولوجي الصهيوني تعتبر كل يهودي في العالم « اسرايئليا في المنفى » ، مهما كانت قوميته وجنسيته ، وطالما انه يسمح سرا للكثيرين من الامريكيين اليهود بأن يهبطوا جوازي سفر احدهما امريكي والثاني اسرايئلي ، طالما ان هذا هو الوضع ، فانه لا يمكن اتهام الدول العربية بـ « التمييز ضد اليهود » ، اذا هي طلبت عدم توظيف الامريكيين اليهود في الشركات والوكالات الامريكية العاملة في هذه الدول العربية نفسها ، طالما استمر الصراع العربي — الاسرايئلي . ونريد هنا ان نشير الى ان هذه النقطة على اهميتها ، لم تزل حظها من التركيز والتوضيح من جانب الناطقين العرب . كما لم يبذل العرب جهدا كافيا لتبيان ضرورة الفصل بين هذه القضية وبين المقاطعة العربية الفعلية المطبقة ضد اسرائيل . ان ما يقوم به الصهيونيون بكر شديد ، هو خلط هذين الموضوعين ، وتنج من ذلك انهم نجحوا في ان يفرسوا في الذهنية العامة صورة معينة تعطي المقاطعة العربية طابعا معاديا لليهود ، طابعا ليس موجودا فيها أصلا .

في غضون ذلك تزعم الصحافة الصهيونية — اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة ، ان المقاطعة العربية ظلت ضربة موجعة في الولايات المتحدة الامريكية من جانب الحملة الصهيونية المضادة وما اثارته من التعاطف وتعاطف . ورغم عدم وجود أدلة ودلائل ملموسة تؤيد هذا الزعم ، تظهر عناوين كهذه (في جويش بوست اند اوبنيون عدد ٣/٧) : « العرب يخسرون معركة التفاصيل التي يشنونها ضد اليهود في ميدان الاعمال والمصارف » . لقد كان هذا عنوانا ضخما ظهر على صدر الصفحة الاولى من الصحيفة التي يقرأها يهود امريكا على

المقالة المسهبة والكاشفة التي كتبها هيرست عن يهود سوريا . والواقع أن مثل هذا الرد الهستيري والضعيف الحجة الذي كتبه بادون في **الجاردان** ، له في نظر عارفي الصحافة الغربية وحساسية قرائها ، رد نعل عكسي . ولهذا لم يكن غريباً أن **الجاردان** بعد نشرها رد المستشار الإسرائيلي ، نشرت ملحوظة تعليقية قصيرة اكتفت فيها بالقول « أن المستر بادون يعبر عن وجهة النظر الإسرائيلية الرسمية . وأن انتقاداته لديفيد هيرست مرفوضة من قبل **الجاردان** كلياً » .

وهكذا ينبغي أن يكون واضحاً من العرض السابق الذكر ، أن هناك مكاسب جمة ومهمة يمكننا جنيها من السماح للصحافيين الأجانب الذين لديهم عملاً اهتمام صادق بفهم القضية العربية ، أن يتحركوا للتحقيق بحرية في البلدان العربية ، مثلما حصل في قضية هيرست . ومن البدهي القول أن سلسلة المقالات التي دمجها هيرست ذات نفع وجدوى للقضية العربية أكثر بكثير من عشرات الاعلانات المدفوعة والبيانات الرسمية . وأن رسالة المستشار الصحافي الإسرائيلي في لندن ، لم تكن رد الفعل الصهيوني الوحيد ، أو التهجم الوحيد على هيرست . ذلك أن رسالتين أخريين على الأقل ظهرت في باب الرسائل في **الجاردان** تنتقدان هيرست بسبب الطريقة التي غطى بها قضية يهود سوريا . (وعلى سبيل المثال عدد ٢٠ مارس - آذار من الصحيفة حيث يعكس كاتب الرسالة النغسة نفسها - حرفياً - التي ظهرت في رسالة المستر بادون) . كما ظهرت مقالة في **الجويش أبزرفسر** اللندنية في السابع من مارس - آذار ، تحمل كذلك على مقالات هيرست في **الجاردان** . وفي الاخر نشرت في هذه المجلة ، في الرابع عشر من مارس - آذار ، رسالة لاسرائيلي يصب جام غضبه على هيرست بسبب تقريره الذي بعث به من اسرائيل ، ولاستفادة هيرست من معلومات قدمها اليه دكتور يسرايل شاحاك رئيس الرابطة الإسرائيلية للحقوق الإنسانية والمدنية ، إذ أن شاحاك في نظر كاتب الرسالة « حثير ، ومصاب بهستريا ، وكاره لنفسه » .

ان جميع هذه النقاط دلالة أكيدة على مدى الازعاج الذي سببته كتابات هيرست الصريحة وحسنة التوقيت ، للصهيونيين وأبوأهم .

شدة فعالية وتأثير مقالة هيرست المتعاطفة مع الحقيقة ، هو رد الفعل الهستيري من جانب الصهاينة ، سواء على صعيد الناظرين الرسميين أو على الأصعدة الأخرى .

وفي الثاني عشر من مارس - آذار وجسه المستشار الصحافي في السفارة الاسرائيلية في لندن ، جابرييل بادون ، رسالة مطولة الى **الجاردان** قال فيها « ان التأثير المتراكم لمقالات هيرست من سوريا واسرائيل خلال الاشهر الثلاثة الأخيرة ، بلغ حدا لم يكن له نظير ، واتخذ طابع الحملة المدبرة لتشويه صورة اسرائيل في الصحافة البريطانية » .

ذلك ما قاله المستشار الصحافي الإسرائيلي دون ان يقدم أية حجة مقنعة أو وقائع محددة تفنيداً لما أورده هيرست في سلسلة مقالاته عن القدس ، والمناطق المحتلة ، ويهود سوريا ، ومرتفعات الجولان . وبالنسبة لقضية اليهود في سوريا بالذات ، وهي المسألة التي تطرقنا اليها في تقرير الشهر الماضي ، فإنه لم يكن لدى الاسرائيليين ما يمكنهم قوله سوى التهجم على هيرست لظهوره بطلان المزاعم الصهيونية حول اضطهاد اليهود في سوريا ، و « تبييض » صفحة سوريا ، ولم يكن امامهم غير اتهامه بالافتراء لقوله ان وضع العرب في اسرائيل أسوأ من وضع اليهود في سوريا . فما هو رد المستشار الصحافي الإسرائيلي على هذه الحجج القوية في مقال هيرست ؟

« ان هذه كذبة شريرة مفضوحة ، وان هيرست يعرف الوقائع الصحيحة . وعلى سبيل المثال ، فإن عرب اسرائيل ، وخالفا لليهود سوريا ، ليسوا موضع أية تمييز على تنقلاتهم أياً كانت ، وان في وسعهم كذلك مغادرة البلد اذا شاءوا . وان هيرست اذ ينظر الى الصرخة الاحتجاجية العامة في الغرب ضد ما يلاقيه يهود سوريا من أساءة معاملة ، باعتبارها « دعاوة صهيونية » ، فإنه يكشف بكل جلاء عن ازدراؤه واستهائته الكاملة بعدابات أقلية صغيرة تعيش في بلد معاد » .

هذا كل ما يقوله المستشار الصحافي رداً على النقاط والوقائع المحددة التي أوردها هيرست في مقاله ، ومن الواضح انها لا تحضس أياً منها ولا تقدم أي تفنيد . وان المقطع الذي استظفناه آنفاً هو كل ما أمكن للسيد بادون ان يقوله رداً على

الكتائب اللبنانية : تاريخها ، عقيدتها ، تنظيمها

راشد حميد

الكتائب من منظمة الى « حزب ديمقراطي ، اجتماعي ، لبناني » (١).

وعلى الرغم من ان الكتائب اللبنانية تبرز دورها في تحقيق استقلال لبنان ومقاومة الانتداب الفرنسي فان بعض المصادر تشير اليها باصبع الاتهام بالتواطؤ مع السلطات الفرنسية المتتدية . اذ تتهم فرنسا بتشجيع فكرة تأسيس الكتائب وامداد رجالها بمساعدات كثيرة خاصة في السنوات الاولى من تاريخها . وقد ذكرت سجلات المفوضية الامريكية في بيروت في ذلك الوقت بعض الايضاحات عن هذه المساعدات منها ان بعض كبار المسؤولين في الكتائب كانوا يلقون راقبا شهريا من الحكومة الفرنسية ايام الانتداب ، هذا الى جانب الاتصالات الثقافية والسياسية (٢) . وجدير بالذكر ان مؤسس الحزب هم بطرس الجميل وشفيق ناصيف وشارل حلو وجورج نقاش واميل يارد .

ومن حيث تطوره التنظيمي مر الحزب في مراحل ثلاث : المرحلة الاولى (١٩٣٦ - ١٩٤٢) وقد تميزت بدرجة عالية من المركزية الاوتوقراطية حيث كان نظام الميليشيا شديدا . والمرحلة الثانية (١٩٤٢ - ١٩٥٢) شهدت انخفاضا في درجة المركزية الاوتوقراطية حيث اصبحت الميليشيا والفرع يشكلان العناصر الاساسية في وحدات الحزب التنظيمية . والمرحلة الثالثة هي مرحلة ما بعد ١٩٥٢ وتميزت بتعدد وظائف الحزب واهدافه وشهدت بدء المركزية الديمقراطية على اساس الميليشيا والفرع والخلية . « ومنذ صعوده في فترة ما بعد العام ١٩٥٨ ، وجه حزب الكتائب اللبنانية جهوده بشكل رئيسي الى اسباغ الشرعية على البنئ المؤسسة للدولة بخالوا في الوقت نفسه تطوير ايمان ثابت بالامة اللبنانية في صفوف الجماهير . وفي الوقت ذاته

تتناول هذه المقالة حزب الكتائب اللبنانية بالعرض والتحليل في محاولة للتعريف به تعريفا مفصلا قدر الامكان في سبيل فهم علمي افضل لحزب ناصب الحركة التقدمية اللبنانية والفلسطينية والعربية العداة منذ البداية . والنواحي التي ستعالجها هي نشأة الحزب وتطوره ، وايدولوجيته وتركيبه التنظيمي . أما أبرز المصادر التي اعتمد عليها البحث فهي الوثائق والمنشورات الصادرة عن الحزب بالإضافة الى بعض المراجع الاخرى وخاصة دراسة متصلة عن حزب الكتائب اللبنانية غير منشورة هي رسالة دكتوراه في جامعة نيويورك .

نشأة الحزب وتطوره

ظهرت الكتائب اللبنانية في الحادي والعشرين من تشرين الثاني من العام ١٩٣٦ مستمدة اسمها من كلمة كتيبة وهي احدى قطع الوحدات العسكرية لانها ارادت ان تكون منظمة شبه عسكرية فيها الكثير من الطابع العسكري . واعترفت الحكومة اللبنانية بالكتائب منظمة قانونية يحق لها العمل الحزبي المشروع في الثاني عشر من كانون الاول من العام ١٩٤٣ « اقرارا من السلطات اللبنانية بفضل الكتائب على نجاح الثورة الاستقلالية ما بين ١١-٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ » وذلك بمرسوم رقمه ١٢٨ وتاريخه ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ . الا ان السلطات عادت فحطت الكتائب واغلقت بيوتها في الثامن عشر من تموز ١٩٤٩ لتراجع عن قرارها هذا بعد ثلاثة ايام مجيزة للكتائب العمل باسم « حزب الاتحاد اللبناني » . وتلقت الكتائب اللبنانية في ٢٢ تشرين الاول ١٩٥٧ « علما وخبرا » من الحكومة بان حزب الاتحاد اللبناني اصبحت حزب الكتائب اللبنانية . وفي ٢٠ ايار ١٩٥٢ تحولت

للنظرة على العالم محاولة بدائية للتأليف بين العصمة المسيحية وبين المتطلبات الحديثة لدولة — امة ناشئة . انها محاولة تجعل الكرامة الانسانية والكمال الانساني والايثار بالتضامن الانساني واعتبارات خاضعة للمفاهيم الاوسع : الله ، الوطن ، العائلة . ومع ان جوهر هذا المبدأ لم يتغير اساسا منذ نشأة الحزب الا ان تعديلات بارزة حصلت تدريجيا لمواجهة متطلبات المجتمع السائر قدما الى العصر الحديث ولواجهة دور الكتاب المتزايد في النظام السياسي اللبناني(٨).

نقد ذكر انطوان نجم (أمين ناجي) ، المنظر الرسمي للحزب ، في مقابلة اجراها معه انطليس في ١١ آذار ١٩٦٩ . انه مع ازدياد ثمة الكتاب في فترة ما بعد العام ١٩٥٨ نتيجة الانتصارات البرلمانية المتزايدة والمشاركة النشطة في الحكومة واتساع شعبية الكتاب، بدليل ازدياد عدد اعضائها فقد نفخ الحزب جانبا وبالتدرج ودغماطيته واخذ ينادي علنا بفلسفة أكثر ليبرالية . وأشار نجم الى انه بينما كان كثير من معتقدات الحزب يثر عداء غير الموازنة في الماضي فقد اصبح الحزب اليوم أكثر تقبلا للافكار المختلفة(٩) . وهكذا حتمت الظروف اعادة تفسير نظرة الكتاب الى الانسان والمجتمع .

وقد وضعت الخطوط العريضة لإعادة التفسير هذه في العام ١٩٦٣ في **منهاج العمل الكاثولي** الا ان ذلك صيغ رسميا في مؤلف نجم **فلسفة العقيدة الكاثوليكية** الذي صدر في العام ١٩٦٦ . وحسب هذا التطور بات الفرد هو الوحدة العاملة الاساسية بدلا من العائلة ، فهو فرد وعضو في مجتمع يؤلف امة ودولة ذات سيادة . « ان كون الشخص الانساني غاية عقيدتنا المحورية فذلك يعني ان ما تمنا به وما نرزمي اليه ، انما يهدفان في غايتهما الاخيرة الى خير الشخص كشخص . واذا كنا نعمل على ان يقوم لبنان برسالته التي اوحث بها معطياته الخاصة ، فلان تلك الرسالة ، في مرماها القريب والبعيد ، تهدف الى خدمة الشخص الانساني . الشخص هو ابدأ غاية . وله الاولوية على كل ما عداه في الكون »(١٠) .

والى جانب التأكيد على اولوية الشخص الانساني تبرز الكتاب أهمية العمل والملكية . فالكتاب ترى في العمل « عاملا يخرج الشخص عن التركيز حول

استمر في اعداد وحداته شبه العسكرية لاحتمال التصادم مع العناصر الثورية الساعية الى قلب النظام »(١١) .

ايدولوجية حزب الكتاب اللبنانية

يعتبر حزب الكتاب اللبنانية ان له عقيدة خاصة تشمل كل ما يهم الانسان اللبناني والوطن والحزب الكاثولي ، ويعتبرها عقيدة انسانية قومية اجتماعية تتصل دوما بالتيارات الفلسفية العالمية لتعزيز معطياتها . وهدفها خلق مجتمع لبناني متجانس يتبع للانفراد والجماعات ان يحققوا امكاناتهم فيه وذلك بتيسير الحريات الشخصية والعامّة وباحتقار العدالة في كافة الحقول ، ولا سيما العدالة الاجتماعية . ويعلن الحزب ان عقيدته القومية الوطنية هي ان لبنان وحدة كيانية لا تتجزأ بحدوده الحاضرة ويتمتع بسيادة مطلقة ومستقل عن الشرق والغرب مفتتح عليها (وهي الغرب والعالم العربي) ويتعاون مع جميع البلدان خاصة العربية الى أقصى حدود التعاون . وأسس هذه العقيدة هي تاريخ لبنان وارادة اللبنانيين القديمة والحاضرة . ويعلن الحزب ان للبنان رسالة هي في العقيدة الكاثوليكية المساهمة في خدمة البشرية برفع مستوى الانسان المادي والثقافي والاخلاقي وهي رسالة اداها لبنان خلال ستين قرنا . وشعار الحزب هو : الله ، الوطن ، العائلة . تلك لفظة سريعة للعقيدة الكاثوليكية كما يشربها الحزب لاعضائه في المدرسة الكاثوليكية الاعدادية(١٢) . اما الان فلا بد من النظر على هذه اللفظة بصورة ادق .

لم تكن نظرة الكتاب على العالم في ايام نشأتها الاولى تتجاوز الا قليلا تأكيد مبادئ مقبولة عالميا وموجودة فعليا في جميع المجتمعات التقليدية وفي كثير من المجتمعات الحديثة ، فقد رأت الكتاب في الله والعائلة أسس الامة اللبنانية(١٣) . واستهدف شعار الحزب المثلث (الله ، الوطن ، العائلة) شجب المفاهيم المادية المجردة للحياة والامة اذ بدون الله لا تكون هناك « صوفية » ترتفع بالمجتمع فوق ذاته ، وهي من أعمدة استمرار الامة(١٤) . والعائلة اكثر مكونات الامة فاعلية . اما الوطن فهو الوسيط بين العائلة والامة(١٥) .

ويرى انطليس Entelis في هذا الايضاح الاولي

النفس عنصر روحي . وفلسفة العقيدة الكتابية فلسفة روحية تنقض ذاتها إذا لم تؤمن بالله (١٤) . ويتابع بأن اعطاء الأولوية للشخص دون الإيمان بالله الذي اعطى الانسان قِيَمته ، يجعل هذه الأولوية في خطر ، لان في عدم الإيمان بالله ليس ثمة مانع ، لسبب من الاسباب ، من وضع الدولة او الحزب او العرق او أي شيء آخر فوق قيمة الانسان (١٥) .

وعند هذه النقطة لا بد من الاشارة الى مفهوم العلمانية في العقيدة الكتابية . يقول ناجي « علمانيتنا هي ان الدولة اللبنانية ... تحترم حرية الضمير عند المواطنين كافة . لا بل تقدم لهم كل الامكانات اللازمة ليقيموا بهذه الحرية . انها تفرض الاعتراف بتكامل وظيفتي الهيئات الزمنية والهيئات الروحية » . فهو بذلك لا يرى فصل الدين عن الدولة بل تكاملهما .

ربما كان تركيز العقيدة الكتابية على المفهوم التوحيدي لله مجرد محاولة لإبراز جانب مشترك بين مختلف الطوائف اللبنانية يكون أحد مقومات القومية اللبنانية التي تنادي بها الكتاب . فالتوحيد هو الشيء المشترك دينيا بين مختلف الطوائف اللبنانية عموما . ومما يبرز هذا القول ، أولا ، عدم بحث الكتاب في طبيعة الله وشكل علاقته بالكون ، وثانيا ، مفهوم العلمانية لدى الكتاب التي ترى التكامل ما بين الدين والدولة . ولا يبدو أن مفهوم الله يمكن أن يكون أداة وحدة وطنية ذلك لان الامر يتعلق بالإيمان ، والإيمان أمر بين الانسان وخالقه ولا يمكن ان يتوقف عند حدود التوحيد ووجود الخالق الوحيد فقط . من هذه الزاوية ، اذا لم يكن الله فعل إيمان وطريق خلاص كما تعلم الأديان التوحيدية يصبح الله عند مجرد وجود جسد خارج عن دائرة المجتمع ومشكلاته ، ويضحى الانسان آنذاك كأننا منقسما الى ذاتين ، ذات تتعالى لتصل الى المستحيل وذات تفرق تحت وطأة المعاناة . وتقع الغربة في الذات التي انتصبت الى شقين ، فلا هي تستطيع ان تحقق وجودها الأرضي ولا تستطيع ان تتسامى فتحل مشكلاتها من خلال هذا التسامي . لهذا فان التحليل فوق المشكلات الاجتماعية لا يطرح بديلا بل يكرس هذه الوقائع القائمة وذلك بالوقوف خارجها دون معالجتها جذريا .

ذاته . فيعمل ما بينه وبين أخيه الانسان ويصل ، في الوقت نفسه ، ما بينه وبين الطبيعة » . أما نظرتها الى الملكية فتنتقل من معطيات التعاليم الدينية والفلسفات التقدمية ونظرة اللبنانيين الى الملكية ومستلزمات المرحلة التاريخية الراهنة (١٦) . ورغم كل هذا التأكيد على الشخص الانساني في العقيدة الكتابية الا ان موقفها منه يتميز بالعنوية ولا يستند الى التحليل العلمي الواعي . فهي تؤمن بأولية الشخص ولا ترى فيه خلية المجتمع لان « الخلية في طبيعة دورها عنصر تفتح وتغذية وتخزين حياة ... ومن بمقدوره ابقاء مقتضيات هذه الحياة حقها غير العائلة ؟ » ثم يعود ناجي ليقول « ان ايماننا بالعائلة هو من القوة والعمق والاهمية بحيث تحتل العائلة المرتبة الثانية في المثلث العقائدي الكتابي . وثقتنا بها وبرسالها قد اصطبغت الى حد بعيد بالعنوية للاعتبار الكبير الذي يملكه مجتمعنا للعائلة » (١٧) . ومن هنا يبدو وكأن الكتاب تستمد عقيدتها ومبادئها لا من حاجات المجتمع وضروراته بقدر ما تستمدها مما يعتبره المجتمع اعتبارا كبيرا ويقدره . ان المجتمع وخاصة في العالم الثالث بحاجة الى التغيير العميق في المجتمع الذي يعاني من الكثير من الامراض التي خلفها الماضي مثل الفقر والمرض والتخلف بمعناه الشامل . ان حزبا هكذا يستمد عقيدته لا بد وان تنتقل اليه امراض المجتمع فلا يعود قادرا على معالجتها ولا على لعب دور في التغيير والتقدم بل على العكس من ذلك قد يصبح عائقا في وجه التقدم .

تبقى كلمة عن رأس المثلث العقائدي الكتابي الاول وهو الله . يقول امين ناجي ، فيلسوف العقيدة الكتابية ، « تؤمن بالله بدون دخول في جدل حول وجوده او عدم وجوده . وهذا الإيمان عنصر من عناصر تراث امنا الروحي . لذلك لا نبحث في طبيعة الله ولا في شكل علاقته بالكون . ان تضايبا كهذه تخرج عن اطار عقيدتنا واهتماماتها ... ان الله الذي تؤمن به عقيدتنا هو نفسه الله الذي تبشر به الأديان الموحدة » (١٨) . ويضيف نجم بأن النظرة الكتابية الى الانسان يبررها الإيمان بأن في الانسان نفسا لا يمكن اعطاؤها قيمتها الحقيقية الا اذا سلمت الكتاب مع الأديان الموحدة بأن

الفكري الى كتابات رجال الدين والمفكرين من الوارثة من أبناء جبل لبنان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٧). وعلى الرغم من ان القومية اللبنانية تبنت الكثير من حجج ومقدمات ومبررات واستنتاجات القومية المارونية ولاقت مدافعين عديدين عنها في تلك الفترة ، الا ان الكتاب من بين جميع الجماعات السياسية المنظمة في البلاد كانت الوحيدة التي جسدت المفهوم كوميونة لتعزيز الوحدة الوطنية ومقاومة تأثير القومية العربية (١٨).

المرحلة الثالثة (١٩٥٨ - الآن) . مع ان القومية اللبنانية لم تنفر نسبيا منذ تبنيها في اوائل الاربعينات فان بضعة تطورات مهمة حدثت منذ العام ١٩٥٨ اهمها الرفض التدريجي للنظر الى لبنان بمنظار الماضي فحسب والرغبة في ان تعتبر القومية اللبنانية المعاصرة نفسها مستقبلية . كما حصل يقول محسوس لتعدد الطوائف كظاهرة من مظاهر مفهوم القومية اللبنانية التي بقيت مع ذلك اجمالا مفهوما مسيحيا خلقه ونشره المسيحيون . وبعد ان حصلت الكتاب على مركز مهم في السلطة في اعقاب ازمة ١٩٥٨ وبدأت تتبنى موقفا سياسيا أكثر جدية ومسؤولية بات واضحا ان نوعا من التعديل الايديولوجي صار واجبا للتكيف مع الدعم الذي تلقاه من أكثر من طائفة .

ان أهم أهداف القومية اللبنانية وأغراضها هي : أولا ، حل معضلة الهوية اللبنانية بتقديم ايدولوجية قومية ذات قاعدة واسعة . ثانيا ، اسباغ الشرعية على المجتمع متعدد الطوائف وعلى نظام الحكم . ثالثا ، بناء ايدولوجية توازن العروبة والقومية العربية وتكون واسعة الانتشار وتلقى استجابة شعبية في صفوف الجماهير اللبنانية . ويمكن القول ان أحشى ما يخشاه القوميون اللبنانيون وعلى رأسهم الكتاب اللبنانية هو العروبة والقومية العربية التي تشكل في الواقع محيط ما يسمى بالقومية اللبنانية وبينها . ليس هذا فحسب بل ان التيار القومي العربي في صفوف الجماهير اللبنانية يشكل تيارا قويا وواسعا . ولذلك يتظاهر الكتابيون بالانفتاح على العروبة وبدء الحوار مع العروبيين . ويبدو ان هذا الاتجاه ليس صادقا وصحبا كما تظهر تصريحات قادة الحزب بين الفينة والاخرى . فقد نشرت صحيفة « الدائلي

يتسم انطليس التطور الايديولوجي الكتابي الى ثلاث مراحل (١٦) : المرحلة الاولى (١٩٣٦ - ١٩٤٣) تميزت بارتباط قوي جدا ، ان لم نقل متعصبا ، لمفهوم لبنان مستقل حيث كانت القومية المارونية القوة الدافعة المهمة . ولما كانت هناك اشارة علنية لاولية الطرف الماروني على الرغم من ان معظم القادة والاتباع من الطائفة المارونية . والحقيقة انه يصعب تحديد اطار ايدولوجي معين وذات بنية واضحة استرشدت به الكتاب اللبنانية في مسارها السياسي . وفي فترة ما قبل الاستقلال اعتبرت الكتاب نفسها بشكل رئيسي ، كما اعتبرها آخرون ، حركة شعبية وطنية قامت لغرض معين هو النضال من أجل تحقيق الحرية الكاملة والاستقلال السياسي الناجز للبنان . اذ لا يمكن اعتبار الشعور الانثي - الطائفي الشديد والتأكيد على التفاء والخمر والله والعائلة من العناصر الشرعية لايدولوجية قابلة للحياة . أضف الى ذلك التفتاني الى درجة الهوس تجاه قضية واحدة هي استقلال لبنان حال بين الحزب وبين قيامه بأي تحليل جاد لمبادئه السياسية واغراضه ، وهو أمر قد يعزى الى الخوف من الاندماج بسورية او بوحدة عربية .

المرحلة الثانية (١٩٤٣ - ١٩٥٨) بدأت نتيجة احداث العام ١٩٤٣ ، عام الاستقلال ، التي ادخلت عناصر جديدة على وجهه الحزب الايديولوجية . اذ يرى انطليس ان دور الحزب في استقلال لبنان وتعاونته مع مختلف الجماعات السياسية والقبول العام الذي لقيه من الشعب جعلت ، مجتمعة ، من الضروري حدوث انفصال تدريجي ومنظور عن الموقف الماروني الانعزالي المنطرف الذي كان الحزب مرتبطا به في البداية . أضف الى ذلك ان ضرورة حشد الاعضاء وبرامج الحزب ومشاركته في الانتخابات جعلت من الواجب وجود ايدولوجية تحدد السلوك المناسب للجمهور والنخبة وتحدد الشرعية السياسية وتضع التكتيك السياسي . وأهم من ذلك انه اذا كانت الايدولوجية لتثير العواطف وتشر العقيدة ترتب عليها انجاز أمور ثلاثة : أولا ، تبسيط الافكار ، ثانيا ، تثبيت ادعاء بالحقيقة . ، ثالثا ، طلب الالتزام بالعمل . والمبدأ الايديولوجي الذي تنتهه الكتاب هو القومية اللبنانية : وهو مبدأ يمكن نسبته من حيث المنشأ

وكل مجموعة أربع دوريات (ستة افراد في الدورية) (٢٦).

وتمتحت أبواب العضوية امام جميع اللبنانيين بين ١٨ - ٣٥ سنة وطلب من العضو ارتداء لباس موحد في التدريب والاستعراضات (٢٤).

وكان رئيس الحزب يتمتع بصلاحيات مطلقة مثل تعيين الامين العام ومختلف اللجان الفنية (٢٥) التي بلغت التسع لجان لشؤون التنظيم والدعاية ، والمرافقة ، والدراسات ، والتعاون ، والرياضة ، والنقل ، والاحصاء والوظائف ، والمالية ، والصليب الاحمر . كان ذلك في الفترة ١٩٢٦ - ١٩٤٢ . الا ان تحولا جديدا حدث في تنظيم الحزب في العام ١٩٤٢ حين صدر كتاب **الكتائب اللبنانية : النظام العام والقانون التأميني** (١٩٤٢/١١/٢١) الذي نص على اقامة مجلس شورى حول رئيس الحزب ، وعلى انشاء القسم وحدة اساسية للحزب ، وهي محاولة لتوسيع القاعدة الجغرافية للحزب مع الحفاظ على الفرق التي بقيت خاضعة للاقسام وتكون قوات الميليشيا . والقسم وحدة سياسية اختلفت عن الفرقة من الناحية العددية والجغرافية . فقد بقي عدد افراد الفرقة محدودا ومحددا سلفا ، كما بقيت القدرة الجسدية القياس الاساسي للعضو . ووظيفة القسم الرئيسية هي توسيع قاعدة الحزب باستمرار . والفرقة لا تمثل منطقة معينة وليس لها مركز اقليمي محدد . اما الاقسام فقد اُنشئت في اماكن محددة حيث قسمت كل منطقة الى اقسام . وهذا انعكاس للاهتمام السياسي المتزايد . فهذا التحول التنظيمي يعكس مشاركة الحزب المتزايدة في الانتخابات واهدافه السياسية الجديدة ودور الميليشيا الذي بقي مهما (٢٦).

في فترة ما بعد العام ١٩٥٢ حدث تطور جديد في هيئات الحزب المركزية بحيث جرى تحول من المركزية الاوتوقراطية الى نوع آخر من المركزية تسيطر فيه ثلة من القياديين ويسميه انطليس المركزية الطغمية او مركزية الطغمة او الاوليغارشيا (٢٧) . فقد اُنشئ المكتب السياسي لحزب الكتائب بحيث يكون هيئة القرار في الحزب ، اقرار سياسة الحزب ومناهجه وتنظيمه ، ويقوم بالتعيين في جميع الوظائف والرتب ويشرف على تنفيذ جميع المقررات التي يتخذها . ويتألف المكتب السياسي من رئيس الحزب ونائبه

ستار « اللبنانية اليومية الصادرة في بيروت باللغة الانكليزية وذلك بتاريخ ١٦٦٩/٣/٢ التصريح التالي لبطرس الجميل ، رئيس حزب الكتائب اللبنانية : « لسان لبنان عربي وهو عربي الجوار والمصلحة ولكن اللبنانيين ليسوا من العرق العربي . اننا نؤمن بوجود قومية لبنانية مساوية للقومية العربية . وان ارتباطنا الايديولوجي بالقومية اللبنانية هو مصدر صراعنا مع القوميين العرب ، وهو صراع اصبح الان بيزنطيا . اننا نؤمن بأن العرق اللبناني موجود كثيره من الاعراق الموجودة في اوروبا . اننا مثل الايطاليين والانكليز . ان عرقنا يتمتع بالميزات الاساسية مما يجعله مساويا للاعراق الاخرى » (١٩) . ويقول فيلسوف الكتائب انطوان نجم ان اللبنانيين عرب مثلما الدانماركيون اسكندنافيون والرومانيون سلافيون والتشيبيون امريكيون لاتين (٢٠) . وقال الجميل ايضا في تصريح آخر له انه لا يستطيع قبول العروبة لان دينا معنا يشكل جوهر العروبة كقومية في حين ان لبنان مجموعة اديان واهراق (٢١) . وصرح نائب رئيس حزب الكتائب جوزف شاذل في مقابلة مع انطليس في بيروت يوم ١٨/٤/١٩٦٩ بقوله : « الكل دين عصره ، ويصبح على مر الزمن أكثر فأكثر روحانية . وعليه فبينما المسيحية في القرن العشرين أكثر روحانية مما كانت عليه في القرون الوسطى فان الاسلام اليوم في القرن الرابع عشر على الرغم من ان المسلمين اللبنانيين أقل تعصبا من المسلمين في أجزاء أخرى من العالم العربي بسبب اتصالهم بالمسيحيين ، فانهم اليوم في القرن الثامن عشر هذا على الرغم من مظهرهم الذي يبدو به في القرن العشرين » (٢٢) .

البنية التنظيمية

أملت الايديولوجية والتفسير الذاتي للواقع السياسي اللبناني تطور البنية التنظيمية للكتائب اللبنانية التي قامت أساسا على الميليشيا بهدف الصدام أكثر منه السلطة السياسية . وكان أساس التنظيم في الميليشيا هو المجموعة الصغيرة تتصاعد هرميا الى وحدات أكبر تؤلف بضع كتائب كل واحدة منها تضم ٦٠٠ عضو وكل كتيبة قسمت الى سريتين (٣٠٠ في الواحدة) وكل سرية قسمين وكل قسم ست مجموعات (٢٥ فردا في المجموعة)

مئة بالائة ولا يتخذ جوقفا قبل موافقة المكتب السياسي . وفي العام ١٩٥٢ طرد احد النواب الكتائبيين الثلاثة آنذاك وهو عبدالله الحاج من الحزب لانه لم يمثل لمقررات المكتب السياسي(٢٤).

ولي المكتب السياسي في الهم التنظيمي المجلس المركزي وهو هيئة الاستشارة والرقابة في الحزب وله الحق في استجواب المكتب السياسي وتقديم المقترحات . وهو يتألف من اعضاء المكتب السياسي والمستشارين ورؤساء المصالح ورؤساء الاقاليم ونوابهم ورؤساء المقاطعات في بيروت ورئيس منظمة الشباب ومفوضة منظمة الشباب العامة . ويشكل الهيئة الانتخابية التي تتولى انتخاب رئيس الحزب ونائبه والاعضاء الخمسة للمكتب السياسي . ويحضر نواب رؤساء المصالح اجتماعات المجلس المركزي ولهم حق المناقشة دون حق الاقتراع ، وللمكتب السياسي ان يسمح لبعض الكتائبيين بحضور اجتماعات المجلس المركزي كمتسمعين . ويجتمع المجلس المركزي كل نهار ثلاثاء . امسا رؤساء الاقاليم فانهم متيدون بحضور اجتباع آخر ثلاثاء من كل شهر(٢٥) . ويشارك في المجلس ثلاثة عشر ممثلا عن الخلايا الاجتماعية للحزب .

اعضاء المجلس المركزي(٢٤)

١٩٦٩ - ١٩٦٨

الممثلون	اعضاء	مشاركون	مراقبون
الاقاليم	٢٨	—	—
بيروت	١٦	١٣ (الخلايا)	—
المصالح	١٣	١٣	—
المكتب السياسي	٢٢	—	١٢
المجموع	٩٠	٢٦	١٢
المجموع الكلي	١٢٨		

تتألف الهيئات الادارية للحزب من ١٦ مصلحة(٢٥) يدير كل واحدة منها رئيس يساعد نائب رئيس وامين سر وعدد من الدوائر والمكاتب وفقا لمقتضيات الحاجة . ورئيس المصلحة مسؤول عن نشاط مصلحته تجاه المستشار المرتبط به والامين العام.

والامين العام ومن وزراء الحزب ونوابه ونوابه السابقين والمستشارين ومن خمسة اعضاء آخرين ينتخبهم مجلس الحزب المركزي لمدة سنتين قابلة للتجديد . ونلاحظ التطور الجديد اذا ما ذكرنا ان شغل المناصب التنفيذية جميعها كان يتم بالتعيين المباشر من قبل رئيس الحزب . وفي الحالات الطارئة والمستعجلة جدا حيث لا يسمح الوقت فيها بجمع جميع اعضاء المكتب السياسي بكامله يفوض المكتب السياسي هيئة خاصة مؤلفة من الرئيس والامين العام ونواب الحزب ووزرائه لاتخاذ القرارات ، على ان تعرض هذه القرارات على المكتب السياسي في اول جلسة عادية يعقدها . ويجتمع المكتب السياسي مرة في الاسبوع على الاقل .

يرئس رئيس الحزب المكتب السياسي والمجلس المركزي ويمثل الحزب امام جميع الجهات والهيئات الرسمية . ويضمن تنفيذ قرارات المكتب ويتمتع بالصلاحيات الضرورية لذلك(٢٨) . وتتخذ القرارات السياسية في المكتب على اساس الاغلبية البسيطة بين الحضور ، ويحق للرئيس البت في أي أمر يصل طريقا مسدودا(٢٩) . ويساعد الرئيس نائب وامين عام . ويقوم الامين العام بمسؤولية الامانة العامة للمكتب السياسي كما يقوم بالارتباط بين المكتب السياسي وسائر مصالح الحزب ، وينسق بين الهيئات الادارية المعديدة في الحزب ويشرف عليها(٣٠) . والواقع انه الرجل الثاني في الحزب من حيث القوة لانه يستطيع وضع جدول الاعمال الذي يترتب على المكتب السياسي التصرف بشأن موضوعاته . وهو صلة الوصل بين الاعضاء والقيادة .

وعدا رئيس الحزب ونائبه والاعضاء الخمسة المنتخبين في المكتب السياسي فان بقية الكوادر القيادية في الحزب يعينون تعيينا . ومهما كان مجر ذلك ، فانه قد عزز السيطرة المركزية على صفوف الحزب وهيئاته الادارية والسياسية مما خفف فرمة الخلاف الداخلي او الانشقاقات(٣١) . وان سلطة المكتب السياسي تشمل جميع جوانب الحياة الحزبية . وذات اهمية خاصة سيطرة المكتب السياسي على النواب الكتائبيين في مجلس النواب . فقد ذكر النائب الكتائبي السابق سمير اسحق انه كان اثناء وجوده في مجلس النواب يطبع الحزب

٩ - مصلحة الائتم : تنظيم اجهزة الحزب في الائتم ومراقبة نشاطها الاداري .

١٠ - مصلحة الامن : تتولى شؤون الامن الداخلي والخارجي في الحزب .

١١ - مصلحة الرياضة : تنظيم الرياضة والقريبة البدنية في الحزب .

١٢ - مصلحة المالية واللوازم : ادارة مالية الحزب وتأمين ادارة صحفه والمحافظة على اللوازم .

١٣ - مصلحة الحشد : تسجيل الاعضاء وتوجيه الاعضاء العاملين نحو مصالح الحزب المختلفة .

١٤ - مصلحة بيروت : تنظيم مختلف اجهزة الحزب في مدينة بيروت وادارتها .

١٥ - مصلحة الشؤون الاقتصادية : درس القضايا الاقتصادية التي تم الاقتصاد الوطني في جميع فروعه .

١٦ - مصلحة الشؤون الاجتماعية : الاهتمام بالقضايا الاجتماعية وتنظيم خلايا مهنية وعملية داخل الحزب .

يعقد في اواخر ايلول من كل عام المؤتمر العام للحزب . وقد بدأ هذا المؤتمر في العام ١٩٥٦ بهدف الانتماء مرة كل عامين . وقد علق انتمائه اثناء انتفاضة ١٩٥٨ واستؤنف على اساس سنوي في العام ١٩٥٩ . قبل المؤتمر العام وجد المجلس العام على ان يعقد مرة كل ستة اشهر لمناقشة الشؤون العامة للحزب الا ان المجلس لم يكن منتظما وسرعان ما حل محله المؤتمر العام .

يحضر المؤتمر العام اعضاء المجلس المركزي الذين يتبعون بحقوق العضوية التامة والمكتب الدائم للمؤتمر وممثلان عن كل مصلحة واقليم ومقاطعة ومنطقة وعشرون عضوا يختارهم المكتب السياسي . وقد اكتسب المؤتمر اهمية متزايدة كهيئة استشارية دورية ومثير دعائي . وتشكل بيانات الرئيس وتقارير الامين العام امام المؤتمر مصادر مهمة عن تطور الحزب .

اما الوحدة الاساسية في البنية التنظيمية للحزب فهي القسم الذي يضم اعضاء على اساس جغرافي محدد مثل القرية في المناطق او الحي في المدينة . وهناك بضع مئات من الاقسام في بيروت و٢٥٦

ويقترح على المكتب السياسي تعيين او فصل اي عضو تابع لمصلحته وذلك بالاتفاق مع المستشار . وللصحة وظيفتان هما توجيه التنظيم الاداري للحزب وتقديم التقارير للمكتب السياسي والوزراء والنواب الكتائبيين حسب الحاجة . وفي الاحوال العادية تضمن المصالح سير الاعمال الادارية الروتينية سيرا فعلا . الا انه في الازمات والطوارئ يتسلم رئيس مصلحة بيروت قيادة كوار الحزب وقواته شبه العسكرية خاضعا لسيطرة وتوجيه المكتب السياسي الذي يعين احد اعضاءه لهذه المهمة المعينة . وفيما يلي اسما المصالح ووظائفها :

١ - مصلحة الامانة العامة : تعاون الامين العام في القيام بوظائفه وتتولى ادارة البيت المركزي في بيروت .

٢ - مصلحة المراقبة : تتولى مراقبة نشاط الحزب الاداري وتقدم الاصلاحات اللازمة لتحسين التنظيم وسير العمل في سائر المصالح .

٣ - مصلحة العقيدة : تتولى امور عقيدة الحزب وتطوراتها وتعليمها .

٤ - مصلحة الدعاية : تتولى الدعاية الداخلية والخارجية للحزب ، والاهتمام بالصحافة الوطنية والاجنبية والاطلاع عليها ، ومراقبة صحف الحزب وتأمين الاتصال بين الحزب والصحافة .

٥ - مصلحة الدروس : تتولى اعداد الدروس وجمع الودائع الضرورية للحزب .

٦ - مصلحة القضايا النسائية : تتولى الاهتمام بكل القضايا التي تم المرأة اللبنانية والحركات النسائية الوطنية والدولية .

٧ - مصلحة الهجرة والتوطن : تدرس جميع المعضلات الناجمة عن الهجرة والتوطن ، وهي مكلفة بتوطيد العلاقات بين الوطن الاول والمغتربين وبحث الوسائل الكفيلة بمنع الهجرة وتسهيل عودة المغتربين ، ومراقبة شؤون التوطن والتوطين .

٨ - مصلحة الانتخابات : تهتم بجميع القضايا الانتخابية التي تم الحزب ، وهي ملزمة بالتالي بتنظيم الدوائر الانتخابية واعداد وتنظيم الناخبين في الحزب واعداد الانتخابات من الوجهتين السياسية والتنظيمية .

التنظيم الاقليمي ١٩٦٨ - ١٩٦٩ (٢٨)

المحافظات	الاقليم	الاقسام
جبل لبنان	المتن	٣٨
	بعبدأ	٣٢
	كسروان	٤٣
	الشوف	٢٥
	عاليه	٢١
	جبييل	١٥
١٧٤		
جنوب لبنان	الزهراني	١٣
	جزين	٢١
	حاصبيا - مرجعيون	١٥
	النبطية	١٠
	بنت جبيل	١٥
	صور	٩
٨٣		
شمال لبنان	عكار	٦
	الكلية	١٦
	بشري	١٠
	زغرتا	١٢
	طرابلس	٢
	البترون	٢٥
٧١		
البقاع	زحلة	٢٢
	بعلبك - الهرمل	٦
٢٥٦		
المجموع		

قوات الحزب

تشكل الفرقة العنصر الاساسي في قوات الحزب النضالية التي انشئت في اعقاب احداث العام ١٩٥٨ . وقد أشار الى هذه النقطة تقرير الامين العام جوزف سعادة في المؤتمر العام التاسع عام ١٩٦٦ (٢٩) . ويتبع كل قسم من اقسام الحزب فرقة بقيادة رئيس القسم ، ومهمته الرئيسية تنفيذ الاجراءات الضرورية المطلوبة للدفاع عن أمن الحزب وأعضائه في الاحوال الطارئة (٤٠) . وفي حديث ادلى به الى جريدة العمل ، لسان حال الكتائب

تسما اقليميا (سنة ١٩٦٩) على اساس الكثافة السكانية في المحافظات اللبنانية الاربعة . وينشأ القسم عن طريق المكتب السياسي الذي يحدد المساحة الجغرافية والمجال العملي لكل قسم . وتنشأ الاقسام في بيروت بناء على توصية مصلحة بيروت بناء على الحاجات والمطالبات المحلية . وعلى رأس كل قسم رئيس تساعده عمدة مؤلفة من نائب رئيس وامين سر ومحاسب على الاقل . ويعين رؤساء الاقسام بواسطة المكتب السياسي بعد التشاور مع رؤساء الاقاليم .

وهدف القسم حشد التأييد الجماهيري . فالحزب ينشئ القسم في اصغر القرى أملا في ١ - حشد اعداد كبيرة من الناس للانتخاب الى جانبه ، ٢ - ونشر ايدولوجية الحزب ، ٣ - اعداد الاهلين للعمل شبه العسكري عند الحاجة .

وجاء في تقرير الامين العام جوزف سعادة في المؤتمر العام الخامس للحزب في شتوره في ١٩/٢٨/١٩٦٢ انه في الواقع أظهر القسم ضعفات عدة انسانية وبنوية . فهناك عدم قدرة عن الاداء القيادي لرؤساء الاقسام . وعزا ذلك الى النقص في العملية الانتقالية للحزب من مؤسسة شبه عسكرية الى منظمة سياسية . فقد اصبح قادة الفرق السابقين رؤساء اقسام في معظم الحالات . وهؤلاء اعتادوا في السابق تلقي الاوامر وتنفيذها دون نقاش . ومهمة رئيس القسم تتطلب استقلالية في العمل وخبرة ادارية وحكمة سياسية . لقد انتقلت عقلية الفرقة الى شكل تنظيمي جديد . وفي الاحوال المستقرة سياسيا استقرارا نسبيا لا يستطيع القسم الحفاظ على الالتزام المطلوب من العضو العامل . وليس من غير المألوف ان تكون نسبة الغياب في الاجتماعات الشهرية للقسم ٥٠ ٪ او اكثر (٢٦) . وذكر سعادة ايضا ان الخطأ الرئيسي للحزب هو انه لم يركز على العقيدة اساسا للقسم بل على الخدمات والشؤون اليومية (٢٧) .

وفيما يلي لائحة ايضاحية بتوزيع الاقسام الجغرافي :

النظامي الى العمل السياسي ، هذا عدا عن ان فصلها عن القسم بفقده العناصر الفتية ويضعف حيويته» (٤١).

وعندما توكل مهمة القيام بأعمال معينة الى القوى النظامية يفترض ان تلقى أوامرها وأسا من قادتها بالتسلسل . بينما توضع هذه القوى في حالة الطوارئ بتصرف القيادة المركزية وكذلك اثناء النشاطات التدريبية والامور التابعة للتدريب وداخل المخيمات . وذكر حاوي ان نظاما جديدا للقوات النظامية قيد الاعداد (٤٢). والعضوية في القوات الزامية لجميع الاعضاء الذين دون الحادية والعشرين وطوعية للطلاب الذين تجاوزوا الحادية والعشرين (٤٣).

الخلية الكتائبية

الخلية هي الوحدة التنظيمية الاساسية الثانية بعد الفرقة وتقوم على اساس العمل او الوظيفة لا على اساس جغرافي . وهي ليست الوحدة الاساسية في تنظيم الحزب كما هو الحال في الحزب الشيوعي مثلا . وتخضع الخلية لمصلحة الشؤون الاجتماعية في الحزب . وقد ضمت الخلايا موظفين وعمالا ومحامين منذ ان تأسست في العام ١٩٥٥ بهدف القيام بوظيفة القسم وللخلية أهداف ثلاثة : اولا ، بحث حس بالمسؤولية الاجتماعية في صفوف الاعضاء . ثانيا ، خلق بيئة جديدة للتوجيه وحشد الاعضاء . ثالثا ، مواجهة اية اتجاهات شيوعية او اشتراكية في نقابات العمال وذلك من الداخل (٤٤).

العضوية

في الثلاثينات وأوائل الاربعينات كان الحزب ينظر الى نفسه كجمعية وطنية رياضية ثم كمنظمة شعبية وطنية وكانت العضوية محصورة بين يمتنعون باللياقة البدنية من الذكور بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين . وعندما ظهر ان الاقبال على دخول الحزب بقي ضئيلا اصبح السن المطلوب للعضوية ١٥ - ٤٥ سنة .

وعدلت شروط العضوية في العام ١٩٥٢ تعديلا واسعا بحيث اصبح بإمكان اي لبناني او لبنانية بلغ الحادية والعشرين فما فوق ان يتقدم بطلب العضو العامل . وبإمكان اي لبناني او لبنانية ان يكون مؤيدا بمجرد التقدم بطلب خطي الى المكتب

اللبنانية ، تحدث وليم حاوي ، عضو المكتب السياسي في حزب الكتائب ورئيس مجلس الامن في الحزب ، عن تطور القوى النظامية فقال ان الكتائبيين كانوا يقومون بالتدريب ايام الانتداب الفرنسي على اعتبار ان « التدريب هو الوسيلة الوحيدة لانتزاع الاستقلال » . وتابع قائلا انه بعد تحقيق الاستقلال اصبح للبلاد جيشها وقوى أمنها مما جعل القيادة الكتائبية لا ترى لزوما للنشاط شبه العسكري « وأصبح من الأفضل ان تتحول الكتائب الى حزب سياسي مع المحافظة على الطابع الرياضي والروح الانضباطية كي تبقى للحزب تعاليمه بعيدا عن الفوضى والميوعة » . الا ان بعض الاحداث « المتعلمة » والحركات « المشبوهة » التي تقع في البلاد لا تستطيع قوى الامن الوقوف بوجهها ولا يستطيع الجيش ان يتدخل ، « بل لعوامل كثيرة لا مجال لذكرها كنا نرى هذه القوى مقلوبة الايدي أمام تصرفات شاذة وأخطار كثيرة » . ويرى حاوي انه لذلك قرر الحزب العودة الى التدريب العسكري « بغية الحفاظ على الكيان اللبناني » وعلى جو الحرية في البلاد وبغية ان يتمكن من وضع نفسه بحالة مقبولة تحت تصرف الجيش اذا ما دبت الفوضى وتعرض الاستقلال للخطر وتزعزع الكيان . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية غدا الحزب بحاجة الى القوى النظامية لحفظ أمنه في المهرجانات والحفلات الكتائبية وللمحافظة على البيوت الكتائبية . « ومما لا شك فيه ان وجود القوى النظامية الكتائبية قد وفر الكثير من الخضات على البلاد وقد احبط الكثير من المؤامرات التي تحاك بالخفاء ضد أمن لبنان وسلامة شعبه » . وازداد ان القوى النظامية في الكتائب هي « للردع والمحافظة على سلامة الوطن ليس الا ، وأكثر من مرة وضع المكتب السياسي هذه القوى بتصرف الجيش ، ولم تسمح الكتائب لنفسها مرة بأن تقدم على اي تصرفات بواسطتها قد تعترض مهمة الجيش او تخرج موقفه تجاه الأخطار المحدقة بالوطن » . وأوضح حاوي بأن للكتائبسي مهمتين سياسية - ادارية ونظامية وان من الأفضل ان تبقى القوى النظامية ، كما هو الحال ، خاضعة لقيادات الانضمام في الظروف العادية « لانها يجب ان تترس أيضا بالأعمال السياسية حتى عندما تصبح في غير معين تنتقل ، اذا شامت ، بصورة طبيعية من العمل

عدد الاعضاء العاملين والمؤيدين (٤٩)

١٩٢٧ - ١٩٧٠

العدد	السنة	العدد	السنة
٢٦٤٠٠٠	١٩٥٤	٣٠٠	١٩٣٦
٢٨٤٦٠٠	١٩٥٥	٨٤٠٠٠	١٩٣٧
٢٦٤٥٠٠	١٩٥٦	٢١٤٠٠٠	١٩٣٨
٣٦٤٥٠٠	١٩٥٧	٢٢٤٠٠٠	١٩٣٩
٤٢٤٢٠٠	١٩٥٨	٢٢٤٠٠٠	١٩٤٠
٦٢٤٠٠٠	١٩٥٩	٢٤٤٠٠٠	١٩٤١
٤٣٤٣٠٠	١٩٦٠	٣٥٤٠٠٠	١٩٤٢
٤٢٤٠٠٠	١٩٦١	٣٨٤٠٠٠	١٩٤٣
٣٨٤٣٠٠	١٩٦٢	٣٩٤٠٠٠	١٩٤٤
٣٦٤٠٠٠	١٩٦٣	٣٩٤٠٠٠	١٩٤٥
٣٦٤٠٠٠	١٩٦٤	٤٠٤٠٠٠	١٩٤٦
٣٨٤٣٢٠	١٩٦٥	٤٠٤٠٠٠	١٩٤٧
٥٥٤٦٠٠	١٩٦٦	٤٠٤٠٠٠	١٩٤٨
٦٣٤٥٠٠	١٩٦٧	٣٨٤٥٠٠	١٩٤٩
٦٤٤٢٠٠	١٩٦٨	٣٥٤٠٠٠	١٩٥٠
٦٥٤٦٢٠	١٩٦٩	٢٩٤٠٠٠	١٩٥١
٧٠٤٠٠٠	١٩٧٠	٢٣٤٥٠٠	١٩٥٢
		٢٦٤٠٠٠	١٩٥٣

(تقريباً)

لقد ارتفع عدد الاعضاء ارتفاعاً دراماتيكيًا في العام ١٩٣٨ اثر « معمودية الدم » في تشرين الثاني ١٩٣٧ حيث جرى اصطدام مع الشرطة الفرنسية جرح فيه رئيس الحزب بطرس الجبيل . كما وان الرقم ٢١٠٠٠ يعكس ادخال نوع جديد من الاعضاء هو المؤيدون . اما ارتفاع عدد الاعضاء في العام ١٩٤٢ فيفسره قبول النساء اعضاء رسميين في الحزب . ومع ان هذا الاجراء يمكن نسبته لاعتبارات اجتماعية (المساواة) الا ان الدافع الاكبر هو الدافع الديمغرافي ، فقد وجدت الكتائب من الصعب للغاية بسبب توجهها الايديولوجي وبرامجها ، خاصة بعد بروز الشعور القومي العربي ، حشد الاعضاء في صفوف المسلمين الذين هم نصف السكان على الاقل . وهكذا انحصرت العضوية بالنصف المسيحي الاخر من السكان الذي كان بدوره منقسماً بالتساوي تقريباً بين الرجال والنساء (٥) .

وتشكل النساء حالياً عنصراً مهماً في تطور

السياسي والحصول على موافقته (٤٥) . والفرق بين النوعين يعتمد على درجة المشاركة في العمل الحزبي أي في الاجتماعات والحشد والحملات . يضاف الى هذين النوعين « الاصدقاء » وهم جماعة غير رسمية تساعد الحزب مالياً وفي اثناء الحملات الانتخابية .

وتوجد بين الاعضاء العاملين جماعة من الاعضاء النشطين الذين يحضرون الاجتماعات الحزبية بانتظام ويدفعون الالتزام المالي الشهري بانتظام ويشاركون مشاركة نشطة في حياة الحزب عموماً . وفي الاحوال العادية تؤلف هذه الجماعة ٣٠ ٪ من الاعضاء العاملين ، الا ان هذا الرقم يرتفع ارتفاعاً دراماتيكيًا في اوقات الشدة في البلاد او حتى وقت الانتخابات (٤٦) .

ويرى انطليس ان دافع المتقدم بطلب العضوية اساسه اربعة عوامل : اولاً ، احد اقربائه عضو رسمي في الحزب او متحمس له . ثانياً ، تطلعات اجتماعية بحيث يمكن تحقيق مركز اجتماعي . ثالثاً ، طموحات سياسية . رابعاً ، طرح الحزب نفسه مدافعاً او حامياً لاستقلال لبنان (٤٧) .

اما محاولة تحديد عدد اعضاء الحزب فتواجه مشاكل ثلاث : ١ - المشكلة الاحصائية حيث لا توجد ارقام مبنية عليها عن الفترة ما قبل العام ١٩٤٨ . أما الإرقام المتعلقة بجميع الفترات فهي مجرد ارقام تقريبية مستمدة من التصريحات العامة وكتيبات الحزب والمقابلات الشخصية . ٢ - وحينما توجد ارقام تكون مضخمة جداً « لاسباب بيئة » . ٣ - يتردد موظفو الحزب للغاية في فتح ملفات العضوية سواء للمراجعة الخاصة او العامة . ولا بد من الملاحظة ايضاً ان ارقام التالية حول عدد الاعضاء تشمل العاملين والمؤيدين . أما اصدقاء الكتائب وهم الذين يصوتون الى جانبهم في الانتخابات العامة فقد يبلغ عددهم عشرة اضعاف عدد الاعضاء العاملين ولا تشملهم ارقام .

وكون الحزب تنظيمياً قومياً لبنانياً يجعل من عدد اعضائه يميل الى التقلب وفقاً لحدوث الازمات السياسية المحلية او في اثناء الانتخابات العامة اي عندما يواجه النظام السياسي تحدياً او تهديداً او تغييراً .

ان هذه النسب تبين ان الحزب يبقى شابا .
والتأكيد على عنصر الشباب هو عودة الى اصول
الحزب العسكرية والرياضية . وان نصف الاعضاء
تقريبا (٤١ ٪) دون الخامسة والعشرين . وقد
ركز جوزف مسعاده على عنصر الشباب ولاحظ ان
افضل مكان لحضدهم هو المدارس والجامعات (٥٢).

التوزيع السنوي للاعضاء (٥٤)

السن	٢٠-٢١	٢٥-٢٦	٤٥-٤٦	٦٠-٦١	٦٠-٦١
النسبة المئوية	٢٦	٥٠	١٨	١	١
الاعضاء	١٥	٢٦	٥٠	١٨	١
العاملين	١٥	٢٦	٥٠	١٨	١

ان كوادرات الصف الثاني في الحزب والذين تتراوح
اعمارهم بين ٢٦ - ٤٥ سنة صنعوا من واحدة او
اكثر من منظمات الشباب التابعة للحزب ومصالحه .
اما الاقلية الصغيرة في الحزب من حيث السن (٥٠)
علما او يزيد والتي تشكل ٩ ٪ من اعضاء الحزب)
غني اعجز عن ان تستجيب للمطالب السياسية
والاجتماعية والجسدية في الحزب . وهم عادة جماعة
لم تستطع تحقيق تطلعاتها الذاتية التي كانت من
دوافعهم لدخول الحزب منذ البداية . وبينما قد
ينسحب الاعضاء الاكبر سنا من صفوف الحزب الا
انهم يبقون مؤيدين اشداء لقضايا الحزب ويتبرعون
له بببالغ كبيرة من المال (٥٥).

ومن حيث التوزيع الاقليمي للاعضاء فان ٥٠ ٪
منهم مركزة في محافظة جبل لبنان . وعشرون بالمئة
(٢٠ ٪) من الاعضاء موجود في بيروت . أما
الثلاثون بالمئة (٣٠ ٪) المتبقون موزعين في بقية
المحافظات . وفي السنوات الاخيرة من الستينات
مارس الحزب جهدا مركزا لحشد الاعضاء في
المناطق الريفية في الجنوب والبقاع . وقد ذكر تقرير
الامين العام في العام ١٩٦٨ ان عدد الطلبات التي
وردت للانتساب من الجنوب والبقاع معا بلغ عدد
الطلبات التي وردت من جبل لبنان . وفسر الامين
العام للحزب هذه الظاهرة بانها اتجه نحو الحزب
يهدف للتخلص من التقليد الاقطاعي (٥٦).

وكون الحزب في معظمه من الطبقة المتوسطة فانه

الحزب حيث ان مصلحة النساء تحشد الاعضاء
وتشرف عليهن ، ويشتركن في التدريب شبه
العسكري وفي مخيمات العمل الصيفي . وتشكل
النساء نحو ١٠ ٪ من مجموع الاعضاء العاملين
موزعات على المحافظات الخمس (٥١).

ومع تحقيق الاستقلال في العام ١٩٤٣ بدا ان
احد مقومات الكتائب قد زال وانعكس هذا بالتالي
على اعضاء الحزب الذي على الرغم من مشاركته
في الانتخابات الفرعية في جبل لبنان في آذار ١٩٤٥
فقد لقي مرشحه (الياس ربابي) تأييدا ضئيلا .
وهذا ما يفسر ضعف ما حققته الكتائب في الانتخابات
العامة في العام ١٩٤٧ . ومع جلاء القوات
الفرنسية نهائيا عن لبنان في العام ١٩٤٦ انخفضت
شعبية الكتائب ، الا ان الصورة ما لبثت ان
تغيرت نوعا ما مع تدخل الحزب مباشرة في انقلاب
العام ١٩٥٢ الذي ختم النشاط السياسي لبشارة
الخوري ، رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك .
وبعدما شارك الحزب في انتخابات العام ١٩٥٣ التي
شهد بعدها ازديادا تدريجيا في عدد الاعضاء . الا
ان نقطة التحول الحاسمة حصلت في اعقاب احداث
العام ١٩٥٨ . وبعد ذلك تثبت الحزب في النظام
السياسي اللبناني وازداد قوة .

ان العلاقة واضحة جدا بين نمو الحزب
والازمات . فعندما يبدو ان النظام السياسي مهدد
يتلقى الحزب مزيدا من طلبات الانتساب الجديدة .
ومع انخفاض الازمات وهدوئها تدريجيا ينسحب
الاعضاء ببطء وبشكل غير رسمي تماما من صفوف
الحزب . ان نسبة الاعضاء الذين يبقون طويلا في
الحزب هي ٢٤ ٪ .

معدل الخروج من الحزب (٥٢)

عدد السنوات	١-٦	١٠-١١	١٥-١٦	٢٠-٢١	٢٥-٢٦
النسبة المئوية من مجموع الاعضاء	٧٦	٨	٦	٦	٤

٦	الشيعة
*٢	اليهود
١	الدروز
١	السنة
٪١٠٠	المجموع

الوضع الطبقي

ينتمي معظم الكتابيين الى القطاعات التالية :

- ١ - الطلاب ٢ - صغار ملاكي الاراضي
- ٣ - الموظفون المدنيون والعاملون في الدرجة المتوسطة في إدارة الدولة ٤ - المحامون
- ٥ - المهنيون . ذلك وفقا لمعلومات تعود الى العام ١٩٥٤ .

وفي السنوات الاخيرة وصل الحزب الى الطبقة العاملة والعمال الزراعيين(١١). وكشف مسح جزئي اجري في العام ١٩٦٥ ان اكثر من ٤٠٪ من الاعضاء هم عمال وعمال زراعيين(١٢).

الا ان الحزب يبقي تحت سيطرة البرجوازية . ويتضح ذلك من التوزيع المهني لاعضاء المكتسب السياسي .

التوزيع المهني لاعضاء المكتب السياسي ١٩٧٠(١٣)

النسبة المئوية	العدد	المهنة
٤٧٫٦	١٠	محامون
١٩٫٠	٤	رجال اعمال
١٤٫٢	٣	صحافيون
٤٫٨	١	اقتصاديون
٤٫٨	١	صيادلة
٤٫٨	١	اطباء
٤٫٨	١	مربون (حملة نكتوراوه)
٪١٠٠	٢١	المجموع

وقد وصف انطليس الكتابيين وصفا جيدا بقوله: « رجل بلغ الرابعة والعشرين من عمره ، وماروني قضي في الحزب ١ - ٥ سنوات ويعيش في جبل لبنان واتم الدراسة الثانوية ومن اصل هو الطبقة المتوسطة الدنيا ، ويبقى هادئا سياسيا الان في اثناء الازمات الوطنية او الانتخابات النيابية ،

لم ينجح دوما في استقطاب الاعضاء من ابناء الطبقات الشعبية . لقد تلقى الحزب في اعقاب أحداث العام ١٩٥٨ دفقا هائلا من الاعضاء الجدد من الجنوب الا ان هؤلاء ما لبثوا ، بعد سنتين ان اخرجوا من الحزب او طهروا بسبب عدم الالتقاء الذي اتضح تدريجيا . ففي العام ١٩٦٠ وزع الحزب بطاقات هوية جديدة ترب على كل عضو حصلها . وبدعم اصدار بطاقات هوية لاولئك الاعضاء الذين لم يعد يرغب الحزب بهم حقق الحزب « تطهير » نحو ١٥٠٠٠ عضو « غير مرغوب فيه » (٥٧).

يعكس انتشار الحزب الاقليمي بشكل بارز الصفة الطائفية له . فهو يتركز في مناطق مسيحية سوادها الاعظم من الوارثة . ويقول كريم بقرادوني ان الموقف القومي اللبناني الكتابي هو الذي يفسر كون الغالبية السائدة في عضويته من المسيحيين : « الحقيقة ان فكرة الامة اللبنانية تطابقت في العام ١٩٣٦ ولا زالت مع تطلعات الطائفة المسيحية . ويمكن القول عموما ان المسيحيين لبنانيين اكثر منهم عربيا بينما المسلمون عرب اكثر منهم لبنانيين . وهكذا كان طبيعيا ان تجد الطائفة المسيحية التعبير السياسي عنها في حزب الكتائب » (٥٨).

ولقد تعاطفت الطائفة اليهودية (٦٠٠٠) في لبنان مع الكتائب على الرغم من ان عددا قليلا من افرادها ينضمون رسميا للحزب (١٪) . الا انهم يصوتون بكل قوتهم الانتخابية لمرشحي الكتائب . ويوجد في دائرة بيروت الانتخابية الاولى حيث يخوض الحزب معركة الانتخابية ٤٤٣٢٩ صوتا يهوديا معظمهم انتخب قائمة الكتائب في انتخابات العام ١٩٦٨ (٥٩).

اما الارمن فلهم جماعاتهم السياسية الخاصة بهم والتي ترعى مصالح جماعتها من الارمن . الا ان اكبر الاحزاب الارمنية (الطشقاق) يتحالف في الانتخابات مع الكتائب .

التوزيع الطائفي للكتائب(٦٠)

الطائفة	النسبة المئوية من الاعضاء
الموارنة	٨٠
الطوائف المسيحية الاخرى	١٠

باستمرار الى الاستفزاز وافتعال الحوادث كما حصل في حادثتي الكحالة وعين الرمانة .

تلك هي الكتائب اللبنانية ايدولوجيا وتنظيميا . اما ممارساتها ومواقفها من القضية العربية وال فلسطينية خاصة في السنوات السبع الاخيرة فتحتاج الى دراسة منفصلة .

- ١١ - المصدر ذاته ، ص ٨٥ ، ٨٨ - ٨٩ .
 - ١٢ - المصدر ذاته ، ص ٤٢ - ٤٣ .
 - ١٣ - المصدر ذاته ، ص ١٢٣ .
 - ١٤ - المصدر ذاته ، ص ١٢٤ .
 - ١٥ - المصدر ذاته .
 - ١٦ - Entelis, J. P. «Belief - system and Ideology Formation in the Lebanese Kataib Party», *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 4, 1973, pp. 154-156.
- انظر ايضا الفصل الرابع من دراسة الكاتب نفسه المذكورة سابقا .
- ١٧ - انظر ، صايغ ، المصدر ذاته .
 - ١٨ - حول موقف الكتائب من القومية العربية انظر : الحمري ، ساطع ، **العروبة بين دعائها ومعارضتها** (بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦١) الطبعة الرابعة ، ص ٣٣ - ٦٣ ، ص ١٦٥ - ١٧١ .
 - ١٩ - *The Daily Star*, 2 March 1969 .
 - ٢٠ - العمل ، ١٩٦٩/٣/٧ .
 - ٢١ - بيان الجيئل الى المؤتمر العام ١٩٦٧ .
 - ٢٢ - Entelis, *Op. Cit.*, pp. 160 - 161 .
 - ٢٣ - القانون الاساسي (بيروت ، اول اصدار ١٩٣٧) ، المادة ١٨ .
 - ٢٤ - الاوربان ، ١٩٣٦/١٢/١٦ ، نقلا عن انطليس ص ١٥٥ .
 - ٢٥ - القانون الاساسي ، المواد ٢٤ - ٣٠ .
 - ٢٦ - Entelis ، المصدر ذاته ، ص ١٦١ .
 - ٢٧ - المصدر ذاته ، ص ١٦٣ .
 - ٢٨ - النظام العام ، المادتان ١٥ - ١٦ .
 - ٢٩ - نظام المكتب السياسي ، المادة ٤ .
 - ٣٠ - النظام العام ، المواد ١٨ - ٢٠ .
 - ٣١ - Entelis ، المصدر ذاته ، ص ١٦٩ .

ويساوي بين الكتائب ولبنان ويقدم الشيخ بيار [الجيئل ، رئيس الحزب] « (١٤) .

وعدد انطليس مشاكل حشد الاعضاء وبرزها العجز النسبي عن اثارة الاهتمام العام في اثناء فترات الاستقرار السياسي (١٥) . وهذه نقطة مهمة اذا ما ذكرنا كيفية نمو الكتائب على الازمات في تاريخ تطورها . وهذا ما قد يفسر لجوء الكتائب

- ١ - **الكتائب اللبنانية : حزب ديمقراطي اجتماعي** (لا تاريخ ولا ناشر) ، ص ٦ - ١٠ . الا انه يبدو من الصفحة ١٢ ان الكتاب صدر بعد انقضاء ٢١ سنة على نشأة الكتائب اللبنانية .
 - ٢ - صايغ ، انيس ، **لبنان الطائفي** (بيروت : دار الصراع الفكري ، ١٩٥٥) ، ص ١٥١ .
 - Laursen, Richard Hans, *The Kataib: A Comprehensive Study of a Lebanese Political Party*.
- رسالة ماجستير غير منشورة في الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٥١ .
- ٣ - Entelis, J. P. *The Lebanese Kataib: Party Transformation and System Maintenance in a Multiconfessional Society*, (Unpublished Ph. D. dissertation, New York University, 1970), p. 121.
 - ٤ - حزب الاتحاد اللبناني (الكتائب اللبنانية) ، **المدرسة الكتائبية الاعدادية** ، (بيروت ، مطبعة فاضل وجيئل ، ١٩٥٠) ، القسم الثالث ١ - ٧ .
 - ٥ - **ميثاق الكتائب الوطني** ، (بيروت ، لا ناشر ولا تاريخ) ، ص ١ .
 - ٦ - الاشقر ، جميل جبر ، **الحركة الكتائبية : مفهوم عقيدتها ، تاريخها ، اهدافها** ، (بيروت ، مطبعة العمل اللبنانية ١٩٤٩) ، ص ١١٥ ، ١١٦ .
 - ٧ - المصدر ذاته .
 - ٨ - Entelis ، المصدر ذاته ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
 - ٩ - المصدر ذاته ، ص ١٢٧ .
 - ١٠ - ناجي ، امين ، **فلسفة العقيدة الكتائبية** ، (بيروت ، منشورات الكتائب اللبنانية ، ١٩٦٦) ص ٢٤ .

- ٢٢ — المصدر ذاته ، ص ١٧٠ .
- ٢٣ — النظام العام ، المادة ٤٤ .
- ٢٤ — Entelis ، المصدر ذاته ، ص ١٧٢ .
- ٢٥ — النظام العام ، المواد ٢٢ — ٤٢ .
- ٢٦ — تقرير الامين العام ، (شتوره ، المؤتمر العام الخامس ، ١٩٦٢/٩/٢٨) .
- ٢٧ — تقرير الامين العام ، (شتوره ، المؤتمر السابع ، ٢ — ١٩٦٤/١٠/٤) .
- ٢٨ — Entelis ، ص ١٧٧ ، نقلًا عن نشرة مطبوعة على الآلة الكاتبة عام ١٩٦٩ .
- ٢٩ — تقرير الامين العام ، (شتوره ، المؤتمر العام السابع ، ٢٢ — ١٩٦٦/٩/٢٥) .
- ٤٠ — نظام القوات النظامية ، (بيروت ، ١/٢٣/١٩٦١) ، المادة ١١ . نقلًا عن Entelis المصدر ذاته ، ص ١٨٢ .
- ٤١ — العمل ، ١٩٧٠/٩/٣٠ .
- ٤٢ — المصدر ذاته .
- ٤٣ — نظام القوات ، المادة ١٤ .
- ٤٤ — Entelis ، المصدر ذاته ، ص ١٨٤ — ١٨٦ .
- ٤٥ — النظام العام ، المادتان ٣ و ٥ .
- ٤٦ — Entelis ، المصدر ذاته ، ص ١٩٧ .
- ٤٧ — المصدر ذاته ، ص ١٩٨ .
- ٤٨ — المصدر ذاته ، ص ١٩٨ — ١٩٩ .
- ٤٩ — انطليين ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٠ .
- ٥٠ — بقردوني ، كريم ، بنية الكنائس (بالفرنسية) (بيروت ، ١٩٦٧/٩/٢٧) ، وهي رسالة جامعية غير منشورة) ، ص ٥٣ .
- ٥١ — تقرير الامين العام ، (شتوره ، المؤتمر العام الخامس ، ١٩٦٢/٩/٢٨) .
- ٥٢ — تقرير الامين العام ، المؤتمر العام الخامس ، ١٩٦٢/٩/٢٨ Magazine (بيروت) ، ١/٢/١٩٦٨ ، ص ٤١ .
- ٥٣ — تقرير الامين العام ، (شتوره ، المؤتمر العام السابع ، ١٩٦٨/٩/٢٠) .
- ٥٤ — تقرير الامين العام ، ١٩٦٢ .
- ٥٥ — Entelis ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
- ٥٦ — تقرير الامين العام ، (شتوره ، المؤتمر العام الحادي عشر ، ١٩٦٨/٩/٢٠) .
- ٥٧ — Entelis ، المصدر ذاته ، حاشية رقم ٢٦ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ . وذلك نقلًا عن سمير اسحق ، النائب الكتائبي السابق ، في مقابلة مع انطليس في بيروت بتاريخ ١٩٦٨/١١/٦ .
- ٥٨ — بقرادوني ، المصدر ذاته ، ص ١٣٧ .
- ٥٩ — Entelis ، المصدر ذاته ، ص ٢١٦ .
- * ذكر انطليس في مكان آخر ان نسبة اليهود ١٪ .
- ٦٠ — انطليس ، المصدر ذاته ، ص ٢١٢ .
- ٦١ — المصدر ذاته ، ص ٢١٧ .
- ٦٢ — العمل (عدد خاص) ، ١٩٦٥/١١/٢٨ ، ص ٣٧ .
- ٦٣ — انطليس ، المصدر ذاته ، ص ٢٣١ .
- ٦٤ — انطليس ، المصدر ذاته ، ص ٢١٨ .
- ٦٥ — المصدر ذاته ، ص ٢١٩ .

تغييرت الرياح لصالح فلسطين

إيثيل مانين

يسر « شؤون فلسطينية » أن تنشر ترجمة لرسالة خاصة تلقته من الكاتبة البريطانية المعروفة إيثيل مانين .

لقد هبت الرياح في حزيران — يونيو ١٩٦٧ ، عندما فقد الفلسطينيون بقية أرض وطنهم لصالح الدولة الصهيونية ، ولكنهم — مع ذلك — انشأوا هويتهم الوطنية . أما في ما يسمى بحرب يوم الغفران ، في تشرين الاول — اكتوبر ١٩٧٣ ، فان الرياح هبت بقوة أشد ، وردت الكرامة للعالم العربي عامة ، وأكدت على وجه الخصوص الهوية الوطنية الفلسطينية . ثم جاءت قمة الرباط التي قرر الزعماء العرب فيها الاعتراف بحق منظمة التحرير الفلسطينية باقامة دولة مستقلة في أي جزء من فلسطين تنسحب منه اسرائيل ، وحقها في تحديد الحقوق الوطنية للفلسطينيين . وغداة هذه القمة ، وقف ياسر عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عارضا قضية فلسطين ، ويخاطبها بصفتها الممثل الاوحد للشعب الفلسطيني ، واستقبلته هذه الجمعية بحفاوة حماسية بارزة . ولقد كان يبدو على الدوام أمرا مستحيلا ، أن يتخلى الملك حسين للفلسطينيين عن مزاعمه في الضفة الغربية لنهر الاردن — في حال انهاء اسرائيل لاحتلالها لهذه المنطقة — ، ومع ذلك فلقد كانت رياح التغيير من القوة بحيث انها أوصلت الملك حسين الى اعلان استعداداه لذلك .

ان هناك حججا يمكن ايرادها لصالح أو ضد فكرة اقامة دولة فلسطينية في جزء من فلسطين ، حين يكون المقصود هو تحرير كامل فلسطين ، وأنه ليس في نيتي أن أطرح جدالا في هذا المقام ، لكن العالم الخارجي ينظر الى هذه المسألة جديا باعتبارها معيارا لتبدل الرياح التي تعصف بالمرح الفلسطيني منذ حرب ١٩٦٧ ، وبشكل أقوى منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وقبل أن تتحول الهزيمة المادية في حرب حزيران الى ظفر معنوي عميق ، كانت منظمة التحرير الفلسطينية في نظر العالم الخارجي مجرد زمرة من رجال العصابات الخارجيين على القانون وغير الشرعيين ، ولم يكن الفلسطينيون مسوى مجموعة من الرعاع « اللاجئين » السقيمين في مخيمات منشورة في الشرق الاوسط ، أو المشتتين في المنافي والمهاجر ، في « شتات » فلسطيني يمتد في أربع جهات الارض . ولقد كان بوسع السيدة مئير عندئذ أن تطلع بتصريحها المذهل الذي قالت فيه انه لا يوجد فلسطينيون ، دون أن تجعل من نفسها حقا مثيرة للضحك . وقبل ١٩٦٧ كان بوسع المرء أن يعد على أصابع اليد الواحدة ، الاصوات التي كانت ترتفع في بلد غربي مثل انجلترا لصالح قضية فلسطين . لكن رياح التغيير هبت بعدئذ بقوة عاتية في صالح هذه القضية .

في عام ١٩٧٣ ، نشرت السيدة مرجريت أراكي* كتابها الواقعي الموجز « سيف العدالة المكسور ، أميركا واسرائيل والمأساة الفلسطينية » . ان نشر هذا الكتاب المتصلب في انجلترا ، في غلاف سميك وفي غلاف ورقي معا وفي الوقت نفسه ، وان يخضع لراجعات موضوعية باعتبار ما يمثله من تحليل جاد ، لدلالة أخرى على مدى قوة الرياح التي هبت في شراع فلسطين خلال السنوات القليلة المنصرمة ، ولا تزال . ولقد كتبت السيدة أراكي في الفصل الختامي تقول ان كلمة « فلسطيني » لم تعد مرادفا لكلمة « لاجيء » ، والكاتبة تشير الى ان حركة المقاومة الفلسطينية قد أصبحت أقوى عناصر الحركة الفعالة في الشرق الاوسط .

وان السيدة أراكي تسترعي انتباهنا في كتابها ، الى امر مشجع وباعث على الامل وهو « الاقرار المتنامي في اسرائيل نفسها ، وليس في أوساط الشبيبة و« اليسار الجديد » فقط ، بما لحق بعرب فلسطين من غبن عندما أنشئت الدولة الصهيونية » . ان هذه ريح من رياح التبدل ، كان الكثيرون منا على وعي بها ، في وقت من الاوقات ، مع الشكر . ولقد سمعنا أصواتنا ترتفع في الدولة الصهيونية دفاعا عن حقوق الفلسطينيين ، كما سمعنا عن شبان يرفضون التجنيد في ما يعتبرونه عن حق جيش احتلال . ولقد نشرت هذه الانباء في الصحافة البريطانية في تقارير بعث بها مراسلون صحافيون مرموقون . ولطالما أعلنت قناعتني أنا نفسي ، بأن قضية فلسطين يمكن حلها من داخل اسرائيل نفسها ، بسبب جيل جديد طالع يبدأ بطرح التساؤلات : « من نحن ؟ ومن هم هؤلاء العرب ؟ وما هذه « الاسرائيل » ؟ وكيف رأت النور ؟ » — وهو جيل مقدر له ان يزداد استيعابا لتطور الصهيونية ودورها في خلق هذه الدولة العنصرية الكولونيالية المفروضة على الفلسطينيين ، وأن يدرك ان فلسطين هي موطن العرب ، وان الفلسطينيين هم سكانها الطبيعيون طوال الاعوام الالفين الاخيرين .

على انه لا يجوز المبالغة بمدى ما نعلقه من أهمية على ريح التبدل هذه في اسرائيل ، فهي هناك لا تزال نسيمًا خفيفًا ذا مفعول لا يتجاوز السطح . لكن هذه الريح لافتة للنظر بقوة في انجلترا ، حيث انه حين يطرح مندوب منظمة التحرير الفلسطينية في لندن ، فكرة ، فان **التايمز** عندئذ تكرر عموما كاملا لهذه المسألة (١٨ آذار — مارس ١٩٧٥) . ثم وفي العشرين من آذار — مارس ١٩٧٥ ، تنشر **التايمز** تقريراً خاصاً من ثماني صفحات عن بلدان جامعة الدول العربية ، مع مقال على الصفحة الاولى بقلم مراسلها البارز في الشرق الاوسط ، ادوارد موريتير ، عنوانه « **الفلسطينيون — كمجموعة — يلعبون دوراً مهماً على الصعيد الاقتصادي والثقافي** » . وان تقرير أي. سي. هودجين ، محرر الشؤون الخارجية في **التايمز** ، نشر تحت عنوان « النهضة العربية » .

ويشير ادوارد موريتير في مقالته الى أن « عدم وجود فلسطين كدولة ، كان منذ ١٩٤٨ عنصراً كاشفاً في السياسات العربية حيث يمثل في نظرة العرب الى انفسهم هزيمتهم الاعظم وعارهم الاكبر . على ان هذا العار ، وتصميم العرب على ازالته ، يمثل على وجه الدقة ، أعظم العوامل التوحيدية في العالم العربي على امتداد الجيل الاخير . ثم ان الفلسطينيين انفسهم ، بسبب طردهم وتشريدهم من وطنهم ، قد انتشروا في مختلف أنحاء العالم العربي انتشار الخميرة في العجين » . ويمضي الكاتب الى القول ، أن منظمة التحرير الفلسطينية انشئت عام ١٩٦٥ ، لتكون نوعاً من البديل للدولة الفلسطينية . انها عضو كامل في جامعة الدول العربية ، وان رئيسها (ياسر عرفات منذ ١٩٦٨) يعامل بالمراسم الكاملة لرؤساء الدول » .

* السيدة أراكي كانت في الستينات مساعدة الدكتور جون ديفيس المدير العام للاونروا في بيروت .

قبل عام ١٩٦٧ ، كان هناك كلام كثير حول منجزات اسرائيل ، دون ان يقال اي شيء تقريبا عن الفلسطينيين ومطامحهم الوطنية . انما بعد حرب ١٩٦٧ ، طرح الموضوع على بساط البحث ، سواء في أجهزة الاعلام أو في أحاديث الناس العاديين ، كأى موضوع عالمي آخر ذي شأن وأهمية ، ودون أن يرافق هذا الطرح ، التركيز الدائم الرتيب على « اسرائيل الصغيرة الشجاعة المطوقة بالقبائل العربية التي تتهددها بالاطار » . وانه ليس من قبيل المبالغة القول ، في رأيي ، ان هناك اليوم في إنجلترا رأيا عاما — أقلية مؤيدة للفلسطينيين ، حتى مع وجود بعض العمليات الخارجية المثيرة للنقاش . على انه ربما لا يزال صحيحا القول ان الرأي العام — الاكثوية لا يزال أساسا متعاطفا مع اسرائيل ، وقوام هذا التعاطف الى حد كبير يرتكز على الفكرة المغلوطة عن حقوق أعطتها الثورة لليهود في أرض الميعاد ، ومع ذلك هناك هذه النقطة في التعاطف مع الفلسطينيين ومحاولة فهمهم ، وعلى الاخص بعد حرب تشرين الاول — اكتوبر المظفرة عام ١٩٧٣ ، وظهور عرفات الناجح في الامم المتحدة .

بالنسبة لنا ، نحن اصدقاء فلسطين القدامى ، لم تكن نتوقع أن نعيش لنرى رياح التبدل هذه ، الا أننا لا نستطيع تجاهلها ، وانه لواجب الفلسطينيين أنفسهم ، ان ينتفعوا بهذه الرياح بطريقة ذكية وبنائة ، الى ان يأتي يوم ، تجرف فيه هذه الرياح المعقل الفسيح للصهيونية ، اعني الولايات المتحدة ، التي لولا دعمها الاقتصادي ، ما كان للدولة الصهيونية ان تعيش وتبقى .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتاب

القوات المدرعة الاسرائيلية

عبر أربع حروب

بقلم

محمود عزمي

سعر النسخة ٤ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد

اطلب نسختك من : مركز الابحاث — قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

تلقت شؤون فلسطينية تعقيباً من السيد علي ماهر رشدي الشوا على تقرير كانت
المجلة قد نشرته في مايو ١٩٧٤ للاستاذ حسين أبو النمل عن المرحوم منير الرئيس .
ونحن ننشر التعقيب ، مع تعليق من كاتب التقرير .

تعقيب علي ماهر رشدي الشوا

انه ينطلق من رؤيا موضوعية ترفض العائلية
والمشائرية الا ان الخط العام للمقال والروح التي
برزت بين ثناياه تؤكد عكس ذلك تماما . ولا أشك
لحظة في أن الذين عاشوا أحداث الخمسينات
ومنتصف الستينات في قطاع غزة قد استعادوا
صور الولاء الكاذب والارتزاق المسف من خلال
التبعية لمراكز القوى الحكومية وافرازاتها السياسية
التي كانت تغلف سقوطها وتبعيتها بقناعات
عقائدية ! .

(٤) ان تولي والدي المرحوم / رشدي الشوا
لرئاسة البلدية في غزة ابان محنة الاحتلال
الاسرائيلي لقطاع غزة عام ١٩٥٦ كان تضحية كبيرة
من جانبه وموقفا رجوليا وبطوليا وليس جريسا
وراء مطيح شخصي او بحثا عن وجهة الكرسي .
وما كان ايسر على والدي ان يجلس في بيته وان
يترك البلد منكوبا بالصلف والغطرسة والفاشية
الاسرائيلية . وان يجنب نفسه مشاق هذا
الموقف . ولكن الذين عاشوا تلك الفترة يعرفون
تباها ان كلمة رجالات غزة قد الحوا على والدي
في قبول رئاسة البلدية (وهذا أمر ثابت بوفاق
خطية) . وقد يكون من نافذة القول ان اشير الى
ان والدي رحمه الله رفض باصرار ان يتفقد اي
مخطط اسرائيلي على الصعيد السياسي بما في ذلك
التوجه الى الامم المتحدة رغم كل الضغوط
والملاحقات التي تعرض لها مكتفيا بالمشاركة في
تخفيف ويلات الاحتلال الاسرائيلي على مستوى
المشاكل اليومية والامور المعاشية . والجميع
يشهد بذلك ومعسكر الشاطئ بغزة يشهد بذلك .

قرأت باتدهاش في العدد رقم ٢٣ من مجلتكم
الموقرة مقالا كتبه السيد حسين أبو النمل تحت
عنوان (منير الرئيس - المناضل الذي فقدناه) .
ومرجع اندهاشي البالغ واستغرابي الشديد يعود
الي جملة أسباب أبرزها ان مجلتكم قد السف
تراؤها ان تنشر المقالات الموضوعية والتحليلات
العملية الدقيقة والاجتهادات الثورية التي تحلل
طبيعة العدو وتفضح تحركاته وتحالفاته دون ان
تنسج المجال للشطحات الانفعالية والمغالطات
التاريخية والتقييمات الديماغوجية .

انني اسبح لنفسي - باعتبار ان المقال قد
تعرض في أكثر من موضع لوالدي المرحوم رشدي
الشوا - بأن اوجز الاشارة الى الوقائع والامور
العالية :

(١) لم ينتسب والدي في يوم من الأيام الى حزب
الدفاع ولم يحسب على أي من الغيارات والتجمعات
السياسية التي كانت قائمة في فلسطين .

(٢) ان المنافسة الانتخابية التي ورد ذكرها في
المقال كان طرفها السيد / حمدي الحسيني أمد الله
في عمره - وليس المرحوم السيد / فهمي
الحسيني . وقد كرر كاتب المقال هذا الأمر أكثر
من مرة في مقاله واقعا في نفس الخطأ وذلك يعطي
للغاريء انطباعا استنتاجيا عن مدى الدقة التاريخية
عند كاتب المقال وصدقه في الاشارة الى الوقائع
والاحداث ! .

(٣) رغم أن المقال يحاول الإيهام والترويج الي

جماهير القطاع عن مشاعر التقدير والحب والوفاء للرجل الذي منحها الحب والوفاء طوال حياته وتصدى لحمل المسؤوليات في وقت كان يتهرب فيه الكثيرون من حمل المسؤولية . ولم يقتصر تكريم رشدي الشوا لحظة وداعه الحياة على الجماهير . فقد شاركت فيه أيضا السلطة الرسمية عندما صدرت الاوامر من مكتب المرحوم / الرئيس القائد جمال عبد الناصر بفتح الحدود المصرية الفلسطينية على مصراعيها ليلا ونهارا لكل من يرغب في المشاركة بوداع رشدي الشوا .

هذا هو رأي الجماهير برشدي الشوا يسا عزيزي ابا النمل بعيدا عن الزيف والمزايدة والازدواجية . لحظة صدق متفجرة تنهز لها جنبات السماء والارض وينبهي الاقرار بها وعدم المكابرة بشأنها اذا كنت حقا تؤمن بالجماهير .

(٧) واخيرا ، ودون أن اسمح لنفسي بالدخول في مہاترات مع صاحب المقال أود أن أقرب حقيقتين :

أ - ان الثورة الفلسطينية من خلال قيادتها الطليعية للنضال الفلسطيني قد بلغت من النضوج في اصدار الاحكام والتقييمات العلمية نتيجة تفهمها الموضوعي لظروف وطبيعة المرحلة الحالية وكونها مرحلة تحرر وطني لا يجعلها تتسع للتفسيرات الفردية للاحداث والاحكام الاعتباطية الاستطامية للجهازيين والمرتزة الذين يلغون الدور الحقيقي للجماهير والذين تعودوا ان يتلقوا الاحكام من بيغاية تقليدية - ودون ان يضعوها على مشرحة الفكر النقدي والتحليل الموضوعي .

ب - ان تاريخ النضال الفلسطيني منذ انطلقت شرارته الاولى في مستهل القرن العشرين وحتى انفجار حركة الكفاح المسلح يحتاج الى مؤرخ محايد منصف يقيم الامور والوقائع والاحداث بعيدا عن الانفعالية والمصلحة والرؤيا الفردية الضيقة لتعتمد للمقاييس العلمية الموضوعية في الحكم التاريخي . ويا حبذا لو بادر مركز الابحاث والدراسات الفلسطينية الى تبني هذا الامر حتى لا يتسع مجال التاريخ للهواة والارزقية من ابواق مراكز القوى الحكومية الذين ما زالوا يتعاملون مع الاحداث ويحكمون على الامور بالاصرار على المغالطة التاريخية ومنطلق المنافع المتبادلة .

هناك واقعة ثابتة . هي ان السيد / منير الرئيس - رحمه الله - قد بقي رئيسا لبلدية غزة في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ الاحتلال في ١٩٥٦/١١/٢ ولادة ٢١ يوما وبعدها نائبا لرئيس البلدية حتى تم اعتقاله في يناير ١٩٥٧ ولا تصور ان في هذين الوضعين ما يمكن أن يكون موضع طعن ولكن اذكرهما لابين كيف ان نغرا من الناس يفسرون الامور بمزاجية ومصالحية . فما يفعله فلان وطنية ونضال وما يفعله غيره ليس الا انحرافا وخيانة وعمالة !

(٥) ان هناك امورا وردت في المقال هي اقرب ما تكون الى المغريات والتخرصات :

أ - ان الاشارة الى الدور المركزي الذي لعبه المرحوم / سعدي الشوا في ما سمي بمؤامرة فصل القطاع عن مصر ووضه الى الاردن يدل على العقلية التي يتعامل من خلالها كاتب المقال مع الاحداث ، ولست ارى داعيا لان اذكر كيف دبرت تمثيلية المحاكمة ووزعت ادوارها بين المواطن الاول وغيره ويمكن الاحتكام الى من عايشوا تلك الاحداث المسرحة لمعرفة حقيقة هذه التمثيليات القضائية العسكرية ! .

ب - اما موضوع القرض المزعوم الذي قدمه والذي لبلدية تل ابيب فانه ابعد ما يكون عن الصحة وليس الا مزية تضاف الى الفريسات التي احتشد بها مقال الكاتب لان المعروف ان القروض كانت تقدم للبلديات من قبل حكومة الانتداب كما ان بلدية غزة كانت من افقر بلديات فلسطين فسي مواردها .

(٦) اذا كانت عواطف الجماهير في لحظة صدق وشفافية يمكن اعتبارها مقياسا للتقدير ومظهرا للتكريم ، وهي في نظري كذلك ، فلان وداع الجماهير الفلسطينية في قطاع غزة لرشدي الشوا لحظة انتقاله الى الرفيق الاعلى كان اصدق تعبير عن تقدير الجماهير لواقفه وحبها له - ذلك الحب الذي لم تبخل الجماهير به على رشدي الشوا في حياته ومنحته فيه الشيء الكثير - ويوسع السيد / ابو النمل ان يرجع الى ضميره اذا كان قد شهد لحظة الوداع ، او اي من ابناء القطاع ليأتيه الخبر اليقين بأن جنازة رشدي الشوا كانت اضحى جنازة شهدها القطاع عبر تاريخه حيث عبرت

رد حسين ابو النمل

السيد ماهر ، ان هذه الواقعة منسجمة مع التاريخ السياسي للسيد رشدي الشوا الذي عرف عنه « انتمائه لاحدى الجمعيات السرية السورية المناهضة للاتراك في مطلع هذا القرن وانه تقدم كشاهد ملك ضد اعضائها عند القبض عليهم من قبل الاتراك مما أدى الى اعدام معظمهم » (راجع الطليعة) .

واما بالنسبة للنقطة الرابعة — بعد أن تجاوزنا النقطة الثالثة لانها مجرد شتيمة — وتعيين وليس تولي السيد رشدي الشوا لرئاسة البلدية ابان الاحتلال الاسرائيلي الاول لقطاع غزة عام ١٩٥٦ واعتبار صاحب التعقيب ، هذا الموقف « رجوليا وبطوليا » ، فلنا وجهة نظر مخالفة لرأي صاحب التعقيب وذلك للأسباب التالية:

١ — ليست مصادفة ان يتقدم شخص ما « كشاهد ملك » ، ثم يعين رئيسا للبلدية بالرغم من سقوطه في الانتخابات ، وذلك ايام الاستعمار البريطاني ، ثم يقصى بعد قيام الثورة المصرية ويعود (ليعين) رئيسا لبلدية غزة على يد سلطات الاحتلال الاسرائيلي بعد اتصاء السيد منير الرئيس الرئيس الشرعي لبلدية غزة حينذاك .

٢ — لقد استمر منير الرئيس رئيسا للبلدية لمدة ٢١ يوما في ظل الاحتلال ، بحكم الاستمرارية ولان سلطات الاحتلال كانت مشغولة بمواجهته ما القاه عليها الاحتلال من تبعات ، كما انها حاولت ان تطوع السيد منير الرئيس ومجلس البلدية ، وبعد أن فشلت في دفعهم للتعاون قامت بحل مجلس البلدية وعينت مجلسا جديدا برئاسة والد السيد صاحب التعقيب . وعينت منير الرئيس في منصب نائب الرئيس ولكنه رفض التعاون ايضا ورفض تلبية دعوة سلطات الاحتلال لزيارة المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ في الوقت الذي لى به السيد والد صاحب التعقيب الدعوة ، وانتهى الامر بأن ذهب منير الرئيس الى السجن كما يتر صاحب التعقيب نفسه ويقي فيه السى ان أخرجه المظاهرات الحاشدة بعد جلاء جنود الاحتلال وحملته الى دار البلدية والى مقعد رئيس البلدية ، حيث انسحب حينها السيد رشدي الشوا . ان أساس القياس ليس « لان نغرا من الناس يفسرون الامور بمزاجية

كنت ارجو ان اجد في تعقيب السيد علي ماهر رشدي الشوا ما يضيء لنا ما كان غامضا من تاريخنا ، لكن ومع الاسف الشديد فان التعقيب المذكور لم يصف شيئا جديدا يمكن ان يدفع ما قد علق من سلبيات بالتاريخ السياسي للسيد رشدي الشوا . ولن تنفع الكلمات المتشنجة والمنفصلة بتغيير الوقائع ، راجين بصدق السيد ماهر الشوا ان يرسل لنا أية أوراق أو وجهات نظر تتعلق بالدور السياسي لوالده ولها علاقة بتاريخ فلسطين وسيكون لنا الاستفادة منها ، شرط ان تكون مدعمة بالوقائع والوثائق . وبشأن تعقيب السيد ماهر الشوا فسنرد على ما سباه بالوقائع ، واقعة واقعة حريصين على حصر اهتمامنا بالجسائب السياسية فقط .

بالنسبة لـ (اولا وثانيا) : حديثنا عن أن المرحوم فهمي الحسيني كان هو طرف المنافسة الانتخابية على رئاسة بلدية غزة كان اعتمادا على ما نشر في مجلة الطليعة الصادرة عن مؤسسة الاهرام العدد ١٠ لسنة ١٩٧٢ ص ١١٧ . وكانت المجلة المذكورة قد نشرت تحقيقا في حينه عن تاريخ رشاد الشوا ، بمناسبة ترؤسه لبلدية غزة وبعد أن جرت محاولة لاغتياله في الرابع من سبتمبر ٧٢ على يد ثلاثة من الفدائيين الفلسطينيين كما قالت المجلة المذكورة والتي هي بالنسبة اليها مصدر ثقة خصوصا وانها تصدر بشكل منتظم منذ العام ١٩٦٥ وحتى الان ، وفي الوقت نفسه لم يصدر أي نفي منشور لما ورد بذلك التحقيق . وان يكن حمدي وليس فهمي الحسيني كما يقول صاحب التعقيب ، لا يغير شيئا من حقيقة ما يتعلق بالسيد رشدي الشوا ، الذي فشل في تلك المنافسة الانتخابية ، ولكن سلطات الانتداب عينته رئيسا لبلدية غزة بدلا للمرشح الناجح ، ان المهم هو الدلالات السياسية لمسألة التعيين هذه ، والتي تحدد بالتالي الهوية السياسية للسيد رشدي الشوا . خصوصا وان المنافسة السياسية حينذاك كانت بين الحزب العربي الذي كان يتزعم الحركة الوطنية وبين جماعة حزب الدفاع ، اي حزب السلطة البريطانية ، والذي كان يشغل عضوية هيئته المركزية السيد عادل الشوا شقيق والسيد

أبو مدين ، فرحان أبو عريبان ، عطا جديع العطاونة ، وكان يمكن اعتبارها مكيدة لولا ان قدمت في المجاكمة التي جرت لهم وثائق ثبوتية دامغة تؤكد وجود المؤامرة واتصال المتآمرين بالأردن بشخص حابس المجالي .

أخيراً ، ونحن نشير إلى الوثائق سالفة الذكر والتي تؤكد ما كان قد ورد في العدد ٢٣ من شؤون فلسطينية والتي كانت سبب انفعال السيد علي ماهر الشوا ، ومع تفهمننا للمبررات الشخصية لذلك الانفعال ، ولكننا مضطرون للقول أن التاريخ لا يكتب في ضوء المشاعر الابوية او البنيوية ، بل في ضوء الوثائق العلمية فقط ، مؤكداً أننا لا نستهدف الاساءة الشخصية لاحد ، ولكن أن تكون الحقيقة مرة وجارحة ، فهذا ليس مسئوليتنا ، بل مسئولية من جعلها هكذا مرة وجارحة ...

ومصلحية « ، بل لان كل صاحب عقل يجب أن يفرق بين وضع من ينتهي به الأمر إلى السجن على يد سلطات الاحتلال وبين من يبقى في موقع السلطة والمتعاون مع سلطات الاحتلال ، والتي ارتكبت أبشع الفظائع والمجازر ضد أبناء شعبنا في قطاع غزة بالرغم من وجود والد السيد صاحب التعقيب في رئاسة البلدية .

وأما بالنسبة لخامسا ، ولدور سعدي الشوا في مؤامرة فصل القطاع عن مصر وضمه إلى الأردن ، فان قول صاحب التعقيب بـ «لست أرى داعياً لأن أذكر كيف دبرت تمثيلية المحاكمة ووزعت ادوارها » لا يقدم ولا يؤخر شيئاً . وكان عليه ان يقدم اية وقائع جديدة يمكن ان تبطل شيئاً من الصورة . ولكن نود أن نذكر علي ماهر رشدي الشوا باسماء الأشخاص الرئيسيين الذين كانوا مشتركين في تلك المؤامرة وهم بالإضافة إلى الرأس المدبر اي سعدي الشوا ، مصطفى فريخ

صدر حديثاً عن مركز الأبحاث

كتاب

تعليم الفلسطينيين : الواقع والمشكلات

بقلم

نزيه ثوره

سعر النسخة ٢ ل.ل. تضاف إليها أجور البريد الجوي

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الأبحاث

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

(١) المقاومة الفلسطينية

« أكد الجانبان ضرورة اشتراك ممثلي م ت ف في مؤتمر جنيف على ان تكون لهم الحقوق نفسها التي يتمتع بها المشتركون الآخرون » .

٢ - يقترح السوفيات ان يكون شهر حزيران (يونيه) القادم موعدا لانعقاد المؤتمر ، ففي تصريح ادلى به فهمي في موسكو اثر اجتماعه بوزير الخارجية السوفياتي ، اندريه غروميكو ، (٤/٢٠) ذكر ان الجانب السوفياتي يعتقد ان شهر حزيران يعتبر موعدا مناسباً لاستئناف مؤتمر جنيف .

٣ - يرى السوفيات ان يكون برنامج المؤتمر محتوي على ثلاثة مواضيع ، كما جاء ذلك في الخطاب الذي القاه غروميكو امام وزير الخارجية السوري مساء ٤/٢٣ (وزعته وكالة « تاس » السوفياتية للانباء) والذي حدد فيه « ان اساس برنامج المؤتمر في زائنا يجب ان يكون اولاً : الاتفاق على تحرير كل الاراضي العربية من الاحتلال الاجنبي ، وثانياً : الاتفاق على ضمان الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني بما فيها تشكيله لكيان دولته ، وثالثاً : الاتفاق حول تأمين حقوق كل دول الشرق الاوسط وضمائها بما فيها دولة اسرائيل في الوجود والتطور والمستقبل » .

ومن اللافت للنظر ان الاتحاد السوفياتي أعلن للمرة الاولى انه على استعداد للمساهمة في تقديم الضمانات لاسرائيل . ففي الخطاب نفسه المشار اليه قال غروميكو « لو كانت الاوساط الحاكمة في اسرائيل تسترشد لا بالتعطش الى الحصول على اراضي الغير بل بالرغبة الفعلية في ضمان الظروف السلمية لوجود وتطور الدولة الاسرائيلية ، لكان تحقق ذلك بسهولة . ولا يتطلب ذلك من اسرائيل سوى ضرورة التخلي عن خطط ضم اراضي الغير

الموقف السياسي : كانت الزيارة التي قام بها وفد فلسطيني برئاسة الاخ ابو عمار الى موسكو أبرز أحداث الشهر السياسية على صعيد المقاومة الفلسطينية . وتتأتى أهمية الزيارة ، ضمن أمور أخرى ، من انها تمت في اعقاب فشل التسوية الجزئية على الجبهة المصرية التي قاد محولاتها وزير الخارجية الاميركي ، هنري كيسنجر ، في سياسة الخطوة خطوة ، وكان هذا الفشل مدعاة لتوجيه النظر الى البديل المتمثل في مؤتمر جنيف العتيد ، وبالتالي الى الاتحاد السوفياتي الذي سيكون موقفه من المؤتمر ذا أهمية خاصة . وقد شهد شهر نيسان (ابريل) الماضي بالفعل تحركاً عربياً ، في هذا الاطار ، نحو موسكو ، تمثل في زيارتي وزير خارجيتي كل من سوريا ومصر الى الاتحاد السوفياتي . وكان من جملة هذا التحرك زيارة الوفد الفلسطيني التي بدأت في ٤/٢٨ . وقد صرح ابو عمار لدى وصوله الى موسكو بأنه قدم « لزيارة الاصدقاء الاعزاء في موسكو في هذا الوقت بالذات الذي تمر فيه المنطقة العربية بتطورات هامة وخطيرة ، على الصعيدين السياسي والدبلوماسي وغيرهما من الاصعدة » .

ومن الواضح ان هذه التطورات التي اشار اليها ابو عمار تتعلق بمساعي التسوية ، ونشر هنا الى موقف الاتحاد السوفياتي منها كما ورد هذا الموقف خلال الشهر الماضي :

١ - يرى السوفيات ضرورة دعوة م ت ف لحضور مؤتمر جنيف كطرف مستقل ، وقد ورد تأكيد لذلك في البيان السوفياتي - المصري المشترك الذي صدر في نهاية زيارة اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصري ، الى موسكو (٤/٢١) فقد

دورته الأخيرة ورفض التعامل مع قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ على أي مستوى عربي او دولي بما في ذلك مؤتمر جنيف ... وأوضح ابو عمار باسم قيادة م ت ف رفض الثورة الفلسطينية لقرار مجلس الامن المذكور ، واكد انه في حال توجيه الدعوة الى المنظمة للمشاركة في مؤتمر جنيف فستحدد الموقف منها عبر مؤسسات المنظمة المسؤولة في ضوء الموقف الفلسطيني الذي عبرت عنه قرارات المجلس الوطني الفلسطيني . وبهذا التوضيح يبقى الموقف الفلسطيني هو نفسه دون تعديل وهو الذي يقرن موقف المنظمة من المؤتمر بالاساس الذي يقوم عليه المؤتمر . ويتأكد هذا الموقف في البيان الذي صدر في اعقاب زيارة الاخ ابو عمار الى تشيكوسلوفاكيا (٥ ، ٤ / ٦) ومحادثاته هناك . ذلك ان البيان لم يتضمن مقرة شبيهة بتلك التي وردت في البيان الفلسطيني - السوفياتي ، وانما وردت فيه الفقرة التقليدية التي يعبر فيها الطرف الاخر عن رأيه بضرورة حضور المنظمة مؤتمر جنيف دون ان يكون ذلك بالضرورة هو الموقف الفلسطيني . فقد ورد في البيان الفلسطيني - التشيكوسلوفاكي الفقرة التالية : « ان الشعب التشيكوسلوفاكي يرى انه يجب توجيه الدعوة للاشتراك في اعمال مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط ، الى وفد م ت ف باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » .

بجانب ذلك يلفت النظر في التوضيح السابق الذي ادلى به ابو ميزر ان ابو عمار اكد في مباحثاته مع السوفيات انه سيتحدد الموقف من الدعوة للمشاركة في المؤتمر « عبر مؤسسات المنظمة المسؤولة » . ويجب ان تكون تلك اشارة الى المجلس الوطني الفلسطيني ، خاصة وقد اثار الاخ بسام ابو شريف ، الناطق باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، في تصريح له في (٥ / ٨) ان الموقف الوارد في البيان الفلسطيني - السوفياتي « لا يمثل رأي المجلس الوطني الفلسطيني الذي حدد في وضوح في دورته الأخيرة ضرورة دعوة المجلس الوطني الى جلسة استثنائية لبحث الدعوة لمؤتمر جنيف » . وفي تلك اشارة الى الفقرة الأخيرة التي وردت في برنامج النقاط العشر والتي نصت على انه « اذا ما نشأ موقف مصري يتعلق بمستقبل الشعب الفلسطيني

وتحريرها والسير على درب السلام مع الدول العربية . وفي استطاعة اسرائيل اذا ارادت ذلك الحصول على اكثر الضمانات صرامة التي يشترك الاتحاد السوفياتي في الاتفاق المتعلق بها ، والتي من شأنها ان تضمن الظروف السلمية لوجود كل دول منطقة الشرق الاوسط وتطورها » .

مقابل هذا الموقف السوفياتي فان الموقف الفلسطيني المعلن حتى ذلك كان عدم الادلاء برأي حول حضور مؤتمر جنيف الى ان تتلقى المنظمة دعوة رسمية تحدد أثرها موقفها سلبا او ايجابا تبعاً للاسس التي سوف يعتمد عليها المؤتمر وللموضوعات المطروحة فيه ، مع التمسك بالنقطة الاولى من نطاق البرنامج السياسي العشر التي أقرها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة في حزيران (يونيه) ١٩٧٤ ، والتي تنص على « تأكيد موقف منظمة التحرير السابق من قرار ٢٤٢ الذي يطس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا ويتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين ، ولذا يرفض التعامل مع هذا القرار على هذا الاساس في أي مستوى من مستويات التعامل العربية والدولية بما في ذلك مؤتمر جنيف » . غير ان البيان الصادر عن المحادثات الفلسطينية - السوفياتية (وزعته « تاس » ونقلته « ونا » في ٥ / ٥) أورد انه « جرى التأكيد على اهمية مشاركة ممثلي الشعب العربي الفلسطيني بحقوق متساوية مع الاطراف المعنية الاخرى في الجهود الرامية الى بلوغ التسوية بالشرق الاوسط بما في ذلك مؤتمر جنيف للسلام بالشرق الاوسط » . وهذا التأكيد جرى ، كما هو واضح في نص البيان ، من جانب الطرفين الفلسطيني والسوفياتي ، وهي المرة الاولى التي تصدر فيها وثيقة توقعها قيادة م ت ف تنص على موافقتها على حضور مؤتمر جنيف . غير ان الاخ عبد المحسن ابو ميزر ، الناطق الرسمي الفلسطيني ، اوضح ما جرى في المحادثات وموقف المنظمة في اثنائها من المؤتمر ، فقد صرح في (٥ / ٩) بأن « الجانب السوفياتي شرح موقفه من مؤتمر جنيف ومهمومه لاهمية توفير كل الشروط الموضوعية التي تكفل تحقيق حل عادل لقضية الشرق الاوسط ، وفي المقابل قام الوفد الفلسطيني بشرح موقف قيادة م ت ف تجاه هذا الموضوع ، فأكد التزام م ت ف بقيادتها بقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في

بين سبع سنوات وسنة واحدة. كما جاء في المذكرة ان المحكمة العسكرية كانت برئاسة تيسير نعنانه وان الدفاع عن المناضلين تولته لجنة من المحامين على رأسها سليمان الحديدي ، نقيب المحامين في الاردن ، و ابراهيم بكر ، عضو المجلس المركزي الفلسطيني .

ان موجة الارهاب الجديدة هذه التي تمارسها السلطة الاردنية تفهم من خلال وضعها في اطار مثلث الركان الركن الاول فيه هو محاولة النظام استعادة دوره « الخاص » بالنسبة للتسوية المحتملة ، وقد كشفت عن ذلك الجولة العربية - الامريكية - الاوروبية التي قام بها حسين في نيسان وايار الماضيين . فمشية تيامه بالجولة نقلت وكالة انباء الشرق الاوسط (أ.ش.أ) في ٤/١٦ عن مصادر اردنية ان هذا التصرك يستهدف بحسب العلاقات بين الاردن والدول المزعمة زيارتها وموقف الاردن من التطورات الاخيرة ودوره في المرحلة المقبلة ، ومن الواضح ان الزيارة التي قام بها الملك الى الولايات المتحدة كانت مثمرة فقد اشار البيان الذي صدر اثر اجتماع حسين بالرئيس الاميركي فورد (٤/٢٩) الى « الالهية التي تملتها الولايات المتحدة على اردن متقدم ومستقر وصديق بقيادة الملك حسين » . اما كنه هذا « الدور الخاص » الذي سيقوم به النظام الاردني تجاه القضية الفلسطينية في تطوراتها القادمة فسيظل مرهونا بوازيسن القوى الفلسطينية والعربية والدولية وان كان لن يخرج عن دوره التاريخي في معاداة الحركة الوطنية الفلسطينية واماني الشعب الفلسطيني ، وهو مرحليا سيكون له مساس مباشر بقرارات قمة الرباط التي ان « ارضت المقاومة شكليا بتعبير الاخ ابو اباد في تصريح له لصحيفة « الوطن » الكويتية نقلته « النهار » ٥/٦) فالمستفيد الحقيقي منها كان النظام الاردني ، اذ ان الدول العربية استأنفت تقديم مساعداتها المالية للنظام الاردني على رغم انه ما زال مستمرا في عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كما انه لا يسمح للفدائيين باستخدام ارض الاردن كقاعدة انطلاق لعملياتهم في الارض المحتلة .

والشطر الاخير من هذا التقييم يشير الى الركن الثاني من اطار حملة النظام الارهابية الراهنة وهو

فغندئذ يدعى المجلس [الوطني الفلسطيني] الى دورة استثنائية للبت فيه . وكان التوضيح الذي ادلى به الناطق الرسمي الفلسطيني تأكيدا للدور الذي سيقوم به المجلس الوطني في هذا الصدد .
الاردن

ترددت اثناء في الشهر الماضي عن حملة اعتقالات ومحاكمات قامت بها السلطة الاردنية لعدد من المواطنين بتهمة علاقاتهم بحركة المقاومة . فقد ذكرت « الهدف » (١٢ نيسان) ان السلطات الاردنية اعتقلت حمدي مطر (من قياديي الجبهة) وانه « يتعرض لتعذيب غاشي داخل السجنون الاردنية في محاولة للحصول على معلومات حول النشاط الثوري المتزايد على الساحة الاردنية وحول العمليات العسكرية التي شنها الفدائيون عبر الاردن في الفترة الاخيرة » . كذلك ذكرت « وفا » (٤/١٣) ان السلطات اعتقلت يعقوب زيادين ، احد الوجوه الوطنية البارزة في الاردن . كما ذكرت في (٤/٢١) ان المخابرات الاردنية اعتقلت ١٧ مواطنا فلسطينيا من مخيم البقعة قرب عمان . وفي ٤/٢٦ عقد الاخ ياسر عبد ربه ، رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي في متف ، مؤتمرا صحافيا في بيروت قال فيه انه تم في الاسبوع الذي سبق تقديم دفعة من المناضلين الفلسطينيين عددهم ٢٦ الى المحكمة العسكرية في الاردن بتهمة الانتماء الى الثورة منهم سبعة مناضلين كانوا في طريقهم الى الارض المحتلة « وهذا لا يمكن ان يفسر الا على اساس كونه محاولة صريحة ومكشوفة من جانب النظام الاردني لنسف قرارات الرباط وتخليه المصريح عنها » . وقال ان هناك ١٢٠ معتقلا اخرين سوف يقدمون للمحكمة خلال الايام القادمة . واكد ان هذه الخطوة لا يمكن عزلها عن النشاط السياسي الاردني الجاري الان وخاصة بعد فشل مهمة كينسجر من اجل احياء الدور الاردني مرة اخرى على حساب الثورة الفلسطينية . وقال ان هناك « معلومات موثوقة ان هذا النظام يهدف الى اقناع اطراف عربية للارتداد عن مقررات الرباط من جانب ، ويهدف على الصعيد الدولي الى دفع امركة لكي تلتي بكل نطلها من اجل اعادة هذا النظام كمثل للارض الفلسطينية المحتلة » . وقد وزعت في المؤتمر الصحافي مذكرة تحمل اسماء الاشخاص الذين حكموا وكانت مدة احكامهم تتراوح

بروتر وهو موظف الامن في القنصلية نفسها . وكانت السلطات في جنوب اغريقيه قد بدأت تمهد للمفاجأة في الساعات الاولى من يوم ٢٩/٤ وتراجع عن المعلومات التي كانت اعلنتها سابقا عن عسدر الرجال الذين احتلوا القنصلية بعد ان تبين ان بروتير خدع رجال الامن في جوهانسبرغ واهمهم بوجود أكثر من مسلح في القنصلية . وقد انتهت العملية في الخامسة والنصف من صباح ٢٩/٤ بعد ان استسلم بروتير لرجال الامن .

لقد كانت نقطة الاثارة وفي الوقت نفسه الغموض في العملية هي هدفها والدواع التي جعلت هذا الاسرائيلي اليهودي يقدم على هذه المغامرة . وعلى الرغم من ان السلطات الاسرائيلية ووسائل اعلامها حاولت ان تنفي وجود اي بعد سياسي العملية بزعمها ان بروتير كان مختل العقل، الا ان التناقض في الاعلام الاسرائيلي عن العملية يكشف رخص هذه المحاولة . فقد بثت الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية « ان بروتير طلب تزويده بمذيع وان يسمح له ببيت نداءات تأييد للفلسطينيين ، كما طالب بنقل موته المؤيد للفلسطينيين الى رئيس الحكومة الاسرائيلية » ، كما أعلن جيمس كروغر، وزير العمل في جنوب اغريقيه ، ان لبروتر « بعض الاهداف السياسية التي يسعى الى تحقيقها » .

هذا ، وقد كتب المحرر السياسي لـ « وفسا » (٢٩/٤) تعليقا على العملية بعنوان « نقطة الاهتمام الفلسطيني بعملية جوهانسبرغ » قال فيه ان العملية كانت « هامة وضرورية » من زاوية انها « كشفت وبشكل لا يقبل الشك او الجدل ، التجني الصهيوني المتواصل الذي يثار بعد كل عملية ضد لبنان » ، و اضاف ان الزاوية الاهم والاشد خطورة ان العملية « وضعت الحقيقة الفلسطينية بشكل ساطع امام العالم كله . لقد أعلن الذي نفذ العملية وهو اسرائيلي انه يتعاطف مع الفلسطينيين ... وهذا الإعلان يفتح المجال لكي يطل العالم بشمول وبنافذة أكثر على الشعار الاستراتيجي الذي طرحته الثورة الفلسطينية ، شعار الدولة الديموقراطية ، ولكي يكون واضحا ان هذا الشعار لا يلقى التأييد والالتزام من جانب الشعب الفلسطيني والثوار الفلسطينيين محسب ، وانها يلقى ذلك ايضا من جانب بعض الاسرائيليين ، وبشكل يتزايد باضطراد حذر يوما بعد يوم » .

المتعلق بالعمل الفدائي عبر اراضي شرق الاردن . فقد حدثت خلال الاونة الاخيرة عدة عمليات فدائية في الاراضي الفلسطينية المحتلة المناخبة للحدود الاردنية وتردد معها ان اراضي شرق الاردن استخدمت مبرا لعبور المقاتلين الفلسطينيين الى اهدافهم في فلسطين ، كما حدث ان قوات الجيش الاردني قامت بالتصدي لبعض المجموعات الفلسطينية سواء في ذهابها الى مهامها القتالية او في حال عودتها الى قواعدها . وقد اشار البيان الذي ادلى به ياسر عبد ربه في مؤتمره الصحافي الى ان السلطة الاردنية قد اعتقلت سبعة مناضلين كانوا في طريقهم الى الارض المحتلة . وبذلك ينهم من تشديد حملة النظام الراهنة انها تستهدف وأد هذه الظاهرة قبل تبلورها وقبل ان تفرض نفسها بالامر الواقع .

اما الركن الثالث من حملة الارهاب هذه فهو متعلق بوجود القوات الاردنية في عمان التي تعمل سويا مع جيش السلطان قابوس في التصدي للثورة الشعبية المسلحة هناك . وقد سقط نتيجة ذلك عدد من القتلى من ضباط الجيش الاردني وجنوده في اثناء هذه « المهمة » وتشير بعض الأنباء الى ان تربة بدأت تنمو في بعض قطعات الجيش ، كما اوردت « وفسا » (٥/٨) نبأ عن اعتقالات وتسريرات في صفوف الجيش الاردني . ويبدو ان هذه الوقائع كانت السبب في الزيارات المكثفة التي قام بها الملك في شهر نيسان الى قطعات الجيش الاردني وخطبه فيها وابرار وسائل الاعلام الاردنية لانباء هذه الزيارات ابرازا ملفتا للنظر ولا يمكن فهمه الا باطار التهدة التي يدخل ضمنها ايضا حملة القمع التي تعرضت لها بعض الاوساط الوطنية .

عملية جوهانسبرغ : في الثامن والعشرين من نيسان (ابريل) الماضي تناقلت وكالات الانباء ان ستة فدائيين منهم ثلاثة لبنانيين (او يحملون جوازات سفر لبنانية) وثلاثة يابانيين احتلوا مبنى القنصلية الاسرائيلية في جوهانسبرغ في جنوب اغريقية واحتجزوا جميع موظفي القنصلية وبذأوا باطلاق النار على المارة . وبينما كانت اسرائيل توجه التهم الى لبنان وتحمله مسؤولية الحادث ، ظهرت المفاجأة ان شخصا واحدا فقط قام بالمهمة وتبين ان هذا الشخص اسرائيلي اسمه دافيد

خاصة وان العمليات تمتا في العمق الفلسطيني .
وهما تشيران ، من جهة ثانية ، الى قدرة الثورة
على العمل « من الداخل » ، وتمكنها من بناء
تواعدها القتالية داخل الجسم البشري الفلسطيني
الواقع تحت الاحتلال . وتعتبر هذه الحقيقة هامة
بل حاسمة في مستقبل الثورة جميعا ازاء واتسع
اقفال الحدود العربية في وجه المقاتل الفلسطيني .
وينبغي هنا ان يستذكر ان هذا النوع من العمليات
الذي ينفذه ثوار الداخل قد تكرر اكثر من مرة في
السابق ، وكان أبرز ذلك عندما اكتشفت السلطات
الاسرائيلية في ايار (مايو) ١٩٧٤ صاروخين معدين
للإطلاق موجهين الى فندق الملك داوود حيث كان
ينزل وزير الخارجية الأميركي وقد اتهمت السلطات
الاسرائيلية الإشقاء الثلاثة زهير وزكي ورياض
الملاعبى بأعداد الصواريخ وقيل أيام حكم على
الإخوة ملاعبى بالسجن مدى الحياة .

عصام سخيني

طبريا والقدس : مساء ١٦ نيسان تصف الثوار
الفلسطينيون مدينة طبريا بوجبتين من « الصواريخ
الثقيلة المتطورة ذات القدرة التدميرية العالية »
كما ورد في البيانات الفلسطينية . وصباح ٣ ايار
جدد الثوار الفلسطينيون قصفهم مستهدنين
الكنيست الاسرائيلي ومكاتب حكومية اخرى في
القدس بينها مقر رئيس الحكومة اسحق رابين ،
وتد ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (٥/٤) ان
العملية نفذت بـ « الصواريخ الضخمة التي
احتاج نقلها الى منطقة الهدف جهودا كبيرة ...
واشتعلت على كمية كبيرة من المتفجرات صنعست
محليا » .

ان هاتين العمليتين تستحقان التوقف لاكثر من
سبب : فهما تؤكدان ، على الرغم من الاجراءات
الامنية المشددة التي تفرضها السلطات الاسرائيلية ،
عدم استحالة انهيار هذه الاجراءات والاحتياطات
(وان سوز الامن مهما كان ثخينا يمكن حرقه) ،

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

الحرب ولكنه لا يتعدى أبدا هذه العموميات .
على الرغم من ان مصادر الاعلام الاسرائيلية قد عبرت عن تخوفها من ان يكون ما اعلنه البيت الابيض حول إعادة النظر في السياسة الامريكية في المنطقة قد خلق أزمة بين الولايات المتحدة واسرائيل فان التدقيق في الموضوع يبين انه حتى الان لا توجد اية دلائل جدية على نشوب مثل هذه الأزمة وان وسائل الاعلام الاسرائيلية تقوم بحملة تهويل واستباق لتفادي امكانية نشوء اي خلاف بين الطرفين خاصة وان الانهيار الامريكي في الهند الصينية وهزيمة عملاء امريكا وحلفائها هناك قد اربع السلطات الاسرائيلية ودعاها للتأكيد امام الرأي العام الداخلي والخارجي بأن احتمالات تخلي امريكا عن حليفها الرئيسي في المنطقة غير وارد اصلا . ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية مرتاحة للموقف الامريكي المبطل في مسألة الوصول الى نتائج محددة نتيجة إعادة النظر في السياسة الامريكية في المنطقة ومرتاحة لتجسيد الوضع السياسي الناتج عن هذه المباطلة . ففي الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الاسرائيلي الون الى واشنطن في منتصف شهر نيسان - اكد بانه لا يحمل اية افكار جديدة تساعد على الخروج من الطريق المسدود التي وصلت اليها الوساطة الامريكية في النزاع العربي - الاسرائيلي . ومن الواضح انه بغياب مثل هذه الافكار سيبقى الوضع مجهدا حتى اشعار اخر . كما بين السون في تصريحاته بأن ما يقال عن الأزمة الناشبة بين اسرائيل والولايات المتحدة فيه الكثير من المبالغة والتهويل . اذ اكد انه لا يوجد اكثر من سوء تفاهم بين حكومته وحكومة الولايات المتحدة . ونفى نفييا كليا ان تكون هناك أزمة بينهما . وبعد اجتماعه بكيسنجر اكد الون ان الحوار بين اسرائيل والولايات المتحدة قد اعيد الان الى مجاريه الطبيعية وكرر العبارة التي يجري استخدامها بكثرة في الاوساط الامريكية العليا حول ابقاء « كل الاحتمالات مفتوحة » بالنسبة لاهياء جهود السلام في المنطقة ان كان ذلك في جينيف او غيرها . والجدير بالاشارة ايضا ان الون اكد

ما زالت التطورات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية تتفاعل في ظل فشل مهمة كيسنجر الاخيرة في تحقيق اتفاق جديد لفصل القوات على جبهة سيناء ، وفي ظل ما اعلنه البيت الابيض عن عزم على مراجعة السياسة الامريكية في الشرق الاوسط . الا ان الحدث الهام والكبير الذي وقع خلال هذه الفترة هو الانتصار الذي حققته حركات التحرر الوطنية في الهند الصينية وانهزام الوجود الامريكي هناك هزيمة كاملة . وبطبيعة الحال لن تظهر الاثار الكلية والبعيدة لهذا الحدث الضخم - وهو مرشح لان يكون الحدث التاريخي الاكبر في النصف الثاني من القرن العشرين - الا بعد فترة طويلة نسبيا . لكن يمكننا ان نقول بأن السياسة الامريكية ستبيل على الأرجح باتجاه التصلب بالنسبة للنزاع العربي - الاسرائيلي كتعبؤض عن اهتزاز الدور الامريكي كبوليس عالمي لحماية المصالح الامبريالية . فعلى الرغم من ان فترة لا بأس بها قد مضت على اعلان البيت الابيض لعزمه على إعادة النظر في السياسة الامريكية في منطقتنا لم تظهر حتى الان اية دلائل تشير الى حدوث تبدلات ولو طفيفة في الموقف الامريكي باتجاه ارضاء الموقف المصري ومراهنته على الدور الامريكي في تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة . وحتى هذه الساعة ما زالت التصريحات الامريكية تؤكد بان الرئيس نورد « يريد ان يبيي كل الخيارات مفتوحة امامه » بالنسبة للشرق الاوسط . وهذا يعني بلغة اكثر واقعية تجسيد الوضع على حاله . كذلك تؤكد التصريحات الامريكية على اعلى المستويات بأن امريكا ما زالت تدرس مسألة إعادة النظر في سياستها وانها لم تستكمل بعد هذه العملية ، وعلى انها ما زالت تتأرجح بين افكار حول عودة كيسنجر الى تجديد مهمته وبين انعقاد مؤتمر جينيف . ومن شأن هذا الموقف الامريكي تجسيد الوضع الحالي الى اطول فترة ممكنة ويبدو ان هذا الاتجاه متمدد ومتصود ولم يأت جزاءا . وما زال الرئيس نورد مثلا يكرر تصريحاته حول ضرورة قيام بلاده بدور الوسيط من اجل تجنب مخاطر

الأمريكية بأنه من غير المتوقع حدوث أي تغيير أساسي في هذه السياسة بالنسبة للشرق الأوسط. بالنسبة للجانب المصري ما زال الموقف السياسي الرسمي هو المراهنة على مبادرة أمريكية جديدة للوصول إلى تسوية سلمية للنزاع. نفس الخطاب الذي القاه الرئيس السادات بمناسبة عيد العمال في أول أيار أكد مجدداً رأيه بأن الولايات المتحدة تمسك بخيوط الأزمة كلها وأن مفتاح الحل يبدأ لأنها هي التي « تمد إسرائيل بالعيش والزبدة والمدفع ». وهو عن اعتقاده بأن إعادة التقييم التي تقوم بها الحكومة الأمريكية لسياستها في المنطقة يجب أن تتوصل إلى تحديد موقف واضح حول ما إذا كانت أمريكا تريد حماية إسرائيل داخل حدودها (أي حدود ١٩٦٧) أو حمايتها داخل حدود الأراضي المحتلة . قال السادات « كل ده لازم يكون واضح في امعادة تقييم السياسة الأمريكية ». وأكد بأن حكومته ستحتفظ بأحسن العلاقات الممكنة مع الولايات المتحدة . وكان اسماعيل فهمي قد أعطى تصريحات مشابهة في منتصف شهر نيسان شرحت الموقف المصري الرسمي على النحو التالي : (أ) أن خطر مصر الأساسي هو تجنب الاستقطاب بين الدولتين العظميين سواء في المنطقة أو في مؤتمر جينيف . (ب) أن أحياء سياسة الخطوة خطوة الشهيرة يتوقف على الولايات المتحدة والرئيس السادات لم يقلق الباب أمام احتمالات أي نوع من أنواع التحرك باتجاه السلام . (ج) أن إسرائيل هي المسؤولة عن فشل مهمة كيسينجر الأخيرة ولذلك يشكل موقفها تحد صارخ للأمريكيين يضعهم في مأزق . لذلك على الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً لتثبت بأنها قادرة على التصرف في منطقتنا . (د) أنه في ظل الظروف الحالية لا مناص من أن يأتي السلام من الخارج وأن يفرض على إسرائيل . (هـ) أنه بعد حرب أكتوبر مصر على استعداد لأن تعيش مع إسرائيل إذا كانت الأخيرة مستعدة لأن تعيش معنا ، شرط أن تتخلى عن مخططاتها للسيطرة والتوسع . (و) أن مصر تدرس موضوع اشتراك منظمة التحرير في مؤتمر جينيف وتجري الاتصالات مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لتأمين هذه المشاركة وهي تنظر في إمكان جعل اشتراك المنظمة شرطاً لعقد

أن كل شحّات الأسلحة التي جرى الاتفاق عليها مع الولايات المتحدة قد وصلت إلى إسرائيل في مواعيدها المحددة . كما أكدت المصادر الأمريكية أن محادثات الوزيرين لم تؤد إلى أي تغييرات في المواقف المعروفة للطرفين . كذلك أكد رابين في تصريحات أدلى بها في النصف الثاني من شهر نيسان هذا التوجه للعلاقات الإسرائيلية الأمريكية . فقد نفى وجود أية أزمة في العلاقات بين البلدين قائلاً « بأن خلافات كبيرة في الرأي حدثت مرات عدة بين الطرفين عندما كان سفرنا لبلاده في واشنطن » ، إلا أن هذا لم يؤد إلى أية مشكلات حقيقية بين الجانبين . كما أكد بدوره أن الأسلحة الأمريكية التي اتفقت إسرائيل على استيرادها ما زالت تصل وأن أي تأخير قد يطرأ في مواعيدها لا علاقة له بإعادة النظر التي يقوم بها البيت الأبيض في السياسة الأمريكية في المنطقة . كما بين أن إعادة النظر هذه لم تسفر عن أي تغيير ملموس في سياسة الولايات المتحدة وأن مؤتمر جينيف يجب أن يباشر أعماله بإجراء مفاوضات ثنائية بين مصر وإسرائيل للتوصل إلى اتفاق جزئي . وجديرس بالإشارة هنا إلى أن كيسينجر نفسه صرح قائلاً بأن إعادة النظر في السياسة الأمريكية لا يسس إلا « الطريقة التي سنوجه بها دبلوماسيتنا ، وليس الغرض الأساسي من إعادة التقييم هذه مس المساعدة الاقتصادية والعسكرية ». وصرح سيسكو في الفترة نفسها أمام زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية بكلام يفيد المعنى نفسه قائلاً بأن إعادة التقييم تدور حول التوجهات الدبلوماسية للسياسة الأمريكية وأنها لن تؤثر « على العلاقات الخاصة » بين إسرائيل وأمريكا . كذلك أعلن فورد نفسه في أول مؤتمر صحفي يعقده بعد تحرير سايفون بأن « الولايات المتحدة ما زالت تويبة وستقف إلى جانب حلفائها ». وأعلن فورد أيضاً أن حكومته ما زالت تدرس ثلاث خيارات بالنسبة للشرق الأوسط هي : (أ) استئناف جهود كيسينجر ووساطته . (ب) تحقيق تسوية شاملة في جينيف . (ج) استئناف مؤتمر جينيف والسعي لتحقيق حل جزئي بين مصر وإسرائيل في الوقت ذاته . وجديرس بالإشارة إلى أن صحيفة « النيويورك تايمس » ، ٢٨ نيسان ، استنتجت من الأجواء السائدة حول موضوع إعادة النظر في السياسة

وشرح سيسكو لماذا لا تعترف حكومة بمنظمة التحرير الفلسطينية قائلاً بأنه ما دامت المنظمة غير مستعدة للاعتراف بإسرائيل وللالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فإن الاعتراف الأمريكي متعذر إلى أقصى الحدود . وقد رد الرئيس السادات على هذه التصريحات الأمريكية بقوله أنه هو أيضاً ذهب إلى النمسبا ليستمع إلى الرئيس فوردي .

على حميد آخر قام الملك حسين بزيارة لواشنطن في آخر شهر نيسان حيث قابل الرئيس فوردي وكبار المسؤولين الأمريكيين . وذكر البيان الذي صدر عقب اجتماع الملك بالرئيس الأمريكي بأنها بحثاً في الجهود التي تبذل حالياً من أجل السلام في المنطقة وفي التزام الولايات المتحدة بالعمل من أجل السلام العادل والدائم في المنطقة . وكان الحدث الأهم في زيارة الملك هو الخطاب الذي ألقاه في الكلية الحربية في شارلستون حيث قال إن الأردن ومصر وسوريا « تتوق إلى إقامة السلام مع إسرائيل بعد سنوات من رفض الاعتراف بالدولة اليهودية » . واعتبر الملك هذا الموقف بأنه « تحول تاريخي في الموقف العربي » مؤكداً « بأننا نقبل شروط السلام الموضوعية وهي الاعتراف بإسرائيل وبحقها في البقاء ضمن حدود معترف بها وانتهاء حالة الحرب معها » . أما بالنسبة لشروط الجانب العربي فقال بأنها تلخص بانسحاب إسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين في وطنهم . وأشار الملك إلى أن إسرائيل تصر في الوقت الحاضر على حدود آمنة « خارج حدودها الأصلية » . وأن الولايات المتحدة تحل مسؤولية خاصة في هذا الصدد لأنها حليف إسرائيل الرئيسي .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي بدأ ان الجيود الذي يلف علاقاته بمصر قد تحرك قليلاً . وجاء هذا عبر الزيارة التي قام بها اسماعيل فهمي لموسكو في النصف الثاني من شهر نيسان حيث أجرى محادثات مطولة مع بريجينيف وغروميكو . وصرح فهمي قبل مقادرتة القاهرة بأنه يحمل رسالة شخصية من الرئيس السادات إلى القيادة السوفياتية وعبر عن توقعه بأن تؤدي الزيارة إلى نتائج إيجابية وتعميق العلاقات وتطويرها بين البلدين . وأضاف أن المحادثات ستتناول بصورة رئيسية العلاقات الثنائية بين البلدين وأزمة الشرق الأوسط بما في

المؤتمر . لكن أشار فهمي إلى أن مصر لا تعتبر مسألة ذهاب وفد فلسطيني مستقل أو كجزء من وفد عربي موحد قضية مهمة .

في أوائل شهر أيار جرى الإعلان عن أن الرئيس السادات سيقابل الرئيس فوردي في النمسبا في مطلع شهر حزيران المقبل وذلك لمناقشة المسائل التي تهم البلدين وبحث موضوع تدعيم العلاقات بينهما . وجدير بالإشارة إلى أن هذا اللقاء سيتم قبل حدثين عربيين مهمين هما إعادة فتح قناة السويس في الخامس من حزيران المقبل وانعقاد مؤتمر القمة العربي في مقديشو في منتصف الشهر ذاته . وترجع الأوساط المطلعة بأن يؤثر الرئيس السادات مع فوردي مسألة الجيود الذي أخذ يخيم على أزمة المنطقة ومسألة ممارسة الولايات المتحدة للضغط على إسرائيل واستمرار الحكومة الأمريكية في تجاهل منظمة التحرير . وقد رحبت أجهزة الإعلام المصرية بهذا اللقاء واعتبرته مقدمة للمبادرة الأمريكية الجديدة التي ينتظرها الرئيس السادات بعد فشل مهمة كيسينجر . ورجحت هذه المصادر أن يطرح الرئيس فوردي أفكاراً جديدة في محادثاته مع السادات . إلا أن تصريحات المسؤولين الأمريكيين أنفسهم لا تشير بهذا الاتجاه على الإطلاق . فقد أعلن فوردي في ٨ أيار في مؤتمر صحفي بأن المحادثات التي سيجريها مع الرئيس السادات « لا تمثل عملية تفاوض جديدة » . وأن هدف اجتماعه هو الاستماع للسادات والحصول منه على أية توصيات يريد أن يقدمها بالنسبة للحفاظ على السلام في المنطقة والتوصل إلى تسوية سلمية للنزاع . وفي اليوم نفسه صرح كيسينجر قائلاً إن الغاية من اجتماع الرئيس الأمريكي بالسادات (وفيما بعد براين في واشنطن) هو الاستماع إلى شرح كل من الرئيسين لما يمكن لكن منهما أن يفعل من أجل الوصول إلى السلام بحيث يبين الجانب الإسرائيلي « ما هي الأراضي المستعد للتخلي عنها » وبين الجانب المصري « ما هي الالتزامات المستعد لتقديمها من أجل إحلال السلام » . وفي ١٠ أيار أعلن سيسكو في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر رابطة الأمريكيين العرب المنعقد في واشنطن « أن الولايات المتحدة مصممة على ترك اختياراتها مفتوحة بالنسبة لموضوع التحرك نحو السلام في الشرق الأوسط » .

عبد الحليم خدام ، بزيارة الاتحاد السوفياتي بعد مغادرة فهمي لموسكو . واجرى خدام مباحثات هامة مع بريجنيف وكبار المسؤولين السوفيات . ووصفت المصادر الرسمية في موسكو المباحثات بأنها تمت في جو من الصداقة والتفاهم المتبادل وتناولت العلاقات الثنائية بين البلدين والموقف العام في الشرق الاوسط . وكان الحدث الاهم خلال هذه الزيارة هو الخطاب الذي القاه غروبيكو وحدد فيه بوضوح موقف الاتحاد السوفياتي من مؤتمر جينيف ومستقبل مساعي السلام في المنطقة . ويتلخص اهم ما جاء في الخطاب بالنقاط التالية :

(أ) ان التصور السوفياتي لمؤتمر جينيف يتسبه الى ثلاث مراحل . تحقق الاولى اتفاقاً على الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي العربية المحتلة . وتحقيق المرحلة الثانية اتفاقاً على ضمان الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني بما في ذلك اقامة كيانه الخاص ودولته الخاصة . وتحقيق المرحلة الثالثة اتفاقاً على تأمين وضمان حقوق كل دول الشرق الاوسط في الوجود والتطور المستقل بما فيها دولة اسرائيل . (ب) استعداد الاتحاد السوفياتي لتقديم ضمانات قوية لسلامة اسرائيل وحدودها اذا سارت في طريق السلام والانسحاب . (ج) ان الصفقات الجزئية لا يمكن ان تؤدي الى تسوية حقيقية بل على العكس من ذلك فانها تخلق مضاعف في طريق السلام . (د) ان الاتحاد السوفياتي يصر على اشتراك منظمة التحرير في اعمال مؤتمر جينيف على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى . وجدير بالاشارة ان هذه هي المرة الاولى التي يقدم فيها الوزير السوفياتي مثل هذه الضمانات لاسرائيل بصورة صريحة وأمام مسؤول عربي كبير . وعلى اثر انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك اشار الى :

(أ) ان الوضع في المنطقة قابل للانفجار بسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلي ورفض اسرائيل الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . (ب) ان الخطوات المنفردة والجزئية لا يمكن ان تؤدي الى تسوية مشكلة الشرق الاوسط كما يجب ان تكون اية اجراءات جزئية جزءاً لا يتجزأ من الحل الشامل على ان تتم ضمن اطار مؤتمر جينيف . (ج) انه من الضروري استئناف اعمال مؤتمر جينيف في اقرب فرصة ممكنة والاعداد له

ذلك مؤتمر جينيف . وذكرت الانباء نقلاً عن مصادر دبلوماسية في موسكو بان المباحثات تناولت بالتفصيل الجوانب العسكرية والاقتصادية والمالية من العلاقات بين البلدين وخاصة موضوعات السلاح وتأجيل الديون المترتبة على مصر للاتحاد السوفياتي . هذا بالإضافة الى امكانات انعقاد مؤتمر جينيف وضمانات نجاحه واشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر . الا انه لا يبدو أن المسائل الاساسية العالقة بين الطرفين قد سويت بدليل تصريح ادلى به فهمي قال فيه ان قضايا متعددة ما زالت تنتظر التسوية بين البلدين قبل تلوير التعاون والتضامن بينهما . وأشار فهمي بهذا الصدد الى المسائل العسكرية واعادة جدولة الديون . كل هذا كان واضحاً على الرغم من تصريحات فهمي المتفائلة حول التحسن المستمر في العلاقات السوفياتية - المصرية وعلى الرغم من البيان التقليدي الذي صدر وما جاء فيه حول اصرار البلدين « على مواصلة العمل لتنجية العلاقات بينهما على اساس معاهدة التعاون والصداقة » . وجدير بالاشارة انه خارج هذا الكلام التقليدي جداً لم يذكر البيان اي شيء ملفت للنظر باستثناء الاشارة الى ان مصر والاتحاد السوفياتي متفقان على ضرورة استئناف مؤتمر جينيف للسلام في اقرب وقت ممكن وعلى ضرورة اشتراك منظمة التحرير في المؤتمر على قدم المساواة مع بقية الوفود . وقد ظهرت الخلافات بين البلدين في الخطاب الذي القاه السادات في عيد العمال حيث وجه نقداً قوياً للاتحاد السوفياتي حول مسألتي تأجيل الديون والتسليح . فقد عاد السادات الى القول بان مصر لم تلتق اية شحنات سلاح من الاتحاد السوفياتي منذ نهاية حرب اكتوبر باستثناء بعض الدبابات التي كان متفقاً على توريدها سابقاً . واكد ان الاتحاد السوفياتي غير مستعد الان لمناقشة موضوع تعويض خسائر مصر . وبالنسبة لموضوع الديون طالب السادات الاتحاد السوفياتي « بتقدير وضع مصر الاقتصادي الصعب » واعطاها فترة « سماح » بتأجيل التسديد لفترة معينة . والمخ السادات الى ان محادثات فهمي لم تحقق ما يرضي مصر على هذا الصعيد .

من ناحية اخرى قام وزير خارجية سوريا ،

عقب الزيارة ضرورة انعقاد مؤتمر جينيف في اقرب وقت ممكن بحضور منظمة التحرير كما عبرا عن القلق من التوتر والخطر الدائمين في المنطقة والناجمين عن استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية وتجاهل اسرائيل للحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني . كما اكد البيانان ضرورة انسحاب اسرائيل انسحابا كاملا من هذه الاراضي واقرار حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وانشاء دولته المستقلة والحررة .

وافق مجلس الامن على تهديد انتداب قسوة الطوارئ الدولية على الجبهتين المصرية والسورية حتى ٢٤ تموز ١٩٧٥ مع امتناع كل من الصين والعراق عن الاشتراك في المناقشات .

اعلن الامير سيهانوك ان حكومته لا تعترف الا بمنظمة التحرير كسلطة وحيدة على فلسطين بصفتها دولة ذات سيادة وامة لا تتجزأ . واكد ان كمبوديا لم ولن تعترف ابدا باسرائيل وهي تتضامن كليا مع الشعوب المكافحة ضد العنصرية .

اعدادا دقيقا بمشاركة كل الاطراف بمن فيهم منظمة التحرير الفلسطينية . (د) ان الاتحاد السوفياتي سيستمر في تدعيم الطاقات الدفاعية السورية ويدعم حق سوريا في استخدام كل الوسائل من اجل تحرير الاراضي المحتلة .

في هذه الاثناء قام الجنرال فيكتور كوليكوف - رئيس الركان العامة للقوات السوفياتية والخبير الاول في الصواريخ المتطورة في البلاد - بزيارة سوريا حيث قابل الرئيس الاسد وكبار المسؤولين . وكان كوليكوف على رأس وفد عسكري كبير وقد وصفت المصادر المطلعة هذه الزيارة بانها على جانب كبير من الاهمية لان لها علاقة بتقوية شبكة الدفاع الجوية السورية .

من ناحية اخرى قام الرئيس الروماني تشاوتشيسكو بزيارة مفاجئة الى كل من دمشق والقاهرة حيث اجري مباحثات مع الرئيسين الاسد والسادات تناولت جهود التصوية السلمية في المنطقة . وقد اكد البيانان المشتركان الصادران

(٣) المناطق المحتلة

صدى استفزات الكتاب

كان لاحداث عين الرمانة وما تلاها في اواسط الشهر الماضي اوسع الاثر واعبق التأثير لدى الجماهير الفلسطينية كافة ، وخاصة في الضفة الغربية ، بعد ان نقلت وكالات الأنباء تلك الاحداث بقدر كبير من الغموض والتشويش وسوء التقدير . ونشرت صحف الضفة الغربية انباء هذه الاحداث على صدر صفحاتها الاولى وتحث عناوين بارزة كبيرة . كما افردت لها العديد من التعليقات والافتتاحيات الرئيسية .

فكتبت الفجر تحت عنوان « ليلجم الوحش الى

الابد » تقول : « هذا السلاح الذي وجه نحو الفلسطينيين لا يمكن ان يكون عربيا ولا يمكن ان يكون معاديا للبنان رغم كل المزاعم التي يقول بها الكنايبون عن انتمائهم العربي ووطنيتهم اللبنانية » . وقالت ان الكنايبين هم اليوم اعداء لبنان وهم الساعون الى « اغراق لبنان في جحيم من النار والموت » . ثم اثنت الصحيفة المقدسية على انضباط المقاومة وحسبها بقولها : « ولكن الحركة الفلسطينية تلجم الوحش الاهوج بعقلها ومنطقها فتعمل بضبط نفس ولا ترد على التحدي المجنون » . وختمت تعليقها مشيدة بالموقف الفلسطيني قائلة « ان الموقف الفلسطيني الشجاع

ويظنون انهم اذا بنوا بالفشل ، فانهم يستطيعون على الاقل استنزاف جزء من جهد الجماهير الوطنية وبعثرة بعض طائراتها ريثما تتاح لهم الفرصة لاحداث فتنة جديدة ، الى ان يتم تحقيق اهداف اسيادهم كاملة (الشعب ١٦/٤/٧٥) .

وفي افتتاحية اخرى تالية ، ربطت « الشعب » بين محاولات الولايات المتحدة تاخير عقد مؤتمر جنيف وبين الاستنزافات الكتابية في نطاق محاولة اميركا ترتيب الاوضاع في المنطقة العربية لمصلحتها. وقالت : « واجهت الحركة الفلسطينية اشكالا من محاولات الانكشاف والتآمر والتهديد ، بدأت قبل جولة كيسنجر الاخيرة ، كمحاولات لجس النبض والترهيب او الترغيب واستمرت الى ما بعد فشل مهمته ايضا » . واعدت « الشعب » المؤامرات التي تعرضت لها الثورة الفلسطينية وقالت ان التفاف الجماهير الفلسطينية والعربية حولها ، كان دائما كفيلا باسقاط المؤامرة (الشعب ١٨/٤/١٩٧٥) .

اما صحيفة القدس فقالت : مصلحة من ايقاظ الفتنة ؟ وتساءلت : وهل من الممكن ان تاكل النار غير لبنان ؟ وهل من الممكن ان تحطم الفتنة سوى التضامن الفلسطيني اللبناني ؟ وبالتالي التضامن العربي في هذه المرحلة الحرجة . وطالبت الامة العربية والقادة العرب باستخدام كل نفوذهم وكل ضغوطهم وامكاناتهم ، من اجل اخماد الفتنة ومعاقبة موقظيها ، « لكي تسود الحكمة بدلا من التهور والانفعال ، ولكي يسيطر العقل بدلا من الغضب ، ولكي يتحول نوم الفتنة الى موت نهائي ... » (القدس ١٥/٤/١٩٧٥) .

وفي افتتاحية اخرى تحت عنوان « المطلوب اغماد السيوف نهائيا لا مؤقتا » قالت « القدس » انه ليس هناك « عربي واحد او حر واحد في الارض ، لا يرحب بعودة الهدوء الى لبنان ، ولكن جميع العرب وجميع الاحرار ، يريدون لهدوء لبنان ان يكون ثابتا ودائما ، ويريدون للسيوف ان تغمد نهائيا ، لا ان تغمد اليوم لتستل بعد حين فتعود الاوضاع الى التآزم من جديد ... » (القدس ١٧/٤/١٩٧٥) .

ابعاد خمسة مناضلين معتقلين الى لبنان

ابعدت سلطات الاحتلال الاسرائيلي يوم ١٨/٤/

الذي لجم الوحش هو موقف العقل الواعي الذي يعرف ما يريد ويؤمن بما يريد ولذلك فانه قادر على افشال كل المخططات التي تعمل على جره الى بحر من الدماء والاحتراب الرهيب بسين الاشقاء » (الفجر ١٥/٤/١٩٧٥) .

وفي اليوم التالي نددت « الفجر » باستمرار الاستنزافات الكتابية ، ونوهت بالموقف العربي والشعبي في لبنان وقالت « ان محاولة خلق هوة من الدم والموت بين الشعبين اللبناني والفلسطيني باءت بالفشل دائما ولن تكون هذه المحاولة الا غشلا اخر جديدا يضاف الى كل ما سبقه وليؤكد اكثر واكثر وحدة النضال المتكاملة بين الشعبين والتي تزداد قوة كلما تعرضت هذه الوحدة للاخطار والمؤامرات » . وختمت الصحيفة تعليقها قائلة : « ومع ثقتنا بنشل المؤامرة وتحويلها الى انتصار جماهيري ، الا اننا نطالب بوضع حد لهذه المجزرة التي لا يبرها عقل ولا منطق ... وان على الدول العربية واجب التحرك السريع وقيل فوات الوقت لاجبار قادة الكتاب على وقف المجزرة ... يجب ان لا نكتفي بمشاورات امين الجامعة العربية في الوقت الذي يهرق فيه الدم وتكاد تتحول المجزرة الى ايلول جديد ... » (الفجر ١٦/٤/٧٥) .

اما صحيفة الشعب فقد كتبت تحت عنوان « العتلة » ان ما ارتكبه حزب الكتائب ضد الفلسطينيين طوال السنوات السابقة ، سيظل شاهدا على ما تعرضت له مسيرة الثورة الفلسطينية من مؤامرات على طريق النصر . وحصلت الصحيفة حزب الكتائب مسؤولية اعماله قائلة : « ان هذه العناصر التي ارتكبت جريمتها ... ساعية لافتنال اسباب الوقعة والافتتال في لبنان ، تدرك انها وهي تمارس دورها في تنفيذ الجريمة ، انما تقامر بمصير لبنان كله قبل ان تحاول ايقاف المسيرة الفلسطينية ، وطعن القوى الوطنية الشريفة في وطنها » (الشعب ١٤/٤/٧٥) .

ومصدرت الشعب تحت عنوان « ليقطع دابر العلاء » قائلة ان ادوات الاجرام التي تحركها الاصابع التي تظن انها سالمة في جحورها ، تحاول الان في لبنان ، امتحان قوة الجماهير العربية وصلابة وحجم التحدي الشعبي لمخططات الاستسلام ،

« انه شيوعي ويناضل من أجل حرية شعبه وانه يؤمن بأن السلام من حق جميع الشعوب » (الفجر ، ١٩/٤/١٩٧٥) .

الحكم في قضية أهد المتهمين باختطاف صاحب «الفجر»

بعد مداوالت استغرقت حوالي السنة ، اصدرت المحكمة المركزية بالقدس يوم ١٩٧٥/٤/٢٨ قرار الادانة والحكم في القضية المرغوة من الادعاء العام ضد ياسر الكركري ، اهد منفذي جريمة خطف يومس نصر صاحب جريدة الفجر المقدسية .

وبعد تلاوة قرار الادانة وقف المدعي العام وطلب بانزال اقصى عقوبة على المتهم لان بقاءه طليقا يسبب خطرا على الجمهور ، خاصة وان لدمتهم عدة سوابق ، وطلب بتفصيل مدة الحكم الصادر عليه سابقا وهو المسجن عامين مع وقف التنفيذ . اما الدفاع غلظ تخفيف الحكم عليه وان يأخذ بعين الاعتبار ان المتهم لم يكن المحرض على الجريمة بل استنجر من قبل آخرين ... وبعد الداولة اصدر القاضي حكمه بالسجن على المتهم لمدة ست سنوات مع تفصيل مدة الحكم السابق وهي ستان .

وذكرت الفجر ان المدعي العام فوجيء بهذا القرار لان الادلة التي قدمتها اليه الشرطة كانت هزيلة ولا تكفي للادانة ، بينما استبعدت شهودا اساسيين في هذه القضية كان من الممكن ان يثبتوا تهم الادعاء في القضية .

ويعتقد المتابعون لسير التحقيق في هذه القضية ان الهزلة في قضية الادعاء لم تكن صدفة ، انما كانت ناتجة عن ضغوط اوساط سياسية في اسرائيل لم تكن معنية في احراج اعوانها من العرب الذين كانوا وراء هذه الجريمة والمعتقد انهم من الخليل .

وجاء في قرار الادانة انه ليس من الضروري القول بأن ما جاء في اقوال المتهم لا يستعمل كاثبات ضدهم . والقصد هنا شهود الدفاع : جميل حد ، شحدة الجعبري ، سمور الجعبري . ويفكر ان حد قد غادر الضفة الغربية فيما بعد الى ألمانيا الغربية .

وترى الاوساط المتابعة لهذه القضية ان قرار الادانة يفرض على المدعي العام ان يقدم شركاء الكركري الى القضاء . لكن سلطات الاحتلال كما

١٩٧٥ خمسة من ابناء المناطق المحتلة الذين كانوا يتبعون منذ فترة طويلة في سجون الاحتلال . وكانت سلطات الاحتلال قد درجت على ابعاد قوائم عديدة من ابناء الشعب الفلسطيني عن بيوتهم وممتلكاتهم خلال سنوات الاحتلال السابقة . الا انها بعد حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ، اخذت تركز حملاتها الابغادية التعسفية على العناصر الوطنية المعروفة بصلابتها وعلى القيادات النقابية والعمالية في الارض المحتلة .

وكانت آخر دفعة من المبعدين هم : المهندس حسين حداد من بيت لحم ، النقابي خليل حجازي من نابلس ، والجمال النقابي حسين ابو غربية من القدس ، عابد الزريعي وعثمان ابو عامي وهما من قطاع غزة .

ومن المعروف ان حداد وحجازي وابو غربية كانوا قد اعتقلوا في الحملة الشهيرة الواسعة التي شنتها سلطات الاحتلال ضد الجبهة الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة في نيسان (ابريل) من العام الماضي . وبقي هؤلاء الثلاثة معتقلين منذ ذلك التاريخ حتى تاريخ ابعادهم الى لبنان .

وذكرت صحف الضفة الغربية ان المحامية فليسيا لانغر ، وهي وكيلة كل من حداد وحجازي وابو غربية ، قالت انها قابلت حسين حداد قبل يوم واحد من ابعاده في سجن الخليل ، حيث مثل هو وستة من زملائه المعتقلين اداريا امام لجنة استئناف عسكرية للمعتقلين الاداريين . والستة هم : عبد المجيد حداد ، عطالله رشماوي ، خليل رشماوي ، داود مطر ، محمد سعده و ابراهيم عواد . واعلنت المحامية باسم موكلها هؤلاء امام لجنة الاستئناف ، انها وموكلها سرفضون المثول امام لجان الاستئناف العسكرية ، لانهم يرون فيها مجرد ورقة توت وضعت لتغطي عورة الاعتقالات الادارية . وصرحت المحامية لانغر ، بان ابعاد الدفعة الجديدة هذه من المواطنين ، وخاصة حسين حداد ، يثبت صحة موقفها نيابة عن موكلها المعتقلين السياسيين بقطاعه هذه اللجان ، كما يؤكد زيف دفاع القاضي العسكري رئيس اللجنة عن « الديمقراطية الاسرائيلية » . ونقلت المحامية لانغر على لسان المهندس حداد قوله امام اللجنة العسكرية لدى مثوله قبل يوم واحد من ابعاده

منذ ١٩ عاما وهو قاضي في المحكمة المركزية بغزة منذ العام ١٩٦٩ وأب لستة اطفال .

وأصدرت المحكمة العسكرية حكما بالسجن مدته ثمانية شهور على الدكتور اسماعيل أبو عماره رئيس قسم الاطفال في مستشفى خان يونس ، بتهمة الاتصال بالقاضي القدرة وعدم التبليغ عنه (الشعب ، ١٩٧٥/٤/٧) .

ومن ناحية اخرى أصدرت المحكمة المركزية في القدس قرارها يوم ١٩٧٥/٤/٩ ، بشأن ما قاله محامي الدفاع حول اغادات زهير ، زكي ورياض الملاعبى والظروف التي انتزعت فيها اغادات الاولاد الثلاثة .

وكان المحامي علي رافع ، وكيل المتهمين قد اثار في الجلسة الاولى من محاكمتهم يوم ١٩٧٥/١/٢٧ ، عدة نقاط قال انها اثرت على مجرى التحقيق . وطلب ان تعقد المحكمة جلسة مصفرة قبل الدخول في صلب الموضوع لسماع اقوال الشهود حول الظروف التي راقت عملية الاعتقال .

وعلى امتداد ست جلسات ، استمعت المحكمة فيها الى شهود النيابة العامة من رجال المخابرات الاسرائيلية والشرطة ، والى شهود الدفاع عن المتهمين . ثم قررت المحكمة في النهاية انها تصدق بشهود النيابة العامة ، الذين اتكروا انهم استعملوا أي ضغط او تعذيب ضد المتهمين ، ورفضت المحكمة بالمقابل كل اقوال الدفاع عن المتهمين .

وقد مددت المحكمة جلستها فوفق العادة الى ما بعد الظهر للاستماع الى شهود النيابة العامة الذين تابعوا الادلاء بشهاداتهم ضد المتهمين في جلسة اليوم التالي (الشعب ، ١٩٧٥/٤/١٠) . ومن الجدير بالذكر ان كلا من المتهمين الثلاثة رياض ، زهير وزكي الملاعبى قد نالوا حكما بالسجن المؤبد ، وانه من المنتظر ان يقدموا الى المحكمة العسكرية مرة اخرى ، بعد ان قدموا الى المحكمة المركزية ، بتهمة قتل سائق اسرائيلي في القدس وتركه في مؤخرة سيارته بعد لغم جثته بالمواد الناسفة .

عيسى الشعبي

تبين نيبا بعد سهلت سفر جميل حمد الى الخارج ، مع ان مصدرا في الشرطة قد صرح بعد صدور قرار الادانة ، ان اسماء بقية المتهمين ، ومنهم حمد ، قد غيمت على جميع مراكز الحدود وان الاوامر قد صدرت بمنع أي منهم من مغادرة البلاد الى اشعار آخر . (الفجر ، ١٩٧٥/٥/٦) .

وكانت الحماية لانغر قد طالبت وزير الشرطة الاسرائيلي بصفتها وكيلة عائلة يوسف نصر ، باصدار اوامره لاجراء تحقيق اضافي في قضية اختطاف يوسف بعد قرار الادانة الذي صدر بحق ياسر الكركري ، ومعاقبة الاشخاص الذين كانوا وراء عملية الاختطاف وما زالوا يتجولون احرارا . وقالت الحماية ان جميل حمد هو الذي اقترح عملية الاختطاف بمساعدة شركاء له يحاول بعضهم الهرب خارج البلاد لانتقاذ نفسه . وكانت لائحة الاتهام التي اصدرتها المحكمة بحق الكركري ، قد وصفت جميل حمد بأنه المقترح لعملية خطف يوسف نصر (الفجر ، ١٩٧٥/٤/٣٠) .

الحكم في قضيتي القاضي القدرة واولاد الملاعبى

حكمت المحكمة العسكرية الاسرائيلية في غزة بتاريخ ١٩٧٥/٤/٦ حكما بالسجن مدته ١٢ سنة على قاضي المحكمة المركزية في غزة خالد عبد الهادي القدرة وعمره ٢٨ سنة ، بعد ان وجهت له المحكمة عدة تهم من بينها عضوية منظمة فتح والاتصال مع المنظمة « والتآمر لاحداث اصابات بقوات الجيش الاسرائيلي » واشخاص متعاملين مع السلطات المحتلة .

ومن الجدير ذكره ان النيابة العامة العسكرية - ممثلة الاتهام - طالبت المحكمة اثناء المرافعة ، بسجن القاضي القدرة ست سنوات . ولكن المحكمة العسكرية ضاعفت المدة واصدرت قرارها بالسجن لمدة ١٢ سنة .

وعلق محامي الدفاع على هذا الحكم بقوله ، ان هذه هي اول مرة تضاعف فيها المحكمة العسكرية العقوبة التي تطلبها النيابة العسكرية ، مع العلم ان القاضي القدرة يعمل في سلك النيابة والقضاء

(٤) إسرائيليات

[١]

إسرائيل تفتش عن مخرج من الازمة الحالية مع الولايات المتحدة
وتتطلع نحو ... الاتحاد السوفيتي

العربية او تلك قد فشلت ، وذلك رغم اعلان الحكومة الاسرائيلية انها على استعداد للسير ثانية في هذه الطريق . « لا غائدة كبيرة في دعوة كيسنجر الى جولة اخرى من المحادثات ، ما دام السادات غير مستعد لتغيير موقفه العنيد ، وليس لدى وزير الخارجية الاميركي اقتراحات خاصة به ، وكذلك لا افكار جديدة لدى حكومة اسرائيل بشأن موقفها السابق » (آرييه ديستشيك - معاريف ، ١٩٧٥/٤/٣) . كذلك يعتقد البعض انه لا ينبغي على اسرائيل تقديم أية اقتراحات جديدة ، في اطار تسويات جزئية اخرى ، حتى وان كانت لديها مثل هذه الاقتراحات ، لان ذلك « يمسس بمصداقية اسرائيل بشكل كبير ، ليس لدى واشنطن فقط وانما لدى العرب ايضا . وعندئذ لن يصدق اي شخص ان موافق اسرائيل تساوي اكثر من الكلام الذي يعبر عنها » (مائي غولان - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٣) . ومن ناحية ثانية ، أشار اخر (حقاي أشد - دانار ، ٧٥/٣/٣٠) الى ان فشل كيسنجر في محاولاته الاخيرة للوصول الى اتفاق جزئي اخر بين اسرائيل ومصر ، لا يدل على فشل سياسة التسويات الجزئية عامة ، وانما يؤكد أيضا ان اي تسوية في المنطقة لن تنجح دون ان يكون أي من الطرفين ، وخاصة اسرائيل ، على استعداد للوصول الى « شفر الهاوية » ودخول الحرب لتنفيذها . كذلك يثبت ذلك الفشل ان العرب لا يزالون متمسكين بلاءات الخسروم الثلاث ، وعلى اسرائيل أخذ هذه النتائج بالاعتبار ، ان ارادت التوجه الى جنيف .

تسويات جزئية شاملة او مؤتمر جنيف

رغم النتيجة التي وصل اليها معظم الملتقين الاسرائيليين حول فشل التسوية الجزئية ، يلاحظ ان هناك انقسامًا في الآراء حول الخطوة المقبلة ، اذ بينما يتجه البعض الى المطالبة بمحاولة الوصول الى تسويات جزئية منفردة مع كل الدول العربية

تجد حكومة اسرائيل نفسها حاليا في وضع لا تصد عليه، على الصعيدين الداخلي والخارجي، بعد فشل المفاوضات مع مصر حول تسوية جزئية اخرى في سيناء ، ثم اعلان الولايات المتحدة عن عزمها « إعادة النظر » في السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، وتحسبها من امكان اتباع الولايات المتحدة سياسة جديدة في المنطقة، تهدف بواسطتها الى التقرب اكثر من العرب ، سعيا وراء مصالحها ، مما قد يضر بمصالح اسرائيل (للتفاصيل انظر ادناه) . ويبسودو ان اسرائيل ، المظلمة لمعرفة نتائج إعادة النظر في السياسة الاميركية ، تأمل في التأثير عليها ولكنها مترددة في القيام بذلك ، اذ تخشى ان اصرت على موقفها الحالي ان تدفع الولايات المتحدة الى اتخاذ « اجراءات مضادة » بحقها ، بينما تمتنع في الوقت نفسه عن تقديم « تنازلات » جديدة لمصر ، او للولايات المتحدة ، خشية من أن يسفر هذا على انه « ضعف » في موقفها ، يؤدي الى توجيه ضغوط اكبر عليها . وفي الوقت نفسه يتعرض رابين ، الذي حازت حكومته على ثقة اكثرية نواب اسرائيل ، بعد ان « صمدت » في وجه الضغوط الاميركية والمصرية و« رفضت التفريط بمصالح اسرائيل الحيوية » ، الى انتقادات لاذعة ، لانها « بدأت تحركها للوصول الى تسوية جزئية مع مصر باعلاتها انها تنوي دق اسفين بين مصر وسوريا ، بينما انتهى هذا التحرك واسرائيل تصرخ ... ان السادات ... حاول دق اسفين بينها وبين الولايات المتحدة » (متياهو بيليد - معاريف ، ١٩٧٥/٤/١) .

فشل سياسة التسوية الجزئية

لوحظ من التعليقات العديدة ، التي صدرت بعد فشل المحادثات بين اسرائيل ومصر ، ان هناك شبه اجماع بين المعلقين الاسرائيليين على أن سياسة التسويات الجزئية المنفردة مع هذه الدولة

ان تنطوي ، « اذا اردنا ان نكون واقعيين » على انسحاب اسرائيلي من معظم المناطق المحتلة ، وكذلك حل القضية الفلسطينية ، « وهي القضية الاساسية في النزاع الاسرائيلي العربي ، وبدون حلها لا قيمة عملية لتسوية أخرى مع طول الوقت. لقد فوّنا في هذا الموضوع عدة مناسبات لخلق زعامة معتدلة في المناطق المحتلة ، او تشجيع تنظيمات سياسية من القوى البناية . وهناك شك الآن اذا بقيت امامنا خيارات كثيرة عدا عن كوننا مستعدين، في نهاية الامر ، للتفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية ، اذا غيرت موقفها من اسرائيل . ولن تكون بذلك اول من يتحدث مع اراهبيين وقتلة ... ثم هل حافظ الاسد [يحب اليهود] اكثر من ياسر عرفات ؟ « (المصدر نفسه) . ولكن على الرغم من هذه الآراء ، و« على الرغم من أن فكرة « دولة فلسطينية » الى جانب اسرائيل تجد من يؤيدها في الكونغرس ، ... يعتقد المسؤولون من ناحية مهنية عن امن اسرائيل ، اكثر فاكثراً ، انه على اسرائيل ان تحتفظ ببراقبة عسكرية في الضفة ، خاصة في ضوء قوة العرب المتعاظمة في الجبهة الشرقية . غني الوقت الذي تتحرر فيه أيدي العراقيين للعمل في اطار الخلاف الاسرائيلي - العربي ... بعد « الصلحة » مع ايران ، وفي الوقت الذي يتم فيه ... تقارب الاردن وسوريا ثم اعادة تسليح الاردن - يبدو ان الرقابة العسكرية في الضفة ضرورية لنا اليوم أكثر من أي وقت اخر في الماضي ... هناك أكثر من ٢٠٠٠ دبابة تهدد اسرائيل على الجبهة الشرقية » (اريئيل غيناي - يديعوت اchronوت ، ٤/٧ / ١٩٧٥) .

أما بالنسبة لمؤتمر جنيف ، فيدعو مؤيدوه من بين الاسرائيليين الى « عدم الخوف » منه ، لان « جنيف ليست اخطر من الجمعية العمومية للامم المتحدة ، وهناك أنجز عرفات كل ما يستطيع انجازه خارج ساحات القتال . وبالطبع ، ان مركز جنيف الدولي لا يعلو على مركز مجلس الامن، وحتى هناك مررنا في عدة تجارب قاسية » (حاتوخ برطوف - معاريف ، ٣/٣٠ / ١٩٧٥) ثم ان « المطالبة بتسوية سلام شاملة اقفل خطراً من مغامرات التسويات الجزئية المشكوك في جدواها » (المصدر نفسه) .

المعنية سوية ، يعلن آخرون انه لا مناص من عقد مؤتمر جنيف ومحاولة حل مشاكل المنطقة نسي اطواره .

وحول التسويات الجزئية الشاملة ، طالب البعض « بتقديم اقتراح اسرائيلي لتسوية شاملة على كل الجبهات ، يضع الاعتراف بحق السيطرة المصرية والسورية والاردنية على مناطق محتلة ، مقابل اعتراف هذه البلدان بحق السيطرة الاسرائيلية على اجزاء منها ، وكذلك بحق اسرائيل في العيش بسلام » (أ. شفائتسر - هارتس ، ١/٤ / ١٩٧٥) ، وهو الاقتراح الذي كان شمعون بيريس قد قدمه في حينه. والصعوبة في هذا الاقتراح هي انه يتطلب « حسناً بشأن الجولان ، وكذلك بهودا والسامرة [الضفة الغربية] وقطاع غزة . ولكن ليست هذه صعوبة يمكن التخلص منها: فاذا لم تحدث أعجوبة وتطرأ ثورة على ميزان القوى الحالية والمحلية ، سنضطر الى حلها ، حتى مقابل تنازلات مؤلمة . ان هذه الحكومة التي وجدت نفسها ترفض [طلبات] الولايات المتحدة عند البحث في مساومات غير متساوية ، ينبغي ان تتحمل مسؤولية قرارات أصعب من التسويع المشار اليه ، لان البديل هو الرجوع الى طريق [التسوية الجزئية] او الحرب في ظروف دولية غير مريحة » (المصدر نفسه) . ولكن هناك من يعترض على هذا الاتجاه ، مقترحاً بديلاً آخر ، تتم بموجبه « المفاوضات ... على اساس ثنائي ، بين اسرائيل وكل دولة من الدول العربية المجاورة لها ، وليس بين اسرائيل وبين كل الدول العربية سوية . ويمكن خلال المفاوضات - تدر الامكان - تنسيق مواقف اسرائيل مع الولايات المتحدة » (اريئيل غيناي - يديعوت اchronوت ، ٤/٤ / ١٩٧٥) .

وهناك أيضاً من يدعو الى دمج الاتجاهين ببعضهما ، اي العمل على تسويات جزئية شاملة تكون نفسها موضع البحث في جنيف . « ان الخيار العملي الوحيد امام اسرائيل هو اعداد مبادرة شاملة ، تستطيع الى حد ما الاجابة على أسس المشاكل . ومن خلال الرؤية الشاملة يمكن تطوير مبادرات لتسويات جزئية والتقدم على مراحل » (دانئيل بلوخ - هارتس ، ٤/٤ / ١٩٧٥) . وهذه « الرؤية الشاملة » ينبغي

شفايتسر - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٨ . وإذا كانت الولايات المتحدة ، على الرغم من ذلك ، تريد كسب ود العرب وحمل إسرائيل على الانسحاب من المناطق المحتلة ، فما عليها الا دفع الثمن : ضمانات اميركية لاسرائيل (المصدر نفسه) .

ماذا يقول « الثلاثة الكبار » في اسرائيل ؟

بمناسبة الاحتفال بعيد استقلال اسرائيل ، خلال الاسبوع الماضي ، نشرت صحف اسرائيل - كالعادة في مثل هذه المناسبة - مقالات مطولة مع زعماء اسرائيل ، الذين اوضحوا آراءهم في مختلف المشاكل التي تواجههم . وتطرق معظم اولئك الزعماء الى موقف اسرائيل بعد فشل المفاوضات مع مصر ، مكررين الآراء الاسرائيلية السابقة . ولكن يشتمن من اقوالهم ان اهدد الاسباب التي دفعتهم الى العمل على افضال المفاوضات اعتقادهم بأن مصر « ضعيفة اقتصاديا » في الوقت الحاضر ، وان العرب يسددون تعهداتهم بمساعدتها « بالكلام لا بالشيكات » ، وهو وضع يمنح اسرائيل متسعا من الوقت للمناورة . كذلك اجاب اولئك الزعماء على اسئلة تتعلق برؤيتهم للموضع الحالي وامكانات التحرك الاسرائيلي في المستقبل ، وكان اولهم رئيس الحكومة يتسحاق رابين الذي اعلن (في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٥/٤/١٨) « ان موافقتنا الاساسية لا زالت كما كانت عليه . وكما هو معلوم عرضت ثلاث امكانات للمفاوضات مع مصر : ... اتفاقية سلام منفصلة مع مصر ... تسوية جزئية شاملة مقابل الغاء حالة الحرب ... وتسوية جزئية محدودة ، مقابل تعهد بالامتناع عن استعمال القوة كطريق لحل النزاع » . وازداد رابين : « اعتقد ، بدون الدخول في تفاصيل حول خطوط ، واذا كان هناك استعداد من ناحية مصر للبحث معنا في اتفاق على اساس الغاء حالة الحرب ، ان المصريين سيجدوننا مستعدين لتنازلات اقلية كبيرة ، في اطار التعاريف ... التي اشرنا لها » .

اما وزير الدفاع شمعون بيريس فقد علق على موقف اسرائيل الحالي وخطواتها بالنسبة للمستقبل (في مقال نشره في معاريف ، ١٩٧٥/٤/١٥) بقوله : « (ا) علينا ان نتمسك بموقفنا تجاه الولايات المتحدة ، ولكن ان نتذكر ايضا انها وقتت

وفي صدد الحديث عن جنيف ، اعلن حفاي أشد (داناف ، ١٩٧٥/٢/٢١) ، أحد المعلقين « المقربين » من دوائر وزارة الدفاع ان الانسحاب الجزئي من مناطق معينة لن يفيد احدا ، ولذلك لا بد من محاولة حل المشاكل في مؤتمر جنيف ، وضمن هذا الاطار على اسرائيل ان تطالب العرب اولا بالتخلي عن لاءات الخرطوم ، وبعد ذلك تقرير مسألة التمثيل الفلسطيني فيما بينهم ، ثم التفاوض فالانسحاب - وان رفض العرب ، على اسرائيل شن حرب اخرى ضدهم . كذلك تستطيع اسرائيل خلال المؤتمر ، واثاء بحث القضية الفلسطينية ، التقرب من الاتحاد السوفياتي ايضا ، بحيث لا تبقى تحت رحمة الولايات المتحدة وحدها .

غير ان أكثر ما يلفت النظر في كلام أشد عن مؤتمر جنيف ، قوله انه لا ينبغي على اسرائيل ان تخشى فرض حل عليها من قبل الدولتين الكبيرتين او ارجاعها الى حدود ١٩٤٧ ، لانه يمكن في حالة كهذه « اقناع الدول العربية والدول الكبرى بان اسرائيل ستحارب فترقت حل كهذا ، وباستطاعتها عسكريا التسبب في اضرار كبيرة لرافق السدول العربية الاقتصادية والعسكرية - مثل مصادر النفط ووسائل الضخ والنقل - تمس بالاستقرار الاقتصادي النسبي في الاقتصاد العالمي ، الذي يسعى الحل القسري الى تأميمه » (داناف ، ١٩٧٥/٤/١) . وقد يكون من المناسب في وضع كهذا العمل على وقوع « تدخل عسكري سوفيتي وامريكي ، يهدف الى الفصل بين اسرائيل والدول العربية من خلال تقسيم الشرق الاوسط الى منطقتي نفوذ وسيطرة بين الدولتين الكبيرتين » (المصدر نفسه) . كذلك طالب أشد اسرائيل بعدم الانتظار لاتمام عملية اعادة النظر في السياسة الاميركية في المنطقة ، وانها عليها ان تقوم بنفسها « باعادة نظر » من جانبها في سياستها ومواقفها ، لكي « تثبت للعرب اننا لسنا العوبة » (المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٤/٦) . وكتب آخر حول الموضوع نفسه قائلا : « ان الثقة في الولايات المتحدة او في أية ائتلاف تتزعمها لن تصمد طويلا ، بعد ان تقوم [الولايات المتحدة] بترك فورموزا والهند الصينية واسرائيل ، واحدة بعد الاخرى . ينبغي على واشنطن الا تخطئ : ان ترك اسرائيل لن يقوي موقعها في العالم العربي ، بل سيضعفها » (ا) .

وتحدث الون ايضا عن القضية الفلسطينية بقوله : « انني ، كوزير خارجية ، لن اوصي الحكومة بالتوقيع على اي اتفاقية شاملة ، الا اذا كانت تحتوي على حل عادل لمشكلة الهويصة العربية — الفلسطينية . والسبب في ذلك ، قبل كل شيء ، هو أن هذه مشكلة ينبغي حلها ، وثانيا — عدم حلها سيسبب بالاتفاقيات الاخرى . ولكن موعد الحل ينبغي ان يكون موازيا للموعد الذي تعين فيه حدودنا الشرقية » .

موقف السادات

حظي الخطاب الذي القاه الرئيس السادات ، بعد فشل المفاوضات مع اسرائيل ، موحيا فيه موقف مصر ومعلنا عن فتح قناة السويس للملاحة والموانئ على تمديد فترة عمل قوات الطوارئ التابعة للامم المتحدة بثلاثة اشهر اخرى ، باهتمام بالغ في كافة اجهزة الاعلام الاسرائيلية ، ونشرت تعليقات كثيرة حوله وحول موقف مصر وخطوات السادات المتوقعة . ورغم اعلان البعض عن أن السادات لا يزال حتى الان متمسكا عمليا بإلادات الخرطوم (يعقوب كروز — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٤/٤) ، يؤكد العديدون ان السادات لا يزال يسير على نفس الاسس التي اتبعها منذ توليه السلطة سنة ١٩٧٠ ، ولكن « بإضافة الى الخط العسكري الذي يؤيده الاتحاد السوفياتي ، والخط السياسي [القاضي] باستغلال الولايات المتحدة للوصول الى الهدف السياسي — برز خط [ثالث] هدفه تحييد المساعدة الامريكية لاسرائيل ، بواسطة خلق صورة مثزنة لمصر لدى الجمهور الاميركي ، مقابل صورة متصلبة لاسرائيل التي تهدد سلام العالم » (حاييم هرتسوغ — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٤/١) .

وأضاف آخر ، معلقا على خطاب السادات ، بقوله « اننا عندما ندرس اقوال السادات ونصغي الى الاصماء ... من أوروبا والولايات المتحدة ، يظهر قصده واضحا للغاية : ان هدف السادات الاول كان ، ولا يزال ، دق اسفين بين القدس وواشنطن ، لان الولايات المتحدة وحدها تستطيع اقضاء اسرائيل وحلها على الانسحاب [من المناطق المحتلة] (يهوشاع تدمور — دافار ، ١٩٧٥/٤/١) . وعليه فان هدف السياسة المصرية

الى جانبنا ، [بحيث ينبغي] ان ننمي الصداقة [معها] ونوضح مواقفنا والا ندخل في نقاش عقيم ، وبالطبع الا [لنجا] الى مهارتات شخصية ، (٢) الاستعداد لامكانية ارتفاع الحرارة العسكرية حتى درجة الانفجار ، الذي تد يحدث هذه المرة على الجبهات الثلاث ، (٣) بعد أيار او حزيران نقترح على المصريين واحدا من اثنين : اما العودة الى المفاوضات حسب اسلوب كيسنجر ، او الذهاب الى جنيف ، [وعلينا] دراسة مسألة التسوية النهائية » . وفي ختام مقاله ناشد بريس ضباط الجيش الاسرائيلي وجنوده بالمحافظة على كل قطعة سلاح او أية كمية من الذخيرة بحوزتهم ، ولمحا الى ان حربا قد تنشب خلال فترة قصيرة ، وقد تجد اسرائيل نفسها بدون جسر جوي من الولايات المتحدة .

كذلك اجري وزير الخارجية يغئال الون ، عشية سفره الى الولايات المتحدة ، مقابلة صحفية (دافار ، ١٩٧٥/٤/١٥) تحدث فيها عن امكانات التحرك الاسرائيلي في المستقبل بقوله ان هناك أربعة طرق امام اسرائيل : « (أ) الاحتفاظ بالوضع الراهن بدون [التيام] بأي جهد سياسي وانتظار مبادرات الاخرين . انني أشجب هذا الاسلوب ... (ب) احياء فكرة التسوية المحدودة ، المرتكزة على الامتناع عن استعمال القوة » ، وذلك بشكل تكون معه « معادلة الامتناع عن استعمال القوة مرحلة اعلى قليلا من [اتفاق] فصل قوات وأقل قليلا من الغاء حالة الحرب (ج) مفاوضات على اتفاقية شاملة من الناحية القانونية — السياسية والاقليمية — الاستراتيجية على اساس معادلة انتهاء حالة الحرب . ولكن هذه المرة لا ينبغي ان تبدأ المفاوضات برسم خطوط الانسحاب وانما يبحث ماهية وضع انتهاء حالة الحرب قبل ترجمة الاتفاقية الى لغة الخرائط ... (د) الذهاب الى جنيف — لا تسرا ، وانمسا كشركاء في تأسيس هذا المؤتمر ... والقصد ، بالطبع ، مؤتمر جنيف ، بتركيبه الاساسي ، ولكن لكي نؤمن نجاحه ينبغي الاعداد له بصبر ومثابرة ، من خلال التعاون الكامل مع الولايات المتحدة ... وفي جنيف لن تكون مفاوضات جهاجية ... » وانما « فرق عمل ثنائية » للبحث في الاتفاق بين اسرائيل وكل دولة عربية على حدة .

بناء على اتفاق بين ديفينس ودوبرينين ، سفيري اسرائيل والاتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة (هآرتس ، ١١/٤/١٩٧٥) . ومع الاعلان عن هذا النبأ ، كشف النقاب ايضا عن أن اسرائيل قد حاولت عدة مرات ، في الماضي ، « فتح حوار » مع الاتحاد السوفيتي وطلبت وساطة عدة أشخاص في سبيل ذلك ، منهم ديبولوماسي من ألمانيا الغربية ووزير خارجية غرنسا سوغنايارغ ، ورئيس حكومة بريطانيا هرولد ويلسون . كذلك أعلن ايضا ان اتصالات بهذا الشأن تمت بواسطة سفارة هولندا في الاتحاد السوفيتي ، التي ترعى مصالح اسرائيل هناك ، بعد ان قطع الاتحاد السوفيتي علاقاته معها اثر حرب ١٩٦٧ (معاريف ، ١١/٤/١٩٧٥) .

رفضت المصادر الاسرائيلية الرسمية ، باصرار ، التعليق على زيارة المبعوثين السوفيتيين تلك او الكشف عما تم خلالها من محادثات . وعندما سئل يتسحاق رابين عن ذلك أجاب (في مقابلة مع معاريف ، ١٨/٤/١٩٧٥) : « لا انوي المصادقة على هذه الابناء او تكذيبها ... ولكني اعتقد انه من المهم للغاية بالنسبة لاسرائيل التفتيش عن اي طريق لاجراء اتصالات مع دول في المنطقة او خارجها ، لا تقيم علاقات علنية مع اسرائيل ... ان مجرد الاعلان يمس بإمكانات اقامة تلك الاتصالات والتقدم ضمن اطرافها . وانكر رابين ان تكون الولايات المتحدة هي التي دفعت اسرائيل ، او توسطت بينها وبين الاتحاد السوفيتي ، لحملها على اعادة العلاقات بينهما ، بقوله : « ان الاعتبار الاساسي في محاولات تنية علاقات واتصالات ... مع دول ، لا علاقات علنية لها معنا ، كان ولا يزال اعتبارا اسرائيليا ، والكل يخضع لهذا الاعتبار » .

وعلق رابين على موقف الاتحاد السوفيتي من ازمة المنطقة ، كما يراه ، بقوله : « لم يحدث أي تغيير ... في موقف الاتحاد السوفيتي بكل ما يتعلق بالشرق الاوسط ، لجهة حل الخلاف او الطرق التي ينبغي اتباعها للوصول الى حل - [والكل لا يزال] حسب مفهومه المعروف . ينبغي الا نتع في اوهام بعد نشر اخبار غير دقيقة بشكل جبالغ فيه » (المصدر نفسه) .

وانارت زيارة المبعوثين السوفيت ردد فعل عديدة في اسرائيل وتكهنات مختلفة حول اسبابها

الحالي - كما يستدل من خطاب السادات - هو عزل اسرائيل « ووضعها في الزاوية وكشفها أمام اضواء العالم كله - بينما تطالب مصر بصوت عال بانسحابها . وان كان هذا لا يفيد ، فانه لن يضر كوسيلة ضغط على اي حال » . اما الخطوة القادمة ، « بعد مؤتمر جنيف الذي سينتهي بدون اي شيء ، فيستكون مؤتمر المئة دولة غير المتحازة ، كاستعداد للجمعية العمومية للأمم المتحدة . وفي آب ستصل معركة العزل الى قمته ، عندما سيرتفع الشعار العربي : طرد اسرائيل من الامم المتحدة » (المصدر نفسه) .

وأشارت مصادر اسرائيلية اخرى الى أن عملية فتح قناة السويس للملاحة ستؤدي ، على المدى البعيد ، اما الى نشوب حرب جديدة بين اسرائيل ومصر واما الى انسحاب اسرائيلي آخر في سيناء ، لانه لا يمثل ان يسير العمل كالمعتاد في القناة ، لفترة طويلة ، وهي واقعة في مدى مرمى المدفعية الاسرائيلية .

زيارة ألون لواشنطن

يقوم وزير خارجية اسرائيل يغال ألون حاليا بزيارة الى واشنطن ، بناء على طلب منظمات الجبابة اليهودية في امريكا ، حيث سيجتمع ايضا الى وزير الخارجية الامريكية كيسنجر . وقد اثارت هذه الزيارة اعتراضات وانتقادات من دوائر اسرائيلية عديدة ، بينما اعرب البعض عن رأيهم بأن تلك الزيارة ستكون « عديمة الفائدة » ، ما دامت اي من امريكا او اسرائيل لم تقرر موقفها بعد من الخطوات المقبلة (أ . شفايتسر - هآرتس ، ١١/٣/١٩٧٥) . ولكن ، من ناحية ثانية ، رغم مطالبة ألون بالامتناع عن « كثرة الكلام » مع كيسنجر اثناء لقائه ، علم أن ألون وديفينس ، سفير اسرائيل في الولايات المتحدة ، قدما « شيئا ما » لكيسنجر ، مشيرين الى ان اقتراحات اسرائيلية جديدة مستقدم بعد الانتهاء من عملية اعادة النظر في السياسة الامريكية .

اتصالات اسرائيلية - سوفيتية

أعلن مؤخرا في اسرائيل ان مبعوثين من الاتحاد السوفيتي قاما بزيارة الى القدس ، حيث اجتمعا الى وزير خارجية اسرائيل ألون ورئيس حكومتها رابين . وعلم ان هذين المبعوثين زارا اسرائيل

مع الاتحاد السوفييتي (موشي زاك - معاريف ، ١٣/٤/١٩٧٥) ، وحاني غولان - هارتس ، ١٤/٤/١٩٧٥) . وعلى الرغم من ان معظم التعليقات « رحبت » بهذه الزيارة ، « بتحفظ » - لانه لا مانع من أن « نتعلم من الاخرين [أي العرب] ونقيم علاقات مع الاتحاد السوفييتي ايضا » (بهوشواع غلبوع - معاريف ، ١٤/٤/١٩٧٥) ، أشار احدثهم (اريئيل غيناى - يديعوت احرونوت ، ١٣/٤/١٩٧٥) الى ان « خلافاتنا في الرأي مع الاتحاد السوفييتي تتعلق بمشاكل اساسية : الحدود ، الدولة الفلسطينية ، الهجرة . ان مشاكل كهذه لا يمكن ان تحل بواسطة زيارة سرية ليعوثي الكرملين الى اسرائيل ، ولا حتى بواسطة اتصالات اعتيادية ، اذ - وعندما - تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل والاتحاد السوفييتي » .

صبري جريس

والغاية منها . فأشار البعض الى ان المبادرة للزيارة جاءت من الكرملين . وان المبعوثين ارادا معرفة رأي اسرائيل بشأن اشترك منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر جنيف ، وحصلا على الجواب الاسرائيلي التقليدي المعارض لذلك . كذلك اقترح المبعوثان ان تقوم اسرائيل بالانسحاب الى خطوط ١٩٦٧ ، مقابل ضمانات سوفيتية لها ، بينما أبلغهم الاسرائيليون انهم يصرون ، على الرغم من ذلك ، على المطالبة بادخال « تعديلات جوهرية » على الحدود (اريئيل غيناى - يديعوت احرونوت ، ١٣/٤/١٩٧٥) .

ونسبت التعليقات الاسرائيلية للاتحاد السوفييتي غايات عديدة من وراء الزيارة تلك ، منها العمل على « تحييد » اسرائيل لجهة تأثير الصهيونيين على تجديد اتفاق التجارة بين روسيا وامريكا ، وكذلك محاولة الضغط على بعض الدول العربية ، وخاصة مصر ، لحملها على اعادة النظر في علاقاتها

[٢]

حكومة اسرائيل متمسكة بمواقفها السابقة وتنتظر نتائج « اعادة النظر » في السياسة الاميركية

الى ازالة الجهود الذي سيطر على علاقات البلدين منذ فشل المفاوضات حول التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل . وكان الون قد صرح بعد اجتماعه الى كيسنجر ان ذلك الاجتماع « دفسع علاقات البلدين الى طريق جديدة ، تؤدي للحوار ... كانت محادثات مفيدة ، وقد تعطي ثمارا في الايام القربية » . وازاف الون : « حتى هذه اللحظة لم تحدث أية عرقلة في تزويد [اسرائيل بالسلاح] ، الذي وقعت اتفاقيات بشأنه في الاشهر الاخرة ... ولكن الاسلحة التي وعدنا بها ، ولم توقع اتفاقيات بالنسبة لها ، لا تزال في مرحلة انتاجها وموعد تزويدها بعيد ، حتى بحسب ما تم الاتفاق عليه » (تسفي ريمون - يديعوت احرونوت ، ٢٣/٤/١٩٧٥) . غير انه لم يعض الا وقت قصير على انتهاء اجتماع ألون - كيسنجر حتى كان الرئيس فورد يعقد مؤتمرا صحفيا ويجيب

لا تزال الدوائر الاسرائيلية المختلفة تبدي اهتماما كبيرا بموقف الولايات المتحدة من دول المنطقة عامة ، ومن اسرائيل خاصة ، في الوقت الذي يبدو فيه ان حكومة اسرائيل مهتمة جسدا بمعرفة نتائج « اعادة النظر » في السياسة الاميركية تجاه المنطقة ، ولكنها تبتنع عن محاولة القيام بذلك ، ملنا على الاقل ، خشية من فشل مساعيها هذه ، مما قد يؤدي بالتالي الى «تصلب» امركي تجاه اسرائيل من جهة ، ونظرا لانعدام وجود اتفاق بشأن الخطوة الاسرائيلية التالية لدى حكومة اسرائيل من جهة اخرى .

اجتماع ألون - كيسنجر

وفي هذا الصدد ، علفت الاوساط الاسرائيلية اهية كبيرة على زيارة وزير خارجية اسرائيل يغثال الون لواشنطن مؤخرا واجتماعه هنسك بزميله هنري كيسنجر ، آملة ان يؤدي هذا اللقاء

خلاله على أسئلة الصحفيين حول موقف بلاده من إسرائيل والعرب بشكل دافع معظم المعلقين الاسرائيليين الى التاكيد ان اجتماع السون - كيننجر ، في ضوء تصريحات الرئيس فورد تلك ، كان فاشلا ، بينما قام احد كبار المراسلين الاسرائيليين في الولايات المتحدة ، الذي يعتبره الامريكويون مقربا من الدوائر الحاكمة في اسرائيل ، بشن هجوم مباشر على الرئيس فورد بقوله : « يجلس في البيت الابيض الان رجل بارد يسود لديه شعور التذمر تجاه اسرائيل . انه لا يذكرنا أبدا بعضو مجلس النواب جيرالد فورد من ميشيغن الذي وقع على عرائض السلاح لاجل اسرائيل وخطب في اجتماعات « اللوبي » اليهودي » (دان مرغلين - هارتس ، ٢٣ /٤/ ١٩٧٥) .

وعلق مراسل دافار (٢٣/٤/١٩٧٥) ، الصحيفة الهستروتية شبه الرسمية ، في الولايات المتحدة ، ناحوم برناع ، على اقوال فورد ، بعد ان لفت النظر بشكل خاص الى اعلان فورد انه اذا وافق على لقاء رابين سيفطر الى عقد لقاءات مماثلة مع الزعماء العرب ، بقوله : « يبدو ان لهذا [الموقف] دافعين على الاقل ، بالاضافة الى الشعور بالاحباط لدى الرئيس ووزير الخارجية بعد فشل المفاوضات . الاول استغلال الازمة المحددة [الراهنة] في علاقات واشنطن مع القدس لتثبيت مسار بدأ حالا بعد حرب يوم الغفران ، وأساسه تقارب سياسي بين المجموعة العربية المعتدلة والولايات المتحدة . والثاني ممارسة ضغط على اسرائيل لتتقترح تنازلات تمكن عقد تسوية جزئية مع مصر . والافتراض وراء هذا المفهوم هو ان حكومة اسرائيل لن تستطيع الصمود طويلا في حرب الاعصاب الدائرة ضدها » . اما مراسل صحيفة هارتس (٢٣/٤/١٩٧٥) ، دان مرغلين ، الذي وصف فورد بأنه « رجل بارد » ، فقد علق على الخطاب بقوله ان ما جاء فيه « يدل بوضوح على بداية الاتجاه في تعيين السياسة الاميركية الجديدة ، حيث يتوقع تصلب في الحديث الاميركي عن اسرائيل ، بحيث تجذ اعادة النظر تعبيرا عنها في تعاريف جديدة لهذه السياسة في الشرق الاوسط . ليس هذا صداما على غرار [الضدام] مع الرئيس دوايت ايزنهاور سنة ١٩٥٧ ، ولكن بدأ ضغط قوي . [كذلك] تمتد الادارة ان استمرار الضغط سيخضع اسرائيل ، ولكن الخبراء الاميركيين مقتنعون ان الميزات [التي تتمتع] بها اسرائيل قوية لدرجة تستطيع معها ان تسمح لنفسها بعدم الاستجابة للطلبات الاميركية . ولهذا يريدون تغيير هذا الوضع ، وفورد يوافقهم على ذلك » .

« خطر المساواة » بين العرب واسرائيل

كان أبرز ما لفت نظر المعلقين الاسرائيليين في خطاب الرئيس فورد محاولته « المساواة » بين العرب واسرائيل اثناء حديثه ، وهو اتجاه يتم ، بحسب رأيهم ، عن خطورة بالغة . « هذه هي المرة الاولى في علاقات اسرائيل - الولايات المتحدة ، التي يجري فيه رئيس الولايات المتحدة مقارنة بين دولة اسرائيل « ومنظمة الارهاب العربية » ، المعروفة باسم « منظمة التحرير الفلسطينية » . م عندما سئل اذا كان باستطاعة الفلسطينيين الاشتراك في مؤتمر جنيف ، اجاب انه لا يرى امكانية كهذه لان اسرائيل لا تعترف بـ م.ت.ف. و م.ت.ف. لا تعترف باسرائيل ، وليست هناك دلائل لتغيير هذا الموقف . ان هذه المقارنة بين عاملين يزعم انهما متساويين هي اخطر تصريح سياسي سمعناه حتى الان من قبل حكومة الولايات المتحدة حول م.ت.ف. ، وليس هذا بحسب ، إذ انه اضاف بان الولايات المتحدة لن تتخذ أي قرار حول هذه المسألة قبل انهاء [عملية] اعادة النظر » (موشي زاك - معاريف ، ٢٣/٤/١٩٧٥) . وشدد مراسل اخر على قول فورد « ان الحاجة الى موقف مساواة تجاه اسرائيل والعرب هي احدى اسباب اعادة النظر » في السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، معلنا انه في مثل هذه الحالة قد يكون « الانتهاج النهائي لاعادة النظر تلك صيغة جديدة من مشروع روجرز ،

الجزئية مع مصر من جهة والحاجة السى اتخاذ موقف للتحرك في المستقبل من جهة اخرى ، وهي الطلبات التي ايدها بعض الوزراء الاسرائيليين ، بحيث اعلنت الحكومة « مبدئيا » عن نيتها اجراء « نقاش سياسي » ، يفترض ان تتم خلاله عملية إعادة نظر في المواقف السابقة ، او التمسك بها . غير أن محدثين من قبل الحكومة اعلنوا انه لن يتم اي شيء بهذا الصدد قبل اعلان الولايات المتحدة عن نتائج إعادة النظر في سياستها ، وبعد الاعلان عن اللقاء الذي سيتم بين غورد ورايين في منتصف الشهر المقبل ، بعد لقاء السادات - غورد ، اعلن أن اسرائيل قررت تأجيل البت في موقفها حتى ذلك الوقت ، على أن تتم هذه العملية في ضوء مباحثات رايين - غورد . أما الانتطاع قبيل هذه المحادثات فهو أن رايين « قرر الصمود في وجه الضغوط وعدم التنازل . انه يعتقد ان الامور ... لن تصل الى حد الازمة » . وانطباعه ان اسرائيل قطعت [مرحلة الخطر] في الجدل مع الولايات المتحدة ، وخلال شهرين « ستكون الصورة مشرقة أكثر » . . . أما اذا حدث عكس ذلك واستمرت الخلافات بين البلدين ، فان اسرائيل « تفضل حربا على الخطوط الحالية » ، بدلا من حرب بعد سنتين وعلى خطوط اسوأ ، « عندما تكون مصر مستعدة للحرب » (يوسف حاريف - معاريف ، ١٩٧٥/٤/٢٥) .

رغم ذلك ، استمرت التعليقات والنصائح الموجبة الى اسرائيل وحكومتها بشأن انطباق الطرق التي ينبغي اتباعها للخروج من المأزق الحالي . وعلق النائب يهودا شعري (الاحرار المستقلين) عن موقف اسرائيل من هذه الناحية بقوله : « ليس من الافضل أن نشن الان هجوم سلام ونقلب النقاش بيننا وبين العرب من [مشاحنات] اقليمية الى طلب اقامة سلام كامل وحقوقي ؟ في النقاش الاقليمي نحن الضعفاء ، لان العالم يعتقد بأنه لا يحق لنا أن نكون عنيدين بشأن بضعة كيلومترات من اراضى ليست لنا . ولكن في النقاش حول السلام نحن الاقوياء ، لانه اذا كان العرب غير مستعدين للسلام ، فمسموح لنا ومن حقنا ، بل نحن ملزمون بعدم التنازل عن مناطق استراتيجية » (يديموت احرانوت ، ٢٢ مناطق استراتيجية » (يديموت احرانوت ، ٢٢ مناطق استراتيجية » (يوسف حاريف - معاريف ، ١٩٧٥/٤/٢٥) . واضاف شعري : « علينا ان

ومع التعليق على خطاب غورد وابعاده ، استمر الاسرائيليون في مناقشة نتائج « إعادة النظر » في السياسة الامريكية في المنطقة عامة ، وتأثيرها على اوضاع اسرائيل الاقتصادية خاصة ، فأشار بعضهم الى ان احدى النتائج الاساسية المترتبة على ذلك ، والتي اتضح مؤخرا بحسب رأيه ، هي أن الولايات المتحدة ستقدم لاسرائيل ، خلال السنة المقبلة مساعدات اقتصادية يبلغ مليار دولار « فقط » ، بدلا من المبلغ الذي طلبته اسرائيل ويزيد على ملياري دولار (دان مرغوليت - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٢٥) . وبرر البعض ذلك بقولهم ان المساعدات الامريكية المباشرة لاسرائيل ، على أي حال ، لم تصل مرة الى ما وصلت اليه خلال حرب تشرين وبعدها مباشرة ، وجاء ذلك أساسا بسبب الحرب ونتائجها . كذلك فان الوضع الاقتصادي داخل الولايات المتحدة نفسها لا يسمح لحكومتها بتقديم مساعدات كبيرة لاسرائيل ، ولهذا فان « طلب اسرائيل مساعدات اقتصادية وعسكرية امريكية في السنة المقبلة سينخفض بدون اية علاقة بسياسة ... كيسنجر . وفي مقابل ذلك ، اذا أصرب اسرائيل [بشكل] ... يمنع التخليص في مواد معينة ، فسكون امكانيات نجاحها أكثر » (يوفال اليتسور - معاريف ، ١٩٧٥/٤/٢٨) . واطن آخر انه « لا فائدة من خضوع اسرائيل للحصول على سلاح » يكون صالحا للاستعمال بعد وقت غير قصير ، خاصة وأنه لدى اسرائيل ما يكفيها الان من السلاح ، « وأكثر من مرة يثور الشك ، بأنه ليست المساعدة العسكرية ، وانما المساعدة الاقتصادية هي التي تحظى ... باهتمام حكومة اسرائيل . ان هذه المساعدة ضرورية لنا لكي نوفر على انفسنا عشاء للمصادر الموضوعية تحت تصرفنا ، او للتنازل عما مرغناه قبل شهر فقط على انه [اهداف] امنية ضرورية لكي نستمر في العيش في حالة طوارئ » « مبتازة » ، « نقاسي » منها منذ سنة وأكثر ... » (١٠ شفايتسر - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٢٨) .

اسرائيل تنتظر لقاء رايين - غورد

ومن ناحية ثانية ، ازدادت في اسرائيل حدة الطلبات الداعية لحكومتها الى إعادة النظر في مواقفها ايضا ، في ضوء فشل محادثات التسوية

أجلا ... لان البرود قد يتحول الى جمود مجدد ، لا مصلحة فيه لاحد - لا اسرائيل ، لا الولايات المتحدة ولا العرب والسوفييت « ، ولهذا لا بد من استئناف مساعي التسوية في المنطقة قريبا وعلى اسرائيل ان تستعد لذلك (حفاي ايشد - دانرا ، ١٩٧٥/٤/٢٤) . واضاف اخر ، بعد ان عرض المواقف الاميركية « غير المؤيدة » لاسرائيل ، انه « على اسرائيل ان تسرع في [تقديم] افكار جديدة لكي تؤثر على اعادة النظر في السياسة الاميركية » (دان مرغلين - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٢٥) . بينما أكد زميل له « ان هناك ضرورة ملحة لعدم فعل اي شيء » وانتظار الموقف الاميركي (المصدر نفسه) .

وطالب آخرون بالتنسيق مع الولايات المتحدة والحصول على تعهدات واضحة منها ، قبل الموافقة على الاشتراك في مؤتمر جنيف ، لان التصرف بعكس ذلك سيكون بمثابة « انتحار سياسي » ، اذا عارضت اسرائيل احد الطلبات الاميركية في جنيف (ماتي غولان - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٢٨) . واضاف احدهم مطلقا على هذه الناحية بقوله : « اننا لا نستطيع ان نتوقع اتفاقا امريكيا مطلقا معنا في مؤتمر جنيف . ولكننا نستطيع ان نتوقع مساعدات اميركية تمكننا من الوصول الى موقف قوي لا يقل عن ذلك الذي يحصل اليه العرب بواسطة الدعم السوفييتي (اريئيل فيناي - يديعوت ارونوت ، ١٩٧٥/٤/٢٠) ، بينما طالب ثالث بالتنسيق مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سوية ، والعودة الى محادثات على غرار محادثات الكيلو متر ١٠١ بدلا من عقد مؤتمر جنيف (موثي زاك - معاريف ، ١٩٧٥/٤/٢٥) .

وعلق البعض على موقف الكونغرس المؤيد لاسرائيل ، والامال التي تعلقها دوائر اسرائيلية عديدة على هذا التأكيد « لكبح جماح » سوردي وكيسنجر ، ان ارادا الذهاب بعيدا في اجراءاتهما « غير الودية » تجاه اسرائيل ، بقولهم : « لا شك ان الكونغرس لا يزال يقف بصلابة الى جانب اسرائيل . ولكن من الواضح ... ان الشرق الاوسط هو المجال الوحيد الذي تحظى فيه ادارة الرئيس فورد بتأييد الحزبين في الولايات المتحدة ... ولهذا فان المشكلة التي تواجه اسرائيل بشأن

نبلور مشروع سلام ، وحتى اسس خارطة سلام ، ونعرضها على العرب والمسلم والاميركيين ، وستنظر لاتخاذ قرارات صعبة بسبب اوضاعنا السياسية الداخلية ، ولكن لا مفر من هذا » (المصدر نفسه) . وايد هذا الرأي ايضا دافيد شوحام ، محرر « اوت » ، مجلة حزب العمل سابقا ، بقوله (بعد ان اشار الى الصعوبات السياسية الداخلية) : « ان للخيارات امام الحكومة هي ... الانتخابات او الحرب . ان قول الحقيقة حول خيارنا الواقعية يلزم اجراء انتخابات . والادعاء بان هناك خيارا اخر - وتصرف سياسي يتلائم مع هذا الادعاء - سيؤدي في نهاية الامر الى الحرب ، التي ستتسبب ، حتى اذا كانت نتيجتها حسنة للغاية ، بالاسراع في تنفيذ اسوأ الخيارات المتوقمين - اعادة المناطق [المحتلة] دون اي مقابل سياسي » (يديعوت ارونوت ، ١٩٧٥/٤/٢١) . واضاف شوحام ساخرا : « هناى من يتجه بعينيه نحو السماء ويتمتم : لينة كان لدينا الان بن غوريون ، يجرؤ على قول الحقيقة ويعرض شعبيته للخطر ويختار اخف الشرور » (المصدر نفسه) .

كذلك قدم البعض اقتراحات « عملية » اخرى - وكان من بينهم الوزير السابق موثي كرميل ، الذي اعلن عن معارضته للتسويات الجزئية او الشاملة ، مطالبا بدلا من ذلك باتباع خطوات عملية عديدة ، الواحدة بعد الاخرى ، لتخفيف حدة التوتر بين اسرائيل والدول العربية وذلك ، مثلا ، بالعمل على تقليص القوات المسلحة لدى الطرفين ، فرض قيود على نوعية الاسلحة ، تخفيف القوات على الحدود ، تقوية قوات الطوارئ الدولية ، ايقاف الحرب الاقتصادية واعادة اعمار مناطق الحدود وغيرها (من مقال له في يديعوت ارونوت ، ١٩٧٥/٤/٢٠) . واقترح اخر العودة الى مشروع النون « لحل » القضية الفلسطينية والبدء بتنفيذه قبل القيام بأي خطوة على طريق الحل مع سوريا او مصر (جانوخ برطوف - معاريف ، ١٩٧٥/٤/٢١) .

وتطرق عدد من المعلقين ايضا الى الموقف الاسرائيلي من التحركات الاميركية المتوقعة ، فأشار احدهم الى ان الفتور في العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة سينتهي « ان عاجلا او

في أواخر ١٩٧٢ ولان بريجنيف عاد وأكد هذا الموقف قبل بضعة أشهر أثناء زيارته لمغوليا ، أعلن آخرون أنهم يرون في هذه التصريحات « بادرة طيبة » ، ينبغي أن تدفع أولئك الاسرائيليين الذين يعتقدون أن الاتحاد السوفييتي يسمى الى « اباداة دولة اسرائيل » على تغيير رأيهم ، لان صراعا بين دولة عظمى كالاتحاد السوفييتي ودولة صغيرة كاسرائيل ... قد يكون من الكبر الاخطار التي تهدد دولة اسرائيل « (الياهو اغرس - دافار ، ٢٥ / ٧٥ / ٤) . ثم ان « اباداة دولة اسرائيل ليس هدفا سوفييتيا . ان الهدف الرئيسي للاتحاد السوفييتي كان ولا يزال المحافظة على ... مواقعه في الدول العربية ... والموقف من اسرائيل ليس الا [احدى] نتائج هذا الهدف . ان الاتحاد السوفييتي ليس معنيا بحرب عربية اسرائيلية ويؤيد حلا سياسيا لازمة - شرط ان لا يمس ذلك بالهدف الرئيسي » (المصدر نفسه) .

رغم ذلك ، يعتقد البعض ان الموقف السوفييتي تجاه اسرائيل لا يزال « خطيرا » حتى وان كانت التحركات السوفييتية الاخيرة تجاه اسرائيل والتصريحات التي رافقتها « بداية اتجاه سوفييتي نحو توازن أكثر تجاه اسرائيل ، بما في ذلك [الموافقة] على تعديلات معينة على الحدود المصرية ، في اطار اتفاق سلام نهائي » (يهوشوع تدمور - دافار ، ٢٩ / ٧٥ / ٤) . أما « الخطورة » في هذا الموقف فتكمن في نظرة السوفييت الى القضية الفلسطينية ، لانه ، « في كل ما يتعلق باقامة دولة فلسطينية برئاسة م.ت.ف. ، دولة تكون حدودها بماذاة الخط الاخضر [حدود الهدنة ١٩٤٩] ، ليس فقط انه لم يحدث تغيير في موقف موسكو ، بل ازداد شدة . وهذه هي الدوامسة الحقيقية ، لان الكل تقريبا يوافق الان انه بدون حل القضية الفلسطينية لن يكون سلام ، ولكن السؤال هو أي نوع من الاتفاق يمكن أن يتم مع م.ت.ف. ؟ والغريب ان بعض الرجال المركزيين في حكومة اسرائيل لا يزالون يتعلقون بأمال تجاهل هذا الموضوع ، من خلال تسوية معينة مع الملك حسين ، [رقم] انه يبدي الان تصلبا اكبر وروحا قتالية » (المصدر نفسه) .

وعلق أحد المرسلين المتربين من الدوائر الحاكمة في اسرائيل على موقف الاتحاد السوفييتي

كسر الجبود في علاقاتها مع الولايات المتحدة لا تتعلق بالكونغرس) وانما بإدارة الرئيس فورد « (شموئيل سيفغ - معاريف ، ٢٥ / ٤ / ١٩٧٥) . كما أن المشكلة متفرعة وشائكة ، خاصة مندما يتعلق الامر بالقضية الفلسطينية ، « وليس سرا ان ادارة فورد تدرس هذا ضمن اطار « اعادة النظر » . هناك حقا دلائل تؤكد ان ادارة فورد لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني ، ولكنها متفتحة بأنه ينبغي منح تمثيل للفلسطينيين في جنيف » ، ولكن يزيد من تعقيد هذه المشكلة الخلافات الداخلية ، الاسرائيلية والعربية ، بشأنها وكذلك موقف الاتحاد السوفييتي (المصدر نفسه) .

موقف الاتحاد السوفييتي

حظيت تصريحات وزير الخارجية السوفييتي غروميكو ، خلال لقائه مع وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام في موسكو ، بشأن استعداد الاتحاد السوفييتي لمنح ضمانات لاسرائيل اذا وافقت على الانسحاب من المناطق المحتلة باهتمام من قبل دوائر اسرائيلية عديدة ، خاصة وانها جاءت بعد زيارة قام بها مبعوثون سوفييت الى اسرائيل مؤخرا ، واجروا خلالها محادثات مع كبار المسؤولين الاسرائيليين . « فعندما تستقل الحكومة السوفييتية استقبالا رسيا لزعيم سوري لكي تملن عن استعدادها لضمان امن اسرائيل ضمن حدود ١٩٦٧ ، يحدث شيئا ما في موسكو - حتى اذا فهم من ذلك عودة الى طلب انسحاب اسرائيل الى حدود ه حزيران ، وحتى اذا كان لدينا شك في طهارة نوايا موسكو النهائية » (الياهو سلفنر - هارتس ، ٢ / ٤ / ١٩٧٥) .

وعلق آلون على تصريحات غروميكو بشأن وجوب الاستعداد جيدا لمؤتمر جنيف قبل عقده بقوله انها « منغيدة » ، « وأبدي ... رأيه بأن مجرد تأكيد غروميكو على ضرورة الاعداد لمؤتمر جنيف جيدا يعتبر « لغة جديدة » للديبلوماسية السوفييتية ، التي استغلت جنيف حتى الان ولكنه تهديد » (دافار ، ٢٨ / ٤ / ١٩٧٥) . ورغم ان البعض أعلن انه ليس من جديد في هذه التصريحات السوفييتية ، لان الاتحاد السوفييتي أعلن عن موقفه هذا خلال انعقاد الدورة الاولى لمؤتمر جنيف

ضمانات لإسرائيل ، منها ان الاتحاد السوفييتي يأمل من وراء ذلك الاشتراك في قوات الطوارئ للامم المتحدة ، اذا تم اتفاق آخر بين اسرائيل والعرب . وتحدث البعض عن اهداف وأسباب أخرى ، منها ان الاتحاد السوفييتي « يقدر » أكثر من العرب والأمريكين انه لا امكانية للحصول على « تنازلات » اسرائيلية ، دون ضمان وجود اسرائيل ضمن حدود ١٩٦٧ ، وان موسكو غير واثقة من نتائج اعادة النظر في السياسة الاميركية في المنطقة ، وتشك في قدرة الولايات المتحدة ، او نيبتها على توجيه ضغوط الى اسرائيل ، خاصة وان « حدود » اعادة النظر في السياسة الاميركية « لا تترك مجالا للشك بالتزام الولايات المتحدة بوجود اسرائيل وأمنها ، حتى وان كان ذلك مجتمعا بحدود ١٩٦٧ » (ياهو سلفطر - هارتس ، ٧٥/٥/٢) .

زيارة ألون لفرنسا

بعد انتهاء زيارته للولايات المتحدة ، زار وزير الخارجية الاسرائيلي يغئال ألون فرنسا والمانيا ورومانيا ، وفي فرنسا اجتمع الى زميله الفرنسي جان سوفيبارغ . وعند التعليق على اسباب هذه الزيارة ، أكدت المصادر الاسرائيلية ان الهدف منها لم يكن اقتناع فرنسا بلعب دور الوسيط بين اسرائيل والعرب ، رغم ان حكومتها تريد ذلك ، « لقد اتخذت فرنسا موقفا واضحا تجاه اسرائيل من جهة والدول العربية من جهة أخرى ، لدرجة لا تستطيع معها ان ترشح نفسها للعب دور الوسيط » بين الطرفين (ياهو مايسي - هارتس ، ٧٥/٤/٢٥) . كذلك « فان فرنسا تخدع نفسها اذا كانت تعتقد ان أوروبا تستطيع ان تكون بديلا للولايات المتحدة من اية ناحية كانت » (تامار غولان ، معاريف ، ٧٥/٤/٢٨) . ولهذا يبدو ان الزيارة تمت بسبب « اعتراف اسرائيل بالدور السياسي المهم الذي تلعبه فرنسا داخل المجموعة الأوروبية » . وقيل بضعة ايام اسقطت فرنسا حق اعتراضها على التوقيع النهائي [على اتفاقية السوق المشتركة] مع اسرائيل ، رغم ان المفاوضات مع دول شمال افريقيا لم تنته بعد « (المصدر نفسه) . ويبدو ان الهدف من الزيارة كان اقتناع فرنسا إن علاقات السوق المشتركة مع اسرائيل لا تتعارض مع علاقاتها مع الدول العربية .

من هذه الناحية بقوله ان السوفييت « لا يتحدثون الان بمبشرات مجردة عن ارجاع « حتمسوق الفلسطينيين » ، ولا بأقوال غير واضحة بشأن « كيان فلسطيني » . . . انهم يتحدثون الان بوضوح عن دولة خاصة بالفلسطينيين ، اي دولة تضم الضفة الغربية وقطاع غزة » (يوسف حاريف - معاريف ، ٧٥/٥/٢) . ومن اجل الوصول الى « تفاهم » بشأن ذلك مع م.ت.ف. « دعني ياسر عرفات الى موسكو . ويبدو ان موسكو بحاجة الى مهلة معينة بهذا الشأن ، وتريد تعاوننا من قبل عرفات . . . وسيحاول غروميكو اقتناع عرفات بأن يتركه « ليعمل » على [اقتناع] كيسنجر » (المصدر نفسه) . واذن هذا المراسل موضحا ما يصغه بموقف حكومة اسرائيل وتوقعاته بهذا الصدد بقوله : « في وقت ما اتجهت واشنطن الى تغيير موقفها من م.ت.ف. (ولا زلنا نذكر . . . « زلات لسان » الرئيس غورد بهذا الشأن) ، ولكنها تراجعت بسبب ضغط اسرائيلي . اما الان ، بعد فشل المحادثات على اتفاقية جزئية مع مصر ، تسمع في واشنطن اصوات . . . تنادي باستقلال سوء التفاهم مع اسرائيل للتخلص من الالتزام الاميركي [تجاهها] بشأن [عدم الاعتراف] بـ م.ت.ف. ، بينما يوصي غروميكو من ناحية ثانية بالتصرف بحذر ، من خلال اتجاه الاقتصاد السوفييتي الى الابقاء على قرار مجلس الامن ٢٤٢ أساسا لمؤتمر جنيف ، بدلا من استبداله بقرار الجمعية العمومية ٢٢٣٦ الذي يعترف بـ م.ت.ف. كممثلة للفلسطينيين ، مما يؤدي الى عدم عقد المؤتمر . ولهذا يسمى الاتحاد السوفييتي « الى اقتناع العرب ، وخاصة م.ت.ف. ، بالسماح له بالناورة بطرقه الخاصة لكي يدعو م.ت.ف. الى جنيف ، في نهاية الامر » . ولكن من ناحية ثانية « هناك دلائل بأن السوفييت يلزمون بالتصرف بحذر تجاه م.ت.ف. بسبب آخر . ان موسكو لا تريد تعليق كل آمالها على م.ت.ف. وتغضب مصر بذلك . ورغم الكلام الجميل تجاه الخارج ، مع نهاية زيارة فمهي [للاتحاد السوفييتي] ، ليس لدى موسكو شعور بأن فشل محادثات كيسنجر يدفع مصر نحوها » (المصدر نفسه) .

ونسب معلقون آخرون اهداف عديدة للاتحاد السوفييتي من وراء تصريحات غروميكو بشأن منح

موقف الملك حسين

أبدت دوائر اسرائيلية مختلفة ، خلال الاسبوعين الاخيرين ، اهتماما واضحا بموقف الاردن في ضوء تحركات الملك حسين الاخيرة ولقاءاته مع القوات الاردنية المسلحة وزياراته العديدة الى هذه الدولة او تلك ، وخاصة الزيارة التي قام بها لدمشق برفقة رئيس اركانته . وتعلن بعض المصادر الاسرائيلية ان الملك حسين ينوي من وراء تحركه هذا اخراج الاردن من العزلة التي فرضت عليه بشأن القضية الفلسطينية ، بعد القرارات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي في الرباط والجمعية

العمومية للامم المتحدة في هذا الصدد ، لجهة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . ويؤكد بعض المطبقين الاسرائيليين ان الملك حسين وصل الى تفاهم مع الزعماء السوريين ، خلال زيارته الاخيرة لدمشق ، وافق الاردن بموجبه على الاشتراك في أي حرب مقبلة ضد اسرائيل ، وان اقتصر ذلك على التعهد بمنع اية حركة التفاف اسرائيلية حول الجيش السوري عبر الاراضي الاردنية فقط ، مما يلزم اسرائيل بتكريس جهد اكبر للجبهة الشرقية ، وفي وقت مبكر ، خشية من حدوث « مفاجآت » .
ص . ج .

[٣]

حقاق اسرائيلي من نتائج « اعادة النظر » في السياسة الاميركية في المنطقة

المفاوضات ، واعتبرته بمثابة ضربة قوية لمركزها ، الذي تعزز في عدة دول في المنطقة خلال السنتين الاخيرتين ، وخاصة في مصر . ويعتقد بعض الاسرائيليين ان عملية اعادة النظر هذه في السياسة الاميركية تجري في جو تسوده النقمة وخيبة الأمل من اسرائيل « والرغبة في معاقبتها والتحرر من العبء الذي تلقته على السياسة الاميركية » (حفاي ايشد - دافار ، ٧٥/٣/٢٦) ، وهذا ما يخلق اسرائيل ويولد لديها المخاوف من امكن حدوث تحول في السياسة الاميركية لغير صالحها ، مما يدفعها الى العمل على عدة محاور ، مستخدمة نفوذها في الكونغرس والرأي العام الاميركي ، لمنع حدوث اي « انزلاق » في موقف الولايات المتحدة منها .

« الانزلاق » في الموقف الاميركي وبواند المصغط
على اسرائيل :

اوقفت الولايات المتحدة معالجتها لمعظم المواضيع الجارية التي تبحث عادة بينها وبين اسرائيل ، نتيجة انشغالها في عملية اعادة تقييم سياستها ، وانتظارها للنتائج التي يمكن ان تسفر عنها هذه العملية لتحديد موقفها وعلاقتها مع كافة دول المنطقة ، وخاصة اسرائيل . ولذلك رفضت الولايات المتحدة اقتراح وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون

تمر العلاقات الاميركية - الاسرائيلية الان في مرحلة « اعادة النظر » في جانبي السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، التي أعلن عنها الرئيس فورد بعد فشل المفاوضات الاخيرة بين مصر واسرائيل . ويشرف على عملية « اعادة النظر » مجلس الامن القومي في الولايات المتحدة ، برئاسة وزير الخارجية كيسنجر ، وتشارك فيه أيضا وزارتا الخارجية والدفاع ووكالة الاستخبارات المركزية . كذلك تم استدعاء سفراء الولايات المتحدة في اسرائيل ومصر وسوريا والاردن للاستشارة في واشنطن . وأعلن مصدر موثوق في واشنطن ان اعادة تقييم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ستشمل عرضا قصيرا للسياسة الاميركية في تلك المنطقة ، خلال السنتين الاخيرتين ، ثم علاقات الولايات المتحدة مع كل واحدة من دولها ، وعرض شامل للميزان العسكري فيها (معارف ، ٧٥/٤/١) . كذلك أعلنت مصادر مطلعة في واشنطن ان نتائج التقييم المجدد للسياسة الاميركية ستعلن بعد شهر تقريبا ، وان اساس التقييم يهدف الى تحديد موقف اميركي قبيل انعقاد مؤتمر جنيف ، بينما يحتل مستقبل الضفة الغربية مكانا مهما في هذا التقييم (هارتس ، ٧٥/٤/٣) . وكانت الولايات المتحدة قد ألقت مسؤولية فشل التسوية على اسرائيل ، بسبب « تصلبها » اثناء

المجال الاقتصادي فسكون الوضع اصعب ، لان الكونغرس لا يصادق على مبلغ اكبر مما تطلبه الادارة ، وخاصة في سنة انكماش « هارتس » ، (٧٥/٣/٢٠) .

تحدث هذه الامور في الوقت الذي يبدو به وكأن هناك « انزلاقا » معنا ، ولو ظاهريا ، في التأييد الامريكى لاسرائيل . ويتمثل هذا الانزلاق « في غمرة الظواهر والاحداث التي كانت تبدو غير معقولة في الماضي واليوم اصبحت حقائق واقعة » (امنون روبينشتاين - هارتس ، ٧٥/٤/١) ، منها قيام الرئيس الامريكى بتوبيخ اسرائيل علنا بسبب تعنتها في المفاوضات ، اجتماع السناتور جورج ماكغفرن ، احد رؤساء لجان الكونغرس ومرشح الرئاسة سابقا ، مع عرفات ، تعريف السناتور تشارلز بيرسي لعرفات بأنه « معتدل نسبيا » ، تأييد السناتور جون سباركمان ، من لجنة العلاقات الخارجية ومعه آخرون ، اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية ، قول دونالد فريزر ، عضو لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس ، بأن رئيس مصر يبدو معتدلا ، وان منظمة التحرير الفلسطينية تكتسب الشرعية ، اما اسرائيل فتبدو أكثر تصلبا ، المناهلات مع ممثل م . ت . ف . في الولايات المتحدة في محطات التلفزيون ، وكأنه مندوب حكومة . « هناك من يعتقد ... ان هذه ليست الا احداثا ثانوية وشاذة . ينبغي ان نذكر هؤلاء ، انه منذ اجتماع ماكغفرن مع عرفات ، ومنذ بيان الرئيس فورد ، لم نسمع اصوات احتجاج من اعضاء الكونغرس . او من الصحف الكبرى . لقد تحول الانزلاق الى جزء من واقع موضوعي ، بحسب قول وزير الخارجية الامريكى « (المصدر نفسه) .

اسباب « الانزلاق » :

تعتقد بعض الدوائر الاسرائيلية ان فشل الاعلام الاسرائيلي في الولايات المتحدة هو السبب الرئيسي للوضع الحالي ، بينما ساهم في ذلك التغيير في الرأي العام الامريكى تجاه اسرائيل منذ حرب ١٩٧٣ ، ثم ازدياد التنهم للقضية الفلسطينية . ولكن يبدو ان هناك اسبابا اخرى ادت الى خلق هذا « الانزلاق وتحويله » الى حقيقة ، منها (١) ان اسرائيل ، بوجودها في المنطقة ، لا تتفق ضد اعداء الولايات المتحدة ، وخاصة عندما يتعلق الامر بمصر

بيرسي الحضور الى واشنطن للبحث في شراء الاسلحة (معارف ، ٧٥/٤/٣) ، بينما أعلن وزير الدفاع الامريكى جيمس شليزيفر ان « الولايات المتحدة لن تدخل في التزامات جديدة لتزويد اسرائيل بالسلح ، وانما ستحافظ على التزاماتها السابقة ، بحيث سيتم تزويد الاسلحة بموجبها [لاسرائيل] في المواعيد المحددة » (معارف ، ٧٥/٤/١) ، الامر الذي أكد المخاوف الاسرائيلية بشأن قرار تأجيل بيعها الطائرات الحديثة من طراز ف - ١٥ ومعدات تكنولوجياية اخرى لاعتبارات سياسية . وكانت الولايات المتحدة قد رفضت ، للمرة الثانية ، زيارة وفد تقني اسرائيلي برئاسة مردخاي هود ، القائد السابق لسلح الجو الاسرائيلي ، لدراسة بعض النواحي المتعلقة بالطائرة ف-١٥ (هارتس ، ٧٥/٤/٣) . اما على المستوى السياسي فقد رفضت الادارة الامريكية ايضا ، في البداية ، حضور الون الى واشنطن لتقديم اقتراح بديل لاستئناف المفاوضات بين مصر واسرائيل (داغار ، ٧٥/٤/٤) ، ولكنها عادت ووافقت بعد ذلك على استقباله عند حضوره خلال هذا الاسبوع للمشاركة في نشاط الجباية اليهودية ، حيث أعلن كيسنجر عن رغبته في الاجتماع به . وكان كيسنجر قد اجتمع ايضا الى موشي دايان ، الموجود حاليا في الولايات المتحدة للمشاركة في الحملة الاعلامية الاسرائيلية هناك ، وتم خلال الاجتماع بحث « الجمود » السائد في المنطقة بعد فشل المحادثات الاخيرة ، واهداف « التقييم المجدد » للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . كذلك استمع كيسنجر الى بعض الافكار الخاصة التي يحملها دايان بشأن الوضع السياسي في المنطقة (معارف ، ٧٥/٤/٤) . أما بالنسبة للمساعدات الاقتصادية ، فهناك اشاعات في الولايات المتحدة تقول ان الادارة الامريكية ستبحث في اقتراح منح اسرائيل مساعدات اقتصادية « مقلصة » بمبلغ ٢٠٠ مليار دولار ، بدلا من ٢٥٩ مليار دولار بحسب طلب اسرائيل للسنة المقبلة (هارتس ، ٧٥/٣/٢١) . ووصف احد مراسلي الصحف الاسرائيلية في الولايات المتحدة هذا الوضع بقوله : « ان كيسنجر لم يسبب لنا اضرارا كبيرة فقط . منذ زيارته لقلعة مساده ، وانما نتظننا صراعات صعبة معه . ففي المجال الامني نتوقع صراعا على كل قطعة [سلاح] ... اما في

الى اسرائيل « سابقة خطيرة » ، تثقل على علاقات حكومتي اسرائيل والولايات المتحدة (المصدر نفسه) .

الحملة الاسرائيلية المضادة :

بادرت اسرائيل الى شن حملة مضادة في الولايات المتحدة بهدف التأثير على الادارة الاميركية وحملها على عدم تغيير سياستها القديمة تجاه اسرائيل ، وهو التغيير الذي يتوقعه الكثيرون الان ، وفي هذه المرحلة بالذات ، بعد فشل المحادثات الاخيرة بين مصر واسرائيل . كذلك تهدف هذه الحملة الى التخفيف من الضغط الاميركي على اسرائيل ليتسنى لها استمرار الحصول على السلاح والاموال بالقدر الذي تطلبه ، وخاصة انه « ليس كل ضغط هو بمثابة انذار ، وليس بإمكان كل تخفيض في المساعدات او تأجيل في امداد الاسلحة ان يلزمنا بقبول املاءات بصورة فورية . ولكن بالطبع ليس هناك مجال للمبالاة وطمس الواقع السياسي الجديد الذي تحاول واشنطن بواسطة تدعيم مركزها في مصر ، ونفوذها في دول عربية [اخرى] ، على حساب تنازلات من جانب اسرائيل ، التي ضعف مركزها الاستراتيجي في نظر الولايات المتحدة بعد حرب يوم الغفران » (من افتتاحية داغار ، ٤/٤/٧٥) . ويعترف البعض بحدّة هذا الموقف وخطورته « اذ رغم انه كانت [لاسرائيل] في الماضي خلافتان جدية في الرأي مع الولايات المتحدة ، وعرفنا ردود فعل اميركية تتم عن العصب الشديد ، وضغوطا كبيرة من جانب واشنطن ، يبدو اننا لم ننع منذ وقت طويل في مواجهة جديدة ، علنية ومكشوفة ، كهذه مع الادارة الاميركية . وتختلف هذه المواجهة عن سابقتها ، لانها حدثت خلال مجرى المفاوضات السياسية ، التي كان وزير الخارجية الاميركي مرتبطا بها بصورة مباشرة . اننا نميل كثيرا الى التحدث عن كيسنجر ونقاسي ... ان الفشل ليس فشل كيسنجر فقط وانما فشل الولايات المتحدة ورئيسها » (دانييل بلوخ — داغار ، ٧٥/٤/١) .

« عدم حرق الجسور » مع امريكا :

تشن اسرائيل حملتها في الولايات المتحدة على عدة محاور . ولكن ذلك يتم من خلال هدف اساسي يقضي بابقاء الحوار مفتوحا ، وعدم حرق الجسور

والاردن والسعودية ولبنان . « للولايات المتحدة مصلحة في ارساء قاعدة سياسية في المحيط العربي الذي ازدادت اهميته الاستراتيجية والاقتصادية بشكل ملحوظ . كذلك فان اسرائيل متعلقة بالولايات المتحدة فقط ، اما العرب فيملكون البدائل ، الامر الذي يؤثر على صانعي السياسة الاميركية — في الحكم والكونغرس والصحافة » ، (٢) ان ازدياد القوة الاقتصادية العربية قد زاد من اهتمام رجال الاعمال الاميركيين بالسوق العربية المتعاطمة ، ولهؤلاء تأثير كبير على واضعي السياسة في الولايات المتحدة ، (٣) تأثير الوضع الاقتصادي الداخلي في الولايات المتحدة على عدم زيادة المساعدات الاقتصادية لاسرائيل ، ثم (٤) ازدياد الاعتراف بشرعية القضية الفلسطينية ، وتحويلها الى عامل مهم (المصدر نفسه) .

الضغط واهدافه :

تعتبر اسرائيل ان المبادرة التي اتخذتها الادارة الاميركية بشأن اعادة النظر في سياستها تجاه الشرق الاوسط ، وما رافقتها من ايقاف الاتصالات الجارية بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وتأجيل المساعدات العسكرية والحديث عن تخفيض المساعدات الاقتصادية تهدف في الاساس الى الضغط على اسرائيل لاطهار مرونة وتقديم تنازلات . « وقد تمثل هذا ... في خطوتين رئيسيتين : (١) اجتماع كيسنجر مرتين ، خلال اسبوع واحد ، مع شخصيات بارزة من الجالية المثقفة — الدبلوماسية في واشنطن ، التي يقترح الكثير من أعضائها التعاون مع الاتحاد السوفييتي وفرض انسحاب اسرائيلي الى حدود ١٩٦٧ . وقد حذر كيسنجر فريق الوزراء الاسرائيلي بعدما تبين له فشل محادثاته ، من نشاط هذه المجموعة ضد اسرائيل ، والان يادر بنفسه الى ظهورها . (٢) بادر الحكم الاميركي ، عن قصد ، ببيان وزير الدفاع جيمس شليزيفر حول رفض قبول التزامات جديدة لتزويد اسرائيل بالسلاح في فترة اعادة النظر في التقييم السياسي . ان اختيار هذا الشخص لم يكن صدفة ، لانه يهدف الى ازالة الامل الذي تولد في قلوب الاسرائيليين اثناء النقاش حول الجسر الجوي الاميركي اثناء حرب ١٩٧٣ ، وكان لنا صدقا في وزارة الدفاع » (دان مرغلين — هارتس ، ٧٥/٤/٤) . ثم ان تأجيل الامدادات العسكرية

تأييد الكونغرس لاسرائيل ، بدلالة وقائع عدة ، منها تصريحات اعضاء مجلس الشيوخ بيرسي وسباركمان بشأن اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية ، ثم تقرير لجنة القوات المسلحة ، الذي اشار الى ان اسرائيل تلكت قوة عسكرية كافية في الوقت الحاضر ، ولذا ليس من الضروري الان تقديم مساعدات عسكرية كبيرة لها . واخيرا اجتماع ماكغفرن مع عرفات ، ولكن « رغم ان هذه ظاهرة سلبية ، لا تخفى عن اعين المسؤولين ... فالاستنتاج بان الانزلاق في الكونغرس يجب ان يقلنا جدا هو خطوة متهورة وغسير مسؤولة » (تسيم كفيتي - يديعوت احروتوت ، ١٩٧٥/٤/١) . ومن ناحية اخرى ، ساعدت قضية ووترغيت وفشل رئاسة نيكسون على تقوية الكونغرس وازدياد احتمالات الضغط السياسي من جانب يهود الولايات المتحدة ، وخاصة وان نفوذهم في الحزب الديمقراطي صاحب الاكثية في مجلس الكونغرس ، اكبر منه في الحزب الجمهوري (شلومو شافير - دانار ، ١٩٧٥/٣/٢٨) . وعليه ، رغم دلائل « الانزلاق » والتراجع المعين من جانب بعض اعضاء الكونغرس الذين اعتبروا في الماضي من اصدقاء اسرائيل ، « ما زال التأييد لنا في الكونغرس قويا جدا » (المصدر نفسه) .

ومن ناحية ثانية ، زار اسرائيل في الاونة الاخيرة ، بعد فشل المحادثات مع مصر ، عدة وفود من اعضاء الكونغرس المعروفين بتأييدهم الكامل لها ، عارضين طلبها خذباتهم في هذا الخرف ، حتى وان ادى الامر الى مجابهة مع كيسنجر والادارة كلها في سبيل ارضاء اسرائيل . ولكن اسرائيل رفضت ذلك لان « ... مشاكلها غير متعلقة بقرارات الكونغرس وحده . فالكونغرس ليس كريما فقط في تأييده [لاسرائيل] وانما يعتبر « كلب الحراسة » لنا امام كل انحراف غير مرغوب فيه من جانب الحكم » (المصدر نفسه) . ولكن هناك من يقول ان تأييد الكونغرس وحده لا يكفي ، « خاصة وان سياسة وزير الخارجية الامريكى في الشرق الاوسط ، حظيت حتى الان بتأييد كبير من جانب معظم الاعضاء البارزين في الحزبين » (شلومو شافير - دانار ، ١٩٧٥/٣/٢٨) . ولهذا ، وحتى اذا حظيت اسرائيل بتأييد كامل ومطلق في الكونغرس ، فأن هذا لا يكفيها في الوقت الحاضر « لان كونغرس

مع الادارة الامريكية . ولذلك ترفض اسرائيل شن اي هجوم ضد الادارة ، وخاصة ضد كيسنجر ، وتعلن عن رغبتها في مواصلة المحادثات السياسية بوساطة امريكية ، رغم علمها الكامل ان « الهدف من وراء ... الحملة الامريكية المتبذلة بالضغط ومحاولات التهويل ، هو « تليين » اسرائيل واخضاعها ، حتى توافق على تقديم مقترحات اخرى جديدة قبيل تجديد المفاوضات المقبلة مع مصر ... ولكن ينبغي ان نذكر ان أي تنازل اسرائيلي يؤدي الى تنازلات جديدة ، ويخلق سابقة واسلوبا » (يهوشوع تدمور - دانار ، ٧٥/٤/٨) . وتتخذ اسرائيل هذا الموقف رغم ان الضغط الامريكى عليها بحسب رأي البعض ، لا يختلف عن الضغط التي استخدمت في الماضي ضد حكومة فيثام الجنوبية من اجل الزامها بالقبول بتسوية واهية ، كذلك التي حققها كيسنجر مع فيثام الشمالية (من افتتاحية معارف ، ٧٥/٤/٣) . وتدعي اسرائيل ايضا ان بعض اصدقائها في الكونغرس ، من الذين لهم « حسابات » مع كيسنجر في قضايا امريكية ، قد دعوا الى شن حرب شاملة ضد وزير الخارجية الامريكى ، ولكنها رفضت ذلك « لان الصراع الشامل ضد كيسنجر ، الذي يمكن ان يبقى في منصبه حتى سنة ١٩٧٦ ، او ان يستبدل بزميله الاسوأ منه اليوت زيتشاردسون ، او ميلفين ليرد ، لن يحقق اي شيء لاسرائيل . ان الصراع ضد الادارة يمكن ان يؤثر جدا على غورد وكيسنجر ، ولكنه لا يمكن ان ينتهي بنجاحنا » (دان مرفليت - هارتس ، ٧٥/٣/٢٠) . ولهذا ينبغي التروي وعدم حرق الجسور الكثيرة التي بنيت خلال سنين طويلة مع البيت الابيض ، خاصة وان السنة المقبلة هي سنة انتخابات ، وستكون اسهل بالنسبة لاسرائيل . لذلك من الخطا ان تقوم اسرائيل بخلق جو أزمة دائم مع الحكم الامريكى الحالي ، « الذي يمكن ان يبقى في البيت الابيض اربع سنوات اخرى » (المصدر نفسه) .

تأييد الكونغرس لا يكفي

تتمتع اسرائيل ويهود الولايات المتحدة بنفوذ وتأيد كبيرين في الكونغرس الامريكى ، وكسائت المصادقة على تعديل جاكسون بشأن هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي مثالا حيا على هذا النفوذ . ولكن يبدو ان « انزلاقنا بطينا » طرا ايضا على

١٩٧٥/٣) . كذلك ركزت هذه الحملة الاعلامية على الكونغرس « بسبب اهميته الساحقة كعامل رقابة على كل سياسة حكومية تكون موضوع خلاف» (نسيم كفتي - يدبعوت احرونتوت ، ١٩٧٥/٤/١) .

ومن ناحية ثانية ، اجتمع الزعيم اليهودي ماكس فيشر مع الرئيس غورد ، واستمع الى انتقاداته ، ثم سافر بعد ذلك الى اسرائيل للاجتماع الى يتسحاق رابين . وكان الزعماء اليهود قد اعلنوا ، بعد اجتماع فيشر الى غورد ، ان الوضع غير مشجع ، اذ لا يكفي توجيه النقد الى السادات وانما يجب شن حملة شاملة ضد الحكم الاميركي ، الامر الذي عارضته اسرائيل ، معلنة انها غير معنية بصراع علني ومواجهة شديدة لا حاجة لها مع الادارة الاميركية (هارتس ، ١٩٧٥/٣/٢١) . واذا كان هذا الامر صحيحا ، فمعناه ان اليهود الاميركيين قرروا هذه المرة مخالفة الخط الذي ميز نشاطهم السياسي حتى الان الا وهمو « منع مجابهة مباشرة بين الحكم الاميركي الصالي وبين اسرائيل ، خاصة وان تأثيرهم على الحكم الجمهوري قليل ، مقابل الوزن الكبير الذي تملكه شركات النفط ورجال الاعمال المهتمون بتوسيع العلاقات مع الدول العربية » (شلومو - شافير - داغار ، ١٩٧٥/٣/٢٨) .

رغم النفوذ الذي يتمتع به اليهود في امريكا ، وخاصة في الكونغرس وبين صفوف الحزب الديمقراطي وفي الصحافة - « ويكفي الاطلاع على قائمة اسماء الصحافيين الذين كانوا يرافقون كيسنجر في جولاته ، واسماء كبار المرسلين في الصحف الاميركية الكبرى ، لمعرفة مدى نفوذ اليهود في الصحافة الاميركية » (ميخائيل شيشار - يدبعوت احرونتوت ، ١٩٧٥/٤/١) - تبدي دوائر اسرائيلية عديدة شكوكها في امكان نجاح اليهود ، بواسطة نفوذهم ، في التأثير او الضغط على الادارة الاميركية لحملها على عدم تغيير سياستها تجاه اسرائيل . ان تاريخ الجالية اليهودية في امريكا لا يبرهن على ذلك بالضرورة « خلال السنين التي سبقت قيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، ساهمت الجالية اليهودية الاميركية في تقوية الاعتبارات الاخلاقية والمالية والانسانية في قرار الرئيس ترومان الايجابي [بتأييد اقامة دولة يهودية في

مؤيد لا يستطيع تأمين مساعدة حقيقية من جانب الحكومة . فالطائرات الجديدة والاسلحة تزودها الحكومة ، وهي التي تأمر بإقامة الجسر الجوي يوم الحرب . وقد مرت علينا فترات كنا نتمتع بها بتأييد الكونغرس ولكن الرئيس ووزير الخارجية لم يعملوا لصالح اسرائيل - كانت تلك ايام ايزنهاور وجون فوستر دالاس] خلال العدوان الثلاثي الانكليزي - الفرنسي - الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦ [« (دانييل بلوخ - داغار ، ١٩٧٥/٤/١) .

استخدام النفوذ اليهودي الاميركي

بعد فشل محادثات كيسنجر الاخيرة ، بدأت اسرائيل حملة اعلامية مكثفة في الولايات المتحدة ، لشرح موقفها « ومنع الانطباع ... بان اسرائيل هي التي أدت الى فشل المحادثات » . (نسيم كفتي - يدبعوت احرونتوت ، ١٩٧٥/٤/١) . وقد ارسلت الحكومة الاسرائيلية بعثة اعلامية الى الولايات المتحدة يرأسها ابا ايبن وزير الخارجية السابق ، وموشي دايان وزير الدفاع السابق ، بالإضافة الى سمحه دينيتس سنير اسرائيل في الولايات المتحدة . كذلك اعلنت « حالة الطوارئ » في اجوزة الاعلام في السفارة والتفصليات الاسرائيلية في الولايات المتحدة ، التي قامت بنشر مواد كثيرة حول موقف اسرائيل اثناء المحادثات . ويشترك في هذه الحملة جميع اعضاء السفارة والتفصليات الاسرائيلية في الولايات المتحدة بدون استثناء .

كان من الطبيعي ، في مثل هذه الظروف ، التوجه الى الحليف الاول لاسرائيل في امريكا ، وهم اليهود اصحاب النفوذ والقوة السياسية . وببادرة من مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة ، بدأت الحملة الاعلامية التي تهدف الى اقناع الاميركيين « بان اسرائيل ليست المسؤولة عن فشل المفاوضات - كما اشار الرئيس غورد ووزير الخارجية كيسنجر - وانما جاء ذلك نتيجة لمطالب السادات المبالغ بها ، بعدم ان رفض الالتزام بوقف حالة العداء مقابل تنازلات مهمة من جانب اسرائيل » (فيليب بن - معاريف ، ١٩٧٥/٤/١) . وكان مؤتمر الرؤساء قد نشر بياناً يهاجم فيه كيسنجر ويساند القرار الاسرائيلي برفض « الاستسلام » للمطالب المصرية (داغار ، ٢٤/

ويظهر ، من ناحية ثانية ، ان هناك ايضا عتبات تنظيمية داخلية تمنع اليهود من استغلال نفوذهم في الولايات المتحدة على الوجه الامثل . ان ختيقة وجود اليهود بنسبة كبيرة في ولايتي نيويورك وكاليفورنيا تمنحهم قوة سياسية كبيرة ، خاصة في الانتخابات للرئاسة (ميخائيل - شيشار - يديعوت احرنوت ، ١٩٧٥/٤/١٠) . ولكن المشكلة هي ان المنظمات اليهودية المثلة في « نادي الرؤساء » ليست الا عبارة عن احزاب صهيونية قديمة ، ليس لها اليوم علاقة [وثيقة] مع الجماهير اليهودية في الولايات المتحدة . لذلك هناك شك كبير اذا كان اعضاء « نادي الرؤساء » يمثلون الجالية اليهودية حقا (المصدر نفسه) . اصف الى ذلك ان زعماء يهود امريكا الحاليين يتميزون بالمستوى الثقافي المتدني والشخصية الضعيفة ، بحيث يمكن تعريفهم بانهم زعماء مهينون ، جمعوا اموالا وانضموا الى المنظمات اليهودية لكي يكسبوا الشرف والاعتراف . ولكن على الرغم من ذلك فان رئيس الولايات المتحدة والوزارات الحكومية المختلفة ، تعتبرهم ممثلي الجمهور اليهودي (غليب بن - معارف ، ١٩٧٥/٣/٢٠) . ويبدو ايضا ان الاعلام الاسرائيلي بين الجالية اليهودية الاميركية اتبع مؤخرًا نهجًا خاطئًا خلال السنين الاخيرة ، تمثل في التظاهر امام يهود امريكا وكأن كل شيء يسير على ما يرام ، تنوء في البيت الابيض او في وزارة الخارجية ، وان لاسرائيل اصدقاءها في الكونغرس، بينما تتدفق عليها مليارات الدولارات والطائرات والدبابات ، بحيث يبدو المستقبل واضحا مشرقا . ولكن هذا الكلام لم يسبب سوى الضرر لاسرائيل ، خاصة عندما استجرت في المطالبة بمساعدات بمليارات الدولارات لدعم اقتصادها ، وذلك في الوقت الذي لا تستطيع فيه ، مثلا ، بلدية نيويورك سد بعض ديونها (المصدر نفسه) .

رغم ذلك كله يبدو ان النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة ما زال قويا ، وليبين هناك ما يدعو اسرائيل الى « القلق » بشكل خاص ، « اذ رغم ما نشر حول الانزلاق في التأييد لاسرائيل ، لم تتغير نسب القوى بشكل اساسي ، لا بين الجمهور ولا في الكونغرس ، ولا في معظم الصحف الاميركية ويعني هذا ان اسرائيل تملك مجالًا للمناورة ،

للسطين والاعتراف بها حال قيامها .] مقابل المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة التي عملت آنذاك في اتجاه معاكس . ومنذ ذلك الحين اصبحت الجالية اليهودية العامل الاول في تجنيد السراي العام والمطالبة بمنح مساعدة سياسية اميركية لاسرائيل . ولكن رغم ذلك ، عندما اصطدم موقف اسرائيل في سنة ١٩٥٦ بسياسة حكومة ايزنهاور ، برزت قيود قدرة الضغط عند الجالية اليهودية . وفي الفترة القصيرة ١٩٦٧ - ١٩٧٤ التي ساد بها انسجام نسبي بين المصلحة القومية الاميركية والمصلحة الاسرائيلية ... لم تكن هناك حاجة خاصة الى ضغط يهودي اميركي (شلومو شافير - دافار ، ١٩٧٥/٣/٢٨) . ولكن هذه الفترة انتهت مع نشوب حرب ١٩٧٣ ، « تلك الحرب التي زادت من تعلق اسرائيل بالولايات المتحدة من ناحية المساعدات العسكرية والاقتصادية بهدي لا مثيل له في الماضي ، في الوقت الذي اتخفص فيه مركز اسرائيل في نظر واشنطن كعامل استراتيجي ، رغم كل التزامها الادبي باستمرار قيامها ، بينما ازداد الاهتمام الاميركي بتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية مع مصر ودول النفط العربية » (المصدر نفسه) .

وكما يبدو ، كان لحرب ١٩٧٣ تأثيرها على الجالية اليهودية الاميركية ايضا اذ ليس سرا « ان هذه الجالية واقعة في أزمة منذ الحرب . فقد تضعف ايمانها الصهيوني بقوة دولة اسرائيل وقدرتها على العيش بقواها الذاتية ، ولم تعد اسرائيل هوية لاوقات الفراغ تكلف القليل من المال نسبيا وتخلق الكثير من الفخر . لقد ازدادت حاجاتها الاقتصادية والسياسية حتى اصبح هناك خوف بالا بغسر التأييد لاسرائيل دائما كعمل وطني اميركي » (ناحوم برناع - دافار ، ١٩٧٥/٣/١٩) . ويظهر ان هذا يغسر رد فعل اليهود في امريكا على ازدياد القوة العربية ، اذ « من المؤكد ان ايا من اليهود غير راض عن تعاطف القوة العربية . ولكن الكثيرين منهم يفضلون اخفاء رؤوسهم في الرمال او حتى المساهمة في محاولات تهدئة الادارة [في ردود فعلها على المقاطعة العربية] - بعضهم خوفا على مصالحهم المالية او على مكان عملهم ، والبعض الاخر خوفا من رد فعل معاد من قبل غير اليهود » (المصدر نفسه) .

انه كلما تويت اسرائيل ، تكون اكثر استعدادا لتقديم نازلات واطهار مرونة اكبر ... لذلك من المتوقع الا يلعب عامل ضمان مرونة اكبر من جانب اسرائيل دوره في المساعدات العسكرية والاقتصادية ، التي ستمنحها الولايات المتحدة لاسرائيل في المستقبل ... وستكون النتيجة تقليصا جوهريا في هذه المساعدات ، بحيث يكون القياس لها هو ضمان عدم انهزام اسرائيل في حرب جديدة [وليس التفوق على العرب] . مقابل ذلك ستمنح مساعدات أكثر لمصر ، وربما لدول عربية اخرى « (اريئيل غيناي - يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٢٨) . اما في المجال السياسي ، فيظهر ان اساس جهود كيسنجر ستوجه الان في الاساس من اجل منع نشوب حرب جديدة . « لذلك يبدو ان كيسنجر لن يتنازل فقط عن سياسة الخطوات الصغيرة التي اتبعها ، وانما ايضا عن سياسة « الانفرادية » التي سلكها في الشرق الاوسط « (المصدر نفسه) .

كذلك تتوقع اسرائيل اعلانا امريكا بشأن موقف الحكم الاميركي من مسألة اقامة الدولة الفلسطينية ، « وليس سرا ان اوساطا مهمة في وزارة الخارجية وعلى رأسها جوزيف سيسكو ، تعتقد منذ وقت انه يجب منح السكان العرب في الضفة الغربية وطنيا خاصا بهم ... » (افتتاحية هارتس ، ١٩٧٥/٤/٣) .

وفي سياق التكهن بالنتائج المترتبة على اعادة النظر في السياسة الاميركية ، يعتقد احد الكتاب الاسرائيليين (امنون روبينشتاين - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٦) ان الولايات المتحدة تواجه ثلاثة خيارات الان : اهلل اسرائيل ، اسرائيل ضعيفة او اسرائيل قوية . « ان البديل الاول غير واقعي لانه يناقض الاساس القوي المتمثل بالتأييد الادبي الاميركي لقيام اسرائيل ... اما الخيار الثاني ، اي اسرائيل ضعيفة ، فهو اسوأ الخيارات لانه يلزم تدخلا امريكا ومساعدة كبيرة في وقت يعارض به الرأي العام والكونغرس اتجاها كهذا . لذلك ، رغم كل الخلافات والاتزلاق المطلق في الموقف الاميركي ، تؤيد ادارة واغلبية الكونغرس ، اسرائيل قوية ... اي مسلحة جيدا وتملك تغطية سياسية ، ولكنها ليست اسرائيل التي تحتفظ بالمناطق ، باستثناء تعديلات بسيطة في الحدود ،

فاوراتها لم تكشف بعد ، والمفتاح في يدي الحكم الاميركي . ان اسرائيل لا ترغب في خلق مواجهة معه ، خاصة وان النية الحسنة والتفاهم الدائم امران حيويان لها ... ولكن ليس حسب اسلوب السادات وليس حسب خطوط كيسنجر وانما من خلال التفاهم والمساومة « (يهودشواغ تدمور - داغار ، ١٩٧٥/٤/٨) . ومهما يكن ، فيبدو ان جهود الولايات المتحدة سيخبطون خلال السنتين القريبة المقبلة الى بذل نشاط سياسي كبير للمحافظة على مصالح اسرائيل الحيوية - في اطار التعريف المجدد للمصلحة الاميركية في المنطقة ، وفي ضمان المساعدات باحجام كبيرة ، وربما لاجل تأمين ضمانات عسكرية مباشرة او معاهدة دفاع اميركية - اسرائيلية (شلوجو شافير - داغار ، ١٩٧٥/٣/٢٨) . ويرى البعض ان اسرائيل لا تزال تتمتع بمرکزي قوة اساسيين في الولايات المتحدة : التأييد الادبي الواسع بين الجمهور الاميركي ، ثم الاعتبارات السياسية الاستراتيجية ، بحيث يمكن استخدام قوة يهود الولايات المتحدة بصورة مفيدة ، عند توامر هذين العاملين فقط . « وعندما تصطدم السياسة الاسرائيلية بهذين العاملين ، يضعف ايضا وزن الجالية اليهودية . هذا ما حدث بعد حملة سيناء [١٩٥٦] ، عندما لم يرتكز رفضنا الانسحاب [من سيناء] على هذين العاملين المذكورين ، لذلك غشلت قوة الجالية اليهودية في منع الضغط على اسرائيل ... ونلك رغم ان هذه القضية كلها حدثت اثناء الانتخابات للرئاسة ، حيث من المفروض ان تصل قوة مجموعات الضغط الى قمته « (امنون روبينشتاين - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٦) .

النتائج المتوقعة « لاعادة النظر » في السياسة الاميركية .

يتوقع الاسرائيليون ان تسفر عملية « اعادة النظر » في السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط ، عن نتائج عديدة ليست في صالح اسرائيل بالضرورة ، اذا ما غسرت حسب المفاهيم الاسرائيلية . وتتوقع اسرائيل تغييرا في معظم المجالات ، العسكرية والاقتصادية والسياسية . ففي المجال العسكري والاقتصادي ، « يبدو ان الاميركيين يقدرون الان انهم اخطأوا في اعتقادهم

إسرائيل : مساعدة عسكرية كبيرة أثناء الضائقة ،
وضمفد لتنازلات اقليمية [عند انفراجها] .
حنه شاهين

وليسف إسرائيل التي تدفع الولايات المتحدة الى
موقف الخيار بينها او بين خصومها . وهذا هو
سبب الازدواجية في السياسة الامركية تجاهه

[٤]

ازدياد عزلة إسرائيل في دول العالم الثالث

دوافع امبريالية — صهيونية

عندما استقلت اقطار العالم الثالث استقلالاً
شكليا ، وضعت الدول الامبريالية على عاتق
إسرائيل مهمة الابقاء على مواقعها القديمة في القارة
الافريقية بشكل خاص ، وفي اقطار العالم الثالث
بشكل عام . كذلك « وضعت الدول الامبريالية على
عاتق إسرائيل مهمة الفوز بمواقع جديدة بأسلوب
الكولونيالية الجديدة ، التي تتخذ سبلا مختلفة ،
منها استحداث اساليب التسرب الاقتصادي »
(اميل توما — الاتحاد ، ١٩٦٨/٦/٢١) .

من جهة ثانية ، ارادت السدول الامبريالية
استخدام إسرائيل لمنع الدول المستقلة حديثاً من
الاتجاه نحو اليسار والعالم الشيوعي ، اذ « من
الممكن ان تقع الدول الجديدة في لجة شد الحبل
بين الدول الكبرى . وفي هذه الحالة غالباً ما
تكتسب اللجة الدول الشيوعية . وهنا — وقد
يبدو الامر غريباً — يأتي دور إسرائيل » (د. ر.
الستون — مجلة تايم اند تايد ، ١٩٦٠/٩/٣) .
اي ان دور إسرائيل هو العمل على ان تنتهي
اللجة في صالح السدول الامبريالية — وصالح
اسرائيلس بالطبع . وأشارت احدى المجلات
الاسرائيلية الى ذلك بقولها : « من البديهي ان
تهتم الدول الغربية اهتماماً جدياً بضمان عدم
انحراف القارة الافريقية كلها انحرافاً حاداً نحو
اليسار في اتجاه الحيسكر الشيوعي » (إسرائيل
ايكونوميست ، تموز ١٩٦٤) . ووضح ذلك ايضاً
احد الكتاب الاسرائيليين بقوله : « ان احد اهداف
اسرائيل هو الرغبة في اقامة جسر بين السدول
الكولونيالية السابقة من ناحية واقتانبيها المستعمرة
سابقاً من ناحية اخرى . فحيازة التقنية بدون
وصمة الكولونيالية تطابق إسرائيل ، وتعددها لان
تقوم بدور رئيسي في تسريب « المساعدة » من

سعت إسرائيل منذ قيامها الى اقامة علاقات
ديبلوماسية وسياسية واقتصادية متينة مع الدول
النامية في اسيا وافريقيا واميركا الجنوبية . وكان
اهم جهاز استعملته في تنمية علاقاتها مع هذه
الدول ما أسمته « مشروع التعاون » الذي شمل
الزراعة ، الادارة ، الجيش ، الاقتصاد ، التربية
والتعليم وغير ذلك . وفي اطار هذا المشروع قدمت
اسرائيل مساعدات الى « ٨٠ دولة في كل انحاء
العالم لحل مشاكلها ودعم تطورها . . . ومنذ سنة
١٩٥٨ ارسلت الى هذه الدول ٤٥٠٠ خبير
ومرشد ، واستوعبت ١٧ الف طالب متخصص في
معاهدها الخاصة . . . » (الكتاب السنوي لحكومة
اسرائيل ، ١٩٧٣/١٩٧٤ ، ص ٤٤٩) .

ومن متابعة تطور علاقات إسرائيل مع دول العالم
الثالث يمكن القول ان هذه العلاقات تأثرت بوضع
حركة التحرر في دول العالم الثالث من جهة ، وبوضع
حركة التحرر العربية من جهة ثانية . فكانت
علاقات إسرائيل « تنوطد » ، عادة ، مع اقطار
العالم الثالث ما دام حكام تلك البلدان يسرون في
طريق مهادنة الامبريالية ، ولكنها كانت تضطرب
حين يتغير هؤلاء الحكام او يسرون في طريق
التحرر . وفي الوقت نفسه كانت هذه العلاقات
تتأثر ، سلباً او إيجاباً ، بنكسات وانتصارات
حركة التحرر العربية كما اتضح ، بشكل خاص ،
اثناء حرب تشرين ١٩٧٣ وبمدها ، عندما قطعت
افريقيا السوداء علاقاتها الدبلوماسية مع
اسرائيل .

وقبل ان نتناول حقيقة العلاقات السائدة اليوم
بين إسرائيل ودول العالم الثالث نرى من المناسب
توضيح الدوافع التي جعلت إسرائيل حريصة طوال
السنوات الماضية على تعزيز علاقاتها مع هذه
الدول .

الثالث ، او للمحافظة على ما تبقى لها من مواقع هناك . فما هو وضع علاقات اسرائيل مع افريقيا واسيا واميركا الجنوبية اليوم ؟

اسرائيل وافريقيا

من المعروف ان كل اقطار افريقيا السوداء تطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل اثناء حرب تشرين وبعدها ، ولكن يبدو ان بعض هذه الدول ابقت على علاقات غير رسمية متفاوتة معها ، ويبدو كذلك ان اسرائيل تحاول بكل وسيلة استخدام هذه العلاقات غير الرسمية لتحسين علاقاتها بالقطارة السوداء . ولوحظ ، في اعقاب حرب تشرين ، ان اسرائيل رفعت مستوى تمثيلها الدبلوماسي لدى الحكم العنصري في جنوب افريقيا ، اي انها اصبحت اكثر استعدادا للكشف عن رابطتها القوية مع هذا النظام ، التي كانت تحاول التستر عليها في الماضي رغبة منها في صدم اغضاب الاقطار السوداء في القارة الافريقية .

وتشير المصادر الاسرائيلية الى ان علاقات اسرائيل غير الرسمية مع دول افريقيا الغربية افضل من تلك التي تربطها مع باقي الدول الافريقية ، وان بعض هذه الدول « تدرس مسألة اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل » (تاملر غولان - معارف ، ١٩٧٥/٣/٢٠) . وتعتمد بعض الصحف الاسرائيلية نشر عناوين « مشجعة » حول مسألة اعادة علاقات اسرائيل مع هذه الدول . وتشير اهداها ان دولا في افريقيا الغربية ، مثل ساحل العاج وليبيريا ، قد سئمت من ضغط العرب ، بدون تقديم مساعدة مادية ولكنها لا تستطيع اتخاذ خطوة بعيدة المدى ، مثل اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . والخطوة التي تريد اتخاذها هي محاولة الحيلولة دون الاستمرار باتخاذ قرارات معادية لاسرائيل في منظمة الوحدة الافريقية (المصدر نفسه) .

وتفيد انباء اخرى ان بعض دول افريقيا الغربية تحاول اجراء حوار مع جنوب افريقيا ، « وتحسن علاقات بعض هذه الدول مع جنوب افريقيا قد يقيد كبيرا في نيجيريا حذر ... من الربط بين موضوع العلاقات مع جنوب افريقيا من ناحية ، وموضوع العلاقات مع اسرائيل من ناحية ثانية ، لان هذا

الغرب سرا ، هذه المساعدة التي تصبح مشبوهة لو منحت مباشرة » (الاتحاد ، ١٩٦٨/٦/٢١) .

يتضح اذن ان دور اسرائيل تلخص في الحيلولة دون سير الدول المستقلة حديثا نحو العالم الشيوعي من جهة ، ثم تسريب الخبرة الفنية و « المساعدات » من الدول الكولونيالية سابقا اليها من جهة اخرى ، بهدف المحافظة على مواقعها فيها . لذلك اقيم معهد « اسيا وافريقيا في ميدان التعاون والعمل » في اسرائيل باشراف اسرائيلي - اجريكي ، « وتولى ادارته كل منياهو ايلات وجورج ميني زعيم النقابات الاميركية » (نورمان بنتويش ، كورترلي ، ريفيو ، تموز ١٩٦١) . ولذلك اشترت ايضا دول السوق الاوروبية المشتركة منحا علمية « تمنحها للطلاب الافريقيين ليتمكنوا من الدراسة في المعهد ، بالاضافة الى منح النقابات الاميركية والبريطانية » (يعقوب كينان - ازرائيل ايكونوميست ، حزيران - تموز ١٩٦٦) .

هذا من حيث الدوافع الامبريالية - ولكن هناك دوافع واهدانا ذاتية تلنقي مع الدوافع والاهداف الامبريالية ، وتتلخص فيها يلي : (١) اهتمام اسرائيل بالتبادل التجاري مع دول العالم الثالث ، (٢) عدم رغبتها في الاعتماد على صداقة الدول الغربية فقط ، (٣) دفعت مكانة دول العالم الثالث في الامم المتحدة اسرائيل الى محاولة كسب هذه الدول الى جانبها في صراعها ضد حركة التحرر العربية . فهذه الدول « تستطيع ان تلعب دورا مهما في الصراع العربي الاسرائيلي ، ولذلك فمن مصلحة اسرائيل كسبها الى جانبها » (ميدل ايسر جورنال ، شتاء ١٩٦٤) .

وكما اشرنا ، اثر نمو حركة التحرر في دول العالم الثالث عامة وفي المنطقة العربية خاصة ، على اسرائيل وزاد من عزلتها في هذه الدول باستمرار . وقد زاد وضع هذه العلاقات سوءا في اعقاب حرب تشرين التي اثبتت ان اسرائيل لن تبقى طويلا حارسا لمصالح الغرب في المنطقة بشكل خاص وفي العالم الثالث بشكل عام ، وخاصة بعد ان يبرز العالم العربي كقوة اقتصادية سياسية عسكرية متنامية ، دفعت العديد من الدول الى التقرب له . وقد دفع هذا الوضع اسرائيل للعمل جاهدة لاستعادة ما خسرت من مواقع في دول العالم

وهناك اشاعات تقول ان اديس ابابا قد تعيد العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل « (حفاى اريخ - معارف ، ١٤/٣/١٩٧٥) .

أما بالنسبة للسنيغال ، فقد نشرت صحيفة اسرائيلية مقابلة مع رئيسها ليوبولد سنغور ، انتقد فيها بشدة موقف اسرائيل المتعنت من قضية الشرق الاوسط . ونسبت الصحيفة في تلك المقابلة الى سنغور قوله : « لن يطرأ اي تغيير على علاقات افريقيا باسرائيل قبل ان يحدث تقدم كبير في قضية الشرق الاوسط . ان مفتاح الصل هو اقامة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل ، وعلى اسرائيل ان تتفاوض مع الفلسطينيين حول اقامة هذه الدولة ... ومنظمة التحرير الفلسطينية هي اليوم ممثلة الشعب الفلسطيني » (معارف ، ٢٠/٤/١٩٧٥) .

وقال سنغور ايضا في تلك المقابلة ، انه « لا يكفي ايجاد تعاون عربي افريقي ، بل يجب اقامة تعاون افريقي - عربي - اوروبي بحيث تجد كل من ايران واسرائيل مكانا لها في اطار هذا التعاون ... » (المصدر نفسه) .

اسرائيل واسيا

المقصود بدول اسيا هنا : دول الشرق الاقصى والهند الصينية ، حيث ان بعض دول اسيا تدخل في اطار منطقة الشرق الاوسط .

وفي تلك المنطقة اقامت اسرائيل ، حتى سقوط انظمة الحكم في كمبوديا وبنميا الجنوبية مؤخرا ، علاقات دبلوماسية مع عشر دول ، هي : نيبال ، بورما ، تايلاند ، سنغافوره ، كمبوديا ، لاوس ، اليابان ، كوريا الجنوبية ، الفلبين وبنميا الجنوبية . وبعد تحرير سايقون وفنوم بنه انخفض عدد هذه الدول من عشرة الى ثمانية .

(للاطلاع على مستوى التمثيل الدبلوماسي مع هذه الدول وتاريخ اعترافها باسرائيل او اعتراف اسرائيل بها ، انظر الجدول على الصفحة التالية) .

وبالاضافة الى هذه الدول تقيم اسرائيل علاقات مع هونغ كونغ ، التي ما زالت محمية بريطانية ، وكذلك اقامت علاقات مع سيلان حتى عام ١٩٧٠ ، حيث قطعت الاخيرة علاقاتها معها . ولاسرائيل مسفر

الربط من شأنه ان يضر باسرائيل . ونيجيريا وغانا تتهمان جنوب افريقيا بمحاولة استخدام ساحل العاج وليبيريا من اجل مصالحها الخاصة « (المصدر نفسه) .

ويبدو ان اسرائيل تعلق اهمية خاصة على ساحل العاج « لانها مركز تجاري مهم ، وهي اخر دولة قطعت علاقاتها مع اسرائيل ، بينما لم يؤثر قطع هذه العلاقات على مكانة الشركات الاسرائيلية فيها . وتحاول [ساحل العاج] اجراء حوار مع جنوب افريقيا منذ سنة ١٩٧١ ... ان مشاريع الثري الاسرائيلي موشي ماير هي اكبر المشاريع الاقتصادية في ساحل العاج ... ومع ذلك لا تفكر هذه الدولة الان بالعمل على اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل » (معارف ، ١/٤/١٩٧٥) .

ومن ناحية ثانية ، ابدت المصادر الاسرائيلية ارتياحها من تصريح نسب الى رئيس زائيري ، الجنرال موبوتو ساسا سوكو ، الذي قال : « ان امله خاب من معاملة الدول العربية لافريقيا السوداء ، وحذر من ان هذه الدول قد تميد النظر في علاقاتها مع دول الشرق الاوسط ومن بينها اسرائيل » (المصدر نفسه) .

ويظهر التركيز على دول افريقيا الغربية ايضا من التصريحات التي ادلى بها نائب رئيس دائرة العلاقات الدولية في الهستدروت ، اسرائيل هيرتس ، الذي عاد مؤخرا من جولة في خمس دول افريقية كبعوث من قبل الهستدروت والدولة . وخلال جولته زار هيرتس كلا من نيجيريا وغانا وساحل العاج وليبيريا وسراييون . واكد هذا البعث ان هناك علاقات وطيدة بين الهستدروت والنقابات في هذه الدول ، معلنا انه « رغم قطع العلاقات الرسمية مع هذه الدول فهناك تعاون اقتصادي توي معها » (عل هشبار ، ٥/٣/١٩٧٥) .

ومن الجدير بالذكر ان اثيوبيا ايضا تحظى باهتمام الاوساط السياسية في اسرائيل . وذكرت احدى الصحف « ان نظام الحكم الجديد في اديس ابابا قد يطلب اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل بسبب العون الذي تقدمه دول عربية لثوار ارتيريا ، خاصة وان بعض ضباط الجيش طالبوا بتلقي مساعدات من قبل الولايات المتحدة الامريكية .

الديبلوماسية مع الدول المذكورة لا يعد نجاحا كبيرا لاسرائيل في آسيا ، اذ ان هناك مجموعتين من الدول تتحفظان من اسرائيل ولا تقيمان علاقات معها . وهاتان المجموعتان هما الدول الاسلامية والدول الشيوعية في اسيا . وتوجد ايضا مجموعة كبيرة من الدول غير الاسلامية وغير الشيوعية التي لا ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، حيث انها « تضحى » بهذه العلاقات من اجل التقرب الى المجموعة الشيوعية او الاسلامية .

غير مقيم في جزر المحيط الهندي الواقعة جنوب غرب سيلان (الجزر المولديفية) منذ سنة ١٩٦٥ . ومن الجدير بالذكر ان لاسرائيل علاقات اقتصادية وثيقة مع تايوان (فورموزا) ، ولكن لا يوجد تبادل تمثيل دبلوماسي معها بسبب اعتراف اسرائيل بالتصين الشعبية في سنة ١٩٥٠ . ويعتقد نائب المدير العام لوزارة الخارجية يعقوب شمشوني (سكرهه حودشيت ، تشرين أول ١٩٧٤ ، ص ٢٦) ان وجود هذه العلاقات

العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل ودول آسيا*

الدولة	تاريخ الاعتراف	مستوى التمثيل في اسرائيل	مستوى التمثيل في دول آسيا
كوريا الجنوبية	أيار ١٩٦٢	سفير غير مقيم (منذ نيسان ١٩٦٩)	١- سفير غير مقيم أيار ١٩٦٢
			٢- مفوض مقيم تموز ١٩٦٤
			٣- سفير ، ايلول ١٩٦٩
اليابان	أيار ١٩٥٢	١- قنصل غير مقيم جزيران ١٩٥٥	١- قنصل ، ١٩٥٢
		٢- قنصل كانون الاول ١٩٥٧	٢- سفير ، ١٩٦٣
		٣- سفير تموز ١٩٦٣	
بورما	كانون الاول ١٩٤٩	١- قنصل ، ١٩٥٥	١- قنصل ، ١٩٥٣
		٢- سفير ، ١٩٥٧	٢- سفير ، ١٩٥٧
فيتنام الجنوبية	كانون الاول ١٩٧٢		سفير ، ١٩٧٣
كمبوديا	شباط ١٩٥٥	١- سفير غير مقيم ، ١٩٦٧	١- سفير غير مقيم ، ١٩٦٠
		٢- سفير ، ١٩٧٢	٢- سفير ، ١٩٦٧
لاوس	شباط ١٩٥٥	١- قنصل غير مقيم ، ١٩٦٠	١- قنصل غير مقيم ، ١٩٥٧
		٢- سفير غير مقيم ، ١٩٦٤	٢- سفير غير مقيم ، ١٩٦٤
سنغافورة	١٩٦٥	_____	سفير ، ١٩٦٩
الفلبين	١٩٤٩	سفير ، ١٩٦٢	سفير ، ١٩٦٢
تايلاند	١٩٥٠	سفير غير مقيم ، ١٩٦١	سفير ، ١٩٥٨
الهند	١٩٥٠	(ممثلة بواسطة بريطانيا)	قنصل في بومباي ، ١٩٥١
نيبال	١٩٦٠	سفير غير مقيم ، ١٩٦٢	سفير ، ١٩٦٤

* مجلة سكرهه حودشيت ، تشرين الاول ١٩٧٤ ، ص ٣١ .

التي تضررت من رفع أسعار النفط، ستفيد سياحة العرب في هذه القارة ...» (اقون فريدلر - دافار ، ١٣/٤/١٩٧٥) .

ولاحظت المصادر الاسرائيلية ايضا في معرض حديثها عن تعزيز العلاقات بين الدول العربية ودول امريكا الجنوبية ان « الجزائر تقيم علاقات وطيدة مع برونو اليسارية ، واما السعودية فتتوسط علاقاتها مع البرازيل » (المصدر نفسه) . وهذا بالإضافة الى ان كل دول القارة تشهد نشاطا عربيا دبلوماسيا واعلاميا واسعا تتجاوب معه تلك الدول ، وان الجاليات العربية الكبيرة في امريكا الجنوبية « بدأت تمتاز بانتهاائها القومي » بعد حرب تشرين ، وبالتالي راحت تنشط لصالح الدول العربية في القارة « واخذت السفارات العربية تستخدم هذه الجاليات بنجاح ملحوظ » (المصدر نفسه) .

من ناحية ثانية ، لم تخف المصادر الاسرائيلية ثقلها من اتجاه الاجتئين الى تحسين علاقاتها مع العالم الشيوعي ومن اعادة علاقاتها مع كوبا (دافار ، ٩/٣/١٩٧٥) .

ان تقوية علاقات العالم العربي مع دول جنوب امريكا وغيرها من دول العالم الثالث يعد خسارة لاسرائيل ، « لان هذه الدول تقطع علاقاتها مع اسرائيل كمن لتفكرة الدخول الى النادي التجاري العربي » (سكيراه حودشيت - تشرين الاول ١٩٧٤ ، ص ٢٢) . وفي الوقت نفسه ، تعتبر تقوية العلاقات مع الدول الشيوعية خسارة لاسرائيل حيث ان قطع العلاقات معها هو أيضا ثمن تذكرة الدخول الى « النادي اليساري » (المصدر نفسه) .

ان مكاسب حركة التحرر في دول العالم الثالث بشكل عام ومكاسب حركة التحرر العربية بشكل خاص هي التي ادت الى عزلة اسرائيل في دول العالم الثالث وفي المجتمع الدولي عامة . والمزيد من هذه المكاسب سيؤدي بالضرورة الى المزيد من العزلة بالنسبة لاسرائيل .

يوسف حمدان

تلقت اسرائيل عدة ضربات دبلوماسية في اسيا خلال الاشهر الماضية ، منها « خضوع اليابان للضغط العربي » بعد حرب تشرين بسبب اعتماد اقتصادها المتطور على العالم العربي ، ومقاطعة دول اسيا لها في العاب طهران في ايلول الماضي ، ثم تصويت تلك الدول لجانب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية خلال الدورة الاخيرة للجمعية العمومية للامم المتحدة . ويعتبر تحرير جنوب فيتنام وكهبوديا مؤخرا ضربة خطيرة لاسرائيل على المدى القصير والبعيد . ومن المعروف ان الامير سيهانوك كان قد أعلن قبل سقوط نومو بنه ان النظام الجديد لن يعترف باسرائيل حتى لسو سمحت اعترافها بالنظام السابق قبل سقوطه ، متخذًا بذلك موقفا استثنائيا معاديا تجاه اسرائيل .

اسرائيل وامريكا الجنوبية

أبدت المصادر الاسرائيلية اثناء التهديد لعقد الجمعية العمومية للامم المتحدة في العام الماضي ثقلها من ان ما حدث لاسرائيل في افريقيا قد يحدث في امريكا الجنوبية . وظهر من مواقف دول هذه القارة في مؤتمرات دول عدم الانحياز الاخيرة وفي الامم المتحدة ان ثقل اسرائيل له ما يبرره .

وتحدثت الصحف الاسرائيلية بشيء من التلق عن اجتماع مكتب التعاون لدول عدم الانحياز ، الذي عقد في كوبا بتاريخ ١٧ اذار الماضي ، باشتراك وزراء خارجية سبع عشرة دولة غير منحازة ، ودعا الى طرد اسرائيل من الامم المتحدة وغرض المقويات عليها . وعلم ان مشروع قرار بهذا الشأن سيسبق للمصادقة عليه ، الى مؤتمر القمة الذي ستعقده ١٠ دولة من دول العالم الثالث في ليما عاصمة بيرو في شهر اب القادم (معاريف ، ٣٠/٣/١٩٧٥) .

ولاحظت المصادر الاسرائيلية ان دول امريكا الجنوبية تسمى باستمرار الى توثيق علاقاتها مع الدول العربية . « فهذه الدول تحلم بالاستثمارات العربية ، ومنذ حرب تشرين نشطت الزيارات المتبادلة بين المسؤولين في الدول العربية ودول امريكا اللاتينية ... وسياسة فينزويلا التي اعلنت عن استعدادها لمساعدة دول امريكا الجنوبية ،

تغيرات في الزراعة الإسرائيلية وبحث عن مصادر مياه جديدة

انخفاض عدد العاملين في الزراعة . كذلك بدأت الزراعة الإسرائيلية ، في هذه الفترة ، تواجه مشكلة تصريف الفائض الانتاج الزراعي ، التي حاولت السلطات حلها بواسطة زيادة الصادرات من جهة واعادة تنظيم الفروع الزراعية لتأمين دخل ملائم للمزارعين من جهة أخرى . وقد تم بالفعل تنظيم جميع الفروع الزراعية تقريبا في مجالس انتاج وتسويق ، تركز اهتمامها على تأمين مستوى اسعار ملائم للمنتجين ، بواسطة تحديد الانتاج ودفع مساعدات حكومية ثم تصدير الفائض منه .

٤) فترة ١٩٦٥ — ١٩٧٣ ، ويميزها «استقرار» الانتاج الزراعي من جهة وانخفاض في عدد العاملين في الزراعة من جهة أخرى . ولكن ، برزت خلال هذه الفترة ، من ناحية ثانية ، مشكلة النقص في المياه كعامل مؤخر للتطور الزراعي . ومع البدء باستخدام مشروع المياه القطري ، في اواسط الستينات ، راح الانتاج الزراعي يعتمد أكثر فأكثر على كمية المياه المخصصة للفروع الزراعية . ولكن رغم ذلك ازدادت خلال هذه الفترة الصادرات الزراعية من غير الحمضيات (لمزيد من التفاصيل) ، أنظر موشي غلابر ، الاقتصاد [الإسرائيلي] ، خمسة وعشرون عاما من النمو ، القدس ، مركز الاعلام ، ١٩٧٤ ، ص ٤٢ — ٤٥ .

فروع الزراعة الرئيسية

تبلغ مساحة الاراضي المزروعة اليوم في اسرائيل نحو ٤٤٢٢٥ ألف دونم (أي نحو خمس مساحة اسرائيل داخل حدود الهدنة ١٩٤٩) منها ٨٠٠ ألف دونم تحت السمتي والياتي اراض بعلية . والفروع الاساسية في الزراعة الاسرائيلية هي التالية :

(١) الحبوب ، وتزرع معظمها بدون ري ، لذلك فان محاصيلها معرضة لهزات عنيفة ، حسب كمية الامطار . وبينما وصل ، مثلا ، الانتاج المحلي

تعتبر الزراعة من أقدم فروع الاقتصاد الاسرائيلي وأكثرها تطورا ، حيث كان العمل الزراعي ، ولا يزال ، يعتبر جزءا من الايديولوجية الصهيونية للمستوطنين اليهود في فلسطين ، الذين بادروا الى اقامة المستوطنات الزراعية في انحاء فلسطين منذ نهاية القرن الماضي .

وقد مرت الزراعة ، منذ قيام اسرائيل ، في أربع مراحل أساسية قبل وصولها الى مستواها الحالي :

١) فترة ١٩٤٩ — ١٩٥٥ ، التي تم خلالها اقامة نحو ٤٠٠ مستوطنة زراعية ، معظمها على انقاض القرى العربية في فلسطين التي طرد سكانها منها خلال حرب ١٩٤٨ ، مع زيادة مساحة الارض الزراعية من ١٤٦٥ مليون دونم الى ٣٤٥٩ ، بعد الاستيلاء على الاراضي الزراعية التي كان اللاجئون الفلسطينيون يفلحونها . كذلك ازداد خلال هذه الفترة ، عدد العاملين في الزراعة ، بنحو ٧٥٪ والانتاج ١٥٠٪ . وبدأ خلال هذه الفترة ايضا ، العمل على اعادة بناء فرع الحمضيات ، بواسطة زراعة مساحات واسعة بأشجار الحمضيات بالإضافة الى البساتين العربية التي كانت قائمة .

٢) فترة ١٩٥٥ — ١٩٦٠ ، التي انخفض خلالها معدل اقامة المستوطنات الزراعية الجديدة ، بحيث لم تؤسس سوى ٤٠ مستوطنة فقط ، بينما زاد عدد العاملين في الزراعة بنحو ٢٠٪ ، وارتفع الانتاج بنسبة ٨٠٪ . وتغيرت هذه الفترة بزيادة انتاج اللحوم خلالها بنحو ثلاثة اضعاف ، والفاكهة والبيض بنحو ضعفين ونصف . كذلك اتخذت الاجراءات اللازمة لانتاج القطن وتصيب السكر والفسطق . واستمر طوال هذه الفترة تطوير فرع الحمضيات واعداده كفرع اساسي للتصدير .

٣) فترة ١٩٦٠ — ١٩٦٥ ، التي وصل فيها السوق الاسرائيلي المحلي الى حالة من شبه الارتواء بجميع منتوجات الاغذية الزراعية ، بينما انخفضت سرعة زيادة الانتاج ، مما ادى الى

اما بالنسبة لاشجار الفاكهة الأخرى فقد بلغت مساحة الأرض المزروعة بها خلال سنة ١٩٧٣/٧٤ ٤٥٠ ألف دونم مقابل ٢٣٠ ألف دونم خلال سنة ١٩٤٨/١٩٤٩ . وتعتمد هذه الزراعة على العنب والجوافة والموز والزيتون ، حيث يستعمل جزء كبير منها للتصدير وللصناعة المحلية (المصدر نفسه) .

(٤) المزرعات الصناعية والزيت : بدأت هذه الزراعة تحتل مركزا هاما مع نهاية الخمسينات . وتنتج اسرائيل الآن نحو ٢٥٠ - ٢٨٠ ألف طن من شمندر السكر سنويا ، تكفي لتزويدها بربع كمية استهلاكها من السكر . وستبادر وزارة الزراعة إلى زيادة الانتاج خلال السنوات المقبلة ، نظرا لارتفاع اسعار السكر في الاسواق العالمية . كذلك يعتمد هذا الفرع على زراعة القطن الذي تستخدمه اسرائيل في صناعة الالبسة داخلها . اما الفستق فيستعمل في انتاج الزيت وفي التصدير (فلاير - المصدر السابق ، ص ٦٤) .

(٥) الحيوانات والدواجن : يزود هذا الفرع اسرائيل بكل ما تستهلكه من الحليب ومنتجاته والبيض ولحوم الدواجن ونحو ذلك استهلاكها من لحم البقر . وكان انتاج فرع الدواجن ١٤٦ مليار بيضة في سنة ١٩٧٣ مقابل ٢٤٣ مليونا في سنة ١٩٤٩ . وزادت كمية لحم الدجاج من خمسة الاف طن في سنة ١٩٤٩ إلى ١٤٥ الف طن في سنة ١٩٧٣ (المصدر نفسه) .

استنفذت اسرائيل معظم مواردها الزراعية الطبيعية

يمكن اعتبار المرحلة الراهنة بمثابة مرحلة خاسرة بالنسبة للزراعة الإسرائيلية ، بعد المراحل الأربع التي اشرفنا لها ، التي تواجه الآن عدة مشاكل وتحديات ، رغم المكاسب التي حققتها منذ قيام اسرائيل . فمن ناحية المكاسب ، يمكن القول ان قيمة الانتاج الزراعي في اسرائيل في ارتفاع دائم حيث بلغ في سنة ١٩٧٤ نحو اربعة مليارات ليرة (رازي غوترمان - معاريف ، ١/١/١٩٧٥) مقابل ٣٦٨٧ مليون ليرة ، مثلا ، في سنة ١٩٧٣/١٩٧٢ ، و ٣٠٣٩ مليون ليرة في سنة ١٩٧١/٧٢ (كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي ، رقم ٢٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٣٧٥) . ويمكن القول ايضا ان اسرائيل

من الحبوب في السنة الزراعية ١٩٧١/٧٢ إلى ٣٦٥ ألف طن ، انخفض في السنة التالية ١٩٧٢/٧٣ إلى ٢٨٢ ألف طن . والقمح هو المحصول الاساسي في اسرائيل في فرع الحبوب (٨٤٪ من سنناتر الحبوب) ، وقد ارتفع معدل المحصول منه منذ قيام اسرائيل إلى ١٠٠ - ٢٠٠ كغم للدونم ، ويصل احيانا إلى ٣٠٠ كغم للدونم اثناء توافر الأمطار . وتستورد اسرائيل معظم الحبوب التي تستخدم كمواد غذائية للانسان ، ومعظم مواد العلف للماشية ، من الخارج (فلاير - المصدر السابق ، ص ٦٤) .

(٢) الخضروات : تزيد الخضروات التي تنتجها اسرائيل عن حاجتها ، وتقوم بتصدير الفائض منها . وتبلغ مساحة الأرض المزروعة بالخضروات نحو ٢٦٦ ألف دونم ، منها نحو ٦٢ ألف دونم في القرى العربية التي تنتج نحو ٢٨٪ من انتاج الخضروات . ويعتمد هذا الفرع أساسا على زراعة البطاطا والبندورة والافوكادو التي تنتج بكميات كبيرة . وخلال الفترة ١٩٤٩ - ١٩٥٥ ازداد انتاج الخضروات بنسبة ٢٠٪ في السنة ، الا ان هذه النسبة سرعان ما انخفضت ، بعد وصول السوق إلى حالة الأرتواء ، إلى ٥٪ في السنة خلال السنين الخمس التالية ، وإلى ٢٤٪ خلال الفترة ١٩٦٠ - ١٩٦٥ . ومنذ ذلك الوقت بدأت سرعة انتاج الخضروات ترتفع ووصلت إلى ٤٥٪ سنويا ، بفضل تحويل جزء كبير من الخضروات إلى الصناعة والتصدير (المصدر نفسه وكتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي ، رقم ٢٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٣٧٥) .

(٣) الفاكهة : يرتكز هذا الفرع أساسا على الحمضيات ، التي يخصص معظم انتاجها للتصدير . وقد بلغ انتاج الحمضيات في سنة ١٩٧٢/٧٣ ١٦٨٨٠٦ ألف طن تم تصدير ٧٧٦٤٩ ألف طن منها ، واستخدم الباقي للاستهلاك المحلي او في الصناعة . ووصل الدخل من فرع الحمضيات خلال تلك السنة إلى ٢٧٣٠٢ مليون ليرة مقابل ٣٣٧٠٤ مليون ليرة في سنة ١٩٧١/٧٢ و ٣٢٢٠٧ مليون ليرة في سنة ١٩٧٠/٧١ . وبلغت مساحة الأرض المزروعة بالحمضيات في سنة ١٩٧٣/٧٤ ، ٤٢٠ ألف دونم مقابل ١٢٥ ألف دونم في سنة ١٩٤٨/٤٩ (كتاب الإحصاء السنوي الإسرائيلي ، رقم ٢٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٣٦٥) .

« أزمة الغلاء العالمية وتأثيرها في إسرائيل »

رغم هذه المكاسب، تواجه الزراعة في إسرائيل الآن عدة تحديات تعتبر مصيرية بالنسبة لتوافر المواد الغذائية داخل إسرائيل، أحد أسبابها ذلك الغلاء الذي طرأ على أسعار المواد الغذائية في الأسواق العالمية التي تستورد منها إسرائيل حاجاتها الأساسية، مثل السكر والقمح والعلف. « أن الغلاء الكبير الذي حدث في الأسواق العالمية، والخوف من « أزمة غذائية » كبيرة في الخارج، وما يمكن أن يكون لها من انعكاسات علينا، هو مصدر القلق الأساسي الذي تخيط به الزراعة عندنا الآن » (رازي غوتريمان - معاريف، ١٩٧٥/٤/١). فخلال السنين العشر الأخيرة ساد لدى المسؤولين عن الزراعة في إسرائيل الرأي القائل « بأن ما ينقصنا من مواد غذائية يمكن شراؤها في العالم بأسعار أرخص من تكاليف إنتاجها هنا. لذلك توجه الاهتمام إلى تصدير منتجات أخرى... أما اليوم فإن هذا الافتراض يمر في مرحلة من إعادة النظر، لأنه أصبح واضحا أن وزن الانتاج الزراعي قد ازداد جدا في قائمة الأفضليات، حيث لم يعد يقاس من ناحية ثمنه فقط، وإنما في ضوء الحاجة الأساسية لتأمين غذاء لسكان الدولة » (إيلي الماد - هارتس، ١٩٧٥/١/٢١). فقبل سنتين تقريبا، كانت عائدات إسرائيل من صادراتها من المواد الغذائية كافية لتمويل وارداتها في هذا المجال. « واليوم تغير الأمر بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية في العالم... فقبل ٦ سنوات كان سعر اللبوم ٥٠٠ دولار للطن الواحد، وأصبح اليوم ١٢٠٠ دولار. كذلك كان ثمن السكر ٦٠ دولارا للطن، فأصبح اليوم نحو ١٠٠٠ دولار للطن، ويتوقع أن ينخفض إلى ٦٠٠ دولار للطن في السنة المقبلة... وأحيانا تشكل هذه المواد [التي ينبغي استيرادها] نحو ثلث أو نصف أو ٦٠٪ من استهلاك إسرائيل » (المصدر نفسه).

هناك اختلاف في الآراء بين المسؤولين عن القطاع الزراعي في إسرائيل، بشأن أهمية ما يحدث اليوم في أسواق المواد الغذائية في العالم، فبعضهم يرى أن هذا ليس إلا أزمة عابرة، لا يمكن أن تغير نظام توزيع المواد الغذائية في العالم، بينما يعتقد

تستفيد اليوم من مكاسب التطور الزراعي التي أحرزتها منذ قيامها، « فنحن نزود أنفسنا بالجزء الأكبر من القمح، وبجميع الخضروات والفاكهة، والطيب، ومنتجاته، والقطن ولجوم الطيسور، والأسماك، وجزء من لحم البقر، وجزء ضئيل من السكر والعلف... وتعتبر إسرائيل اليوم من الدول المتطورة في العالم في حقل الزراعة » (إيلي الماد - هارتس، ١٩٧٥/٢/٥). كذلك يمكن وصف التقدم الزراعي في إسرائيل بشكل آخر، « فمثلا، تضاعف محصول القمح في نفس المساحة من الأرض خلال عشر سنين. وزاد إنتاج الخضروات ثلاثة أضعاف... كذلك حدثت « ثورة » في أساليب الفلاحة وطرق السقي وما شابه » (المصدر نفسه - هارتس، ١٩٧٥/٢/٢).

غير أنه يبدو، إضافة إلى ذلك، أن إسرائيل استنفدت جميع مصادرها الطبيعية في المجال الزراعي في الوقت الحالي، سواء في الأرض أو المياه بحيث يقوم بعض المزارعين هناك اليوم بفلاحة أراض غير خصبة لم تكن صالحة للزراعة في الماضي. كذلك فإن كمية المياه آخذة في الانخفاض. أما بالنسبة لعدد العاملين في الزراعة فإنه آخذ في الانخفاض أيضا، إذ أن أعدادا منهم تنتقل، تدريجيا، إلى فرع الصناعة. « وفي ضوء هذه المعطيات فإن رأس المال هو الشرط الوحيد لاستمرار تطور الزراعة... فقد مرت الزراعة في إسرائيل في نفس المسار الذي مرت به في الدول المتطورة، أي استبدال العمل اليدوي بالعمل الآلي، الأمر الذي رافقه في كثير من تلك الدول انخفاض في عدد المزارعين وانتقال من القرية إلى المدينة. » (المصدر نفسه). ولكن الكيوتستات في إسرائيل وجدت حلا جزئيا لهذه المشكلة بواسطة نقل أشخاص من الزراعة إلى الصناعة داخل مجالاتها، بعد أن أنشأت صناعات داخلها، بحيث استطاعت الاحتفاظ بجزء من العمال ومنع انتقالهم إلى المدينة، « واليوم تجد في هذه الكيوتستات اقتانا مكيفة هوائيا، وآليات حديثة... لحلب الأبقار يستطيع شخص واحد إدارتها... ثم آليات لقطع أشجار التفاح وغيرها، وآليات أخرى كثيرة من تلك التي تستخدم في الزراعة » (المصدر نفسه).

الإسافية اليوم في فرع الزراعة هي تحقيق انتاج أكبر من القمح وشبهندر السكر ، « وذلك على حساب تقليص المساحات المزروعة بالقمح . وبحسب تقدير وزارة الزراعة ، سيبلغ انتاج شبهندر السكر نحو ٢٧٠ الف طن خلال هذه السنة ، بدلا من ١٠٧ الف طن ، كما كان متوقعا في البداية . . . ان انتاج كمية من السكر تقدر بـ ٢٠ - ٣٥ الف طن ، ستوفر على الدولة نحو ٥٠ مليون دولار (المصدر نفسه) . وفي هذا المجال ستعمل وزارة الزراعة على اعادة ترميم معلمي السكر في كريات غات والعفولة ، وذلك من اجل انتاج نحو ٥٠ الف طن من السكر سنويا بواسطتها ، اي نحو ربع الكمية المستهلكة في اسرائيل (ايلي العاد - هارتس ، ١٩٧٥/١/٣١) . اما بالنسبة للقمح ، فان وزارة الزراعة ستعمل على توسيع مساحات الارض المعدة لزراعته من جهة وعلى خفض الاستهلاك منه من جهة أخرى ، اذ اعلن وزير الزراعة ان وزارته تبحث في مشروع رفع اسعار الخبز للمستهلك ، وخفض اسعار البطاطا كمادة بديلة (رازي غوتزمان - معاريف ، ١٩٧٥/٤/١) .

مشكلة المياه

تستغل اسرائيل اليوم معظم مصادرها من المياه ، الجوفية والسطحية ، واستهلكت في السنة الماضية نحو ١٧ مليار متر مكعب من المياه ، منها نحو ١٢٠ مليون م^٣ من المياه شبه المالحة . ان ثلاثة ارباع هذه الكمية ، اي نحو ١٠٣ مليار م^٣ ، قد استخدمت في الزراعة ، أما الباقي فقد خصص للاستعمال المنزلي (٣٠٠ مليون م^٣) وللصناعة (١٠٠ مليون م^٣) . « وتشكل هذه الكمية تقريبا كل الثروة المائية في الدولة التي يمكن استخدامها » (تيدي بروينس - دانار ، ٣/٣١/١٩٧٥) . لذلك فان اسرائيل تتحسب من ازمة في المياه ، خاصة في ضوء تطلعاتها نحو تنمية زراعتها وزيادة انتاجها . ويتوقع خبراء المياه ان تحتاج اسرائيل خلال السنتين العشر المقبلة الى كمية اضافية من المياه ، في كل سنة ، تقدر بـ ٣٠ - ٤٠ مليون م^٣ ، وذلك لسد حاجيات العدد المتزايد من السكان من جهة والتطور الصناعي من جهة أخرى ، « وفي سنة ١٩٧٩ سيصل استهلاك المياه في اسرائيل - حسب توقع الخبراء - الى ١٨٢٠ مليون م^٣ في السنة ، حسب التوزيع

اخرى ان ازمة المواد الغذائية واسعارها المرتفعة يمكن ان تصل الى وضع يصبح من الصعب معه شراء هذه المواد في الاسواق العالمية ، ولن تفيد الدولارات لذلك اذ لن يوافق احد على بيعها . وعلى اي حال ، فان رئيس معهد البحث الزراعي (معهد فولكاني) بروغيسور يوناشي فعاديه ، يعتقد انه يمكن ان يطرأ وضع لن تستطيع اسرائيل معه الحصول على المواد الغذائية الاساسية التي تستوردها اليوم ، مما يلزم ادخال تحسينات وتغييرات كثيرة على فرع الزراعة من اجل الوصول الى مستوى انتاج اعلى . فمن المفروض ان تصدر خلال السنوات ١٩٨٠ - ١٩٨٥ نصف كمية الانتاج الزراعي الاسرائيلي الى السوق الاوروبية المشتركة . وفي الفترة نفسها ، اي ١٩٨٥ يتوقع ان يصل عدد سكان اسرائيل الى ٥ ملايين نسمة مما يلزم بالطبع تزويد كمية اكبر من المواد الغذائية . « ان هذا الامر لن يتحقق بدون توجيه موارد كثيرة للزراعة . . . وبحسب رأي الخبراء في هذا الفرع فان التطور التكنولوجي [وحده] سيتطلب استثمار نحو ١٤ مليار ليرة سنويا في الزراعة (ايلي العاد - هارتس ، ١٩٧٥/٢/٥) .

تغيرات متوقعة في التخطيط الزراعي

دعمت هذه التطورات ، في الاسواق العالمية ، وزارة الزراعة الاسرائيلية الى العمل على تغيير المناهج والبداهيات السابقة ، التي كانت مساندة في اسرائيل خلال السنين الاخيرة ، وملائمة للسياسة الزراعية ومجاري التطوير الزراعي للواقع الجديد . لذلك فان الاسعار المرتفعة للمواد الغذائية ، في الاسواق العالمية ، مثل السكر والقمح والعلف هي التي توجه الان وزارة الزراعة وتدفعها نحو العمل على زيادة الانتاج المحلي من هذه المواد . وقد اعلن وزير الزراعة ، اهرن اوزن ، انه « محظور علينا ان نكون متعلقين برحمة الاجانب ، وبالصفقات الكبيرة التي تنفذ في الخارج ، والمرتبطة ارتباطا وثيقا بخطة العرب . فعندما خزنت الدول العربية كميات كبيرة من السكر - قفزت الاسعار في العالم كله . وهذا ما حدث ايضا عندما اشترى الروس والصينيون كميات كبيرة من القمح من الغرب » (رازي غوتزمان - معاريف ، ٤/١/١٩٧٥) . ويرى وزير الزراعة ان احدى المهام

مليون ليرة في تأمين ١٨٥ مليون م^٢ من المياه الطبيعية . كذلك ينبغي استثمار نحو مليار ليرة لتفتية نحو ٣٥٠ - ٤٠٠ مليون م^٢ من الماء ، وتطهير نحو ٢٥٠ - ٣٠٠ مليون م^٢ من مياه المجاري ، ثم استثمار ١٣٥٠ مليون ليرة في اقامة اجهزة لتحلية ١٠٠ مليون م^٢ من مياه البحر ، و ٨٥٠ مليون ليرة في نقل وتوزيع ٥٥٠ مليون م^٢ من الماء في السنة ، و ٨٥٠ مليون ليرة أخرى في اقامة اجهزة لخرن مياه جوفية اخرى ، و ١٥٠٠ مليون ليرة في تحسين ظروف تزويد المياه ونفقات الاستهلاك . وبحسب هذا المقياس ينبغي استثمار نحو ٧٠٠ مليون ليرة سنويا ولمدة ١٠ سنوات ، لتنفيذ هذه الخطة . ويعتقد بعض الخبراء الزراعيين انه ينبغي وضع هذه الخطة على رأس سلم الافضليات في ميزانية الدولة « داغيد موشيواف - داغار ، ١٩٧٥/٣/١٧ » .

ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان هناك اعتراضات عديدة في اسرائيل ، ومن جانب خبراء وزارة الزراعة بالذات ، على استعمال مياه المجاري بعد تطهيرها في الزراعة ، لان جودة تلك المياه ، بحسب رأيهم غير مضمونة تماما ، وربما تؤدي الى تلوث المزروعات ونفسي الامراض . اما بالنسبة لمشروع تحلية مياه البحر ، الذي تفكر به اسرائيل منذ سنين طويلة ، فيبدو انه لم يحقق اي نجاح حتى الان بسبب تكاليفه الباهظة . وتسمى اسرائيل الى الحصول على مساعدات ، خاصة من الولايات المتحدة لتمويل هذا المشروع ، وبالفعل وعدت بذلك منذ عهد الرئيس جونسون ، الا ان المشروع جمد في عهد نيكسون . ولكن البيت الابيض عاد واطلع في مطلع هذه السنة بانه سيخصص نحو ٢٠ مليون دولار كمساعدة لاسرائيل لتمويل جزء من هذا المشروع . « وتد حدث ذلك بعد ان تدخل رئيس الحكومة شخصيا طالبا منح اسرائيل الاموال التي اتمتدت قبل خمس سنوات » (تيدي برويس - داغار ، ١٩٧٥/٤/٧) . ولكن مفوض المياه في اسرائيل ، مناحم كتطور ، اعلن ان ذلك البيان الذي اصدره البيت الابيض لم يساعد على تحويل تلك المساعدات الى مبالغ عملية يمكن استخدامها .

اهتمام بمشاريع اللطاني

تتطلع اسرائيل أيضا ، لسد حاجياتها من المياه ، الى الثروات المائية في الدول العزبية المجاورة ،

التالي : استهلاك مديني وصناعي - ٥٥٠ مليون م^٢ ، استهلاك زراعي - ١١٧٠ مليون م^٢ ، خسائر شبكة المياه - ٥٠ مليون م^٢ ، استهلاك لا تتحكم به حكومة اسرائيل - ٥٠ مليون م^٢ « (داغيد موشيواف - داغار ، ١٩٧٥/٣/١٧) .

أدت حقيقة وجود معظم مصادر المياه في شمال اسرائيل ، ووجود مناطق جافة في جنوبها ، الى اقامة مشروعين كبيرين لنقل المياه من الشمال الى الجنوب . واقدم المشروع الاول وهو خط نهر (الموجا) البركون - النقب خلال السنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٦ ، وارتكز في ذلك الوقت على بناييع رأس العين ، غربي القدس ، وهي مصادر مياه البركون . ونقلت المياه في حينه ، بواسطة ٤ محطات ضخ كبيرة وخمس برك ، حتى مجمع في زوهار شمال النقب ، تبلغ سعته ٨ ملايين م^٢ من الماء ، وانتهى هذا الخط في كيبوتس ماغين بالقرب من قطاع غزة . اما المشروع الثاني « خط بحيرة طبريا - رأس العين » (مشروع تحويل مجرى نهر الاردن) فقد اقيم خلال السنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٤ ، وذلك لقتل نحو ٢٢٠ مليون م^٢ من الماء سنويا من بحيرة طبريا الى الجنوب . ويهر هذا الخط في قناة مفتوحة طريق جبال الجليل ثم يخترق سهل البطوف ، بواسطة اجهزة ضخ ، ويتدفق في انبوب يمر طريق مرج ابن عامر ، السامرة ، وادي الحوارث (السهل الساحلي) والشارون حتى يصل الى بداية شبكة البركون النقب في رأس العين . وتم بعد ذلك توحيد المشروعين فسمي اسمي « مشروع المياه القطسري » ، وذلك « لتجميع معظم مصادر المياه في اسرائيل ، بواسطة توحيد جميع مشاريع المياه والتي في مناطق البلد المختلفة ، وتوزيعها بصورة مبنية لاستقلالها ... » (غلابر - المصدر السابق ، ص ٤٤) .

ان وزارة الزراعة الاسرائيلية متيقظة لمشكلة النقص في المياه التي يمكن ان تواجه اسرائيل خلال السنوات المقبلة ، ولذلك بادرت كلا من مصلحة المياه ، ومجلس تخطيط المياه في اسرائيل وشركة مكوروت للمياه ، الى وضع خطة في السنة الماضية لتأمين طلبات اسرائيل الحالية من المياه ، يكلف تنفيذها ٤٢ مليار ليرة بحسب اسعار سنة ١٩٧٣ (و ٧ مليارات ليرة بحسب الاسعار الحالية) . وبحسب هذه الخطة « ينبغي استثمار نحو ٥٠٠

« فهناك الآن سلسلة من مشاريع المياه الجديدة التي يمكن ان تثير قضية المياه بيننا وبين هسنده الدول من جديد ، وهناك مشروعان منها متعلقان باسرائيل . . . الاول يتمثل في الخطة الاردنية لاستغلال مياه اليرموك بهدى كبير . كذلك تعمل سوريا الان ، من جانبها ، على توسيع ضخ المياه في قناة اليرموك ، بينما تلك اسرائيل- ايضا افكارا خاصة بها حول ضخ المياه الفائضة من اليرموك الى بحيرة طبريا وما شابه . اذا تصرفت الاردن وسوريا بحسب « مجددا اوبنهايم » (احد الخبراء في القانون الدولي الذي اعلن ان التغييرات في مجاري الانهار الدولية ، لا يمكن ان تخضع لخطوات استبدادية من جانب احدى الدول التي تمر بها تلك الانهار ، وان الدول المجاورة لنهر ما لا تستطيع تغيير المعطيات الطبيعية في منطقتها لغرض صالح الدول الاخرى) ، فانه يجب طيها ابقاء كمية من المياه في اليرموك ، عند دخوله الى المنطقة الاسرائيلية ، تقدر بـ ٢٥ مليون م^٣ من الماء (اهود يعري - داناف ، ١٩٧٥/٤/١٥) . ويبدو ان التقدير الاسرائيلي هو ان الاردن لن يستطيع استغلال كل مياه اليرموك (٤٥٠ مليون م^٣ في السنة) ، بحيث نستطيع لاسرائيل « كمية متواضعة » من مياه هذا النهر . ولكن على اي حال سنخفض كمية المياه التي تصل غور الاردن منه ، واذا اقدمت سوريا والاردن على اقامة

ميدود عالية جدا سيكون الضرر لاسرائيل كثيرا . » كذلك فان لاسرائيل اهتماما كبيرا بمياه الليطاني - نحو ٧٠٠ مليون م^٣ في السنة . وقد رفض جونسون في الماضي طلب اسرائيل بضم الليطاني الى مشروعه الخاص بتوزيع مياه الاردن وروافده . ان العرب لا يعترفون بأي حق لاسرائيل في هذا النهر ، وهو نهر ليشباني داخلي . وحقا فان مشروع « كوطن » الاسرائيلي ، الذي شمل مطلب اسرائيل هذا ، غير معترف به بالقانون الدولي ، رغم انه يستند على منطق اقتصادي وتقني كبير : ان ضخ مياه الليطاني الى حوض الاردن يمكن ان يستخدم لانتاج الطاقة الهيدرو الكهرونية وسيعود بفائدة كبيرة على الاردن « (المصدر نفسه) . وتعلق بعض الدوائر الاسرائيلية على مشاريع نهر الليطاني المقترحة الان في بيروت معلنة ان اسرائيل يجب ان تقر ايضا في هذا الموضوع : هل ينبغي عليها ان تسكت ، او ان « تبدأ معركة على مياه . . . ليست ملكنا في الحقيقة » (المصدر نفسه) . وتجدر الاشارة هنا ، اخيرا ، الى ان دوائر اسرائيلية عديدة كانت قد اثارته في الماضي مسألة حصول اسرائيل على جزء من مياه النيل ، وذلك عند الحديث عن امكانيات الانسحاب من سيناء ، خاصة خلال ١٩٧٢ - ١٩٧٣ . ولكن هذه الشبهة توقفت بعد حرب تشرين .

ح. ش

[٦]

تدهور لا مثيل له في الهجرة الى اسرائيل وحملة عنيفة ضد مبعوثي الهجرة

وفي سنة ١٩٧٤ هاجر منها الى اسرائيل ٣٨٩١ شخصاً مقابل ٥٣٣٦ سنة ١٩٧٣ ، ولا يتوقع ان يطرأ تحسن يذكر خلال سنة ١٩٧٥ . كما ذكر شلومو روزن ، وزير الاستيعاب ، « ان المعدل الشهري لوصول المهاجرين ، منذ مطلع هذه السنة ، يتراوح ما بين ١٢٠٠ - ١٥٠٠ مهاجر ، مقابل ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ مهاجر قبل عامين ، ويعتبر ذلك انخفاضا لا مثيل له » (المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٤/١٥) .

تشهد الهجرة الى اسرائيل في هذه الايام انخفاضا لم يسبق له مثيل ، اذ يقل عدد المهاجرين شهرا بعد آخر ، بحيث وصل وضع الهجرة الى حد دفع احد المعلقين الاسرائيليين الى القول : « يبدو مبعوثو الهجرة كالصيادين الذين يطاردون الحيوانات النادرة » (شلومو شامير - هارنس ، ٣/٢٨ / ١٩٧٦) . وأشار المعلق الى الازمام النهائية ، السنوية والشهرية ، من عدد المهاجرين من الولايات المتحدة وكندا فوصفها بانها تثير الكآبة :

اسباب انخفاض الهجرة

يلاحظ من خلال تتبع موضوع الهجرة الى اسرائيل ، ان هناك شبه اجناع لدى الاوساط الاسرائيلية المختلفة ، الرسمية منها والشعبية ، بالنسبة لاسباب انخفاض الهجرة ، لدرجة ان البعض يرى في ذكرها عملا لا حاجة له ، لانها اصبحت معروفة لدى الجميع ، وتمثل هذه الاسباب ، بحسب اهميتها ، في الوضع الامني والازمة الاقتصادية والاستيعاب الاجتماعي . ولكن هناك من يذكر اسبابا اخرى لا تنقل اهمية عن الاسباب المذكورة ، اهمها مبعوثو الهجرة ، الذين يجابهون الان جملة عنيفة من قبل دوائر عديدة . وقبل ان نتطرق الى هذه الحلقة واسبابها ونتائجها ، لا بد لنا من الاشارة الى ان بين المسؤولين عن الهجرة في اسرائيل من يبرر مسألة انخفاض عدد المهاجرين باسباب غير منطقية ، لا تمت للحقيقة بصلة . فمثلا ، يدعي مناحم شرمان ، المدير العام لوزارة الاستيعاب بان انخفاض عدد المهاجرين من الاتحاد السوفيتي وتساقطهم في الطريق الى اسرائيل ، جاء نتيجة لخطيط سوفيتي ، لان سلطات الاتحاد السوفيتي ، بحسب رايه ، تمنح تأشيرات الخروج بالذات لأولئك اليهود الذين تعتقد ان احتمال تساقطهم في فيينا كبيرا جدا . وقد رد البعض على هذا الكلام بقوله : « هل لدى المدير العام نظرية لتفسير كيف تحدد سلطات الاتحاد السوفيتي من من اليهود الذين يطلبون تأشيرات الخروج ، لديه دافع يهودي وصهيوني قوي لدرجة يبدو معها ان احتمال عدم مواصلة طريقه الى اسرائيل ضعيفة ؟ » (طوبيا مندلسون - دانار ، ١٩٧٥/٣/٢٠) كما برر البعض النقص في الهجرة بقولهم ان هناك منظمة اجنبية تعمل في اسرائيل ، وتشجع بصورة علنية نزوح القادمين من الاتحاد السوفيتي (هارتس ، ١٩٧٥/٤) .

اتهام مبعوثي الهجرة بالتقصير

لا تزال اسرائيل ، كما نعلم ، مسرحا لتوجيه الانتقادات والاتهام « بالتقصير » الى مختلف المسؤولين والمؤسسات فيها ، وذلك استمرارا للحملة التي بدأت في اعقاب « الزلزال » الذي اسبابها خلال حرب تشرين . وشمل الاتهام بالتقصير

لا يقتصر انخفاض الهجرة الى اسرائيل على بلد دون سواء ، وانما يشمل كافة البلدان . ويتمثل الوضع الخطير في مجال الهجرة في الهبوط الكبير في عدد القادمين من الاتحاد السوفيتي ومن الغرب على السواء . ويتضح انه على الرغم من رحلة بنحاس ساير ، رئيس ادارة الوكالة اليهودية ، ورغم الجهود التي بذلت خلالها ، فان ثمارها كانت قليلة جدا . وكان ساير قد اعلن عند انتخابه لمنصبه الحالي ، في صيف السنة الماضية ، انه سيركس كل جهوده لزيادة الهجرة الى اسرائيل . وأشار البعض الى الهجرة من الاتحاد السوفيتي بقوله : « بالنسبة لمهاجري الاتحاد السوفيتي ، ليس فقط ان عدد الخارجين اخذ في الانخفاض ، وانما يرتفع [ايضا] عدد الذين يتساقطون منهم في فيينا ، والذين يختارون بناء حياتهم في احدى الدول الغربية ، في المرحلة الاولى على الاقل » (طوبيا مندلسون - دانار ، ١٩٧٥/٣/٢٠) . وعلم ان آلاف المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتي يتجولون الان في عدة مدن اوروبية بحثا عن ملجأ في دول امريكا ، الشمالية او الجنوبية ، او يتوسلون لاعادتهم الى الاتحاد السوفيتي . (هارتس ، ١٩٧٥/٤/١٠) .

ومن جهة ثانية ، وصف احد المبعوثين الموجودين في امريكا الجنوبية حالة الهجرة هناك والاقبال على مكاتب الوكالة اليهودية بقوله : « انه لمن المؤلم ان نرى خلال الاشهر الاخيرة بيت الوكالة اليهودية في بوينس ايريس ، بكافة مكاتبه ودوائره ، خاليا تقريبا من البشر . لا يوجد يهود كثيرون بزورونه مؤخرا ، ولا يتدفقون على الابواب ولا يقفون بالدور » (حوتام ، ١٩٧٥/٤/١١) . كما أدى انخفاض الهجرة الى ان « نحو نصف الاماكن في مراكز الاستيعاب خالية نتيجة الهبوط في مسدد المهاجرين ، الذي استمر في الشهر الماضي باحجام متصاعدة » (معاريف ، ١٩٧٥/٣/٢٠) . ومن الملفت للنظر هنا ان السلطات المسؤولة عن الهجرة في اسرائيل كانت تشكو ، في الماضي ، بصورة مستمرة ودائمة من قلة عدد مراكز الاستيعاب وقلة الاماكن فيها في الماضي ، بينما يبدو ان الوضع اصبحت الان معكوسا .

هناك ثلاثة « أنواع » من مبعوثي الهجرة. وأغلبية الذوع الاول من اولئك المبعوثين هم من الشبان الذين « زجوا » في مسألة يهود المهجر دون ان يعرفوا بالضبط ما هو المهجر . لم يكونوا ضد الصهيونية ، بل كانوا طوال سنوات طويلة لا مبالين تجاهها ونظروا اليها كمصطلح موضوع بين قوسين مزدوجين . وربما كانت لدى بعضهم آراء مسبقة ، غير ايجابية بالنسبة للمهجر ويهوده ، ولكن منهم من « تشتمل نار الصهيونية بداخله » ومستعد لان يعطي كل ما باستطاعته ، ولكن قدرته محدودة جدا . واما النوع الثاني فهم أشخاص ذوو قدرة معينة في مجال التنظيم او الاعلام ، استجابوا للمقترحات التي قدمت اليهم من قبل سلطات مختلفة . وقد « مل » هؤلاء الاشخاص البقاء في مكان واحد وتطلعوا الى الاستجمام ، بحيث اثر عليهم الاعتبار المصلي لقبول الوظيفة . ويطلق على هؤلاء « المنفذين » الذين يرون مهمتهم في تنظيم الهجرة وليس في تشجيع حركة ايدولوجية للهجرة . ويلى هذا النوع من المبعوثين ، «مبعوثو الصناديق » الذين يبدأون في اليوم التالي لوصولهم الى البلد الذي يرسلون اليه بالاهتمام بامورهم الشخصية اولا ، حيث تهتم الزوجة بعملية الشراء والزوج يهتم بالتوفير ليعود الى البلاد مع « قليل من الاموال » ، لشراء شقة جديدة او لتوسيع القديمة . والنوع الثالث من المبعوثين ، هم « المثاليون » (ليني يتسحاق هيروشلي - معاريف، ١٩٧٢/٩/٢٥) .

وعلى صعيد آخر ، وجهت الاتهامات الى مختلف الدوائر العاملة في مجال الهجرة ، وعلى رأسها الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية ، نظرا لارسالها مبعوثين الى الخارج ، كلا على حدة ، مما يؤدي الى الازدواجية في العمل والى تحمل نفقات طائلة لا لزوم لها . وهناك ٨٢٧ مبعوثا من قبل الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية ، يتعمون الآن في الخارج ، وبلغت كلفة الاحتفاظ بهم ، بما في ذلك مصاريف السفر والرواتب والمكاتب نحو ٢٤ مليون ليرة اسرائيلية . وسيكلف الاحتفاظ بالمبعوثين في الخارج خلال السنة الحالية نحو ٤٠ مليون ليرة ، وربما أكثر . كما شككا البعض من تعدد المبعوثين في الخارج ، حيث ان هناك مبعوثين تابعين لقسم الهجرة والاستيعاب ، وآخرين تابعين

حتى الان جهات كثيرة ، سياسية وعسكرية واعلامية وغيرها ، ويبدو ان دور العاملين في مجال الهجرة حان الآن . وكما يحدث عادة في اعتاب اي فئسل او تقصير في احد المجالات حيث يبدأ البحث عن « كبش غداء » فقد وقعت تهمة التقصير في مجال الهجرة على « مبعوثي الهجرة » ، الذين توفدهم المؤسسات الاسرائيلية الرسمية الى مختلف البلدان للعمل على تشجيع الهجرة الى اسرائيل ، والذين يواجهون الآن اعنف حملة هجوم وتشهير ضدهم .

ومن الجدير بالذكر هنا ، ان القشة التي قصمت ظهر البعير ، وأدت ، بل وتسببت ، في شن حملة عنيفة ضد مبعوثي الهجرة وضد بعض كبار المسؤولين عنها ، بالاضافة الى الاتخفاض الكبير في عدد المهاجرين ، هو تزايد عدد النازحين من اسرائيل . ففي الولايات المتحدة وحدها يوجد اليوم ٢٠٠ الف نازح اسرائيلي (يديعوت اهرنوت ، ١٩٧٥/٣/٣١) . يضاف الى ذلك هجرة ونزوح عدد من المسؤولين عن الهجرة انفسهم ، فقد بقي ، مثلا ، مبعوثان من قبل قسم الشبيبة والطلائعين في الوكالة اليهودية في كندا ، غرشون غولان وميخائيل ليفي ، في هذا البلد كنازحين ، وكانا عملا سابقا كمبعوثين من قبل حركة الشبيبة الصهيونية . وكذلك نرح سفيران من وزارة الخارجية ، هما الدكتور يوحنا سيمور ، سفير اسرائيل سابقا في غينيا الذي بقي هناك ، وكان في الماضي السكرتير الشخصي لبن غوزيون ورئيس التشريفات في وزارة الخارجية ، اما السفير الثاني ، جو لينتون ، الذي كان متصلا في طوكيو وسفيرا في برين ، فقد نرح الى لندن . كما نرح اهود موشلي ، السذي عمل ككاتب متصل في نيويورك (هارتس ، ١٩٧٥) . ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل وصل الى نقطة حساسة ، أدت الى نضج موضوع مبعوثي الهجرة والمطالبة باعادة النظر في اوضاعهم ، وذلك عندما قام مبعوث الهجرة في لوس انجلوس ، المقدم (احتياط) نانان شفاك ، بشراء شقة فخمة في حي مخم في المدينة ، ثم فرار مبعوث الهجرة في اوستراليا البقاء هناك ، « عندما حان موعد تجنيد ابنه » (دافار ، ١٩٧٥/٤/٧) .

كانت اولى التهم الموجهة الى المبعوثين ، والى الدوائر التي يمثلونها ، تعدد انواعهم . وتبين ان

سابقا ، ولا يعرف كيف وصلوا الى هذه المهمة .. .
فهم غير قادرين على اقتناع اليهودي لماذا يجب عليه
ان يهاجر الى البلاد ، ولماذا عليه ان يتنازل عن
ظروف حياته في المهجر (المصدر نفسه) . واعترف
موشي ريفلين ، مدير عام الوكالة اليهودية ، بأن
هناك « محسوبية » في تعيين واختيار المبعوثين ،
حيث ان « أشخاصا محترمين جدا في الدولة ،
يطلبون تفضيل الابن او ابن الاخ او الحفيد »
(هارتس ، ١٩٧٥/٤/١١) .

ومن جملة الانتقادات التي وجهت الى المبعوثين ،
والى المسؤولين عنهم ، وجود اعتبارات حزبية
تتدخل في اختيارهم . وتحدث يعقوب بن اوديس ،
الذي عمل كمبعوث قسم الاعلام التابع للمنظمة
الصهيونية في باريس خلال ثلاث سنوات ، عن
ذلك فأشار الى ان الاعتبارات الحزبية تشكل
عاملا كبيرا في اختيار المبعوث ، لان هناك اعتبارات
« حزبية مختلفة » تسيطر على المنظمة الصهيونية .
وأعلن بن اوديس ، استنادا الى تجربته ، انه
اذا كانت دائرة معينة بأيدي حزب العمل ، فلا
أمل لاي شخص لا ينتمي لهذا الحزب في الذهاب
كمبعوث من قبل تلك الدائرة . كما تحصن سوي
استثمارات الترشيح على بند حول الانتماء الحزبي
للمرشح (يهودا ليطني - هارتس ، ١٩٧٥/٤/١٨) .

المطالبة باصلاح الوضع

نتيجة لهذا الوضع في مجال الهجرة ومبعوثيها ،
كثرت المطالبة بالقيام باصلاحات او « باعادة
النظر » بكل ما يتعلق في هذا الموضوع . ويطالب
البعض برسالة مبعوثين يكونون بمثابة « نماذج
مثالية » لكافة اليهود في العالم ، قادرين على
الحوار والافتتاح والتحدث حول الاشتراكية ،
وحتى مجابهة مركزه والتيارات الفلسفية القريبة
الى قلبه الشببية ، كما يجب ان يكونوا قادرين
على اجابة على الاسئلة المتعلقة بالمجتمع
الاسرائيلي والمشاكل الاقتصادية وغيرها (حوتام ،
١٩٧٥/٤/١١) . كذلك طالب آخرون بخفض عدد
المبعوثين الكبير والاكتفاء بالعدد اللازم منهم فقط ،
واشترط ان لا تكون علاقة اسرائيل مع الجاليات
اليهودية من خلال المبعوثين علاقة مادية فقط ،
بل يجب ان تكون علاقة صهيونية وايدولوجية ،
لان العلاقات المادية سرعان ما تضر بها العواصف .

لتقسم الشببية والطلائعيين ، ومبعوثين من قبل
اقسام التعليم في المنظمة الصهيونية ، الخ (يهودا
ليطني - هارتس ، ١٩٧٥/٤/٢٢) .

يتعرض مبعوثو الهجرة اليوم ، كما أشرنا ،
لانتقادات عنيفة ، ويحلبهم البعض تبعه انخفاض
الهجرة بصورة لا تقل ، بل ربما تزيد ، عن العاملين
الامن والاقتصادي . وتحدث شمشون طهرين ،
مسؤول مبعوثي هاشومير هاتسعر في اميركا
الجنوبية من ذلك بقوله ان الهجرة الى اسرائيل
اليوم في انخفاض ، والزواج منها في ارتفاع .
والاسباب ، بعضها موضوعي : الوضع الاقتصادي
الصعب في البلاد ، مشكلة الامن ، وصعوبات
الاستيعاب الاجتماعي ، الخ . ولكن سلوك
بعض المبعوثين يخرب جهود تهجير اليهود الى
البلاد ، حيث ان قسما منهم لا يتحملون حتى عبء
الذهاب الى اليهود المحليين ، وانما ينبغي على
اليهود ان يأتوا اليهم . وهؤلاء المبعوثون ، بحسب
رأي طهرين ، ليسوا « صهيونيين مؤمنين » ،
ارتبطوا بهذا العمل من خلال موقف مثالي ،
بل يعتبرون اساس مهمتهم فرصة لتوفير الاموال .
وحيث انهم يتفاوضون راتبهم بالدولارات ، فانهم
يسكنون في الاحياء الغنية جدا في المدينة التي
يقومون فيها (حوتام ، ١٩٧٥/٤/١١) .

وتدفع حياة البذخ التي يعيشها هؤلاء المبعوثون ،
على مرأى ومسمع من اليهود المحليين ، الى توجيه
اسئلة مؤلمة وفاتية ، منها : « هذا الرجل يمثل
دولة اسرائيل ، ويأتي ليطالب منا ان نتنازل عن
لذة حياتنا في المهجر ، من أجل تحقيق النبوءة
الصهيونية في البلاد . وحتى انه يحذرنا سلفا ،
من ان مستوى حياتنا سينخفض في اسرائيل ،
ولكنه يعيش هنا ، امام أعيننا ، بأسلوب مناقض
لما يقوله لنا » (المصدر نفسه) .

وأشار البعض الى « المحسوبية » في عملية
تعيين هؤلاء المبعوثين ، مما يترك اثرا سيئا في
نتيجة أعمالهم . « هؤلاء المبعوثون لم يكونوا من
النشيطين في الوظائف العامة والسياسية في البلاد ،
لكي يكسبوا خبرة اساسية وقدرة على الافتتاح
والصمود في النقاش الفكري - الايديولوجي . بل
ان معظمهم من موظفي المؤسسات العامة ، مثل
« سونيل بونيه » و« هنادار » أو سائقي « ايجد »

رؤساء الجالية اليهودية في الولايات المتحدة لم يهاجر الى اسرائيل خلال العشرين سنة الاخيرة ولا ينوي فعل ذلك تقريبا ، فهل يرأس هؤلاء عملية الهجرة ؟ » (هارتس ، ١٤/٤/١٩٧٥) .

انتقاد لبنحاس ساير ودفاع عن المبعوثين

ويجابه بنحاس ساير ، رئيس الوكالة اليهودية ورئيس ادارة المنظمة الصهيونية العالمية ، سبلا من الانتقادات في اعقاب فضيحة المبعوثين وانخفاض الهجرة الى اسرائيل ، بعد ان اتهم بانه لم يغير كثيرا في الوضع الحالي ، ويقضي معظم وقته في الخارج ولا يكرس وقتا كافيا لما يجري داخل الدوائر في مباني الوكالة . ولم تتوقف الحملة ضد ساير عند هذا الحد ، بل اتهم بانه يسبب الضرر للهجرة ، وانه خلال رحلته الاخيرة الى الولايات المتحدة تسبب في احداث اسفياء لدى الجاليات اليهودية هناك حتى اضطر عدد من رؤساء الجاليات التي زارها ان يبعثوا برسالة الى مبعوثي الهجرة ، جاء فيها : « اذا اردتم الهجرة فعليكم ابقاء ساير في البيت » (المصدر نفسه) . كذلك يجابه العميد (احتياط) عوزي تركيس ، المدير العام لقسم الهجرة والاستيعاب في الوكالة ، حملة مماثلة بسبب ادارته الفاشلة لهذا القسم ، وتفضيله المقربين منه ، وخاصة ضباط الجيش ، للعمل كبعوثين في الخارج (المصدر نفسه ، ١٥/٤/١٩٧٥) .

أما بالنسبة للدفاع عن مبعوثي الهجرة ، فكان ساير وتركيس ، على رأس المدافعين عنهم . وعلق ساير على ذلك بقوله « انهم يقومون بعملهم خير قيام . انهم اشخاص ممتازون » (حوتام ، ١١/٤/١٩٧٥) . كما دافع تركيس عن المبعوثين مشيراً الى انهم لا يتحملون مسؤولية انخفاض الهجرة ، اذ ان الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، سبب ذلك ، وانه اذا استمر الامر على هذا المنوال « فان اي مبعوث ، مهما كان موهوباً وقديراً ، لن يتنجح في دفع اليهود للمجيء الى البلاد » (هارتس ، ١٥/٤/١٩٧٥) . وكان هناك من دافع عن المبعوثين بالقاء المسؤولية على عاتق الدولة : فعندما تتحس الدولة للهجرة ، تظهر نتائج جسيمة ، وعندما تهب رياح باردة من الدولة ، تتخف الهجرة « وتهبط الروح القومية » . وأعلن البعض « ان تدهور مركز المبعوث وتدهور الهجرة

وقد غير عن ذلك احد رجال الاعمال اليهود ، الذين يتبرعون كثيرا لاسرائيل ، بقوله انه اذا قررت حكومات كندا والولايات المتحدة الغاء الاعفاء من الضريبة عن التبرعات واموال اليهود التي تتدفق الى اسرائيل ، فسيطرأ انخفاض كبير على المبالغ المتبرع بها . وتساءل رجل الاعمال اليهودي بقوله « ماذا سيكون عندها معنى العلاقات القائمة بين يهود امريكا واسرائيل ، في غياب كل ارتباط ايدولوجي عميق وظاهر ؟ » (معاريف ، ١/٤/١٩٧٥) .

وهناك من اشار الى النتائج السلبية التي تتركها مثل هذه العلاقة المادية ، وذلك في التقرير الشائع لدى شبان يهود يقولون بانه ليس مريحا لاسرائيل ان تطلب اليهم الهجرة ، لانه من الامثل ان يبقوا في المجر ويصبحوا اغنياء ، وعندها يستطيعون ان يتبرعوا كثيرا لتقوية اسرائيل . كما ان هناك نتيجة سلبية اخرى لسيطرة المادية على علاقات اسرائيل باليهود ، وخاصة يهود الولايات المتحدة ، اذ اصبح النجاح في العمل ، وبالتالي القدرة على دفع تبرعات أكثر ، مصدر الاستزاز والتقدير ، وليس « مجرد النبوءة الصهيونية » . وقد وصل الامر الى حد قول بعض الاسرائيليين : « لقد ربحت اسرائيل الدولارات ونجحت في الجباية ولكنها خسرت يهود امريكا ... ولقد نزلت اسرائيل في اتصالاتها مع يهود امريكا الى مستوى المناقشة المادية واهملت كل محاولة حقيقية لاثارة ودفع هؤلاء اليهود الى مجال المناقشة الايدولوجية » (يعقوب غولومب - معاريف ، ١٥/٤/١٩٧٥) .

وطالب البعض ايضا بالقيام باجراء تغيير اساسي ومبدئي بأساليب عمل المبعوثين ، بحيث يتفرغ المبعوث للعمل التربوي بين الجالية وإما بقية شؤون الإدارة التي يهتم بها الإن والتي تستغرق من وقته الساعات الطويلة ، فيجب ان توكل لجهة اخرى ، ويفضل ان تكون القنصلية الاسرائيلية المحلية . كما انتقد آخرون اسلوب ساير الداعي الى وجوب قيام الجالية اليهودية نفسها بالاشراف على نشاط الهجرة ، واعتبروه موقفا غير جدي ، لان الاشخاص الذين سيتزعمون المسؤولية لن يهاجروا الى اسرائيل ابدا . « ان اي واحد من

يوافقون على قيامهم بأعمالهم تلك ، وذلك لانهم لا يتشددون دائما ، بما فيه الكفاية ، في اختيارهم . واتهم احدهم المسؤولين بعدم ادراكهم الكافي لخطر « الاندماج الخطير » الذي يهدد اليهود ، وخاصة في امريكا الجنوبية . ويصف ابراهام تسيون ، رئيس الجالية اليهودية في منتفديو في اورغواي ، الاندماج بقوله ان القضية لا تتوقف عند ابتعاد اليهود عن الصهيونية فقط ، وانما « الانضمام الى معسكر معاد لاسرائيل وللصهيونية . والنتيجة من عدم الاختيار الدقيق هي ان هناك فجوة كبيرة ومؤلمة بين غالبية المبعوثين وبين غالبية الزعماء اليهود في هذه البلدان ، وبينهم وبين الجماهير اليهودية » . (المصدر نفسه ، ١٩٧٢/٩/٢٥) .

همدان بدر

سببه ان اسرائيل ليست جاهزة اليوم للهجرة والاستيعاب ، كما كانت بعد حرب الايام الستة مباشرة . فالموضوع الصهيوني كله في هبوط . وعلينا الا نتهم المبعوثين ، فالذنب ذنبنا » (موسى شامير - معاريف ، ١٩٧٥/٤/١٨) .

ومن جهة اخرى ، دافع البعض عن المبعوثين بواسطة اتهام مفوضيات اسرائيل بعدم التعاون معهم ، « فهناك بعض الدبلوماسيين من غير المعنيين باشتراك المبعوثين ، فهم دبلوماسيون ، في حين ان هؤلاء المبعوثين يمثلون فقط هذه الدائرة او تلك في المنظمة الصهيونية ... كما ان العلاقات بين كثير من المبعوثين وبين نشيطي الجاليات المحلية ورؤسائها ليست سليمة » (المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٤/٩) . وذهب البعض الى حد القاء الذنب كله على عاتق المسؤولين عن المبعوثين او الذين

(٥) القضية الفلسطينية عسكرياً

[١]

تصاعد عمليات الثورة

ومباشرة مع العدو في المستقبل غير البعيد . فالتجهت بشكل تدريجي لاعاداد المقاتلين وتدريبهم وتسلحهم وتثقيفهم وتزويدهم بسلاحي الفتنة بالنفس والايمان بالنصر . وقد رافق ذلك اعداد الجماهير داخل الارض المحتلة وتكوين خلاياها الثورية السرية وتهريب السلاح اليها ، ووضع الخطط والتكتيكات وتأمين الدعم الفعال لها في الداخل بكمثال شديد ويهدوء وحذر . ان هذه التحركات لم تبعد انظار الثورة عن العدو ، لذلك ظلت المجموعات القتالية في الداخل على تماس بالعدو عبر عملياتها البطولية التي كانت تنفذ بصورة مستمرة ويومية تقريبا ، محافظة بذلك على استمرارية النضال والكفاح المسلح ومحسنة لاساليبها التكتيكية في حرب العصابات ومطورة لمفاهيمها العسكرية واساليبها التدريبية والتنظيمية . وقد واصلت الثورة الفلسطينية مسيرتها وتحركها السياسي في الميدان العربي والدولي مستعينة بالاصدقاء ومستفيدة من تجاربها وتجارب الغير . فنوتت تحركها بالانتصار التاريخي الذي حققته في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في مدينة الرباط في (اكتوبر) ١٩٧٤ وخرجها منه ممثلة شرعية ووحيدة للشعب الفلسطيني (عربيا) والانتصارات التي حققتها على صعيد الامم المتحدة . لقد دعمت هذه الانتصارات التاريخية التحرك العسكري في داخل الارض المحتلة فتوى ذلك من عزيمة الجماهير الفلسطينية في الداخل والخارج وتزايد انضمام الشباب الفلسطيني الى الثورة ، بعد ان ادرك اللبنة الصهيونية في كسب الوقت وبالتالي رفض الحكومة الاسرائيلية الانسحاب من الاراضي المحتلة وهو ما توضحه اجراءاتها التخريبية التي تقوم بها وتصريحات كبار مسؤوليها الرافضة للانسحاب من مواقع محظلة كثيرة (القدس) مناطق في الضفة الغربية وقطاع غزة ، مناطق في الجولان ، شرم الشيخ في سيناء) وانفاته الضخم

اعتبرت معركة العرقوب (٢٥ - ٢٨ / شباط / ١٩٧٢) التي شن فيها العدو هجوما واسعا اشتركت فيه وحدات برية وجوية كبيرة مجهزة بالاسلحة الحديثة نقطة تحول بارزة في الصراع ضد العدو الصهيوني . فخرجت الثورة منها اصلب عودا واكثر قوة ، في حين ادرك العدو من جراء الخسائر التي تعرض لها خطورة تحريك قوات برية كبيرة في عمليات تمشيط واسعة في مناطق تتخللها الاحراش والجبال والاراضي الصخرية وضد قوات فدائية حسنة الاعداد والتسلح اخذت تتبع تكتيكات القتال الثابتة والمتحركة في قتالها . كما ادرك خطورة ذلك على سمعته وعلاقاته الدولية اذ اثارت هذه العملية حفيظة بعض الاوساط الاجنبية التي يهبها سلامة لبنان وارضيه . لذلك اتجه العدو لاختيار اكثر الوسائل الملائمة فاعلية لتحقيق اهدافه التي تتمثل في اخراج الفدائيين من المناطق الحدودية في جنوب لبنان تمهيدا لتحديد المنطقة وفرض الهدوء والاستقرار عليها كما حدث في الاردن ، على امل ان يؤثر ذلك على عمليات المقاومة داخل الارض المحتلة التي زادت عددا وتطورت اسلوبا . لذلك اقام شريطا من الاسلاك الشائكة المجهز بوسائل الانذار الحديثة على طول امتداد خط الهدنة متبعا لحدث الوسائل العلمية . وواصل شن الهجمات الجوية والبحرية ضد قواعد الثورة ومخيماتها مصحوبة بعمليات برية محدودة - من وقت لآخر - وضد القرى اللبنانية القريبة من خط الهدنة لغرض اخراج وابعاد الفدائيين عنها ، وارهاب سكانها . كما استخدم مدفعيته الثقيلة والمتوسطة لارهاب السكان واجبار الفدائيين على ترك مواقعهم القريبة من الحدود . وواصل ارسال طائرات الاستطلاع النفاثة لمراقبة تحركاتهم ونشاطاتهم في الجنوب اللبناني .

تبنت الثورة استراتيجية عملية للاعداد عسكريا بكل حذر وتصميم لمواجهة ناصلة

السياسية المبذولة في المنطقة ، وجه الثوار الفلسطينيين وبصورة غير متوقعة ضرباتهم المفاجئة القوية التي استهدفت اقتحام بعض الاهداف الصهيونية فكان ابرزها عملية الخالصة (كريات شمونه) في ١١/٤/١٩٧٤ وعملية معلوت في ١٥/٥/١٩٧٤ ثم عملية تل ابيب في ٥/٣/١٩٧٥ .

لقد قامت الثورة تضرب في طول البلاد وعرضها بهدف ازالة الخسائر في العدو وارباكه ومن الواضح ان تحركاتها العسكرية في الداخل هدفت الى تحقيق الاتي : ١ - تصعيد النشاط العدائي والكفاح المسلح في داخل الارض المحتلة ووضع اساليب حرب التحرير الشعبية موضع التنفيذ . ٢ - تحويل انظار العالم الى جوهر القضية وحقيقة الصراع وابرار دور الشعب الفلسطيني وقدرته على ضرب الاهداف في عمق الاراضي المحتلة . ٣ - ازالة الخسائر المادية والبشرية في العدو الصهيوني للتاثير على الروح المعنوية بين الاسرائيليين سلبا في مقابل رفع معنويات الجهاديين الفلسطينيين وايمانها بثورتها وبنظمة التحرير الفلسطينية . ٤ - التاثير على التحركات السلمية الجارية وتسخين الجو السياسي والعسكري .

هذا وبلغ مجموع العمليات التي نفذها مقاتلو الثورة في داخل الارض المحتلة منذ نهاية العام الماضي وحتى الان المجموع الاتي : -

عدد العمليات التي اعترف بها العدو	عدد العمليات التي اعلنت عنها قوات الثورة	التاريخ
٤٥	١٠٥	١٩٧٥/٢/١٠ - ٧٤/١١/١٣
٢٠	٤١	١٩٧٥/٣/١٢ - ٢/١١
١٠	٣٧	١٩٧٥/٤/١٠ - ٣/١٣
٧٥ المجموع	١٨٣ المجموع	

تادة وضباط مخابرات العدو ، ومهاجمة العسكريين واهداف عسكرية واقتصادية وخطوط المواصلات . وقد دلت التجارب ان السلطات العسكرية الصهيونية لا تعلن عن عدد كبير من هذه العمليات التي يقوم بها ثوارنا . فقد برهنت هذه العمليات

على التسلح والاستعداد للحرب . لقد دلت جميعها على نوايا العدو المبينة والدليل على ذلك تصريحات « شمعون بيريس » وزير الدفاع الاسرائيلي الذي ادلى بها في ١٩٧٥/٥/٥ بقوله « انه يكاد لا يكون هناك اي اسرائيلي يوافق على اعادة الضفة الغربية كلها التي احتلتها اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ » واضاف يقول « ولا يمكن لاسرائيل العودة الى قطاع ساحلي ضيق مهدد بخطر دائم من الصواريخ والاسلحة الاخرى » (لمنظرة الثورة - ١١/٥/١٩٧٥) والخبر الذي نشرته صحيفة المحرر اللبنانية بتاريخ ١٩٧٥/٥/٧ ونسبته الى صحيفة الصباح الاردنية (١٩٧٥/٥/٦) وجاء فيه « ان اسرائيل تقوم بانشاء اضم تحصينات دفاعية على طول نهر الاردن ، وانها تقوم كذلك باعداد شبكات من الصواريخ المضادة للطائرات وصواريخ ارض - ارض مما يظهر بصورة جلية ان سلطات الاحتلال ماضية في تخطيطها الرامي الى ترسيخ الاحتلال للضفة الغربية » .

وكان يديها ازاء هذه الاوضاع ان تزيد الثورة من ضرباتها وتصعيدها للعمليات في السداخل . لذلك وبينما كان الهدوء يخيم على المنطقة الامن العمليات التي كان يقوم بها المقاتلون في الداخل ولا تعلن عنها اسرائيل وتقرض عليها حجابا من الكتمان ، وبينما كانت الاضواء تسلط على الجهود

وقد اشتملت هذه العمليات على تفجير عبوات ناسفة ، والاشتيك بالاسلحة الرشاشة ، والقاء القنابل اليدوية واطلاق الصواريخ الثقيلة ، واحتجاز الرهائن ، ونصب الكائن ، واطلاق قذائف البازوكا ، ووضع القنابل الموقوتة ، واغتيال

اسرائيل والتي تفجرت بسبب اخفاقات كيبسار العسكريين في الجيش الاسرائيلي في حرب رمضان الاخيرة ، والتي رافقتها اجراء تنقلات واقالات وتقديم استقالات في الجيش وهي اجراءات يعلن عنها لأول مرة منذ بدء الصراع مع العدو ، يضاف اليها تزددي الاوضاع الاقتصادية وازدياد النزاعات العمالية ، وارتفاع اسعار المواد الاولية والسلع الضرورية ، وارتفاع نسب الهجرة المضادة .

٤ - اقتناع العرب والمجتمع الدولي بأن اسرائيل لا زالت قوية وقادرة على ردع المنظمات الفدائية والمسيطرة على الاوضاع في الداخل ونقل الحرب الى اراضي اعدائها . ٥ - تفجير التناقضات بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية .

وعلى اثر ازدياد النشاط الفدائي في الداخل اتخذت السلطات الاسرائيلية تدابير امن استثنائية على طول الحدود وفي مختلف انحاء اسرائيل فانقسمت هذه الى اجراءات مباشرة واخرى غير مباشرة .

اما الاجراءات المباشرة فكانت على النحو التالي :-

- ١ - تعزيز قوى الامن والشرطة وحرس الحدود وحرس المستوطنات . وكان اللواء « رغايل ايتان » قائد المنطقة الشمالية قد ابدى ارتياحه للدور الذي تؤديه مستوطنات الحدود في مواجهة الفدائيين (دافار ١٢/٢٦ / ١٩٧٤) . كما نسب الى ضابط كبير في الجيش الاسرائيلي دعوته سكان الجليل والمستوطنات القريبة من الحدود الى تحمل الاسلحة الفردية ليلا ونهارا (معاريف ١٢/٢٦ / ١٩٧٤) .
- ٢ - تعزيز القوات العسكرية في المناطق الحدودية الشمالية وتشديد المراقبة على الشريط الامني المكرب الذي يمتد على طول الحدود مع لبنان .
- ٣ - شن الهجمات ضد قواعد الثوار في جنوب لبنان . ٤ - ارسال طائرات الاستطلاع بصورة مستمرة لمراقبة ما يجري من تطورات في الجنوب اللبناني . ٥ - فرض اجراءات امنية مشددة على الموانئ والمطارات التي ترمسو وتهبط فيها سفن وطائرات قادمة من الخارج . ٦ - تعزيز الحراسة حول المنشآت والمؤسسات العسكرية والاقتصادية والحكومية الهامة . ٧ - تأمين الجراسة على طائرات « العمال » الخطوط الجوية الاسرائيلية

عن حسن تنظيم واعداد خلايا الثورة في الداخل بالاضافة الى تسليحها وقدرتها على العمل في ظروف بالغة الدقة والصعوبة . كما برهنت من انضباطيتها وشجاعته وتصميمها على التنفيذ مهما كانت الاخطار . لقد اعترف زئيف شيف كبير المعلقين العسكريين في صحيفة « هارتس » الاسرائيلية في مقسسال كتبه بتاريخ ١٢/٢٦ / ١٩٧٤ بزيادة النشاط الفدائي في الداخل وذكر ان الفدائيين قاموا ب ٤٠ عملية تمت بين بداية تشرين الثاني ومنتصف كانون الاول ١٩٧٤ . كما اعترف بارتباك السلطات الاسرائيلية في مواجهة هذه العمليات . ثم قال « حدثت زيادة ملموسة في عمليات التخريب خلال الاسابيع الاخيرة خصوصا في منطقتي يهودا والسامرة وقد ركز على مناطق القدس وبيت لحم ورام الله فلم يكن يمضي يوم واحد دون وقوع حادث تخريب او على الاقل محاولة تخريب . ويدل هذا على ازدياد قوة منظمات التخريب في المناطق » . ثم اضاف قائلا « ينجح المخربون في الحفاظ على نشاط دائم . ففي كل يوم تقريبا تحدث عملية تخريب او على الاقل محاولة تخريب والمناطق بلسان الجيش الاسرائيلي لا يعلن عن معظم الحوادث ، لذلك تلوذ الصحف الاسرائيلية بالهمم . باستثناء العمليات الكبيرة . ولكن يسود المناطق شعور بأن الحكم الاسرائيلي مرتبك جدا » .

وقد قابل العدو الصهيوني هذه العمليات والتحركات التي تقوم بها الثورة الفلسطينية (عسكريا) بشن هجمات جوية وبحرية على قواعد الفدائيين والمخيمات في جنوبي لبنان وعندما شعير بان هذه العمليات لن تحقق له ما يصبو اليه ، شن عملاوة في ١٠/١٢/١٩٧٤ عدوانا على مكتب المنظمة ومركز الابحاث وبعض المؤسسات الاعلامية الاخرى في داخل مدينة بيروت .

لقد هدف العدو من كل هذه الاعتداءات والهجمات الجوية والبحرية والبرية المحدودة عبر الحدود الى الاتي : ١ - محاولة ردع الثورة والحاق الخسائر المادية والبشرية في صفوفها . ٢ - ابقاء الاراضي المحتلة اطول مدة ممكنة تحت الاحتلال كسبا للوقت على أمل ان تحدث تطورات محلية او دولية قد تؤخر امر البت في موضوع احتلالها . ٣ - امتصاص النقمة العارمة السائدة في داخل

أشد الإجراءات قسوة وتعسفا بحق الطلاب الذين يدرسون في الخارج والمواطنين الذين يقومون بزيارات للدول العربية من أجل اربابهم ومنعهم من الاتصال باجهزة الثورة الفلسطينية ومن هذه الإجراءات ، استدعاؤهم للتحقيق ، وملاحقتهم لمراقبتهم ومنع بعضهم من مغادرة البلاد . ٤ - شن الهجمات على مكاتب ومؤسسات الثورة في بيروت وعملياتها في الخارج ، واغتيال ممثلي الثورة في الخارج الشهداء محمود الهشري ، عادل زعير وغيرهم من أبطال الثورة . ٥ - المحاولات المستمرة التي تبذلها أجهزة المخابرات الاسرائيلية بالتعاون والتنسيق مع أجهزة أخرى للإيقاع بين الثورة والسلطة في لبنان وبعض الاحزاب اليمينية ذات الاتجاهات الطائفية ، والدليل على ذلك الاشتباكات الدامية التي تعرض لها لبنان .

ومكاتبها والسفارات والقنصليات في الخارج .
٨ - اقامة اللاجئين في المستوطنات القريبة من الحدود وعدد من المستوطنات الداخلية وقد كلفت الخزينة الاسرائيلية (١٢٠) مليون ليرة اسرائيلية
٩ - زيادة عدد الجيش وفراد الشرطة وحرس الحدود وتشكيل وحدات من سكان المستوطنات اطلق عليهم اسم « حرس المستوطنات » . اوكل اليها مسؤولية حراسة المستوطنات .

أما الإجراءات غير المباشرة فكانت على النحو التالي :

١ - ملاحقة المواطنين في داخل الارض المحتلة واعتقال من يثبت ان له علاقة بالثورة الفلسطينية وابعاد المشتبه بهم الى كل من الاردن ولبنان .
٢ - اصدار أحكام السجن التعسفية بحق الأبطال من المقاومين ورجال المتابعة في الداخل . ٣ - اتباع

[٢]

طائرة « الكفير » الاسرائيلية

ان الطائرة هي مقاتلة معترضة تكتيكية ، تبلغ سرعتها القصوى (٢٢) ماك (١٤٥٠) ميل / الساعة وان مجال عملها يصل الى علو (٥٠٠٠) قدم في حين يوجد تشابه بين تسليحها وتسليح طائرة (الميراج - ٣ سي جي) الفرنسية التي تعمل حاليا في سلاح الطيران الاسرائيلي . اما محركها فهو من انتاج شركة جنرال الكتريك الاميركية طراز (جي ٧٩ - جي اي - ١٧) قوته (١٧٩٠٠) رطل (٨١٢٠) كغ بحارق اضافي ، اي انه اقوى من محرك (ميراج - ٣ سي جي) نوع (سنيكما أثار - ٩ سي) والذي تبلغ قوة دفعه مع حارق اضافي (١٤١١٠) أرطال . لقد بين بيريس ان كلفة انتاج الطائرة بلغت (٤) ملايين دولار (١٧٦٠٠٠٠) جنيه استرليني وهو مبلغ يقل كثيرا عن تكاليف انتاج مثيلاتها من الطائرات المقاتلة الاخرى . وفي نهاية الحفل حلق رئيس الوزارة الاسرائيلية على الطائرة قائلا انها من انتاج اسرائيلي ضمت تركيبته التخطيط الفرنسي الرافع للهيكل وقوة المحرك الاميركي حيث يتوقع ان تمنح سلاح الطيران

بتاريخ ١٤ - ٤ - ١٩٧٥ عرض سلاح الطيران الاسرائيلي في مطار اللد انتاجه الاول من الطائرات المقاتلة وقد اطلق عليها اسم « كفير » بحضور مجموعة من الصحفيين وشخصيات مدنية وعسكرية اسرائيلية واجنبية . حضر الحفل رئيس الوزارة الاسرائيلية « اسحق رابين » ووزير الدفاع « شمعون بيريس » حيث التقى كل منهما كلمة بالمناسبة . وقد اشاد بيريس بالجهود التي بذلتها الصناعة الجوية لانتاج هذه الطائرة التي يتوقع - على حد قول بيريس - ان تعزز قدرة سلاح الطيران الاسرائيلي وتضعه في بداية الطريق الذي سيؤمن له الاعتماد على الاسلحة والمعدات والتجهيزات التي تنتج محليا ، ثم اضاف قائلا : « انه يوجد في العالم حوالي (١٢) دولة صناعية تنتج الطائرات المقاتلة النفاثة واسرائيل هي احداها » . ثم اعلن ان الطائرة ستحمل اسم « كفير » (تعني بالعربية الشبل) وليس « باراك » كما تردد سابقا . وقد اعطى بيريس المعلومات الغنية التالية عن الطائرة بقوله : -

وحتى في القارتين الأوروبية وأمريكا الشمالية ان
امكنها ذلك . الا ان هذه المحاولات لم تلق نجاحا
كبيرا ، ذلك لان هذه الصناعة الصغيرة الناشئة
كانت تصطدم بصناعات أقوى منها تفوقها تقنيّة
وتقدما في مجالات العلم والمعرفة ومجالات التطوير
والانتاج ، يضاف الى ذلك انه يوجد لكل صناعة
من هذه الصناعات أسواقها وعملاؤها، في حين كانت
الصناعة الاسرائيلية تحبو محاولة ايجاد الاسواق
لها . لقد اصبح معروفا في عالم الطيران وخصوصا
في ضوء التقدم العلمي الذي قطعه البشرية
والذي لم يعد حكرًا على الدول الصناعية الكبرى،
انه يعقدور الدول المقتدرة مالياً - متى ارادت -
اقامة صناعات حربية خاصة بها ، لتجميع ونتاج
الاسلحة المختلفة . وقد لجأت الى
هذا الاسلوب دول كثيرة في العالم منها اسبانيا
والهند والصين والمكسيك والارجنتين واستراليا
ويوغسلافيا واليابان ومصر (قبل العام ١٩٦٧)
واستراليا وغيرها . لقد قطعت هذه الدول مرحلة
متقدمة في انتاج المعدات الحربية المختلفة والطائرات
وازدهرت صناعاتها بعد ان اوجدت الاسواق لها
بإستثناء جمهورية مصر العربية التي اضطرت تحت
ثقل التزاماتها الحربية الى ايقاف كافة مشاريعها ،
غير انها تحاول الآن إعادة النشاط اليها من
جديد .

اما الصناعة الجوية في اسرائيل فهي تختلف عن
غيرها ذلك لانها صناعة ناشئة تحاول اسرائيل رزجا
في مشاريع ضخمة تفوق الامكانيات المالية المخصصة
لها وقدرتها على الانتاج وهي مشاريع تحاول ان
تحقق بواسطتها هدفين في آن واحد : -

١ - الهدف الاول (عسكري) والذي تسعى
اسرائيل بواسطته سد النقص الحاصل في بعض
المعدات والتجهيزات الحربية الضرورية للجهدود
الحربي والتي يصعب عليها الحصول عليها .
ثم محاولتها الاكتفاء ذاتيا في مجال انتاج المعدات
الحربية لتقليل اعتمادها على المساعدات
الخارجية لتجنب ما حصل في عام ١٩٦٧ وحتى لا
تتبع تحت تأثير حظر جديد للأسلحة يفرض عليها من
الدول المصدرة للسلاح ، وهو شيء لا يمكنها تحمله
في الاوضاع الحالية خاصة وأنه لم يبق لها من
مصادر السلاح في العالم غير الولايات المتحدة .

الاسرائيلي القدرة على العمل في الارتفاعات وفي
العمق » . ثم قامت الطائرة بمرض جوي كشفت
فيه عن سرعتها وقدرتها على المناورة والتسليق .

ان طائرة « كبير » هي اول طائرة مقاتلة اسرع
من الصوت تنتجها الصناعة الجوية في اسرائيل .
لقد سبق لهذه الصناعة التي بدأت نشاطها في عام
١٩٥٣ ان انتجت ثلاثة أنواع من الطائرات :
الاولى هي الطائرة النفاثة الفرنسية (فوجيا
ماجستير) المخصصة للتدريب للنفث المتقدم والتي
يمكن استخدامها ايضا في مهام الهجمات الأرضية
ضد الاهداف التكتيكية الصغيرة ، فقد حصلت
اسرائيل في العام ١٩٥٦ على امتياز من الشركة
الفرنسية الصانعة يسمح بتجميع الطائرة محليا ،
لكنه يمنع تسويقها في الخارج . والثانية هي طائرة
النقل الامريكية (جت كوماندر) التي اشترت
الصناعة الجوية في اسرائيل مصنعها ونقلته الى
البلاد بعد ان حصلت من الشركة الامريكية الصانعة
على امتياز بانتاجها محليا ، وقد تضمن الاتساق
بندا يتيح لاسرائيل امكانية تسويقها في الخارج ،
والطائرة تنتج حاليا تحت اسم (ويست ويند -
١١٢٣) بمعدل (٤) طائرات في الشهر . والثالثة
هي طائرة النقل الاسرائيلية (عرفا) بطرازها
(١٠١) و (٢٠١) والتي تعتبر اول طائرة يتسم
تصميم وتصنيع ونتاج هيكلها محليا في ورشات
الصناعة الجوية في اسرائيل . اما محركها فهو
امريكي من نوع (برات اند ويتني) وهي تنتج بمعدل
(٤) طائرات في الشهر . يضاف الى ذلك اعمال
غنية تقوم بها هذه الصناعة مثل اجراء عمرة كاملة
على كافة المحركات التي تبلغ قوتها من (٥٠٠)
رطل وحتى (٥٠٠٠) رطل . وعمل عمرة كامله
(افرهول) لهياكل كافة الطائرات العاملة في سلاح
الطيران الاسرائيلي وطائرات (بوينغ - ٧٠٧)
والطائرات الصغيرة والهليكوبترات بأنواعها .
ان هذه الصناعة تخصصت في صيانة الطائرات
البريطانية والامريكية والفرنسية الصنع .

لقد هدفت اسرائيل من اقامة هذه الصناعة
الى تأسيس اول صناعة جوية ثقيلة في المنطقة
وجعلت احد ابرز اهدافها السعي لايجاد الاسواق
لتسويق الانتاج في كافة انحاء العالم وخاصة في
اسواق دول امريكا اللاتينية والقارة الافريقية

في اسرائيل قد قطعت شوطا متقدما في مجال انتاج هذه الطائرة بفضل المساعدات الفرنسية . لكن الامور اخطفت بعد فرض الحظر الفرنسي ، واصبح المشروع مهددا بالفشل بعد غياب الغنصر الفرنسي . لذلك حاولت اسرائيل وقتها تشجيع شركة «داسو» التمرد على قرار الحظر الذي فرضته الحكومة الفرنسية ، وبلغت في ذلك حد رشوة الشركة . ولكن لما فشلت كافة محاولاتها نتيجة لوعي الحكومة الفرنسية وتصميمها على تطبيق الحظر ، لجسأت اسرائيل الى سويسرا ، حين نجح الملحق العسكري الاسرائيلي في « بيرن » الحصول على كامل المعلومات الفنية عن طائرة الميراج عن طريق خبير سويسري الجنسية يهودي الاصل يعمل موظفا في مصانع تجميع طائرات الميراج السويسرية الذي قدم مخططات تصاميم صنع (الميراج) الكاملة اثر تلقيه رشوة ضخمة من الملحق العسكري الاسرائيلي بلغت (٢٠٠) الف دولار ، والجدير بالذكر ان سارق تصاميم (الميراج) ويدعى « الفريد غاونكنخت » خرج من السجن في سويسرا بعد ان قضى مدة محكومته ووصل الى اسرائيل في ١٩٧٥/٤/٢٨ مع زوجته وحل ضيفا على الحكومة الاسرائيلية وينوي مشاهدة الطائرة « كثير » .

في عام ١٩٦٧ استبدلت اسرائيل الدعم الفرنسي بدعم اميركي . لهذا واصلت محاولاتها انتاج طائرة « كثير » بمساعدة بعض الشركات الاميركية ، فحصلت من شركة « جنرال الكتريك » على المحرك (جي ٧٩ - جي اي ١٧) ، كما ساهمت شركة اميركية اخرى هي شركة « غاردينا لانتاج المعادن » في كاليفورنيا في بناء اجنحة الطائرة . وعندما انتهى المشروع تبين ان نسبة مساهمة الشركات الاجنبية في صنع الطائرة بلغت ٥٠٪ . لقد تأخر ادخال الطائرة في الخدمة عن مواعده السابق الذي تحدد له بداية عام ١٩٧٠ . وجاء هذا التأخر بسبب انشغالها في حرب الاستنزاف (اذار ١٩٦٩ - نيسان ١٩٧٠) ونمو النشاط العدائي السريع وانهمكها في الاعداد له ومحاربهه ، ومواصلة دول مواجهة العربية الاستعداد للحرب مما دفعها لجاراتها في ذلك ، ثم المشاكل الاقتصادية ، واطرا حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ التي وضعتها في حجمها الحقيقي (عسكريا وسياسيا) . ولما انتهت الحرب زادت اسرائيل من اعتمادها على

وقد تطرق شمعون بيريس وزير الدفاع الى هذه النقطة في المحاضرة التي القاها على طلبة جامعة تل ابيب في ١٩٧٥/٤/٢٢ بقوله . « لا يوجد مشكلة الان من مسألة تزويد اسرائيل بالاسلحة الاميركية ، غير انه يجب ان نكون أكثر حرصا في المستقبل لكي نتجنب التعرض لحظر جديد » .

٢ - الهدف الثاني (اقتصادي) والذي تحاول اسرائيل بواسطته التخفيف من العجز الحاصل في ميزانها التجاري وذلك عن طريق رفع نسبة صادراتها من الاسلحة والطائرات الى الدول الاخرى بهدف زيادة وارداتها من العملات الصعبة ، التي تأمل ان تساعد في تعزيز واثراء اقتصادها المتدهور . ومن الناحية الاخرى تحاول بواسطته التقليل من انفاقها على شراء الاسلحة من الخارج وخاصة الطائرات المرتفعة الثمن حتى لا يظل ما تنتفه من انتاجها القومي على المشاريع الحربية على معدله المرتفع الحالي . وقد علل وزير المالية الاسرائيلي « رابينوفتش » ان من اسباب الغلاء والتضخم ، الاتفاق الضخم على شراء الاسلحة من الخارج ثم قال « ان ما انفقته اسرائيل على شراء الاسلحة من الخارج في السنة الماضية هو (٢) مليار من الدولارات الاميركية ، في حين انفق في اسرائيل (٩) مليارات ليرة اسرائيلية » . اما بالنسبة للعملة الصعبة فقد ذكر « تسفي كسلر » الملحق الاقتصادي في يديعوت احرونوت (٩/٨/١٩٧٤) ان احتياطي العملة الصعبة واصل انخفاضه في شهر تموز ١٩٧٤ وبلغ نصف مليار دولار . ثم عاد وانخفض في شهر اب (١٠٠) مليون دولار اخر اي ان الاحتياطي يقدر الان بـ (١٠٠) مليون دولار ، على حين كان في بداية ١٩٧٣ (١٧٠٠) مليون دولار » .

لذلك اقتنعت اسرائيل بعد العام ١٩٦٧ ان الضرورة تفرض عليها تعزيز انتاجها الحربي المحلي ، وتقرر وقتها مواصلة المحاولات لانتاج طائرة حربية شبيهة بطائرة (الميراج ٣ سي) التي ناسبت سلاح الطيران الاسرائيلي كثيرا من كافة النواحي فنيا وماليا وعسكريا . وقد راعت اسرائيل ان تحوز الطائرة النووي انتاجها محليا على المواصفات والامكانيات القتالية ذاتها المتوفرة في الميراج الفرنسية . ففي عام ١٩٦٧ كانت الصناعة الجوية

الموجودة في الاسواق العالمية لضمان توفقه وقدرته على نقل الحرب الى الاراضي العربية وتأمين الدفاع عن الاجواء المحيطة ضد الطائرات العربية الحديثة التي أصبحت بمقدورها تهديد العمق الاسرائيلي لأول مرة منذ العام ١٩٤٨ . وهنسا يشك في ان تكون هذه الطائرة تحوز على جميع هذه الصفات، وحتى ولو افترضنا انها تحوز على كافة المواصفات الموجودة في طائرة (مـراج ٣ سي) او حتى (مـراج ٥ د) فان ذلك لا يعني شيئا ذلك لان طائرات المـراج هذه أصبحت قديمة بعد ان انتجت شركة (داسو) الفرنسية طائرة (مـراج ف ١) وهي بصدد انتاج طائرة (مـراج ف ٨) الاكثر تفوقا . وانتج الاتحاد السوفيتي طائرتي (ميغ - ٢٣) و (ميغ - ٢٥) وانتجت الولايات المتحدة طائرات (ف - ١٤) و (ف - ١٥) و (واي ف - ١٦) و (واي ف - ١٧) و (ف - ١٨) وغيرها من الطائرات المتقدمة وانتجت السويد طائرة (فيجن سب - ٣٧) . ان اسرائيل لن تفيد شيئا من انتاج هذه الطائرة وستجد ان انتاجها جاء متأخرا . الا انه يمكن القول انها باننتاجها لهذه الطائرة تكون قد وضعت قدمها في طريق صناعة وانتاج الطائرات الحربية . غير ان مشاكلها الاقتصادية وتردي علاقاتها السياسية مع كافة الدول في العالم سيؤثر بلا شك على قدرة وامكانات هذه الصناعة وعلاقتها بالخارج .

ان اوضاع اسرائيل المالية والاقتصادية والتزاماتها الحربية الضخمة ستجبرها للاقتراض من الخارج وبالتالي الحصول على الاسلحة من الخارج وهو عمل سيكلفها كثيرا . لذلك ستفرض عليها هذه الاوضاع التخلى عن بعض مشاريعها الحربية المحلية خاصة وانها الآن قررت زيادة حجم جيشها ومشترياتها من الاسلحة المتطورة الحديثة الباهظة الثمن ، ومخزونها من الاسلحة حتى تتمكن خلال القتال من تأمينه لتشكيلاتها المقاتلة البرية والجوية والبحرية وحتى لا تتعرض للاوضاع نفسها التي تعرضت لها في الحرب الاخيرة . انها تدرك ان المستقبل لا يدوم الى التناؤل وان مصر هذه الصناعة ان تتخلص وان يتوقف انتاجها لهذه الطائرات الحربية المعقدة وغيرها في المستقبل غير البعيد . انها تدرك ان استمرار هذه الصناعة في

الولايات المتحدة وتقرر ان تقدم الولايات المتحدة لها من المساعدات المالية والعسكرية في السنوات الخمس القادمة مبلغ (٨٠٠٠) مليون دولار .

ان مجرد انتاج طائرة « كثير » لا يعني انتهاء المشاكل والعقبات التي تعترض هذا المشروع . ان اي انتاج حربي في العالم لا يمكنه ان يقف وينجح الا اذا توفرت له اربعة عوامل : - (١) توفر المعدات اللازمة . (٢) توفر الاموال للضرف على المشروع وحمايته ودعم برامجه وضمان استثمارية وتحسين الانتاج . (٣) تأمين الخبرات اللازمة من تقنيين ومهندسين وفنيين وغيرهم لمواصلة الانتاج . (٤) ايجاد الاسواق لبيع الانتاج والحصول على العملات الصعبة لتدعيم الصناعة وتعزيز الاقتصاد القومي . واذا كانت اسرائيل تبذل الخبرات والمعدات فانها تجد صعوبة في تأمين العاملين الاخرين .

لذلك وفي ضوء هذا الواقع سيكون سلاح الجو الاسرائيلي السوق الوحيدة لهذه الطائرة . لذلك فان تنفيذ اسرائيل من هذه الطائرة اقتصاديا ذلك لان طلباتها ستكون محدودة ومحصورة في احتياجات سلاح الطيران . ان ذلك لن يساعد على نمو هذه الصناعة وازدهارها وستجد اسرائيل بعد فترة انه من الافضل لها شراء ما تريده من الطائرات الحربية من الخارج اذا بقي معدل التسليح في المنطقة على حاله .

ان الصناعة الجوية في اسرائيل لن تتمكن من انتاج اكثر من طائرتين الى ثلاث في الشهر ، لان انتاج الطائرات المقاتلة هو اصعب من انتاج الطائرات المدنية الصغيرة بالاضافة الى تكاليفه المرتفعة وطول المدة التي يحتاجها المشروع لاعداد الطائرة للعمل بكفاءة قتالية عالية . ان توحيد في الطائرات الحربية اسلحة ومعدات وتجهيزات الكترونية وجميعها ستكون بحاجة الى اجراء التجارب الدقيقة عليها لتقرير مدى صلاحيتها وفائدتها . وهي فرص لا تقدر هذه الصناعة الناشئة المحدودة الامكانات تأمينها ولن تتوفر لها في ضوء معطيات الصراع الحالية . أما من حيث احتياجات سلاح الطيران الاسرائيلي للمعدات والطائرات والتجهيزات فقد عرف عن هذا السلاح انه يسعى باستمرار للحصول على احسن الطائرات

حجم مبيعاتها من الطائرات الحربية وقد عزي وقتها سبب ذلك الى الحظر الذي فرضته نرنسا والى انسحابها من قيادة حلف الاطلسي وهو عامل دئع بالعديد من الدول الاوروبية الغربية الاعضاء في الحلف الى شراء الطائرات من الولايات المتحدة . نسوق ذلك كمثل للتدليل على أهمية العلاقات السياسية بين الدول وائر ذلك على العلاقات التجارية . ولم ينقذ الصناعة الجوية الفرنسية وقتها سوى علاقاتها السياسية والاقتصادية التي بدأت انذاك تقوى وتوطد وتردهر مع دول العالم الثالث وخاصة الدول العربية النفطية التي تقدمت لشراء المعدات والتجهيزات الحربية الفرنسية بكميات كبيرة مما ساعد على تدعيم مواقف الصناعة الجوية الفرنسية وعزز مكانة شركة (داسو) بالذات .

لقد واجهت الصناعة الجوية في اسرائيل صعوبات في مجال تسويق طائراتها ومنتجاتها ، فأثر ذلك عليها ماليا مما اضطرها في بداية العام ١٩٧٥ الى الاستغناء عن حوالي (٤٠٠٠) عامل وفني من مجموع (١٣٠٠٠) عامل ومهندس وفني يعملون فيها .

ان المعلومات الفنية والتقنية المغفرة عن طائرة « كاتر » هي قليلة ولا تعدو كونها معلومات اولية . لذلك يصعب معرفة خواصها وميزاتها القتالية . لقد ذكر بيريس انها طائرة مقاتلة معترضة تكتيكية ، فهو اذا قد حدد هويتها وطبيعة المهام التي ستقوم بها . وهذا يعني انها ستقوم بهام الاعتراض والقتال الجوي والهجوم الارضي ضد الاهداف العسكرية التكتيكية . وفي هذه الحالة سيضمحل تسليحها المدافع الرشاشة والصواريخ الموجهة جو - جو والقنابل والصواريخ التقليدية والصواريخ الموجهة جو - ارض . ان مثل هذا الكلام كان يمكن ان يؤثر على نفسية ومعنويات المواطن العربي لو قيل في سنوات سبقت معركة تشرين . ولكن المواطن العربي الذي تحرر من عقدة الخوف ومن عقدة التفوق الاسرائيلي واصبح اكثر معرفة واطلاعا على مشاكل انتاج الطائرات المقاتلة ، خواصها وميزاتها القتالية ، يدرك الان ان مجرد اعطاء بعض البيانات عن الطائرة الاسرائيلية لا يعني بالضرورة ان هذه البيانات والارقام يمكن ان تترجم عمليا وبسهولة . لقد

انتاج هذا النوع من الطائرات يعتمد على العوامل التالية : -

١ - مواصلة الانتاج سيجعل الحكومة الاسرائيلية مسؤولة سد العجز المالي الذي ستواجهه الصناعة الجوية في المستقبل بشكل متواصل لان العملية ستصبح انتاج هذه الطائرة لحساب سلاح الطيران الاسرائيلي وهذا يعني ان الجهة التي ستواصل شراء الانتاج هي الجهة نفسها التي ترمد الاموال للمشروع اذا فالعملية ستكون خاسرة ماليا والصناعات التي لا تغطي نفقات انتاجها والتي لا تدر ارباحا ستواجه مستقبلا مظلما .

٢ - ان تلجأ الحكومة الاسرائيلية الى سد العجز من باب المساعدات الخارجية وهذا عامل لا يعول عليه في مثل هذه المشاريع ويشك في استمرارية الاعتماد عليه في ضوء تطورات الصراع ومواقف الدول الاجنبية منه .

٣ - ان تلجأ دولة صديقة مقتدرة ماليا الى تبني المشروع او المساهمة فيه للمساعدة على تغطية نفقاته وتأمين الاسواق للمقاتلة الاسرائيلية .

٤ - ان تمول المشروع جهات اجنبية وهذا ليس واردا الان لاسباب مطية ودولية .

٥ - ان تخفف الدول العربية الحصار الاقتصادي المفروض على اسرائيل وتخفف انظمة وقوانين مكتب المقاطعة العربية وهي اجراءات ربما تدفع بعض دول المعسكر الثالث لشراء هذه الطائرة وهذا بعيد الاحتمال وغير وارد على الاطلاق .

هذه هي بعض الحقائق التي تجعل من المشروع باهظ التكاليف وتجعل الطائرة اكثر كلفة من مثيلاتها في العالم . ان كلفة انتاج الطائرة الاسرائيلية على حد قول بيريس بلغت (٤) ملايين دولار ، وهو مبلغ كبير اذا قيس بسعر طائرة الميراج الفرنسية التي حصلت عليها اسرائيل في الماضي بسعر الواحدة (١٥) مليون دولار وربما بسعر سياسي يقل عن هذا الرقم كثيرا . ان شركة (داسو) صاحبة مشروع طائرات الميراج الفرنسية والتي بدأت المشروع في عام ١٩٥٠ وانتجت حتى الان اكثر من (١٠٠٠) نموذج من طائرات الميراج ، واجهت في عام ١٩٦٨ مشاكل عديدة كان ابرزها انخفاض

المراج الفرنسي . ان هذا التعديل وتعديلات اخرى ادخلت عليها تؤثر كثيرا على تصرفات الطائرة وادائها وقدرتها على المناورة في اوضاع مختلفة ، لذا ستكون الطائرة بحاجة الى فترة طويلة لاجراء التجارب عليها لتقرير امكاناتها وقدراتها القتالية .

تبقى نقطة اخيرة يجدر الاشارة اليها ان القادة الاسرائيليين كانوا دوما توافقين لتقليد السويد في مجال الانتاج الحربي والاكتفاء الذاتي . ان اسرائيل لا يمكن ان تقيس نفسها بالسويد اذ ان الفارق بينهما كبير فالسويد دولة مقتدرة عليها وتقنيا وتعتمد بشكل رئيسي على قوة اقتصادها ومكانتها ودورها بين مجموعة الدول الاسكندنافية فضلا عن ان لها التزاماتها الاقليمية والدولية . وان لصناعتها اسواقها بالاضافة الى ان العديد من الدول في العالم تنهات لشراء طائراتها واسلحتها المتقدمة والمطورة . لذلك لا يمكن المقارنة بين اسرائيل والسويد .

اخرا ان العديد من الدول الصناعية المتقدمة ذات الامكانات المالية الكبيرة لم تعد تتحمل الصرف على صناعاتها الحربية لهذا اتجهت لامتامة المشاريع المشتركة مع دول اخرى واكبر مثال على ذلك ما يتم اليوم بين الدول الاوروبية فرنسا وبريطانيا التي اشتركت في انتاج طائرة الركاب « الكونكورد » وطائرة « الجاكار » المقاتلة المعترضه والهجوم الارضي وغيرها من طائرات الهليكوبتر والماتيسا الغربية بريطانيا وايطاليا التي اشتركت في انتاج الطائرة المقاتلة « بنافيا » . والمانيا الغربية وفرنسا التي اشتركت في انتاج طائرة « الفا جت » المقاتلة وغيرها من المشاريع المشتركة .

الرائد الطيار حسين عويضة

قلنا ان عملية انتاج اي طائرة مقاتلة هي عملية شاقة ومضنية وتعرضها لمشاكل وعقبات كثيرة . فالطائرات المقاتلة تظل بحاجة الى تجارب متواصلة لتقرير صلاحيتها وتصرفاتها وهذه تشمل التمارين التالية : -

١ - تصرفاتها في الاعتلاج والهبوط والمسافة التي تحتاجها لكلا الحالتين بمحاولات مختلفة .

٢ - معدل سرعة التسلق بمحاولات مختلفة والى ارتفاعات مختلفة .

٣ - معدل سرعة الدوران بدرجات ميل مختلفة وبمحولة مختلفة .

٤ - سلوك الطائرة في المطارات القتالية الحادة بسرعات بطيئة وعالية .

٥ - تصرفات الطائرة في السرعات العالية وتصرفاتها في السرعات البطيئة دون ٢٠٠ عقدة وحتى سرعة الانهيار . (سرعة انهيار المراج (١٣٠) عقدة) .

٦ - تصرفات الطائرة في الارتفاعات العالية وخاصة في الارتفاعات التي تزيد عن ٣٠ الف قدم وقدرتها على المناورة والدوران في هذه الارتفاعات .

هذا جزء من التجارب التي تجري عادة على الطائرات المقاتلة ، وقد دلت التجارب ان ذلك يستغرق وقتا طويلا . اما بالنسبة لطائرة « كفير » فاننا لن نكون دقيقين في قولنا انها أصبحت جاهزة للعمل مجرد القول انها نسخة سبق الاصل عن المراج التي اجريت عليها كافة التجارب المطلوبة في فرنسا . ان هذا القول ليس صحيحا فقد ادخلت اسرائيل تعديلات اساسية على الطائرة كان ابرزها تزويدها بمحرك اميركي اقوى من محرك

جول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٤/١١ — ١٩٧٥/٥/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلح	جسائر العدو	جسائر القارومة	المصدر :
					المستعمل	البشرية	خسائر العدو	البلاغ العسكري تاريخه
						قتيل	خسائر العدو	البلد : رقم
١	٤/ ٨ —	—	قرية سبريس/جنين	حرق	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٧٢
٢	٤/ ٨ —	٢٠٤٠٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	رقم ٧٥/١٠٧٢
٣	٤/ ٩ —	—	الخليل	تفجير	عبوات حارقة	—	—	رقم ٧٥/١٠٧٢
٤	٤/١٤ —	—	القدس (١)	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	رقم ٧٥/١٠٨٨
٥	٤/١٢ —	—	بين بيت لحم والقدس	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غير معد	—	رقم ٧٥/١٠٩٦
٦	٤/١٦ —	٢١٤٢٠	طبريا	هجوم	صواريخ	غير معد	—	رقم ٧٥/١١٠٧
٧	٤/١٧ —	١٥٤٢٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير معد	—	رقم ٧٥/١١١٦

تدمر باسم الشركة ايجد
واصلية من ثوبه

تدمر

تدمر عدد من سيارات كاتانة
عسكرية

تدمر

تدمر بعض المحلات في المركز
التجاري بمنطقة كريات
بوتيل واطلاف محتوياتها

تدمر

تدمر اكدشاف العبوة اسفل
مسيرة اكد ضباط الخابرات

تدمر

تدمر واطلاف جميع محتويات
مكتب العمل الصهيوني

تدمر

الرقم	تاريخ العملية	المساحة	موقعها	نوع العملية	السلحاح	البشرية	خسائر العدو	خسائر المقاومة	المصدر :
	اليوم				المستعمل	قتيل	جرح	تاريخ	التاريخ
٨	٤/١٧ -	١٨٤٠٠	القدس	تفجير	مبوات ناسفة حرقة	—	—	تم اكتشاف العيونات في محطة البياسات المركبة وابطل مفعولها	٤/١٨ رقم ٧٥/١١٢
٩	٤/١٧ -	—	عسقلان	تفجير	مبوات ناسفة	غير محدد	غير محدد	تدمير اجزاء من المحلات التجارية في سوق المدينة الرئيسي والعمال النيران فيها	٤/١٨ رقم ٧٥/١١٢
١٠	٤/١٤ -	—	القدس	تفجير	مبوات ناسفة	غير محدد	غير محدد	تدمير احد المحلات التجارية في كريات يوهيل واتلاف محتوياته	٤/١٩ رقم ٧٥/١١٤
١١	٤/١٥ -	—	جنين	تفجير	مبوات حرقة	—	—	احراق جميع محتويات احد الكافيه الصهيونية	٤/١٩ رقم ٧٥/١١٤
١٢	٤/١٩ -	—	بني براك/تل ابيب	تفجير	مبوات حرقة	غير محدد	غير محدد	اشعال النيران في اقسام من احد المصانع العسكرية في شارع «هاشمونائيم»	٤/٢٠ رقم ٧٥/١١٥
١٣	٤/١٩ -	—	اسدود	اطلاق نار	اسلحة خفيفة	١	١	التجار الموبة بعد اكتشافها وتدمير باص لشركة ايجد عند محاولة ابطال مفعولها	٤/٢٠ رقم ٧٥/١١٦
١٤	٤/٢٠ -	—	تالين	تفجير	مبوات ناسفة	١	١	تدمير باص لشركة ايجد عند محاولة ابطال مفعولها	٤/٢٠ رقم ٧٥/١١٧
١٥	٤/٢٠ -	—	ايرو/شمال غزة	تفجير	مبوات حرقة	—	—	تم اكتشاف العيونات داخل احد البياسات وابطل مفعولها	٤/٢٠ رقم ٧٥/١١٨

٤/٢٤	رقم ٧٥/١١٩	—	—	اكتحال النيران في احد الباصات لشركة ايجد	٢	عبوات ناسفة	طرس / الجليل الغربي	—	٤/٢٠ — ١٦
٤/٢٤	رقم ٧٥/١٢٠	—	—	تدمر جزء كبير من مبنى البريد	غير محدد	عبوات ناسفة	موتسليا	٨٤٠٠	٤/٢٤ — ١٧
٤/٢٤	رقم ٧٥/١٢١	—	—	اكتحال سيارة عسكرية وقتل وتقل وجرح من فيها	غير محدد	تنبلة يدوية	خان بونين	—	٢/٢٠ — ١٨
٤/٢٤	رقم ٧٥/١٢٢	—	—	تدمر سيارة عسكرية وقتل وتقل وجرح من فيها	غير محدد	تنبلة يدوية	الشجاعية/غزة	—	٢/٢٣ — ١٩
٤/٢٤	رقم ٧٥/١٢١	—	—	اكتحال سيارة عسكرية وتقل وجرح من فيها	غير محدد	تنبلة يدوية	غزة	—	٢/٢٧ — ٢٠
٤/٢٥	رقم ٧٥/١٢٢	—	—	تدمر سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	غير محدد	لسفم	مطار الجورة/سجناء	—	٢/٢٦ — ٢١
٤/٢٥	رقم ٧٥/١٢٢	—	—	تدمر سيارة عسكرية وسيارة مصوريح مجاه	غير محدد	الفسام	ابوطويلة/سجناء	١٠٤٠٠	٤/١٠ — ٢٢
٤/٢٦	رقم ٧٥/١٢٣	—	—	تدمر برج كهرباء المكشط العالي وانقطاع التيار الكهربائي وتدمر سيارة عسكرية	غير محدد	عبوات ناسفة	القدس	٨	٤/٢٥ — ٢٣
٤/٢٦	رقم ٧٥/١٢٤	—	—	اكتحال النيران في الطابق الاول من احد مباني رجال الخابرات	غير محدد	عبوات حارقة	بيانا	—	٤/٢٥ — ٢٤
٤/٢٧	رقم ٧٥/١٢٥	—	—	اكتحال سيارة للعدو	غير محدد	تنبلة مولوتوف	المعزبية/القدس	—	٤/٢٦ — ٢٥
٤/٢٧	رقم ٧٥/١٢٦	—	—	تدمر جزء كبير من باص لشركة ايجد	١	عبوات ناسفة	حي بير فيضان	—	٤/٢٦ — ٢٦

الرقم	تاريخ العملية اليوم	موقعها	نوع العملية	السلح	خسائر العدو	خسائر المقاومة	المصدر:
					البشرية	خسائر العدو	البلاغ العسكري تاريخه
				المستعمل	قتل جريح	الآلية	تاريخ
٢٧ - ٢٨	٤/٢٨	٦٤٠٠	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	المشمال النيران في مصنع للجيش بشارع «جانبويزنكي» وامتدادها الى الحانزن والالات	٤/٢٩ رقم ٧٥/١٢٧
٢٨	٤/٢١	٨٤٠٠	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير اجزاء من احد المصانع العسكرية	٤/٢٩ رقم ٧٥/١٢٨
٢٩	٤/٣٠	١٤٠٠	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير اجزاء كبيرة من الجيع الصناعي بجي تلبسوت واشتعال النيران فيه لآلة مسامكات	٤/٣٠ رقم ٧٥/١٢٩
٣٠	٤/٢١	٢٢٤٠٠	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير اجزاء كبيرة من مطابخ ومستودعات الورق التابعة للجيش الاسرائيلي	٤/٣٠ رقم ٧٥/١٣٠
٢١ - ٢٢	٥/٣	٤٤١٥	قصف	مؤاروخ ثقيلة	غير محدد	اصابة مجمع الوزارات ومبنى الكنيست والحق اضرار كبيرة بها	٥/٣ رقم ٧٥/١٣١
٢٢	٥/٤	٧٤٠٠	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير اجزاء كبيرة من مبني سكني لمنبها المخابرات واعداد النيران الى مكان اخرى	٥/٤ رقم ٧٥/١٣٢
٢٣	٤/٢٩	—	تفجير	عبوات حارقة مؤتوتة	غير محدد	تدمير سيارة عسكرية تابعة لشرطة الدعوة قرب باب يافا	٥/٤ رقم ٧٥/١٣٣

٥/٤	رقم ٧٥/١٣٣	— — —	اشغال التيران في عدد من الحلات التجارية في المركز التجاري الرئيسي	غير محدد	عبوات حارقة موتورية	تفجير	مرسلياً (٢)	—	٥/٣ — ٣٤
٥/٦	رقم ٧٥/١٣٤	— — —	اندلاع الحرائق في المنطقة الصناعية في حي مركبات حيث اُفت على معظم مستودعات المنطقة ومساكنها كما اجتمعت الى الاحياء المجاورة	غير محدد	عبوات ناسفة حارقة	تفجير	تل ابيب	٢٢٤٠٠	٥/٥ — ٢٥
٥/٧	رقم ٧٥/١٣٥	— — —	تدمير سيارة واقعمال التيران فيها	١	أسلحة رشاشة وتتال يدوية	كمين	جنين	—	٥/٦ — ٣٦
٥/٩	رقم ٧٥/١٣٦	— — —	تم اكتشاف العبوات في احد الحلات التجارية وابطال مفعولها	—	عبوات ناسفة	تفجير	القدس	٨٤٠٠٠	٥/٩ — ٢٧
٥/١٠	رقم ٧٥/١٣٧	— — —	تم تصفية الميبل هافنم كلونزي رجا بالرمصاص في وسط احد الشوارع الرئيسية	١	—	—	نابلس	—	٥/٦ — ٢٨
٥/١١	رقم ٧٥/١٣٨	— — —	تدمير باص للمركبة ايجد واشغال التيران فيه	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	رام الله	١٥٤٠٠	٥/١٠ — ٣٩
٥/١١	رقم ٧٥/١٣٩	— — —	خروج الطل من خط مسكة الحديد وتدموره وتتل وجرح عدد كبير من الجنود	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	بارقبوه/جنوب غرب القدس (٢)	٧/١٥	٥/١١ — ٤٠

الرقم	تاريخ العملية	الساعة	موقعها	النوعية	نوع السلاح	المتحمل	قتل جريح	خسائر العدو	خسائر المقاومة	المصدر :
-------	---------------	--------	--------	---------	------------	---------	----------	-------------	----------------	----------

٤١ -	٥/١١	٧٤٢٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	غير محدد	تدمير بعض المحلات التجارية في حي الضرارة واصمة البناي الجازرة بالقرار بالقبسة	٥/١١	رقم ٧٥/١٤٠
٤٢ -	٥/١٠	—	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوات قبل انفجارها واطل بمفرولها	٥/١١	رقم ٧٥/١٤١
٤٣ -	٥/٩	١٩٤٠٠	عوز/الخليل	تفجير	تسليم ارضي	غير محدد	—	تدمير احدى آليات العدو	٥/١١	رقم ٧٥/١٤٢
٤٤ -	٥/١٠	—	وادي عربة	تفجير	لغم ارضي	غير محدد	—	تدمير سيارة للعدو وقتل وخرج من فيها	٥/١١	رقم ٧٥/١٤٣

١ - ادعى العدو بأن سيارة الفتى تتجهل يدوية على ملحة في حي كريات يوئيل واحقت انفراا طينية واصناف بان الحائط عملية انتقام للاغلاقات شخصية . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٩١ ، من ٢١٥ ، تاريخ ٤/٢١/١٩٧٥) .

٢ - اعترف العدو بالعملية مدعيا « بان الحريق يمكن ان يكون مغطلا » . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٨٠٥ ، من ٥٠٤ ، تاريخ ٢٨/٤/١٩٧٥) .

٣ - اعترف العدو بالعملية مدعيا « بان الحريق يمكن ان يكون مغطلا » . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٨١٠ ، من ٧٧ ، تاريخ ٥/١٠/١٩٧٥) .

٤ - اعترف العدو بأن رحلات القطار على خط القدس قد تمطلت بعد انقلاب طائرة واصمة السائق ومعاونه واعترف بان الحادث وقع لان جوهولن قد تفكر البرافغي التي تربط خط سكة الحديد . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٨١٥ ، من ٢٢٣ ، تاريخ ١٢/٥/١٩٧٥) .

ملاحظة : تصدر البلاغات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالممتلكات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٤/١١ - ١٩٧٥/٥/١٣

الرقم	تاريخ العملية	الساعة	موقعها	العملية	نوع	الاستعمال	البشيرة	خسائر العدو	خسائر المقاومة	تاريخه
١	٤/٧٣	٢٠٤٠٠	زرعيت	تصف	خنادق باروكا وأسلحة رشاشة	عبوة ناسفة	البشيرة	٤٢١ من ٨٠٢	٤٢١ من ٨٠٢	٤/٢٤
٢	٤/٧٧	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	عبوة ناسفة	قتل جريح	٥٠٠ من ٨٠٥	—	٤/٧٨
٣	٤/٢٦	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	الدمى المدور بان الانجوار	—	٥٦٨ من ٨٠٧	—	٤/٣٠
٤	٤/٣٠	—	شعولا	تصف	خنادق باروكا	خنادق باروكا	—	٥٧٢ من ٨٠٧	—	٤/٣٠
٥	٥/٣	٤٤٠٠	القدس	تصف	خنادق كاتروشا	خنادق كاتروشا	—	٢٨ من ٨٠٩	—	٥/٣
٦	٥/٤	٧٤٢٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	عبوة ناسفة	١	٨٠ من ٨١٠	—	٥/٥
٧	٥/٦	١٨٤٠٠	جنين	كمين	اسلحة رشاشة	اسلحة رشاشة	١	١١٤ من ٨١١	—	٥/٧
٨	٥/٩	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	عبوة ناسفة	—	١٧٣ من ٨١٢	—	٥/٩
٩	٥/١١	٧٤٣٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	عبوة ناسفة	—	٢٢٣ من ٨١٤	—	٥/١٢

١ - تفجيرة و رشادة اذاعة اسرائيل « تمدن يوريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

غازي خورشيد

الثقافة العربية

تضافته صريفة امثلة وفكر انسانك متمتع

مجلة شهرية جامعة - تصدرها
المؤسسة العامة للصحافة
في الجمهورية العربية الليبية

رئيس التحرير: محمد علي الشويدي

من كتاب الفكر
والشعر والعز

يشترك

في تحريرها

تحتوي ١٣ صفحة من الطبع اللين تحتوي مجموعة من
المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية
والاقتصادية والعامة، إلى جانب الأبواب
الثابتة مثل شعر وقصة وفنون.

ليبيا ١٠٠ درهم • ع.م.ع ١٠٠ ملهم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش
الكويت ١٥٠ فلس • الاردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ٥٠ فلس
دبي: ريال ونصف • السعودية: ريال ونصف • أبوظبي: درهمان
مسقط ٢٠٠ بيسه • قطر: ريال ونصف • السودان ١٠٠ ملهم • الجزائر: ديناران
تونس ١٠٠ ملهم • المغرب: درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلس • اليمن ١٠٠ بقشة

خارج العدد

في الجمهورية العربية الليبية: ١٠٠ درهم ليبي، وخارج الجمهورية العربية
الليبية: ١٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

الاشتراك السنوي

مجلة "الثقافة العربية" ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس - ع.ع.ل.

العنوان

دار ابن خلدون

بناية مكرزل ، شارع سورية ، بيروت ، لبنان

ص.ب ١١٩٣٠٨ — هاتف : ٢٩٦١٠٣

صدر حديثا :

الثنى ق.ل.

- المرحلة الانتقالية في سوريا ١٩٥٨—١٩٦١ ، عهد الوحدة ، بدر الدين السباعي ١٢٠٠
- مناقشات حول الثقافة اليمنية ، عبد الفتاح اسماعيل ، علي باذين وآخرون ٤٠٠
- الاشتراكية او البربرية ، رينيه ديمون ، ترجمة : حسن قبيسي ٦٠٠
- عام النصر ، مارشال الاتحاد السوفياتي : كونييف ، ٩٠٠
- تعريب : المقدم الركن المتقاعد غضبان السمد
- الاقدام العارية : الشيوعيون المصريون ٥ سنوات في معسكرات التعذيب ، ٧٥٠ طاهر عبد الحكيم
- الادب والايديولوجيا في سوريا ، بوعلی ياسين ، نبيل سليمان ١٢٠٠
- الومئاع الغربية في اختفاء سعيد ابي النحاس المتشائل (قصة) ، اميل حبيبي ٤٠٠
- العلامة ابن خلدون ، ايف لاکوست ، ترجمة : د. ميشال سليمان ٨٥٠

وصدر من سلسلة دليل المناضل :

- المركزية الديمقراطية ، لجنة التثقيف الجماهيري في الحزب الشيوعي الكوبي ١٠٠
- الحزب الشيوعي الاتدوتيسي ، ايديث اديستوروب ١٠٠
- مقالات فيتنامية ، جنرال جياب — لي ذوان ١٧٥
- الفنون والثورة ، برتولد بريخت ١٠٠
- دفاتر الحرب « الكونغو » ، محاضرات تثقيفية للمقاتلين ١٥٠
- شروح في المادية التاريخية ، لجنة التثقيف الجماهيري في الحزب الشيوعي الكوبي ٢٥٠
- الماركسية والطبقات الاجتماعية ، نيكوس بولانتزاس ١٢٥
- فينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر ، تجربة المناطق المحررة ١٠٠
- كيوتشي : قرية فيتنامية تحت الارض ١٠٠
- الماركسية والمسائل الجنسية عند المرأة ، برنارد مولدوروف ٢٠٠

ملاحظة : لتأمين طلبات الكتب الى الخارج الرجاء ارسال شك باسم « دار ابن خلدون »
بقية الكتب المطلوبة او ما يعادلها من العملة الاجنبية ، أما اجور البريد فقيمتها
على نفقة الدار .

مؤتمر الأدباء في الجزائر ...

هذا هو موضوع « الملف الخاص » الذي أصدرته

مجلة الآداب

في عددها الجديد الذي صدر هذا الشهر ، العدد الخامس (ايار) ١٩٧٥

شارك في تحريره : د. سهيل ادريس — د. أحمد طالب الابراهيمي —
ناجي علوش — حبيب صادق — د. عبدالله ركيبي — د. حسام الخطيب —
د. حسين مروة — حميد سعيد — د. ميشال سليمان — د. عبدالله
شريط — عبد الكريم غلاب — يوسف الثاروني — ابراهيم بوهندي .
الى جانب دراسات وقصائد واقاصيص أخرى وابواب المجلة المعتادة .

دار الآداب تقدم

ابتسمي حتى تمر الخيل	« شعر »	محمد الفيوري
قصائد مهربة الى حبيبي آسيا	« شعر »	محمد علي شمس الدين
خليل مطران (مختارات من شعره)		اختارها وقدم لها أحمد عبد المظي حجازي
ثقافتنا في مفترق الطرق		د. لويس عوض
الفكر العربي في معركة النهضة		د. أنور عبد الملك
الانسان الاشتراكي		اسحق دويتشر
الاسس الاخلاقية للماركسية		اوجين كامنكا
الوجه والقناع في مسرحنا العربي		محمود امين العالم
الثورة والثورة المضادة		هريبرت ماركوز
امرأتان في امرأة		د. نوال السعداوي
بيروت ٧٥		غادة السمان

منشورات دار الآداب

بناية مركز الكتاب — شارع البازجي

ص.ب ٤١٢٣ — بيروت — لبنان